



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ..

كثيرا ما يتبادر إلى الذهن أن يتساءل الإنسان عن جدوى وجوده وغايته في الحياه ، وفي أكثر الأحيان يخضع الحياة بأنشطتها الاجتماعية والعملية والفكرية والجمالية لنوع من النقد قد يصل إلى حد الحكم بعدم الجدوى من التواصل والاستمرار ، ويغدو الحل الأكثر ترجيحاً هو الانتقال من حالة الفعل إلى عدمه ومن الإيجابي إلى السلبي ، من الحياة الزاخرة إلى شكل من أشكال الموت .

وتظهر لنا الموروثات الثقافية في الحضارات المختلفة أن الإنسان قد وجه اهتماما بالغاً إلى قضية الكيفية المثلى التي يجب أن يحيا عليها ، وقد وجدت منذ سالف العصور محاولات جادة لتحقيق هذا الهدف أو إعادة تشكيل جملة الأعراف السائدة والمعتقدات والمعلومات على ضآلتها بغرض الوصول بالنفس الإنسانية إلى شاطئ السلامة والاطمئنان إلى الحاضر والمستقبل .

لكن قصور إدراكات الإنسان عن تصور صلاحه يجعل الموضوعات الفلسفية التي يطرحها في تصور الحقائق مهما بلغت من الكمال متواضعة أما نفرات النفس الوثابة التي لا تهدأ إلا إذا غمرها العجز والإحساس بعظمة ما بين يديها من كمال في دين الله ومنهج الرسل ، ومن ثم سكنت النفس إلى خالقها الذي ليس كمثل شئ في علمه أو حسن توجيهه لخالقه ، وكانت الفطرة مهيئة لاستقبال منهج الله الذي أنزله على رسله ، وكان هذا القرآن الذي أنزله الله على عبده محمد ﷺ وجعله خاتماً لرسالة الإسلام وآخر لبنة في بناء الرسالات السماوية ، فوضع فيه أسس الكمال اللازمة لقيادة البشرية في حقبتها الأخيرة إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة/3] .

وقد ميز الله القرآن عن سائر ما سبق من الكتب الإلهية ، ليس فقط في كونه النص الوحيد في العالم الذي يقرأ بأسلوب الوحي الأول بإعجاز تركيبه وبلاغته كلماته ، ولكن ميزه

الله بدوام حفظه وبقائه إلى يوم القيامة من خلال أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن الله حفظه منهجا ثابتا لا يتغير ، فهياً الأسباب لحفظ القرآن والسنة على الدوام ، فقال تعالى في حفظ منهجه : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر/9] وفي حفظ السنة تميزت الأمة الإسلامية بالأسانيد في براعة نادرة فوضعت قواعدها التي تميز بين المقبول والمردود أو الصحيح والضعيف مما نسب إلى رسول الله ﷺ وهو ما عرف بعلم مصطلح الحديث الذي يعد معلما من معالم الفكر الإسلامى .

الأمر الثانى : أن الله حفظه واقعا مرئيا تقام به الحجة على العباد ، فقال ﷺ في وجوده واقعا مستمرا إلى قيام الساعة : " لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى " (1) .

1. نص الحديث فى صحيح ابن حبان ، من طريق ثوبان ، برقم (6714) 110/15 وأخرجه البخارى ومسلم بطرق وألفاظ أخرى كثيرة ، انظر فتح البارى 293/13 .  
وقد كتب الله السعادة فى الدارين لأتباع هذه الرسالة الذين قدروها حق قدرها ، وقاموا بها على مراد الله وهدى نبيه ﷺ ، فكان منهم خير القرون ومن جاء بعدهم ، ممن زكاهم رسول الله ﷺ فى قوله : " خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " قال عمران بن حصين راوى الحديث : " فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة " (1) .

فتقبلوا القرآن الكريم بقلب محب و صدر رحب ، وتلقوه بالقبول حفظا وفهما وعلماء وعملا ، وطبقوا كل ما جاء به فى حياتهم الخاصة والعامة ، إيمانا منهم بقوله : { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء/9] .

وظل الحال كذلك والأمة الإسلامية تفتح للقرآن الكريم ولغته العظيمة كل إمكاناتها ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، دخل فيه الفارسي والرومى والحبشي وكل من بلغه هذا النور وشرح الله صدره له ، وتكونت دولة واحدة لا فرق فيها بين الناس وإن اختلفوا فى الجنس أو اللغة أو اللون ، ثم جاءت الفتوحات الإسلامية واتسعت الرقعة الإسلامية واختلط العرب بغيرهم والإسلام فى تلك الأدوار كلها يقضى على العصبية والقومية وينادى

الناس جميعا : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات/13] .

1. أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة الحديث (2535) 1964/4 ، والبخارى بلفظ : خيركم قرني ، حديث (2508) 938/2 .

حتى وصل الأمر في رسوخ ميزان التقوى كميزان أوحده للمفاضلة بين الناس إلى أن رسول الله ﷺ بعض الموالي على زعماء قريش وكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

لهذا امتزج المسلمون العرب بغيرهم من الأمم ، ونتج عن هذا الامتزاج جيل جديد يسمع عربية خالصة ولكنة أعجمية غريبة على البيئة العربية ، وإذا كان الاختلاف مقدرا في سنن الله الكونية ، ومحلا للابتلاء بين العباد ، كما قال تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَّلَانٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [هود/118] .

فإن الله نھانا عنه وحذرنا منه وأمرنا بالاعتصام بمنهجه الممثل في كتابه وسنة نبيه ﷺ فقال جل ذكره :

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] .

وقال أيضا : { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور/63] .

فمن جانب السنن الكونية حدث الاختلاف بين الأمة ، ومن جانب التكليف والعلم كلفنا الله سبحانه وتعالى بأخذ الأسباب في خدمة الكتاب والسنة ، ومما يثلج الصدر أن هم المسلمين لم تفتروا ولم تستكن رغم الكبوات التي تحل أحيانا بالأمة الإسلامية ، فتجدها تعود سيرتها الأولى قوية عزيزة ، تغترف من القرآن والسنة الزاد الذي يقوى شكيמתها ويصح مسيرتها .

وقد حاولت في هذه الأطروحة التي تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه أن تكون سببا من الأسباب في خدمة الكتاب والسنة ، والسعى الجاد إلى وحدة المسلمين ونبذ الخلاف من بينهم في ميدان من أخطر الميادين وأوسعها انتشارا وهو ميدان التصوف ، فمن المعلوم أن التصوف التصق عبر تاريخه الطويل بمعتقدات اتحادية حلولية ومفاهيم فلسفية غريبة عن البيئة



الإسلامية ، أدت إلى كثير من مظاهر التقديس والمبالغة في تعظيم المريدين لأوليائهم ، حتى نسبوا إليهم أوصافا لا تليق إلا بجناب الربوبية ، واتخذوهم وسطاء شفعاء يطاف بقبورهم ويستغاث بهم وتشد الرحال إليهم .

وأصبح الأمر بعيدا عن مفهوم التوحيد البسيط الذى نزلت به الكتب وبعثت به الرسل ، والذى لا يجعل واسطة بين العبد وربّه ، وقد توارثت أجيال العامة من الصوفية وغيرهم هذه الأمور المشينة ، بحيث تراكمت حول الطرق الصوفية أكداس من المفاهيم تتعارض فى كثير من الأحيان مع أصول العقيدة الإسلامية وتخالف الأصول القرآنية والنبوية .

ولما كانت الاستقامة لابد من تلمس مبادئها ودعائمها من الأصول المطهرة التى انبثق عنها الإسلام فى مطلع الأهل وهو الكتاب والسنة ، فقد كان لزاما على الباحثين أن يتجهوا إلى المعين الأهل والمباشر ، إلى الاعتصام بالقرآن والسنة ، فكان موضوع الرسالة عن مدى العلاقة بين مصطلحات الصوفية وألفاظهم وما ورد فى القرآن والسنة ، وقياس مدى قربهم أو بعدهم من هذين الأصلين ، ودورهم إيجابا أو سلبا فى الحفاظ على العقيدة الإسلامية .

كما حاولت أيضا إظهار المنهج السليم الذى يؤدى إلى الاحتراز من سلبات الواقع الصوفى المنتشرة فى البلاد الإسلامية قديما وحديثا .

### . أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع فى الجوانب الآتية :

تقديم رؤية إسلامية صحيحة للحياة الروحية فى الإسلام ، من خلال تقديم المصطلحات الصوفية ذات الصلة بالأصول القرآنية والنبوية ، فى بحث نظرى وتطبيق معجمى .

واقعية الموضوع وأثره فى تصحيح الحياة الصوفية المعاصرة ، من خلال تقديم دراسة علمية نزيهة للمؤيدين أو المعارضين للتصوف ، وذلك بغية التجرد للوصول إلى الحقيقة .

الوقوف على مكانة المستقيمين من أوائل الصوفية وسلوكهم ومنهجهم فى الحياة بذكر ما لهم وما عليهم ، ليتأسى الناس بالفضيلة والأخلاق الحميدة والعمل على كشف الشخصيات التى أسهمت فى إيجابية الفكر الإسلامى بصورة عامة .

الوقوف على تطور الفكر الصوفى وقياس زاوية الانحراف عن الأصول القرآنية والنبوية من حيث القرب أو البعد عن المنهج الإسلامى .

الوقوف على ضوابط الاعتماد على الأصول القرآنية والنبوية في العمل المعجمي .

## . الدراسات السابقة :

ظهرت محاولات متعددة في التراث الصوفي ، ومنذ وقت مبكر ، تتصدى لشرح ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم ، وانشغل أغلب الذين كتبوا عن التصوف بمحاولة تقريبه إلى الآخرين ، وشرح الألفاظ الجارية على السنة الصوفية وحاولوا جاهدين أيضا التنبيه على أن دلالة الألفاظ عندهم تحمل معان خاصة وأن طبيعتها النوعية طبيعة رامزة ، يصعب على غيرهم استيعاب دلالتها أو فك شفرتها ، وقد كان لهؤلاء دور رائد في وضع علم الاصطلاحات ، حتى قال عنهم المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون :

( إنهم تقريبا وضعوا علم الاصطلاحات ) (1) ومن أقدم ما خلفوه في تلك المحاولات ، القسم الذي عقده أبو نصر السراج الطوسي (ت:387هـ) في كتابه اللمع تحت عنوان : ( كتاب البيان عن المشكلات ) (2) شرح فيه الألفاظ الجارية في كلام الصوفية ، وبين مقصودهم منها .

ثم يتكرر الأمر نفسه بطريقة أوسع عند أبي القاسم عبد الكريم القشيري (ت:465هـ) في رسالته المشهورة ، فنراه يفرد بابا خاصا لتفسير ألفاظ الصوفية وشرح مدلولها (3) ، ويتواصل الجهد عند أبي الحسن علي بن عثمان الهجویری (ت:465هـ) (4) .

1. تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، لويس ماسينيون ، تحقيق الدكتور زينب الخضيرى ، طبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، سنة 1991م ص 46 .
2. اللمع في التصوف ، تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود ، وطه عبد الباقي سرور طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة سنة 1960 م ، ص 409 وما بعدها .
3. الرسالة القشيرية ، تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود ، ومحمود بن الشريف ، طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة سنة 1974م ، ص 1 و 200 وما بعدها .
4. كشف المحجوب ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا ، طبعة دار التراث العربي القاهرة 1394 هـ سنة 1974م ص 443 وما بعدها .

ومن بعده أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) (1) ، ثم شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت:632هـ) (2) ، ثم ظهرت معاجم خاصة عند محي الدين بن عربي

(ت:638هـ) (3)، وعبد الرزاق الكاشاني السمرقندي (ت:735هـ) (4).

وعلى الرغم من كون المحاولات السابقة لكتاب المصطلحات كثيرة ومتكررة إلا أن التركيز فيها كان على إظهار المعنى الدلالي للمصطلح الصوفي (5)، فلم يتناول أحدهم البحث عن العلاقة بين المصطلح الصوفي وأصوله القرآنية، وإنما يكتفى بذكر بعض الشواهد القرآنية إن وجدت وذكر الشواهد النبوية بغض —

1. الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالي، نسخة مطبوعة على هامش إحياء علوم الدين طبعة فيصل الحلبي دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ ح1 ص49.

2. عوارف المعارف، تحقيق د/عبد الحليم محمود، مطبعة السعادة القاهرة 1971م وطبعة ملحقة بإحياء علوم الدين، دار الريان ح5 ص330.

3. اصطلاحات الصوفية لابن عربي، جمعية المعارف العثمانية، حيدر آباد 1948م.

4. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، تحقيق سعيد عبد الفتاح، دار الكتب المصرية 1996م، ومعجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق د/عبد العال شاهين، دار المنار 1992م، ورشح الزلال تحقيق سعيد عبد الفتاح، المكتبة الأزهرية 1995م.

5. انظر المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين لسيف الدين الآمدي، مقدمة التحقيق للدكتور حسن الشافعي، في حديثه عن تاريخ المؤلفات في المصطلح العلمي وانظر أيضا للمقارنة: اصطلاحات الصوفية ص19، ص20، والمعجم العربي نشأته وتطوره د/حسين نصار، طبعة دار نفضة مصر 1956م ص35 وما بعدها.

النظر عن كون الحديث صالحا للاحتجاج من عدمه، فمثلا في رسالة ابن عربي التي وضعها لشرح اصطلاحات الصوفية لا يوجد سوى ثلاثة شواهد قرآنية، كل شاهد ورد في شرح مدخل اصطلاحي لا علاقة للمصطلح فيه بالشاهد (1).

وحتى الدراسات الحديثة للمصطلح الصوفي، سار المنهج فيها على طريقة القدماء، وهي التركيز على إبراز المعنى المقصود عند الصوفية مع إضافة صبغة الترتيب المعجمي لها، نرى ذلك في معجم الدكتور الحفنى (2)، والمعجم الصوفي للدكتور سعاد الحكيم (3)، ومعجم الدكتور الشرقاوى (4)، وإن كانوا جميعا قد بذلوا جهدا مشكورا في مجال العمل المعجمي، كل واحد بأسلوبه ومنهجه الخاص (5) كما سنرى بعد ذلك.

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص139، ص140، ص141.

2. معجم مصطلحات الصوفية ، د/عبد المنعم حفني ، دار المسيرة ، بيروت 1980م .

3. المعجم الصوفي ، د/ سعاد حكيم ، طبعة دندرة ، بيروت 1981م .

4. معجم ألفاظ الصوفية د/ حسن الشرقاوى ، مؤسسة المختار ، 1987م .

5. لم يبلغ أى معجم فى الدراسات الحديثة من حيث كثافة مصطلحاته مبلغ لطائف الإعلام ، إذ بلغت كثافة المداخل فيه ألفا وستمئة وثمانية وخمسين مدخلا ، فى حين بلغ أكبر معجم فى الدراسات الحديثة للدكتور سعاد حكيم ست وسبعمئة ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن المعجم الصوفى على ضخامة حجمه ، حيث بلغ عدد صفحاته 1312 صفحة ، غير شامل لكل مصطلحات ابن عربى وإنما يضم جلها أو أهمها وفق اختيار المؤلف ، وأكثر مصطلحاته يمثل فكره ونظرياته فى التصوف .

ويعد المستشرق الغربى لويس ماسينيون أول من حاول رد المصطلح الصوفى إلى الأصول القرآنية ، حتى رأى أن التصوف الإسلامى فى أصله وتطوره صدر عن إدامة تلاوة القرآن وممارسته ، وأن القراءة المستمرة لهذا النص أعطت التصوف خصائصه المميزة ، كإقامة مجالس الذكر المنتظمة ، والذكر فى مجموعات بصوت مرتفع ، وإلقاء الأناشيد فى السماع ، والموضوعات المنظومة والمنثورة الداعية إلى التأمل ، وكتب بحثا فى نشأة المصطلح الفنى للتصوف الإسلامى (1) ، ضمن أعماله فى التعرف على تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، لكن ماسينيون قدم نماذج نظرية محدودة لهذه الفكرة ، تحتاج إلى جهد تطبيقى شامل ، كما أن أغلب المصطلحات التى تخيرها ليرد أصولها إلى القرآن كمصطلحات : النور ، والنار ، والطاق ، والشجرة ، والكأس ، والشرب وغير ذلك ، هى فى مجملها ألفاظ قرآنية موضوعة على معانى معبرة عن فلسفة —

على معانى معبرة عن فلسفة —

ويعتبر هذا المستشرق الفرنسى رائدا فى دراساته عن التصوف ، فقد كتب المنحنى الشخصى لحياة الحلاج ، ترجمة عبد الرحمن بدوى دار النهضة المصرية 1964م ، ونشر للحلاج كتاب الطواسين ، طبعة باريس سنة 1913م ، ونصوص أخرى عن أخبار الحلاج ، شاركه فى جمعها المستشرق بول كراوس ، وطبعت فى باريس سنة 1936م .

وله أيضا بحث فى تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، وغير ذلك من الأعمال ونقل عنه وحاكاه فى منهجه كثير من المستشرقين ، انظر مثلا ما كتبه المستشرق شاخت وبوزورث عن التصوف فى كتابه تراث الإسلام ، الجزء الثانى ، طبعة عالم المعرفة الكويت ص 87 وما بعدها ، حيث نقل عن ماسينيون

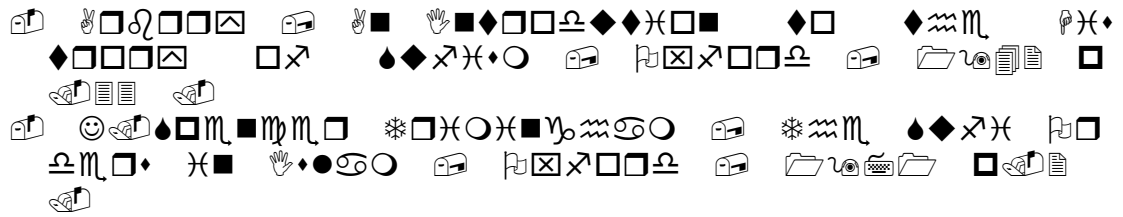
فكرته في رد المصطلح الصوفي =

الحلول والاتحاد أو حدة الوجود أو التصوف الفلسفي بصفة عامة ، ولا علاقة لها بالمعاني التي حملت عليها في القرآن ، ولا تتمشى إلا مع المنهج العام الذي سلكه المستشرقون في دراسة الإسلام .

### . منهج البحث :

ليس من السهل إعداد بحث شامل عن الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي يتناول الجانب التطبيقي المعجمي ، وإن كان من السهل تناول الجانب النظري على نماذج محدودة من المصطلحات ، فالبحث عن الأصول القرآنية لجميع المصطلحات الصوفية ، يقتضى أولا استقصاءا شاملا لألفاظ الصوفية التي أدرجها كتاب المصطلحات في معاجمهم ، ثم البحث عن الأصول القرآنية لكل مصطلح على حدة ، وذلك من خلال النظر في القرآن الكريم عن استعمال اللفظ والتعريف بمعناه ، وإن وقفنا عند معاني اللفظ في القرآن وأغفلنا ما ورد في السنة ، فرمما يدل المعنى النبوي على نتيجة مخالفة للمعاني التي توصلنا إليها —

= إلى الأصول القرآنية وحاكاه في عرض المزيد منها ، لكن يلاحظ في منهجه تأثره الواضح بالأهداف الاستشراقية في دراسة الإسلام ، حتى إن مترجمي الكتاب الدكتور حسين مؤنس ، وإحسان صدقي العماد ، لقيتا مشقة بالغة في التعليق على كل مصطلح والإنكار على شاخت في تجنيبه على الحقيقة ، ورده إياه إلى أصول قرآنية بعيدة في المعنى ولا علاقة لها به ، انظر : تراث الإسلام ح2 ص 93 ، 94 وانظر أيضا الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي للدكتور محمد عبد الله الشرفاوى ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1993م ص 167 وما بعدها وانظر أيضا :



باجتهادنا من القرآن ، فلا بد من مراعاة السنة لأنها شارحة للقرآن وموضحة لمعانيه ، كما أننا سنجد بالضرورة محاولات متكررة لا ستشهاد الصوفية بالأصول النبوية ، والرجوع إليها كالقرآن سواء بسواء ، في استدلالهم على مصطلحاتهم .

ومن ثم يلزم الباحث أيضا استقصاء اللفظ واستعمالاته اللغوية والشرعية في جميع كتب السنة حتى يصبح بحثه بحثا جادا ، والرجوع إلى السنة في كل مصطلح على حدة ، والبحث

عن استعمالات اللفظ فيها يتطلب بالضرورة جهدا جماعيا أعلى من طاقات البشر في رسالة محدودة ، لأننا مثلا لو حصلنا من كتب السنة عددا من الأحاديث والروايات المسندة التي تشهد للمعنى الصوفي المستخدم تحت لفظ الاصطلاح ، فمن أين لنا الحكم على صحة ثبوتها وصلاحتها للاحتجاج ؟

كما أن إغفال الحكم على الحديث في أى بحث جاد يضعف الثقة في البحث ويؤثر في قيمته العلمية ، ولذا لا بد من مراعاة ذلك في هذا العمل ، لكن المشكلة التي تفرض نفسها أن جهد علماء الحديث في الحكم على الروايات المسندة بالصحة أو الضعف أو القبول والرد بلغ قرابة الثمانين ألفا ، ومجمل الروايات المسندة يزيد على المائتين وخمسين ألفا ، فالإكتفاء بالمحكوم عليه فقط يعنى ترك الكثير من الأصول التي تؤثر في مصداقية الحكم على الصوفية عند استشهادهم بالسنة ، وتجعل الأصول التي يرجع إليها المصطلح الصوفي هزيلة ولا تتصف بالشمولية في تحرى الحقيقة ، فكان لا بد من الرجوع إلى أسلوب عصرى جديد نجح المسلمون في تقنيته واستخدامه في خدمة السنة على نطاق واسع في السنوات الأخيرة ، وهو استخدام الكمبيوتر في تقنية البحث الصرفي للألفاظ الواردة في السنة ، والسرعة الخارقة في جمع شواهدا ، وفحص السند المتصل والمنقطع والتعرف على رواة الحديث من جهة الجرح والتعديل والحكم على رواياتهم بالقبول أو الرد ، ويكفى الباحث أن يطبق قواعد مصطلح الحديث بضوابطها من اتصال السند ، وعدالة الرواه ، ومدى الضبط في النقل وانعدام الشذوذ والعلة للحكم عليه بالقبول أو الرد ، ولو بصورة قريبة من الصواب تعد تمهيدا للباحثين من بعد ، وقد أسفر هذا الأمر عن نتائج إيجابية كان من الصعب الوصول إليها بجهد فردى وفترة زمنية محدودة ، وقد التزمت في هذا البحث منهجا تبدو معالمه فيما يلي :

1- استقراء التراث الصوفي لحصر ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم على منهج واضح ، فلم أكتف بمجرد ذكر المصطلح في المعاجم الصوفية ، وإنما استخرجت الشواهد الدالة على استعمال المصطلح في عباراتهم ، والمعاني التي أشاروا إليها به ، مع تقرير ثبوتها عنهم ، ليكون الحكم حكما سليما معبرا بحق عن رأى الصوفية ، كما رتبت الشواهد في كل مصطلح حسب التسلسل الزمني الذي يظهر مدى التغير الدلالي للفظ عبر مراحل التصوف المختلفة .

2- الاعتماد على الشخصيات الصوفية البارزة التي تركت بصمات واضحة في مجال التصوف ، وخصوصا أصحاب المؤلفات الأساسية الذين كتبوا عن التصوف ، وفسروا ألفاظ الصوفية ، وعليها بنى أصحاب المعاجم الحديثة معاجمهم ، وقد تدرجت في انتقاء هذه المؤلفات حتى القرن العاشر الهجري لأن التأليفات التي حُققَت بعد هذا التاريخ هي في مجملها إعادة وتبسيط للدلالات القديمة لهذه المصطلحات أو شروح لها وملخصات ، وبعد الاطلاع على ما هو مشهور ومؤكد الأهمية في مضمار التصوف في تلك الحقبة التي تمثل فترة العزو والصفاء للتأليف في التصوف الإسلامي ، وقع الاختيار بعد تكلف وعناية شديدة في عشر مؤلفا ، شكلت في الغالب المظان التي سننهل منها معاني المصطلحات التي تتصل بالقرآن والسنة ، كما أنهما جمعت أغلب المصطلحات التي تعارف المتصوفون على استعمالها ، ولم يمنع ذلك الاستعانة بما يلتقط من المراجع الأخرى .

3- إخراج المادة العلمية في كل مبحث في أفكار محددة جامعة للموقف الصوفي ، تجسد الفكرة وتقرب المراد إلى القارئ ، وتقرير القضايا المعينة مع الاستشهاد بأقوال الآخرين كلما أمكن .

4- الرجوع المستمر إلى النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والتعليقات العلمية ، لمقارنة الرأي الصوفي بالمنهج الإسلامي الصافي ، ومدى قربه أو بعده منه ، وتخريج الآيات والأحاديث على منهج أهل الحديث ، مع النص على درجة الحديث من الثبوت .

5- البعد عن التهويل والتهوين ، والإفراط والتفريط ، في عرض القضايا والاقتصار على التجرد في طرح الحقائق الموصولة للحكم ، وبسط المقدمات وتناجها ، كما استخدمت المنهج التاريخي مرة ، والتحليلي أخرى ، والمقارن والنقدي ، طبقا لما تمليه طبيعة المسائل المبحوثة .

## • خطة البحث :

وقد جاء البحث مقسما إلى قسمين ومرتبنا على هذا النحو :

\* المقدمة : وقد اشتملت على سبب اختيار البحث ، وأهمية الموضوع والدراسات

السابقة ، ومنهج البحث ، والخطة التي سار البحث على ضوئها .  
\* **القسم الأول** : ويتناول دراسة الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي من الجانب النظرى  
التأصيلى ، وقد اشتمل على ستة فصول :

- **الفصل الأول** : الضوابط الأساسية للاستدلال بالقرآن .
- **الفصل الثانى** : بين التفسير والتأويل الصوفى للقرآن الكريم .
- **الفصل الثالث** : ينابيع المصطلح الصوفى دراسة فى المعاجم الصوفية .
- **الفصل الرابع** : مراحل التصوف وأثرها على التغير الدلالى للمصطلح  
الصوفى وعلاقة ذلك بالأصول القرآنية .
- **الفصل الخامس** : دراسة منهجية فى معرفة المصطلح الصوفى وأصوله  
القرآنية .
- **الفصل السادس** : الأصول القرآنية لمصطلح التصوف .

\* **القسم الثانى** : ويتناول دراسة الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى فى جانبه التطبيقى  
المعجمى ، وقد اشتمل على معجمين :

- **الأول** : ويشمل المصطلحات الصوفية ، التى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ، وهى  
مصطلحات صوفية مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية وموضوعة على معانيها ، أو معان  
أخرى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ومرتبطة ترتيبا ألف بائيا مشرقيا ، من حرف الألف  
إلى حرف الياء على النحو التالى :

الأبد ، الاتصال ، الإحسان ، الإخبات ، الاختيار ، الإخلاص ، الإرادة الاستقامة ،  
الاصطفاء ، الاصطناع ، الاعتصام ، الامتحان ، الإنابة ، الإيثار ، البخل ، البسط ، البصيرة ،  
البعث ، البقاء ، البلاء ، التبتل ، التجلى ، التسليم ، التفريد ، التفكير ، التقديس ، التقوى ،  
التواضع ، التوبة ، التوجه ، التوحيد ، التوفيق ، التوكل ، الثقة ، الجنة ، الجوع ، الحال ،  
الحجاب ، الحرص ، الحرمة ، الحرية ، الحزن ، الحسد ، الحق ، الحقيقة ، الحكمة ، الحياء ،  
الحياة الحيرة ، الخاصة ، الخاطر ، الختم ، الخشوع ، الخشية ، الخلق ، الخلة ، الخلوة ، الخليفة



، الخوف ، الدعوى ، الدنيا ، الذكر ، ذو العقل ، الذوق ، الران الرجاء ، الرضا ، الرعاية ، الرغبة ، الرهبة ، الروح ، الرياء ، الزهد ، السالك الستر ، السكر، السكينة ، السماع ، الشاهد ، الشريعة ، الشكر ، الصبر الصدق ، الصفاء ، الطهارة ، العارف ، العامة ، العبرة ، العبادة ، العجب العدو ، العزم ، الغرق ، الغرور ، الغشاوة ، الغضب ، الغيبة ، الغيرة ، الفتوة الفرار ، الفقر ، الفناء ، القرب ، القلب ، الكبير ، اللطف ، المأخوذ والمستلب المجاهدة ، المحاسبة ، المحبة ، المحو ، المراقبة ، المقام ، المكر ، النفس ، المهمة الهوى ، الهيبة ، الورع ، الوفاء بالعهد ، الولى ، اليقظة ، اليقين .

- **الثانى** : ويشمل المصطلحات الصوفية ، التي لا تميزها الأصول القرآنية والنبوية ، وهى مصطلحات صوفية مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية ، منفصلة الدلالة عن معانيها الواردة فى الكتاب والسنة ، وموضوعة على معان أخرى استحدثها الصوفية وتداولوا الألفاظ عليها ، مرتبة ترتيباً ألف بائياً مشرقياً من حرف الألف إلى حرف الياء على النحو التالى :

الإحرام ، الاعتكاف ، الأعراف ، الأفق الأعلى ، الأفق المبين ، أم الكتاب الأوتاد ، البدنة ، البرق ، البقرة ، البيت الحرام ، البيت المعمور ، البيضاء التدانى والتدلى ، التلبيس ، التلوين ، التمكين ، الجلاء ، الجلال ، الجلوة ، الجمال جلال الجمال ، الجمع ، الحرق ، الحضرة ، الخلق الجديد ، الدبور ، الرتق والفتق ، الرداء ، الردى ، الرق المنشور ، الركوع ، الزبور ، الزجاجة ، الزكاة سدرة المنتهى ، السر ، السفر ، السقف المرفوع ، السكر ، سواد الوجه الشجرة ، الشرب ، الشفع ، الشمس ، الشيخ ، الصنم ، الضنائن ، الضياء الطور ، الظل ، الظلمة ، العرش ، العمدة المعنوية ، الغراب ، الفتح ، الفراق الفرق ، الفرقان ، قاب قوسين ، القدم ، القرآن ، القلم ، القيامة ، الكأس الكتاب ، الكرسي ، الكفر ، الكوكب ، اللوح المحفوظ ، ليلة القدر ، المثل مجمع البحرين ، المسافر ، المسامرة ، المستريح ، المسخ ، المسيرون ، المشرق مغرب الشمس ، الملامتية ، المنهج الأول ، الموت ، الميزان النار ، النعلان النفس ، النقباء ، النكاح ، النور ، النون ، الواقعة ، الوطر ، الوطن ، الوقفة الياقوتة ، اليتيم ، اليدان ، يوم الجمعة .

\* **الخاتمة** : وقد اشتملت على خلاصة البحث ، وأهم النتائج التى أسفر عنها البحث

والتوصيات المقترحة .

\* وختاما ...

أحسب أنني بذلت جهدي ما استطعت في بيان الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي ، ولا أدعى أن هذا العمل على الرغم من استخدام الكمبيوتر والتقنية الحديثة في سرعة البحث وإنجازته أنه لا يحتاج إلى المزيد ، وإنما فتح الباب للإضافة والتعليق والنقد والمقارنة وإثراء الفكر الإسلامي بوجه عام والتصوف بوجه خاص ، ويمكن للباحث أو القارئ من خلال هذا العمل المتواضع أن يقارن بين استعمال المصطلح في القرآن والسنة ومفهوم الصحابة ، وبين استعمال الصوفية له عبر مراحل التصوف المختلفة ، كما يمكن أن يصل إلى مقدار المعنى الذي له أصل في الكتاب والسنة في كل مصطلح بعينه ، ولعل الرؤية تتضح للمعاصرين من الصوفية وعامة المسلمين ، فيلتزموا طريق الأوائل الذين استندوا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخلصوا النية وجردوها لله واتبعوا دون ابتداع في دينه .

وأقدر أن هذه الرسالة جهد متواضع فأنا أعلم يقينا أن مثلي لا يعطى هذا الموضوع حقه من البحث والدراسة ، نظرا لسعة الموضوع وقلة الجهد وحسبي أنني بذلت قصارى جهدي ، وهو جهد المقل ، واجتهدت أن أصل به إلى الصورة التي تليق به ، فإن أصبت فذاك ما أردت والفضل كله لله ، وإن أخطأت فأستغفر الله لذنبي ، فهذه لبنة أمام من يريد إتمام البناء ، كما لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر إلى القائمين على شركة صخر لبرامج الحاسب لما بذلوه من جهد كبير في إخراج موسوعي القرآن والسنة على أجهزة الكمبيوتر بهذه الكفاءة المتميزة ، وكذلك مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي الذين أخرجوا الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه ، وادعو الله أن يوفقهم إلى المزيد في خدمة السنة النبوية المطهرة وسائر العلوم الإسلامية .

من نعم الله الظاهرة على الإنسان ، أنه لم يتركه يستهدى فى الحياة بما أودعه فيه من فطرة ترغبه على الدوام فى تحصيل الخيرات ، فربما تعارضت وجهات النظر بين البشر فى تحديد ضوابط الخير والشر ، ومن ثم كانت معونة السماء زادا لفقر الإنسانية فى علومها المحدودة ، فبعث الله رسله بمنهج النجاة ورسالة الهدى إلى عباده ، ومن وقت أن قال الله لآدم عليه السلام بعد أن أنزله إلى الأرض : { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة/38] إلى أن أنزل على نبيه محمد ﷺ قوله تعالى : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة/16:15] ، ظلت الإنسانية فى تطورها ورفقيها ، يعاودها الوحي بما يناسبها ، ويحل مشاكلها فى نطاق قوم كل رسول ، حتى تم أمرها واكتمل نضجها .

وقد أراد الله لرسالة محمد ﷺ أن تكون خاتمة الرسالات السماوية ، فأرسله الله بهذا القرآن المعجز ، الذى هياه الله بكل سبل الإعجاز

ليبقى إلى ختام البشرية ، قال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الأحزاب/40] ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " (1) .

والقرآن هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته ، والمبدؤ بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس ، وقد تلقاه النبي ﷺ بحروفه وألفاظه عن رب العزة (2) ، قال الزرقاني : ( وقد زعم بعض الناس أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن ، والرسول يعبر عنها بلغة العرب وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل ، وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط ، وكلاهما قول باطل مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ) (3) .

لقد كانت أشرف خصوصية للقرآن أن يكون محفوظا في صدور الناس ، وأن يعتمد في نقله على حفظ القلوب والصدور ، لا على كتابته في المصاحف والسطور فحسب ، بخلاف أهل الكتاب الذين

يعتمدون في حفظ التوراة أو الإنجيل على الكتب المسطرة ، ولا يقرأونه إلا نظرا لا عن ظهر قلب —

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3535) 1300/3 ، ومسلم فى كتاب الفضائل . 1790/4 (2286) .

2. انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن ، تأليف محمد الزرقانى ، طبعة عيسى البابى الحلبي ، مصر 1/42 .

3. السابق -ص1 42 .

ولهذا دخل إليهما التحريف والتبديل (1) .

يقول موريس بوكاى : ( صحة النص القرآنى المنزل على محمد لا تقبل الجدل ، وتعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد ، وسبب ذلك أن القرآن قد دون فى عصر النبى ؑ ، ولم يتعرض النص القرآنى لأى تحريف من يوم أن أنزل على الرسول حتى يومنا هذا ) (2) .

ومن الأسباب العظيمة لحفظ القرآن التى تضاف إلى حفظه فى صدور الناس وكتابته فى المصاحف ، معرفة الضوابط اللازمة للاستدلال به ، وفهمه على النحو الذى أراده منزله .

فإذا كانت مادة البحث فى هذه الرسالة تعتمد على القرآن ، كأصل من الأصول التى يقاس بها معدن كل علم لا سيما التصوف ، حيث زعم جميع الصوفية أن القرآن معينهم ، وقد بنوا عليه قوامهم ،

فلا بد من بيان الضوابط أو القواعد الأساسية اللازمة للقول بأن  
التصوف أو غيره من العلوم بنى على —

1. انظر في التعريف بالقرآن ومنزلته في الإسلام : مباحث في علوم القرآن لصبحي صالح طبعة دار العلم  
ص 25 ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي 101/1 ، والبرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين  
الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة 273/1 ، ومباحث في علوم القرآن لمناع  
القطان ص 16 ، والهدى والبيان في أسماء القرآن ، لصالح إبراهيم البليهي ، طبعة جامعة الإمام  
1397 هـ ، ص 147 .

2. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم موريس بوكاي ص 151 .

أصول قرآنية صحيحة ، لأن تلك القواعد تمثل في الحقيقة اتفاقاً وثيقاً  
وأصولاً راسخة ، أو بنية أساسية في اعتقاد المسلمين الذين عظموا  
كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

بل إن تلك الأسس لها من الهيبة في نفس المسلم فضلاً عن أهل  
العلم ، ما يبعث على الخوف والحذر من خدش إحداها أو المساس  
بها ، ولعل ما نجم من اختلاف بين الفرق ، كان مرده إلى تجاوز هذه  
الأسس أو بعضها عند البحث في الكتاب والسنة ، ويمكن إجمال  
هذه الأصول وتلك القواعد والأسس في الحقائق التالية :

[1] - أن الدين المقبول عند الله هو دين الإسلام ، ولا يقبل الله  
ديناً سواه وأن القرآن الذي نزل على رسوله محمد ﷺ ناسخ لما سبق من  
الرسالات السماوية ومهيمن عليها ، لقوله سبحانه وتعالى : { إِنَّ  
الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ  
الْحِسَابِ { [آل عمران/19] .

وقال سبحانه : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ  
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران/85] .

وفي السنة من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : "   
والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا  
نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب  
النار " (1) .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (153) 134/1 .

ولا يقبل تحت أى ادعاء أو حسن نية القول بعكس ذلك ، كمن  
قال بوحدة الأديان أو صحح دين اليهود والنصارى ، أو أى ملة من  
ملل الكفر ، ومهما استند إلى القرآن واستخرج ما شاء من آياته ، أو  
انتقى ما شاء من كلماته ليستدل بها على جودة مطلبه ، وأصالة  
مذهبه ، فلن يقبل منه ، كمن زعم من الصوفية أن فلسفته الذوقية أو  
مواجهته الإيمانية فى النظر إلى حقيقة الألوهية حكمت بوحدة الوجود  
، فأداه ذلك إلى القول :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا : وأنا اعتقدت جميع ما  
عقدوه (1)

أو كقوله :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي : إذا لم يكن ديني إلى دينه

داني

لقد صار قلبي قابلا كل صورة : فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف : وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت : ركائبه فالدين ديني وإيماني

(2)

لقد حاول بعض المستشرقين الأوائل أن يقيموا دراساتهم للإسلام

على أساس تميع هذا الأصل في نفوس المسلمين ، من خلال تبنيهم

لمثل هذا الفكر ونشره على الناس كدراسات بحثية مزينة بالصبغة

العلمية ، أو مخطوطات محققة مستخرجة من تراث الصوفية ، أو

أعمال أخرى تخلط بين العقيدة الإسلامية بجوانبها الغيبية التي لا تقبل

الشك والجدل ، وبين فكر المسلمين المنسوب إلى —

1. فصوص الحكم شرح عبد الرزاق الكاشاني ، مكتبة البابي الحلبي 1966م ص154 .

2 . ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق ، لابن عربي ص39 .

جهد العقل البشرى الذى يتسم فى الغالب بالنقص ، لا سيما من

اصطبغ فكره بالشطط والخلط فى الدين (1) .

فأى كلام يقدم لهؤلاء المستشرقين الأعداء ، وأى فكر يعتصمون به

أعظم ممن دعى إلى الإيمان بوحدة الأديان ، وتصحيح ملة المجرمين

المشركين المعذبين فى جهنم ، وادعى أن فهم الكمل من الأولياء فى



قوله تعالى : { وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا } [مریم/86] ، هو أن المجرمين هم أهل الاستقامة على صراط رب العالمين : ( والمجرمون هم الذين استحقوا المقام الذى ساقهم إليه بريح الدبور ، التى أهلكتهم عن نفوسهم بها ، فهو يأخذ بنواصيهم ، والريح تسوقهم وهى عين الأهواء التى كانوا عليها إلى جهنم ، وهى البعد الذى كانوا يتوهمونه فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا فى عين القرب ، فزال البعد ، فزال مسمى جهنم فى حقهم ، ففازوا بنعيم القرب من جهة الاستحقاق ، لأنهم مجرمون —

1. انظر فى علة تبنى المستشرقين لفكر الحلاج و ابن عربى وتلاميذ مدرسته : الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث ، للدكتور عبد القادر محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م ص 90 ، وانظر فى معرفة المزيد عن هذه الحقيقة الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية تأليف رودبارت ، ترجمة الدكتور مصطفى ماهر ، دار الكتاب العربى بمصر 1967م ، والإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى ، للدكتور عبد العزيز المطعنى ، طبعة دار الوفاء بمصر 1987م ، والتصوف عند المستشرقين ، لأحمد الشرباصى ، القاهرة 1966م ، ومناهج المستشرقين فى الدراسات العربية الإسلامية ، للدكتور جعفر شيخ إدريس الجزء الخاص بمنهج المستشرق واط فى دراسة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم 223/1 .

فما أعطاهم هذا المقام الذوقى اللذيد من جهة المنة ، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التى كانوا عليها ، وكانوا فى السعى فى أعمالهم على صراط الرب المستقيم ، لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة ، فما مشوا بنفوسهم ، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب : { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ } [الواقعة/85] (1) .

فهذا الكلام وأمثاله بنى على أساس باطل ، وهو خلط وتدليس ، وبهتان وتلبيس ، يورد صاحبه الآية في كلامه ليوهم القارئ بأنه اعتمد على الأصول القرآنية والنبوية ، ويوحى للآخرين بأنه عميق الفكر بعيد المنال عن أصحاب العقول المحدودة ، فهذا ومن وافقه لو زعم آلاف المرات أنه يستند إلى الأصول القرآنية والنبوية ، فزعمه كاذب وكلامه مردود من حيث المبدأ .

[2] - أن جملة الرسالة التي نزلت من الله إلى رسوله ؑ تمثلت في القرآن وما ثبت في السنة المطهرة ، وقد تلقاها النبي ؑ بالوحي على أشكاله المختلفة كما قال سبحانه : { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ } [النجم/1:5] .

وقال تعالى : { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ } [الشورى/51] .

---

1. فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي الحاتمي ، شرح عبد الرزاق الكاشاني ، مكتبة البابي الحلبي 1966م ص108 ، وانظر تفسير القرآن الكريم ، للكاشاني ، منسوب إلى ابن عربي طبعة دار الأندلس ، بيروت 1978 ، 27/2 .

فتحدت بالآية وسائل خطاب الرسل مع ربهم على الأنواع الآتية :

1- الوحي من خلال الرؤيا فى المنام ، كما أوحى الله لإبراهيم بقتل ولده إسماعيل عليهما السلام : { فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } [الصافات/102] .

وهذه الرؤيا للأنبياء وحي ، ولغيرهم مبشرات ، لكن لا قيمة لها فى إثبات الأحكام أو إلزام النفس أو الغير بمقتضاها ، لما روى من حديث أم كرز الكعبية رضى الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ذهب النبوة وبقيت المبشرات " (1) وقد فسرت المبشرات فى غير رواية بالرؤيا الصالحة .

2- الكلام الإلهى المباشر من وراء حجاب بدون واسطة يقظة ، كما كلم الله موسى عليه السلام فقال : { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء/164] .

وقال أيضا : { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نَنْظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف/143] .

3- الكلام الإلهي غير المباشر بواسطة إرسال أمين الوحي جبريل ،وله في كيفية التبليغ إحدى حالتين ، وردتا في حديث الحارث بن هشام  $\tau$  لما سأل —

1. أخرجه ابن ماجة في كتاب تعبير الرؤيا (3896) وصححه الألباني 1283/2.

رسول الله  $\varepsilon$  : " يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله  $\varepsilon$  : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ، فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيتَه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا " (1) .

ثم انقطع الوحي بعد ذلك ، فلا ينزل على أحد من البشر إلى يوم القيامة كما قال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [الأحزاب/40] .

فمن ادعى الاتصال المباشر في الخطاب مع الله تحت أى تأويل أو مسمى ليجعل كلامه مقبولا بين الناس ، أو حاول أن يضيفى القدسية على كلامه بادعائه أن ما يقوله أو ما يكتبه إنما تلقاه بطريق من طرق الوحي السابقة ، فقد تجاوز أصول القرآن والسنة وسعى في هدمها ، كقول القائل :

( أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت يقول أمثالنا : حدثنى قلبى عن ربى ، وأنتم تقولون : حدثنى

فلان وأين هو ؟ قالوا : مات ، عن فلان ، وأين هو ؟ قالوا : مات ( 2 ) .

أو كادعاء الآخر أن كتاب الفصوص أخذه من يد رسول الله ﷺ مكتوبا من

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحي ، رقم (2) 4/1 .  
2. من كلام أبى يزيد البسطامي ، والنسبه على ابن عربى فى فتوحاته ، انظر الفتوحات المكية 365/1 .

اللوح المحفوظ ، وهو مجرد ناقل أمين بلا زيادة أو نقصان ، كما قال :  
( فحققت الأمنية ، وأخلصت النية ، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب ، كما حده لى رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ) (1) .

وقوله أيضا : ( فاقترنت على ما ذكرته من هذه الحكمة فى هذا الكتاب على حد ما ثبت فى أم الكتاب ، فامتثلت ما رسم لى ووقفت عندما حد لى ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت ، فإن الحضرة تمنع من ذلك ) (2) .

حيث يشبه ابن عربى نفسه بالرسول ﷺ فى دقة البلاغ عن الله وخوفه من الوعيد الذى ورد فى قوله تعالى عن نبيه ﷺ : { تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ } [الحاقة/43:47] .

أو كما قال عبد الكريم الجيلي يحاكي طريقة الوحي في التجلى  
الصوفى :

( يتجلى الحق سبحانه وتعالى على العبد بتجل يسمع فيه صلصلة  
الجرس ويسمع تصادم الحقائق بعضها مع بعض ، فيجد لها أطيما  
يملاً ما بين السماء والأرض ، ثم إذا تقوى وثبت لسمع ذلك ، يترقى  
ويسمع صلصلة الجرس عند رفع الستر عن الصفة القاهرية ) (3) .

---

1. فصوص الحكم ، تحقيق أبي العلا عفيفي ، طبعة بيروت ص 47 .

2. السابق ص 58 .

3. المناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلي ، تحقيق الدكتور نجاح محمود الغنيمي ، طبعة دار المنار ، ص 194.  
كل ذلك وأمثاله تهوين لحرمة الدين ، وانتهاك مقبوح مشين  
لثوابت المستقرة في اعتقاد المسلمين ، وإن جوزه البعض من باب  
المخاطبات الروحانية والمحادثات الإيمانية ، عند المكاشفات والتجليات  
التي تحدث لبعض الصوفية في شطحاتهم ، فإنه باب مفتوح على  
مصراعيه للمعرضين والحاقدين ، ويكفى الباحث أن يقف على نظرة  
المستشرقين للوحي في الإسلام ، وكيف وجدوا فيما سبق من الأمثلة  
مرتعا خصبا لمآربهم (1) .

[3] - الاحتجاج بالسنة النبوية احتجاج بالأصول القرآنية ، وقد  
اعتمدت على هذا الأصل في معرفة الأصول القرآنية للمصطلح

الصوفى ، فالاحتجاج بالأصول النبوية كالاحتجاج بالأصول القرآنية  
سواء بسواء ، وذلك لأنه —

1. انظر المزيد فى نظرة المستشرقين للوحى ومقارنة ذلك بمنهج فلاسفة التصوف : التصوف عند  
المستشرقين للدكتور أحمد الشرباصى ص 6: 12 ، والمستشرقون والسيرة ، للدكتور عماد الدين  
خليل ، طبعة دار الثقافة ، الدوحة ، قطر 1989م ص64 ، والوحى فى المنظور الاستشراقى ونقده  
للدكتور محمود ماضى ، طبعة دار الدعوة ، الإسكندرية ص123 وما بعدها ، وانظر أيضا الإسلام  
والمستشرقون للدكتور عبد الجليل شلبي ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ص44 وما بعدها ، وانظر زعم  
المستشرق واط أن الوحى الذى نزل على رسول الله كان حالة من اللاوعى يمكن تحضيرها بالتنويم  
المغناطيسى فى العصر الحاضر ، وما كان جبريل إلا تخيلات أدت إلى حضور تلك الموضوعات إلى  
الحالة التى يسميها المسلمون بالوحى :

-  
□  
□  
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □

وانظر أيضا :

□  
□  
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □

لا خلاف بين جمهور العلماء الذين يعتقد بهم فى أن السنة يحتج بها ،  
وتستقل بتشريع الأحكام ، وأنها كالقرآن الكريم سواء بسواء فى تحليل  
الحلال وتحريم الحرام ، وأنها المصدر الثانى لمعرفة أصول الإسلام بعد  
القرآن الكريم ، وأنه لا يستغنى عنها مطلقا لأنها المفصحة عن معانى  
القرآن ، الكاشفة عن أسرارهِ (1) .

ولو أغفلنا السنة في الاحتجاج فإن الأحكام التي نستخلصها بمفردنا من القرآن لن تعبر عن حقيقة الوحي ، وقد أكد القرآن بوضوح أن السنة وحي من الله يجب الإيمان به ، ويجب اتباع الرسول ﷺ في كل شئ ، وفي كل وقت في حياته وبعد مماته ، لأنها أصول لم تخصص بزمن دون زمن ، فيجب تصديق رسول الله ﷺ في كل ما ذكره من أخبار ، وتنفيذ كل أوامره ﷺ عن رضی ومحبّة .

---

1. انظر تفصيل هذا الموضوع في : الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي ، طبعة المطبعة التجارية بمصر 6/4 وما بعدها ، مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، تأليف جلال الدين السيوطي ، طبعة البابي الحلبي ، مصر ، ص:4: 26 ، ومكانة السنة في الإسلام للدكتور محمد أبو زهرة ص17 وما بعدها ، ودراسات أصولية في السنة النبوية للدكتور محمد إبراهيم الحفناوي ، طبعة دار الوفا ص11 وما بعدها ، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي بيروت 1978م ص45: 65 وانظر أيضا توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته ، رفعت فوزي عبد المطلب رسالة دكتوراه مخطوط كلية دار العلوم رقم 722 سنة 1976م ص19 وما بعدها ، ومقاييس نقد متون السنة ، مسفر عزم الله أحمد الدميني ، رسالة دكتوراه مخطوط مكتبة جامعة القاهرة رقم 832 سنة 1982م ص12: 23.

يقول ابن حزم : ( إن القرآن لما كان هو الأصل المرجوع إليه في معرفة الإسلام ، وجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفاً لرسوله ﷺ : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ كَاهُوَىٰ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } [النجم/4:3] ، فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ على قسمين : أحدهما : وحي متلو مؤلف تأليفاً معجز النظام وهو القرآن .



الثاني : وحي مروى منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا (1) .

ومن الأصول القرآنية التي تقرر هذه الحقيقة بلا نزاع قوله سبحانه وتعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر/7] وقوله : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } [آل عمران/30:31] وقوله : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] وقوله : { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [النور/63] وقوله : { وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب/36] .

وأمثال ذلك في القرآن كثير ، وكله يدل على أن السنة وحي من

الله تعالى —

1. إحكام الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم الأندلسي ، 40/1 .

لرسوله ع وأنه لا بد من اعتماد السنة في معرفة أصول الأشياء ، والإذعان لها كالقرآن سواء بسواء .

وقد ثبتت روايات كثيرة في السنة تؤكد أن الصحابة  $\psi$  كانوا لا يتهاونون في ذلك ، وأن النبي  $\varepsilon$  حذرهم من الكذب عليه أو التكذيب بسنته ، فمن ذلك حديث المقدم بن معد يكرب  $\tau$  أن النبي  $\varepsilon$  قال :

" ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل ينثنى شعبان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه " (1) .

وفي رواية أخرى : ( يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكى على أريكته يحدّث بحديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول الله  $\varepsilon$  مثل ما حرم الله ) (2) .

وقد روى عن علقمة عن ابن مسعود  $\tau$  أنه قال : " لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله " قال علقمة : فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن ، فأنته فقالت : ما حديث بلغني عنك ، أنك لعنت الواشمات والمستوشمات ، والنامصات

والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق —

1. أخرجه أبو داود في كتاب السنة برقم (4604) وصححه الشيخ الألباني 200/4 .

2. أخرجه الترمذى في كتاب العلم برقم (2664) وصححه الشيخ الألباني 38/5 .

الله ، فقال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته ، فقال : لعن كنت قرأته لقد وجدته ، قال الله عز وجل : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ } [الحشر/7] .

فقالت المرأة : فإني أرى شيئا من هذا على امرأتك الآن ، قال : اذهبي فانظري ، قال : فدخلت على امرأة عبد الله ، فلم تر شيئا ، فجاءت إليه فقالت : ما رأيت شيئا ، فقال : أما لو كان ذلك لم نجتمعها (1) .

وكلام عبد الله بن مسعود واضح في التزامه بالسنة قولاً وعملاً كالتزامه بمقتضى أحكام القرآن ، وروى عن عمران بن حصين ؓ أنه كان جالسا مع أصحابه ، فقال له رجل من القوم : " يا أبا نجيذ إنكم لتحدثوننا بأحاديث ما نجد لها أصلا في القرآن ، فغضب عمران وقال للرجل : أوجدتم في كل أربعين درهما درهم ، ومن كل كذا وكذا شاة شاة ، ومن كل كذا وكذا بعيرا كذا وكذا ، أوجدتم هذا في القرآن ؟ قال : لا قال : فعمن أخذتم هذا ؟ أخذتموه عنا ، وأخذناه عن نبي الله ﷺ وذكر أشياء نحو هذا " (2) .

---

1. أخرجه البخارى في كتاب فضائل القرآن (5002) 662/8 ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (2463) 382/2 .

2. أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة (1561) 94/2 وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 234/2 ، وأخرجه الطبراني في الكبير (369) 165/18 ، (547) 219/18 ، وانظر زاد المعاد لابن القيم طبعة مؤسسة الرسالة 37/1 .

وعلى هذا فلا عبرة بمذهب الشيعة والخوارج في رد بعض ما ورد في السنة لأن لهم مواقف خاصة في كثير من الصحابة ، وهم رواة الحديث عن رسول الله ﷺ ، قال السيوطي : ( وأصل هذا الرأي الفاسد في عدم الاحتجاج بالسنة أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ، ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة والاقتصار على القرآن ، وهم في ذلك مختلفوا المقاصد ، فمنهم من كان يعتقد أن النبوة لعلي وأن جبريل أخطأ في نزوله إلى سيد المرسلين ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، ومنهم من أقر للنبي ﷺ بالنبوة ولكن قال : إن الخلافة كانت حقا لعلي ، فلما عدل به الصحابة عنه إلى أبي بكر  $\psi$  أجمعين .. كفروا الصحابة وبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها ، لأنها عندهم بزعمهم من رواية قوم كفار ) (1) .

---

1. انظر مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، تأليف جلال الدين السيوطي ، مصر ص12 وانظر في التعرف على موقف الشيعة والخوارج من السنة : الشيعة والسنة تأليف إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان ط3 ، 1396هـ ، 1976م وللمؤلف أيضا الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ، الطبعة الثالثة إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان سنة 1984م ، 1404هـ ص339 ، وانظر قاموس الرجال في تحقيق رواية الشيعة ومحدثهم ، تأليف محمد تقى بن حسن التستري ، مركز نشر الكتاب طهران سنة 1382هـ مقدمة الكتاب 14/1 ، و مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية

محمد محمود عبد الحميد أبو أحف ، رسالة دكتوراه مكتبة كلية دار العلوم رقم 866 سنة 1983م ص 121 وما بعدها وانظر آراء الخوارج لعمار الطالبي ، نشر المكتب المصرى الحديث ، الإسكندرية ص 211 .

ولا عبرة أيضا ببعض آراء المعتزلة والمتكلمين الداعية إلى عدم الاحتجاج بالسنة في الآحاد ، أو المتواتر من الروايات بحجة مخالفتها لآرائهم الكلامية كقول أبي الهذيل العلاف من شيوخ المعتزلة :

( إن الحججة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم السلام وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا ، فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ) (1) ، ويذكر عبد القادر البغدادي أن كلام العلاف تعطيل للأخبار الواردة في الأحكام الشرعية عن فوائدها وتهكم واحتقار لما خالف ذلك من روايات السنة واستهزاء بناقليها (2) .

ويجدر التنبه إلى مسلك بعض الباحثين المعاصرين ، أو الدارسين على أيدي المستشرقين في هجومهم على السنة المطهرة ، ونفى حجيتها ، والدعوة إلى الأخذ بالقرآن فقط ، أو محاولاتهم المتكررة لتقييم السنة لا على قواعد علم الحديث ، ولكن على استحسان أحدهم أو ادعاءاته أن العلوم العصرية تعارض مدلول الأحاديث ، أو غير ذلك من الأسباب (3) .

---

1. انظر الفرق بين الفرق ، تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة صبيح بدون تاريخ

2. السابق ص 77 .

3. انظر ما كتبه الدكتور مصطفى السباعي في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص 320 ، في نقده لكتاب أضواء على السنة المحمدية لأبي رية وهجومه على السنة النبوية ، ونقده لأحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام وفجر الإسلام ، وانظر مقالة الدكتور توفيق صدقي تحت عنوان : ( القرآن هو الإسلام وحده ) مجلة المنار =

[4]- إذا كانت الأصول القرآنية لا تؤخذ بمعزل عن الاحتجاج بالسنة وفصل أحدهما عن الآخر لا يقبل في أصول الإسلام ، فإن من أعظم الأسس في الاعتماد على السنة ، التسليم بأن الطريق الوحيد في ثبوتها هو الالتزام بقواعد المحدثين في معرفتها ، وهو ما عرف عند المسلمين بعلم الحديث ، أو العلم بالأصول التي يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد ، فيما نقل من أقوال النبي ﷺ وأفعاله ، وروايتها وضبطها وتحريرها ، وإسناد ذلك إلي من عزي إليه بتحديث أو إخبار وغير ذلك .

فليس كل ما نسب إلى النبي ﷺ يقبل بلا ضبط أو نقاش ، فلا بد من الترابط العلمي بين راوة السند ، بحيث يتلقى اللاحق عن السابق ، والمتحمل عن المؤدي ، فلا يكون بين اثنين من رواة الحديث فجوة زمنية أو مكانية يتعذر معها اللقاء أو يستحيل التلقي ، كما يلزم اتصاف الرواي بالعدالة وهي مَلَكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ، ومجانبة الفسوق والابتداع ، ويتصف أيضا بالتثبُّت من الحفظ ، والسلامة من الخطأ أو الوهم مع القدرة على استحضار ما حفظه ، وهذا شرط في جميع رواة الحديث —

= العددان 7Y12 السنة التاسعة ، وانظر مقدمة كتاب شفاء الصدر بنفى عذاب القبر للدكتور إسماعيل منصور فى دعوته لإعادة تقييم السنة على فهم القرآن ص16 وما بعدها ، وانظر أيضا : إثبات الشفاعة لصاحب المقام المحمود والرد على الدكتور مصطفى محمود للمؤلف ، دار أم القرى للطباعة والنشر 1420هـ .

الصحيح من أول السند إلى آخره ، يضاف ذلك إلى عدم مخالفة الراوي لمن هو أوثق منه أو أرجح ، وألا يكون فى روايته علة قادحة فى ثبوت الحديث (1) .

أما الحكم على ثبوت الحديث بالأصول الكلامية أو المناهج الفلسفة العقلية أو الكشوفات الذوقية ، فلا يعد رجوعا إلى الأصول القرآنية والنبوية ، لأن الآراء متعددة ، والأذواق مختلفة ، والمواجيد متغيرة ، ولا ضابط لهذه الأشياء فالحكم فى هذه الحالة ، يحكمه الهوى ويسوقه استحسان النفس ، ومن ثم لا يعتد بقول ابن عربى :  
( ربما صح عندنا من أحاديث الأحكام ما اتفق المحدثون على ضعفه وتجريح نقلته ، وقد أخذناه عن الكشف عن قائله صحيحا ، فنتعبد به أنفسنا على غير ما تقرر عند علماء الأصول ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه وليس بصحيح عندنا بطريقة الكشف فنترك العمل به ) (2) .

ومثله للشعرانى : ( قد رأينا فى كلام علماء الرسوم تكفير الأولياء

المحدثين —————

1. ملخص لضوابط الحديث الصحيح وتمييز المقبول من المردود ، انظر المزيد فى الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، لأحمد محمد شاكر ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت 1403هـ ، ومعرفة

علوم الحديث للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المكتبة العلمية المدينة المنورة سنة 1403هـ ،  
ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني مكتبة التوعية الإسلامية 1989م ، وتيسير مصطلح الحديث  
لمحمود الطحان ، دار التراث الكويت 1984م ، علوم الحديث لابن الصلاح ، دار الفكر دمشق  
1986م وتدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى لجلال الدين السيوطى ، دار الفكر .  
2. رسائل ابن عربى ، دار إحياء التراث العربى ، حيدر آباد ، الهند ، 1948م ص 4 .

لكونهم يصححون الأحاديث التى قال الحفاظ بضعفها ، وهذا عدم  
انصاف منهم ) (1) ، ويرى أن أقل الأحوال أن ينزلوا الأولياء  
المكاشفين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم (2) .

وقال عبد الكريم الجيلى فى كتابه الإنسان الكامل : ( .. ثم التمس  
من الناظر فى هذا الكتاب ، بعد أن أعلمه أنى ما وضعت شيئاً فى  
هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، وينبغى  
التسليم له وترك الإنكار حتى لا يجرم من الوصول إلى معرفته ) (3) ،  
ثم يفاجئ القارئ بتقرير فكره فى القول بوحدة الوجود ، فمثل هذا لا  
يتفق مع الضوابط الصحيحة للأصول القرآنية والنبوية .

[5] - أن الدين قد كمل فلا يحتاج إلى زيادة أو نقصان ، وإنما إلى  
شرح وبيان ، ودعوة ببرهان ، والقرون الأولى فيها أفضل الناس ،  
وأولاهم بالمتابعة ومن خالفهم فهو المرجوح المفضول ، والبدعة اتهام  
لدين الله بالنقص ، لأنه إن ادعى صاحبها أنها واجبة أو مستحبة ،  
ولا يكون الدين صحيحاً أو كاملاً إلا بها ، يرد عليه بأن الرسول ﷺ ما  
ستر شيئاً مما أمر الله به المسلمين فى أمر دينهم



1. البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، لعبد الوهاب الشعراني ، طبعة دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ 90/2 .

2. السابق ح2ص91 .

3. الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، لعبد الكريم بن إبراهيم الجبلي ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة 1956م ، 1375هـ ، 8/1 .

ولم يدع إلى تلك البدعة ، ولما قال الله تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة/3] ، علمنا أنه إما أن يكون الله تعالى الصادق في إكمال دينه ، أو أن المبتدع هو الصادق في نقصانه ؟ ولما استحال الثاني ثبت الأول .

ولو سأل المبتدع عن بدعته ، هل علمها رسول الله ﷺ أم جهلها ؟ فإن ادعى علم الرسول بها ، فسيقال له : وما الدليل ؟ وعلى فرض أنه ﷺ علمها ، فإنه لم يثبت أنه دعى إليها ، بل سكت عنها ، فنحن أولى بالسكوت عنها ، وإذا قال : جهلها ادعى أنه أعلم من رسول الله ﷺ بما ينفع الناس .

ولا ينفع المبتدع في ترك السنة والتمسك بالبدعة حسن النية ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ أنكروا على المتشددون في العبادة ، فمن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

" جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأني أصلي

الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا  
أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم  
كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر  
وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (1) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (4776) 1949/5 .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله ﷺ : ( من أحدث في  
أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد ) (1) .

ومن حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال : ( السلام  
عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وددت أنا  
قد رأينا إخواننا قالوا : أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم  
أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ، فقالوا : كيف تعرف من لم  
يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فقال : أرأيت لو أن رجلا له خيل  
غر محجلة ، بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى  
يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء ، وأنا  
فرطهم على الحوض ، ألا ليزادن رجال عن حوضي كما يزداد البعير  
الضال ، أناديهم ألا هلم ، فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول :  
سحقا سحقا ) (2) .

ومن ثم فإن البدعة مرفوضة بكل سبيل ، ولن تتحمل الأصول  
القرآنية والنبوية مثل فعل رويم بن أحمد البغدادي الصوفي  
(ت:303هـ) عندما عطش عطشا شديدا فاستسقى جارية ، فقالت  
: ( ويحك صوفي يشرب بالنهار —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلح برقم (2550) 959/2 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة برقم (249) 218/1 ، وانظر فى البدعة بتوسع اتباع السنن واجتناب البدع ، لأبى عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى ، تحقيق على حسن على ، دار ابن القيم ، الرياض ، السعودية 1988م ، 1409هـ ص31 وما بعدها ، وانظر الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع ، للحافظ السيوطى ، تحقيق مشهور حسن سليمان ، طبعة دار الأرقم ، الدمام 1410هـ ص47 وما بعدها .

فاستحى منها ونذر ألا يفطر أبدا ) (1) .

ولا تجيز الأصول القرآنية والنبوية مثل رأى ابن عربى فى دعوته إلى  
ترك الذكر بحجة انعدام النسيان والاستحضار الدائم ، فقال :  
دع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا : فليس يديم الذكر إلا  
المنافق

إذا كان من تهواه فى القلب حاضرا : وأنت تديم الذكر كنت  
منافقا

ألا بذكر الله تزداد الذنوب : وتنعكس البصائر والقلوب  
وترك الذكر أفضل كل شئ : فشمس الذات ليس لها غروب

(2)

[6] - عدم المساس بأصل الإسلام وهو التوحيد ، والمقصود به أفراد الله عن سواه ، فالأصول القرآنية والنبوية جاءت في الإجمال والتفصيل بالدعوة إلى توحيد الله ، سواء كان ذلك في توحيد الربوبية وإفراده بالخلق والأمر ، كما قال : { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف/54] ، أو كان في توحيد العبادة ، كما قال : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة/5] .

فلا ينبغي في الأصول القرآنية أو النبوية الخضوع عن محبة ورغبة لأحد إلا لله وحده ، فلا شريك له في العبادة ، أو كان في الإيمان بما أثبتته الله لنفسه من أنواع الكمالات في الأسماء والصفات ، فلا بد من أفراد الله سبحانه وتعالى —

1. الرسالة القشيرية - ص128 .
2. وسائل السائل ص25 ، وديوان ترجمان الأشواق ص4:5 ، وانظر أيضا كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 116/4 .

بذاته وصفاته وأفعاله ، عن الأقيسة والقواعد والقوانين التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم ، والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى/11] .

فبين سبحانه انفراده عن كل شيء من أوصاف المخلوقين بجميع ما ثبت له من أوصاف الكمال والجلال ، وقال تعالى في أول سورة الإخلاص : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص/1] ، وقال في نهايتها مبينا

معنى الأحادية : { وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } [الإخلاص/4] ، أى أن الأحد هو المنفرد بأوصاف الكمال ، الذى لا مثيل له فنحكم علي كيفية أوصافه من خلاله ، ولا يستوى مع سائر الخلق فيسرى عليه قانون أو قياس أو قواعد تحكمه كما تحكمهم ، لأنه المتصف بالتوحيد المنفرد عما يحكم العبيد .

وقال تعالى : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } [مرم/65] ، أى هل تعلم له شبيها مناظرا يدانيه أو يساويه ، أو يرقى إلى سمو ذاته وصفاته وأفعاله ، وعلى ذلك فلا يمكن بحال من الأحوال ، أن نخضع أوصاف الله لما يحكم أوصاف البشر من قوانين أو نجعل أوصاف البشر تشبه أوصاف الله عز وجل ، تحت أى ادعاء أو فكر أو ذوق أو كشف . يقول الجنيد بن محمد : ( التوحيد أفراد القديم عن الحدث ) (1) .

ويقول الهجویری معقبا : ( ويعنى ذلك أنه لا يجوز لك اعتبار القديم

محلا —

1. كشف المحجوب للهجویری ص334 ، والرسالة القشيرية 28/1 ، 29 .

للحدث ومقاييسه ، ولا الحادث أن يكون محلا للقديم ) (1) .

ويفصح الجنيد عن المعنى السابق بقوله : ( التوحيد هو أفراد الموحد بتحقيق وحدانيته ، بكمال أحديته ، وأنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد

، ولم يكن له كفوا أحد ، بنفى الأضداد والأنداد والأشباه ، بلا تشبيه ولا تكيف ولا تصوير ، ولا تمثيل لقوله تعالى :

{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى/11] (2)

فهذه الآية جعلها الجنيد أساسا لاعتماده في إظهار التوحيد ، وإفراد المتوحد أولا ، ثم إثبات الصفات ثانيا على ما يليق بجلال الله وعظمته ، وسئل أبو علي الروذباري عن التوحيد فقال : ( التوحيد في كلمة واحدة كل ما تصوره الأوهام والأفكار فالله سبحانه وتعالى بخلافه لقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى/11] (3) .

ويقول المكي : ( ونعتقد نفى التشبيه والتكيف عن الأسماء

## والصفات إذ لا —

1. السابق ص334 ، وانظر في هذه النقطة بتوسع ، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة في ضوء الإثبات والتنزيه لمحمد آمان بن علي الجامي ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية دار العلوم رقم (712) 1975م ، البيهقي ومشكلة الصفات الإلهية للدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوي محمود ، رسالة ماجستير دار العلوم رقم 206 سنة 1975م ، وانظر أيضا كتاب الإيمان للدكتور محمد عبد الله الشرفاوي ، مكتبة الزهراء ، الطبعة الأولى القاهرة 1409 هـ ، 1989م من ص162 :ص202 .

2. التعرف لمذهب أهل التصوف ص33 .

3. الرسالة القشيرية 187/1 .

كفوء للموصوف فيشبه به ، ولا مثل له فيجنس منه (1) .

فهؤلاء اعتمدوا على الأصول القرآنية في إثبات توحيدهم ، واعتبروا ما ورد في وصف الله ينفرد به ولا يشاركه فيها غيره ، أما التوحيد

الذى يجوز فيه صاحبه كفر فرعون وإبليس فى عصيانهما الأمر الإلهى ، بل يرى صاحبه أن فىهما مثالا للفتوة الحقّة ، فإبليس لما عصى الله بامتناعه من السجود لآدم ، إنما عصى الأمر لأنه أبى أن يسجد إلا لله .

ولما قال الله لإبليس : لأعذبنك عذاب الأبدية ، قال له إبليس : أو لست ترانى فى تعذيبك إياى ، قال : بلى ، قال : فرؤيتك إياى تحملنى على عدم رؤية العذاب (2) ، فهو ينسى عذابه لحلّول الحقّ فىه ، وكان إبليس فى نظر الحلاج مجيبا لله لا عاصيا له لأن إبليس قد رأى فى جحوده للأمر تقديسا للأمر (3) .

يقول الحلاج : ( إن لم تعرفوا الله فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر وأنا الحق لأننى ما زلت أبدا بالحقّ حقّا ، فصاحبى وأستاذى إبليس وفرعون ، فإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه ، وفرعون أغرق فى اليم وما رجع عن دعواه وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداى ورجلاى ما رجعت عن دعواى ) (4) .

وثبت عنه أنه قال أيضا :

---

1. قوت القلوب ح2ص126 .

2. الطواسين للحلاج ، نشره لويس ماسينيون ص 12 ، طبعة باريس سنة 1913م .

3. من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب والسنة ، د/ محمد السيد الجليند ص 105 .

4. الطواسين ص 12 .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا : نحن روحان حللنا بدنا  
فإذا أبصرتني أبصرته : وإذا أبصرته أبصرتنا (1)

وقريب من فعل الحلاج ، ما يروى عن بعض الصوفية كأبي  
الحسين النورى فى تفضيله نباح الكلب على تكبير المؤذن ، فلما سمع  
المؤذن دعا عليه قائلاً : طعنة الموت ، وسمع نباح الكلاب فقال :  
لبيك وسعديك ، وسئل عن ذلك فقال : أما المؤذن فأنا أغار عليه  
أن يذكر الله ، وهو غافل يأخذ عليه الأجرة ولولا الأجرة من حطام  
الدنيا لما ذكر الله ، فلذلك قلت له : طعنة الموت ، وقد قال الله تعالى  
:

{ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ }

[الإسراء/44] .

فالكلب وكل شىء يذكرون الله بلا رياء ولا سمعة ولا طلب للعوض  
(2)

وفى هذا الكلام وأمثاله ، هدم لمعانى الكتاب والسنة ، واستهزاء  
بتوحيد الله فالمخلوقات تسبح بواقع الربوبية ، واختارت فى بداية  
الأمر قبول الطاعة الدائمة كما قال تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ  
وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }

[فصلت/11] .



أما الإنسان فهو حامل الأمانة ، مستخلف في الأرض ، مرید حر مكلف باتباع الشرع على سبيل الابتلاء ، فلا بد من السعى والمجاهدة وتنفيذ ما أمر الله به في الأصول القرآنية والنبوية ، وتصديق ما جاء فيها من أخبار عن الله —

1. السابق ص 12 .

2. اللمع في التصوف ص492 بتصرف .

وأوصافه وأفعاله وسائر ما ورد عن عالم الغيب بصفة عامة ، أما خلط المسائل

والتلبيس في أصول التوحيد ، فلا يجتمع مع ضوابط الاعتماد على الكتاب والسنة ، كمن جعل تنزيه الله جهلا وسوء أدب ، يقول : ( اعلم أن التنزية عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي ، عين التحديد والتقيد ، فالمنزلة إما جاهل وإما صاحب سوء أدب ، ولكن إذا أطلقاه وقالوا به ، فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزه ووقف عند التنزيه ، ولم ير غير ذلك فقد أساء الأدب ، وأكد الحق والرسول وهو لا يشعر ، ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفأنت ، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ) (1) ، ويرى في تلبيسه أن توحيد أهل الحقائق أن يكون تشبيها تارة وتنزيها تارة أخرى فقال :

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدا : وإن قلت بالتشبيه كنت

محددا

وإن قلت بالأمرين كنت مسددا : وكنت إماما في المعارف  
سيدا (2)

[7]- يجب الرجوع إلى القرآن الكريم كله بالتكامل مع السنة لمعرفة  
الأصول القرآنية لموضوع ما أو مصطلح معين ، وذلك لكي يكون  
المنهج صحيحا والموضوع نابعا من القرآن بالفعل ، فالقرآن عند  
المسلمين هو كلام الله تعالى إلى البشر ، صدر من الله الواحد  
للإنسان الواحد في النوع ، المتعدد في الأفراد فهو يحمل في ذاته وحدة  
الموضوع وإن كثرت تعلقاته ، لأنه صادر عن واحد فقط ، كما قال  
سبحانه وتعالى : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا —

1. فصوص الحكم ص55 .

2. السابق ص 59 .

كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ  
نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { [الشورى/52] .

ومن ناحية أخرى ، فهو موجه إلى الإنسان أو بني البشر المتعددين  
والمختلفين زمانا ومكانا ، ومن ثم فهو يتحدث عن حقائق كثيرة  
وموضوعات شتى في مائة وأربعة عشرة سورة تضم آلاف الآيات .

ومن ذلك يصبح من المعلوم بالضرورة لكل مسلم ، أن القرآن  
يفسر بعضه بعضا ، فما أجمله في موضع أفاض فيه تفصيلا في موضع  
آخر ، ونتيجة لهذا ينبغي علينا لمعرفة الأصول القرآنية لحقيقة من  
الحقائق أو موضوع من الموضوعات ، أن ننظر في القرآن جملة باعتباره

وحدة واحدة ، وأن نحاول معرفة هذه الحقيقة أو استخلاصها من هذا القرآن الواحد ككل ، وليس ككسور متباينة أو آيات متفرقة ، ومعلوم أن القرآن الكريم لا يحمل رؤوس موضوعات أو أسماء مباحث كمباحث الفلسفة ، فإذا أردنا معرفة حقيقة معينة نجد أنفسنا مضطرين بالضرورة للبحث في آيات القرآن جميعها ، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ولا بد أن نعود إلى آياته من أولها إلى آخرها بلا استثناء وكذلك السنة ، وأن تكون نظرتنا شاملة كلية عامة ، حتى نخرج بالحقيقة كاملة صحيحة ، ولو اقتصر الأمر على البعض دون الآخر في الموضوع الواحد ، فسوف نصل إلى حقيقة ناقصة مشوهة ، أو سنصل إلى بعض جوانب الحقيقة في القرآن دون الأخرى .

فالقرآن وحدة كاملة شاملة عامة ، ويجب أن يؤخذ كله عند البحث فيه عن أى حقيقة من الحقائق ، وهذا يلزمنا بأن نستخدم في البحث بين آياته منهجا إحصائيا استقصائيا شاملا ، بمعنى أن لا يكون هناك مجال لإغفال أو ترك بعض الآيات أو حتى آية واحدة ، ومما لا شك فيه أن طبيعة اللغة ، أى لغة ، تحتم على مستخدمها كى يصل إلى المعانى الصحيحة للألفاظ أن يتناول الجملة أو العبارة كاملة وكذلك الموضوع ، وهذا ينطبق بطبيعة الحال على اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، فنحن إذا تركنا آية أو أخذنا بعضها دون البعض قد نصل إلى معنى مغاير أو مناقض للمعنى المقصود .

فمثلا فى قوله تعالى : { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ } [الماعون/4] ، إذا فصلت عما بعدها يصبح معناها وعيد للمصلى ونهى عن الصلاة ، ولا شك أن هذا تناقض واضح مع نصوص الآيات الأخرى ، ولكن باستكمال سياق الآيات يتضح المعنى الحقيقى ، حيث يقول الله تعالى : { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } [الماعون/7:4] .

وهذا شئ معروف لدى طوائف المسلمين وعامتهم ، إلا أن الأمر الذى وقع فيه كثير من منهم ، هو عدم أخذ القرآن كله كوحدة واحدة فى الموضوع الواحد ، أو الرجوع إليه جميعا عند البحث عن أية حقيقة من الحقائق التى تضمنها ، ولقد فعل ذلك علماء بنى إسرائيل وأخبارهم بكتابهم نصا ومعنى فأمنوا ببعض وكفروا ببعض ، فبدلوا وحرفوا وغيروا ، وهذا نوع من التبديل والتحريف والتغيير يمكن تسميته بالتبديل السلبي ، بمعنى أنه قائم على إخفاء بعض الحقائق وإغائها أو تكذيبها ، والكفر بها بالتجاهل والتغاضى عنها وليس بالإنكار الصريح وفى ذلك يقول سبحانه : { ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَتَطَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ  
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ { [البقرة/85] .

فإذا كان بنو اسرائيل قد آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض ، وذلك  
عن قصد وسوء نية واضحين ، فإن بعض متصوفي ومتكلمي الإسلام  
، قد أخذوا ببعض الكتاب وتركوا البعض عن قصد أو غير قصد ،  
حين تبويبههم وتصنيفهم للحقائق الإيمانية والإلهية واستخراجها من  
القرآن ، وذلك بتركهم النظرة الشاملة الكاملة ، فجاء تقريرهم  
للحقائق مشوها قاصرا غير واف أحيانا كثيرة ومضطربا ومتناقضا في  
بعض الأحيان .

ومثال ذلك أن بعض الصوفية لما غيروا مجال الاختيار المطروح أمام  
إرادة العبد ، من اختيار بين الدنيا والآخرة إلى الاختيار بين الله وبين  
غيره من المخلوقات ، في الدنيا والآخرة وكل شئ ، كما روى عن  
رابعة العدوية من نساء الصوفية أنها قالت : ( ما عبدتك خوفا من  
نارك ولا طمعا في جنتك ولكن حبا لذاتك ) (1) .

حيث جعلت ذات الله موضوعا للاختيار في مقابل الدنيا والآخرة  
، ومن ثم صرح أغلبهم بأن العبد ينبغي أن يسترسل مع الله على غير  
انتظار للثواب وعلى غير خوف من العقاب ، بل يسترسل معه على  
ما ينبغي له سبحانه وتعالى من العبودية حتى وصلوا إلى درجة يحتقرون  
فيها من عبد الله انتظار لثوابه وخوفا —

1. صفة الصفة - ص 249 .

من عقابه ، وقد صنّفوه من التجار الذين لا يعطون إلا لانتظار البدل بل غالى بعضهم فوصف هذا الفريق بأنهم عبيد السوء الذين لا يوقرون الله عز وجل لذاته ولكن لما يصلهم من نفع أو نعمة (1) حتى قال أبو بكر الشبلى : ( إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها ) (2) وقال أيضا : ( لو خطر ببالى أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعره لكنت مشركا ) (3) ، ولما رجعوا إلى الأصول القرآنية ، لم يرجعوا إلى القرآن الكريم كله بالتكامل مع السنة لكى يكون المنهج صحيحا والموضوع نابعا من القرآن بالفعل ، ولكنهم استدلوا ببعض وتركوا دلالة البعض الآخر معطلة ، فاستدل الكلاباذى بجزء من قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ } [التوبة/111] وقال معقبا : ( ليعبدوه بالرق لا بالطمع ) (4) .

أو استدلال الآخر بقوله : { إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ } [الإنسان/9] وقطع الآيات عن نهايتها التى لو استكملت لتغير المعنى تماما ، فشاء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم إنما كان بعوض وهو الجنة ، وعمل المؤمنين كان سببا للوصول إلى هذه الجنة وإن كان لا يزنهما ، ولكن هذا لا يمنع المؤمن أن يطمع فى فضل الله ورحمته فقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ —————

1. طبقات الصوفية ص 489 والتعرف لمذهب أهل التصوف ص 161، 184 .

2. اللمع ص 490 .

3. السابق ص 491 .

4. التعرف لمذهب أهل التصوف ص168 .

وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا  
عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ  
فَأَسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ { [التوبة/111]

وقال تعالى : { إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا  
شُكْرًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ  
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا { [الإنسان/9:12]

وإذا أخذت نصوص القرآن والسنة مجتمعة ، فسوف نجد الشاء على  
عباد الله وأوليائه بسؤال الجنة ورجائها ، والاستعاذة من النار وعذابها  
، كقوله تعالى :

{ إِيَّاهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا  
خَاشِعِينَ { [الأنبياء/90] .

وقال سبحانه : [ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ  
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا { [الفرقان/65:66] .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه ة قال لرجل : " ما  
تقول فى الصلاة ؟ فقال : أتشهد ثم أقول : اللهم إني أسألك الجنة

وأعوذ بك من النار أنا والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال  
ع : حولها ندندن " (1) .

[8]- العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح بل يشهد له ويؤيده

، لأن —

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة (792) 210/1 ، وأخرجه ابن ماجه في  
كتاب الإقامة (910) 295/1 ، وصحح الشيخ الألباني إسناده في كتابه صفة الصلاة ص 202

المصدر واحد ، فالذى خلق العقل هو الذى أرسل إليه النقل ، ومن  
المحال ان يرسل إليه ما يفسده ، وهو سبحانه أعلم بصناعته لعقل  
الإنسان ومدى تفكيره فيما يصلحه أو يفسده ، فإذا وضع نظاما  
لتشغيل صنعته وتوجيه الإنسان لجنته وصلاحه فى دينته ، علمنا أنه  
لو ظهر خلل أو تعارض بين العقل والنقل فليس ذلك بسبب نظام  
التشغيل ، ولكن بسبب قلة الالتزام بمنهج الله أو اتخاذ البديل المرجوح  
من نظم البشر (1) .

دل على ذلك قوله تعالى : { فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن اتَّبَعَ  
هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } [طه/123] ، ولو فرضنا وجود التعارض  
بين العقل والنقل فسيكون مرد ذلك إلى سببين لا ثالث لهما :

(1- أن النقل لم يثبت ، فيتمسك مدعى التعارض بأحاديث  
ضعيفة أو مكذوبة ليست من كلام رسول الله ع ومثال ذلك : إذا  
وصل إلى العقل حديثان منسوبان إلى رسول الله ع أحدهما يقول فيه :



" إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ " (2) .

والآخر يقول فيه : " أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل ، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أشرف منك " (3) .

فالعقل يقف حائرا بين الحديثين : أيهما خلق أولا ؟ فمن الخطأ

### التوفيق بينهما —

1. موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول لابن تيمية 211/1 وما بعدها بتصريف .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3319) وصححه الألبانى 424/5 .
3. قال الصنعانى : موضوع باتفاق انظر كشف الخفا للعجلونى -ص1 263 .

قبل البحث عن ثبوتهما ، كما فعل ابن عربى عندما جعل العقل هو المخلوق الأول من عالم العقول المدبرة ، وهو جوهر بسيط ليس بمادة ولا فى مادة عالم بذاته فى ذاته ، علمه ذاته لا صفة له ، مقامة الفقر والذلة والاحتياج إلى باريه وموجده ومبدعه ، له نسب وإضافات ووجوه كثيرة ، لا يتكرر فى ذاته ، وهو من جهة أخرى يسمى القلم ، وهو أول عالم التدوين والتسطير وهو الخازن الحفيظ العليم الأمين على اللطائف الإنسانية التى من أجلها وجد (1) .

وكان يجب قبل التعسف فى الجمع بينهما البحث عن صحة الحديثين أولا وبالبحث عنهما وجد أن الحديث الأول ثابت صحيح ، والثانى ليس من كلام النبى ﷺ بل هو موضوع باتفاق .

(2- وإما أن العقل لم يفهم نصوص الكتاب والسنة ومثال ذلك ،  
قوله تعالى : { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة/255] ، دل على جميع معاني  
العلو لله تعالى ، علو الفوقية وعلو القهر وعلو الشأن ، وهذه المعاني  
كلها إضافية من إضافة صفة لموصوف ، لكن ابن عربي عارض الآية  
بما رسخ في عقله من فلسفة الوحدة فقال :

( ومن أسماء الله الحسنى : العلى على من ؟ وما ثم إلا هو !! فهو  
العلى لذاته أو عن ماذا ؟ وما هو إلا هو ، فعلوه لنفسه وهو من  
حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها  
وليست إلا هو ) (2) .

---

1. عقلة المستوفز لابن عربي نشر ليدن ، مكتبة المثني بغداد 1336هـ ، ص 40 .

2. فصوص الحكم ، ص 77 .

فالتعارض الذى أدى إلى نفي علو الفوقية لله على غيره ، سببه الفهم  
الملوث باعتقاد ابن عربي أن المخلوقات تعينات للخالق ولا ثم غير ،  
فكيف يكون عليا على نفسه ، لكن لو تميز الخالق عن المخلوق  
بالتوحيد لاستقام الأمر كما أراد الله عز وجل .

ومن ثم فإن الإقبال على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، يجب  
أن يكون بغرض المعرفة والاسترشاد بتوجيه الله للإنسان ، لا بغرض  
البحث عن تأييد لرأى شخصى أو محاجة الآخرين ، أو كما أراد  
المستشرقون البحث عن ثغرات يطعن بها على القرآن والسنة ، لأن

النتيجة المترتبة على ذلك هي فقدان الاستدلال بالأصول القرآنية حقيقة المعاني التي أرادها الله من النصوص ، فدور العقل حيال النقل إذا ، هو العلم بما فيه والعمل على رفعته والقيام على خدمته ولا بد للباحث أن تتوافق لديه الحقيقة المستنبطة من البحث في القرآن مع غيرها من الحقائق القرآنية .

[9] - إخلاص النية وسلامة القصد ، فلا بد من صدق النية وابتغاء الحق وحده عند البحث في القرآن والسنة ، فالإنسان يجب أن يتنزه عن الهوى ويخلص نفسه من التعصب ، أو غير ذلك مما يقف حاجزا بين الإنسان وبين إدراك الحقيقة المنشودة ، وإخلاص النية وصدقها أو ابتغاء الحق وحده عند البحث في القرآن أمر نفسى خلقى ، وليس أمرا فكريا منهجيا ، ولكن الإنسان وحدة واحدة ، وأجهزته تعمل جميعا حين يقوم بأعلى الأعمال وأدناها ، والفصل بين أجهزته وملكاته فى النشاط الإنسانى سبيل الخاطى ، ومن ثم لا يصح أن نتجاهل أجهزة الإدراك البشرية عند تفسير النشاط الخلقى ، وليس كل من قرأ القرآن عمل به ، بل هناك من يسمعه وهو فى حجاب عن الحق ، كما قال الله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى

أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا } [الإسراء/45:46] وقال أيضا : { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا } [الإسراء/41] .

أى بينا الآيات والأمثال والوعد والوعيد ليتعظوا ولكن ما يزيدهم ذلك إلا بعدا عن الحق ونفورا منه ، ومن ثم فليس التعامل مع القرآن الكريم من خلال العقل أو الحدود المنطقية لأجهزة الإدراك البشري فقط دون الإرادة ، بل إن الإرادة الإنسانية المختارة تعتبر عاملا حاسما فى تقبل الحق والهدى أو الانصراف عنه .

وقوله تعالى : { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } [الأنعام/33] ، يدل على أن هؤلاء المكذبين بالحق ليس لديهم نقص فى المعرفة أو بعد عقلى عن الحق ، وإنما يكذبون جحودا ونكرانا وعنادا وإصرارا على الهوى وحرصا على الدنيا .

فالعلة إذن فى كفرهم وتكذيبهم هى إرادتهم الحرة ، وليس قصورا فى إدراك الحقيقة والحق ، فالإيمان والكفر فعلا ن نفسيان إراديان اختياريان لسائر المكلفين من الناس ، ومن ثم تكون معرفة الحق والخير وهما مطلب العقل البشرى مرهونة بالإيمان وعمل الخير فى الأرض ، وهنا تخضع المعرفة للأخلاق فى الإسلام وليس العكس ، والمقصود بخضوع المعرفة للأخلاق ، أن إدراك الحقيقة ومعرفتها مرتبط أوثق ارتباطا باختيار الإنسان المتمثل فى النية والقصد إلى الخير أو إلى الشر

، فمن يقبل على القرآن وفي نفسه ابتغاء معرفة الحق وحده يهديه الله إليه ويفتح له كنوز معرفته بقدر تقواه ، كما قال الله تعالى :

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة/282] .

ومن يقبل عليه وفي صدره حاجة أخرى ، كالبحث عن تناقضات وهمية أو تدعيم لآرائه الشخصية ، أو تبرير لشبهاته وشهواته الحيوانية ، فالنتيجة الحتمية أنه سيسلك مسلك اليهود في جعل القرآن عسرين ، ونهايته لعنة الله وغضبه .

وهذه القاعدة ليست قاعدة منهجية فكرية ، لأنها لا تتم بالفكر ولا يطلب من الفكر تطبيقها ، ولكنها قاعدة خلقية سلوكية تتم بإرادة الإنسان واختياره للخير وابتغائه للحق ، وليس في مقدور القواعد المنهجية والأساليب الفكرية أو غيرها الزام أحد باختيار الخير دون الشر أو العكس ، لكن التجرد لله بغية معرفة الحق عند البحث في القرآن أول القواعد وأحقها بالالتزام وأجدرها جميعا بالتمسك .

فالعمل الذي لا تسبقه النية الواضحة الخالصة لله لا يقبله الله ، والبحث في القرآن الكريم عبادة من أجل العبادات ، لكن لا بد من الإخلاص والمتابعة كشرط لقبولها (1) .

[10] - أفهام الناس في الدين ليست من الدين وفلسفة العلماء

حول العقيدة ليست جزءا من العقيدة ، ومن الخطأ العظيم محاكمة

الدين والعقيدة إلى فكر —

1. القضاء والقدر فى الإسلام للدكتور فاروق الدسوقى ، طبعة دار الدعوة الإسكندرية 73/1 بتصرف .

الناس وأفهامهم لأنها جهد بشر يقبل الخطأ ويحتمل النقد ، أما الأصول الدينية القرآنية والنبوية فإنها وحى السماء ورسالة الأنبياء وهم معصومون فى البلاغ عن الله (1) .

وعلى ذلك فإن الإنسان مهما عَظُم بين الناس واشتهر فكره فى الآفاق فإنه يخر صريعا على صخرة العقيدة ، إذا كان مناقضا لها أو لم يكن له فيها أصول راسخة ، كما أنه ليس فى الإسلام بشر مهما كان صلاحه وتقواه فيه معنى يستحق به أن يعبد مع الله ، أو يطلب منه غفران الخطايا والذنوب ، فكثير من الناس لما عظموا بعض الأولياء تعظيما فيه غلو وإطراء ، واشتهر هذا التعظيم بين الناس ، وتناقلوا أساطير الخوارق والكرامات بنوع من التقديس ، أدى ذلك إلى تسليم الأجيال المتعاقبة بواقع مرير لا يقبل التغيير إلا بعمل خارق وجهد كبير ، وكانت النتيجة أنهم وقعوا فى الشرك وتشبيه المخلوق بالخالق والمملوك بالمالك ، فعظموهم كتعظيم الله ، وأحبوهم كمحبة الله ، وتعلقت قلوبهم بهم رهبة وخوفا من غضبهم ، وقد بالغوا فى تعظيمهم إلى حد قول القائل :

شيخى الرفاعى له بين الورى همم : نصالها ماضيات تشبه

القدر

دخلت في ظلها أبتغى التفيؤ من : رمضاء دهري فجاء الدهر  
معتذرا (2)

---

1. المنطق ومناهج البحث ، مدخل نقدي للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، دار النصر 1998م ص  
225Y228 .

2. الجواهر النقية في طريقة السادة الرفاعية لصالح المكتبي ، ومعه كتاب متن أبي الشجاع طبعة المكتبه  
العثمانية ص 15 .

والمعنى المقصود في هذين البيتين ، أن شيخه الرفاعي قوته في العالم  
تشبه قوة

الله في جريان المقادير ، بل هي أشد ، تعالى الله عما يقول الظالمون  
علوا كبيرا . وآخر من الطريقة الرفاعية الصوفية يصف ابن الرفاعي  
بقوله :

يا ابن الرفاعي ما زالت ضمائرنا : تطوى على حبك العالى فترتاح

مهما دعوناك في ضيق تجيب ولو : ضاقت بنا كرة الدنيا

فتزاح

إن الولاية مشكاة وأنت لها : طول المدى يا أبا العباس  
مصباح (1) .

هذا مع إرهابهم للعامّة بعدم الاعتراض ، وإلا ينزل بالمعترض  
العذاب ويلحق به العقاب ، ولعنة الولي في ضريحه ستطارده في الملك  
والملكوت ، بحق ما له من تمكن وجبروت ، هكذا عكفوا على قبورهم

يطلبون بركتهم ويستعينون بقوتهم ويطلبون العون والمدد منهم ، وتوفير الحماية والعناية في أوقات الشدة والأزمات ، ولا يخفى على الناظر ما يرى من اجتماع الملايين على الأضرحة في كل مكان ، ولا شك عند أصحاب البصيرة أن مثل هذا الاعتقاد لا علاقة له بأصول الإسلام ومبادئ التوحيد وإن ادعى صاحبه حسن النية في تعظيم الأولياء ومحبتهم .

---

1. انظر السابق ص 17 ، وانظر المزيد من في حسن الصنيع البديع في مدح النبي الشفيح ص 56 وما بعدها ، والموالد دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر ، للدكتور فاروق أحمد مصطفى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م ، ص 295 .

### . منزلة القرآن والسنة عند الصوفية .

ينقل الكلاباذي إجماع أوائل الصوفية على تعظيمهم للقرآن وأنه كلام الله ليس بمخلوق ولا محدث ، فيقول :

( وأجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة وأنه ليس بمخلوق ولا محدث ولا حدث وأنه متلو بألسنتنا مكتوب في مصاحفنا محفوظ في صدورنا غير حال فيها كما أن الله تعالى معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا معبود في مساجدنا غير حال فيها ) (1) .



ويذكر أيضا أنهم أجمعوا أن جميع ما فرض الله تعالى على العباد في كتابه وأوجبه رسول الله ﷺ فرض واجب ، وحتم لازم على العقلاء البالغين ، لا يجوز التخلف عنه ، ولا يسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق وولى وعارف ، وإن بلغ أعلى المراتب وأعلى الدرجات ، وأشرف المقامات وأرفع المنازل ، وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحة ما حظر الله ، أو تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ، أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعذر ، والعلة ما أجمع عليه المسلمون وجاءت به أحكام الشريعة ، ومن كان أصفى سرا وأعلى رتبة وأشرف مقاما ، فإنه أشد اجتهادا وأخلص عملا وأكثر توفيقا (2) .

ويذكر ابن تيمية أن أوائل الصوفية ، ويطلق عليهم مصطلح المشايخ

، يتفقون —

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص 54 .

2. السابق ص 75:76 .

مع السلف الصالح في اتباع الكتاب والسنة والعلم بالشريعة في كثير من الأوقات ، وأن المراد بلفظ العلم الذى يتردد على السنة الصوفية في عباراتهم الشريعة والالتزام بأحكام الكتاب والسنة ، وفي ذلك يقول : ( العلم في لسان الصوفية ووصاياهم كثيرا ما يريدون به الشريعة ، يقول أبو يعقوب النهرجورى الصوفى : أفضل الأحوال ما قارن العلم ، وكقول أبى يزيد البسطامى : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة ، فما

وجدت أشد على من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لتعبت  
واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد (1) .

وقد وردت أقوال كثيرة لمشايخ الصوفية اشتهرت بين الناس  
ولاقت القبول عند العامة والخاصة كقول الجنيد بن محمد : ( الطرق  
كلها مسدودة إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والمتبعين سنته  
وطريقته ، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه كما قال : { لَقَدْ  
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب/21] (2) ، وقال أيضا في بيان معتقده : ( كل  
توحيد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو زندقة ) (3) .

- 
1. الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، توزيع مكتبة التوعية الإسلامية ، 94/1 .
  2. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للإمام السيوطي ص 53 ، وتلبس إبليس لابن الجوزي ص 10 .
  3. حلية الأولياء 255/10 .

وعبارة الجنيد بن محمد من أفضل ما قيل في التمسك بالأصول  
القرآنية والنبوية واتباع منهج الإسلام في توحيد الله ، وكثير من  
الصوفية كان متمسكا بهذا النهج في أقواله أيضا ، كما روى عن أبي  
حفص النيسابوري أنه قال :

( من لم يزن أفعاله وأقواله في كل وقت بالكتاب والسنة ، فلا تعده  
من ديوان الرجال ) (1) ، وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني : ( لا بد  
لكل مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء : أمر يمثله ، ونهى يجتنبه

، وقدر يرضى به ، فأقل حالة لا يخلو المؤمن فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة ، فينبغى له أن يلزم بها قلبه ، ويحدث بها نفسه ، ويأخذ بها الجوارح في كل أحواله ( 2) .

ويعلق ابن تيمية على كلامه بالشرح والتفصيل ، وموافقة ذلك لما جاء به الشرع ، وما يقتضى به سلوك المسلم ، وهو سلوك الأبرار والمقربين فيقول :

( هذا كلام شريف جامع يحتاج إليه كل واحد ، ومطابق لقوله تعالى : { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } [يوسف/90] ) . (3)

وقد كان لأوائل الصوفية وقفات صارمة تجاه المخالفين للأصول القرآنية والنبوية في كثير من مسائل التصوف أو غيرها ، وشدد أبو نصر السراج الطوسي في أن كل من ترسم برسوم هذه العصاة أو أشار إلى نفسه بأن له —

1. الاستقامة لابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، توزيع مكتبة التوعية الإسلامية ، 96/1 .
2. فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني ، طبعة الحلبي ، القاهرة ، 1973م ص6.
3. كتاب السلوك ضمن مجموع الفتاوى ، 456/10 .

قدما في هذه القصة أو توهم أنه متمسك ببعض آداب هذه الطائفة ولم يحكم أساسه على ثلاثة أشياء فهو مخدوع ولو مشى في الهواء ونطق بالحكمة أو وقع له قبول عند الخاصة أو العامة وهذه الثلاثة أشياء : أولها : اجتناب جميع المحارم كبيرها وصغيرها ، والثاني : أداء

جميع الفرائض عسيرها ويسيرها ، والثالث : ترك الدنيا على أهل الدنيا قليلها وكثيرها إلا ما لابد للمؤمن منها (1) .

وقد كتب أبو عبد الرحمن السلمى كتابا سماه أصول الملامتية وغلطات الصوفية (2) ، بين فيه أوجه الخطأ عند المنتسبين للتصوف ، وكيف يرد عليهم بالأصول الشرعية وقد حصر غلطاتهم فى ثلاثة أوجه :

1- طبقة غلطت فى الأصول ، لقلة أحكامهم أصول الشرع ، وضعف فهمهم وإخلاصهم كما قال الجنيد : إنما منعوا من الوصول لتضييع الأصول .

2- وطبقة غلطت فى الفروع من الآداب والأخلاق والمقامات ، وذلك لقلة معرفتهم بالأصول وأتباعهم حظوظ النفس والدنيا ، ولم يتأدبوا بمن يروضهم ويجرعهم المرارات ، ويدلهم على المناهج ويعرفهم النفس وعيوبها فتسقط عنهم حظوظها ، فمثل هؤلاء مثل من يدخلون بيتا مظلما بغير

---

1. اللمع فى التصوف ص 519 .

2. من الجدير بالذكر أن أبا عبد الرحمن السلمى نقل معظم هذا الكتاب مع تغيير بسيط فى ألفاظه عن كتاب اللمع لأبى نصر السراج الطوسى ، انظر للمقارنة ، اللمع فى التصوف ص 518:554 وانظر تعليق الدكتور عبد الفتاح الفاوى محمود على أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص 178 .

سراج ، يريد أن يطلب فيه شيئاً ، فرمما وجد ما يطلب ، وربما أفسد في تلك الظلمة أكثر مما يصلح .

3- وطبقة غلظهم زلة أو هفوة ، فإذا بين لهم ذلك عادوا إلى سبيل الرشد ومكارم الأخلاق ومعالي الأحوال ، وقبلوا النصح وتركوا العناد ، وأذعنوا للحق ، فلا ينقص بتلك الهفوة من مراتبهم شيئاً (1) .

وقد تكررت هذه المحاولات النقدية (2) بغية أن يكون تهذيب النفس في الإسلام مقروناً بما أمر الله تعالى به وبما نهى عنه ، ويكون للمعرفة والعلم الصحيح النافع مكان عظيم مع التهذيب الروحي ، لأن النفس العاطلة من المعرفة لا تؤتى ثمارها وهي عاطلة من التفقه في الدين (3) .

وليس هذا بغريب حتى عند الغربيين المغرضين من أبناء المستشرقين ، فمنهم من يرى أن السمو الفكري يتطلب الاقتران بالجانب الروحي ، لكنه مع الأسف جعل العاطفة الصوفية بإطلاقها هي أعظم ملهم للمعرفة الإنسانية —

1. أصول الملامتية وغلطات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى تحقيق أستاذنا الدكتور عبد الفتاح الفاوى محمود سنة 1405 هـ ، 1985 م ص 176:177 .

2. انظر للتوسع في هذه النقطة الموقف النقدى من التصوف لدى الصوفية ، للباحث عدل أمين حافظ ، رسالة ماجستير مخطوط ، بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم 615 ، سنة 1995 م .

3. التصوف في الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ، تأليف الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، طبعة دار الثقافة العربية ، القاهرة ، سنة 1407 هـ ، 1986 م ص 40 بتصرف .

وأن أعظم المفكرين شعروا بالحاجة إلى الجمع والتوفيق بين العلم والتصوف كي يبلغوا مرحلة السمو الفكرى (1) .

ويجدر التنبيه على التعميم الذى أطلقه هذا المستشرق ، فليس التصوف مقبولا على إطلاقه ، كما أن الجانب الروحى فى الإسلام جسده أصحاب محمد ؑ من خلال اتباعهم الصادق لكتاب الله وسنة رسوله ؑ .

ويمكن أن نلاحظ منزلة القرآن والسنة عند المعتدلين من أوائل الصوفية من خلال موقفهم فى التعرف على أوصاف الله وأفعاله ، فقد قبحوا تقديم الرأى على كتاب الله وسنة رسوله ؑ وحذروا منه ، وأعلنوا عن التزامهم بتصديق ما جاء فى الوحي من أخبار عن وصف الله عز وجل ، فقال أبو طالب المكى :

( باب ذكر العلم وطريقة السلف وذم ما أحدثه المتأخرون من الكلام .. ثم تابع كلامه فقال .. وقد ظهرت مصنفات الكلام وكتب المتكلمين بالرأى والهوى والعقل والقياس وذهب علم اليقين وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى ) (2) ، ثم يصرح بالمعتقد الصحيح فيقول : ( فإننا قوم متبعون نقفوا الأثر غير مبتدعين بالرأى والمعقول نرد به الخبر .. وفى رد أخبار الصفات بطلان شرائع الإسلام من قبل أن الناقلين إلينا ذلك ، هم ناقلو شرائع الدين وأحكام الإيمان ، فإن



1. السابق 124/2 .

2. سيرة ابن خفيف الشيرازي ، لأبي الحسن علي بن محمد الديلمي ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ص248 .

3. الاستقامة ص96 . 4. السابق ص95 وانظر أيضا ، رسالة دكتوراه بعنوان : مدى

انطباق أفكار الصوفية على الكتاب والسنة ، إعداد عبد الله يوسف الشاذلي ، بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة 1978م ص 54 ، وموقف الصوفية من التكاليف الشرعية ، إعداد أحمد علي عجيب رسالة ماجستير بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1987م ، ص 34 : 56 .

ولا عجب أن ابن تيمية يستشهد بنصوص كثيرة من مرويات أوائل الصوفية ويبين موافقتها لنصوص الكتاب والسنة ، لأنها تدور حول فعل المأمور الشرعي وترك المحظور المنهي ، وهذا لب الشريعة الإسلامية ، وأثنى على عدد كبير منهم وعدهم من أئمة السلف الصالح ، وأن عقيدتهم ومنهجهم واحد وهو الاقتداء والالتزام بالأصول القرآنية والنبوية ، وأقوالهم هي أقوال سلف الأمة ، فيقول :  
( وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق في الأمة ، مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري ، وعد منهم .. مالكا والشافعي وأحمد وبشرا الحافي والجنيد بن محمد وسهلا بن عبد الله التستري وعمر بن عثمان المكي .. وأمثال هؤلاء المشايخ .. كل هؤلاء متفقون على أن الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزءا من خلقه ولا صفة لخلقه ، بل هو سبحانه متميز بنفسه ، بائن بذاته المعظمة )  
(1)



غير أن الصوفية على الرغم من كون القرآن والسنة لهما منزلة سامية في نفوسهم ، إلا أنهم جعلوا للنصوص ظاهرا وباطنا ، وكان جل اهتمامهم ينصب على الجانب الباطني دون الظاهر المتبادر إلى الأذهان ، يقول السراج الطوسي :

( فأما أصحاب الحديث فإنهم تعلقوا بظاهر حديث رسول الله ﷺ وقالوا : هذا أساس الدين لأن الله يقول : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [الحشر/7] ) (2) .

---

1. كتاب توحيد الربوبية لابن تيمية ص 474 ، وانظر الاستقامة لابن تيمية 142/1 والفتوى الحموية ص 35 ، 37 ، 38 ، 42 . 2. اللمع ص 24 .

أما الصوفية فيسميهم أهل الصفوة ويصفهم بقوله : ( وللصوفية مستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم تخفى في العبارة من دقتها ولطافتها ) (1) .

ويخصص أيضا كتابا لوصف موقفهم من الكتاب والسنة فيقول : ( كتاب أهل الصفوة في الفهم والاتباع لكتاب الله عز وجل ، باب الموافقة لكتاب الله تعالى ) (2) .

ثم يبين أنهم ممن يدركون المتشابه على الأفهام ، ويصلون إلى عجائب الحكمة من القرآن مستدلا بقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ {  
[آل عمران/7] ، وقوله :

{ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ  
إِلَّا خَسَارًا } [الإسراء/82] ، وقوله : { يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ } [يس/1:2]  
وقوله : { حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } [القمر/5] ، وقول النبي ﷺ : " القرآن حبل  
الله المتين ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به  
صدق ، ومن عمل به رشد ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به  
هدى " (3) .

1. السابق ص 32 .

2. السابق ص 105 .

3. ضعيف أخرجه الترمذى برقم (2906) عن الحرث الأعور قال : ( مررت في المسجد فإذا الناس  
يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على علي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا  
في الأحاديث ؟ قال : وقد فعلوها ، قلت : نعم ، قال : أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ألا  
إنها ستكون فتنة فقلت : ما المخرج منها =

ووجه استدلاله بهذه الأدلة ، أن القرآن لما حوى كثيرا من المتشابه  
على كثير من الأفهام ، وفيه شفاء لا يعرفه الأطباء فضلا عن المرضى  
، وفيه من عجائب الحكمة التي تخفى على العامة والدهماء ، وفيه  
من علم الأولين والآخرين ، فإن الصوفية هم أولى الناس بمعرفة ذلك  
لأنهم الخواص ، فيقول :

( فَعَلِمَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِهَذَا الْخُطَابِ أَنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، أَنَّ فِيهِ هُدًى وَبَيَانًا لَهُمْ فِي جَمِيعِ مَا أَشْكَلُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْكَامِ الدِّينِ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِالْغَيْبِ ، وَهُوَ التَّصَدِيقُ بِمَا أَخْبَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ عَمَّا غَابَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ ) (1) ثُمَّ يَضْرِبُ أَمْثَلَةً لِذَلِكَ الْفَهْمِ الَّذِي يَخْصُ الصُّوفِيَّةَ مِنْهَا :

(1- قوله تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً —

= يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا :

{ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ } [الجن/1] من قال به صدق ، ومن عمل به أجر

ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، خذها إليك يا أعور ) قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحرث الأعور مقال ، وضعفه الشيخ

الألباني 172/5 .

1. السابق ص 106 .

وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ { [النحل/89] .

فأفادت هذه الآية الفهم من أهل العلم بعد إيمانهم بالغيب أيضا ، أن تحت كل حرف من كتاب الله تعالى كثيرا من الفهم مذخورا لأهله على مقدار ما قسم لهم من ذلك ، وعلى نحو ما قال سهل بن عبد

الله التستري : لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى في آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله تعالى وكلامه صفته ، وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ، وإنما يفهمون على مقدار ما يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه من فهم كلامه ، وكلام الله غير مخلوق فلا تبلغ إلى نهاية الفهم فيه فهوم الخلق لأنها محدثة مخلوقة (1) .

(2) - وقال عز وجل في آية أخرى :

{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء/9] ، يعنى يدل إلى الذى هو أصوب ، فعلم أهل الفهم من أهل العلم أن لاسبيل إلى التعلق بالأصوب مما يهدى إليه القرآن ، إلا بالتدبر والتفكير والتيقظ والتذكر وحضور القلب عند تلاوته ، وعلموا ذلك أيضا بقوله : { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ } [ص/29] .

ثم استفاد أهل الفهم من هذه الآية أيضا أن التدبر والتفكير والتذكر لا وصول إليه إلا بحضور القلب ، لقوله عز وجل : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] يعنى حاضر القلب (2) .

ولئن كان البحث والاستنباط من كتاب الله عملاً محموداً في الإسلام إذا كان مضبوطاً بقواعد النظر وأصول الاستدلال ، فإن بعض الصوفية غالى في الجانب الباطنى ، حتى أخرج نصوص القرآن والسنة من هذه القواعد وتلك الأصول ، إلى درجة ضاعت فيها هيبتها وتغيرت مفاهيمها ، التي يعز في ظلها تحصيل مراد الله من كلامه ، ومعرفة الغاية من خطابه سبحانه وتعالى .

فمنهم من توهم أن العبد ما دام بينه وبين الله تعبد ، فهو مسمى باسم العبودية ، فإذا وصل إلى الله صار حراً ، وإذا صار حراً سقطت عنه العبودية وأمكنه عند ذلك التحلل من الشرع وإسقاط التكاليف (1) .

ومنهم من قال : ( اعلم أن المرء قائم على بساط الشريعة ما لم يصل إلى التوحيد فإذا وصل إليه سقطت من عينه ، وصارت عنده هوساً ) (2) .

بل وصل الأمر إلى أن يكون معنى مصطلح القرآن نفسه عند بعضهم غير ما يعنيه سائر المسلمين ، فأصبح القرآن يعنى العلم اللدنى الإجمالى الجامع للحقائق كلها ويقابله الفرقان (3) .

قال ابن عربى : ( قال فى التنزيل بلسان نوح : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا } [نوح/6] ، وعلم

العلماء أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا

فرقان ، ومن أقيم في القرآن —

1. السابق ص 531 .

2. أخبار الحلاج نشر ماسينون ، بول كرواس مكتبة باريس سنة 1936 ص 55 .

3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 153 .

لا يصغى إلى الفرقان وإن كان فيه ، فإن القرآن يتضمن الفرقان ،

والفرقان لا يتضمن القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ع لأنه

أوتى جوامع الكلم فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا في

نهار ، ونهارا في ليل (1) .

وهذا الموقف الصوفي الأخير انتشر وزاع بين الصوفية إلى عصرنا هذا

، حتى إن المرء لا يعلم طريقة معينة يستطيع بها الحوار معهم ، ولا

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

1. فصوص الحكم - 1 ص 70 ، 71 .

من المعلوم أن الله تعالى خاطب خلقه بما يفهمونه ، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ، وإنما دعت الضرورة للتفسير لأن كل من وضع من البشر كتابا ، وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ، وإذا بحثنا عن الأسباب الداعية إلى الشروح ، وجدناها تكاد تنحصر فى ثلاثة أمور :

أحدها : كمال فضيلة المصنف ، فإنه لقوته العلمية يجمع المعانى الدقيقة فى اللفظ الوجيز ، وربما عسر فهم مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعانى الخفية ، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له .

ثانيها : قد يكون حذف بعض مقدمات الأقيسة ، أو أغفل فيها شروطا اعتمادا على وضوحها ، أو لأنها متعلقة بعلم آخر ، فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .

ثالثها : احتمال اللفظ لمعان متعددة كالمجاز والاشتراك ودلالة الالتزام ، فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه ، وقد يقع فى التصانيف ما لا يخلو منه بشر ، من السهو والغلط وتكرار



الشيء وحذف المهم وغير ذلك ، فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك (1) .

1. البرهان في علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 14/1 بتصرف =  
ومعلوم أن القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب ، وقد أثار منذ اللحظات الأولى لنزوله أذهانهم ، ودعاهم إلى الالتفات إلي ما جاء به من جديد في أساليب التعبير والبيان ، وعلقت أفئدتهم وأسماعهم بما جمع من ألفاظ حسان ، ومن ثم وجدنا كثيرا من الصحابة ؓ يسأل رسول الله ﷺ عن معنى بعض الألفاظ ليفهم بها خطاب الله عز وجل ، كما روى عن عبد الله بن مسعود ؓ قال :

" لما نزلت : { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } [الأنعام/82] قلنا : يا رسول الله أين لا يظلم نفسه ؟ قال : ليس كما تقولون ، { لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } بشرك ، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه : { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } [لقمان/13] " (1) .

ففسر النبي ﷺ الظلم بالشرك من خلال تفسير القرآن بالقرآن وشرح آية لأخرى ، وكما روى أيضا عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح

بعوضة ، اقرؤوا إن شئتم : { فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا }  
[الكهف/105] " (2) .

= وانظر فى ذلك أيضا مرويات السنة فى تفاسير المحدثين فى مصر ، بحيته محمد على إبراهيم الدوسرى ، رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة رقم (1066) لسنة 1996م ص 34 .

1. الجامع الصحيح المختصر للإمام البخارى رقم (3181) 1226/3 .

2. أخرجه البخارى انظر السابق حديث رقم (4452) 1759/4 .

غير أن الصحابة  $\psi$  كانوا يعلمون من خطاب الله ظواهر القرآن وأحكامه أما دقائقه وأعماقه البعيدة فإنما كانت تظهر لهم بعد البحث والنظر من سؤالهم النبي  $\epsilon$  فى الأكثر .

ولم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بجملته (1) ، لأن إيمانهم العميق بكلام الله دعاهم إلى التصديق بخبره والاستسلام لأمره ، وليس كما صورهم المستشرق جولد تسيهر أن أفهامهم كانت فى طور النمو والاكتمال لأن الإسلام بعد موت النبي كان طفلا يافعا ولم يكن كاملا ناضجا (2) .

فالأمر لم يكن كذلك لأن الله أنزل على نبيه  $\epsilon$  قبل موته : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة/3] .

وقد دلت على اكتمال الدين وتمام النعمة وأى تشكيك فى ذلك يكشف سوء النية أو دعاوى الجهل ، لقد كان الصحابة  $\psi$  يرتسمون

ما نقل عن النبي ﷺ بحذر شديد ، في شرح لفظ غريب أو بيان حكمة وموعظة فيه ، فلم يكن في القرآن ما يصعب عليهم فهمه بوجه عام ، غير أنهم لم يتصدوا للتفسير —

1. حجج القرآن ، لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي دراسة وتحقيق ، رسالة ماجستير لشمران سركال يونس ، مكتبة كلية دار العلوم رقم 335 سنة 1980م مقدمة التحقيق ص33 .
2. انظر رأى جولد تسهير في وصفه لحال المسلمين من الصحابة والتابعين وموقفهم من الحديث والتفسير في كتابه مذاهب التفسير الإسلام ص55 ، والعقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الإسلام ، ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين ، دار الكتب العربي ، ط3 سنة 1959 ص46 وما بعدها .

بشكل تفصيلي تخرجنا من القول على الله بلا علم ، ولذا فقد روى عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن قوله تعالى : { وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } [عبس/31] فقال : " أى سماء تظلني ، وأى أرض تقلني ، إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم " (1) .

ونقل عن أنس  $\pi$  أنه سمع عمر بن الخطاب  $\pi$  يقول : { فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا } [عبس/27:31]

قال : فكل هذا قد عرفناه فما الأب ؟ ثم نقض عصا كانت في يده فقال : هذا لعمر الله التكلف ، اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب (2) .

وقد يكون صحيحا أن الصحابة  $\pi$  استعصى عليهم فهم بعض الغريب ، وقد يكون إحجامهم عن التفسير تخرجنا من القول في القرآن

بالرأى ، وعلى أية حال وفي كلا الأمرين ، فالصحابة  $\psi$  كانوا أقدر الناس على معرفة مرامى القرآن ومعانيه ، وقد يختلفون فى الفهم بطبيعة الحال على قدر إلمامهم ومعرفتهم بأساليب الكلام والشعر ولغة العرب وعاداتهم ، فمن كان منهم أكثر إلماما بهذا أو بعضه ، كان أكثر معرفة وأوسع فهما لمعانى القرآن وغريب ألفاظه (3) .

ومن ثم فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة بيان لأحكام

### الظواهر —

1. فتح البارى شرح صحيح البخارى ، والرواية فى سندها ضعف 272/13 .
2. أخرجه الحاكم فى المستدرک (3897) 559/2 وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وانظر الإتيقان فى علوم القرآن للسيوطى 196/1 .
3. فجر الإسلام ، لأحمد أمين ، طبعة لجنة التأليف بمصر ، الطبعة الثالثة ، 1354هـ - 196/1 وضحى الإسلام ، طبعة الاعتماد بمصر 1352هـ ، 138/1 .

وذلك لقصورنا عن إدراك أحكام اللغة بغير تعلم ، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير منهم .

ومعلوم أن تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ، ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول عليه ويرجع إليه فى تفسيره ، من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظاهره وباطنه وغير ذلك ، مما لا يدخل تحت الوهم ويدق عنه الفهم ، وفى هذا تتفاوت الأذهان (1) .

. ضوابط تفسير القرآن الكريم :

تنوعت الاتجاهات في تفسير القرآن وتعددت غاياتها ، فظهر تفسير القرآن بالمأثور والمنقول من الأحاديث والأخبار والسيرة والأشعار وعادات العرب وأخبارهم ، وهذا التفسير كله منقول عن الصحابة والتابعين ، وقد يرفع لرسول الله ﷺ وهو في الأغلب مشفوع بالسند ، وهناك من تبنى التفسير اللغوي للقرآن ، وقد اتخذ علماء اللغة ميداناً لهم ، وحاولوا التعرف على لغته وتراكيبه النحوية ، وألوان الغريب من الألفاظ فيه ، أهى عربية أصلية أو معربة من لغات البلدان المحيطة بجزيرة العرب والتي أثرت في لسانهم بحكم التلاصق والتجارة وغيرها ؟ وقد حاولوا أيضاً البحث في المدلول اللفظي ، وصلة اللفظ بالمعنى العام للعبارة ، وغير ذلك من ألوان النواحي اللغوية والأساليب البيانية الواردة في —

1. البرهان في علوم القرآن 15/1 بتصرف .

القرآن ، وهناك من نظر إلى الإشارات الرقيقة التي تظهر بين جمل الكلام فظهر التفسير الإشاري للقرآن ، وهو تأويل القرآن على خلاف ظاهره ، لإشارات خفية لبعض المجتهدين من أولى العلم أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدات ، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا من أسرار القرآن ما خفى على غيرهم وانقذت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة (1) .

فتعددت الأغراض وكثرت مدارس التفسير بصورة توجب في هذا البحث تقرير الأساس الذى يبنى عليه فهم القرآن ، وضبط منهج التفسير وطريقة التأويل ، ذلك لأننا لم نعدم في تاريخ التراث الإسلامى استغلال معظم الفرق الإسلامية لهذا السلاح ، أعنى تفسير القرآن أو تأويله بالرأى ، تدعيما لأصول هذه الطائفة أو تلك ، وقد تفاوتت عندهم مراتب التفسير والتأويل بتفاوت البراعة في استغلال الألفاظ ودلالاتها المتعددة ، والانتفاع بالأحاديث النبوية المكملة أو المفسرة (2) .

ومن ثم كان من الضرورى إظهار الوسيلة المثلى التى يبنى عليها فهم

## القرآن —

1. من أمثلة التفسير بالمأثور تفسير ابن جرير الطبرى وتفسير ابن كثير ، ومن أمثلة الفسیر اللغوى النحوى مجاز القرآن لأبى عبدة معمر بن المثنى ، ومعانى القرآن لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء ، ومن أمثلة الإشارى ، تفسير أبى عبد الرحمن السلمى ولطائف الإشارات لعبد الكريم القشيرى ، وتفسير القرآن الكريم لعبد الرزاق الكاشانى ، وهو منسوب فى جميع طبعاته إلى محى الدين بن عربى .
2. التصوف طريقة وتجربة ومذهبا ، للدكتور محمد كمال جعفر ، طبعة دار الكتب الجامعية 1970م ، ص26 بتصرف .

وكيفية تفسيره من خلال ما ورد فى كتب التفسير المختلفة (1) .

فالقرآن كتاب عربى مبين جديد فى أسلوبه معجز ، وهو مع ذلك لم يخرج عن أساليب العرب وعاداتهم فى نظم الكلام ، وكان طبيعيا أن يجمع أساليب العرب فى التعبير من قواعد فنية وتركيبية ، ففيه الحقيقية وفيه المجاز وفيه الكناية وغيرها من أساليب العرب ، ومع هذا التشابه

الظاهرى بين أساليب العرب فى نشرهم وشعرهم بقيت للقرآن ميزة جعلته المثل الأعلى للبلاغة العربية (2) .

ويمكن أن تتحدد معالم المنهج الصحيح ، لمن أراد التعرف على مراد الله من خطابه فيما يلى :

(1- الاعتماد على تفسير القرآن بالقرآن ، فقد أجمع علماء التفسير على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله ، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله من الله عز وجل ولا يصح العدول عن هذا التفسير إلى غيره بعد ظهور مراد الله من الآيات (3) .  
ومن أمثلة هذا النوع ، ما جاء مجملا فى موضع جاء مبينا فى موضع آخر كقوله تعالى : { أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ } [المائدة/1] فقد —

1. انظر للتوسع فى هذه النقطة ، أثر القرآن على منهج التفكير الفلسفى ، محمود السعيد طه الكردى ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1979م ، والحافظ ابن كثير ومنهجه فى التفسير إسماعيل سالم عبد العال ، رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، رقم 125 سنة 1977م .

2. أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين الشنقيطى 5/1 .

3. السابق 7/1 .

جاء تفسير قوله : إلا ما يتلى عليكم ، فى آية كريمة أخرى هى قوله تعالى :

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَالْحَيْضَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ { [المائدة/3] .  
وكذلك قوله تعالى : { وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ { [الطارق/1] جاء تفسير  
الطارق في نفس السورة : { وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ {  
[الطارق/2:3] ، فلا يصح العدول عن معنى اللفظ بعد أن بينه الله عز  
وجل إلى أى معنى آخر .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ  
عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { [البقرة/37] جاء تفسير الكلمات التي  
تلقاها آدم ؑ في موطن آخر من القرآن ، في قوله تعالى : { قَالَا رَبَّنَا  
ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {  
[الأعراف/23] (1) .

ومن الأمثلة أيضا على تفسير القرآن بالقرآن ، أن يذكر شئ في  
موضع ثم يقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر يفسره ، كقوله  
تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { [الفاتحة/1] ، فإنه لم يبين هنا ما  
المراد بالعالمين ؟ ولكنه وقع سؤال وجواب في موضع آخر يفسر المراد  
، وهو قوله تعالى :

{ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ



آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ  
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا —

1. السابق 9/1 .

إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ { [الشعراء/24:23] ، وسؤال فرعون وإن كان في الأصل

عن الرب جل وعلا ، فقد دخل فيه الجواب عن المراد بالعالمين .

وكذلك قوله تعالى : { مالك يوم الدين } [الفاتحة/2] فإنه لم يبينه هنا

، مع أنه وقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر وهو قوله : { وَمَا

أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ

لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } [الانفطار/19:17] .

ومن أمثله أيضا أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الوضع

اللغوي غير مراد بدليل قرآني آخر على أن المراد غيره ، ومثاله قوله

تعالى : { الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ } {

[البقرة/229] ، فإن ظاهره المتبادر منه أن الطلاق كله محصور في المرتين ،

ولكنه تعالى بين أن المراد بالمحصور في المرتين خصوص الطلاق الذي

تملك بعده الرجعة بقوله : { فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى

تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ } [البقرة/230] (1) .

وعلى الرغم من اشتهاار الصوفية بالتفسير الإشاري إلا أن كثيرا

منهم اهتم بهذا النوع من التفسير لتوضيح بعض المعاني القرآنية المتعلقة

بالجانب الروحي في الإسلام ، وأسفرت محاولاتهم عن نتائج إيجابية

مثمرة ، نرى مثلا يدل على ذلك في كتاب قوت القلوب لأبي طالب  
المكي (ت:386هـ) وهو يستقصى —

1. السابق 13/1 ، وانظر المزيد في تفسير القرآن بالقرآن ، ابن العربي ومنهجه في التفسير ، لمحمد عبد  
السلام زغوان ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم 267 لسنة 1978م .

حقيقة الدنيا معتمدا على تفسير القرآن بالقرآن ، فقال : ( لا يمكن  
لعبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أى شئ هى ، فقد قال الناس  
فى الزهد أشياء كثيرة ، ونحن غير محتاجين إلى ذكر أقوالهم ، بما بين الله  
تعالى وأغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغنى ) (1) .

ويعتمد المكي فى معرفة الدنيا على مجموعة من الآيات يفسر  
بعضها بعضا ويقارن بينها إلى أن يصل إلى وصف واحد يبين حقيقة  
الدنيا ، فقوله تعالى :

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ  
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران/14] ، بين الله لنا فيه أنواع  
المشتهيات فى الدنيا وحصرها فى سبعة أصناف جامعة ، يقول المكي  
معقبا :

( فهذه سبعة أوصاف هى جملة متاع الدنيا ، وما تفرع من  
الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمل ، فمن أحب جميعها  
فقد أحب جملة الدنيا ، ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد  
أحب بعض الدنيا ، وعلمنا بنص كلام الله أن الشهوة دنيا ، وفهمنا

من دليله أن الحاجات ليست بدنيا ، لأنها تقع ضرورات ، فإذا لم تكن الحاجة دنيا ، دل أنها لا تسمى شهوة وإن كانت قد تشتهى (2)

---

1. قوت القلوب في معاملة المحبوب ، لأبي طالب محمد بن أبي الحسن علي بن عباس المكي ، طبعة مكتبة المتنبى ، القاهرة سنة 1310هـ ، 245/1 .  
2. السابق 245/1 .

ثم يجمع المكي بأسلوب رائع بين الآية السابقة وبين آية أخرى تفسر لنا علل الاشتهااء وقد جمعها الله تعالى في خمسة أنواع فقال : { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } [الحديد/20] .

يقول المكي معقبا : ( فرد الأوصاف السبعة إلى خمسة معان هي وصف من أحب تلك السبعة ) (1) .

ثم يجمع ما سبق من أصناف المشتهايات في الدنيا وعلل اشتهاائها ، ويضيف إليها آية أخرى تفسر الوصف الجامع للحياة الدنيا ، وهي قوله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات/41:37] .

يقول المكي : ( فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى فمن نهي نفسه عن الهوى فهو لم يؤثر الدنيا ، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزاهد الذى لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك ، يأخذ الحاجة من كل شئ عند الحاجة إلى الشئ ، ولا يتناول عند الحاجة إلا سد الفاقة ، ولا يطلب الشئ قبل الحاجة ، فأول الزهد دخول غم الآخرة فى القلب ، ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى ، ولا يدخل هم الآخرة حتى يخرج هم الدنيا ، ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى ) (2) .

والنتيجة المثمرة التى توصل إليها المكي بالدليل ، ومن خلال

تفسيره للقرآن —

1. السابق 246/1 .

2. السابق 246/1 .

بالقرآن ، أن الدنيا هى طاعة النفس للهوى ، وأن الهوى يتعلق بسبعة أصناف جامعة لكل ما يشتهى فيها ، وأن علل اشتهاه الهوى لتلك الأصناف الدنيوية لن تخرج عن خمسة أسباب ، وحقيقة الزهد فى الدنيا تكمن فى طاعة العبد لله ومعصيته لهواه (1) .

(2) - الاعتماد على تفسير القرآن بالسنة ، فقد أجمعوا أيضا على

أن ذلك من أشرف أنواع التفسير وأجلها ، لأنه لا أحد أعلم بمعنى

كلام الله من رسول الله ﷺ ، ولا يصح أيضا العدول عنه إلى غيره بعد

كشف الرسول ﷺ للمعنى المراد فى خطاب الله عز وجل (2) .

ومن أمثلة هذا النوع ، تفسيره ٤ الحساب اليسير بالعرض ، أى عرض الأعمال على المؤمن وتذكيره بها فقط ، فعن عائشة زوج النبي ٤ أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبي ٤ قال : "من حوسب عذب ، قالت عائشة : فقلت أو ليس يقول الله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا } [الانشقاق/8] فقال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك " (3) .

- 
1. تفتقر المكتبة الإسلامية إلى تفسير علمى جاد فى الجانب الروحى ، يكشف عن أعمال القلوب والجوارح وسائر مقامات الإيمان ، وينتهج طريقة أبى طالب المكى فى هذه الجزئية .
  2. أضواء البيان 20/1 .
  3. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (103) 51/1 .

وكذلك تفسير النبي ٤ الزيادة فى قوله تعالى : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ } [يونس/26] بالرؤية ، فعن صهيب ٤ عن النبي ٤ أنه قال فى هذه الآية : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، نادى مناد إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، قالوا : ألم تبيض وجوهنا وتنجننا من النار وتدخلنا الجنة ؟ قال : فيكشف الحجاب ، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه " (1) .

وكتفسيره ٤ القوة بالرمى ، فعن عقبة بن عامر ٤ قال : " سمعت رسول الله ٤ وهو على المنبر يقول :

{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } [الأنفال/60] ، ألا إن القوة الرمي ،  
ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي " (2) .

وكثيرا ما نرى للصوفية تفسيراً من هذا القبيل في بعض المواضع من  
تراثهم لكن ينقصه في الغالب الثبوت وعدم التهاون في قبول الأخبار  
الضعيفة والموضوعة ، كما أشار أبو طالب المكي إلى ذلك فقال : ( )  
باب ذكر الرخص والسعة في النقل والرواية .. ولم أعتبر ألفاظ الأخبار  
، ولم آل عن سياق المعنى في كله إذ ليس تحليل الألفاظ عندي واجبا  
( 3) .

ويذكر أبو القاسم القشيري نماذج متعددة لهذا التفسير في رسالته  
، فيذكر الآية ، ثم يأتي ببضعة أحاديث يدل بها على سياق المعنى ،  
أو يشرحه بها —

1. أخرجه الترمذي في كتاب التفسير (3105) وصححه الألباني 286/5 .
2. أخرجه مسلم في كتاب الجهاد (1917) 1522/3 .
3. قوت القلوب لأبي طالب المكي 176/1 .

ويوضحه ، فيروى بسنده عن أبي الدرداء ؓ حديثا يفسر به معنى قوله  
تعالى : { لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [يونس/64] ، قال :  
" سألت النبي ﷺ عن هذه الآية ؟ فقال : ( ما سألتني عنها أحد قبلك  
، هي الرؤيا الحسنة يراها المرء أو ترى له " (1) .

قال الصابوني : ( وكلا هذين القسمين ، تفسير القرآن بالقرآن ،  
وتفسير القرآن بالسنة ، لا شك في أنه أعلى أنواع التفسير ، ولا

شك في قبوله ، أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره  
وكتاب الله تعالى أصدق الحديث ، لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ولا من خلفه ، وأما الثاني فلأن الرسول ﷺ قد بين مهمته القرآن ،  
وذكر أنها مهمة التوضيح والبيان { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا  
نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل/44] ، فما جاء عن رسول الله ﷺ  
من شرح أو بيان بسند صحيح ثابت ، فإنه مما لا شك فيه أنه حق  
يجب اعتماده ( 2) .

- 
1. الرسالة القشيرية 714/2 ، والحديث بهذا اللفظ لم أجده في كتب السنة ، ولكن معناه ورد في حديث صحيح ، فمن حديث محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : ( إذا اقترب الزمان ، لم تكذب رؤيا المسلم تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءا من النبوة ، والرؤيا ثلاثة : فالرؤيا الصالحة بشرى من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه فإن رأى أحدكم ما يكره ، فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس ) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الرؤيا ، برقم (2263) 1773/4 .
  2. التبيان في علوم القرآن ، محمد بن علي الصابوني ص 65 .

(3- الاعتماد على ما أثر عن الصحابة ؓ والتابعين ، فذهب جمهور المفسرين إلى أن التفسير بالمأثور عن الصحابة ؓ له قيمته ، وأن تفسير الصحابي له حكم المرفوع ، إذا كان مما يرجع إلى أسباب النزول وكل ما ليس للرأى فيه مجال ، أما ما يكون للرأى فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله ﷺ (1) .

قال الزركشى : ( اعلم أن القرآن قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد ، والأول : إما أن يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة أو رؤس التابعين فالأول يبحث فيه عن حجة السند ، والثاني ينظر في تفسير الصحابي ، فإن فسره من حيث اللغة ، فهم أهل اللسان ، فلا شك في اعتماده ، أو بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه ) (2) .

وذكر الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره ، أنه إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ﷺ ، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، ولا سيما علماءهم وكبرائهم ، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين المهديين وعبد الله بن مسعود ﷺ (3) .

---

1. انظر بتوسع ، أثر القرآن في تطور النقد العربي ، محمد زغلول سلام ، رسالة ماجستير مخطوط كلية

الآداب جامعة الإسكندرية سنة 1982م من ص39 :ص66 .

2. الإتقان في علوم القرآن 183/2 .

3. تفسير القرآن العظيم لابن كثير 3/1 .

ويرى الزرقاني أن الإنصاف في التفسير بالمأثور أنه على نوعين : أحدهما : ما توافرت الأدلة على صحته وقبوله ، وهذا لا يليق بأحد رده ، ولا يجوز إهماله وإغفاله ، ولا يجمل أن نعتبره من



الصوارف عن هدى القرآن ، بل هو على العكس عامل من أقوى العوامل على الاهتداء بالقرآن .

ثانيهما : ما لم يصح مما نقل من غير إسناد أو ثبت أو خرافات مروية عن الإسرائيليات تصادم العقيدة ، فهذا يجب رده ولا يجوز قبوله أو الاشتغال به ، ولا يزال كثير من أيقاظ المفسرين كابن كثير وغيره يتحرون الصحة فيما ينقلون ، ويزيفون ما هو باطل أو ضعيف (1) .

(4- الاعتماد على قوانين اللغة العربية وأحكامها ، لأن القرآن نزل بلغة العرب ، فقال تعالى : { الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [يوسف/2:1] ، والمفسر لكتاب الله تعالى هنا ، لا يعتمد على المأثور المنقول عن الصحابة  $\psi$  أو التابعين ، بل يعتمد على اللغة العربية وفهم أسلوبها على طريقة العرب ، ومعرفة طريقة التخاطب ، وإدراك العلوم الضرورية التي ينبغى أن يكون ملما بها كل من أراد تفسير القرآن ، كالنحو والصرف وعلوم البلاغة وأصول الفقه ، ومعرفة أسباب النزول إلى غير ما هنا لك من العلوم التي يحتاج إليها المفسر (2) .

---

1. مناهل العرفان للزرقاني ص 491 .

2. التبيان في علوم القرآن ، محمد بن علي الصابوني ص 153 .

وربما يطلقون على هذا التفسير التفسير بالرأى ، والمراد بالرأى هنا الاجتهاد المبني على أصول صحيحة ، وقواعد سليمة متبعة ، يجب أن يأخذ بها من أراد الخوض في تفسير الكتاب أو التصدي لبيان معانيه ، وليس المراد به مجرد الرأى أو مجرد الهوى ، أو تفسير القرآن بحسب ما يخطر للإنسان من خواطر ، أو بحسب ما شاء ، كما قال ابن عطية :

( يسأل الرجل على معنى في كتاب الله عز وجل ، فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء ، واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول ، وليس يدخل في هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغته ، والنحويون نحوه ، والفقهاء معانيه وأحكامه ، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين العلم والنظر ، فإن القائل على هذه الصفحة ليس قائلًا بمجرد رأيه ) (1) ، وقال القرطبي : ( من قال في القرآن بما سنع في وهمه ، أو خطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول ، فهو مخطئ مذموم وعليه يحمل حديث ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال : " اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ومن قال في القرآن برأيه ، فليتبوأ مقعده من النار " (2) ويعنى من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره ، فليتبوأ مقعده من النار ) (3) .

1. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 32/1 .  
2. أخرجه الترمذى برقم (2951) وضعفه الألبانى من هذا الطريق 5/ص199 ولكنه صحيح بغير هذا اللفظ .

3. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 32/1 .

وهذا التفسير فى الجملة يكون محمودا إذا كان موافقا لغرض الشارع بعيدا عن الجهالة والضلالة متمشيا مع قواعد اللغة ، معتمدا على أساليبها فى فهم النصوص القرآنية الكريمة ، فمن فسر القرآن ملتزما الوقوف عند هذه الشروط معتمدا عليها فيما يرى من معانى الكتاب العزيز كان تفسيره جائز سائغا (1) .

### • التأويل فى القرآن والسنة :

التأويل فى اللغة بمعنى الرجوع والمآل والعود والمصير والعاقبة (2) ، وقد استعمل التأويل فى الكتاب والسنة وبين الصحابة  $\psi$  والتابعين على معنيين :

**المعنى الأول :** هو الحقيقة التى يؤول إليها الكلام ، أو حقيقة ما ينطبق عليه اللفظ (3) ، وهذا المعنى هو الذى جاء فى القرآن ، فلقد

### تكررت كلمة التأويل —

1. انظر للتوسع فى معرفة هذه الضوابط على وجه التفصيل ، النص القرآنى بين التفسير والتأويل ، للدكتور عبد الفتاح سلامة ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1979م ، وابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير لمحمود محمد السيد شبيكة ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1976م ، ونشأة التفسير واتجاه تطوره ، إعداد السيد أحمد خليل رسالة ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة 1947م ، والتفسير بين رأى والأثر إعداد محمد حلمى محمود أبو غزالة ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة 1397هـ .

2. انظر لسان العرب لابن منظور 33/13 ، ومعجم مقاييس اللغة 159/1 ، وتهديب اللغة للأزهري 437/15 .

3. الرسالة التدمرية لابن تيمية ص 57 ، والفتوى الحموية ص 19 .

في القرآن في أكثر من عشرة مواضع ، كان معناها في جميع استعمالاتها الحقيقة التي يؤول إليها الكلام ، أو الأثر الواقعي لمدلول اللفظ المستعمل ، سواء كان ذلك في الماضي أو في المستقبل ، كقوله تعالى حكاية عن المشركين وتكذيبهم لأخبار القيامة : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف/53] .

فالله تعالى يخبرنا أنهم يوم يتحققون من وقوع ما أخبرهم به في القرآن من جراء تكذيبهم الرسل ، يعلمون يقينا أن ما جاءت به الرسل ، كان هو الحق الذي لا ريب فيه فيقولون : { رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [السجدة/12] { قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف/53] (1) .

ووقوع هذه الأخبار يوم القيامة ، هو تأويل ما أخبر به القرآن من الوعد والوعيد والجنة والنار وما يؤول إليه أمر هؤلاء ، وقال تعالى : { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } [يونس/39] ردا على من أنكر الحقائق التي جاء بها القرآن ، حيث كذبوا به مع جهلهم بتلك الحقائق ، ولما يأتهم تأويله أى مصيرهم وعاقبة أمرهم ، ولكون تأويله لم يأتهم بعد ، قالوا : إن محمدا افتراه وأنشأه وسارعوا في عداوته (2) .

وتأويل أخبار القرآن ، منه ما مضى كإخباره عن الأمم الماضية وما حدث لهم من أمور ، ومنه ما سيأتي كإنبائه عن أحوال القيامة وما فيها من بعث —

1. انظر تفسير الطبرى 478/12 .

2. السابق 93/15 .

ونشور وحساب وجنة ونار والتأويل بهذا المعنى قد استعمل فى نوعى الأسلوب لأن الكلام نوعان :

1- إنشائى : وهذا يشتمل على أمور الشريعة التكليفية ، من الأوامر والنواهى ، وتأويل الأمر فى هذا النوع تنفيذه ومن هنا قال السلف : إن السنة هى تأويل الأمر ، وقالت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : " كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى يتأول القرآن " تعنى أنه كان ينفذ فى سجوده الأمر فى قوله تعالى : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر/3] (1) .

2- خبرى : وهذا يشتمل على إخبار الله عن أمور الغيب ، كالقيامة وأحوالها وأهوالها ، ومن هذا الباب الكلام فى ذات الله وصفاته ، وتأويل هذا النوع هو عين المخبر به إذا وقع ، وليس تأويله فهم معناه ، وهذا النوع لا يعلم حقيقته كيفاً ولا قدراً إلا الله سبحانه وتعالى ، لأن الله يقول : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة/17] ، فإن الله أخبر أن فى الجنة خمرا

ولبنا وعسلا ، ونحن نعلم أن حقيقة هذه الأشياء ليست مماثلة لحقيقة ما نراه منها في الدنيا ، بل بينهما تباين عظيم مع وجود نوع من التشابه في الأسماء ، من قبيل المواطأة أو المشاركة في الأسماء ، ولكن هناك خاصية لتلك الحقائق في ذاتها ، لا سبيل لنا إلى إدراكها في الدنيا لعدم وجود نظيرها عندنا ومعرفة هذه الحقائق على ما هي عليه ، هي تأويل ما أخبر —

1. أخرجه البخارى في كتاب الأذان (784) 281/1.

الله به في القرآن ، وهذا هو التأويل الذى اختص الله بعلمه ، ولا سبيل لأهل العلم إليه لقوله تعالى : { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } [آل عمران/7] .

فيجب الوقوف على لفظ الجلالة بهذا الاعتبار ، ولكن يجب التنبه إلى أن جهلنا بحقائق هذه الأشياء في ذاتها لا ينفى علمنا بالمعنى الذى خوطبنا به في ذلك ، لوجود الفرق الكبير بين علم المعنى وبين علم التأويل ، والكيفية التى دلت عليها النصوص (1) .

وقد استعمل عبد الله بن مسعود τ التأويل بالمعنى الأول في الخبر من الكلام وهو وقوع المخبر به ووجوده ، سواء كان ذلك في الماضى ، كالقصص التى أخبرنا عنها القرآن ، أو في المستقبل كأخبار القيامة والجنة والنار ، فقد روى أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود τ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }

[المائدة/105] .

فقال : " ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم ، فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ، ثم قال : إن القرآن نزل حيث نزل ، منه آيات قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ، ومنه آيات وقع تأويلهن على عهد النبي ﷺ ، ومنه آيات وقع —

1. انظر رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ص 21:10 بتصرف ، وانظر أيضا ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، للدكتور محمد السيد الجليلند ص 151 وما بعدها ، وانظر أيضا البرهان في متشابه القرآن للكرمانى تحقيق ودراسة ، منصور محمد منصور الحفناوى ، رسالة ما جستير بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة رقم 200 لسنة 1975م . 72 / 1

تأويلهن بعد النبي بيسير ، ومنه آيات يقع تأويلهن يوم القيامة ، وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيئا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا وانهاوا ، فإذا اختلفت القلوب والأهواء ، وألبستم شيئا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويلها " (1) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [آل

عمران/7] قالت : فقال رسول الله ﷺ : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم " (2) .

**المعنى الثاني :** ورد التأويل في الكتاب والسنة على معنى التفسير والبيان والمفسرون يقصدون به كشف المعنى وتوضيح مراد المتكلم ، وهذا التأويل كالتفسير يحمده ويرد باطله ، وحين قرأ عبد الله بن عباس τ الآية —

1. انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص 107 .  
2. أخرجه البخارى في كتاب التفسير ، باب منه آيات محكمات (4273) 1655/4 وانظر المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ، إعداد إبراهيم عبد الرحمن خليفة ، رسالة دكتوراه مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، سنة 1973م ص 117 .  
السابقة ، قال : " أنا ممن يعلمون تأويله " (1) .

ومقصده بهذا القول هو العلم وتفسير القرآن وبيانه ، وكذلك دعاء رسول الله ﷺ له : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " (2) وكل ما ورد عن ابن عباس τ من أنه يعلم تأويل القرآن ، فيجب حمله على معنى التفسير والبيان ولا يجوز القول بأنه يعلم حقائق الغيب ، أو تأويل الأخبار الواردة عنها في القرآن لأن ذلك من الغيوب التي استأثر الله بعلمها .

والطبرى في تفسيره قد استعمل التأويل أيضا في معنى التفسير والبيان ، إذ يقول : تأويل الآية عندنا كذا ، ثم يشرع في تفسيرها ، وقال أهل التأويل فيها كذا ثم يحكى أقوال المفسرين من السلف فيها



، والأشبه بتأويل الآية كذا ومراده بكل ذلك تفسير الآية وتوضيح معناها ، ونظرا لكثرة استعمال التأويل في هذا المعنى عند السلف ولشيوعه بينهم اختلط بمعنى التفسير ، وأصبح كل منهما يستعمل حيث يستعمل الآخر ، فإذا كان مقصدهم بالتأويل هو التفسير وتوضيح المعنى المخاطب به فإنه يجوز الوقف على قوله : { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } [آل عمران/7] بعطف الراسخين في العلم على لفظ الجلالة .

1. تفسير ابن جرير الطبري 170/6 ، وتفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص120 وتفسير ابن كثير 328/1 .

2. رواه الإمام أحمد بلفظه 1/ 266 ، والحديث صحيح ، أخرجه البخاري في كتاب المناقب بلفظ : ( اللهم علمه الحكمة ) رقم (3546) 1371/3 ، وابن ماجه في المقدمة بلفظ : ( اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب ) رقم (164) 58/1 والطبراني في المعجم الكبير 84/1 .

## التأويل في اصطلاح المتأخرين :

اشتهر التأويل في عرف المتأخرين من الفقهاء ورجال الأصول ، بمعنى صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى تختمله ، إذا كان هذا المعنى الذي تصرف إليه الآية موافقا للكتاب والسنة ، وقد اشتهر هذا التأويل في كتب الأصول والفقهاء وكأنه هو المقصود عند إطلاق كلمة التأويل ، وأصبح من الشهرة بحيث تجاهلوا بجانبه المعنى اللغوي العام الوارد في القرآن والسنة ، وقد استخدم المفسرون من المتكلمين وكثير من الصوفية والباطنية التأويل بهذا المعنى في تفسير مذاهبهم (1) .

وربما يعرف هذا التأويل فى الاصطلاحات المتأخرة بالمجاز اللغوى المقابل للحقيقة ، وهذا النوع يقبل بشروط معينة ، أو أحكام موضوعة لمعرفة الدلالة المجازية للألفاظ ، ولا بد من الالتزام بها حتى يقبل ، ويتمثل أهمها فيما يلى :

1- بيان أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازى ، وأن ذلك المجاز مما يراد من اللفظ ، لأن لغة القرآن يجب أن تفسر فى ضوء العرف اللغوى العام الذى كان سائدا فى عصر نزوله .

2- أن يكون هناك دليل قاطع فى وجوب صرف اللفظ وتأويله من الحقيقة إلى المجاز ، لأن المتأخرين اشتروا فى التأويل وحمل اللفظ على المعنى المجازى ، وجود الدليل الصارف له عن الحقيقة ، ولا بد أن ذلك الدليل

---

1. انظر بتوسع ، قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية ، رسالة ماجستير للدكتور محمد السيد الجليند ، دار العلوم جامعة القاهرة رقم 113 ، 1970م ص 153 وما بعدها .

قاطعا فى دلالاته .

3- لا بد أن يسلم الدليل عن المعارض ، فإذا قام دليل قرآنى أو فطرى يبين أن الحقيقة مراده ، امتنع تركها ، فإذا كان الدليل نصا فى الدلالة ، لم يلتفت إلى نقيضه ، وإن كان ظاهرا ، فلا بد من المرجح ، وعدم علمنا بوجود الدليل المعارض لا يدل على عدم

وجوده ، بل قد يكون هناك دليل يمنع الصرف إلى المجاز ولكن لا نعلمه .

4- إذا تكلم الرسول بكلام وأراد به خلاف ظاهره ، فلا بد أن يقرن بخطابه دليلا آخر يبين أن الحقيقة غير مرادة ، ولا سيما في الخطاب عن الأمور الغيبية ، التي يطلب من العبد فيها الإيمان بها ، والاعتقاد بما جاءت به فقط ، وهذا ما يسميه علماء البيان بالقرينة المانعة من إيراد المعنى الأصلي للفظ ، وإذا لم ينصب لهم الرسول دليلا على ذلك ، فيكون خطابه للأمة من باب التلبيس والتدليس وليس من باب الهدى والبيان والرسول يتزهون عن ذلك ، وإذا أقام دليلا على إرادة المجاز لا الحقيقة فلا بد أن يكون دليلا بينا وواضحا ظاهرا بنفسه ، ولا يجوز أن يحيلهم في ذلك إلى دليل خفى لا يفهمه إلا بعض الناس وخاصتهم ، لا سيما إذا كان ذلك فيما يتعلق بالأمور الإلهية التي هي أساس الاعتقاد ، حتى لا يكون خطابه في ذلك أشبه بالأحاجي والألغاز (1) .

---

1. رسالة الحقيقة والمجاز لابن تيمية ص9 ، وانظر منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز إعداد محمد الأمين المختار الشنقيطي ، تحقيق أبو حفص سامي بن العربي =

فإذا اختلف واحد من هذه الشروط سقط الإفهام والبيان من الخطاب ، لأن الخطاب فائدته تتوقف على أمرين :

الأول : حسن بيان المتكلم عما في نفسه من المعاني بالألفاظ الدالة على ذلك .

الثاني : تمكن السامع من الفهم وحسن تقبله للخطاب ، فإذا افتقد أحد هذين الأمرين لم يحصل المطلوب ولا يكون للخطاب فائدة ما وكان الخطاب نوعا من العبث (1) .

### • أنواع التأويلات الباطلة :

ويمكن حصر أنواع التأويلات الباطلة الممقوتة ، التي تخالف مقتضى اللغة فيما يأتي :

[1] - كل تأويل لا يحتمله اللفظ في أصل وضعه ، وكما جرت به عادة الخطاب بين العرب ، كتأويلهم لفظ الأحد في قول الله تعالى : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص/1] بأنه مجرد من الصفات ، أو هو الذى لا جزء له ولا قسيم له فإن هذا غير معروف في لغة العرب .

[2] - كل تأويل لا يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص من تشنية وجمع وإن جاز أن يحتمله اللفظ في تركيب آخر ، كتأويلهم قوله تعالى : { قَالَ —

= مكتبة السنة ص 26:60 بتصرف ، وانظر أيضا المجاز في القرآن بين مثبتيه ونافيه إعداد عبد السلام محمد وفا ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1986م .

1. انظر قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية ص181 .

يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ { [ص/75] بأن اليدين هما القدرة أو النعمة ، فإن لفظ اليد مفردا وعند إطلاقه قد يحتمل

أحد هذين المعينين ، أما وهو في صيغة التثنية ، وفي هذا التركيب بالذات ، فإنه لم يرد في لغة العرب بهذا المعنى .

[3] - كل تأويل لا يحتمله السياق المعين ، وإن جاز في غيره ، كتأويلهم قوله تعالى : { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } [الأنعام/158] ، بأن إتيان الرب هنا معناه إتيان بعض آياته ، أو إتيان أمره ، فهذا التأويل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال .

[4] - كل تأويل لا يؤلف استعمال اللفظ في ذلك المعنى المراد في لغة المخاطب ، وإن كان مألوفاً كاصطلاح خاص ، كتأويل لفظ الأفول بالحركة في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ } [الأنعام/76] ، فإن هذا غير معهود في لغة العرب ، بل المعهود الأفول بمعنى الغياب ، فلا يجوز حمل آية من القرآن عليه لأنه نوع من التلبيس .

[5] - التأويل الذى لا دليل عليه من سياق أو قرينة ، لأن هذا لا يقصده المتكلم الذى يريد في خطابه هداية الناس والبيان لهم (1) .

---

1. مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص43 وما بعدها .

## . تفسير الصوفية للقرآن :

عرف التفسير الصوفي بالتفسير الإشارى ، ويتمثل على زعمهم فى أن يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر ، ربما تحتمله الآية الكريمة ولكنه لا يظهر للعامة من الناس ، وإنما يظهر لخاصتهم ومن فتح الله قلبه وأنار بصيرته وسلكه ضمن عباده الصالحين ، الذين منحهم الله الفهم والإدراك ، وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبى الذى ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم الوهبى الذى هو أثر التقى والاستقامة والصلاح ، كما قال تعالى :

{ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة/282] .

والتفسير الصوفى يعتمد أساسا على أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة ، وعلم الشريعة علم المجاهدة ، وعلم الحقيقة علم الهداية ، وعلم الشريعة علم الآداب وعلم الحقيقة علم الأحوال ، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله ، يقول السلمى فى مقدمة تفسيره عن الباعث لإقدامه على كتابة تفسير القرآن :

( لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا فى أنواع فرائد القرآن ، من قراءات وتفسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ ومنسوخ ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة ، أحببت أن أجمع حروفا

أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك وأرتبه  
على السور حسب وسعى وطاقتي (1) .

---

1. تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبي =

ويقول سهل بن عبد الله التستري في تفسيره ، وهو أول ما ظهر  
للصوفية من تفسير للقرآن : ( ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة  
معان ، ظاهر وباطن وحد ومطلع ، فالظاهر التلاوة ، والباطن  
الفهم والحد حلالها وحرامها والمطلع إشراف القلب على المراد بها  
فقها من الله عز وجل ، فالعلم الظاهر علم عام ، والفهم لباطنه والمراد  
به خاص ) (1) .

وقد ظهر أيضا تفسير ثالث للعبد الكريم القشيري سلك فيه  
مسلك الصوفية في إدراك الإشارات التي يراها الصوفي خلف آيات  
القرآن ، وسماه لطائف الإشارات ، قال عن الباعث لتأليفه :

( وكتابتنا هذا يأتي على طرف من إشارات القرآن على لسان  
أهل المعرفة إما من معاني قولهم أو قضايا أصولهم ، سلكنا فيه طريق  
الإقلال خشية الملل مستمدين من الله تعالى عوائد المنة ، متبرئين من  
الحول والمنة مستعصمين من الخطأ والخلل ، مستوثقين لأصوب القول  
والعمل ) (2) .

ولم يظهر في تاريخ التفسير الإشارى حتى القرن الخامس ، أهم من  
حقائق التفسير للسلمى ، ولطائف الإشارات للقشيرى وإن كان  
القشيرى قد استفاد —

= عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمى رسالة ماجستير ، إعداد سلمان نصيف جاسم  
التكريتي ، مكتبة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة سنة 1975م ص22 .

1. تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله ، مطبعة السعادة ، سنة 1908م ص61 .

2. لطائف الإشارات ، للقشيرى ، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ،  
الطبعة الثالثة ، القاهرة ، سنة 1981م ، 41/1 .

من السلمى فائدة كبرى واقتبس منه كثيرا من آرائه (1) .

وقد ظهر تفسير القرآن المنسوب لابن عربى ، ولكنه فى الحقيقة  
للكاشانى السمرقندى ، ويعد هذا التفسير أهم تفسير إشارى بعد  
اللطائف ، قال مؤلفه فى مقدمته : ( ما نزل من القرآن آية إلا ولها  
ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ومطلع ، فالظهر هو التفسير ،  
والبطن هو التأويل ، والحد هو ما تنهى إليه الفهوم من معنى الكلام  
، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام ) (2)

ويمكن القول باستقراء التفسيرات الصوفية السابقة أن السمة  
الغالبة فى التفسير الإشارى لدى الصوفية تتمثل فيما يلى :

(1- أن للقرآن ظاهرا وباطنا ، وأن الظاهر للعوام والباطن لا  
يدركه إلا الخواص وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهى ينير  
بصائرهم ، ويكشف لهم على زعمهم عن معارف لدنية مباشرة .



(2- أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى فى بدايته وفى طرائقه وفى غاياته ، فضلا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل ، فالعالم لا بد أن يكون عاملا وعمله هو جهاده ورياضاته التى تؤدى إلى

- 
1. تاريخ أدبيات در إيران للدكتور ذبيح الله صفا الطبعة الثالثة سنة 1339 هـ 257/2 .
  2. تفسير ابن عربى 4/1 وانظر تحقيق نسبه فى تفسير المنار 18/1 ، ومحيى الدين بن عربى مفسرا ، إعداد حامد محمود الزفرى ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة 1972م ص 174.

صقل إرادته وشحذ همته وتنقية مرآته الباطنية من كل شائبة ، فالتفسير عموما ليس تفسيرا مباشرا ، بل يسلك تزكية النفوس وتطهير القلوب والحث على التحلى بالأخلاق الفاضلة .

(3 - أن التفسير الإشارى وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية إلا أنه لم تخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور فى التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأى بالطريقة الاستنباطية ، أو تفسيرات تعتمد على معانى الألفاظ والتفسيرات بلاغية .

(4- تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعانى والمصطلحات الصوفية التى تكشف عن طريقتهم وتجربتهم ، لا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات .

5) - ومع ما فيها من معاني تقبل بصعوبة ، أو يلتبس لها وجهها تحمل عليه بمشقة ، إلا أن هناك معان مشكلة تصل في بعض الأحيان إلى الكفر والزندقة .

6) - لم تسلم هذه التفسيرات من الإسرائيليات ، والاستشاد بغير القرآن والسنة ، ولم تتبع الدقة في تحرى ثبوت الحديث ، أو مراعات التعليق على الأسانيد ، وكذلك لم تخل من فكر باطنى (1) .

---

1. انظر الموافقات للشاطبي 403/3 وما بعدها ، وانظر أيضا في التفسير الصوفي للقرآن إعداد حسن عبد التواب رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة ، سنة 1972م ص 144 .

### أدلة المجيزين للتفسير الإشارى :

استدل الصوفية بكثير من الآيات القرآنية العامة ، التي تدعو إلى التدبر وفهم كتاب الله بالتأمل وحسن الاستماع ، كقوله تعالى :  
{ الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } [البقرة/1:3] وكقوله :

{ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } [النساء/78] ، والمعنى لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب ، ولم يرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام وكقوله تعالى : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد/24] حيث دل على أن ظاهر المعنى شئ وهم عارفون به لأنهم عرب ، والمراد هو شئ آخر وهو الذى لا شك

فيه أنه من عند الله ، والتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد ،  
وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن ، فلم يحصل منهم  
تدبر ، وكقوله تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ  
أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] ، وقال أبو سعيد الخراز : ( أول  
الفهم لكتاب الله عز وجل العمل به ، لأن فيه العلم والفهم  
والاستنباط ، وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة لقوله عز وجل : {  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }  
[ق/37] (1) .

ويواصل السراج الطوسي استدلاله على التفسير الإشاري فيقول  
: ( وقال تعالى : { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } [الزمر/18]  
فالقرآن كله حسن —

1. اللمع في التصوف للسراج الطوسي ص 113 .

ومعنى اتباع الأحسن ، ما يكشف للقلوب من العجائب عند  
الاستماع وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط (1) .

ومن السنة يستدلون بقوله ع : " لكل آية ظهر وبطن ولكل  
حرف حد ومطلع " (2) ، فلفظ الظاهر والباطن على زعمهم قرآنيان ،  
ولا يمكن الاعتراض على الفكرة القائلة بأن في القرآن ناحية واضحة  
تدرك في ضوء الاشتقاق ، وأن به ناحية أخرى ربما كانت أخفق  
وأعمق بالنسبة للأولى ، لأن هذه الفكرة يمكن أن تطبق في الواقع

على أى نص فكل نص له ناحية قريبة مباشرة تدرك بلا عناء ،  
وناحية أخرى تحتاج إلى عمل وجهد فى استيعابها وفهمها ، كما لا  
يمكننا أن ننكر أن الحقيقة الإنسانية الثابتة تشير إلى عدم تساوى  
الناس فى الفهم والإدراك ، وقد ظهرت تلك الحقيقة فى حياة الرسول  
ﷺ وصحابته الذين تفاوتت أقدارهم فى سرعة ومدى فهمهم للقرآن  
، وهذا يفسر ما أثر عنهم من تفسيرات مختلفة (3) .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : " كان عمر يدخلني  
مع أشياخ بدر فقال بعضهم : لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله  
؟ فقال : إنه ممن قد ———

1. اللمع فى التصوف للسراج الطوسى ص 113 .
2. لا أصل له ، ولم أجده فى كتب السنة مرفوعا إلى النبي ﷺ ولكنه أثر موقوف على عبد الله بن مسعود  $\text{ؓ}$  ولفظه قال : " إن القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع " انظر معجم الطبرانى الكبير رقم (8667) 136/9 .
3. انظر التصوف طريقا وتجربة ومذهبا للدكتور محمد كمال جعفر ص 157 بتصرف .

علمتم قال : فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم ، قال : وما أريته دعاني  
يومئذ إلا ليريهم مني ، فقال : ما تقولون في : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ  
وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } [النصر/1:2] حتى  
ختم السورة ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا  
وفتح علينا ، وقال بعضهم : لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئا ، فقال  
لي : يا بن عباس أكذاك تقول ؟ قلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت  
: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ

{ فتح مكة ، فذاك علامة أجلك } فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ  
كَانَ تَوَّابًا { [النصر/4:3] قال عمر ؓ : ما أعلم منها إلا ما تعلم " (1) .  
والشاهد هنا أن ابن عباس ؓ فهم من خطاب الله معني خفيا  
وراء ظاهر الألفاظ لم يدركه عامة الصحابة في مجلسهم ، وهذا  
يشبه عمل الصوفية في التفسير الإشاري .

ومثله أيضا ما روى عن أبي سعيد الخدري ؓ أن رسول الله ﷺ جلس  
على المنبر فقال : " إن عبدا خيره الله بين أن يؤتاه من زهرة الدنيا  
ما شاء وبين ما عنده فاختر ما عنده ، فبكى أبو بكر وقال :  
فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا له وقال الناس : انظروا إلى هذا  
الشيخ ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتاه من زهرة  
الدنيا وبين ما عنده ، وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول  
الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر هو أعلمنا به .

وقال رسول الله ﷺ : إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا

بكر ، ولو —

1. أخرجه البخارى برقم (4043) 1563/4 .

كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام ،  
لا ييقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر " (1) .

فأبو بكر الصديق فهم بطريق الإشارة ما لم يفهمه عامة الصحابة  
وأسعد بذلك رسول الله ﷺ وكان الأمر كما قال .

وعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَرِهَ لَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ ، وَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ أُعْزَلُ عَنْ نَسْخِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ وَيَتَوَلَّاهَا رَجُلٌ وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ ، يُرِيدُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ τ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ اكْتُمُوا الْمَصَاحِفَ الَّتِي عِنْدَكُمْ وَعُغْلُوهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : { وَمَنْ يَعْلُنْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران/161] فَالْقُوا اللَّهَ بِالْمَصَاحِفِ (2) .

فالغلول ، وهو إخفاء الغنائم طمعا قبل تقسيمها فعل المجرمين ، وظاهر الآية ورد في عقابهم وفضحهم يوم القيامة ، وقد استخدمها ابن مسعود τ بطريق الإشارة فيمن غل القرآن وأخفاه ، ويرد عليهم بأن الصحابة انكروا عليه ذلك فقال الزُّهْرِيُّ :

( فَبَلَغَنِي أَنَّ ذَلِكَ كَرِهَهُ مِنْ مَقَالَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رِجَالٌ مِنْ أَفْضَلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ( ε ) ) (3) .

1. أخرجه البخارى برقم (3691) 1417/3 .

2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3104) 282/5 حسن صحيح .

3. السابق 282 /5 .

. آراء العلماء فى التفسير الإشارى :

اختلف العلماء فى التفسير الإشارى ، وتباينت فيه أراؤهم فمنهم من أجازوه ومنهم من منعه ، ومنهم من عدّه من كمال الإيمان ومحض

العرفان ، ومنهم من اعتبره زيغا وضلالا وانحرافا عن دين الله تبارك وتعالى .

والواقع أن الموضوع دقيق يحتاج إلى بصيرة وروية ونظرة إلى أعماق الحقيقة ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى والتلاعب في آيات الله كما فعل الباطنية والشيعة<sup>(1)</sup> ، فيكون ذلك من قبيل الزندقة والإلحاد ، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله تعالى يعز أن يحيط به بشر إحاطة تامة ، وأن كلامه تعالى وضعت فيه مفاهيم وأسرار ودقائق وعجائب لا تنقضى على مدار الأزمان ، ويتوالى إعجازه مرة بعد أخرى ، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان ، كما نسب السيوطى إلى ابن عباس رضى الله عنهما : " إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون ، لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى ، أخبار وأمثال —

1. انظر للمقارنة والتوسع في هذه النقطة ، الفكر السياسى عند الباطنية وموقف الغزالي منه ، إعداد أحمد عرفات أبو الحسن القاضى رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة 1988م ، الفصل الخاص بحيل الباطنية وأصناف المتبعين لهم ص 217:19 . ومذهب التأويل عند الشيعة الباطنية ، دراسة تحليلية نقدية ، إعداد محمد محمود عبد الحميد رسالة ماجستير بالموضع السابق سنة 1983 ، وانظر أيضا الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ومنهجهم فى التفسير إعداد محمد محمد إبراهيم العسال ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1981م .

وحلال وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ،  
فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء وجانبوا به  
السفهاء " (1) .

ويمكن أن نعرض أهم آراء العلماء التي نسترشد بها في تحديد  
شروط قبول التفسير الإشارى فمن ذلك :

(1- رأى ابن الصلاح : ينقل ابن الصلاح عن الإمام أبي الحسن  
الواحدى المفسر أنه قال : ( صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق  
التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر ) ثم يعقب على  
ذلك بقوله : ( وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شئ  
من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح  
للكلمة المذكورة من القرآن العظيم ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد  
سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن  
فإن النظير يذكر بالنظير ومن ذلك ، قتال النفس فى الآية المذكورة  
فى قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ  
{ [التوبة/123] فكأنه قال : أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ومع  
ذلك فياليتهم لم يتساهلوا فى مثل ذلك لما فيه من الإلهام والإلباس )  
(2)



(2- رأى الشاطبي : يقسم الشاطبي الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الطاهرة وأصحاب البصائر إذا صحت على كمال شروطها على ضربين :

1. الإتيان في علوم القرآن 185/2 .

2. انظر فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه ، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعجي ، الطبعة الأولى ، دار الوعي ، سوريا 1403 هـ ، 29/1 .

1- ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات ، فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذى يخرق من البصيرة في حجب الأكوان من غير توقف ، فإن توقف فهو غير صحيح حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك .

2- ما يكون انفجاره من الموجودات كلياً أو جزئياً ويتبعه الاعتبار في القرآن .

فإن كان الأول فهذا الاعتبار صحيح وهو معتمد على فهم باطن القرآن من غير إشكال ، وإن كان الثانى فالتوقف على اعتباره في فهم باطن القرآن لازم وأخذه على إطلاقه ممتنع لأنه بخلاف الأول (1) .

(3- رأى تاج الدين بن عطاء الله : ويعتبر ابن عطاء الله تفسير الصوفية لكلام الله ورسوله ع بالمعاني الغريبة ، ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان ، وثمة أفهام باطنة تفهم عند الآية

والحديث لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر  
وبطن ، فلا يصدنك عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو  
جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله ورسوله ، فليس ذلك بإحالة  
وإنما يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك  
بل يقرون بالظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن  
الله ما أفهمهم (2) .

(4- رأى حاجي خليفة : يرى حاجي خليفة أن التصوف علم

يعرف به —

1. الموافقات في أصول الشريعة للإمام الشاطبي ، المطبعة التجارية بمصر ، 272/3 .
2. الإتقان للسيوطي 314/2 ، والأثر المذكور موقوف على عبد الله بن مسعود ؓ وقد تقدم تحريجه ص 114 .

كيفية رقي أهل الكمال من النوع الانساني في مدارج سعادتهم  
، والأمور العارضة لهم في درجاتهم ، بقدر الطاقة البشرية ، وأما التعبير  
عن هذه الدرجات والمقامات كما هو حقه ، فغير ممكن لأن  
العبارات إنما وضعت للمعاني التي وصل إليها فهم أهل اللغات ،  
وأما المعاني التي لا يصل إليها إلا غائب عن ذاته فضلا عن قوى بدنه  
، فليس يمكن أن يوضع لها ألفاظ ، فضلا عن أن يعبر عنه بألفاظ ،  
فكما أن المعقولات لا تدرك بالأوهام والموهومات ، لا تدرك  
بالخياليات ، والتخييلات لا تدرك بالحواس ، كذلك ما من شأنه أن  
يعاين بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين ، فالواجب على من

يرد ذلك أن يجتهد في الوصول إليه ، بالعين دون أن يطلبه بالبيان فإنه طور وراء طور العقل (1) .

(5- رأى سعد الدين التفتازاني : في شرحه للعقائد النسفية وتحت قول النسفى : ( النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعها أهل الباطن إلحاد ) علق سعد الدين التفتازاني بقوله : ( سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم فى ذلك نفى الشريعة بالكلية ، وأما ما يذهب إليه بعض المحققين بأن النصوص على ظاهرها ، ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف عن أرباب

---

1. كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، تأليف مصطفى بن عبد الله ، المشهور بحاجى خليفة ، نشرة المستشرق جوستاف فلويجل ، طبعة مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ 413/1 ، وكلام حاجى خليفة يفتح بابا لا يغلق لتلبس للباطنية وتراهاات الصوفية ، وكل من اكتسى بزيمهم .

السلوك ، يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهى من كمال الإيمان ومحض العرفان ) (1) .

(6- رأى محى الدين ابن عربى :

يقول : ( وكما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه ، كان تنزيلا للفهم على قلوب بعض المؤمنين ، والأنبياء ما قالت على الله مالم يقل لها ، ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا أفكارها ، ولا

تعملت فيها ، بل جاءت من عند الله ، قال تعالى : { تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت/42] وقال فيه : { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ } [فصلت/42] ، وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله لا من فكر الإنسان ورؤيته ، وعلماء الرسوم يعلمون ذلك ، فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به أحق بشرحه ، وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم فيكون شرحه أيضا تنزيلا من عند الله على قلوب أهل العلم كما كان الأصل ) (2) .

(7- رأى أبى حامد الغزالي :

---

1. العقائد النسفية وشرحها لسعد الدين التفتازاني ص 143 .

2. الفتوحات المكية 1/280 ، وينبغي التنبيه على أن ابن عربي يقول هذا الكلام كخطاب لأهل الظاهر ، أما حقيقة مذهب ، فكلام الصوفية وغيرهم في القرآن وغيره هو كلام الله على اعتبار أنه تجلى في هذه التعينات فتنبه ، انظر المزيد عن رأى ابن عربي في التفسير الإشارى للقرآن ، محى الدين بن عربي مفسرا ، إعداد حامد محمود الزفرى ، رسالة دكتوراه ، بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر ، القاهرة سنة 1972م .

يقول الغزالي : ( لا تظنن في ضرب الأمثال ، فرصة منى في رفع الظواهر واعتقادا في إبطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله : { فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ } [طه/12] حاشا لله فإن إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بعين عوراء إلى أحد العالمين ، وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما ، فلم يفقهوا وجهه ، كما أن إبطال الأسرار مذهب الحشوية ، فالذى مجرد الظاهر حشوى ،

والذى مجرد الباطن باطنى ، والذى يجمع بينهما كامل ، بل أقول :  
موسى فهم من خلع النعلين اطرح الكونين ، فامثل الأمر ظاهرا بخلع  
النعلين وباطنا بخلع الكونين (1) .

(8- رأى الأستاذ محمد عبد العظيم الرزقاني :

يرى الرزقاني أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك  
الإشارات والخواطر ، فدخل فى روعهم أن الكتاب والسنة بل  
والإسلام كله ما هو إلا سوانح وواردات على هذا النحو من  
التأويلات والتوجيهات ، وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخييلات ، وأن  
المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح فلم يتقيدوا  
بتكاليف الشريعة ، ولم يحترموا قوانين اللغة العربية فى فهم أبلغ  
النصوص العربية ، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والأدهى من ذلك أنهم  
يتخيلون ويخيلون للناس أنهم هم أهل الحقيقة ، الذين أدركوا الغاية  
واتصلوا بالله اتصالاً —

1. مشكاة الأنوار ، لأبى حامد الغزالي ، تحقيق الدكتور أبى العلا عفيفى ، الدار القومية القاهرة  
1964م ، ص33 ، وتفسير الغزالي لخلع النعلين باطنا بخلع الكونين ، تعسف كبير ، فليس فى دلالة  
اللغة ولا قرينة الخطاب اطلاق الكونين وإرادة النعلين .

أسقط عنهم التكليف ، وسما بهم عن حضيض الأخذ بالأسباب  
ما دموا فى زعمهم مع رب الأرباب ، وهذا لعمر الله هو المصاب  
العظيم الذى عمل له الباطنية ، كيما يهدموا التشريع من أصوله  
ويأتوا بنيانه من قواعدة ، فواجب النصح لإخواننا المسلمين يقتضينا

أن نحذرهم الوقوع في هذه الشباك ، ونشير عليهم أن ينفضوا من أمثال تلك التفاسير الإشارية الملتوية ، لأنها كلها أذواق ومواجيد خارجة عن حدود الضبط والتقيد ، وكثيرا ما يختلط فيها الخيال بالحقيقة والحق بالباطل فالأحرى بالفطن العاقل أن ينأى بنفسه عن هذه المزالق وأن يفر بدينه من هذه الشبهات ، وأمامه في الكتاب والسنة وشروحهما على قوانين الشريعة واللغة رياض وجنات (1) .

(9- رأى الأستاذ محمد حسين الذهبي :

يقرر الذهبي أن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن ، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي ، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر ، غير أن المعاني الباطنية للقرآن ، لا تقف عند الحد الذى تصل إليه مداركنا القاصرة بل هى أمر فوق ما نطن وأعظم مما نتصور (2) .

يقول : ( أما المعنى الباطن فلا يقف على جريانه على اللسان وحده بل لا بد فيه مع ذلك إلى نور يقذفه الله تعالى فى قلب الإنسان ، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير ، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرا خارجا عن مدلول —

1. مناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى ، طبعة عيسى البابى 1953م ، 558/1 .

2. التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ، دار الكتب الحديثة 22/3 .

اللفظ القرآنى ) (1) ويقول أيضا : ( أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يحدوه كما اعترفوا

بباطنه ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنية خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فبينما تجد لهم أفهاما مقبولة تجد لهم بجوارها أفهاما لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع ) (2) .

والخلاصة في رأى الذهبي أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلة قدم لمن يعرف مقاصد القوم ، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم ولم يذيعوها على الناس فيوقعهم في حيرة واختلاف ، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه ، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافها ربما كذب بها أو أشكل عليه ومنهم من يكذبها على الإطلاق ويرى أنها تقول على الله وبهتان ، إذن ليتهم ما فعلوا ذلك ، إذن لأراحونا من هذه الحيرة وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله (3) .

(10 - رأى الدكتور محمد كمال جعفر :

ويرى الدكتور جعفر أنه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنه من الطبيعي أن لا يقف الصوفي عند المعاني التقليدية في أى من القرآن أو السنة قولاً وعملاً ، لأنه ليس كالفقيه أو العالم الذى يعتمد على النظر العقلى فحسب ، لأن ذلك لا —

1. السابق 22/3 .

2. السابق 22/3 .

2. السابق 42/3 .

يشبع رغبته ولا يمد روحه بالزاد الضروري ، بل إنه يتعمق إلى معان وراء المعنى الظاهر المباشر ، وإن لم يكن من الضروري أن تكون هذه المعانى العميقة متناقضة مع تلك المعانى الظاهرية ، ويشير الدكتور جعفر إلى نقطة هامة ، وهى أن القرآن بالنسبة للصوفى يحمل حقيقتين متساويتين فى الأهمية ، فهو من جهة وحى تاريخى اتخذ وضعه فى الزمان والمكان المحددين ، وهو من جهة أخرى النبع الفياض الذى لا تنفذ حقائقه الإلهية الصادرة عن الله جل جلاله ، وهو لا متناه لأنه كلام الموجود الذى لا يتناهى ، والمعانى الباطنية لكلماته غير متناهية كذلك أيضا (1) .

كما أن الصوفى المتأمل قد يصل إلى مرحلة يدرك فيها أعمق المعانى الروحية فى القرآن ، وهذه الفكرة فى حد ذاتها بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى قد تثير صعوبات ، بحيث أنها تؤدى إلى أن يكون تفسير القرآن مختلفا باختلاف الذوات المشتركة فيها أى أن يكون الموقف موقفا ذاتيا مما ينتج بدوره تفسيرات متعارضة ويؤدى إلى اضطراب كبير ، ولكن الحقيقة أن الصوفية فعلا يرون أن تعدد التفسيرات أمر حتمى ، لأن معانى القرآن لا نهائية وتتكشف لكل صوفى حسب طاقته الروحية وحسب فضل الله يؤتيه من يشاء ،



وليس فى ذلك أى ضير ما دام هذا متصلا بالمعانى الكمالية التى لا تتجاوز حدود المعانى المباشرة المتفق عليها (2) .

1. التصوف طريقا وتجربة ومذهبا 1970م ص 157 .

2. من التراث الصوفى لسهل بن عبد الله التستري ، ص 109 .

. آراء المستشرقين فى التفسير الصوفى :

وقبل النظر والتعقيب على الآراء السابقة فى التفسير الإشارى نستخلص منها ما يمكن أن نصل إليه فى تقرير شروط التفسير الإشارى ، تجدر الإشارة إلى رأى بعض المستشرقين الغربيين من قبيل المقارنة المؤثرة فى توجيه الآراء إلى الأفضل .

ففى المستشرق نكلسون أستاذ مدرسة كمبردج الاستشراقية يصرح بأن التفسير الصوفى يشابه التفسير الشيعى وكلاهما عنده من التأويلات المغرضة التى تتلاعب بالنصوص ، فىقول :

( استطاع الصوفية متبعين فى ذلك الشيعة ، أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا يلائم أغراضهم على أن كل آية بل كل كلمة من القرآن تحفى وراءها معنى باطنيا لا يكشفه الله إلا لخاصة العباد ، الذين تشرق هذه المعانى فى قلوبهم وفى أوقات وجدهم ، واعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم الله أسرار علم الباطن المودعة فى القرآن والحديث ، وأنهم استعملوا فى التعبير عن هذا العلم لغة الرمز والإشارة ، التى لا يقوى على فهمها غيرهم من



وفيه رموز ودلالات لكل ما أشكل من ذلك على النظر ، ومهمة التفسير هي استخراج كل ذلك العلم من الكتاب والتعمق في تفصيله ، ووراء هذه المعاني الظاهرة يحتجب المعنى الباطن وتسكن أسرار القرآن التي ينبغي البحث عنها بتغلغل ونفاذ أعمق من ذلك ، ولن يترتب على ذلك القضاء على ظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه ، وإذا كان التفسير الصوفي فيه تجاوز للتفسير المنقول المحدود في حرية لا توقفها قيود ، ومع استخدام أمثلة بعيدة المدرك والمورد في الغالب في الكشف عن أفكار الورى إلا أن أثر في التغلغل إلى ما وراء المسموع —

1. انظر الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامى ، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ص19 وما بعدها .

والمنقول من المعاني المقصودة في كلام الله والمكونة في حجبها والتي لا يعقلها إلا العالمون (1).

ويرى المستشرق هنرى كوربان أن المستمع للكلام الإلهى يحق له أن يفهم منه كل شئ ، وفي أى حقل من المعرفة وفي أى درجة من العمق والخفاء شرط ألا يتجاوز فهم السامع ، ولا يتعدى التفسير من محتوى الكلام ودلالاته الوصفية حقيقة ومجازا وكناية حيث أن علم الله عين ذاته (2) ولا حد له وسع كل شئ علما (3) .

---

1. مذاهب التفسير الإسلامى للمستشرق إجناز جولد تسهير ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، طبعة دار الكتاب العربى سنة 1959م ص207 .

2. القول بأن علم الله عين ذاته نقلها كوربان عن الفكر الاعتزالى الذى بنى على إثبات الأسماء ونفى الصفات ، ومعنى ذلك أنهم أثبتوا وجود الذات بلا صفة ، وجعلوا أسماء الله الدالة على ذاته أسماء بلا مسمى أى فارغة من الأوصاف فقالوا : عليم بلا العلم وسميع بلا سمع وهكذا ، وهذا مخالف للأصول القرآنية والنبوية لأن الصفات قائمة بالموصوف وليست عينه ، وهى ثابتة لله عز وجل وليس كمثل شئ لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فإذا كان لذات الله وجود حقيقى لا يماثل سائر الذوات من المخلوقات فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات ، انظر المزيد فى هذه النقطة ، موقف القاضى عبد الجبار المعتزلى من آراء الأشعرية إعداد محمد عبد الفتاح إمام ، رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1983م ص194 وما بعدها .

3. تاريخ الفلسفة الإسلامية ، القسم الأول ، تأليف المستشرق هنرى كوربان ، ترجمة حسن قيسى وزميله ، الطبعة الأولى 1966 م بيروت ص10 .

## . شروط قبول التفسير الصوفى :

يرى الدكتور محمد كمال جعفر أنه لا بد قبل تقرير شروط قبول التفسير الصوفى التنبه إلى أن التفسير الصوفى يرتبط بنوعية اعتقاد المفسر ، ويمكن إجمال تفسيراتهم فى نوعين :

(1- التفسير النظرى : وهو التفسير المبني على نزعة فلسفية حيث تتوجه الآيات القرآن لديهم وفق نظرياتهم وتتفق مع تعاليمهم .

(2- التفسير الإشارى : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ولا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .

والفرق بين التفسير النظرى و التفسير الإشارى فى أثرهما على تفسير القرآن أن التفسير النظرى يبنى على مقدمة علمية تنقدح فى ذهن الصوفى أولاً ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك ، أما التفسير الإشارى فلا يركز على مقدمات علمية بل يركز على مجاهدات رياضية ، يأخذ الصوفى نفسه بها حتى يصل إلى درجة إيمانية تنكشف له فيها من سبل العبارات هذه الإشارات ، وتتوالى على قلبه تحليل الآيات من المعانى الربانية .

كما أن التفسير الصوفى النظرى يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من معانى وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل عليه إلا هذا ، على حسب طاقته أما التفسير الإشارى فلا يرى الصوفى أن كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شئ ذلك المعنى الظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره .

ويرى الدكتور جعفر فى شرطه لقبول التفسير الصوفى أن تأويل الصوفية للقرآن أو الفهم الخاص له إذا خلا من أى هدف سياسى أو اجتماعى ، سواء كان لرد اعتبار أو كوثيقة أمن أو بسط سلطان أو كسب ثروة أو احتفاظ بمراكز نفوذ تتعلق بأشخاص أو بجماعات ، إذا لم يكن له مثل هذا الهدف وإذا كان لا يعارض نصوص قرآنية أخرى ، ولا يعارض الاستعمال العربى ، ولا يؤدى إلى تحريف أو

انحراف ، وإذا كان وجوده يضيف ثروة روحية أو عقلية ، وإذا كان لا يدعى من السلطة ما يجعله أمرا ملزما ، بفرض واحدته في الأحقية ، إذ كان كذلك فهو تأويل مقبول ، ليست له غاية إلا تعميق الفهم عن الله الذى ما زال كتابه منبعا لا يغيض ومعينا لا ينضب للحقائق والأسرار (1) .

ومن ثم وبناء على ما سبق من الآراء يمكن تقرير الشروط التى يقبل بها التفسير الصوفى فى العناصر الآتية :

1- ألا يكون التفسير الصوفى منافيا للظاهر من النظم القرآنى الكريم .

2- أن يكون له شاهد شرعى يؤيده .

3- ألا يكون له معارض شرعى أو عقلى .

4- ألا يدعى أن التفسير الصوفى هو المراد وحده من الظاهر .

5- ألا يكون التأويل بعيدا لا يحتمله اللفظ فيه تلبس على أفهام الناس .

فإذا توفرت هذه الشروط ، وليس للتفسير ما ينافيه أو يعاضه من الأدلة الشرعية ، جاز الأخذ به أو تركه ، لأنه من قبيل الوجدانيات ،

والوجدانيات —

1. التصوف للدكتور محمد كمال جعفر ص 26 .

لا تقوم على دليل نظري ، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق ، فيجده الصوفي من نفسه ويسره بينه وبين ربه ، فله أن يأخذ به أو يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحدا من الناس ، والأحرى ألا يسمى هذا اللون من الفهم تفسيرا وإنما يسمى ذكر النظر بالنظر الذي يعتبر صحيحا (1) .

. أمثلة على التفسير الإشاري يترك تقديرها للقارئ :

ما ذكره سهل بن عبد الله التستري في قوله تعالى : { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ } [الشعراء/80:81] قال : ( يعني إذ تحركت بغيره لغيره عصمني ، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني ، وقوله والذي يميتني ثم يحيي أي الذي يميتني بالغفلة ثم يحييني بالذكر ) (2) وفي قوله : { فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا } [النمل/52] قال : ( الإشارة في البيوت إلى القلب فمنها ما هو عامر بالذكر ، ومنها ما هو خرب بالغفلة ومن ألهمه الله عز وجل بالذكر فقد خلصه من الظلم ) (3) .

وقال في قوله تعالى :

{ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا —

2. تفسير القرآن العظيم ، لسهل بن عبد الله التستري ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى القاهرة سنة 1329هـ ، ص70.

3. السابق ص70 .

بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ { [الحجرات/9] .

ظاهرهما ما عليه من أهل التفسير ، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة ، فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح ، فليتقاتل العبد بسيف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالباً والهوى والشهوة مغلوباً (1) .

وأورد أبو نصر السراج الطوسي بعض الأمثلة التي ذكرها الصوفية من طريق الإشارة والاستنباط والفهم الصحيح ، وبين أنهم لم يقدموا فيها ما أقر الله تعالى ولا أخروا ما قدم الله ، ولا نازعوا الربوبية ولا خرجوا عن العبودية ولا يكون فيه تحريف الكلم ، منها قوله تعالى : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء/88:89] سئل عنه أبو بكر الکتاني فقال : القلب السليم على ثلاثة أوجه من طريق الفهم :

أحدها : هو الذي يلقي الله تعالى عز وجل وليس في قلبه مع الله شريك .

والثاني : هو الذي يلقي الله تعالى وليس في قلبه شغل مع الله عز وجل ولا يريد غير الله تعالى .



والثالث : الذى يلقى الله عز وجل ولا يقوم به غير الله عز وجل ،  
فنى عن الأشياء بالله ، ثم فنى عن الله بالله (2) .

ويعقب السراج الطوسى بقوله : ( معنى قوله : فنى عن الله بالله ،

يعنى يذهب —

1. السابق ص 91 .

2. اللمع فى التصوف ص 126 .

عن رؤية طاعة الله عز وجل ورؤية ذكر الله ورؤية محبة الله ، بذكر  
الله له ومحبه قبل الخلق ، لأن الخلق بذكره لهم ذكروه ، وبمحبه لهم  
احبوه ، وبقديم عنايته بهم أطاعوه (1) .

ومثل ما أشار الجنيد بن محمد سيد الصوفية فى عصره بقوله تعالى :  
{ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ } [النمل/88] ،  
إلى سكونه وقلة اضطراب جوارحه عند السماع ، وكذلك ما كان  
يشير به أبو على الروذبارى إذا رأى أصحابه مجتمعين فيقرأ :

{ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ } [الشورى/29] (2) .

وقال أبو القاسم القشيري فى قول الله تعالى : { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ  
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا  
يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا } [الإسراء/33] ، لا يجوز قتل نفس الغير  
بغير الحق ، ولا للمرأ أن يقتل نفسه أيضا بغير الحق ، وكما أن قتل  
النفس بالحديد وما يقوم مقامه من الآلات محرم ، فكذلك القصد  
إلى هلاك المرأ محرم ، ومن انهمك فى مخالفة ربه فقد سعى فى هلاك

نفسه ، وقوله : { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا } أى  
تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه ، وعلى معنى الإشارة إن  
النصرة من قبل الله ومنصور الحق لا تنكسر سنانه ولا تطيش سهامه  
(3) .

---

1. السابق ص 126.

2. السابق ص 129 .

3. لطائف الإشارات 346/2 .

إذا كان فهم المصطلح المعين الذى يرتكز على دلالاته الدقيقة والواضحة يشكل المدخل الصحيح لفهم أى علم من العلوم ، أو الحكم عليه بصورة موضوعية ، أو محاولة تطويره وتجنبيه المنازعات والمشاحنات اللغوية العقيمة فإنه من الضرورى أن يتزايد الاهتمام به يوما بعد يوم وبشكل مطرد ، ويرافق ذلك أيضا بحوث مكثفة ودراسات عميقة فى مواضيع الدلالة وقوانين اللغة ومعانى الحدود وغيرها ، كل ذلك وسائل لتأصيل العلوم وإعداد الأبحاث المتخصصة فى كل علم منها ، فدراسة أوجه الدلالة لمصطلح علمى ما يساعد بشكل فعال على معرفة هذا العلم واستغلاله (1) .

1- يمكن الرجوع لنوعية البحث فى الدراسات المتعلقة بالمصطلح العلمى والتوسع فى معرفة أساليب الصياغة والتراكيب الدلالية من خلال المراجع الآتية : علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ، طبعة مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت سنة 1982م ، ودلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1972م ، المصطلح العلمى وأساليب صوغه فى مصر فى العصر الحديث إعداد إبراهيم عبد المجيد عبد العزيز ضوه ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1985م ، دراسة فى توليد الألفاظ للدلالة على المعانى ، إعداد محمد إبراهيم حسن العفيفى رسالة ماجستير بمكتبة كلية اللغة العربية جامعة الأزهر القاهرة سنة 1979م ، المصطلحات النقدية فى التراث العربى حتى القرن السابع الهجرى لعبد=

ولما كان التصوف بوجه من الوجوه سلوكا له إطاره النظرى والتجربى ، فإن دراسة مصطلحاته تعين بشكل فعال فى التعرف عليه ، ومن ثم انشغل أغلب الذين كتبوا عن التصوف بمحاولة تقريبه إلى الآخرين ، وشرح الألفاظ الجارية على ألسنة الصوفية ، وحاولوا جاهدين فى وقت مبكر التنبيه على أن دلالة الألفاظ عندهم تحمل معان خاصة ، واصطلاحات مشتركة بين الصوفية دون غيرهم ، وقد أدرك أئمة الصوفية كما أدرك غيرهم من طوائف المجتمع الطبيعة النوعية لاصطلاحاتهم ، ولم يروا فى ذلك خروجاً عن قوانين اللغة ، لأن لكل علم من العلوم ألفاظه ومصطلحاته الخاصة ، والتي لا يفهم دلالتها الحقيقية إلا أبناء كل علم منها ، فقال القشيري منبها على هذه الحقيقة :

( إن لكل طائفة من العلماء ألفاظا يستعملونها ، انفردوا بها عن سواهم وتواطئوا عليها لأغراض لهم من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة فى الوقوف على معانيهم بإطلاقها ) (1) .

---

= المطلب عبد المطلب زيد رسالة دكتوراه بمكتبة كلية دار العلوم 1989م ، الأبعاد الدلالية للتركيب عند ابن تيمية ، إعداد أحمد طاهر عبد الرحمن رسالة ماجستير بالمكان السابق سنة 1994م ، الغموض فى الدلالة أنماطه وعوامله ووسائل التخلص منه ، إعداد محمد أحمد محمود حماد رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1986م ، دراسة دلالية للمصطلحات

الإسلامية في القرآن الكريم ، إعداد عودة خليل أبو عودة رسالة ماجستير بالمكان السابق سنة 1981م .

1. الرسالة القشيرية ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود 200/1 .

وربما أخفق بعض الدارسين الغربيين في دراساتهم للتصوف من الناحية النفسية ووصلوا إلى نتائج لا تتسم بالإيجابية ، بسبب أنهم كانوا يحدسون أنفسهم في أهداف مغرصة غير خالصة أو دائرة التجربة الحسية والمقاييس المادية في فهمهم لاصطلاحات الصوفية ، ولم يدققوا في الألفاظ التي عبر بها هؤلاء عن أحوالهم الوجدانية وتجاربهم الذاتية ، وأن تلك الألفاظ تعد من المصطلحات الخاصة التي لا تتصف بالعمومية .

ومن الضروري لكي يتصف البحث في مصطلحات الصوفية بالجدية والإيجابية أن يراعى الباحث الطبيعة النوعية في إشارات الصوفية وتحليل نفسياتهم عند النطق بالألفاظ ، فهؤلاء العلماء لا يدرسون الصوفية في الواقع كائنين بين أيديهم وإنما يكتفون بتحليل ما خلفه الصوفية القدامى من آثار أدبية ، مما يعني أن دراساتهم ليست دراسات مطابقة للحقيقة بمعنى الكلمة (1) .

ولا يعني ذلك استحالة دراسة غير الصوفي ألفاظ الصوفية بصورة علمية ، كما ذكر بعض الباحثين (2) ، وإلا لكانت ألفاظ الصوفية في طي الكتمان ، ولكان التصوف نكرة إلى الآن ، أو كانت ألفاظهم من قبيل الطلاسم والأحاجي التي —



ويعلل القشيري ذلك باختلاف حقائق التصوف عن حقائق هذه العلوم ، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أو مجلوبة بضرب تصرف بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرارهم (2) .

ويشير الشعراني إلى أن ألفاظ الصوفية تختلف عن ألفاظ العلوم الأخرى ، وأن فهم دلالات اصطلاحاتهم لا يستعصى على الصادقين من أبنائهم ، فالمريد الصادق إذا دخل مجلسا من مجالس الصوفية ، وليس عنده فكرة عما يتكلمون فيه من موضوعات ، وما يتحدثون به من ألفاظ وإشارات ، فإنه يفهم جميع ما يتكلمون به ، وكأنه واضح تلك الاصطلاحات والإشارات ، ويمكنه أن يشاركهم في الخوض في علومهم ، أما المرید الكاذب فمثله مثل علماء الظاهر —

1. الرسالة القشيرية 200/1 .

2. السابق 200/1 .

الذين يعجزون عن فهم كلام الصوفية ، ولا يعرف ذلك إلا بتوقيف ولا يسمح له قبل إخلاصه في الإرادة (1) ، ويرجع الشعراني عدم وضوح الدلالة في المصطلح الصوفي إلى أن الفقيه إذا لم يوفق يقال : إنه أخطأ ، أما الصوفي فإنه عندما لا يوفق يقال : إنه كفر ، لذلك كان لزاما على الصوفية استخدام الإشارات حتى لا يشتد إنكار العامة لهم (2) .

وعبر ابن الفارض عن دافع الرمز والإشارة بالخوف من الفهم غير المقصود الذى يمكن أن يترتب عليه إباحة دمه بقوله :

وعنى بالتلويح يفهم ذائق : غنى عن التصريح للمتعمت بها لم يبيح من لم يبيح دمه وفى : الإشارة معنى ما العبارة حدث (3)

وقد كان أبناء الطبقات الأخرى فى المجتمع يدركون غرابة تلك الألفاظ وغموض معانيها ، وقد ذكر الكلاباذى أن أحد المتكلمين سأل أبا العباس بن عطاء : ما بالكم أيها الصوفية قد اشتقتم ألفاظا أغربتم بها على السامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد ، هل هذا إلا طلب للتمويه أو ستر لعوار المذهب ؟ فقال : ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ولعزته علينا ثم اندفع يقول :

إن أهل العبارة سألونا : أجبناهم بأعلام الإشارة  
نشير بها فنجعلها غموضا : تقصر عنه ترجمة العبارة

---

1. اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ، للشعرانى ، دار المعرفة بيروت ، 3/1 .

2. السابق -1 ص9 .

3. ديوان ابن الفارض ، دار صادر ، بيروت ص83 ، ص84 .

ونشهدها وتشهدنا سرورا : له فى كل جارحة

إشارة



ترى الأقوال فى الأحوال أسرى : كأسر العارفين ذوى  
الخسارة (1) .

وقد نبه أئمة الصوفية إلى أن ألفاظهم وعباراتهم لا يقصد بها  
الدلالات الظاهرية وإنما يشيرون بها إلى معان باطنية ، وعلى من يريد  
أن يفهمها حق الفهم أن يلتمس المعنى الباطن ، ويصرف الخاطر عن  
المعانى الظاهرية يقول ابن عربى :

كل ما أذكره من طلل : أو ربوع أو مغان كل ما  
أو خليل أو رحيل وربما : أو رياض أو غياض أو حمى  
أو نساء كاعبات نهد : طالعات كشموس أو  
دمى

فاصرف الخاطر عن ظاهرها : واطلب الباطن حتى  
تعلمنا (2) .

ولما كانت الطبيعة النوعية لاصطلاحات الصوفية طبيعة رامزة ملغزة يصعب على غيرهم  
استيعاب دلالتها إنما تعرف عندهم عن طريق الذوق والكشف وهو من أهم خصائص علم  
الحقائق إلا فى الصوفية وحدهم ، لأن علم الحقائق كما يرى ثمرة العلوم كلها ونهايتها ،  
ويؤول بالضرورة فى النهاية إلى علم القلوب وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوف  
وعلم الأحوال والمعاملات —

1. التعرف لمذهب أهل التصوف الكلاباذى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، وطه 2 عبد الباقي  
سرور القاهرة طبعة عيسى الحلبي سنة 1960م ، ص 89 .
2. ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق لابن عربى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الكردى ، بيروت سنة  
1312هـ ص 5 .
3. ظهر الإسلام القاهرة لأحمد أمين ، دار النهضة العربية سنة 1961هـ ، 59/2 .

وهذا بحر واسع يفتقر إلى بحر مثله من الرموز والألفاظ ، كالمذكور في قوله تعالى : { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } [الكهف/٢٥] (١) .

فلما كان الأمر كذلك كان من الضروري أن يلتزم كل كاتب صوفي يسعى إلى تعريف الآخرين بالتصوف الكشف عن المعاني الخاصة لهذه الألفاظ ، لا سيما إذا كان ظاهرها مستشعرا في عرف الناس ، وباطنها سليما مستقيما عند الصوفية ، فتمهد بذلك وبصورة تلقائية الطريق لإعداد العملية المعجمية لاصطلاحات الصوفية .

فبدأ الأمر عند المشتغلين في التأليف عن التصوف قديما ، ثم تطور شيئا فشيئا ففى أقدم مرجع صوفي معروف ، رأينا السراج الطوسى في كتابه اللمع الذى يعد الكتاب الأم في تاريخ التصوف الإسلامى (٢) يفرد للمصطلح الصوفى جزءا كبيرا يشرح فيه الألفاظ الجارية في كلام الصوفية ويبين مقصودهم منها (٣) .

ويعد السراج الطوسى أول من تكلم في مصطلحات الصوفية وأول من أخذ بزمام المبادرة في وضع عمل مرجعى للتعرف على الألفاظ والمصطلحات ، ومن ثم فإنه من أصحاب الفضل في نشأة علم الاصطلاحات في الإسلام ، وقد أشار —

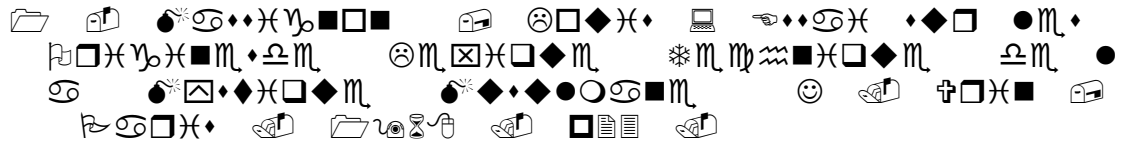
1. اللمع لأبي نصر السراج الطوسى دار الكتب الحديثة بمصر 1960 هـ ص 457 .
2. السابق ، مقدمة التحقيق للدكتور عبد الحليم محمود ص 10 .
3. السابق ص 409 : ص 452 .

المستشرق لويس ماسينيون إلى هذه النتيجة في بحثه عن المصطلح الفنى للتصوف الإسلامى (1) .

ثم يتكرر الأمر نفسه بطريقة أوسع عند مؤلف آخر من المؤلفين الراسخين في التصوف ، وهو أبو القاسم عبد الكريم القشيري في رسالته المشهورة ، فنراه يفرد بابا خاصا لتفسير ألفاظ الصوفية وشرح مدلولها (2) وتمتد السلسلة مرورا بأبي الحسن على بن عثمان الهجویری

(3) ، ثم أبي حامد الغزالي (4) ، فشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (5) .

ثم يبدأ الاصطلاح بالاستقرار والثبات على معناه ، ويكتسب دلالة النهائية ويدون في معاجم خاصة عند محي الدين بن عربي (6) وعبد الرزاق الكاشاني (7) —



2. الرسالة القشيري تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود 200/1 وما بعدها .
  3. كشف المحجوب للهجويري تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقي ص 443 وما بعدها .
  4. الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالي ، نسخة مطبوعة على هامش إحياء علوم الدين طبعة الحلبي 49/1 .
  5. عوارف المعارف للسهروردي دار الكتاب العربي بيروت سنة 1983م ، وطبعة أخرى ملحقة بإحياء علوم الدين دار الريان للتراث 330/5 .
  6. اصطلاحات الصوفية لمحي الدين ابن عربي ، طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن سنة 1948م .
  7. انظر لطائف الإعلام ، ومعجم اصطلاحات الصوفية ، ورشح الزلال .
- ويصبح جزءا لا يتجزأ من المصطلحات العلمية والفنية للحضارة الإسلامية مع الشريف الجرجاني في تعريفاته (1) ومحمد بن علي الفاروقى التهانوى في كشافه (2) .

وإذا كان بعض مؤلفي كتب الصوفية الأساسية ، لم يصنعوا جداول أو معاجم خاصة بالمصطلحات الصوفية ، لكنهم كانوا المصدر الذي

استمد منه مؤلفو المعاجم الفنية والعلمية والصوفية ، معاني المصطلحات التي ذكروها وقدموها .

ونظرا لأن البحث في هذه الرسالة يركز على معرفة الأصول القرآنية للمصطلحات الصوفية ، فإنه ليس من السهل تحديد المصادر والمراجع الضرورية لانتقاء المصطلحات الصوفية المرتبطة بالأصول القرآنية والمبنية عليها ، فالأمر لا يتناول استقصاء جميع المصطلحات الصوفية لإعداد معجم شامل ولكنه يمتد إلى استعاب المصطلحات ذات الصلة بالقرآن والسنة على وجه التفصيل ، لنصل من خلال أذواقهم ومواجيدهم إلى مفردات اللغة التي يتعامل بها الصوفية والألفاظ التي تناولها المصطلحون في أصل كلامهم ، فلعل واحدا من الصوفية وضع لفظا معينا على معنى معين ثم وافقه عليه الباقون ، أو ربما وضع أحدهم معنى معينا للفظ عام من مفردات اللغة حتى أصبح اصطلاحا خاصا ، أو لعله —

1. التعريفات للشريف الجرجاني طبعة مكتبة لبنان ، بيروت سنة 1978م .

2. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، طبعة طهران سنة 1947 ، وأربعة أجزاء تصل إلى فصل الباء من باب الصاد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق لطفى عبد البديع وعبد المنعم حسنين .

يتفق وضع أحد الصوفية للفظ على معنى معين ، واصطلاح عليه آخر بإزاء نفس المعنى ، أو ما يقرب منه ، من غير شعور لكل واحد بما وضعه الآخر ثم يشتهر الوضعان بينهم ، أو يذكر أحدهم لفظا مجملا

اشتهر بينهم وورد تفصيله عند آخر ، أو ربما حدث للاصطلاح تطورات دلالية متعددة حتى صارت مفاهيم محددة لكل مرحلة من مراحل الطريق .

ومن ثم كان من الضروري انتقاء المؤلفات التي تشكل أمهات الكتب الصوفية ثم الاستعانة بالمعاجم الصوفية القديمة والمعاجم العلمية التي تناول ألفاظ الصوفية أيضا ، هذا علاوة على تتبع أقوال الصوفية وإشارات أعلامهم في متفرقات ما أثر عنهم في التراث الصوفي ، ولذا انحصرت ينايع المصطلح الصوفي لهذه الرسالة في نوعين :

**النوع الأول :** المؤلفات الأساسية للذين كتبوا عن التصوف وفسروا ألفاظ الصوفية وعليها بنى أصحاب المعاجم الحديثة معاجمهم ، وقد تدرجت في انتقاء هذه المؤلفات حتى القرن العاشر الهجري ، لأن التأليفات التي حُقت بعد هذا التاريخ هي في مجملها إعادة وتبسيط للدلالات القديمة لهذه المصطلحات أو شروح لها وملخصات (1) .

وبعد الاطلاع على ما هو مشهور ومؤكد الأهمية في مضمار

التصوف في —

1. التصوف الإسلامي ، لركى مبارك ، طبعة الاعتماد ، القاهرة 1937م ، 378/1 وانظر الحياة الروحية في الإسلام للدكتور مصطفى حلمي ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1984م ، ص 197 .

تلك الحقبة التي تمثل فترة العزو والصفاء للتأليف في التصوف الإسلامي ، يمكن حصر الاختيار بعد تكلف وعناية شديدة في عشرة مؤلفات ، هذه المؤلفات شكلت في الغالب المظان التي سننهل منها معاني المصطلحات التي تتصل بالقرآن والسنة ، كما أنها جمعت في الغالب كامل المصطلحات التي تعارف المتصوفون على استعمالها ، وهذه المؤلفات المختارة مع ترجمة تفصيلية لمؤلفيها مرتبة وفقا للتسلسل التاريخي على النحو التالي :

(1- اللمع في التصوف ، لأبي نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السراج الطوسي ، أصله من طوس<sup>(1)</sup> ويعد من أكبر المؤلفين الصوفيين ، وهو صاحب مدرسة كبرى في التصوف في نيسابور اتخذت من الكتب منابر لدعوتها وشرح رسالتها ونشر علومها وأذواقها ومعارفها<sup>(2)</sup> تتلمذ عليه بعض مشاهير الصوفية كأبي عبد الرحمن السلمى صاحب الطبقات<sup>(3)</sup> ، ومن مآثر مدرسته أنها حفظت تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله ، وكان على طريقة أهل السنة في أغلب ما ترك من تراث<sup>(4)</sup> توفي سنة 378هـ ، وقد أفرد السراج الطوسي بابين لشرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية ، وبيان هذه الألفاظ<sup>(5)</sup> .

---

1. تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978 ، 487/2.

2. اللمع في التصوف ، ص 7 .

3. طبقات الصوفية ، للسلمي ، تحقيق نور الدين شريية ، سنة 1969 ، 19/2 .

4. انظر مصادر ترجمته في تاريخ التراث العربي ، 487/2 .

5. اللمع ، كتاب البيان عن المشكلات ، ص 409 .

وقد نهج فيها إيراد المصطلح ، ثم شرح معناه مع ذكر بعض الشواهد من أقوال الصوفية ، وكان التركيز في ذلك على توضيح المشكل من ألفاظ الصوفية التي أخذت عند عامة الناس في وقته بمعان أخرى ، أما بقية الألفاظ التي وردت في المقامات والأحوال ، كالتوبة والإنابة والورع والزهد والصبر والتوكل والرضا والمحبة والخوف والرجاء .. إلخ ، فيمكن التقاطه من سائر صفحات الكتاب .

كما حاول السراج الطوسي أن يدعم شرحه للمعاني المختلفة بشواهد متعددة من القرآن والسنة ، سواء كان ذلك باجتهاده ، أو بالنقل عن الآخرين من مشايخ الصوفية ، وقد اعتبر المستشرق نيكلسون كتاب اللمع لكثرة اعتماده على القرآن والسنة ، مدرسة عليا لتخريج الفحول من المتصوفة الصادقين في مبادئ التصوف النقية التي تعبر عن الجانب الروحي في الإسلام (1) .

(2) - التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبي بكر محمد بن اسحاق

بن إبراهيم البخارى الكلاباذى ، فقيه حنفى عالم عارف وعلم من أعلام الصوفية (1) .

جاء كتابه التعرف معبرا عن العصر الذهبي للتصوف في القرن الرابع الهجرى حتى قيل عنه لولا التعرف لما عرف التصوف (2) توفي سنة 380هـ على —

1. في التصوف الإسلامى وتاريخه لرينولد نكلسون ترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ص 101 .
2. انظر فى ترجمته تاريخ التراث العربى 492/2 ، وكشف الظنون لحاجى خليفة ص 419 ، وهديّة العارفين للبغدادى 54/2 .
3. كشف الظنون لحاجى خليفة 419/1 .

الأرجح (1) ، لم يفرد الكلاباذى بابا خاصا لشرح المصطلحات الصوفية ولكن العناوين الغزيرة التى بوب بها فى الكتاب لعلوم الصوفية ، تعتبر كمصطلحات وردت ألفاظها فى المعاجم الأخرى ، حيث تضمن الكتاب خمسة وسبعين بابا من أبواب علوم الصوفية ، ورد منها أكثر من ستين لفظا منسوبا للمصطلح الصوفى عند الكتاب الآخرين ، كما أن هذا الكتاب الينبوعى تميز بغزارة أقوال المتصوفة الأوائل كشواهد يعتمد عليها ، ونادرا ما يبدى الكلاباذى آراءه الشخصية حولها ، ولذلك يعتبر التعرف من أصدق المصادر التى يعول عليها لفهم بدايات التصوف ورموزه ، كما أنه يتميز أيضا بالاعتدال ، دون إفراط أو إخلال فى دفع ما نسب إليهم مما ليس فى ألفاظهم واصطلاحاتهم ، كما بين ذلك فى مقدمته فقال :



( رسمت في كتابي هذا وصف طريقتهم ، وبيان نحلتهم وسيرتهم ، من القول في التوحيد والصفات ، وسائر ما يتصل به مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ، ولم يخدم مشايخهم ، وكشفت بلسان العلم ما أ مكن كشفه ، ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه ، ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم ويدركهم من لم يدرك عباراتهم ، وينتفى عنهم خرص المتخرصين وسوء تأويل الجاهلين ، ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه ، مفتقرا إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه ، بعد أن تصفحت كتب الحذاق فيه ، وتتبعت حكايات المتحققين

---

## 1. هدية العارفين 54/2 .

له ، بعد العشرة له والسؤال عنهم ) (1) .

(3- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد في التصوف لأبي طالب محمد بن علي بن عطية العجمي ثم المكي ، نشأ بمكة ورحل إلى البصرة ثم بغداد ، كان زاهدا عابدا جمع الناس عليه في الوعظ وكان رجلا صالحا مجتهدا توفي ببغداد سنة 386هـ (2) ، وقيل عن كتابه قوت القلوب : لم يؤلف في هذا الباب مثله (3) ، والمكي شأنه شأن الكلاباذي لم يفرد بابا خاصا لشرح

المصطلحات ، ولكنه عرض طريق السالكين في أبواب وتقسيمات ،  
منبها على دقائق المنازل في المقامات ومراعاة الأحوال في سائر  
الأوقات ، حتى يصل المرید إلى مقام التوحيد ، وكلها كما هو ظاهر  
ترجع إلى ألفاظ ومصطلحات ، متداولة بين الآخرين من المؤلفين ،  
بلغ عددها أكثر من ثلاثين مصطلحا .

ويتميز هذا المصدر الينبوعى باعتماده في معظم ما يورده من

### اصطلاحات —

1. التعرف لمذهب أهل التصوف تحقيق محمود أمين النواوى طبعة مكتبة الكليات الأزهرية 1980م  
ص28 ، كما اعتمدت أيضا على نسخة أخرى حققها الدكتور عبد الحليم محمود وآخر ، طبعة دار  
إحياء الكتب العربية سنة 1960م .
2. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الحوزى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة 1412هـ ،  
385/4 وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة ، القاهرة سنة 1349هـ ، 89/3 .
3. كشف الظنون 1361/2 .

للسوفية على الأصول القرآنية والنبوية ، وإن كان متوسعا في النقل  
متساهلا في توثيق الأحاديث أو التحرى في ثبوتها ، كما أشار هو  
إلى أسباب الرخصة والسعة في النقل والرواية فقال : ( وربما كان  
المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند إذ رواه الأئمة وجاز لنا رسم  
ذلك لمعان :

1- أنا لسنا على يقين من باطلها .

2- أن معنا حجة بذلك وهو روايتنا له وأنا قد سمعنا ، فإن أخطأنا  
الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنا .

3- أن الأخبار الضعاف غير مخالفة الكتاب والسنة ، لا يلزمنا ردها بل فيها ما يدل عليها .

4- أنا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن مذمومون بظن السوء .

5- أنه لا يتوصل إلى حقيقة ذلك إلا من طريق المعاينة ولا سبيل إليها فاضطررنا إلى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة (1)

لكن يبقى اعتماده على استقصاء الأصول القرآنية والشواهد النبوية في شرح ألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم بشكل تفصيلي دقيق خادما لموضوع البحث (2) .

(4- كشف المحجوب لأبي الحسن علي بن عثمان بن أبي علي

الهجویری —

1. قوت القلوب 176/1 .

2. انظر المزيد عن أبي طالب المكي وكتابه قوت القلوب في رسالة ماجستير بعنوان أبو طالب المكي ومنهجه الصوفي للدكتور عبد الحميد مذكور ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم (146) سنة 1972م .

الغزنوى (1) صوفي حنفي من علماء الصوفية في القرن الخامس الهجري ، عاصر الدولة الغزنوية وتلمذ على أبي العباس الشقاني واتبع مسلك الصوفية مسترشداً بأبي الفضل محمد بن الحسن الختلي ، وتلقى بعض التعاليم الصوفية على يد أبي القاسم الجرجاني والمظفر أحمد بن حمدان

، كما التقى بأبي القاسم القشيري الذي يعد من أشهر معاصريه ، وقد سلك الهجويري مسلك علماء عصره فسافر وتجول وقام برحلات واسعة النطاق في أرجاء العالم الإسلامي ، زار العراق وخراسان وما وراء النهر وخوزستان وفارس وأذربيجان وجرجان والهند ، ثم عاد إلى غزنة وظل بها حتى وفاته في عهد السلطان إبراهيم الغزنوي سنة 465هـ على الأرجح (2) .

ويحتوي الكتاب على باب خاص في بيان منطقتهم وحدود ألفاظهم وحقائق معانيهم حيث ورد فيه أكثر من تسعين اصطلاحاً مقسمة إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : عبارات وكلمات في جريان أسرارهم وكلمات لا يعرف معناها سواهم كالحال والوقت والمقام والتمكين وغير ذلك مع بيان الفرق بين هذه الاصطلاحات مع شروح تفصيلية واسعة أحيانا .

النوع الثاني : العبارات التي تقبل الاستعارة في كلامهم ويصير حكمها —

1. انظر مصادر ترجمته في مقدمة تحقيق الدكتورة إسعاد قنديل لكشف المحجوب طبعة دار النهضة العربية بيروت سنة 1980م ، وتحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقي ، طبعة دار التراث العربي 1974م .
2. كشف الظنون لحاجي خليفة 14/2 .

بالتفصيل والشرح أصعب كالطمس والرسم والعلايق

والزوايد .

النوع الثالث : العبارات التي تحتاج إلى شرح وهي متداولة بين الصوفية وليس مقصودهم بها ما هو معلوم لأهل اللسان ، من مظاهر اللفظ كالواقع والتحلى والتخلى والمقصود والشور ، إلى غير ذلك من الاصطلاحات (1) .

وقد بين الهجویری فی هذا الكتاب السبب فی تخصيصه هذا الباب فقال :

( اعلم أسعدك الله أن المشتغلين بأى حرفة أو عمل ، يستعملون عند فك رموزهم بعض الألفاظ والعبارات يعرفون معناها فقط ، وقد اخترعت هذه العبارة لأمرين أساسيين ، أولهما : لتسهيل الفهم وتذليل المصاعب وتقريبها لفهم الطالب ، وثانيهما : لحجب أسرار هذا العلم عن غير أهله ، والصوفية لهم أيضا اصطلاحات في بيان مذاكراتهم ، ولكن يكشفوا ويوضحوا معانيهم كما يجبون ) (2) .

كما تميز هذا المصدر أيضا باجتهاد الهجویری في تدعيم المصطلحات بأصولها القرآنية والنبوية كلما أمكن .

(5- الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن

طلحة بن —

1. كشف المحجوب تحقيق الدكتورة إسعاد قنديل طبعة دار النهضة العربية بيروت 1980م ص 466 .
2. السابق ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقي ، دار التراث العربي 1974م ص 443 .

محمد الاستوائى أبو القاسم القشيري النيسابورى (1) ولد سنة 376هـ فى بلدة أستوا ، وكان سكانها من العرب الذين قدموا من خرسان ، اشتغل بعلوم الشريعة فدرس عند أبى بكر الطوسى ، وأخذ عنه الفقه وأخذ علم الأصول عن أبى بكر بن فورك ، وأخذ علم الطريقة على يد أستاذه أبى على الدقاق ، اشتغل بالتدريس فى نيسابور وبغداد ومرو ، وكان يقضى معظم أوقاته فى التأليف والتنسك والاجتماع بالأصحاب والمريدين ، وكان سنيا شافعيا أشعريا توفى سنة 465هـ فى نيسابور (2) ، والقشيري فى رسالته خصص بابا فى تفسير الألفاظ التى تدور بين هذه الطائفة وبين ما يشكل فيها تيسيرا لهم ولغيرهم كما قال : ( ونحن نريد بشرح هذه الألفاظ تسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكى طرقهم ومتبعى سنتهم ) (3) .

وتميزت الرسالة بالإسهاب فى عرض معانى ألفاظ الصوفية ، والإفاضة فى شرحها وكثرة شواهدا ، ورد أغلب المصطلحات إلى أصولها القرآنية والنبوية —

1. انظر ترجمته فى هداية العارفين 607/5 ، وطبقات الشافعية 243/3 ، ومقدمة ابن خلدون ص405 ، وجمهرة الأنسب ص273 ، وانظر للتوسع فى معرفة القشيري وأثره فى التصوف ، الإمام القشيري سيرته وآثاره ومذهبه فى التصوف ، إعداد إبراهيم بسيونى رسالة دكتوراه مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة 1971م .

2. انظر وفيات الأعيان لابن خلكان 481/1 ، وتاريخ بغداد 248/2 ، وكشف الظنون 58/1 .

3. الرسالة القشيرية 200/1 .

ولذلك فإن الرسالة القشيرية تعد من أمهات المصادر الينبوعية في هذا البحث .

(6- الإملاء عن إشكالات الإحياء ، لأبي حامد محمد بن أحمد الطوسي الغزالي<sup>(1)</sup> فقيه وفيلسوف ومتصوف ، ولد في الغزاة وهي بلدة في جوار طوس من أعمال خراسان عام 450هـ ، وكان شافعيًا ينتمي إلى المدرسة الأشعرية في علم الكلام ، ولى منصب التدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة 484هـ بعد أن أعجب به نظام الملك ، ولكنه تعرض لأزمات نفسية وصحية حادة اضطرتته إلى ترك التدريس بعد مرور أربع سنوات على وجوده بها ، فاعتزل التدريس ومكث عشر سنوات في عزلة يمارس السلوك الصوفي ، من رياضة ومجاهدة واعتكاف وتأليف ، ثم رحل إلى بيت المقدس والخليل ، وبعدها إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج كما سافر إلى مصر ، واستمر يجول في البلدان والأقطار ويهيم على وجهه لابسا المرقعة ومعه المزود وبيده العصا ثم رجع إلى التدريس في نيسابور سنة 499هـ ، ولكنه لم يبق بها إلا سنتين عاد بعدها إلى طوس وأنشأ زاوية للمتصوفين ومدرسة لطلاب الفقه ثم انقطع خلال السنوات الأخيرة من حياته إلى العبادة ومجالسة الصوفية وأهل الحديث وكانت وفاته سنة 505هـ ، ومن أهم مؤلفاته كتاب إحياء علوم الدين ، أما كتابه الينبوعي الإملاء

فيخصص فيه الغزالي مقدمة ، الغرض منها تبين عبارات انفراد بها  
أرباب

---

1. انظر ترجمة الغزالي في كتاب الغزالي للشيخ مصطفى المراغى ، القاهرة طبعة دار المأمون سنة 1926 م ، وإحياء علوم الدين طبعة الحلبي 49/1 ، وكشف الظنون لحاجي خليفة 24/1 ، وهديّة العارفين للبعداى 273/6 .

الطريق عد فيها نحو خمسين مصطلحا (1) .

(7- عوارف المعارف لشهاب الدين أبي حفص بن محمد السهروردى (2) فقيه شافعى المذهب واعظ من أئمة المتصوفين ، ولد سنة 539هـ بسهرورد وسكن بغداد وصحب عمه أبا النجيب ، وتفقه وتفنى وصنف التصانيف فى بيان طريقة القوم ، منها عوارف المعارف وانتهت إليه تربية المريدين وتسليك العباد ومشخة العراق وقيل عنه : لم يخلف بعده مثله ، وكان شيخ وقته فى علم الحقيقة وولى عدة ربط للصوفية وتوفى فى سنة 632هـ (3) .

وقد بين فى كتابه ما رزق به الصوفية من العلوم التى أشار إليها المتقدمون كعلم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وعلم اليقين وعلم الإخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفه أخلاقها ، وعلم معرفة أقسام الدنيا ، ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرها ، وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على حد الضرورة ، ومعرفه دقائق التوبة ، وعلم خفى الذنوب ، ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة



والأنس والقبض والبسط ، والفرق بين القبض والههم والبسط والنشاط  
وعلم الفناء والبقاء وغير ذلك ، كما خصص السهروردي —

1. إحياء علوم الدين طبعة الحلبي 1/ص56 .

2. انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 119/3 ، وشذارت الذهب 153/5 والنجوم الظاهرة  
في ملوك مصر والقاهرة 283/6 .

3. لسان الميزان 195/5 ، وكشف الظنون 50/1 .

بابين لشرح مصطلحات الصوفية في كتابه بلغت قرابة الخمسين (1) .

(8- اصطلاحات الصوفية لمحي الدين أبي بكر محمد بن علي  
العربي الحاتمي الطائي الأندلسي (2) أطلق عليه أتباعه لقب الشيخ  
الأكبر ابن عربي ، وعرف في الأندلس باسم ابن سراقه ، وهو صوفي  
كبير ولد في مرسية بالأندلس عام 560هـ ، وسكن في إشبيلية  
حوالي ثلاثين عاما تقريبا ، حيث درس الحديث والفقه ، زار تونس  
سنة 590هـ ثم نرح إلى المشرق نهائيا ، طاف بمصر ومكة وبغداد  
والموصل وآسيا الصغرى ، ثم استقر أخيرا في دمشق حيث عاش فيها  
بقية عمره وتوفي بها عام 638هـ ودفن بسفح جبل قاسيون ، كان  
ابن عربي على مذهب الظاهرية في الفقه ، وكان صوفيا باطنيا إلى  
أقصى الحدود ، ومن مزاعمه الشهيرة أنه رأى النبي ﷺ ورأى الخضر  
يقظة ، وعرف اسم الله الأعظم وعرف الكيمياء بالمكاشفة لا  
بالتحصيل وأتهم بالزندقة والقول بوحدة الوجود فأثار ذلك حفيظة  
الناس عليه وحاولوا قتله ، وممن رماه بالزندقة ابن تيمية وسعد الدين

التفتازاني وابن الخطيب الأندلسي المالكي وشمس الدين الموصلی  
وشمس الدين الذهبي وغيرهم (3) .

1. عوارف المعارف ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمود بن الشريف طبعة مطبعة  
السعادة ، 177/1 : 179 .

2. هدية العارفين ، لإسماعيل باشا البغدادی 114/6 .

3. انظر مصرع التصوف ، للعلامة برهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل مطبعة السنة  
المحمدية القاهرة سنة 1373هـ ، 1953م ص 150 وما بعدها .

وكان ابن عربي غزير التأليف ، وأهم مصنفاته الفتوحات المكية (1)

وتعد رسالته اصطلاحات الصوفية من بواكير إعداد المعاجم  
الصوفية ، وليس ببعيد أن تكون البادرة الأولى لنشأة المعاجم  
المستقلة ، ويشير ابن عربي إلى سبب تأليفها ، أن بعضهم أشار عليه  
وطلب منه شرح الألفاظ التي يتداولها الصوفية لأنها مبهمة على  
الناس فأجابه : ( أما بعد ، فإنك أشرت إلينا بشرح الألفاظ التي  
تداولها الصوفية المحققون من أهل الله بينهم ، لما رأيت كثيرا من علماء  
الرسوم وقد سألونا في مطالعة مصنفاتنا ومصنفات أهل طريقتنا مع  
عدم معرفتهم بما تواطأنا عليه من الألفاظ التي بها يفهم بعضنا عن  
بعض كما جرت عادة أهل كل فن من العلوم فأجبتك إلى ذلك ) (2)



وللكاشاني أيضا كتاب اصطلاحات الصوفية وهو غني بالمصطلحات الصوفية ويتميز بجودة الترتيب والتصنيف<sup>(4)</sup> ، وله أيضا

### كتاب رشح الزلال في شرح —

= ماجستير ، مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة 1990م ، مشكلة الذات والصفات عند محي الدين بن عربي ، إعداد إسماعيل منصور جوده ، رسالة ماجستير مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة 1990م .

1. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ، تحقيق ودراسة سعيد عبد الفتاح ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة 1996م .

2. اصطلاحات الصوفية للكاشاني تحقيق الدكتور كمال جعفر ، مقدمة التحقيق ص 3 .

3- انظر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة 215/5 ، الأعلام لخير الدين الزركلي 350/3 وهدية العارفين 566/1 ، وانظر أيضا للتوسع ، المنهج الصوفي عند عبد الرزاق الكاشاني ، إعداد عصام على معوض رسالة ماجستير مخطوط بكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1997م .

4. انظر كشف الظنون 107/1 .

الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال<sup>(1)</sup> ، لكن يقل في جودة ترتيبه وكثافة مداخله عن المرجعين السابقين ويحتاج الكتاب إلى إعادة تحقيقه بصورة أفضل ، وكل ما سبق من مؤلفات للكاشاني ينابيع فياضة بالمصطلحات غير أن لطائف الإعلام يكاد يحوى جميع الرسائل ، ويستوعب جميع الكتب التي عنيت بشرح ألفاظ الصوفية ، فقد حوى على وجه التفصيل شرح ما يزيد على ألف وخمسمائة مصطلح صوفي ، ولذا كانت مؤلفات الكاشاني من أهم الدعائم الأساسية التي ساعدت في انتقاء ما له صلة بالقرآن والسنة من ألفاظ الصوفية وإشاراتهم .

(10) - المناظر الإلهية لعبد الكريم بن إبراهيم بن خليفة بن أحمد الجبلى (2) ينسب إلى الشيخ الصوفى عبد القادر الجيلانى (3) ، وهو حنبلى المذهب من خلفاء الشيخ إسماعيل الجبرتى (4) ، والجيلانى نسبة إلى جيلان اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان (5) . ويعتبر الجبلى من أبرز تلاميذ مدرسة ابن عربى ، وكانت لديه

### الشجاعة لنقد —

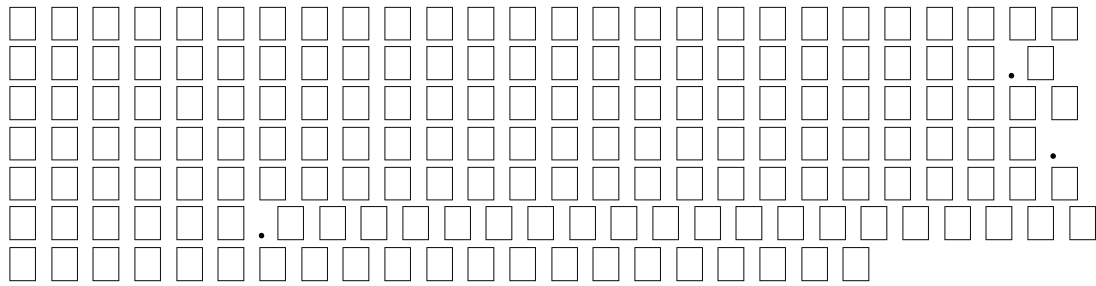
1. رشح الزلال للكاشانى ، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح ، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة سنة 1995م .
2. المناظر الإلهية للجبلى ، تحقيق الدكتور نجاح محمود الغنيمى ، دار المنار سنة 1987م .
3. الأعلام للزركلى 175/4 .
4. هدية العارفين للبغدادى 610/5 .
5. معجم البلدان لياقوت الحموى 179/2 .

العديد من قضايا فكره وتوجيهها وجهة جديدة ، ولم يسلك مسلك أقرانه فى مدرسة ابن عربى الذين وقفوا عند شرح فكره أو توضيحه أو تقنين مصطلحاته فى معاجم اصطلاحية ، ولذا يلقب بالقطب الجبلى (1) ، وليس فى المصاد ما يدل على ترجمة تفصيلية تشير إلى سيرة حياته ، ولكن ذكر لويس ماسنيون أنه دفن فى بغداد ووافقه على ذلك بنرت (2) ، وتوفى سنة 832هـ تقريبا (3) وقد أورد فى كتابه المناظر الإلهية قرابة مائة مصطلح صوفى ، وله من التصانيف التى اعتمدت عليها أيضا ، كتاب الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل والكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية (4) .

**النوع الثاني :** المؤلفات التي تحوى شواهد المصطلحات الصوفية وتحقيق نسبتها إلى أعلامهم ، من أقوال أو آراء أو تفسير لآيات أو أحاديث أو غير ذلك من شواهد المصطلحات ، وقد قسمت هذه المصادر التي ينبع منها معين فياض يمدنا بالشواهد الصوفية إلى ثلاثة أنواع :

1. الأعلام للزركلى 175/4 .

2. انظر :



3. يذكر البغدادي أنه توفى سنة 820هـ ، انظر هدية العارفين ح5ص610 .

4. الكمالات الإلهية فى الصفات المحمدية لعبد الكريم الجبلى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح طبعة مكتبة عالم الفكر ، القاهرة ، سنة 1997م .

(1- المؤلفات السابقة لكتاب المصطلحات ، فهى على الرغم

من كونها أفردت أبوابا أو كتبا لتفسير ألفاظ الصوفية المملغة وشرح مصطلحاتهم الرامزة إلا أنها أيضا غنية بأقوال الصوفية ، وشرح مقاماتهم وأحوالهم والكشف عن طريق المريدين والسالكين فى تجاربهم وسيرهم إلى الله ، مما يتيح لنا إمكانية التقاط الشواهد الدلالية ، والتعرف على الأصول القرآنية والنبوية لاصطلاحات الصوفية .

(2- المؤلفات الخاصة ببعض الصوفية الذين كتبوا عن آرائهم وتجاربهم الشخصية ، سواء كانت مطبوعة أو مخطوطة وهذه المؤلفات من أوثق المصادر في نسبة الشواهد إلى قائلها لأنهم دونوا كلامهم بأنفسهم فهي حجة في إثبات آراء الصوفية ومعتقداتهم ، وقد اعتمدت على أغلب ما وجد من هذه المؤلفات مثل تراث الحارث بن أسد المحاسبي (243هـ) وأبي سعيد الخراز (279هـ) وسهل بن عبد الله التستري (293هـ) والحسين بن منصور الحسين بن منصور الحلاج (309هـ) وتراث الحكيم الترمذى (320هـ) والشخ عبد الله بن خفيف (371هـ) وتراث أبي القاسم عبد الكريم القشيري (465هـ) وأبي حامد الغزالي (505هـ) ، وابن عطاء الله السكندري (709هـ) وابن عربي وتلاميذ مدرسته ، كالكاشاني والجيلي والشعراني وغيرهم ، وكذلك التفسيرات الصوفية للقرآن الكريم كتفسير سهل بن عبد الله التستري ، وتفسير أبي عبد الرحمن السلمى ، ولطائف الإشارات للقشيري ، وتفسير القرآن لعبد الرزاق الكاشاني ، وقد كانت هذه التفسيرات منبعاً غنياً لمعرفة الأصول القرآنية للمصطلحات الصوفية .

(3- المؤلفات التي جمعت متفرقات ما أثر من كلام الصوفية في تراجمهم مثل طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني وصفة الصفة لابن الجوزي ، وطبقات

الشعراني ، ونفحات الأنس لأبي البركات عبد الرحمن الجامي ، وكثير  
من كتب التراجم الأخرى .



## . دراسة في المعاجم الصوفية :

كان طبيعيا نتيجة لتلك الطبيعة الخاصة للمصطلح الصوفي أن تنشأ المحاولات لفك الرموز المغلقة أمام قارئ مؤلفات الصوفية ومصنفاتهم ، وكان أمرا طبيعيا أن يتساءل جمهور القراء عن معنى هذه الاصطلاحات ويسألون أهل المعرفة والذوق الذين لديهم القدرة على فك هذه الرموز وإزالة تلك الصعوبات في الفهم والتفسير والشرح ولقد كثرت الأسئلة وبدأت الإجابات .

ويعتبر ما أورده السراج الطوسي في كتابه اللمع في التصوف من بواكير تلك المحاولات ، وليس ببعيد أن تكون البادرة الأولى لنشأة المعجم الصوفي ثم تتابعت الجهود والمحاولات تترى حتى ظهر كتاب الإملاء في إشكالات الإحياء لإبي حامد الغزالي حيث خصصه لتبيين عبارات انفرد بها أرباب الطريق ، ثم رسالة ابن عربي اصطلاحات الصوفية الواردة في الفتوحات المكية حيث تعد بداية جادة لنشأة المعجم الصوفي ، وقد بين ابن عربي أنه أعد هذه الرسالة تحقيقا لرغبة عامة ونتيجة الإحساس بالحيرة التي انتابت من يطالع مصنفات

الصوفية ومصنفات ابن عربى على وجه الخصوص ، لعدم معرفتهم بمعانى هذه الألفاظ ، وهى معان خاصة تواطئوا عليها ، وبها يفهم بعضهم عن البعض الآخر (1) .

ولكن ابن عربى لم يجمع كل الألفاظ الصوفية ويقوم بشرحها وإنما

يقول : —

1. اصطلاحات الصوفية ، لابن عربى ملحق بكتاب التعريفات للجرجانى ص 138 .

( ولم أستوعب الألفاظ كلها ولكن اقتصرت منها على الأهم فالأهم وأضربت عن ذكر ما هو مفهوم من ذلك عند كل من ينظر فيه بأول نظرة لما فيها من الاستعارة والتشبيه ) (1) .

ومعنى ذلك أن رسالة ابن عربى اصطلاحات الصوفية كانت بخصوص المصطلحات الصوفية بعامة دون اقتصار على المصطلحات الواردة فى الفتوحات المكية أو غيرها من المؤلفات ، ودون اقتصار على ما ليس فيه استعارة أو تشبيه وأن الاختيار فيها إنما وقع من المؤلف وحده فاصطلاحات الصوفية رسالة فيها العناية بعموم المصطلح الصوفى بشكل عام .

ولم تكن رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربى وحدها تلبية لرغبة ملحة وإجابة لسؤال حار فى إجابته غير المتصوفة ، وإنما جاء معجم الكاشانى (735) اصطلاحات الصوفية تلبية لسؤال أشار به سلطان الوزراء محمد بن أبى الخير الوزير والمؤرخ الكبير ، وعبر به عن غيره من

أهل العلوم المعقولة والمنقولة لعدم تعارفهم على اصطلاحات الصوفية ، وفي ذلك يقول الكاشاني في مقدمته لمعجمه : ( فإني لما فرغت من تسويد كتاب شرح منازل السائرين ، وكان الكلام فيه وفي شرح فصوص الحكم وتأويلات القرآن الحكيم مبنيا على اصطلاحات الصوفية ولم يتعارفها أكثر أهل العلوم المعقولة والمنقولة ولم تشتهر بينهم سألوني أن أشرحها وقد أشرت في ذلك الشرح إلى أن الأصول المذكورة

---

1. السابق ص 138 .

في الكتاب من مقامات القوم تتفرع إلى ألف مقام ، ولوحت إلى كيفية تفرعها وما بينت تفرعها ولم أفصل فروعها ودرجاتها ولم أصرح بصنوفها وتفرعاتها فتصدت للإسعاف بسؤالهم وزدت ذلك ترويحاً لقلوبهم ببيان ما أهمل من ذلك وتفصيل ما أجمل هنا لك (1) .

ويتضح من هذا النص الطويل أمور أهمها ، أن مؤلفات الصوفية وبخاصة منازل السائرين لأبي إسماعيل عبد الله الهروي (ت: 481هـ) وفصوص الحكم لابن عربي (ت: 638هـ) وتأويلات القرآن للكاشاني (ت: 730هـ) كانت بحاجة إلى من يشرحها حتى يمكن فهمها ، لأنها مبنية على اصطلاحات الصوفية ثم وهو أمر طبيعي لم تكن هذه الاصطلاحات مشتهرة بين أهل العلوم الأخرى فلم يتعارفوا هذه

الإشارات ، ولم يألّفوا استخدام الألفاظ في مثل هذه الملغزات وإلى جانب ذلك يتضح أن الكاشاني في معجمه اصطلاحات الصوفية لم يتناول جميع الاصطلاحات ، فقد شرح ما يختص منها بالمقامات في شرحه لفصوص الحكم ، ويتضح أخيرا أن أبا الخير الوزير المؤرخ (ت:736هـ) قد أشار إليه بشرح هذه الاصطلاحات وكانت إشارته الباعث على تأليفه لهذا المعجم .

ويعد معجم الكاشاني ممثلا لمرحلة نضج المعجم الصوفي في عصره وتمهيدا للمعجم الأكبر الذي يمثل المرحلة النهائية في جهد الكاشاني لجمع ألفاظ الصوفية وحصر إشاراتهم وتفسير اصطلاحاتهم ، فكتب مؤلفا معجميا كبيرا —

1. اصطلاحات الصوفية للكاشاني تحقيق الدكتور عبد الخالق محمود ص44 .

سماه لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ، حوى من المصطلحات عددا أعجز من بعده ، فلم يظهر حتى الآن معجما فاق اللطائف في عدد مصطلحاته كما أنه بناه على نظم معجمي متكامل ، وقد ذكر الكاشاني الباعث لتأليفه ومنهجه في نظمه فقال :

( إني لما رأيت كثيرا من علماء الرسوم ربما استعصى عليه فهم ما تتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من النكت والأسرار التي يشير إليها المحققون العالمون بالله من أكابر شيوخ الصوفية الوارثين للعلوم الحقيقية والمعارف الحقية من مشكاة النبوة المحمدية ، المعتلية عن حضيض

التلبيسات الخلقية إلى أوج الحضرات الحقية القدسية ، الجامعة جوامع الكلم الحكمية والأسرار الإلهية أحببت أن أجمع هذا الكتاب مشتملا على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم وما تواطأوا عليه من الألفاظ والألقاب التي يعبرون بها عما يتداولونه بينهم من علومهم الإلهية وأسرارهم الشريفة الربانية وما به يفهم بعضهم عن بعض كما جرت عليه عادة أهل كل فن ، وبينت ذلك بالبيان المتقن المحكم المرتب على حروف المعجم بحيث أنى جعلت الحرف الثاني من كل كلمة على ترتيب الحروف أيضا ليكون ذلك أضبط في النظم وأظهر للفهم (1) .

ولم يظهر للمصطلح الصوفي بعد القرنين السابع والثامن للهجرة وبعد رسالة اصطلاحات الصوفية لابن عربي ولطائف الإعلام للكاشاني أى معاجم جديدة —

1. لطائف الإعلام 105/1 .

إلا فى العصر الحديث ، وإن كانت أغلب ألفاظ الصوفية قد دخلت ضمن معاجم أخرى فى إطار تقنين المصطلحات الفنية لمختلف العلوم ، حيث حققت الصناعة المعجمية تقدما واسع النشاط ، ووضعت المعايير المختلفة والأسس الدلالية لمختلف العلوم حتى أصبحت المعاجم أعمال موسوعية تشمل المعارف العامة والخاصة (1) .



وقد ظهر أيضا في الساحة المعجمية كتاب كشف اصطلاحات العلوم والفنون للشيخ محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقى الحنفى الهندى التهانوى الذى فرغ من تأليفه عام 1158هـ (2) وقد تضمن اصطلاحات الصوفية ضمن بقية العلوم وهو كتاب يحتل مكانة مرموقة بين كتب التعريفات العامة لكونه من أكثرها شمولاً واستيعاباً مع الدقة والترتيب وهو أشهرها وأكثرها نفعا للباحثين المحدثين دون منازع (3) يقول محققه بعد أن تعرض للمؤلفات الأخرى فى بابهِ : ( إنه يقع منها موقعا حسنا فقد استقصى فيه التهانوى بحث الموضوعات العلمية متدرجا من الدلالات اللغوية إلى غيرها من الدلالات فى شتى العلوم من نقلية وعقلية بحيث أضحى الكتاب معلمة للثقافة الإسلامية ) (4) .

ثم ظهرت للمصطلح الصوفى المعاجم الحديثة ، فبدأها الدكتور

عبد المنعم —

1. المين فى شرح معانى ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، د/ حسن الشافعى ص 12 .

2. هدية العارفين 326/1 .

3. المين ص 14 .

4. كشف اصطلاحات الفنون ، مقدمة التحقيق للدكتور لطفى عبد البديع ح 1 ص د .

الحنفى بوضع معجم مصطلحات الصوفية سنة 1980م ، ثم المعجم الصوفى للدكتورة سعاد حكيم سنة 1981م ، ثم معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى سنة 1987م .

ونظرا لأن هذه المعاجم القديمة والحديثة تعد من الدراسات السابقة المعنية بالمصطلح الصوفي وتتبع شواهد القرآنية والنبوية ، وما في ذلك من صلة وثيقة بموضوع الرسالة ، فإن الأمر يتطلب دراسة مقتضبة لتلك المعاجم من حيث ترتيبها ، ومدى كثافة المداخل فيها ، والتعريف بالأصول القرآنية والنبوية للمصطلحات إن وجدت ، وقد رتبت هذه الدراسة على النحو الآتي :

**أولا : ترتيب المداخل في معاجم المصطلح الصوفي .**

عرفت المعاجم العربية العامة عدة اتجاهات في ترتيب المداخل بها (1) واتضحت هذه الاتجاهات في المجتمع اللغوي العربي قبل ظهور أول معجم صوفي يلتزم بطريقة واضحة في ترتيب المداخل المعجمية في القرن الثامن الهجري ، ومع ذلك جاء معجم عبد الرزاق الكاشاني (735هـ) على ترتيب جديد للمداخل لم تعهده المعاجم العامة ، وإن كانت المعاجم الأخرى قد اقتفت أثر بعض المعاجم العامة ، وفيما يلي محاولة لتحديد اتجاهات الترتيب المعجمي للمداخل في المعاجم الصوفية :

---

1. انظر المعجم العربي نشأته وتطوره ، للدكتور حسين نصار 42 / 1 ، والاتجاهات الحديثة في صناعة المعجمات للدكتور محمود فهمي حجازي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأربعون سنة 1977م ص86 وما بعدها .



(1) - الترتيب العشوائي في رسالة ابن عربي (638هـ) فلم يكن من أهداف المؤلف أن يقدم معجما في المصطلحات الصوفية ولا حصرا بألفاظ الصوفية في مؤلفاته أو في كتابه الفتوحات المكية ، وإنما سعى إلى تحقيق شئ واحد وهو شرح مجموعة من الألفاظ اختارها ، ولم يراع ترتيبها هجائيا أو أبجديا وإنما أوردتها بطريقة عشوائية أو كما قال : ( وقد أوردنا ذلك لفظة لفظه ) (1) .

(2) - الترتيب الهجائي الأبجدي في اصطلاحات الكاشاني ، فقد رتب الكاشاني مداخل معجمه اصطلاحات الصوفية ترتيبا يتخذ صورتين مختلفتين :

الصورة الأولى : الترتيب العام ، وفيه صنفت اصطلاحات الصوفية وفق الحرف الأول إلى ثمانية وعشرين بابا ورتبت الأبواب وفق حروف أبجد هوز في نظام الكتابة السرياني ، وقد أشار إلى هذا الترتيب في مقدمته القصيرة لمعجمه مبينا هدفه من هذا الترتيب يقول : أما القسم الأول فمبوب تبويبا مبني على ترتيب حروف أبي جاد تسهيلا لمن يتفحص عنها ويتطلب واحدا واحدا منها .

الصورة الأخرى : الترتيب الداخلي للمداخل ولم يتبع عبد الرزاق الكاشاني النظام الأبجدي السرياني في الترتيب الداخلي للمداخل في كل باب من أبواب المعجم وإنما أخذ بالترتيب الهجائي الأبتشي لصورة الكلمة المكتوبة .

وأما لطائف الإعلام فقد أخذ فيه بالترتيب الهجائي الأبتشى لصورة  
الكلمة المكتوبة ، وجعل الحرف الثانى من كل كلمة على ترتيب  
الحروف الهجائية

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 38 .

أيضا ، وعلل ذلك بأنه أضبط فى النظم وأظهر للفهم (1) غير أنه وإن  
التزم فى المداخل والأبواب العامة بالحروف الهجائية إلا أنه لم يلتزم  
بذلك كما قطع على نفسه فى الحرف الثانى ، فقد خرج عن هذا  
الترتيب فى كثير من المداخل فمثلا يقدم مصطلح الأحوال على  
مصطلح الاحتساب ، أو يقدم الإخلاص على الإخبات وهكذا .  
(3- الترتيب الهجائى الألفبائى المشرقى لحروف الكلمة المكتوبة عند  
كل من الدكتور الحنفى والدكتور حسن الشرقاوى ، فلم يكتب  
الدكتور الحنفى مقدمة يبين فيها خطة عمله من حيث ترتيب المداخل  
أو غيره ويمكن بعد قراءة المعجم أن نحدد طريقته فى الترتيب ، فمن  
حيث الترتيب العام ، أخذ الدكتور الحنفى فى ترتيب مداخل معجمه  
بطريقة الترتيب الهجائى الألفبائى فى المشرق العربى فصنف المعجم إلى  
أبواب أطلق على كل باب حرف ، فحرف الألف ثم حرف الباء ثم  
حرف التاء ، فحرف الثاء ثم حرف الجيم ، فحرف الحاء فالحاء  
فالدال إلى آخر حروف الهجاء ، باستثناء حرفى الهاء الياء ، فليس

لهما مداخل في المعجم ، ومعنى ذلك أن أبواب المعجم ستة وعشرون بابا أو ستة وعشرون حرفا ، أما الترتيب الداخلى للمداخل فقد راعى المؤلف فى كل حرف جميع حروف الكلمة المدخل الأول فالثانى فالثالث وما يليها .

وفى معجم الدكتور الشرقاوى لم يحدد لنا فى مقدمته التى بلغت إحدى عشرة

---

1. لطائف الإعلام 105/1 .

صفحة الطريقة التى اختارها لترتيب مداخل معجمه ، ويمكننا بعد النظر فى ترتيب ألفاظ الصوفية فى المعجم الذى أخذ به المؤلف ، أن نقف على هذه الطريقة ، فمن حيث الترتيب العام صنف المؤلف ألفاظ الصوفية إلى مجموعات وفق حروف الهجاء التى تبدأ بها هذه الألفاظ ، ثم رتب هذه المجموعات وفق الترتيب الهجائى المعروف مع تجاوز الحرف الذى لم ترد ألفاظ صوفية تبدأ به مثل حرفى التاء والضاد ، وبذلك ضم معجمه ستة وعشرين بابا ، اختص كل باب منها بحرف من حروف الهجاء الباقية ، فباب الهمزة ثم باب الباء ثم باب التاء وهكذا ، ومن حيث الترتيب الداخلى ، رتب الدكتور حسن الشرقاوى الألفاظ فى داخل كل مجموعة ، أو فى داخل كل باب ترتيبا هجائيا ألفبائيا مشرقيا أيضا ، مع الاعتداد بجميع حروفها فى الترتيب ،

وبذلك يتضح أن الأساس في الترتيب ليست المادة اللغوية ، وإنما صورة الكلمة المكتوبة ، مع ملاحظة أن باب الهمزة في المعجم قد ضم كل ما أوله همزة أو ألف وصل كما هو عند الدكتور الحفنى ، ولا يوجد تمييز بين المجموعتين فجميع ألفاظهما تبدأ عند المؤلف بهمزة ، وهو يراعى في الترتيب الداخلى بين الألفاظ الحرف الثانى والحرف الثالث وما بينهما أيضا ، وفى المصطلحات المركبة لم يعتد المؤلف بالجزء الآخر من التركيب عند الترتيب ، سواء أكان هذا الجزء هو الجزء الأول أم الثانى أم الثالث .

(4- الترتيب الهجائى وفق الحروف الأصول عند الدكتور سعاد الحكيم فى المعجم الصوفى ، حيث قامت المؤلفة بتصنيف المصطلحات الصوفية التى جمعتها من مؤلفات ابن عربى إلى مجموعات وفق الحرف الأول من حروف الهجاء للمادة اللغوية لكل منها ، إذ الاعتداد عندها فى المدخل بالحروف الأصول للمادة اللغوية ، وإن كان ترتيب المشتقات من المادة اللغوية الواحدة لا يحكمه نظام معين ، وفى الترتيب الداخلى فى المجموعة الأخيرة سارت المؤلفة وفق حروف الهجاء من حيث صورة الكلمة المكتوبة ، وبذلك تتعد طرق الترتيب الداخلى ، بحيث لا يمكن القول بأن المؤلفة قد التزمت طريقة معينة ، ومعنى ذلك أن المؤلفة وإن كانت قد أخذت فى الترتيب العام

للمداخل بالمادة اللغوية وترتيب حروفها أساسا ، لم تعتمد هذا الأساس أو غيره في الترتيب الداخلى على النحو المتكامل .

**ثانيا : كثافة المداخل في معجم المصطلح الصوفى .**

بلغ عدد المصطلحات فى رسالة ابن عربى 198 مصطلحا ، شرحت معانيها باختصار شديد ، وقد رتبها كما سبق ترتيبا عشوائيا ، أما كثافة المداخل فى اصطلاحات الكاشانى ، فقد بلغ عدد المداخل فى اصطلاحات الصوفية للكاشانى وفق طبعة الدكتور عبد الخالق محمود 498 أربعمائة وثمانية وتسعين مدخلا ، وبلغت 502 مدخلين وخمسمائة مدخل وفق طبعة الدكتور كمال جعفر ، وبلغت 510 عشرا وخمسمائة مدخل وفق طبعة الدكتور عبد العال شاهين ، أما كثافة المداخل فى لطائف الإعلام فقد بلغت 1658 ألفا وستمائة وثمانية وخمسين مدخلا ، ويعتبر هذا المعجم أكثر المعاجم التى ظهرت حتى الآن من حيث عدد المداخل ، وفى معجم الدكتور الشرقاوى يقل عدد المداخل إلى الحد الملحوظ بحيث نرى أبوابا لا يرد فى كل منها سوى مدخل أو مدخلين أو ثلاثة مداخل ، وبلغت كثافته المداخل 195 مائة وخمسة وتسعين مصطلحا .

وفى المعجم الصوفى للدكتورة سعاد الحكيم ، قامت المؤلفة بترقيم المصطلحات ترقيما متسلسلا فلكل مدخل رقمه ، ورقم المصطلح الأخير يحدد لنا عدد المداخل التى ضمها المعجم ، حيث بلغت كثافة

المداخل في معجمها 706 ستة وسبعمائة مدخل ، وجدير بالذكر أن هذا العدد يعد قليلا ولا يضم كل ما ورد عند بن عربي في مؤلفاته من مصطلحات ، والمؤلفة لا تدعى حصرا لها وإنما تقول : ( الواقع أن عملا كهذا لا يعتبر كاملا ، وذلك نظرا لضخامة المشروع فمعجم صوفي تتقى مفرداته من قمة تفتح التجربة الصوفية واللغة الصوفية في إطلالتها على الفلسفة بأنواعها والفلك و.. ، يجعل عملا كهذا في حكم المشروع الإنساني ، يضاف إلى ذلك غزارة نتائج الشيخ الأكبر إذ أن فتوحاته تزيد على ثلاثة آلاف صفحة ) (1) .

وبذلك يعد هذا المعجم على ضخامة حجمه حيث بلغ عدد صفحاته 1312 صفحة غير شامل لكل مصطلحات ابن عربي ، وإنما يضم جلها أو أهمها وفق اختيار المؤلف ، وأكثر مصطلحاته تعبيرا عن فكره ونظرياته في التصوف .

وفي معجم المصطلحات الصوفية الذي أعده الدكتور عبد المنعم الحفنى بلغت كثافة المداخل المعجمية ألف مصطلح تقريبا فقد بلغت مداخله 998 ثمانية وتسعين وتسعمائة مصطلحا .

---

1. مقدمة المعجم الصوفي للدكتورة سعاد حكيم ص 24 .

ثالثا : الأصول القرآنية والنبوية في معجم المصطلح الصوفي .

احتلت الشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف مكانة واضحة في شرح المداخل بمعاجم المصطلح الصوفي ، وكثرت الأقوال المأثورة وبخاصة أقوال أئمة الصوفية في شرح المداخل ، حتى كاد الدكتور الحفنى أن يجعلها أساسا للشرح في جميع مداخل معجمه كما عني بالنقل عن المتصوفة جميع أصحاب المعاجم الصوفية عناية ملحوظة في شرح المداخل بمعاجمهم ، وهو أمر طبيعي فمصطلحات الصوفية لا يفهم دلالتها غير الصوفية ، فكانت شروحهم لها وتفسيراتهم ضرورية لكل من يحاول أن يجمع هذه الاصطلاحات في معجم يعين القارئ على فهمها .

[1] - الشواهد القرآنية : تندر الشواهد القرآنية في رسالة ابن عربي في شروح الاصطلاحات ولا يوجد سوى ثلاثة شواهد قرآنية في شرح ثلاثة مداخل اصطلاحية ، وليس ثمة شواهد من الحديث القدسي أو النبوي ، وقد جاء بالشواهد القرآنية الثلاثة شاهدا للمعنى دون اللفظ ، وإن كان أحدها قد تضمن لفظا ، له بأحد ألفاظ المدخل علاقة صرفية اشتقاقية ، يقول ابن عربي : ( العدل والحق مخلوق به ، عبارة عن أول موجود خلقه الله وهو قوله : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الحجر/85] ) (1) .

---

وقد تضمن الشاهد القرآني لفظ : (خلقنا) ولفظ : (بالحق) ،  
والأول بصيغة الماضي واللفظ الوارد بالمدخل : (المخلوق) اسم  
مفعول على صيغة : (مفعول) أما الثاني فقد ورد بلفظه ولكن  
المدخل لم يرد بلفظه في الشاهد بنفس العلاقات بين أجزائه ،  
ويلاحظ أنه قد فصل بين المدخل والشاهد بشرح المدخل بمرادف  
تفسيري ، ويقول في المصطلح الثاني :

( الحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك  
منك لا أنت : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا } [هود/56] ) (1) ،  
فقد خلا الشاهد من لفظ المدخل ، فهو شاهد على معناه دون لفظه  
، ويلاحظ أن الشاهد لم يسبق بعبارة ، قوله تعالى أو قال تعالى  
التي تدل على أن الشاهد قرآني ، وقد فصل بينه وبين المدخل بشرحه  
بمرادف تفسيري أيضا ، وجاء الشاهد في نهاية الشرح ، وفي شرح  
المصطلح الثالث يقول : ( التلوين تنقل العبد في أحواله وهو عند  
الأكثرين مقام ناقص ، وعندنا هو أكمل المقامات ، وحال العبد فيه  
حال قوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] ) (2) ، وهو  
شاهد على المعنى أيضا ، وقد فصل بينه وبين المدخل بشرح تفسيري  
ثم جاء الشاهد القرآني في نهاية شرح المدخل أيضا ، وبذلك يتضح



أن رتبة الشاهد القرآني في هذه الشروح الثلاثة تأتي بعد المدخل، ثم الشرح بمرادف تفسيري، ثم الشاهد القرآني .

1. السابق ص 140 . 2. السابق ص 141 .

\* وفي معجم الكاشاني تأتي الشواهد القرآنية من حيث الرتبة، بعد شرح المدخل شرحا دلاليا بذكر مرادفه الإفرادي أو التركيبي أو التفسيري أو بوسيلة أخرى غير الاستشهاد، ويتمثل ذلك في شرح عدة مداخل تختلف باختلاف الشرح الدلالي، ففي قوله: (الكتاب المبين: هو اللوح المحفوظ المراد بقوله تعالى: { وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } [الأنعام/59] (1) .

شرح المصطلح المدخل بمرادف تركيبية مثله وهو: (اللوحة المحفوظ)، ثم جاء بالشاهد القرآني المتضمن للفظ المصطلح، أما في المدخل: (النفس الأمارة) فيقول: (النفس الأمارة هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمّر باللذات والشهوات الحسية، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة، قال الله تعالى: { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ } [يوسف/53] (2) .

فقد اتسع الشرح الدلالي فجأة في عدة جمل متتابعة في علاقة عطفية ، ثم انتهى الشرح بالاستشهاد بالشاهد القرآني ، وقلما يقدم الشاهد القرآني على شرح المدخل دلاليا كما جاء في قوله :  
( نون في قوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ } [القلم/1] ، هو العلم الإجمالي في الحضرة الأحذية ، والقلم حضرة التفضيل ) (3) ، ومن ذلك أيضا أن يأتي بالمدخل ثم —

1. اصطلاحات الصوفية للكاشاني تحقيق الدكتور عبد العال شاهين ص 88 .
2. اصطلاحات الصوفية ص 115 ، ولطائف الإعلام 359/2 .
3. السابق ص 118 ، ولطائف الإعلام 365/2 .

يشير إلى الشاهد دون ذكره ، ثم يشرح المعنى كما في قوله : ( الزجاجاة المشار إليها في آية النور ، هي القلب والمصباح هو الروح ، والشجرة التي تتقد منه الزجاجاة المشبهة بالكوكب الدرى ، هي النفس والمشكاة هي البدن ) (1) .

وإن كان لم يكتف في شرح المدخل بشرح الزجاجاة ، وإنما شرح ألفاظا أخرى وردت في الآية على أنها مصطلحات صوفية أيضا .

ويستشهد الكاشاني بالشاهد القرآني للمصطلح المدخل لفظا ومعنى أو لمعناه فحسب ، أى أن الشاهد القرآني قد يتضمن لفظ المدخل إذا كان مفردا أو مركبا ويدل على معناه ، وقد يكون شاهدا على معنى المدخل سواء أكان مفردا دون أن يتضمن لفظه ،

وفي بعض المداخل المركبة يتضمن الشاهد القرآني لفظ أحد جزئي التركيب الاصطلاحي مثل :

1- مداخل تتضمن شواهدا القرآنية لفظ المصطلح المدخل ، ومن أمثلتها مصطلح : (النفس المطمئنة) ، قال : ( هي التي تم تنورها بنور القلب حتى اتخلعت عن صفاتها الذميمة ، وتخلقت بالأخلاق الحميدة ، وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية ، مشايعة له في الترقى إلى جانب عالم القدس ، متنزهة عن جانب الرجس ، مواظبة على الطاعات ، مساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات ، حتى خطابها ربها بقوله :

{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً

فَادْخُلِي فِي —

1. السابق ص80 ، ولطائف الإعلام 507/1 .

عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي { [الفجر/ 27:30] } (1) ومن الواضح أن مصطلح (النفس المطمئنة) قد ورد بلفظه في الشاهد القرآني كما تضمن الشاهد معنى المدخل أيضا .

2- مداخل شواهدا القرآنية للمعنى ولا تتضمن لفظها ، ومن ذلك مصطلح المكانة يقول : ( وهي المنزلة التي هي أرفع المنازل عند الله تعالى وقد يطلق عليها المكان ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ { [القمر/ 55] } (2) ومن الواضح

أن لفظ : (المكانة) لم يرد في نص الشاهد القرآني وإنما ورد معناه المتضمن مرادفه .

3- مداخل مركبة الشواهد القرآنية للجزء الثاني منها ، ومن أمثلتها قوله : ( عبد المجيب هو الذى أجاب دعوة الحق وأجابه وأطاعه حين يسمع قوله : { يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ } [الأحقاف/31] ، وأجاب الله تعالى دعوته حتى تجلى له باسمه المجيب ، فيجيب كل من دعاه من عباده إلى حاجته ، لأنه من جملة الاستجابة التي أوجبه عليه لإجابته تعالى له ، في قوله : { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي } [البقرة/186] لأنه يرى دعائهم دعائه بحكم القرب ، والتوحيد اللازم للإيمان الشهودى في قوله : { وَلِيُؤْمِنُوا بِي } [البقرة/186] (3) فالجزء الأول

---

1. السابق ص 116 ، ولطائف الإعلام ح2ص360 .

2. السابق ص108 ، ولطائف الإعلام 333/2 .

3. السابق ص 136 ، ولطائف الإعلام 127/2 .

من : (عبد المجيب) ، لم يرد في الشاهد ، وإنما ورد بالشاهد لفظ من مادة الجزء الثاني ، ومن الواضح أن صيغة الجزء الثاني من المدخل المركب في : ( عبد المجيب ) تخلفت عن صيغة اللفظ الوارد بالشاهد القرآني : ( أجيبوا أجيب - فليستجيبوا ) ، وثمة

أمر تجدر الإشارة إليه ، وهو أن الشاهد القرآني في معجم الكاشاني لم يأت في نهاية شرح المدخل في جميع حالاته وإنما اكتنفه الشرح الدلالي في بعض الأحيان ، بحيث توسط الشاهد بين أجزاء الشرح أو ايضاح المدخل .

\* وأما الشواهد القرآنية في معجم الدكتور الحفني ، فقد بلغ خمسة وأربعين شاهدا ، استعان المؤلف بها وحدها في شرح خمسة وثلاثين مدخلا ، وتعدد الشاهد القرآني في خمسة مداخل منها ، وجاء وحده في ثلاثين مدخلا وقد أخذ الشاهد القرآني في شرح المداخل عند الحفني اتجاهين من حيث الرتبة ، فإما يأتى المدخل ، ثم الشرح بمرادف تفسيري ، ثم يأتى الشاهد القرآني ، كما ورد في مصطلح : (الاصطفاء) قال : ( الاصطفاء أن يجعل الله تعالى قلب العبد فارغا لمعرفته ، حتى تبسط معرفته الصفاء في قلبه ، وتتساوى في هذه الدرجة خواص المؤمنين وعامتهم من عاص ومطيع وولى ونبي لقوله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ { [فاطر/32] } (1) .

---

1. معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم حفني ص 17 .

ومن الواضح أن الشاهد القرآني جاء في نهاية شرح المدخل ، وأن الشرح قد بدأ بمرادف تفسيري من عدة جمل ، وجاء الشاهد شاهدا

على اللفظ والمعنى جميعا ، وإما أن يأتي الشرح بمرادف تركيبى ثم يأتي بعده الشاهد (1) .

وقد يتسع شرح المدخل فيتجاوز الإطار المعجمى إلى الإطار الموسوعى المقالى وينتهى بالشاهد القرآنى (2) ، لكن الشاهد القرآنى فى معجم الحفنى لا يتقدم شرح المدخل ، سواء أكان فى نهاية الشرح أم كان متوسطا بين الشرح ، كما أن الجزء الثانى من الشرح ، قد يختلف فى علاقته بالجزء الأول بين أن يكون رأيا جديدا منقولاً عن أحد الأئمة أو الصحابة ، أو أن يكون تكملة للجزء الأول من الشرح أو يكون تعليقا على الشاهد القرآنى .

\* الشواهد القرآنية فى المعجم الصوفى : كان للطريقة التى حددتها الدكتورة سعاد الحكيم لشرح المداخل فى معجمها ، أثر كبير فى نمطية الاستعانة بالشاهد القرآنى فى شرح المصطلح الصوفى عند ابن عربى على وجه الخصوص ، فلقد تضمن المعجم معجما للألفاظ القرآنية التى استخدمها الصوفية استخداما خاص بهم ، وبخاصة ما ورد من هذه الألفاظ من مؤلفات ابن عربى ، أما ما لم يرد من هذه الاصطلاحات فى القرآن الكريم ، فقد أشارت إليه أحيانا بتعبير : ( المفرد غير وارد فى القرآن ) ، وبذلك يمكن تقسيم مداخل المعجم إلى قسمين :

الأول : ألفاظ وردت في القرآن الكريم ، وقد بلغ عدد ألفاظ هذا

القسم مائة —

1. السابق ص 34 ، ص 213 .

2. السابق ص 68 .

وخمسة وسبعين لفظا (175) وتعددت معها الشواهد القرآنية وفقا لتنوع كل لفظ منها في القرآن الكريم (1) .

الثاني : ألفاظ غير واردة في القرآن الكريم ، وبلغت ألفاظ القسم الثاني خمسمائة وواحدا وثلاثين لفظا (531) ، جاء منها اثنان وعشرون لفظا ، أورت المؤلفه نصا على عدم ورود كل منها في القرآن الكريم بتعبير : ( المفرد غير وارد في القرآن ) أو ( غير قرآنية ) أو ( لم يرد المفرد في القرآن ) ، إلى غير ذلك من التعبيرات (2) .

وقد أخذ الشاهد القرآني من حيث الرتبة مكانا معيناً لم يتغير بالنسبة للمدخل والشرح عند ابن عربي ، فقد توسط بين شرح المعنى اللغوي وبين شرح المعنى عند ابن عربي وهي رتبة طبيعية ، اختارتها له المؤلفه منذ بداية المعجم ، أو منذ شرعت تقدم لمعجمها ، والتزمت باختيارها لذلك إلى حد ملحوظ ، كما أنه من الواضح أن المؤلفه تعنى بعدد مرات ورود الشاهد في القرآن الكريم ، كما عنيت بالتعليق على الشاهد القرآني في كثير من الأحيان ، وتوثيقه بذكر السورة ورقم الآية ، وربما يأتي التعليق متقدما في بعض المداخل على الشواهد وهي تبرز في عمومها الصلة الوثيقة بين المعنى الصوفي والمعنى القرآني ، وهو

أمر يشير إلى مدى اهتمام المؤلفة وعنايتها بالشاهد القرآني في شرح مصطلحات ابن عربي على وجه الخصوص .

1. انظر على سبيل المثال مصطلح (الأمانة) في المعجم الصوفي ص 131 .

2. انظر على سبيل المثال مصطلح (العماء) في المرجع السابق ص 820 .

\* الشواهد القرآنية في معجم الدكتور الشرقاوي :

اختلفت طريقة الاستعانة بالشواهد القرآنية في المعجم اختلافا ملحوظا ، ففي رتبة الشاهد في المداخل التي عنى فيها المؤلف بشرح المعنى اللغوي يقدم الشرح اللغوي ، ثم يورد بعد ذلك الشاهد القرآني ، وبعد ذلك يذكر المعنى الصوفي كما في مصطلح (البرزخ) ، وقد يستشهد بشاهدين من القرآن الكريم ، ثم يعلق بشرح الشاهد ، ويكون الشاهد القرآني متوسطا بين ذكر المعنى اللغوي وبين ذكر المعنى الصوفي أيضا كما في مصطلح ( الأثر ) (1) .

وقد يقدم الشاهد القرآني مشيرا إلى أن المصطلح الصوفي مستمد منه ، ثم يذكر المعنى اللغوي ثم المعنى الصوفي (2) ، وإذا كان المصطلح متعدد الدلالة تتعدد الشواهد القرآنية وفقا لهذا التعدد في المعنى ففي مصطلح : (الإحسان) ، جاء المؤلف بعشرة معان فأورد عشرة شواهد ، لكل معنى شاهد من القرآن الكريم يقدم المعنى ثم يعقبه بالشاهد (3) ، وقد تنتشر الشواهد في أثناء الشرح تبعا لذكر الملامح المختلفة للمعنى كما فعل في مصطلح : (الرؤيا) (4) ، وغالبا ما كانت العلاقة



الصرفية بين صيغة المصطلح المدخل وصيغة اللفظ الوارد بالشاهد  
القرآني متوافقة في أغلب الشواهد .

1. معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ص 71 .

2. السابق ص 27 .

3. السابق ص 105 .

4. السابق ص 28 .

ومما يجد التنبيه إليه أن كل المعاجم السابقة خلت في الغالب من  
ضوابط اعتبار الأصول القرآنية للمصطلحات ، فالكل يورد الشاهد  
على أنه أصل قرآني للاصطلاح ، دون نقد أو تعليق يبين السبب  
في ذلك ، وعلى أى منهج اعتبر الشاهد صالحا للاحتجاج ، سواء  
هو الذى استشهد للمصطلح ، أو نقله عن غيره من أعلام الصوفية  
ولعل ذلك يرجع إلى اهتمامهم بالعملية المعجمية في المقام الأول ،  
فما يعينهم هو حصر ألفاظ الصوفية والاستدلال لها بغض النظر عن  
كون ذلك مقبولا أو غير مقبول .

**ثانيا : الشواهد الحديثة .**

\* الشواهد الحديثة عند الكاشاني : لا تختلف طريقة الكاشاني في  
استخدام شواهد الحديث النبوى عن طريقته في استخدام الشواهد  
القرآنية أو شواهد الحديث القدسى ، فهو يأتى بشاهد الحديث  
النبوى بعد شرح المدخل دلاليا في بعض المداخل ، وفي بعض ثان

يتسع الشرح ليشمل الشاهد ، كما أن بعض الشواهد تتضمن المدخل لفظا ومعنى ، فتشابه الصيغة الصرفية للفظ المدخل واللفظ الوارد بالشاهد وقد تختلف .

فمثلا فى مصطلح : (القدم) يأتى المصطلح المدخل ، ثم الشرح الدلالى ، ثم الشاهد من الحديث النبوى ، يقول الكاشانى (1) : (القدم هى السابقة التى حكم الحق بها للعبد أزلا ويخص بما يكمل ويتم به الاستعداد من الموهبة الأخيرة —

1. معجم اصطلاحات الصوفية ص160، لطائف الإعلام 228/2 .

بالنسبة إلى العبد لقوله عليه السلام : " لا يزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه فيقول قطنى قطنى " (1) ، وقد جاء الحديث شاهدا على لفظ المدخل دون معناه ، وقد يستشهد الكاشانى بشاهدين من الحديث النبوى ، ويأخذان نفس الموضع من الترتيب أيضا ، كما فى مصطلح ( صبيح الوجه ) (2) ، فقد استشهد فيه بمحدثين جاء أحدهما شاهدا على لفظ المدخل ومعناه ، وجاء الآخر ويشاركه قول الصحابي شاهدا على المعنى دون اللفظ .

\* الشواهد الحديثية فى معجم الحفنى : بلغ عدد شواهد الحديث النبوى أربعين حديثا ، فى حين قل عدد شواهد الحديث القدسى إلى حد ملحوظ إذا ما قورن بعدد شواهد الحديث النبوى ، فقد بلغ ثلاثة أحاديث فقط ، وجاء حديث قدسى واحدا شاهدا فى شرح أحد

المداخل في المعجم تقدم عليه الشرح بمرادف تفسيري وفصل بينه وبين المدخل (3) .

ومن الواضح أن المؤلف قد استخدم عبارة : (قوله تعالى) ، وهي العبارة التي يستخدمها في كثير من الشواهد القرآنية ، مما يجعل القارئ قد يخلط بين النص القرآني ونص الحديث القدسي ، فلم يقل : وفي الحديث القدسي أو قال رسول

---

1. أخرجه مسلم عن أنس بن مالك ؓ أن نبي الله ﷺ قال : " لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه ، فتقول : قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلى بعض " انظر صحيح مسلم حديث رقم (2848) 2187/4 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية ص 155 ، لطائف الإعلام 52/2 .

3. معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم حنفي ص 130 .

الله عن رب العزة ، أو غير ذلك من التعبيرات التي اعتاد الدارسون استخدامها عند الاستشهاد بحديث قدسي ، ويتضح من شرح المدخل أن الحديث القدسي لم يتضمن لفظ المدخل ، وإنما جاء شاهدا على معنى المدخل دون لفظه ، كما أورده المؤلف في نهاية الشرح دون أن يعلق عليه ، وفي الشاهدين اللذين أوردهما المؤلف من الأحاديث القدسية مع نوعين آخرين من الشواهد استخدم عبارة : (قوله تعالى) أيضا ، وهي عبارة متلازمة وبخاصة عند اجتماع شاهدين أحدهما قرآني والآخر حديث قدسي (1) .

أما شواهد الحديث النبوي فقد جاء منها ثلاثة وثلاثون حديثا ، كل منها في شرح المدخل المعجمي ، وتعدد الشاهد الحديثي في شرح مدخلين ، وجاء مع غيره في خمسة مداخل ، وقد أخذ الشاهد الحديثي ثلاث رتب بالنسبة للمدخل والشرح :

1- أن يأتي الشاهد الحديثي بعد المدخل وقبل الشرح .

2- أن يأتي المدخل ثم الشرح ثم الحديث .

3- أن يأتي الشرح شاملا للشاهد بعد المدخل المعجمي بحيث يتقدمه جزء من الشرح ويتأخر عنه جزء آخر .

\* الشواهد الحديثية في المعجم الصوفي : عن ابن عربي بالأحاديث الشريفة في استقصاء مصطلحاته منها ، أو في تأويل معانيها لتساير المعنى الصوفي الغامض —

1. السابق ص 199 .

بالرمز والإشارة ، وكان أمرا طبيعيا أن ترد بالمعجم الصوفي شواهد من الحديث الشريف ، فالمؤلفة تنقل نصوص ابن عربي في شرح كل مصطلح من المصطلحات في المعجم ، وكثير من هذه النصوص يتضمن شواهد من الحديث الشريف ، ولذلك تعد نصوص ابن عربي المكان الواضح والرتبة البارزة للشاهد الحديثي ، فمثلا في مصطلح : (جنة ميراث) تنقل المؤلفة في شرحه نصا من عوارف المعارف يبدأ بحديث شريف ، قالت :

( جنة ميراث قال ع : " إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع .. الحديث " ) (1) .

ثم تشرح المؤلفة معنى المصطلح بإيجاز ، وتنقل نصوصا من فتوحات ابن عربي وهي تعتمد في عدم إيراد المعنى في اللغة أو المعنى في القرآن على ذكر ذلك في المدخل الرئيسي ، وقد تذكر المؤلفة الشاهد الحديثي تحت عنوان : (في القرآن) في شرح المدخل وهو أمر نادر كما حدث في شرح : (ترجمان) فقد ذكرت المؤلفة المعنى في اللغة ثم قالت : ( في القرآن كلمة ترجمان ليست قرآنية ولكنها وردت في الحديث الشريف بالمعنى اللغوي السابق : ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ) (2) ، ثم ذكرت بعد ذلك المعنى عند ابن عربي وكأن المؤلفة كانت تفكر في أن تجعل للحديث رتبة بارزة بعد القرآن في شرح المداخل في معجمها ، ولكن السمة البارزة في جميع المصطلحات ، هي ورود —

1. المعجم الصوفي ص 281 .

2. السابق ص 237 .

الشواهد الحديثية في أثناء شرح المعنى عند ابن عربي وبخاصة بين جنات نصوصه السياقية .

\* الشواهد الحديثية في معجم الشرقاوى : اشتمل معجم الدكتور الشرقاوى على واحد وعشرين شاهدا من الحديث النبوى ، وأربعة

شواهد من الحديث القدسي ، وفيما يلي محاولة لتوضيح أهم ملامح

كيفية الاستعانة بهذا النوع من الشواهد في شرح مداخل المعجم :

1- فقد يتوسط الشاهد من الحديث النبوي الشريف بين ذكر المعنى اللغوي وشرح الدلالة الصوفية كما في مصطلح ( الغين ) (1) .

2- وقد يبدأ الشرح بذكر المعنى عند الصوفية ثم يأتي بالشاهد من الحديث النبوي الشريف كما جاء في شرح مصطلح ( الإيمان ) (2) .

3- وعندما يجتمع الشاهد القرآني والشاهد الحديثي ، يقدم الشاهد أو الشواهد القرآنية ثم يعلق عليها وبعد ذلك يأتي بالشاهد من الحديث النبوي الشريف كما حدث في شرح مدخل (الابتلاء) (3) .

4- وقد يقدم الشاهد من الحديث النبوي على الشاهد القرآني كما حدث في شرحه لمصطلح (الدعاء) (4) .

---

1. معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوي ص 221 .

2. السابق ص 63.

3. السابق ص 20.

4. السابق ص 138 .

4- أما الحديث القدسي ، فقد ورد شاهداً مقترنا بالقرآن الكريم ، ففي مدخل (الجوع) ، جاء المعنى اللغوي : ثم الشاهد القرآني ، ثم

الحديث القدسي وفي مصطلح (الذكر) ، فصل بين الشواهد القرآنية وشاهد الحديث القدسي فبدأ بالشرح اللغوي ، ثم بذكر المعنى الصوفي ثم أتى بشواهد قرآنية ، ثم آراء لبعض الصوفية ثم جاء الحديث القدسي (1) .

ومما يجدر التنبيه إليه أن كل المعاجم السابقة كما خلت في الغالب من ضوابط اعتبارية للاحتجاج بالأصول القرآنية . فالكل يورد الشاهد على أنه أصل قرآني للاصطلاح كأمر مسلم به دون نقد أو تعليق يبين السبب في ذلك وعلى أي منهج اعتبر الشاهد صالحا للاحتجاج . كذلك سار الأمر في الشواهد الحديثية ، هذا فضلا عن خلوها من التحقيق العلمي لدرجة الحديث من حيث الثبوت أو عدمه ، فأغلبهم يشير إلى تخريج الحديث من مصدره بغض النظر عن صلاحيته للاحتجاج أو يعزوه إلى مصدر آخر نقله عنه .

منذ مطلع القرن التاسع عشر إلى اليوم وآراء المستشرقين الذين  
عنوا بدراسة التصوف الإسلامى مختلفة فى مسألة المصدر الذى يمكن  
أن يرد إليه التصوف وقد كان أوائل المستشرقين أميل إلى رد التصوف  
إلى مصدر واحد وهو المصدر الأجنبى (1) .

ويعلل أستاذنا الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى هذا التوجه ، بأن  
الباحثين الغربيين قد ولجوا إلى معرفة التصوف الإسلامى من خلال  
دراساتهم للشعر الفارسى المتأخر ، وقد طبعت هذه المعرفة -  
الناقصة المحدودة التى اعتمدت على وثائق متأخرة ذات طابع خاص  
- على دراساتهم الأولى ذلك التوجه ، فكانت بحوثهم فجأة فى جانب  
كبير منها ، جدلية فى جوانب أخرى ، كما أن الدوافع التى أملتها  
طبيعة العلاقة بين الغرب والشرق فى فترة دراستهم للتصوف تركت أثرا  
كبيرا على أسلوب هذه البحوث ومعطياتها ، هذا بالإضافة إلى قلة  
البضاعة عند المستشرقين فى معرفتهم بالإسلام ، فقد كانت دراساتهم

أسيرة فى إطار —

1. مدخل إلى التصوف الإسلامى ، تأليف الدكتور أبو الوفا التفتازانى ، طبعة دار الثقافة ص 25









دراساتهم ، إلى أن أوائل المستشرقين ظالمون في نسبة التصوف إلى مصادر أجنبية كقول واحد دون تمييز ، فعلى الأقل قد يكون التصوف في مرحلته الأقرب إلى السنة أو مرحلته الفلسفية تشابه في أجزاء من التجربة الروحية ، أو في بعض الوجوه الشكلية أو الأفكار الفلسفية مع ما يمثّلها في الحضارات المختلفة ، إلا أن ذلك لا يعنى دائما وأبدا أخذه كلية عن المصادر الأجنبية ، فالنفوس البشرية واحدة في تركيبها الروحاني ، وهي بين نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين أحدهما يدعو النفس إلى فعل الخيرات ، والثاني يجرها إلى التمرد واتباع الهوى حتى تتهاوى في —

1. إشارة إلى ما عقده البيروني في كتابه ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة من مقارنات بين عقائد الهنود وعقائد صوفية الإسلام .

2. مدخل إلى التصوف الإسلامي ، تأليف الدكتور أبو الوفا التفتازاني ص31 بتصرف .

المهلكات ، والشعور الوجداني قائم أيضا في جميع الأنفس على اختلاف النحل والديانات ، وما تصل إليه نفس بشرية بطريق المجاهدات والرياضات الروحية قد تصل إليه أخرى دون اتصال (1) .

ومن ثم لم يعد القول القديم بأن أصول التصوف أجنبية قولاً مقبولاً في الأوساط الإسلامية فضلاً عن المستشرقين أنفسهم ، فقد تراجع المستشرق الانجليزي رينولد نيكلسون عن هذا الرأي في كتابه ( □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ )

فقال : ( برهن البحث الحديث على أن أصل الصوفية لا يمكن أن

يرد إلى سبب واحد محدود ، ومن هنا لم يرتض باحث مصنف هذه التعميمات الجارفة من أمثال أنها رد فعل العقل الآرى تجاه الدين السامى الفاتح ، أو أنها ليست إلا نتاجا خالصا للفكر الفارسى أو الهندى ( 2) .

- 
1. السابق ص34 ، وانظر أيضا للمقارنة : الحياه الروحية فى الإسلام ص64 وما بعدها وتاريخ التصوف فى الإسلام للدكتور قاسم غنى ، ترجمة صادق نشأت ، طبعة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة سنة 1970م ، 14/1 وما بعدها ، وفصول فى التصوف لأستاذنا الدكتور حسن الشافعى ص64 ، والتصوف إيجابياته وسلبياته للدكتور أحمد محمود صبحى ، طبعة دار المعارف سنة 1984م ص19 وما بعدها ، ودراسة فى التصوف الإسلامى الفلسفى تأليف الدكتور السيد محمد عقيل بن على المهدي ، طبعة دار الحديث ، القاهرة سنة 1993م ص15 ، 16 .
  2. الصوفية فى الإسلام رينولد نيكلسون ص11 وما بعدها .

ويقول المستشرق أربرى :

( يجب أن يكون مفهوما بوضوح أن بناء تاريخ التصوف الإسلامى يظل أمرا مقلقا ، وتلك التعميمات التى تطلق على التصوف الإسلامى فى الغرب أمر لا قيمة له ومن ناحيتى أود أن أطلب هدنة لمدة جيل على الأقل نتوقف خلالها عن مثل هذه الافتراضات ونستجمع كل ما لدينا من قوة على المهمة التى نحن بصددنا ، وهى العمل بواسطة المتخصصين على وصف وتحليل المذهب الصوفى وتطبيقه على أساس من المصادر الإسلامية وحدها )

(1)









مؤسس المذهب الإشراقي تأليف هنرى كوربان تلميذ ماسينيون ، ثم رسالة السهروردي أصوات أجنحة جبرائيل التي ترجمها من الفارسية إلى العربية بول كراوس ، ولم يكن نصيب الدكتور بدوى فى كتابه شخصيات قلقة إلا صفحات ثلاث ، أما بقية الكتاب =

غير أن ماسينيون وإن كان قد بذل جهدا كبيرا فى رد المصطلح الصوفى إلى أصوله القرآنية ، والذى تلقاه كثير من الدارسين المسلمين بالترحيب والقبول والموافقة تعاطفا مع دعوته أصالة المصدر الإسلامى التصوف ، إلا أن كلامه يحتاج إلى وقفات متأنية ونظرات اعتدالية ، يحكمها ميزان الوحي وضوابط الاعتماد على الأصول القرآنية والنبوية ، مع مراعاة هدف المستشرقين فى الكيد لدين الإسلام ، فبعد استقصاء المصطلحات الصوفية استقصاء شاملا لكل ما له علاقة بالأصول القرآنية والنبوية ، سواء من جهة اللفظ أو المعنى من جميع كتب الاصطلاحات والمراجع المختلفة للتصوف ، والتدقيق والنظر فى معانى الشواهد القرآنية والنبوية ، لا نجد تبريرا مقبولا لحكم لويس ماسينيون برد هذه المصطلحات التى تمثل فكر ابن عربى فى وحدة الوجود إلى أصول قرآنية أو نبوية —

= فهو الدراسات الاستشراقية السابقة ، ترجمها الدكتور بدوى من دون هامش نقدى واحد ومن دون معارضة ، ولما أضاف فى طبعة تالية للكتاب كانت الإضافة مقالة تأبين للمستشرق الفرنسى الكبير لويس ماسينيون ، أنهاها بالتصريح أن ماسينيون لم يكن يردد فى لحظاته الأخيرة غير هاتين الآيتين الكريمتين اللتين ردهما الحلاج باستمرار قبل موته وهما قوله تعالى : { قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ } [الجن/22] وقوله : { يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ } [الشورى/18] .

انظر المتواليات دراسات في التصوف للدكتور يوسف زيدان ، طبعة الدار المصرية اللبنانية القاهرة ، سنة 1998م الفصل السابع قراءة في أعمال عبد الرحمن بدوي من تاريخ الإلحاد إلى تاريخ التصوف ص 173:191 .

ولنبرهن على ذلك بعدة أمثله من صنيع ماسينيون :

(1- مصطلح : (النار) في عرف الصوفية يراد به ذات الله عز وجل ويقصدون ظهور الحق تعالى محتجبا بالصورة النارية ، فلما كان هو الظاهر في كل مفهوم الباطن على كل فهم ، صار يلتبس على الناظر عندما يراه في كل شيء ، بحيث ينحجب بمجاليه عن تجليه ، فينحجب عن رؤية وجوده عند ظهوره في الموجودات التي كلها أشعة نوره الوجودي ، فكان الانحجاب بالنار هو المجوسية ورؤية الثنوية وهي تشبيه النورية الحقية بالنار الخلقية (1) كما قال ابن الفارض :

رأوا ضوء نوري مرة فتوهموا : نارا فضلوا في الهدى بالأشعة (2)

وربما عنوا بالنار أيضا عذوبة الطعم التي يتذوقه أهل النار ويتلذذون به كتذوق النعيم الذي يمارسه أهل الجنة ، فالنار على حد قول ابن عربي تعود علي أهلها نعيما ، ولو عرضوا عند ذلك على الجنة لتألموا لذلك العرض ، لو أخرجوا منها في المآل لتضرروا ، فلهم فيها نعيم مقيم لا يشعر به إلا العلماء بالله ، قال ابن عربي :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده : وما لوعيد الحق غيره تعالين

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم : على لذة فيها نعيم  
مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد : وبينها عند التجلى  
تباين

---

1. لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام 354/2 .

2. ديوان عمرو بن الفارض طبعة المكتبة الثقافية بيروت ص 30 .

يسمى عذابا من عذوبة طعمه : وذاك كالقشر والقشر صائن  
(1)

وهذه المعاني لا علاقة لها بما ورد في الأصول القرآنية بأى وجه  
من وجوه المعنى ، غير أن لفظ النار ورد في القرآن فقط ، إلا أن  
لويس ماسينيون من باب التلبيس والتدليس الذى يتسم به  
المستشرقون ، يصرح بلا لبس أو غموض أن مصطلح النار ، الذى  
يعنى به ابن عربى وابن الفارض الذات الإلهية المحتجبة بالصورة النارية  
له أصل قرآنى فى قوله تعالى : { فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ  
بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا  
لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّا  
أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ  
الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [القصص/30:29] (2) .



فَأَلْتَمِسُوا نُورًا { [الحديد/13] ، وسمى الله تعالى نفسه نورا فقال سبحانه  
وتعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا  
مِصْبَاحٌ { [النور/35] وتسميته تعالى بذلك لمبالغة فعله .

والنور في اصطلاح الصوفية يطلق على نور الوجود ، يقول ابن عربي  
: ( والله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود ، والله  
تعالى أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود ، فكنا نورا بإذن ربنا  
إلى صراط العزيز الحميد فنقلنا من النور إلى ظلمة الحيرة ) (2)  
ويتضح معنى النور أكثر إذا علمنا مقصوده

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (179) 161/1 ، وانظر المفردات في غريب القرآن  
ص508 ، لسان العرب لابن منظور ، مادة نور .

2. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص14 ومعجم الكاشاني ص176 ، وشرح الزلال ص141 .  
بنور الشهود ، فيقول ابن عربي : ( من عرف نفسه عرف ربه ، فيعلم  
أنه الحق فيخرج العارف المؤمن الحق بولايته ، التي أعطاه الله من ظلمة  
الغيب إلى نور الشهود ، فيشهد ما كان غيبا له ، فيعطيه كونه  
مشهودا ) (1) .

ويفسر الكاشاني النور في القرآن من منظور مذهب ابن عربي ،  
فقوله تعالى : { مِثْلُ نُورِهِ } أى صفة وجوده وظهوره في العالمين  
بظهورها به كمثل { مِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } ، وهى إشارة إلى الجسد  
لظلمته في نفسه ، وتنوره بنور الروح فلما وجد الوجود بوجوده وظهر

بظهوره ، كان نور السماوات والأرض أى مظهر سماوات الأرواح وأرض الأجساد ، وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات والإضاءة (2) ، والنور الإلهى هو المعبر عنه باللوح المحفوظ وهو نور ذات الله تعالى ، ونور ذاته عين ذاته لاستحالة التبعض والانقسام عليه ، فهو حق مطلق وهو المعبر عنه بالنفس الكلية (3) . ويرى عبد الكريم الجيلى - من أبرز أعلام مدرسة ابن عربى - أن النور الأحدى هو نور محمد ؑ وهو التجلى الأول ، وهو ظهور الذات لذاتها فى عين وحدتها فلكونه أول التعينات ، قال ؑ : أول ما خلق الله نورى (4) وهو —

1. الفتوحات المكية 412/3 ، والسابق 147/4 .

2. تفسير القرآن الكريم للكاشانى 140/2 وانظر السابق 53/2 .

3. السابق 140/2 ، وانظر لطائف الإعلام 366/2 .

4. حديث ضعيف ، روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ونصه ، قلت =

أصل جميع الأسماء الإلهية (1) ، ومن بين كل ما ورد من الأدلة القرآنية والنبوية وهو كثير جدا تخير المستشرق الفرنسى لويس ما سينيون بالذات الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور :

{ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ



مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ { [النور/35] ما هذه الشجرة ؟ فقال ع : كنى عن نفسه سبحانه ، ولهذا نفى عنها الجهات والغرب والشرق كناية عن الفرع والأصل فهو خالق المواد وأصلها ، وكان قبل أن يقول هذا الكلام ، يقول لى : أنت تعرف ما هى الشجرة - وما كان لى علم بها - فلما قال لى : أنت تعرفها وجدت العلم بها فى نفسى عند قوله : أنت تعرفها ، وكنت أقول له : نعم أعرفها وأحب أن أسمعها من فيك ، فكان يقول لى ما ذكرت واستيقظت (2) .

أو تعنى الشجرة أيضا الحقيقة المحمدية أو الكون وتفريعاته (3) فكل هذه المعانى الموضوعه تحت مصطلح الشجرة ، أمن الإنصاف أن يرد ماسينيون أصولها إلى —

1. لطائف الإعلام 35/2 ، 36 وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 12 .

2. السابق 36/2 ، وشجرة الكون لابن عربى ص 58 .

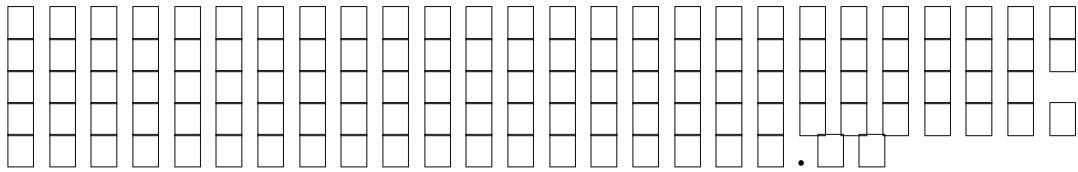
3. تذكرة الخواص فقرة 57 ، وانظر تفصيل هذه المعانى الخبيثة فى الدراسة المعجمية مصطلح النور .

القرآن ، بحجة أن لفظ الشجرة ورد فى قوله تعالى : { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الفصص/30] أو قوله : { أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } { [إبراهيم/24] ؟ ! .



ومن المؤسف أن ماسينيون الذى هللوا له وفرحوا به ، وجعلوه أستاذا لا يشق له غبار فى رد التصوف إلى أصول قرآنية ، قد انتهج هذا السبيل المبني على الخبث والتدليس والمكر والتلبيس فى كثير من المصطلحات ، وتناسى أغلبهم أنه كان مكتسيا برداء المستشرقين ومنهجهم فى دراسة الإسلام (1) .

ولقد أحسن الدكتور عبد القادر محمود ، عندما أشار إلى أن ماسينيون ادعى أن الحلاج ، إنما قتل بسبب الحقد السياسى والمؤامرة السياسية ، لجمع كلمة الإسلام والعروبة ، وأنه لم يقتل بسبب مخالفته لأصول الإسلام ، وعبثه بأدلة الكتاب والسنة ، أو جرأته على حدود الشريعة ، مما يعنى أن ماسينيون يشير إلى أن أصول مذهب الحلوية والاتحادية لا تخالف المنهج العام للأصول القرآنية والنبوية (2) .



2. الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث ، للدكتور عبد القادر محمود الطبعة الثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1986م ص90 ، وانظر المنحنى الشخصى لحياة الحلاج ، لويس ماسينيون ص70 .

ويصرح المستشرق نيكلسون - شأنه شأن لويس ماسينيون - أن بذور وحدة الوجود ، قائمة واضحة فى القرآن واستدل لها بقوله تعالى

: { كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ } [الفصل/88] وقوله : { فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ } [البقرة/115] (1) .

وليس في هذه الآيات أو ما يماثلهما أى شىء عن وحدة الوجود ، وقد حاول المستشرق مارجليوت رد فكرة وحدة الوجود إلى مصادر خارجية عن الحقل الإسلامى ، لكنه رجع فتناقض حي ن أكد أن القرآن هو الأصل فيها ، وأنها بعيدة عن المصادر الخارجية ، فيقول مارجليوت : ( إن الصوفية عندما نظروا إلى الآية : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } [الأنبياء/22] حاولوا وضع حد ميتافيزيقى لله أدى بهم البحث النظرى فى واجب الوجود أو الوجود الحق إلى تقرير وحدة الوجود ) (2) .

كل هذه الاعاءات ، أو سمها على مصطلحاتهم دراسات تمثل نوعا من التعميم المرن والمكر الملفق ، الذى اتبعه المستشرقون من بداية نشأتهم وظهور حركتهم انتهجه ماسينيون ، عندما نسب بصورة أو بأخرى أصول الرموز والمصطلحات الصوفية إلى القرآن ، بغض النظر عن كونها تتوافق مع الوجهة الحقيقية للأصول القرآنية والنبوية ، أو تتمشى مع النهج العام لمعاد الله من خطابه ، أو تخالف الغاية من رسالة السماء ، المهم أن يكون لمصطلحات الصوفية الفلسفية أصل —

1. فى التصوف الإسلامى وتاريخه نيكلسون ترجمة الدكتور عفيفى ص 71 .





. مراحل التصوف وأثرها على التغير الدلالي للمصطلح الصوفي :

إذا نظرنا إلى التصوف عبر مراحل الفكرية المختلفة ، وجدنا أنه يكاد ينحصر في عدة مراحل متميزة ومتدرجة ، ومؤثرة في علاقة الأصول القرآنية بما أفرزته كل مرحلة من رموز وألفاظ واصطلاحات تتنوع في معناها الدلالي ، وتتمثل تلك المراحل فيما يلي :

**المرحلة الأولى :** التصوف الأوّل البسيط ، وأقصد به التصوف الذي نجم عن حركة الزهد ومسلك التوكل على الله ، فالتصوف الذي يعنى في اصطلاح البعض ، نماء الحياة الروحية في الإسلام ، اتخذ من

حياة النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وما كانوا يأخذون به أنفسهم من زهد في الدنيا وإعراض عن زخرفها وجاهها وإقبال على الله عز وجل بقلوبهم ، المصدر الأصيل لبدايته (1) .

ومن المعلوم أيضا أن أغلب الصوفية ، أكدوا على اتباعهم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما سبق في بيان موقفهم من الكتاب والسنة ، إن كان أكثرهم لم يسلم من وقوع في بعض المخالفات قلت أو كثرت ، لكن السمة الغالبة للتصوف في بدايته كانت تتمثل في الترقى بالأخلاق إلى درجتها القصوى التي دعى إليها النبي ﷺ .

فالنبي ﷺ دعا إلى الزهد في الدنيا ، ودعا إلى مكارم الإخلاق ومجاهدة النفس وتأديبها والصدق مع الله عز وجل ، وأمثال ذلك من أنواع الفضائل التي قام —

1. الحياة الروحية في الإسلام للدكتور مصطفى حلمي ص 15 .

عليها التصوف في بدايته ، غير أنه من الملاحظ أن الجيل الأول من الصوفية لم يكن لأغلبهم أنسقة فكرية معقدة ، وإنما هي إضافات نابعة من مسالك شخصية وتجارب إيمانية وأنماط تعبدية ، قد تتسم بالمبالغة في كثير من الأحيان نتيجة الإعجاب ببعض المواقف في سلوكيات عدد من الصحابة ﷺ على وجه الخصوص ، كأبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى وأبي ذر الغفاري وأبي الدرداء

وأويس القرني وغيرهم  $\psi$  (1) فقد رأى هؤلاء الصوفية ملامح نزعتهم في أفعال خير القرون .

وقد أكد الصوفية دائما أنهم يتأسون أخلاق النبي  $\epsilon$  وسلوكه ، وبين السراج الطوسي أن الله ندب المؤمنين إلى الأسوة الحسنة باتباع رسوله  $\epsilon$  فقال :

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب/21] ، وروى عن رسول الله  $\epsilon$  أخبار الأخذ بها لازم لجميع المسلمين ، لأنها نقل الثقة عن الثقة حتى انتهى إلينا ، ولأن الله تعالى يقول : { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [النور/56] وقوله : { إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الزخرف/43] ، فصارت الأسوة به والاتباع له والطاعة لأمره ، واجبا على جميع خلقه ممن شهد أو غاب إلى يوم القيامة غير الثلاثة الذين رفع القلم عنهم (2) .

ويؤكد السراج الطوسي أنه ليس معنى النظر في القرآن والاستدلال

ببعض —

1. اللمع من ص 185: ص 193 .

2. السابق ص 131 .

آياته ، سواء كان استدلالا صحيحا أو باطلا ، أن ذلك يعنى الموافقة لله تعالى في خبره وأمره ، وإنما يلزم الصوفي مراعاة أصول الاستدلال من خلال النظر في أقوال النبي وأفعاله ، فيقول :

( فمن وافق القرآن ، ولم يتبع سنن رسول الله ﷺ فهو مخالف للقرآن غير متبع له ، والمتابعة والافتداء هي الأسوة الحسنة برسول الله ﷺ في جميع ما صح عنه ، من أخلاقه وأفعاله وأحواله وأوامره ونواهيه وندبه وترغيبه وترهيبه إلا ما قام الدليل على خلافه كقوله عز وجل : { خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } [الأحزاب/50] ، وقول النبي ﷺ في الوصال : " لست كأحدكم " (1) ، وقوله ﷺ في الأضحية لأبي بردة بن ينار : " اذبح ولا تجزئ عن أحد بعدك " (2) وما يشبه ذلك ، مما يقوم عليه الدليل من نص الكتاب والآثار (3) .

---

1. أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما بلفظ : " نهى رسول الله ﷺ عن الوصال ، قالوا : إنك تواصل ، قال : إني لست مثلكم إني أطعم وأسقى " انظر الجامع الصحيح المختصر حديث رقم (1861) /2 /693 .

2. أخرجه البخارى عن البراء بن عازب ؓ قال النبي ﷺ : " إن أول ما نبدأ في يومنا هذا أن نضلي ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ، ومن نحر قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله ، ليس من النسك في شيء ، فقال رجل من الأنصار يقال له أبو بردة بن ينار : يا رسول الله ذبحت وعندى جذعة خير من مسنة ، فقال : اجعله مكانه ولن توفي أو تجزي عن أحد بعدك " الجامع الصحيح المختصر حديث رقم (922) /1 /328 .  
3. اللمع ص132 .

واعتبر السهروردي في عوارفه أن الصوفية أوفر الناس حظا في الاقتداء برسول الله ﷺ ، وأحقهم بإحياء سنته ، وقد فصل أخلاق الصوفية محاولا مطابقتها مع أخلاق النبي ﷺ ، فذكر التواضع والمداراة ،



واحتمال الأذى والتجاوز والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة والبشر  
وطلاقة الوجه والإنفاق من غير إقتار (1) .

ويرى السراج الطوسى أن هذه الصفة هى التى ميزتهم عن سائر  
الناس ، لأن ما روى عن رسول الله ﷺ فى الحدود والأحكام  
والعبادات ، من الفرائض والسنن والأمر والنهى والاستحباب  
والرخص والتوسع ، فذلك من أصول الدين وهو مدون عند العلماء  
والفقهاء ومستعمل فيما بينهم ومشهور عندهم فهؤلاء هم الخاصة من  
العامة ، أما الصوفية فهم الخاصة من هؤلاء الخاصة لما أحكموا  
الأصول وحفظوا الحدود وتمسكوا بهذه السنن ، ولم يبق عليهم من  
ذلك بقية فاستبحثوا أخبار رسول الله ﷺ ، التى وردت فى أنواع  
الطاعات والآداب والعبادات والأخلاق الشريفة والأحوال الرضية ،  
وطالبوا أنفسهم بمتابعة رسول الله ﷺ والأسوة به واقتفاء أثره ، بما بلغهم  
من آدابه وأخلاقه وأفعاله وأحواله —

1. عوارف المعارف لعبد القادر السهروردى ، طبعة بيروت ، سنة 1966م ص 299 ويجدر التنبيه على  
أن هذه الأوصاف ، التى ذكرها السهروردى والسراج الطوسى إنما تنطبق على الجانب النظرى الذى  
يتخيله كل كاتب منهم عن الصوفى الأمثل ، لكن الجانب العملى على أرض الواقع - فى صفة  
التصوف والصوفية - يشهد بغير ذلك منذ وقت مبكر فتنبه .

فعظموا ما عظم ، وصغروا ما صغر ، وقللوا ما قلل ، وكثروا ما كثر  
وكرهوا ما كره ، واختاروا ما اختار ، وتركوا ما ترك ، وصبروا على ما  
صبر ، وعادوا من عادى ، ووالوا من والى ، وفضلوا من فضل ،

ورغبوا فيما رغب وحثروا ما حذر (1) ، ودليله في ذلك كله أن عائشة رضی الله عنها ، سئلت عن خلق رسول الله ﷺ ؟ فقالت : " كان خلقه القرآن " (2) تعنى موافقة القرآن وروى عن النبي ﷺ أنه قال : " بعثت بمكارم الأخلاق " (3) .

وقد سرد المكي في قوت القلوب (4) والقشيري في رسالته (5) وغيرهم مقامات وأخلاق الصوفية ملتَمسين لها من القرآن أو سيرة النبي ﷺ دعما ودليلا ، فعدوا فيها التوبة والمجاهدة والمراقبة والتقوى والخوف والرجاء والحزن والجوع وترك —

1. اللمع ص132 ، ص133 .

2. أخرجه مسلم عن حكيم بن أفلح أنه سأل أم المؤمنين عائشة فقالت : " يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِي عَن خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَتْ : أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ بَلَى ، قَالَتْ : فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : فَهَمَمْتُ أَنْ أَفُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ " انظر كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (746) 512/1 .

3. صحيح عن أبي هريرة ر بلفظ : " بعثت لأتمم صالح الأخلاق " وهو اللفظ المروى في مستدرک الحاكم حديث رقم (4221) ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه 670/2 ، وأخرجه أحمد في المسند برقم (8939) 381/2 .

4. قوت القلوب 178/1 وما بعدها .

5. الرسالة 200/1 وما بعدها .

الشهوة والخشوع والتواضع ومخالفة النفس وإصلاح عيوبها وترك الحسد والغيبة والنميمة والتباغض والقناعة والتوكل والشكر واليقين والصبر والمراقبة والرضا والعبودية والاستقامة والإخلاص والصدق ، والحياء والذكر والجود والسخاء والغيرة والدعاء والفقير والأدب والسفر

والتوحيد والإرادة ، والموقف من الموت والمعرفة بالله والمحبة والشوق ،  
والسمع والرؤية وغير ذلك من السلوكيات الصوفية .  
ومن الطبيعي أن يتداول الصوفية فيما بينهم ألفاظا تعبر  
عن وجهتهم الأخلاقية وحصيلتهم الروحية ، أفرزتها حركة التصوف  
الأولى البسيط ، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مجالا  
لإشباع رغباتهم الروحية ، يقول الطوسي : ( فالصوفية استنبطوا من  
ظاهر القرآن وظاهر الأخبار ، معاني لطيفة باطنة وحكما مستطرفة ،  
وأسرارا مذخورة ، وهم أيضا في مستنبطاتهم مختلفون كاختلاف أهل  
الظاهر ، غير أن اختلاف أهل الظاهر يؤدي إلى الغلط والخطأ  
والاختلاف في علم الباطن لا يؤدي إلى ذلك ، لأنها فضائل ومحاسن  
ومكارم وأحوال وأخلاق ومقامات ودرجات ، وكل واحد من  
الصوفية يتكلم من حيث وقته ، ويجيب من حيث حاله ، ويشير  
من حيث وجدته ) (1) .

ومن الملاحظ في طبيعة الألفاظ الدائرة بين الصوفية في هذه المرحلة  
أنها ألفاظ واصطلاحات قرآنية أو نبوية متماسكة مع معانيها الدلالية  
الواردة في الكتاب —

1. اللمع ص 105 .

والسنة لا تنفك عنها إلى حد كبير ، ودور الصوفية يكمن في توضيح  
المعنى أو استنباط حقيقة إيمانية دلت عليها الآيات القرآنية أو السنة



□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

□□□□□□□□□□□□□□□□□

## [1- مصطلح التقوى : ورد اللفظ في القرآن والسنة بمعنى حفظ

النفس عما يؤثم وذلك بترك المحذور ، فالمتقى هو الذى يجعل طاعته لله وامثالاه لأوامره وقاية له من عذابه ، ويتم ذلك أيضا بترك بعض المباحات المشتهات حتى لا يقع في الحرام ، ويمكن تتبع هذا المعنى الدلالى من خلال ألفاظ التقوى التي ورت في الأصول القرآنية والنبوية ، كقوله تعالى : { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة/93] .

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } [محمد/17] ، وفي حديث النعمان بن بشير  $\tau$  أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه " (1) ، وعن تميم بن طرفة  $\tau$  قال : سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول :

" من حلف على يمين ، ثُمَّ رَأَى أَنَّ تَقَى لِلَّهِ مِنْهَا ، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى مَا حَنَّثُ يَمِينِي " (2) وقال ابن عمر رضى الله عنهما : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر " (3) .

وهذا المعنى القرآنى لمصطلح التقوى ، باق على معناه الدلالى فى

استعمال —

1. أخرجه البخارى فى الإيمان (52) /1، 153 ومسلم فى الإيمان (1599) 3/1219.
2. أخرجه مسلم فى الإيمان برقم (1651) 3/1223.
3. أخرجه البخارى فى الإيمان ، انظر فتح البارى 1/60 .

الصوفية له ، ولم يطرأ عليه أى تغير يذكر ، فقد ورد عن أبى العباس الطوسى البغدادى (ت:299هـ) فى قوله : ( التقوى ألا تمد عينيك إلى زهرة الدنيا ولا تتفكر بقلبك فيها )<sup>(1)</sup> ، وينسب إلى أحمد بن عطاء الآدمى (ت:311هـ) : ( للتقوى ظاهر وباطن ، فظاهرها محافظة الحدود وباطنها النية والإخلاص )<sup>(2)</sup> وروى عن أبى الحسن الوراق النيسابورى (ت:320هـ) أنه قال :

( أجل شئ يفتح الله تعالى به على عبده التقوى ، فإن منها تتشعب جميع الخيرات وأسباب القرب والتقرب ، وأصل التقوى الإخلاص وحقيقتها التخلّى عن كل شئ إلا ممن إليه تقواك )<sup>(3)</sup> ولأبى القاسم النصرى (ت:367هـ) أيضا ، فى التبصير بمعنى التقوى : ( من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن الله سبحانه يقول :

{ وَلِلدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الأنعام/32] )<sup>(4)</sup> .

وقال الطوسي (ت:387هـ) : ( معنى قوله تعالى : { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } [آل عمران/102] راجع إلى قوله : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [التغابن/16] (5) .

1. طبقات الصوفية ص 241 .
2. الرسالة القشيرية 308/1 .
3. طبقات الصوفية ص 300 .
4. الرسالة القشيرية 307/1 .
5. اللمع ص 122 .

ويقول القشيري أيضا (ت:465هـ) : ( أصل التقوى ، اتقاء الشرك ، ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ، ثم بعده اتقاء الشبهات ، ثم يدع بعده الفضلات ) (1) .

[2- مصطلح الذكر : ورد اللفظ في القرآن والسنة بمعنى حضور الشئ في القلب وذكره وتذكره بإرادة أو بغير إرادة ، وضده نسيانه وتناسيه ، كما في قوله تعالى :

{ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } [الكهف/63] ، وقال : { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } [البقرة/200] ، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ : والمرسلات عرفا فقالت : يا بني ، والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها

في المغرب " (2) ، وورد أيضا الذكر ، ويعنى ذكر اللسان سواء باستحضار القلب أو غيره ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الأحزاب/41] .

والذكر قد يطلق على بعض المعاني الاصطلاحية الواردة في الكتاب والسنة كالقرآن سماه الله ذكرا في قوله تعالى : { وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ —

1. الرسالة القشيرية 306/1 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الأذان برقم (763) 287/2 .

عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا } [طه/99] ، وكاللوح المحفوظ في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما سماه رسول الله ﷺ ذكرا فقال : " كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض " (1) .

ويراد بالذكر أيضا الصلاة ، لقوله سبحانه وتعالى عن المنافقين : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء/142] ولما روى عن حنظلة الأسيدي ؓ قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم " (2) .

وقد استعمل الصوفية مصطلح الذكر متماسك الدلالة في إطار هذه المعاني القرآنية والنبوية ، ولم يخرج في بدايات التصوف عن هذه المعاني ، واعتبروه ركنا قويا في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل جعلوه



عمدة الأمر فلا يصل أحد إلى الله عندهم إلا بدوام الذكر ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } [الأحزاب/41] ، ومن خصائصه عندهم أنه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله إما فرضا وإما ندبا ، فروى عن أحمد بن الحواري (ت:230هـ) أنه قال : ( إنما كره الأنبياء الموت لانقطاع

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3192) 331/6 .

2. الموضع السابق حديث رقم (3211) 351/6 .

الذكر عنهم ، وعلامة حب الله حب ذكر الله (1) .

وينسب إلى ذى النون المصرى (ت:248هـ) أنه قال : ( من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسي فى جنب ذكره كل شئ وحفظ الله تعالى عليه كل شئ وكان له عوضا عن كل شئ ) (2) ، وروى أيضا عن أبى عثمان النيسابورى (ت:298هـ) أنه قال : ( الذكر الكثير أن تذكره فى ذكرك له ، أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله ) (3) ، ويروى أن أبابكر الواسطى (ت:بعد320هـ) سئل عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى قضاء المشاهد على غلبة الخوف وشدة الحب له (4) ، ويجب أن يلاحظ أن التصوف بالمعنى الأولى البسيط ، والقائم على هذا المنهج هو الذى حظى بالقبول إلى حد كبير ، منذ عهده الأول وحتى عصرنا الحاضر (5) .

ولكن يمكن أن نلاحظ في المرحلة الأولى من تطور التصوف مجموعة من الأنماط السلوكية أثرت بشكل فعال في المراحل التالية ، حيث تبارى المقبلون على التصوف في تشديد القيود على أنفسهم طمعا في زيادة القرب من الله —

1. الرسالة القشيرية 468:464/2 .

2. طبقات الصوفية ص 101 .

3. الرسالة 466/2 .

4. طبقات الصوفية ص 101 .

5. الحياة الروحية في الإسلام ص 25 بتصرف .

فجعل الصوفي نفسه سجينة في بدنه يمارس الرقابة عليها بلا هوادة ، ولا مناص من المراقبة في النظر والسمع والقول والفعل والحركة والتفكير وإرواء الرغبة في الانتصار على النفس ، إذ يتحقق بهذا للمرء إغلاق الأبواب على ذاته وتتركز اهتماماته جميعا حول موضوع النجاة من كل احتمال يتسرب إليه الخطأ في عمله أو ظنه بخالقه ، فقال الجنيد بن محمد (ت:297هـ) الملقب سيد الصوفية في عصره : ( ما أخذنا التصوف عن القيل والقال ، لكن عن الجوع وترك الدنيا ، وقطع المؤلفات والمستحسنات ، لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله وأصله التعزف عن الدنيا ) (1) ، وروى عن أبي تراب النخشي (ت:245هـ) أن مريدا من مريديه كان يسير معه ، فغلبته نفسه وشهوته إلى الطيب من ألوان الطعام ، وامتدت يده إلى قشر البطيخ

يريد أن يأكله فقال له : ( أنت لا يصلح لك التصوف الزم السوق )  
(2) .

ونرى مثلا آخر لأبي الحسين أحمد بن محمد النورى (ت:295هـ)  
ونظرته الصارمة فى التعامل مع المال ، إذ يروى عنه أنه صعد قنطرة  
على نهر دجلة وأخذ يرمى ثلاثمائة دينار فى الماء واحدا واحدا ثم  
عقار بيع له ، وهو يقول مخاطبا ربه : ( حبيبي تريد أن تخدعنى منك  
بمثل هذا ) (3) .

---

1. طبقات الصوفية ص 158 .

2. الرسالة القشيرية 1 / 109 .

3. اللمع فى التصوف ص 493 .

وإذا كانت نظرة الإسلام للمال نظرة ابتلاء واختبار إلا أن أبا  
الحسين النورى تعامل معه بشكل صارم فيه نوع من التشدد والغلو  
، والمبالغة فى التعبير عن كراهية الدنيا .

وقريب من هذه الأفعال ، ما روى عن إبراهيم بن شيبان أنه قال  
لأبي بكر الشبلبي (ت:334هـ) : ( كم فى خمس من الإبل ؟ ، أى  
مقدار الزكاة فيها فقال أبو بكر الشبلبي : فى واجب الأمر شاة ،  
وفيما يلزمنا كلها ) (1) .

ويعنى أن حكم الشرع عند عامة المسلمين فى الزكاة الوقوف عند الفرائض فيخرجون شاة لكل خمس من الإبل ، أما فى عرف الصوفية فإنهم يخرجون أموالهم كلها ولا يبقون على شىء منها . كل ذلك أيضا بدافع المبالغة والتعبير عن الزهد فى الحياة ، إذ أنهم يعتبرون أن من ادعى العبودية وله مراد باق فيها فهو كاذب فى دعواه (2) ، ويتكرر الأمر ملحوظا فى الصلاة والصوم وغير ذلك من أنواع العبادات ، وفى الصلاة يقول أبو بكر الشبلى : ( كنت فى أول بدايتى إذا غلبنى النوم أكتحل بالملح ، فإذا زاد على الأمر أحميت الميل فأكتحل به ) (3) .

ومع أن صلاة الليل من فضائل الأعمال ومندوباتها ، إلا أن

الشبلى أخذها —

1. السابق ص 210 .

2. مقولة محمد بن اسماعيل الصوفى (ت:299 هـ) ، طبقات الصوفية ص44 ، 245.

3. اللمع فى التصوف ص 204 .

بقوة ، كالفرض سواء بسواء ، وفى الصيام كذلك ، يروى عن رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) أنه عطش عطشا شديدا فاستسقى جارية ، فقالت : ( ويحك صوفى يشرب بالنهار فاستحى منها ونذر ألا يفطر أبدا ) (1) .

وفضلا عن كون الصورة المرتسمة فى أذهان العامة عن صوم الصوفية ، أنه صوم دائم لا ينقطع ، إلا أن رويم بن أحمد بدلا من أن

يوضح للجارية أن ذلك من السنة ، وأن النبي ﷺ نهي عن الوصال في الصوم ، سعى إلى المزيد في وصم الصوفية بالمداومة على هذا الوضع ونذر ألا يفطر أبدا ، فصار حال التصوف في بدايته عبودية على وجه الاضطرار بلا اختيار ، أو كما قال عبد الله بن محمد بن منازل (ت:329 هـ) : ( العبودية اضطرار لا اختيار فيه ) (2) .

**المرحلة الثانية :** مرحلة التصوف الأولى المركب ، وأعني بذلك التصوف المبني على الفكر المنظم ، الذي نتج عن إضافات الصوفية الاجتهادية في رسم خطوات الطريق للمريدين وتدرجهم في منازل السائرين ، وترتيب المقامات والأحوال عند المتحققين ، فلم تعد قضية الاكتفاء بالممارسة العملية كافية لإبراز الوجهة الحقيقية للعلاقة القائمة بين الصوفية وربهم ، ولكن تطور الأمر عندهم إلى ما هو أرقى من مجرد الزهد في الدنيا وترك المألوفات والمستحسنات فأصبح التصوف قريبا من الفكر المنطقي المنظم إلى حد بعيد ، وأبرز الطريق —

1. الرسالة 128/1 .

2. طبقات الصوفية ص 368 .

الذي التزمه أوائل الصوفية وباشروه في تجاربهم الشخصية ، نتاجا فكريا أطلقوا عليه مقامات السائرين وأحوال المتحققين .

فأعلن أغلبهم أنه يبدأ بالتوبة ثم الورع يعقبه الزهد ثم الصبر والتوكل والرضا وينتهي الطريق بالحرية ، فالحرية عندهم آخر مقام للعارف ، وهي تعنى بلوغ الصوفي تمام العبودية لله ، روى عن أحمد بن خضرويه

(ت:240هـ) أنه قال : ( فى الحرية تمام العبودية وفى تحقيق العبودية تمام الحرية ) (1) .

ثم يبدأ الصوفية فى جنى ثمار المجاهدة التى بذلوها حتى وصلوا إلى الحرية أو الدرجة الرفيعة فى مقام العبودية ، فأول ثمار الحرية أن يبلغ الصوفى طريق الحب فرسموا لهذا الطريق بداية ونهاية ، فالبداية تكون بالخوف والرجاء يعقبها القبض والبسط ثم الهيبة والأنس ثم التواجد والوجد والوجود ثم ينتهى عندهم بالفناء .

وعندما ينتهى طريق الحب يبدأ طريق ثالث بدايته عند نهاية حال الفناء ، وفيه يتقلب الصوفى بين ممارسة الفناء والبقاء ثم الجمع والفرق ثم الغيبة والحضور ثم المحو والإثبات ثم التلوين والتمكين حتى يصل إلى التحقق .

فإذا وصل إلى التحقق وصل إلى الكمال فى جنى المحصول الصوفى ، وهو ما يسمى بلوغ الصوفى درجة الحقيقة التى تقابل الشريعة فى عرفهم (2) ، وربما تسمى هذه المرحلة عندهم مرحلة الحب والفناء .

---

1. اللمع للسراج الطوسى ص448 طبقات الصوفية ص104 .

2. انظر تفصيل ذلك فى كتاب الإمام القشيري سيرته آثاره مذهبه فى التصوف =

ويذكر الدكتور التفتازانى أن تحولا واضحا طرأ على الزهد منذ أوائل القرن الثالث الهجرى على وجه التقريب ، ولم يعد الزهاد فى هذه الفترة يسمون بهذا الإسم ، وإنما عرفوا بالصوفية واتجهوا إلى

الكلام عن معاني لم تكن معروفة من قبل ، فتكلموا عن الأخلاق  
والنفس والسلوك ، محددين طريقا إلى الله يترقى السالك له فيما يعرف  
بالمقامات والأحوال .

وتكلموا أيضا عن المعرفة ومناهجها والتوحيد والفناء ، ووضعوا  
القواعد النظرية لهذا كله ، كما حددوا رسوما عملية معينة لطريقتهم  
وأصبحت لهم لغة رمزية خاصة لا يشاركون فيها سواهم (1) .

ويشير الدكتور أبو العلا عفيفي أيضا ، إلى أن التصوف بعد أن  
كان زهدا بسيطا ، دخل طورا جديدا ولعب دورا مؤثرا إلى حد بعيد  
في الأذواق والمعرفة والمواجيد ، وقع هذا الدور في القرنين الثالث  
والرابع ، اللذين يمثلان العصر الذهبي للتصوف في أرقى وأصفى مراتبه  
(2) .

---

= للدكتور إبراهيم بسيوني ، مجمع البحوث الإسلامية 1972م ، ص 230 : ص 300 وانظر أيضا في  
ترتيبهم للأحوال والمقامات ، مفهوم الحرية عند الصوفية في القرنين الهجريين الثالث والرابع ، رسالة  
ماجستير للدكتور محمود عبد الرازق ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم (618)  
1995م ، من ص 316 إلى ص 366 .

1. مدخل إلى التصوف الإسلامي ، تأليف الدكتور أبو الوفا التفتازاني ص 95 بتصرف .

2. التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دكتور أبو العلا عفيفي ص 92 ، وانظر =

وقد أطلق الصوفية منذ هذا العصر وما بعده ، تسميات خاصة  
على علمهم فعرف بعلم الباطن ، وبعلم الحقيقة ، وبعلم الوراثة ،

وبعلم الدراية فى مقابل علم الظاهر ، وعلم الشريعة ، وعلم الدراسة ،  
وعلم الرواية (1) .

وفى هذه المرحلة يعرور الصوفى فى رحلته طوارى شعورية وإيحاءات  
نفسية قد تكون عابرة ومتغيرة فيسمىها بعض الصوفية أحوالا ليفرقوا  
بينها وبين الإطار النفسى الذى يطول مكثه فيسمى مقاما ، فشعور  
الخوف مثلا يسبب الانقباض والانكماش النفسى ، بحيث تضيق  
الأرض بما رحبت فى نظر الصوفى ، ولذا سميت هذه الحالة بحالة  
القبض ، والشعور بالرجاء يؤنس النفس ويؤدى إلى انبساط الإنسان  
وتفتحه ويسمى الصوفية هذه الحالة بالبسط (2) .

ويعبر المستشرق نيكلسون عن التطور الذى حدث فى هذه

### المرحلة بوضع —

= للتوسع فى هذه النقطة ، المنهج الصوفى فى الأخلاق ، إعداد محمد يوسف بن الحاج محمد نور ،  
رسالة دكتوراه بمكتبة كلية دار العلوم سنة 1974م ، وأثر التصوف الإسلامى فى الآداب  
والأخلاق ، إعداد محمد زكى عبد السلام مبارك رسالة دكتوراه بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة  
سنة 1937م ، ومدارك السالكين عند الصوفية وأثرها فى السلوك ، إعداد محمد هاشم شكرى ،  
رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1977م .

1. مدخل إلى التصوف الإسلامى ص 97 .

2. التصوف طريقا وتجربة ومذهبا ص 147:148 بتصرف .

قواعد السلوك الصوفى ، فيقول : ( أما تععيد القواعد وتنظيم رسوم  
الطريق الصوفى ، فإنك تلمحهما واضحين كل الوضوح فى أقوال



مشايخ ذلك العصر أينما قرأتها ، فإنهم قسموا الطريق إلى سلسلة من المراحل ، بل ميزوا بين أنواع مختلفة من الطرق (1) .

وأصبحت كلمة طريقة عند الصوفية ، تمثل منهجا منظما يشير إلى مجموعة الآداب والأخلاق التي يتمسك بها طائفة من الصوفية ، حتى جعل القشيري مصطلح الطريقة الصوفية مقابلة لطريقة أرباب العقل والفكر ، ويذكر أيضا كلمة طريقة بمعنى منهج الإرشاد النفسى والخلقى ، الذى يربى به الشيخ مريده فيروى عن أبى على الدقاق قوله : ( الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ، لكن لا تثمر ، كذلك المرید إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته نفسا فنفسا ، فهو عابد هواه لا يجد نفاذا ) (2) .

وقد أفرزت هذه المرحلة معان واسعة الدلالة للمصطلح الصوفى ، ومضى بعض الصوفية إلى الاستقصاء والبحث عما ورد فى الأصول القرآنية والنبوية من شواهد ، تؤيد ذلك بحيث بدت غالبية القضايا الفكرية اللاحقة فى التأمل الذوقى النظرى ، نتائج ضرورية من إفراز هذا الميدان واتسعت دلالة المصطلح —

1. فى التصوف الإسلامى وتاريخه نيكلسون ، ص 20 .

2. الرسالة القشيرية ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وآخر 735/2 وانظر مدخل إلى التصوف الإسلامى ص 97 .

الصوفى وزادت مساحتها ، لتنتقل من دلالة قرآنية عامة تتناول سائر الناس إلى دلالة تفرق بين العامة والخاصة وخاصة الخاصة وأنواع

أخرى متزايدة ، فالتغير الدلالي لمصطلح التقوى اتسع ليشمل إطارات مركبة ، وحدود مفصلة لمعاني التقوى من وجهة النظر الصوفية ، فتعددت درجاته وتباينت أنواعه فظهر من ذلك عدة اصطلاحات محدثة منها :

- 1- تقوى العوام : وهى التى تقدمت فى المرحلة الأولى بالمدلول القرآنى وتمثل فى طاعة العبد لربه فيما أمر ونهى .
- 2- تقوى الخواص : وهى موافقة العبد لربه فيما قدر وقضى .
- 3- تقوى خاصة الخاصة : وهى أن تعرف ما لك وما له فلا تضيف ما بك من نعمة إلا إليه وإن وجدت غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك .
- 4- التقوى من التقوى : وهى أن تنخلع من إضافة التقوى إليك لمشاهدتك قيومية الحق تعالى للأشياء .
- 5- تقوى المنتهين : هو طهارة قلوبهم عن أن يلم بها شئ غير الحق وهذا القلب يطلقون عليه البيت المحرم .
- 6- تقوى المحققين : هو التقوى منه به أى تقواك من مقتضيات اسم المنتقم والضار بالالتجاء إلى اسمه النافع والغفار ، كما قال النبي ﷺ : اللّهم إني أعوذ بك منك " (1)

1. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (486) 352/1 عن عائشة=

7- تقوى الحقيقة : هو أن يتقى الله من أن يضيف إليه ما لا ينبغي

لقدسه من الحدث وتوابعه أو أن يضيف إلى خلقه ما لا

ينبغي إلا له مما استأثر به لنفسه وهذا إيثار المتقين (1) .

ومصطلح الذكر أيضا اتسعت دائرته الدلالية ، من لفظ ورد في

القرآن والسنة بمعنى حضور الشئ في القلب دون نسيان وذكره

وترديده على اللسان كما في المعنى السابق الذى ورد في التصوف

الأولى البسيط لتستوعب هذه المعاني :

1- ذكر العامة : وهو ما يتقرب به عامة أهل الإيمان من ذكر الله

تعالى إما بكلمة الشهادة وهى كلمة لا إله إلا الله وإما

غيرها من التسيبحات والأدعية والأذكار .

2- ذكر الخصوص : وهو الذكر الذى يكون من تلقين الشيخ المرشد

لذكر معين إما كلمة لا إله إلا الله أو غيرها ، وذلك لإزالة

قيد وحجاب معين مرشد إلى إزالته شيخ عارف بأدواء

النفوس ، يكون تلقينه لذلك الذكر أقوى أثرا فى إزالة ظلمة

الحجب ، عندما تكون الملازمة لذلك الذكر عن حضور

يدفع كل خاطر حتى خاطر الحق أيضا ، ويمنع كل تفرقة

تخطر بالبال ويجعل الهم هما واحدا بحيث لا

---

= رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " .  
1. لطائف الإعلام 341:339/1 .

يخطر بالبال غير المذكور ، متوجها إليه بتوجه ساذج عن العقائد المقيدة بل على اعتقاد ما يعلم الحق نفسه بنفسه في نفسه ، ويعلم كل شئ وعلى ما تعلم رسله وتفهمه عنه بحيث لا يدخل خلوة الذكر إلا وهو خال عن كل معتقد سوى الإيمان بما جاء من عند الله على مراد الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ .

3- الذكر الظاهر : ويعنى به ذكر اللسان الذى بمداومته يحصل الخلاص من الغفلة والنسيان .

4- الذكر الخفى : وهو الذكر بالجنان مع سكوت اللسان .

5- ذكر السر : وهو ما يتجلى له من الواردات .

6- الذكر الشامل : يعنى به استعمال الظاهر والباطن فيما يقرب من الله تعالى بحيث يكون اللسان مشغولا بالذكر ، والجوارح بالطاعات ، والقلب بالواردات .

7- الذكر الأكبر : يعنى به ما وقعت الإشارة إليه بقوله تعالى : {

وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } [العنكبوت/45] والمراد به كمال المعرفة والطاعة

قال ﷺ : □ أنا أعرفكم بالله وأتقاكم له " (1) ، فمن كان في

معرفة وطاعته على هذا

1. لم يرد في الحديث لفظ : " أنا أعرفكم بالله " ولكنه صحيح عن عمر بن أبي سلمة ؓ عن النبي ﷺ بلفظ : " أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له " أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصيام برقم (1108) 779/2 .

الحد فهو عندهم صاحب الذكر الأكبر .

8- الذكر الأرفع : وهو الذكر الأكبر لأنه أرفع الأذكار ، ويسمى الذكر المرفوع أيضا ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح/4] ، فإنه تعالى رفعه بذكره وطاعته له إلى مرتبة في الذكر لا يعلوها غيره من الخلائق .

9- الذكر المرفوع : هو الأرفع ، وقد يعنى بالذكر المرفوع ذكر الحق لعبده جزاء له على ذكره لربه ، كما جاء في الكلمات القدسية إنه تعالى يقول : " من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم " (1) .

. نتائج سلبية أفرزتها المرحلتان السابقتان :

ولئن كان التصوف في مرحلتيه السابقتين ، متوافقا في أغلب الأحوال مع ضوابط النظر إلى الأصول القرآنية والنبوية إلا أنه ظهرت بعض الصفات السلبية كنتائج مؤثر في المراحل التالية ، فالتصوف الذي بدأ زهدا بسطا وتوكلا تلقائيا عفويا على الله باعتباره هو الذي يكفى عباده المتقين وإن كان قد استمر اتجاهها معتبرا عند المحافظين إلا أنه اكتسب أطرا تصنيفية عند آخرين ، وتشبع بتطلعات نظرية ازدادت

تعقيدا وتشعبا يوما بعد يوم ، إلى جانب ظهور اتجاهات فرعية

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (6856) 2/1 ص 187 ، وانظر لطائف الإعلام ص 468:  
. 471

نمت وربت وتطورت واتسعت إلى درجة أن الزهد أو التوكل ،  
الذى يعد حجرا أساسيا أو زاوية فى بنائها العقدى والسلوكى ، لم  
يعد هو المهيمن على بواعث السلوك ، وطرأت مشكلات جديدة لم  
يألفها السلف أفرزتها طبيعة العصر والثقافات الواردة والههم التى  
مارست هذا النوع من التجارب الصوفية التى قصدت الحقيقة .

ولقد أبت المستويات المتطورة والمتلاحقة من الثقافات الوقوف  
عند حد الانقياد والتسليم للكتاب والسنة ، بل ما فتئت تبحث  
لاتجاهاتها عن مسوغات ومبادئ نظرية تذود عنها ، وتقيمها مذهباً  
فكرياً يقف أمام تيارات النقد الموجهة من المخالفين ، فى النظرة  
إلى جدوى هذا النوع من السلوك فى تحقيق معنى التوحيد وفهمه  
الفهم الأقوم ، وخلال تلك المسيرة لم يفتر التصوف عن الاستفادة من  
كل ما وقعت عليه يده ، فقد صرف المتصوفون جهوداً كبيرة فى  
الرياضات النفسية ، ولم يدخروا وسعاً فى الاطلاع على الآثار الدينية  
السابقة وجندوا معلوماتهم التى استقوها من التوراة والإنجيل ، مع ما  
ارتبط بذلك من دعوة إلى الزهد والفقر والاستسلام .

يقول الدكتور كمال جعفر : ( ظهر في تعبير الصوفية العملى والمكتوب آثار التطور ، إما بطريقة مباشرة أو خفية فى أحيان كثيرة ، وغدت آثار المفكر الصوفى الواحد تشتمل على كثير من العقائد ذات الأصول المختلفة تتم المؤخاة بينها ، من خلال إمكانية التفسير والصرف ، بسبب طبيعة اللغة التى كتبت بها وطبيعة تكوين التجربة المعرفية الدينية ذاتها ، وحفلت الإشارات لدى أعلام التصوف ، بالمعاني الزاخرة التى تستند أصلا إلى قدر غير يسير من التراث السابق ) (1) .

ويمكن الإشارة إلى نماذج من السلبيات التى لازمت التصوف فى مرحلتيه الأولى والثانية ، والتى دفعت بعض الصوفية إلى الجرأة على كسر حاجز الاتباع وإطلاق العنان أمام الدوافع والانفعالات الروحية لتعطى ما أفرزته حرية التجربة الصوفية ، وأهم هذه السلبيات يتمثل فيما يلى :

(1- التأكيد على إظهار الذات الصوفية من خلال الاعتراف بالجهد النفسى الذى يتكلفه الصوفى لكبت رغباته وشهواته مما يوقع فى المغالاة وانعدام التأسى ، كما رأينا نماذج متعددة فيما سبق وكقول مالك بن دينار : ( ما أكلت العام رطبة ولا عنبة ولا بطيخة ألت أنا مالك بن دينار ، وقال لرجل من أصحابه : إني لأشتهى رغيفا لينا بلبن رائب ، فانطلق فجاء به فجعل مالك يقبله

وينظر إليه ثم قال : أشتهيك منذ أربعين سنة ، فغلبتك حتى كان اليوم وتريد أن تغلبنى ، إليك عنى وأبى أن يأكله ، لقد اشترت لأهلى طيبا بدرهم وإنى لأحاسب نفسى فيه منذ عشرين سنة فما أجد له مخرجا ( 2) .

ويسفر هذا النص عن الاعتراف بالجهد النفسى الذى يتكلفه الصوفى لكبت رغباته وشهواته ومشاعره وحاجاته الحقيقية ، وهذه المجاهدة الشخصية تكشف —

1. من التراث الصوفى 19/1 .

2. حلية الأولياء 365/2 .

عن عدم التأسى التام بما كان يفعله النبى ؑ خاصة فى الإقبال على الطيبات وتظهر جانبا هاما من تحول التصوف من مجرد طريقة لنيل رضى الله إلى طريقة تؤكد قوة الذات السالكة فى طريق الوصول إلى الله ، وفى هذا السياق يبدو الموقف العدائى الذى اتخذه الصوفى إزاء الدنيا ، وقد اتسم بنوع من الفاعلية تدفع إلى الرغبة فى الانتصار ، بحيث تكون مقاومة المغريات شاملة لما هو خارج نطاق الأحكام الأخلاقية ، فأكل رغيف الخبز مع لبن رائب ليس قضية إشكالية على المستوى الأخلاقى أو الدينى التعبدى ، ولم يتحول إلى ذلك إلا بجهد شخصى خاص ، عمد فيه مالك إلى تكريسه لدى الآخرين ، كطريقة عفوية فى تثبيت الانفرادية والشعور بالتميز وبالتأنى والتفوق ، وقد اعتبر مالك التجرد من كل شئ سبيلا ملائما للعبادة



، ووصل إلى حد القول : ( لو استطعت لطلقت نفسي ) (1) ،  
خشية وجود علاقة بين شيئين ، هو أحدهما يترتب عليها نتائج  
سلوكية يحاسب عنها ، وقد حدث على مثل هذا التصرف فقال :  
( لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين ، حتى يترك زوجته كأنها أرملة ،  
ويأوى إلى مزابل الكلاب ) (2) .

وهذا سهل بن عبد الله التستري ، واطب على صوم الوصال  
بهيئات متعددة ثلاثة أيام متواصلة ، ثم خمسة ، فسبعة ، وحاول  
صيام خمس وعشرين ليلة (3) معتبرا إضعاف قدرة البدن عن الحركة ،  
طريقا للوصول إلى الكمال الممكن في —

1. السابق 365/2 . 2. السابق 359/2 . 3. اللع ص 269.

تأديب النفس مع الاعتقاد بأن البدن عائق في سبيل المعرفة والوصول  
إلى الكشف عن الحقيقة ، وأفعال الصوفية في هذا الميدان أكثر من  
أن تحصى .

(2- زعم الوصايا الإلهية للنبي ؑ ومحاكاة القرآن في النظم المسجوع  
، حيث نشأت أقوال وعظية لدى أوائل الصوفية ، تحمل اتجاهها  
خطيرا يتمثل في محاكاة القرآن الكريم في اصطناع الأسجاع في  
مواعظهم ، فمن ما ذكره إبراهيم بن أدهم في نصحه الإرشادي  
ومخاطباته الوعظية حيث قال :

( إياكم والكبر ، إياكم والإعجاب بالأعمال ، انظروا إلى من دونكم ، ولا تنظروا إلى من فوقكم ، من ذل نفسه رفعه مولاه ، ومن خضع له أعزه ، ومن اتقاه وقاه ، ومن أطاعه أنجاه ، ومن أقبل عليه أرضاه ، ومن توكل عليه كفاه ومن سأله أعطاه ، ومن أقرضه قضاه ، ومن شكره جزاه ، اشغلوا قلوبكم بالخوف من الله ، وأبدانكم بالدأب في طاعة الله ، ووجوهكم بالحياء من الله وألسنتكم بذكر الله ، وغضوا أبصاركم عن محارم الله ، فإن الله تعالى أوحى إلى نبيه : يا محمدا كل ساعة تذكرني فيها ، فهي لك مذخورة ، والساعة التي لا تذكرني فيها ، فليست لك ، هي عليك لا لك ) (1) .

فالجدید فی هذا الأقوال ليس الوعظ وطريق النجاة اللذين ذكرهما إبراهيم بن أدهم ، بل الجديد والغريب في وقت واحد ، هو الاتجاه إلى زعم الوصايا الإلهية للنبي ﷺ مما سنجده عند الصوفية تباعا ، حيث أفاد هذا الرجل صدور وعيد —

1. حلية الأولياء 40/8 .

إلهي لنبيه محمد ﷺ أن الساعة التي لا يذكر فيها ربه ستحسب عليه إذ لا أصل في الدين لهذا الزعم .

ومن ذلك أيضا ما روى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال : ( يقول الرحمن : إني عبادي ، إلى عبادي ، إلى أوليائي المطيعين ، إلى أحبائي المشتاقين ، إلى أصفياي المحزونين ، ها أنا ذا ، عرفوني من

كان منكم مشتاقا أو محبا أو متعلقا فليتمتع بالنظر إلى وجهى  
الكريم ، فوعزتى وجلالى لأفرحنكم بجوارى ولأسرنكم بقربى ،  
ولأبيحنكم كرامتى ، من الغرفات تشرفون ، وتكئون على الأسرة  
فتملكون ، تقيمون فى دار المقامة أبدا لا تظعنون ، تأمنون فلا  
تخزنون وتصحون فلا تسقمون ، تنعمون فى رغد العيش لا تموتون ،  
وتعانقون الحور الحسان فلا تملون ، كلوا واشربوا هنيئا ، وتنعموا بما  
أنحلتكم الأبدان ، وأنهكتكم الأجسام ، ولزمتهم الصيام ، وسهرتم بالليل  
والناس نيام ) (1) ، ويفهم من هذا الكلام أمور خطيرة ، أهمها :

1- الرغبة فى المحسنات البديعية للكلام من خلال السجع

المصطنع ، الذى يعطى وقعا مقبولا فى النفوس .

2- نسبة الوعد إلى الحق فى إباحة كرامته للعبد ، وهذا من باب

القول على الله بلا علم ، ووذى إلى فتح طريق من الصعب أن

يغلق فى هذا الباب .

3- خطور الأبعاد الاعتقادية التى يوصل إليها مثل هذا الكلام .

---

1. السابق 37/2.

(3- الجرأة على الفتيا فى الأمور الروحية وتقسيماتها بلا دليل ،

وهذا الاتجاه قل من سلم منه ، يقول شقيق البلخى : ( عشرة أبواب

من الزهد يسمى الرجل منها زاهدا إذا فعلها ، فإذا خالفها سمي متزهدا (1) .

ولا يدري الباحث على أى دليل قام هذا التقسيم ، ومثله قوله : ( هنا سبعة أبواب يسلك منها الرجل إلى طريق الزهد ) (2) ، ويقول أيضا فى التوكل :

( أربعة أنواع من التوكل ، يمكن أن يختلط بعضها ببعض ، فتلبس الأمور على السالك ، التوكل على المال : أن نقول ما دام هذا المال فى يد فلان فلا أحتاج أحدا ، التوكل على النفس : وهو الاعتداد بقوى الإنسان الخاصة وحدها ، التوكل على الناس : وهو الاعتماد عليهم فى كل الحوائج ، التوكل على الله : وهو أن تعرف أن الله تعالى خلقك وهو الذى ضمن رزقك وتكفل برزقك ، ولم يوجبك إلى أحد ، وأنت تقول بلسانك : { وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي } [الشعراء/79] (3) .

ويقول سهل بن عبد الله ، تاركا عنان الخيال التصويرى : ( للقلب سبعة حجب سماوية وسبعة أرضية ، ولا ترتفع الحجب حتى يدفن المؤمن نفسه فى أرض أرض ، فيكشف له سماء سماء ، لكل أرض سماء حتى ينتهى إلى الثرى —

1. طبقات الصوفية ص 61 .

2. حلية الأولياء 66/1.

3. السابق 61/1 .

ثم إذا صار إلى الثرى ، وصل القلب إلى العرش ) (1) .

وكل هذه الاجتهادات والتقسيمات الروحية تفتقر إلى الدليل ، ومن ثم فإنه من الطبعي أن تكون النظرة في الأصول القرآنية ، نظرة انتقائية تدعيمية للتدليل على صدق التجربة الصوفية .

(4- اتجاه التبصير بجدوى الفعل الصوفي ومنحاه ، حيث تجرأ كثير من الصوفية على منح الجزاء على الأفعال الصوفية ونسبتها إلى الله ، كقول شقيق : ( أقرب الزهاد من الله أشدهم خوفاً ، وأحب الزهاد إلى الله أحسنهم عملاً وأفضل الزهاد عند الله أعظمهم فيما عنده رغبة ، وأكرم الزهاد عليه أتقاهم له وأتم الزهاد زهداً أسخاهم نفساً وأسلمهم صدراً ، وأكمل الزهاد زهداً أكثرهم يقيناً ) (2) ، وما يؤخذ على هذا التعداد لمراتب القرب والفضل والكرم والتمام والكمال في الزهد ، هو أن صاحبها خرج بها لترغيب مردييه من حيز أحكامه الشخصية ورؤيته الخاصة إلى اعتبارها درجات أو مراتب أو تسميات معتمدة عند الله ، فارتكب خطأ كبيراً في فتح باب الابتداع ونقل الخاص إلى عام والوصفي إلى إلزامي ، وتتابعه على ذلك أقرانه من المتصوفين الآخرين الذين لا ينفكون عن ارتكاب هذا الخلط غير المشروع بتأثير الرغبة الجامحة في تعميم ما هو شخصي على ما هو جماعي ، بدافع دعوى نفعه وصلاحه .

---

1. من رسالة الحروف لسهل بن عبد الله التستري ص 184 .

2. حلية الأولياء 76/1.

( 5- ) تأثر التصوف بعناصر غير إسلامية ، فقد كان بعض الصوفية يغشى أديرة النصارى ، ويديم الاطلاع على العهد القديم والجديد ، وقد كان ذلك بغية البحث عن عوامل ترقيق القلوب ، وما هو مستغرب من الأخبار التي تدفع الصوفية إلى المزيد والمزيد ، وقد أفاد الدكتور عبد الرحمن بدوي أن مالك بن دينار هو أول شخصية صوفية امتزجت فيها الحياة الروحية الإسلامية بعناصر غير إسلامية وكتابية على وجه التخصيص (1) .

ومثال ذلك قول مالك : ( قرأت في الزبور : إني لأنتقم من المنافق بالمنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعا ، ونظير ذلك في القرآن : { وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [الأنعام/129] ) (2) ويقول أيضا : ( مكتوب في الزبور ، طوبى لمن لم يسلك طريق الأئمة ولم يجالس البطالين ، ولم يقم في هوى المستهزئين إنما هممهم حكمة الله ، لها يطلب وبها يتكلم ، فمثله مثل الشجرة في وسط الماء ، لا يتساقط من ورقها شيء ) (3) ، وله أيضا : ( قال موسى عليه السلام : يارب أين أبغيك ؟ قال : ابغني عند المنكسرة قلوبهم ) (4) .

ولئن كانت المفترض في التصوف ، أن يرجع في أصله إلى الأصول

القرآنية —

1. تاريخ التصوف الإسلامى للدكتور عبد الرحمن بدوى ، ص 207 .

2. حلية الأولياء 70/8 .

3. السابق 376/2 .

4. السابق 364/2 .

والنبوية وأن تكون اللبنة الأساسية ، التى يقيم عليها صرح الحياة الروحية الإسلامية مركبة من مواد إسلامية ، إلا أنها بمرور الزمن وبمحكم اتصال الأمم واحتكاك العقائد ، قد تأثرت ودخلت فيها عناصر نصرانية فتشابهت المذاهب الصوفية وكثير من التعاليم النصرانية بعد ذلك (1) .

ولا يعنى ذلك أبدا القول بنظرية المصدر المسيحى للتصوف ، كما استغل ذلك كثير من المستشرقين أمثال جولد زيهر وفون كريمر ، وجوليان بالديك وغيرهم (2) ، ولكن الصوفية فى مؤلفاتهم تساهلوا فى النقل عن أهل الكتاب وأكثروا فى كلماتهم من العبارات المروية عن الإسرائيليات ، وللأسف أن هذا الأمر سرى عند أقرانهم من أصحاب العلوم الأخرى ، فعلماء التفسير أكثر رواية من الصوفية فى النقل عن أهل الكتاب ، ولا يعنى ذلك أن علم التفسير تولد عن مصدر مسيحى .

**المرحلة الثالثة :** التصوف الحلولى الذى نجم عن الغلو فى الحب والفناء ودعوى الاتحاد ، وهى حركة صوفية اهتزت فيها معايير الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، وفارق فيها اللفظ فى أغلب

الأحيان معناه ، حيث غدت الرياضة الصوفية في المرحلة اللاحقة ترمى إلى الوصول لله والاتحاد به ، على نحو يعطى الصوفى تميزاً أعلى مما كان يرمى إليه كل سالك في أهدافه المتواضعة ، وغدا —

1. الحياة الروحية في الإسلام للدكتور مصطفى حلمى ص 65 بتصرف .

2. الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف للدكتور محمد عبد الله الشراوى ص 73 .

الاقتصار على التوقف في مستوى المرحلتين السابقتين ، قصورا سلوكيا ينبغى للصوفى ألا يطيل اللبث فيه طويلا ، وانتقل التصوف نقلة إلى مرحلة جديدة في تحول الصوفى من مجرد سالك أو متوكل يجعل كده وجهده في مزيد من التأسى والمجاهدة في العمل ، إلى صوفى ينقل إلينا تجربته الدينية الشخصية ، ويدفعنا إلى الاقتداء بطريقة تفكيره وتدبره إلى جانب اقتدائنا بطريقته السلوكية العملية .

وينسب إلى أبي سعيد الخراز ، أنه أول من تكلم عن الفناء ، بمعنى الفناء عن الحواس أثناء مشاهدة الحق ، وأنه ذهب القلب عن حس المحسوسات بمشاهدة ما شاهد ، ثم يذهب عن ذهابه ، والذهاب عن الذهاب يتواصل بلا نهاية ومن ثم تحول الفناء عن الحواس إلى فقدان الصوفى وعيه فقداناً تاماً (1) .

ويقول أبو يزيد البسطامى : ( طلقت الدنيا ثلاثا ثلاثا ، بتاتا لا رجعة فيها وصرت إلى ربي وحدى ، فناديته بالاستغاثة : إلهى أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك ، فلما عرف صدق الدعاء من قلبى ، والإياس من نفسى ، كان أول ما ورد على من إجابة هذا الدعاء ،



أن أنساني نفسى بالكلية ونصب الخلائق بين يدي مع إعراضى عنهم  
( 2 ) .

1. الصوفية فى الإسلام نيكلسون ص139 وانظر اللمع ص423 .

2. حلية الأولياء 36/1 وانظر أيضا : كتاب الفناء للجنيـد بن محمد ، نشره الدكتور محمد كمال جعفر فى كتابه التصوف طريقا وتجربة ومذهبا ص303 وفيه تفاصيل دقيقة عن الفناء الصوفى ، وحال الفناء فى التصوف الإسلامى ، إعداد إبراهيم محمد ياسين رسالة =

ويسرف أبو يزيد البسطامى فى التعبير عن حال فناءه واتحاده بمحبوبه فينطق بشطحات غريبة ، نحو قوله : ( إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ) (1) ، وقوله : سبحانى ما أعظم شأنى (2) ، وقوله : خرجت من بايزيديتى كما تخرج الحية من جلودها ونظرت فإذا العاشق والمعشوق والعشق واحد لأن الكل واحد فى عالم التوحيد (3) ، وسئل ما هو العرش ؟ فأجاب : أنا هو ، وما هو الكرسي ؟ فأجاب : أنا هو ، وما هو اللوح والقلم ؟ فأجاب : أنا هو (4) .

وقد تطور معنى الفناء عبر المراحل السابقة على درجات متعددة ، ليصل إلى محله فى هذه المرحلة ويبلغ بذلك منتهاه :

1- فناء بمعنى تغيير معنى للصوفى بإفناء ميوله ورغباته جميعا من المخالفة إلى الموافقة .

2- فناء بمعنى التجريد العقلى وعدم الالتفات إلى المدركات والأفكار والأفعال والأحاسيس وذلك بانحصاره فى التفكير فى الله .



جعل البسطامى يضع فى سلوكية العارف أنه لا يفتر من ذكره ولا يمل من حقه ولا يستأنس بغيره فقال : ( إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه ، فخلع عليهم خلعة من خلعة فاشتغلوا بالخلع عنه وإنى لا أريد من الله إلا الله ) (2) ، ولذلك اتسم سلوك البسطامى بطابع أفردته واشتهر به ، فقد روى أن أحمد بن حرب الصوفى وجه إليه حصيرا وكتب معه : ( صلى عليه بالليل ، فكتب أبو يزيد إليه : إنى جمعت عبادات أهل السموات والأرضين السبع فجعلتها فى مخدة ووضعتها تحت خدى ، وكان

- 
1. الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة ، للدكتور عبد القادر محمود ص76 .
  2. طبقات الصوفية للسلمى ص70 ، وانظر حلية الأولياء 36/1 .

يقول : (لم أزل أجول فى ميدان التوحيد ، حتى خرجت إلى دار التفريد ، ثم لم أزل أجول فى دار التفريد ، حتى خرجت إلى الديمومية ، فشربت بكأسه شربة لا أظمأ من ذكره بعدها أبدا ) (1) .

ويبدو واضحا من بين السطور مشاعر التميز لدى صوفى لا يريد من الله إلا الله فيحبه لذاته دون مكاسب أخرى عاجلة أو آجلة ، وقد أدى هذا الشعور إلى طلب الاستزادة ، والبحث الدائم عن وسيلة تنفع فى إفناء النفس فى الله ولله وفى المقابل استحقاق من هو قائم فى البدايات ، واقف مع نفسه على طلب الجنة ، يقول البسطامى : ( الجنة لا خطر لها عند المحبين وأهل المحبة محبوبون

بمحببتهم ، وإن لله خواصا من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا بالخروج من الجنة ، كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار (2) .

ويشاركه أبو بكر الشبلي (ت:334هـ) ويصرح بأنه لا يخاف من النار ولا تمثل عنده شيئا يلتفت إليه ، فقال : ( إن لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفئوها ) (3) وقال أيضا : ( لو خطر ببالي أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق —

1. حلية الأولياء 35/1 .

2. السابق 36/1 وانظر المزيد عن فلسفة الحب عند أبي يزيد ، الحب الإلهي عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد صبرى متولى منصور الشرقاوى ، رسالة ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1986م ص132 وما بعدها .

3. اللمع ص490 .

منى شعره لكنت مشركا ) (1) ولما سمع قارئاً يقرأ هذه الآية : { قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ } [المؤمنون/108] قال : ليتنى كنت منهم (2) .

فالأمر لم تعد تعالج من خلال النظر إلى طبيعتها المألوفة التي اعتاد عليها الناس ، فقد كان من سبق يغمره إحساس بالخوف من عذاب الحريق ، الذى يصعق سمعه بمثل قوله تعالى : { كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى نَزَاعَةً لِّلشَّوَى تَدْعُوا مَنَ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَوْعَى } [المعارج/15:19] أو قوله تعالى : { قَالَ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ } [المؤمنون/108] ، ويضطرب إشفاقا على نفسه من ذنبه الذى أحاط به ، أصيب

هذا وأمثاله بخيبة الأمل فى تعلقهم بشئ ظنوا أنه نافع ذو جدوى وهو عند أبى يزيد ورفقائه من الصوفية لا شئ .

لقد أصبح للمتحققين فى التصوف نوع من البعد الجديد يظهر عبر الاتصال بالذات الإلهية دون النظر إلى مسألة الحساب أو الترغيب فى الثواب أو الترهيب من العقاب ، التى قامت عليها الشرائع ونزل من أجلها الوحي ، إن الحرص على الوصول إلى رب الحنة وليس إلى الجنة ، والخوف من إعراض رب النار وليس من حريقها مرتبتان أعلى عند هؤلاء ، من مرتبة التجارة التى كان ينظر بها للعلاقة بين العبد وربّه (3)

---

1. السابق ص 491 .

2. السابق ص 491 والتعرف لمذهب أهل التصوف ص 161، 184 .

3. الحب الإلهى عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص 135 .

وبهذا التفريق أصبح من الضرورى عدم التوقف عند حدود مراسم التصوف الأولى وقطع مدارج السالكين فى مقاماتهم وأحوالهم ، فالزهد والعبادة ولبس والمرقعات والإقبال على السياحة وترك لذائذ الحياة العاجلة ، لم تعد كلها كافية عند هؤلاء للوصول الحقيقى إلى المحبوب ، إذ لا بد من توحيد الهم الذى يملأ القلب ويشغل البال ويجتذب الهمّة ويستدعى الفعل ، فيقبل السالك تاركاً المعرفة والعلم والإشارة

وقد توقدت ذاته شوقا لمولاه ، فيزهد في كل ما عداه لذا تابع البسطامى موقفه قائلا :

( أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة ، فأولهم الزاهد بزهده ، والثانى العابد بعبادته ، والثالث العالم بعلمه ، الزاهد مسكين لأنه ألبس زهده وجرى به فى ميدان الزهاد ، ولو علم المسكين أن الدنيا كلها سماها الله قليلا ، فكم ملك من القليل وفى كم زهد مما ملك ، والزاهد هو الذى يلحظ إليه بلحظة ، فيبقى عنده ثم لا ترجع نظرتة إلى غيره ولا إلى نفسه ، وأما العابد فهو الذى يرى منة الله عليه فى العبادة أكثر من العبادة ، حتى تعرف عبادته المنة ، وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطر واحد من اللوح المحفوظ ، فكم علم هذا العالم من ذلك السطر وكم عمل فيما علم ) (1) .

ويعتبر البسطامى أول من مارس لفظ الفناء بمعناه الاتحادى ، وقدم فيما قدم نظريته فى الاتحاد بالله ، تلك التى قال فى سعيه إليها : )  
أشرفت على ميدان —————

1 . حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى 37/1 .

الليسية فما زلت أظير فيه عشر سنين ، حتى صرت من ليس فى ليس بليس ، ثم أشرفت على التضييع ، وهو ميدان التوحيد فلم أزل أظير بليس فى التضييع حتى ضعت فى الضياع ضياعا ، وضعت فضعت عن التضييع ، بليس فى ليس فى ضياعه التضييع ، ثم أشرفت على



القرآن ومبانيه ومعانيه ، وكانت له في ذلك مواقف معروفة ، وقد  
عبر عن ذلك بقوله : ( حقيقة المحبة ، قيامك مع محبوبك بخلع  
أوصافك والاتصاف بأوصافه ) (1) .

وزعم الحلاج أن من هذب في الطاعة نفسه وأشغل بالأعمال  
الصالحة قلبه وصبر على مفارقة اللذات وملك نفسه في منع  
الشهوات ، ارتقى به إلى مقام المقربين ، ثم لا يزال يتنزل في درج  
المصافاة حتى يصفو عن البشرية طبعه ، فإذا لم يبق فيه من البشرية  
نصيب ، حل فيه روح الله الذي كان منه عيسى بن مريم فيصير  
مطاعا ، فلا يريد شيئا إلا كان من كل ما ينفذ فيه أمر الله ، وأن  
جميع فعله حينئذ فعل الله ، وجميع أمره أمر الله ، وهذا يعني أن  
الحلاج اعتنق عقيدة حلول الله في الإنسان ، واستحالة الإرادة  
الإنسانية إلى إرادة إلهية ، بحيث يصبح كل ما يصدر عن الإنسان من  
فعل فعلا لله (2) .

ونظم الحلاج نصوصا شعرية كثيرة ، فلسف فيها نظريته في حلول  
المحبوب في المحب ، أو حلول الرب في العبد منها :

مزجت روحك في روحى كما      تمزج الخمرة بالماء الزلال  
فإذا مسك شئ مسنى      فإذا أنت أنا فى كل حال  
أنا من أهوى ومن أهوى أنا      نحن روحان حللنا بدنا

---



1. أخبار الحلاج نشرة ماسينيون ص24 .

2. الحياه الروحية في الإسلام للدكتور مصطفى حلمي ص141،140 .

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا (1) .

لقد اعتمد الحلاج في أصل فلسفته على تأويل قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة/30] ، وفلسفته تتمثل في أن الله خلق آدم على صورته ، أخرجها وصاغها من حبه الخالد لما أراد أن يعرف كما يقول الحديث الموضوع أو النص الصوفي المقدس : ( كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لأعرف ) (2) .

ولما كان الإنسان بما هو إنسان يعيش في حجاب اسمه الجسد وتشغله الأديان بأشكال ورسوم العبادات في سجن الشرائع ، فإنه يعاني قلقا عارما متصلا عن طريق حبه لله في ذاته ، وتمور به تبدلات روحانية عاصفة حتى يجد الله في ذاته فإذا لم يبق فيه من البشرية نصيب ، حل فيه روح الله كما حل في عيسى على نظرة الحلاج (3) ، وعلى هذا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، الذي تجسد —

1. الطواسين للحلاج ص130 وانظر أيضا للتوسع في ذلك بحث عن الحب الإلهي في التصوف بين

الإسلام والنصرانية إعداد دين محمد ميرا صاحب ، رسالة دكتوراة بمكتبة كلية أصول الدين جامعة

الأزهر الشريف ، القاهرة سنة1991م ، وللمقارنة الحب الصوفي عند الإمام البرعى إعداد سبع

متولى أيوب ، رسالة ماجستير بالمكان السابق سنة 1984م .

2. موضوع ، انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني 116/2 .

3. الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم ، ص78 .

أو تشخص فيه ، يقول الحلاج في كثير من نصوصه الشعرية نظماً  
ونثراً :

سبحان من أظهر ناسوته : سرا سن ي لاهوته الثاقب  
حتى بدأ في خلقه ظاهراً : في صورة الآكل والشارب (1)

وقد فاضل الحلاج بين موقفى إبليس وموسى الذى تطلع إلى رؤية  
الله ، فرأى أن موقف إبليس فى رفض السجود أقوم ، وهو أشبه ما  
يكون بموقف محمد ة وكل ما هنالك من فرق بينهما أن محمدا لم  
يرجع إلى حوله بعد توقفه ، فقال : بك أحول وبك أجول ، بينما  
رجع إبليس إلى حوله بقوله : أنا خير منه ، لذا رأى الحلاج أن  
فرعون وإبليس مثالان رائعان للفتوة والثبات على الدعوة رغم ما  
لحقهما من لعن ، واتخذهما قدوة فى الثبات على دعواه أنا الحق ،  
قائلاً : ( فصاحبى وأستاذى إبليس وفرعون ، فإبليس هدد بالنار ،  
وما رجع عن دعواه وفرعون أغرق فى اليم ، وما رجع عن دعواه ، ولم  
يقر بالواسطة البتة ) (2) .

أما محمد ة فتوقف فى المعراج عند أعتاب الحريق الإلهى ، وكان عليه  
كما يقول الحلاج أن يتقدم للدخول فى نار الإرادة الإلهية حتى يفنى  
فيها كما تحترق —

2. الصوفية في الإسلام لنيكلسون ص140 وانظر السابق ص51 ، وانظر أيضا ما كتبه الدكتور مصطفى كامل الشيبى عن الحلاج ، وأنه كان داعيا إسماعيليا أو قرمطيا في كتابه الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ، طبعة بغداد سنة 1966م ص72 ، وانظر أيضا الفهرست لابن النديم ص204 .

الفراشة المقدسة وأن تبنى نفسه في الله ، لقد أعاد محمد ع الحج وأقام شعائره لكن لم يتمم الإسلام ، وكان عليه لإتمامه أن يرد القبلة إلى القدس ، ويدخل الحج في العمرة ، وإذا كان محمدا قد وحد وترك الوحدة الإلهية محجوبة مشوقة ومسورة من كل الجهات بسور الشريعة المانع ، فما هذا إلا موقت إلى يوم آت ينتهى فيه الإسلام إلى اجتماع كامل للإنسانية وقد غفرت لها خطاياها (1) .

لقد كانت هذه المرحلة في تطور التصوف مرحلة عاتية ، أتت على صفاء المفاهيم وأصالة المعاني في المصطلحات القرآنية فزلزلت استقرارها ، وحولت المفاهيم إلى أوضاع معكوسة ، لكل ما تعارف عليه الناس واصطلحوا عليه فالتقوى لم تعد هى التقوى ، فلو مارس العبد تقواه ، لم يوحد الله في أعين هؤلاء لأنه أثبت الغير ، والذكر لم يعد هو الذكر ، لأن الذاكر هو الله ولا أثر لسواه البتة حتى يذكره .

لقد رأى الحلاج أن إسقاط الوسائط بين الله وخلقته بسلوك دينى لازم يظهر فى رسوم الشريعة وفرائضها ، أمر يمكن الاستعاضة عنه بغيره ، فقال : ( من ظن أنه يرضيه بالخدمة فقد جعل لرضاه ثنا ،

فإن المرأ قائم على بساط الشريعة ما لم يصل إلى بساط التوحيد ، فإذا وصل إليه سقطت من عينه الشريعة واشتغل باللوائح الطالعة من معدن الصدق ، فإذا ترادفت عليه اللوائح وتتابعت عليه الطوابع صار التوحيد عنده زندقة والشريعة هوسا ، فيبقى بلا عين ولا أثر —  
1. المنحنى الشخصى لحياة الحلاج لويس ماسينيون ص72 .

إن استعمل الشريعة استعملها رسما وإن نطق ابلتوحيد نطق غلبة وقهرا (1) .

وحكم الحلاج بأن الأديان كلها لله عز وجل ، وأنه شغل بكل دين طائفة لا اختيارا فيهم بل اختيارا عليهم ، وأن من لام أحدا ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه ، وأن اليهودية والنصرانية والإسلام وغير ذلك من الأديان هى ألقاب مختلفة وأسماء متغايرة والمقصود فيها لا يتغير ولا يختلف (2) .

وهذا يعنى أن الأصول القرآنية التى جعلت الإسلام ناسخا لما سبق من الأديان كقوله تعالى : { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران/85] ، وقوله سبحانه وتعالى : { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [آل عمران/19] تعد عند الحلاج نوعا من اللغو وتجاوزا غير مشروع .

**المرحلة الرابعة :** تصوف أصحاب وحدة الوجود ، والقاسم المشترك بين هذه المرحلة وبين ما سبق فى التصوف الحلولى ، مفارقة الألفاظ

الاصطلاحية لمعانيها الدلالية ، والعبث بطريقة الاستدلال في الأصول  
القرآنية والأحاديث النبوية للمصطلح الصوفي ، فقد ذهب فريق من  
الصوفية في القرن السادس وما بعده يتزعم زمام المبادرة محى الدين بن  
عربي الأندلسي ، إلى أن الله هو هذا الوجود —

1. أخبار الحلاج لأبي يوسف القزويني نشرة لويس ماسينيون ص 73 .

2. السابق ص 70 وانظر أيضا :

□ □

□ □

□ □ □ □ □ □ □

□ □

□ □

□ □

بعينه وأنه لا موجود إلا الله ، ويذكر التفتازاني أن هذا المذهب لم  
يظهر في صورته الكاملة إلا بمجيئ هذا الرجل ، وأنه سبقت ظهوره في  
الأندلس مبهديات تحدث عنها المستشرق بلاثيوس في بحثه عن ابن  
مسرة ومدرسته ، ويذكر بلاثيوس أن آراء ابن مسرة ، أثرت في  
جميع الصوفية الأندلسيين الذين مزجوا التصوف بالفلسفة ، وظهر  
له في أسبانيا تلاميذ كثيرون اعتقدوا آراءه على مر العصور ، منهم  
إسماعيل الرعيني ، ومحمد بن عيسى الألبيري ، وابن برجان في أشبيلية  
وهو أستاذ ابن عربي (1) .

وقد انتقل تصوف وحدة الوجود من الأندلس والمغرب إلى المشرق على يد ابن عربي وابن سبعين الأندلسيين اللذين استقرا بهما المطاف في الشرق ، حيث نشرا تعاليم هذا النوع من التصوف (2) ، وتصوف وحدة الوجود هو التصوف المبني على القول بأن ثمة وجودا واحدا فقط هو وجود الله ، أما التكثر المشاهد في العالم فهو وهم على التحقيق تحكم به العقول القاصرة ، فالوجود إذن واحد لا كثرة فيه .

على أن من أصحاب وحدة الوجود كابن عربي ، من يفسح المجال للقول بوجود الممكنات أو المخلوقات على نحو ما ، ومنهم من يطلق القول بالوحدة —

1. مدخل إلى التصوف الإسلامى ص198 بتصرف .

2. ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، للدكتور أبي الوفا التفتازانى ، طبعة دار الكتاب اللبناني بيروت ، سنة 1973م ص72 وما بعدها .

ويعن في ذلك إلى الحد الذى يجعله لا يثبت إلا وجود الله فقط ، وهؤلاء هم أصحاب الوحدة المطلقة وعلى رأسهم ابن سبعين (1) .

وأيا كانت الاختلافات بين القائلين بوحدة الوجود إلا أن النتيجة المترتبة على هذا الفكر الصوفى الفلسفى أن هذه الكثرة التى نراها إنما هى مظاهر لله فقط أو مرآة يتعين فيها ويرى نفسه فيها ، أو أثواب يلبسها ويخلعها ، فهو السماء بما فيها من شمس وقمر ونجوم وأفلاك ، وهو هذا السحاب الذى نراه مسخر بين السماء والأرض بما فيه من

ثلج وبرد وأمطار ، ولا فرق بين الأضاد ولا فرق بين العبد والرب  
فالعابد هو المعبود والذاكر هو المذكور ، يقول ابن عربي :  
( ما فى الوجود مثل ، ما فى الوجود ضد ، فإن الوجود حقيقة  
واحدة والشئ لا يضاد نفسه ، فإذا أدخلت جنته دخلت نفسك  
معرفة أخرى غير المعرفة التى عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياه ،  
فتكون صاحب معرفتين ، معرفة به من حيث أنت ، ومعرفة به من  
حيث هو ، لا من حيث أنت ) (2) .  
فيحمدنى وأحمده : ويعبدنى وأعبده : ففحاله أقربه : وفى الأعيان  
أجحده

فيعرفنى وأنكره : وأعرفه فأشهده

فأنت عبد وأنت رب                      لمن له فيه أنت عبد  
وأنت رب وأنت عبد                      لمن له فى الخطاب عهد (3) .

---

1. مدخل إلى التصوف الإسلامى ص 199 وانظر السابق ص 191 .

2. فصوص الحكم 92 . 3. السابق ص 95 ، والفتوحات المكية 320/2 .

والحق أيضا عنده هو الهواء والماء والتراب والنار ، التى منها تتركب  
سائر الموجودات ، والأمر قسمة بينه وبين هذه العوالم التى هى مجالى  
له يظهر فيها فكما أنها فقيرة ومحتاجة إليه لأنه هو جوهرها  
ووجودها الأصيل ، فكذلك هو مفتقر إليها من أجل تعيينه وظهوره

فيها ، كما تفتقر الروح في ظهور آثارها للأبدان (1) يقول ابن عربي :  
( سبحان من خلق الأشياء وهو عينها ) (2) .

وقال أيضا :

عز الإله فما يحويه من أحد : وبعد هذا فإننا قد  
وسعناه

لما أراد الإله الحق يسكنه : لذاك عدله خلقا  
وسواه

فكان عين وجودى عين صورته : وحى صحيح ولا يدرية  
إلاه

يا خالق الأشياء فى نفسه : أنت لما تخلقه جامع  
تخلق مالا ينتهى كونه : فيك فأنت الضيق الواسع  
(3)

فالأشياء لا تزال تتوارد عليه فى عملية إيجاد وإعدام مستمر ، كلما  
فنت صورة وخلعت ذلك الوجود لبست أخرى ، وكذلك هو يظل  
يلبسها ويخلعها بلا انقطاع وهذا حكم اقتضاه ظهور هذا الوجود ،  
فإنه لو دام على إطلاقه فى —

1. عقلة المستوفز ص66 وانظر تعليق على مادة ابن عربي فى دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ،  
للدكتور أبى العلا عفيفى .
2. الفتوحات المكية 604/2 .
3. فصوص الحكم ص94 .



الأزل لما أمكن رؤيته وظهوره للعيان ، ونسبة تلك الموجودات المتكثرة إلى ذلك الوجود المطلق كنسبة الأعضاء المختلفة لجسم الإنسان أو الحيوان إليه ، أو كنسبة قوى النفس المختلفة إليها ، أى أنها كنسبة الجزء إلى كله ، وكما أن الجسم ذى الأعضاء له اعتباران ، اعتبار أنه وحدة قائمة بذاتها ، وهو بهذا يصح أن يقال أنه شئ واحد ، واعتبار أنه مركب من أعضاء وقوى ، وهى من هذه الجهة تسمى كثيرا ، فكذلك هذا الوجود له اعتباران ، اعتبار الإطلاق وعدم التقيد ، وهو من هذه الجهة واحد لا حدود فيه ولا قيود ، واعتبار ظهوره فى عالم الإمكان والتقيد ، وهو من هذه الجهة كثير كثرة لا حد لها (1) .

يقول ابن عربى : ( فالعالم يعلم من عبد ، وفى أى صورة ظهر حتى عبد وأن التفريق والكثرة ، كالأعضاء فى الصورة المحسوسة ، وكالقوى المعنوية فى الصورة الروحانية ) (2) .

وقد كان لابن عربى من الخائص والقدرات العجيبة على صياغة مذهبه شعرا ونثرا ما يثير استغراب العقول ، يقول فى الإفصاح عن فلسفته :

فإننا أعبدُ حقا : وإن الله مولانا : وإنا عينه فاعلم : إذا ما قلت  
إنسانا : فلا تحجب بإنسان : فقد أعطاك برهانا : فكن حقا وكن خلقا  
: تكن بالله رحمانا (3) .

---

1. ملخص من شرح الكاشاني لفصوص الحكم ص 11 وما بعدها .

2. السابق ص 61 .

3. السابق ص 143 .

وهذه العبارات التي نطق بها ابن عربي في وحدة الوجود مهما اختلفت وتنوعت فإن مضمونها شيء واحد ، وهو أنه ما ثم غير الله في هذا الوجود ، سواء جعلت الكثرة أجزاء له ، أو أنواع ، أو أنها وهم ، أو جعلتها مظاهر وتجليات ، فالمآل واحد وهو أنه ما ثم إلا وجود واحد (1) .

ويلزم على هذا المذهب الخبيث ، أن يكون الله هو الأشياء جميعا بما فيها متقابلات ومتضادات ، ويلزم أن يكون هو الأنس والجن والشجر والحيوان وكل شيء ، ولذا يرى ابن عربي أن الأديان كلها حق ، وأن المجوس عبدة النار والمشركين عابدى والأوثان وغيرهم ليسوا كفار وضلالا ، بل مذاهبهم هي عين الهدى والإيمان ، لأنهم حين عبدوا النار والحجارة والصلبان ، ما عبدوا إلا

---

1. السابق ص 143 ، وانظر للتوسع في معرفة فلسفة ابن عربي الأبحاث التالية : الصلة بين الفلسفة والتصوف عند محي الدين ابن عربي إعداد محمد عبد التواب السيد يوسف رسالة ماجستير بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة 1983م وحدة الوجود بين الصوفية والفلاسفة وعلاقتها بصفة الوجدانية ، إعداد ديدار سيدى محمد مختار رسالة ماجستير بالمكان السابق سنة 1983م ، الوجود والعدم في فلسفة ابن عربي الصوفية إعداد جمال أحمد سعيد المرزوقى رسالة ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1979م ، مشكلة الذات والصفات عند محي

الدين ابن عربي إعداد إسماعيل منصور جودة رسالة دكتوراه بالمكان السابق سنة 1990م ، الولاية عند محي الدين ابن عربي ، إعداد الدكتور عبد الحميد مدكور ، رسالة دكتوراة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1980م .

الله عز وجل ، فإذا كان الله عز وجل قد تجلى بذاته لذاته في جميع هذ الصور والمتعينات ، فالهدى والإيمان في زعمهم أن تعبد وتعظم جميعا ، والضلال أن تخصيص بعض هذه المظاهر بالعبادة دون بعض ، فالكفر عندهم ليس هو عبادة غير الله ، إذا ليس هناك غير ، ولكنه ستر حقيقة المعبود بتخصيص بعض مجالية بالعبادة دون البعض الآخر ، وحكم أيضا بإيمان فرعون ، وأنه كان يشاهد عين الحقيقة حين قال : أنا ربكم الأعلى ، ولم يكن كاذبا في دعواه أنه هو الله ، بل كان في أعلى مقامات التوحيد ، ولذا كان أغرقه في البحر تطهيراً من إسلامه في لحظاته الأخيرة وتوهم الغيرة ، وخالف في ذلك صريح القرآن الذي نطق بموته على الكفر ، وإنه لم ينفعه إيمانه حين أدركه الغرق وأن الله إنما نجاه بيدنه ليكون عبرة ماثلة للأجيال من بعده ، وزعم أيضا أن موسى عليه السلام لم يلم قومه على عبادة العجل ولم ينكرها عليهم .

وقد أكد ابن عربي في فلسفته لمعاني الجزاء والطاعة والمعصية ، بأن هذه الأمور لا مدلول لها في مذهبه بالمعنى الذي نفهمه نحن منها ، فإنه لا نعيم ولا عذاب بالمعنى المفهوم من الشرائع ، بل أن مآل الخلق جميعا إلى النعيم حتى من كان في عذاب فهو في نعيم بهذا العذاب

الذى سمي عذابا من عدوبته ، وزعم أن الكفار في جهنم لهم فضل على الله في إظهار اسمه الجبار ، والتجلى باسمه القوى واسمه المنتقم المنتقم ، يقول في زندقته :

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم

مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد وبينهما عند التجلى

تباين

يسمى عذابا من عدوبة طعمه وذاك كالقشر والقشر

صائن (1) .

وكل هذه الأمور في واقع مذهب ابن عربي تجليات من الله في

صور الرضا والغضب كتجلياته تماما في صور الهدى والضلال (2) .

ويهم البحث في نتائج هذه المرحلة التعرف على منهج ابن عربي

وأسلوبه في صياغة المصطلحات وتشكيل مدلولاتها من ناحية ،

وكيفية الاستلال بالأصول القرآنية والنبوية من ناحية أخرى ، ويمكن

تركيز ذلك في النقاط الآتية :

[1- يتعمد ابن عربي تعقيد البسيط وإخفاء الظاهر ، لأغراض

يصعب معرفتها فعباراته تحتمل في أغلب الأحيان معنيين على

الأقل ، أحدهما ظاهر وهو ما يشير إليه ظاهر الشرع ، والآخر باطن

وهو ما يشير به إلى مذهبه ، ومن يعمق النظر في معانيه ومرامييه ،

يدرك أن المعنى الثاني هو الهدف الذى يرمى إليه ، أما —

1. فصوص الحكم ص 122 ، ص 123 .

2. انظر للمقارنة بين فلسفة ابن عربى وتلاميذ مدرسته فى وحدة الوجود الأبحاث الآتية :

ابن سبعين ومنهجه فى التصوف رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة إعداد أحمد محمد محمود سليمان سنة 1977م ، ابن سبعين وفلسفته الصوفية أبو الوفا الغنيمى التفتازانى ، دار الكتب اللبنانى ، بيروت سنة 1973 فلسفة ابن سبعين ، إعداد محمد ياسر شرف ، رسالة ماجستير بمكتبة جامعة دمشق سوريا سنة 1977م ، ابن الفارض والحب الإلهى للدكتور محمد مصطفى حلمى الطبعة الثانية ، طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1971م .

ما يذكره مما له صلة بظاهر الشرع ، فإنما يقدمه إرضاء لأهل الظاهر من الفقهاء وعلماء السلف ، الذين يخشى أن يتهموه بالخروج والمروق .

[2- أنه يستعمل كثيرا من المصطلحات الفلسفية والكلامية على سبيل الترادف أو المجاز مع ألفاظ أخرى واردة فى القرآن والحديث ، فيحملها من المعانى ما يخرجها عن أصلها ، فالخير الذى تكلم عنه أفلاطون ، والواحد الذى تكلم عنه أفلوطين ، والجوهر عند الأشاعرة والحق والله كما يفهمهما المسلمون كل هذه مستعملة عنده بمعنى واحد ، وغير ذلك كثير .

[3- قوة التفكير عنده خاضعة إلى حد كبير لقوة خياله ، لذلك نراه يلجأ إلى الأساليب الشعرية ، والتشبيهات والمجازات ، فى إيضاح أدق

المعاني الفلسفية في مذهبه ، فيؤدى ذلك إلى تضليل القارئ الذى يأخذ بجميع لوازم ذلك .

[4- يتلاعب بالألفاظ والمعاني ويحملها أكثر مما تحمل لدرجة التعسف ويتجه بها كثيرا نحو الغموض ، ويتمتع بدرجة عالية من الحصيلة اللفظية ، كما يتمتع بقدرة فائقة على صياغة أفكاره شعرا ونثرا ، ولا يلتزم الرمزية على صعوبتها التزاما مطردا ، فإذا رمز بشئ فى موضع عاد فرمز به هو نفسه إلى شئ آخر .

[5- الاستناد الكثير والمتكرر إلى كتاب الله وتأويل آياته وفق نظريته ويسهل على ابن عربى إلى حد كبير التقاط ما يشاء من ألفاظ القرآن ، ليضعها على أى معنى مفارق يعن له ، ويكاد المتبع لوجوه الاستدلال تنقطع أنفاسه فى معرفة تبرير معقول أو وجه من الوجوه لارتباط ألفاظ ابن عربى ومصطلحاته بأصولها القرآنية ، وكثيرا ما يمزج الآيات القرآنية بعضها ببعض ، حيث لا توجد صلة ظاهرة بينها فيؤدى إلى خلط كثير ، كما أنه يفعل ذلك أيضا فى السنة فيستند إلى أحاديث منسوبة للنبي ﷺ ويأولها على ما يوافق المذهب ، كما أن تلك الأحاديث أكثرها ضعيف أو موضوع ، ويستند أيضا إلى أقوال منسوبة إلى الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، ويعوز تلك الأقوال جميعها الصدق والأمانة العلمية .

[6- يستند إلى أقوال كبار رجال التصوف السابقين ، أمثال الجنيد بن محمد وأبي يزيد البسطامي وغيرهما ، ويذكر الكرامات للأولياء والصالحين والمبالغة فيها إلى حد كبير .

[7- الاعتماد على المنامات والأحلام والإلهامات ، والتعامل معها كما يتعامل مع الواقع ، لدرجة أنه ادعى أنه رأى النبي ﷺ وأعطاه كتاب فصوص الحكم وأنه كتبه بناء على توصياته ، وأنه ﷺ هو الذى وضع له حدوده .

[8- تأدى به اعتقاده فى وحدة الوجود إلى جرأة فى وصفه للحق تبارك وتعالى تهتز لها أفئدة المسلمين (1) .

---

1. انظر المزيد عن منهج ابن عربى وتلاميذ مدرسته فى تناول الأصول القرآنية والنبوية ابن تيمية وفلاسفة التصوف للدكتور محمد سليمان داود ، الطبعة الثانية سنة 1983م وتعليقات على فصوص الحكم للدكتور أبى العلا عفيفى ص18 ، محى الدين ابن عربى مفسرا ، إعداد حامد محمود الزفرى ، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، سنة 1972م .

وقد ظهر أثر هذا المنهج العجيب على التغير الدلالى للمصطلح الصوفى فى علاقته بالأصول القرآنية ، فبدلا من أن يكون اللفظ موضوعا على المعنى المراد فى الكتاب والسنة ، أصبح اللفظ نفسه موضوعا على نقيضه تماما تحت هذه الفلسفة الصوفية ، فمصطلح الذكر فى مفهوم محى الدين بن عربى لا يؤدى إلى معنى تطمئن به

القلوب وتغفر به الذنوب ، ولكن يؤدي إلى ما ذكره ابن عربي في قوله :

ألا بذكر الله تزداد الذنوب : وتحتجب البصائر والقلوب  
وترك الذكر أفضل كل شيء : فشمس الذات ليس لها غروب  
(1)

دع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا : فليس يديم الذكر إلا  
المنافق

إذا كان من تهواه في القلب حاضرا : وأنت تديم الذكر كنت  
منافقا (2)

---

1. وسائل السائل ص 25 .

2. السابق ص 26 .



من الأساسيات الضرورية للتعرف على المصطلح الصوفي ، تحديد المنهج الذي نميز به بين ما يمكن أن يكون مصطلحا تعارف عليه الصوفية ، أو لفظا صوفيا يشابه سائر الألفاظ ، فلا يمكن أن نعتبر كل لفظ نطق به أحد الصوفية وأراد التعبير عن فكرة عنت له في كشف مذهبه أو خوض تجربته ، اصطلاحا ينسب إلى جميع الصوفية بدعوى الانتساب إلى التصوف .

فالاصلاح في علم اللغة : هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص ، أو إجماع قوم على تسمية شئ من الأشياء (١٦) .

والتعبير الاصطلاحي في علم اللغة ، له ضوابط محددة لا يصح إغفالها ، فلا بد للمصطلح أن يكون دقيقا محدد المعنى تحديدا تاما ، وأن تكون دلالاته على معناها دلالة جامعة مانعة ، فلا يأتي المصطلح على معنى أوسع من لفظه ، وأن يكون لكل مفهوم دلالي مصطلح واحد ، لأن التعدد يوجب الخلط والاضطراب وهو —

انظر مادة صلح في المعاجم الآتية : المغرب في ترتيب المغرب ، لأبي الفتح ناصر الدين بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري ، و عبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، سوريا حلب (١٧) ، (١٨) ، ولسان العرب لابن منظور (١٩) ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي (٢٠) .

ما لا يجوز في لغة التخاطب العلمي ، وأن يكون مختصرا سهلا غير متنافر الحروف حتى يسهل نطقه وتداوله (٢١) .

ومن ثم لا بد من وضع الضوابط المنهجية التي تحكم قواعد اعتبار اللفظ ، بين كونه لفظا عاما ، أو اصطلاحا خاصا عندهم ، كما أنه من الضروري أيضا التعرف على المنهج الذي نعتمد عليه في استخراج الأصول القرآنية لتلك المصطلحات ، بحيث يكون منهجا شاملا صحيحا ، يؤدي إلى إظهار موضوع المصطلح من القرآن والسنة ، والكشف عن معناه ، فمن المعلوم أن القرآن لا يحمل رؤوس موضوعات ، أو أسماء أبواب وفصول كالمباحث الفلسفية ، ولكن الباحث يستخرج مما ورد في آيات القرآن جميعها ، شاهدا يدل

## على أصالة —

انظر المزيد عن المصطلح وصياغته من الناحية اللغوية : التعبير الاصطلاحي دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية ، للدكتور زكى حسام الدين كريم ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة ١٩٦٤م ، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى لأبي الحسن على بن عيسى الرماني ، تحقيق ودراسة للدكتور فتح الله المصرى ، دار الوفاء القاهرة سنة ١٩٦٤م ، المصطلحات النقدية فى التراث العربى حتى القرن السابع الهجرى دراسة دلالية تاريخية ، رسالة دكتوراة إعداد عبد المطلب زيد ، مكتبة كلية دار العلوم سنة ١٩٦٤م ، المصطلح العلمى وأساليب صوغه فى مصر فى العصر الحديث ، رسالة ماجستير بمكتبة دار العلوم ، إعداد إبراهيم عبد الحميد عبد العزيز ضوه سنة ١٩٦٤م ، دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٤م .

موضوعه وصحة المعنى الذى يشير إليه ، أو على الأقل يدل على أن ما ذهب إليه لا يخالف أصول القرآن والسنة ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ومن ثم يتطلب الأمر استقصاء شاملا للقرآن والسنة وفق منهج واضح فى بحث الأصول القرآنية لكل مصطلح صوفى على حده ، وقد اتبعت الدراسة المنهجية التالية فى معرفة المصطلح الصوفى وأصوله القرآنية :

### أولا : منهج التعرف على المصطلح الصوفى :

تنوع المصطلحات الصوفية التى لها أصول قرآنية وتنحصر فى نوعين :

. النوع الأول : مصطلحات صوفية لها أصول قرآنية أو نبوية من جهة اللفظ والمعنى ، وقد أوردتها فى الجانب التطبيقى المعجمى من القسم الثانى فى الرسالة وقد استوعبت أربعة فصول متتالية ، الفصل الأول ويشمل المصطلحات التى بدأت بحرف الألف إلى حرف التاء ، والفصل الثانى ويشمل المصطلحات التى بدأت بحرف التاء إلى حرف الذال ، والفصل الثالث ويشمل المصطلحات من حرف الراء إلى حرف الغين ، والفصل الرابع ويشمل المصطلحات ، من حرف الفاء إلى حرف الياء .

وقد التزمت فى حصر هذه النوعية من المصطلحات شرطا صارما يتمثل فى اتفاق جمع من الصوفية على ذكر مدخل المصطلح ، أو أحد تصاريفه اللغوية ، ولما كان أقل الجمع اثنين فصاعدا على خلاف بين علماء الأصول فى ذلك ، حيث قال بعضهم : أقل الجمع اثنان ، لأن

الجمع في اللغة ضمّ شيء إلى شيء آخر فلما ضمّ الواحد إلى الواحد كان ذلك جمعاً صحيحاً ، وقال آخرون : أقل الجمع ثلاثة لأن الألفاظ في اللغة إنما هي عبارات عن المعاني ، ولا خلاف بين العرب في أن الاثنين لهما صيغة في الإخبار عنهما غير الصيغة التي للثلاثة فصاعداً ، وإن للثلاثة فصاعداً إلى ما لا نهاية له من العدد صيغة غير صيغة الخبر الاثنين ، وهي صيغة الجمع ، ولا خلاف بين أحد من أهل اللسان في أن ضمير الغائب موضوع بلا خلاف بين أحد من أهل اللسان في موضع اسم الغائب ومبدل منه ، فلا يجوز أن يبدل ضمير الجماعة إلا من الجماعة ، ولا ضمير الاثنين إلا من الاثنين ، ولو كان ذلك لوقع الإشكال وارتفع البيان ، فصح أن حكم ظاهر اللغة التي بها نزل القرآن وبها تكلم النبي ﷺ أن أقل الجمع ثلاثة (١٦) .

وقد أخذت بالرأى الأخير من باب الأخذ بالأحوط ، والتزام الدقة على قدر الإمكان والاطمئنان في حصر المصطلح الصوفي ، فاشتطت أن يتفق ثلاثة من الصوفية على الأقل على ذكر المصطلح بلفظه أو أحد تصاريفه المرتبطة بمعناه .

وقد بلغ عدد المداخل العامة على هذا الشرط في الفصل الأول والثاني والثالث والرابع من القسم المعجمي ، مائة وأربعة وعشرين مصطلحاً لهم أصول قرآنية . وبلغ مجموع المداخل الفرعية والعامة في هذه الفصول ، ثلاثمائة وتسعة وثلاثين مصطلحاً ، وقد تنوعت الأوجه في الالتزام بهذا الشرط على أربعة أنواع :

---

١٦. إحكام الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم الأندلسي (١٦/١١١) .

[١٦] - أن يتداول المصطلح أو أحد مشتقاته المرتبطة بمعناه ، ثلاثة من أعلام الصوفية على الأقل ، فيرد التصريح به والنص عليه في ألفاظهم ومثال ذلك :

مصطلح : (الخلوة) ، حيث ورد على معنى الانفراد والوحدة ، والتخلي لذكر الله ، في قول بشر بن الحافي الصوفي (ت: ١١١١هـ) ، عندما سئل عمن يتفرد ويختار الخلوة ؟ : ( ليتق الله تعالى عند خلوته ويلزم بيته ، وليكن أنيسه الله عز وجل وكلامه ) (١٦) ، وقول ذي النون المصري (ت: ١١١١هـ) : ( لم أر شيئاً أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا ، لم ير غير الله تعالى ، فإذا لم ير غيره ، لم يحركه إلا حكم الله ، ومن أحب الخلوة ،

فقد تعلق بعمود الإخلاص ، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق ( ١٤٠ ) .

وقول أبي عثمان المغربي ( ت : ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ هـ ) : ( من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، وخاليا من جميع الإيرادات إلا رضا ربه ، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب ، فإن لم يكن بهذه الصفة ، فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية ) ( ١٤٢ ) ، فجميعهم صرح بلفظ المدخل وهو مصطلح (الخلوة) .

---

١٤٤ . السابق ص ١٤١ .

١٤٥ . اللمع في التصوف ص ١٤٢ ١٤٣ .

١٤٦ . طبقات الصوفية ص ١٤٣ .

ومثال ذلك أيضا مصطلح : (الدعوى) ، حيث ورد في قول سهل بن عبد الله ( ت : ١٤٧ ١٤٨ هـ ) : ( أغلظ حجاب بين العبد وبين الله الدعوى ) ( ١٤٧ ) ، وقول ابن عطاء الأدمي ( ت : ١٤٨ ١٤٩ هـ ) :

( ثلاثة مقرونة بثلاثة الفتنة مقرونة بالمنية ، والحجة مقرونة بالاختيار ، والبلوى مقرونة بالدعوى ) ( ١٤٨ ) ، وقول أبي الخير الأقطع ( ت : ١٤٩ ١٥٠ هـ ) : ( الدعوى رعونة لا يخطر على القلب إمساكها فيلقبها إلى اللسان ، فتتلق بها ألسنة الحمقى ولا يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه ) ( ١٤٩ ) ، فجميعهم صرح بلفظ المدخل وهو مصطلح : (الدعوى) .

[ ١٥٠ ] - أن يرد المصطلح أو أحد تصاريفه المرتبطة بمعناه عند ثلاثة على الأقل من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم وشرحوا رموزهم ، فيصرح كل منهم بأن المصطلح لفظ جرى على ألسنة الصوفية ، وإن اختلفوا في توضيح معناه ، ومثال ذلك مصطلح : (الإحسان) ، حيث ورد عند السراج الطوسي على معنى أن تعبد الله كأنك تراه ، بدوام المراقبة والمشاهدة بالإيمان واليقين ( ١٥٠ ) ، وذكره عبد الرزاق الكاشاني على معنى رؤية الرب نفسه في عبده ، ورؤية العبد نفسه في ربه كالمرآة يرى الناظر فيها نفسه ، فالإحسان رؤية الحق موصوفا بصفات العبد

---

الرسالة القشيرية ص ١١١ .  
اللمع ص ١١١ .  
طبقات الصوفية ص ١١١ .  
اللمع ص ١١١ .

فيراها العبد وراء حجب صفاته بعين صفاته لأنه في عين اليقين ، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة لأنه تعالى هو الرائي وصفه بوصفه ، فالكل تعيناته فلا شئ يوصف مما سواه بأنه عينه أو أنه غيره (١١١) ، وورد عند عبد الكريم الجيلي على معنى اتحاد البصر بالبصيرة ، فيشهدك الحق تعالى أنوار عظمتها ساطعة على الوجود فيأخذك الصعق ، فحينئذ تبدو عليك شمس الجلال وأقمار الجمال من فلك الكمال على وفق مقتضى الحال مما لا يدخل تحت المقال ، فتشهدها ببصيرتك كأنك ناظر إليها بالبصر ، لاتحادها بقوة أحدية نور اليقين (١١١).

ومصطلح ، (الإنابة) ، وردت الإنابة عند أبي بكر الكلاباذي (ت: ١١١ هـ) على معنى ، إخراج القلب من ظلمات الشبهات ، والرجوع من الكل إلى من له الكل ، والرجوع من الغفلة إلى الذكر ، ومن الوحشة إلى الأنس (١١١) .

وذكرها أبو اسماعيل الأنصاري الهروي (ت: ١١١ هـ) ، على معنى الرجوع إلى الحق أصلا ، كما رجع إليه اعتذارا ، وذلك يكون بالخروج من التبعات والتوجع للعثرات ، واستدراك الفئات ، والرجوع إليه وفاء ، كما رجع إليه إجابة ، وذلك يكون بالخلاص من لذة الذنب ، وبترك استهانة أهل الغفلة تخوفا —

معجم الكاشاني ص ١١١ ، وانظر لطائف الإعلام / ١١١ .  
المناظر الإلهية ص ١١١ .  
التعريفات ص ١١١ .

عليهم مع الرجاء لنفسك بالاستقصاء في رؤية علل الخدمة ، والرجوع إليه حالا كما رجع إليه إجابة ، وذلك بالإيأس من عملك ومعاناة اضطراك وشيم برق لطفك (١١١) ، وعند عبد الرزاق الكاشاني على المعنى نفسه ، ولكن سماها إنابة العوام ، ثم ذكر أنواعا أخرى كإنابة الخاصة ، وإنابة خاصة الخاصة ، وإنابة خلاصة خاصة الخاصة ، وإنابة صفاء خلاصة خاصة الخاصة (١١١) .

[١١١] - أن يتداول المصطلح أو أحد مشتقاته المرتبطة بمعناه ، اثنان من أعلام الصوفية ، ويشهد لهم واحد من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم وشرحوا رموزهم ، ومثال ذلك :

مصطلح : (الإيثار) ، فقد ورد النص عليه فيما يروى عن أبي حفص النيسابورى  
(ت: ١٠٠٠ هـ) : ( الإيثار أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك في أمر آخرتك ودينك  
( ١٠٠٠ هـ ) ، وفيما ذكره عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت: ١٠٠٠ هـ) : ( إن استطعت ألا  
يسبقك أحد إلى مولاك فافعل ولا تؤثر على مولاك شيئا ) ( ١٠٠٠ هـ ) .

ثم ذكره عبد الرزاق الكاشانى (ت: ١٠٠٠ هـ) ، عند الصوفية على معنى تخصيص الغير  
على النفس وهو عندهم يسمى إيثار الشريعة ، فيقول : ( إيثار الشريعة هو الإيثار الذى  
تدعوا إليه الشريعة ، وهو أن يكون العبد مؤثرا لله —

١٠٠٠ هـ . منازل السائرين للهروى ص ١٠٠٠ هـ . لطائف الإعلام / ١٠٠٠ هـ ،  
١٠٠٠ هـ .

١٠٠٠ هـ . طبقات الصوفية ص ١٠٠٠ هـ . السابق ص ١٠٠٠ هـ .

ورسوله على هوى نفسه ، بحيث لا يعصى الله فى شىء مما أمر ونهى ، كما قال رسول الله ﷺ  
: " والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم ، حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " ثم ذكر معان  
أخرى للإيثار عندهم ( ١٠٠٠ هـ ) .

ومصطلح : (الإخبات) ، ورد النص على لفظه عند الحكيم الترمذى وأبى القاسم القشيرى  
، وهما من أعلام الصوفية ، وإن كان القشيرى من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم  
وشرحوا رموزهم ، ولكن الإخبات ورد فى متفرقات كلامه ، ولم يذكره كلفظ جرى على  
ألسنة الصوفية ، فهو يمثل هنا واحدا من أعلام الصوفية لا واحدا من كتابهم ، قال الحكيم  
الترمذى : ( القلب هو معدن التقوى ، والسكينة والوجل والإخبات واللين ) ، ثم استدل له  
بقوله تعالى : { وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ  
{ الحج / ١٠٠٠ هـ } ، ويقول القشيرى (ت: ١٠٠٠ هـ) : ( الإخبات استدامة الطاعة بشرط  
الاستقامة بقدر الاستطاعة ومن أمارات الإخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع ،  
وذلك بإطراق السريرة ، قال تعالى : { فَإِهْلِكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ }  
[ الحج / ١٠٠٠ هـ ] ، ويعرفه مرة أخرى بأنه —

١٠٠٠ هـ . لطائف الإعلام / ١٠٠٠ هـ .

١٠٠٠ هـ . بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، للحكيم الترمذى ص ١٠٠٠ هـ .

١٠. لطائف الإشارات / ١٠٠ / ١٠٠ .

التخشع لله بالقلب بدوام الانكسار ، ومن علامته الذبول تحت جريان المقادير بدوام الاستغاثة بالسر ، لقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [هود/١١٠] (١٠) .

كما أورد الكاشاني (ت: ١٠٠٠ هـ) الإخبات عند الصوفية في مصطلحاته وجعله على أربعة أنواع ، السابق وهو إخبات العوام ، ثم إخبات المتوسطين وإخبات الخواص ، وإخبات البالغين (١١) ، وكذلك مصطلح (البخل) حيث ورد في قول أبي حفص النيسابوري (ت: ١٠٠٠ هـ) عندما سئل عن البخل ؟ فقال : ( ترك الإيثار عند الحاجة إليه ) (١٢) .

وقال أبو على الجوزجاني (ت: بعد ١٠٠٠ هـ) في البخل : ( هو ثلاثة أحرف : الباء وهو البلاء ، والخاء وهو الخسران ، واللام وهو اللوم ، فالبخيل بلاء في نفسه وخاسر في سعيه وملوم في بخله ) (١٣) ، وذكر القشيري (ت: ١٠٠٠ هـ) أن حده على لسان أهل العلم منع الواجب ، وعلى بيان الإشارة ترك الإيثار في زمان الاضطرار ، وأمر الناس بعدم البخل في قوله تعالى : { الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ } [الحديد/١٠١] ، معناه منعهم عن مطالبات الحقائق في معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع ، وبيان هذا أن يقع بلسانك الانسلاخ —

١١. السابق / ١٠٠ / ١٠٠ .

١٢. طبقات الصوفية ص ١٠٠ / ١٠٠ .

١٣. السابق ص ١٠٠ / ١٠٠ .

[١٠٠] - أن يرد المصطلح أو أحد مشتقاته المرتبطة بمعناه ، عند اثنين من كتاب الصوفية الذين فسروا ألفاظهم وشرحوا رموزهم ، فيصرح كل منهم بالمصطلح كلفظ جرى على السنة الصوفية واصطلحوا عليه ، ويشهد لهم أيضا واحد من أعلام الصوفية ، ومثال ذلك مصطلح : (الاصطفاء) ، حيث أورده السراج الطوسي (ت: ١٠٠٠ هـ) ، ضمن شرحه لاصطلاحات الصوفية وألفاظهم على معنى الاجتباء في سابق العلم ، لقوله تعالى : { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام/١٠٠] ، ولقوله : { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

المَلَائِكَةُ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ { الحج/١٠٦ } (١٠٦) ، وذكره الهجویری أيضا (ت: ١٠٦: ١٠٦هـ) ، أن الاصطفاء هو أن يفرغ الحق قلب المؤمن لمعرفة ، حتى تنشر معرفته صفاءها فيه ، واستدل لذلك بقوله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ { فاطر/١٠٣ } (١٠٣) ، كما ذكره الحكيم الترمذی (ت: ١٠٣: ١٠٣هـ) ، وهو من أعلام الصوفية ، فقال : ( الاصطفاء هو الاجتباء ، فالعبد المجتبی منذ بداية أمره رهن الفيضة الإلهية ) (١٠٣) .

ومصطلح : (الامتحان) ، حيث ورد عند السراج الطوسي (ت: ١٠٣: ١٠٣هـ) في —

١٠٣. لطائف الإشارات / ١٠٣: ١٠٣ ، ١٠٣: ١٠٣ .

١٠٣. اللمع ص ١٠٣: ١٠٣ .

١٠٣. كشف المحجوب ص ١٠٣: ١٠٣ .

١٠٣. الحكيم الترمذی ونظريته في الولاية ص ١٠٣: ١٠٣ .

شرحه للألفاظ الجارية على ألسنتهم ، على معنى ابتلاء من الحق يحل بالقلوب المقبلة على الله تعالى ، ومحنتها انقسامها وتشتتها ، ثم يقسم الامتحان إلى ثلاثة أنواع : امتحان لقوم منهم عقوبة ، وامتحان لقوم منهم تمحيص وكفارة وامتحان لقوم منهم استدعاء الزيادة وارتفاع الدرجة (١٠٣) ، وعند الهجویری أيضا حيث قال : ( هذا الاصطلاح يدل على تجربة قلوب الأولياء بالبلوى التي يتليهم الله تعالى بها في الخوف والحزن والقبض والخشية قال تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } [الحجرات/١٠٣] ) (١٠٣) .

كما ذكر خير النساج من أعلام الصوفية (ت: بعد ١٠٣: ١٠٣هـ) تصريحه ، فروى عنه أنه دخل بعض المساجد ، فتعلق به شاب من أصحابه ، فقال له : يا شيخ تعطف على فإن محنتي عظيمة ، فقال النساج : وما محنتك ؟ فقال : افتقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة (١٠٣) .

ويجدر التنبيه على أن النوع الأول من المصطلحات ، روعى فيه تحقق معظم الأوجه السابقة مجتمعة ، أعني أنه قد يجتمع في المصطلح الواحد اتفاق ثلاثة من أعلام الصوفية على ذكره ، مع إضافة واحد من من كتاب المصطلحات أو اثنين أو ثلاثة ، وكذلك العكس يتفق ثلاثة من كتاب المصطلحات على ذكره ، مع إضافة شاهد لعلم من أعلام الصوفية أو اثنين أو ثلاثة ، وربما يرد في المصطلح —



ص ١٠٠ . اللمع ص ١٠٠ . كشف الحجوب ص ١٠٠ . اللمع ص ١٠٠ . اللمع ص ١٠٠ .

الواحد أربعة أو أكثر من أعلام الصوفية أو كتاب المصطلحات ، على حسب ما يظهر من المعاني الصوفية التي تبرز الأصول القرآنية ، أو تسهم في توضيحها بشكل فعال ، أو تضيف بعض الاجتهادات المؤثرة في إثراء الجانب الروحي في الإسلام ، أو تبين معنى مفارقا للأصول القرآنية والنبوية ، كما ورد في مصطلح (التوكل) ، حيث ذكرت فيه خمس عبارات صوفية ، مؤثرة في توضيح الأصول القرآنية والنبوية ، ولا يسع الباحث تركها ، كقول الحارث بن أسد المحاسبى (ت: ١٠٠هـ) : ( التوكل المفترض على الناس في جملتهم ، هو التصديق لله عز وجل فيما أخبر من قسم ، حيث قال :

{ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطُقُونَ } [الذاريات/١٠٠] ، وكفالاته من سياقه الأرزاق إليهم ، وإيصال الأوقات التي قسمها في الأوقات التي وقتها ، بتصديق تقوم الثقة به في قلوبهم وينفى به الشكوك عنهم والشبه ، ويصفون به اليقين ، ويثبت به حقائق العمل أنه الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المعطى المانع ، المنفرد بالأمر كله ، فإذا صح هذا العلم في القلوب ، وكان ثابتا في عقود الإيمان ، تنطق به الألسنة ، إقرارا منها بذلك لسيدها ، ويرجع إلى ذلك العلم عند تذكرها ، دفع الإسم عليها بالتوكل ( ١٠٠هـ ) ، وما يروى عن أبي تراب النخشي (ت: ١٠٠هـ) حيث سأل — الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله للمحاسبى ص ١٠٠ .

عن التوكل فأجاب بعبارة جامعة معبرة عن أركان التوكل في الإسلام ، فقال :

( التوكل طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضيا موافقا للقدر ) ( ١٠٠هـ ) ، وكذلك من أجود ما ينسب لسهل بن عبد الله (ت: ١٠٠هـ) أنه قال : ( من طعن في الحركة فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ، والتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته ، فمن بقى على حاله فلا يترك سنته ) ( ١٠٠هـ ) .

وهذا مما لاشك فيه باعث لعوام الصوفية في عصرنا إلى والسعى والعمل والأخذ بالأسباب ، وترك التواكل والنهي عن بقائهم عالية على المجتمع ، ومثله أيضا ما ورد في قول الحكيم

الترمذى (ت: ١٠١٠ هـ) ، فيمن ترك الطلب والسعى في الأسباب وتوكل بحجة أن الرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله ، وقد ضمن الله الرزق لمخلوقاته : ( إن كانوا قعدوا ينبغي لهم أن يقوموا وأن يطلبوا ، تحرزا من الطمع وفساد القلب ، فلا يضيع حق الزوجة والولد ، برغم أن أرزاقهم على الله ، فهذا تارك للسبيل والسنة ، لقوله تعالى : { وَعَلَى الْمُؤْتَدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة/١٠١] (١) ، وقال عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت: ١٠١٠ هـ) : ( التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه ) (٢) .

الرسالة القشيرية / التوكل في معاملته المحبوب / قوت القلوب في معاملته المحبوب .

آداب المريدين للترمذى ص ١٠١٠ هـ .

طبقات الصوفية ص ١٠١٠ هـ .

وقد بين أبو طالب المكي (ت: ١٠١٠ هـ) ، في دراسة مستفيضة درجات التوكل ومراحله ، أوردت مختصرا يكشف أصالة ما ورد في هذا الاصطلاح عند الأوائل (٣) ، وكذلك أوردت ما ذكره السراج الطوسى (ت: ١٠١٠ هـ) - وهو من كُتَّاب المصطلحات - في كيفية الاستنباط من الأصول القرآنية التي يرد إليها المصطلح الصوفي (٤) ، ثم ذكرت بعد ذلك ، ما يدل على أن هذا التقسيم السابق في أقوال الصوفية الذى تشهد له الأصول القرآنية والنبوية إلا أنه يعد مفهوما متواضعا عند كثير منهم ، حيث يسمونه توكل العامة ، أما التوكل عندهم ، فقد أخذ بنظرة أخرى ، فقالوا : ( التوكل ترك التوكل ) (٥) ، حيث يكون العبد في هذه الدرجة ، مضمحلا لا وجود له ، ومن ثم يسقط التوكل فيقول الكاشانى : ( التوكل أن ملكة الحق للأشياء ملكة عزة ، لا يشاركه فيها مشارك ، ليكل شركته إليه ) (٦) .

ومثال ذلك أيضا مصطلح : (الاستقامة) ، حيث ورد فيه أربع عبارات للصوفية وذكره أيضا ثلاثة من كتاب المصطلحات ، فروى عن حاتم الأصم (ت: ١٠١٠ هـ) أنه قال :

قوت القلوب / التوكل .

١٤. اللمع ص ١٤٤ .

١٥. السابق ص ١٤٤ ، وانظر التعرف ص ١٤٤ ، وعوارف المعارف ص ١٤٤ .

١٦. الرسالة القشيرية ١/١٤٤ .

( يعرف الإخلاص بالاستقامة ، وتعرف الاستقامة بالرجاء ) (١٤٤) ، وينسب ليحيى بن معاذ (ت: ١٤٤ هـ) : ( الاستقامة على ثلاثة أضرب : استقامة اللسان على كلمة الشهادة ، واستقامة الجنان على صدق الإرادة ، واستقامة الأركان على الجهد في العبادة ) (١٤٤) .

وروى عن أبي بكر الواسطي (ت: بعد ١٤٤ هـ) أنه قال : ( الخصلة التي بها كملت المحاسن وبفقدتها قبحت المحاسن الاستقامة ) (١٤٤) ، ويذكر لأبي على الدقاق (ت: ١٤٤ هـ) أن الاستقامة توجب دوام الكرامات ، لقوله تعالى :

{ وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا } [الجن/١٤٤] ، ولم يقل سقيناها ، بل قال : أسقيناها ، يقال : أسقيته إذا جعلت له سقيا فهو يشير إلى الدوام (١٤٤) .

كل هذه المعاني تدل علي حد الاستقامة عند الصوفية من خلال الأصول القرآنية ، ويؤيدها أيضا أحد كتاب المصطلحات ، وهو عبد الكريم القشيري (ت: ١٤٤ هـ) فعرفها بأنها درجة بها كمال الأمور وتمامها ولوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيما في حالته ضاع سعيه وخاب جهده ثم استدل لذلك بقوله تعالى :

١٧. السابق ١/١٤٤ .

١٨. لطائف الإعلام ١/١٤٤ وانظر معجم الكاشاني ص ١٤٤ .

١٩. طبقات الصوفية ص ١٤٤ .

٢٠. الرسالة القشيرية ١/١٤٤ .

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا } [النحل/١٤٤] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } [الأحقاف/١٤٤] ، وقد استدل على معنى الاستقامة بحديث سفيان بن عبد الله الثقفي ٢ لما قال له النبي ﷺ : " قل آمنت بالله ثم استقم " (١٤٤) .

ولكن الاستقامة تأخذ مفهوما مفارقا عند آخرين ، فأوردت ما يؤيد ذلك من كلام ابن عربي (ت: ١٤٤ هـ) ، وعبد الكريم الجيلي (ت: ١٤٤ هـ) وكلاهما من كتاب

المصطلحات ، فابن عربي يجعل الاستقامة عامة في الوجود ، فالكل على صراط مستقيم ، لقوله تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود/٤٨] ، فيقول ابن عربي (ت: ٤٨٨هـ) : ( فما من أحد من العالم إلا على صراط مستقيم وهو صراط الرب تبارك وتعالى ) (٤٨٨) .

ويقول عبد الكريم الجيلي (ت: ٤٨٨هـ) : ( الصراط المستقيم ، هو صراط الله الذي هو تنوعات تجليه في ذاته لذاته ، فمن حصل في هذا الصراط واستقام على علم كيفية الاتصاف بأسماء الله تعالى وصفاته ، فيتنوع بتجلياتها في العالم على حسب مقتضى الشأن ) (٤٨٨) .

وقد تكرر هذا المنهج في مصطلحات كثيرة ، كالأبد والإخلاص والتجلى والتفكر والتقوى والتوبة والتوحيد والجوع والحرية والحزن والخوف .. إلخ .

---

السابق / المصطلحات / المصطلحات / المصطلحات . فصوص الحكم ص / المصطلحات / المصطلحات . المناظر الإلهية ص / المصطلحات / المصطلحات .

النوع الثاني : مصطلحات صوفية لها أصول قرآنية أو نبوية من جهة اللفظ دون المعنى ، وقد أوردتها في الفصل الخامس من حرف الألف إلى حرف الضاد وفي الفصل السادس من حرف الطاء إلى حرف الياء ، ولم أشرط في حصرها المنهج المتبع في النوع الأول ، وإنما اكتفيت في معظمها أن يذكر المدخل عند كتاب المصطلحات ، مع بعض الشواهد إن وجد ، وسبب ذلك أن أغلب هذه الاصطلاحات ، إنما تمثل في الحقيقة المفاهيم المعبرة عن آراء محي الدين بن عربي (ت: ٤٨٨هـ) وتلاميذ مدرسته ، حيث استخدمت فيها ألفاظ القرآن والسنة منزوعة الدلالة تماما عن معانيها المتعارف عليها بين الصحابة والتابعين وعامة السلف ، وكسيت بها فلسفة ابن عربي في وحدة الوجود .

ولما لم يظهر هذا الفكر قبل ابن عربي ، تعذر تطبيق المنهج في النوع الأول من المصطلحات على هذه النوعية ، فمن أمثلة ذلك مصطلح : (الغراب) يطلق في الكتاب والسنة ويراد به الطائر المعروف سمي بذلك لسواده وكونه مبعدا في الذهاب (٤٨٨) ، فذكر في قوله تعالى : { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ } [المائدة/٤٨] ، وقوله : {

قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ {  
[المائدة/١٠١] ، وورد في السنة من حديث أم المؤمنين حفصة ، قال رسول الله ﷺ : " خمس

من الدواب —

المفردات في غريب القرآن ص ١٠١/١٠٢ .

لا حرج على من قتلهن ، الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور " (١٠١) .

وقال ابن عمر رضی الله عنه : " من يأكل الغراب وقد سماه رسول الله ﷺ فاسقا ، والله

ما هو من الطيبات " (١٠٢) .

ولكنه يعنى في اصطلاح ابن عربى شيئا آخر فيقول : ( فقام الغراب وقال : أنا هيكل الأنوار ،  
ومحل الكيف والكم ، وأنا الرئيس المرؤس ، ولى الحس والمحسوس بى ظهرت الرسوم ، وأنا أصل  
الأشكال ، وبمراتب صورى تضرب الأمثال ، أنا صورة الفلك ، ومحل الملك على صح الاستواء ،  
وعنى كنى بالمستوى ، وأنا اللاحق الذى لا ألحق كما العقاب ، والسابق الذى لا يسبق ، هو  
الأول وأنا الآخر ، وله الباطن ولى الظاهر ، قسم الوجود بينى وبينه ، وأنا أظهرت عزه وكونه ) (١٠٣)

ثم يورده عبد الرزاق الكاشانى على أنه اصطلاح عند الصوفية ، ومعلوم أنه ينتمى إلى  
مدرسة ابن عربى ، ولهذا يشرح مقصود ابن عربى منه بصورة أوضح وأن الغراب يعنى الجسم  
الكلى لكونه فى غاية البعد عن عالم القدس والحضرة الأحدية والخلوه عن الإدراك والنورية (١٠٤)  
، يقول : ( الغراب الجسم الكلى وهو —

أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (١٠١/١٠٢) .

أخرجه ابن ماجة فى كتاب الصيد (١٠١/١٠٢) وصححه الشيخ الألبانى .

رسالة الاتحاد الكونى ق ١٠١/١٠٢ ب وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ١٠١/١٠٢ .

اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص ١٠١/١٠٢ .

أول صورة الجوهر الهبائى ، وبه عم الخلاء ، وهو امتداد متوهم من غير جسم وحيث قبل  
الجسم الكلى من الأشكال الاستدارة ، علم أن الخلاء مستدير ، ولما كان هذا الجسم أصل  
الصور الجسمية الغالب عليها غسق الإمكان وسواده فكان فى غاية البعد من عالم القدس  
وحضرة الأحدية ، سمي بالغراب الذى هو مثل فى البعد والسواد ) (١٠٥) .

ومصطلح : (الفرقان) ورد في الكتاب والسنة على معنى القرآن ، فقال تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان/١] ، وقال سبحانه : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة/١٨٥] ، فالفرقان كلام الله تعالى ، سمى بذلك لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد ، والصدق والكذب في المقال ، والصالح والطالح في الأعمال (١) .

قال الإمام البخارى : " سمي الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل " (٢) ، وقال ع في دعائه : " ربنا رب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان " (٣) .

١. شرح الزلال ص ١٥٠

٢. المفردات ص ١٤٠

٣. الجامع الصحيح المختصر للإمام البخارى ، طبعة دار ابن كثير ١/١٤٠

٤. أخرجه مسلم في كتاب الذكر برقم (١٤٠) ١/١٤٠

ولكنه عند ابن عربى ، يأخذ معنى مفارقا ، فالفرقان ضد القرآن حيث القرآن هو العلم اللدنى الإجمالى الجامع للحقائق كلها ، فيقول :

( قال فى التنزيل بلسان نوح : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا } [نوح/٤٤] ، وعلم العلماء أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن لا فرقان ، ومن أقيم فى القرآن ، لا يصغى إلى الفرقان وإن كان فيه ، فإن القرآن يتضمن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن القرآن ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ﷺ لأنه أوتى جوامع الكلم ، فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا فى نهار ونهارا فى ليل ) (٤) .

ويقول أيضا : ( فإن الله يقول : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة/٣] هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين ، فإنهم قد يرونه ﷺ فى كشفهم فيصح لهم من الإخبار ما ضعف عندهم بالنقل ، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل ) (٥) .

ثم يذكره عبد الكريم الجبلى على معنى قريب من المعنى الذى أشار إليه ابن عربى ، فيقول : ( الفرقان عبارة عن حقيقة الأسماء والصفات على اختلاف تنوعاتها ، فباعتباراتها تتميز

كل صفة واسم عن غيرها ، فحصل الفرق في نفس —

فصوص الحكم / / .

. الفتوحات المكية / .

الحق من حيث أسماءه الحسنی وصفاته ، فإن اسمه الرحيم غير اسمه الشديد واسمه المنعم غير اسمه المنتقم ، وصفة الرضا غير صفة الغضب ، فكما أن الفرق حاصل في الأفعال ، فكذلك في الصفات ، وكذلك في نفس واحدة الذات التي لا فرق فيها ، لكن من غرائب شئوون جمع الذات النقيضين من المحال والواجب ( ) .

ومثله أيضا في مصطلح : (الكفر) يراد به في القرآن والسنة الكفر بالله ورسله ، فقال تعالى فيمن يحدد الوجدانية : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } [المائدة/ ] ، وقال عن كفر اليهود بالرسالة المحمدية :

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة/ ] وقال فيمن جحد الشريعة : { هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا } [فاطر/ ] ، وفي السنة عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله : ( لي خمسة أسماء ، أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب ) ( ) .

ولكن الكفر يراد به عند ابن عربي الإيمان الحقيقي ، حيث يقول : ( وأما —

الإنسان الكامل / .

. أخرجه البخارى في كتاب المناقب ( ) / .

الإيمان فهو أمر عام ، وكذلك الكفر الذى هو ضده ، فإن الله قد سمى مؤمنا من آمن بالحق ، وسمى مؤمنا من يؤمن بالباطل ، وسمى كافرا من يكفر بالله وسم كافرا من يكفر بالطاغوت ، والكافر من الأولياء من كان ختم الحق على قلبه لأنه اتخذه بيته ، وختم على سمعه فلا يصغى إلى كلام أحد إلا كلام ربه ( ) .

ثم يتنوع الأمر عند أتباع ابن عربي على هذا المنوال فيقول عبد الرزاق الكاشاني : ( ومنهم

الكافرون يقصد الأولياء ، وهم الساترون ، مقامهم مثل الملامتية والكفار الزارعون لأنهم يسترون البذرة في الأرض ( ٤٤ ) ، ويقول الجبلى : ( وفي منظر الكفر ، يتجلى الحق تعالى على العبد بتجلى يستتر عنه حقائق ما يجب الإيمان به ، لظهور سمات الجمال ، فيقال : كافر بمعنى ساتر ) ( ٤٥ ) .

وكذلك في مصطلح : (النكاح) ، حيث ورد في الكتاب والسنة على معنى الزواج ، فقال تعالى : { وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ } [النساء/٤] ، وقال سبحانه : { فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ } [النساء/٤] ، إلى غير ذلك من الآيات ، وفي السنة ما روى أن زينب بنت جحش رضي الله عنها ، كانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : " إن —————

الفتوحات [٤/٤] ، [٤/٤] ، [٤/٤] .

[٤]. تفسير القرآن الكريم للكاشاني ، منسوب لابن عربي [٤/٤] .

[٤]. المناظر الإلهية ص [٤/٤] .

الله أنكحني في السماء " ( ٤٦ ) ، وعن المسور بن مخزوم قال : " إن عليا خطب بنت أبي جهل ، فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يزعم قومك ، أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي نكح بنت أبي جهل " ( ٤٧ ) .

ولما دخل عبد الله بن عباس ﷺ على عائشة رضي الله عنها قبل موتها وهي مغلوبة ، قال : " فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله ﷺ ولم ينكح بكرا غيرك ، ونزل عذرك من السماء " ( ٤٨ ) .

ولكن النكاح عند ابن عربي يقصد به التزاوج بين الذات الإلهية في خفائها بالمخلوقات العينية في ظهورها عن طريق التوجه الحبي ، فالذات في الأزل على زعمه كانت كنزا مخيفا بالغيبة وانعدام الظهور فأرادت أن تعرف بالميل الأصلي والحب الذاتى للظهور ، هذا الحب هو الوصلة بين الخفاء والظهور ، يسرى ذلك إلى كل متعين ظاهر في جميع مراتب التعينات ، فتلك الوصلة هي أصل النكاح السارى في جميع الزرارى عند أصحاب الوحدة ، يقول ابن عربي :

( المخلوقات زوج لأنها شفعت وجود الحق بعد أحديته في الأزلية ، كما أن هناك المرأة



شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته زوجا فظهرت الثلاثة ، حق —

١. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) .

٢. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) .

٣. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) .

ورجل وامرأة ، فحن الرجل إلى ربه الذى هو أصله حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب الله من هو على صورته ، فإذا شاهد الرجل الحق فى المرأة كان شهودا فى منفعل ، وإذا شاهده فى نفسه من حيث ظهور المرأة عنه شاهده فى فاعل ، وإذا شاهده فى نفسه من غير استحضار صورة ما ، كان شهودا فى منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق فى المرأة أتم وأكمل ، لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل (١٠٠٠٠) .

ثم يعلل بذلك ما روى عن أنس بن مالك  $\text{ؓ}$  من قوله  $\text{ع}$  : " حبيب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرّة عيني فى الصلاة " (١٠٠٠٠) ، فيقول : ( فلهذا أحب  $\text{ع}$  النساء ، لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا ولما لم تكن الشهادة إلا فى مادة ، فشهود الحق فى النساء ، أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة الجماع الحلال وهو نظير التوجه الإلهى على من خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه نفسه ) (١٠٠٠٠) .

١. فصوص الحكم ص ١٠٠٠٠ .

٢. أخرجه النسائى فى كتاب عشرة النساء برقم (١٠٠٠٠) ، وقال الشيخ الألبانى : حديث

حسن صحيح / (١٠٠٠٠) ، ورواه الحاكم فى المستدرک وقال : صحيح على شرط مسلم

برقم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، وأخرجه أبو يعلى فى مسنده برقم (١٠٠٠٠) وقال

الشيخ حسين أسد : اسناده حسن / (١٠٠٠٠) .

٣. فصوص الحكم ص ١٠٠٠٠ .

وقال أيضا : ( ولما أحب الرجل المرأة ، طلب الوصلة ، أى غاية الوصلة التى تكون فى المحبة ، فلم يكن فى صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح ولهذا تعم الشهوة أجزاء كلها ، ولذلك أمر بالاغتسال منه ، فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة ، فإن الحق غير على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره فطهره بالغسل ليرجع بالنظر إليه فيمن فى فيه ، إذ لا

يكون إلا ذلك ( ١٧٠ ) .

وعلى هذه الوتيرة ، يفسر قوله تعالى : { يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ } [فاطر/١٥٧] ، فيقول : ( فجعله الله نكاحا معنويا ، لما كانت الأشياء تتولد فيهما معا ، وأكد هذا المعنى بقوله : { يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ } [الأعراف/١٥٧] من قوله : { فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيْفًا } [الأعراف/١٥٨] ، فأراد النكاح فكان ( ١٧١ ) .

وقد تكرر الأمر على هذا النهج في المصطلحات كثيرة كالفتح المبين ، والفتح القريب والفراق ، وقاب قوسين ، والقدم ، والقلم والقيامة ، والكأس والكتاب المبين ، والكتاب المسطور ، والكوكب ، وليلة القدر ، والمثل ، ومجمع البحرين ومشرق الشمس ، ومغرب الشمس ، والموت ، والنار ، والثقلان ، والنقباء والنور ، والواقعة ، والياقوت ، ويوم الجمعة ، وجميعها ألفاظ قرآنية أو نبوية منزوعة الدلالة عن معانيها المرادة في مقصود المتكلم ، وموضوعة بتعسف على —

١٧٠ . السابق ص ١٥٧ .

١٧١ . كتاب أيام الشأن ص ١٥٨ .

متفرقات جزئية لفكر ابن عربي ، تتابع أتباعه على شرحها أو إعادة صياغتها بصورة أخرى ، وقد توسعت الدكتوراه سعاد حكيم في معجمها الصوفي في حصر هذه النوعية من المصطلحات عند ابن عربي ، سواء ورد اللفظ في القرآن أو لم يرد ، واعتبرت كل ما ورد عنه من هذه النوعية اصطلاحات صوفية ومداخل معجمية تنطق بالحكمة .

أما إذا كان الاصطلاح له امتداد عند الأوائل ، أو ما قبل عصر ابن عربي موضوع على معنى باطنى ، لا يدل عليه مقتضى ظاهر القرآن أو السنة ، ذكرته على شرط منهج النوع الأول من المصطلحات مثل مصطلح الإحرام ، والبيت المعمور ، والتلبيس والتلوين ، والتمكين ، والجمع ، والزكاة ، والسكر ، والشرب والفرق والمسامرة ، والملامتية ، والوطن وغير ذلك من المصطلحات .

فمصطلح : (الإحرام) ورد في القرآن والسنة على نية أحد النساكين الحج أو العمرة أو لهما معا ، وهو فيهما بمنزلة التكبير في الصلاة ، فالتكبير الأولى في الصلاة يقال لها تكبيرة الإحرام ، فإذا أحرم الحاج أو المعتمر منع من أشياء تحل له في غير الإحرام ، كحلق الشعر

وتغطية الرأس وصيد البر والنكاح والجماع وغير ذلك مما بينه القرآن والسنة ، ففي القرآن : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ } [المائدة/٣٠] وقال سبحانه : { أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ } [المائدة/٣١] وقال : { وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا } [المائدة/٨٥] ، وفي السنة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " قام رجل فقال : يا رسول الله ، ماذا تأمرنا أن نلبس من الثياب في الإحرام ؟ فقال النبي ﷺ : لا تلبسوا القميص ولا السراويلات ، ولا العمائم ولا البرانس ، إلا أن يكون أحد ليست له نعلان فليلبس الخفين وليقطع أسفل من الكعبين ، ولا تلبسوا شيئا مسه زعفران ولا الورد ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين " (١) .

والإحرام ينتهي بانتهاء النسك ، ولا دليل في إيجاب الإحرام على غير من دخل لأحد النسكين الحج أو العمرة ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدْيَ وَلَا الْأَقْلَامِدَ وَلَا آيَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا } [المائدة/١] (٢) .

أما الإحرام في الاصطلاح الصوفي ، فيعني عندهم معنى باطنيا يخالف المعنى الظاهر المتعارف عليه بين النبي ﷺ وأصحابه ، فإذا قيل في عرفهم : رجل محرم فإنهم يعنون أنه ترك شهوة المخلوقات ، كما أن الخروج عن الإحرام ليس بالتحلل منه كما هو المقصود في القرآن والسنة ، ولكنه عبارة عن التوسع للخلق والنزول إليهم بعد العندية في مقعد صدق (٣) .

١. أخرجه البخارى فى كتاب الحج (١٠٠/١٠٠) (١٠٠/١٠٠) .

٢. الروضة الندية شرح الدرر البهية ، لأبى الطيب صديق بن حسن البخارى ، مكتبة التراث القاهرة

، بدون تاريخ /١٠٠/١٠٠ ، والمفردات فى غريب القرآن ص١٠٠/١٠٠ .

٣. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى /١٠٠/١٠٠ .

وهذا المعنى نقله التهانوى عن الصوفية دون نسبته إلى أحد ، ولكن له امتداد عند الجنيد بن محمد (ت: ١٠٠هـ) ، فيروى عنه أنه قال لرجل محرم يريد الحج إلى مكة : هل تخلت عن صفاتك الآدمية كما تخلت عن ثيابك الاعتيادية ؟ فقال : اللهم لا ، قال له : إنك إذا لم تحرم (١) ، ويؤيده فى هذا الفكر الباطنى السراج الطوسى (ت: ١٠٠هـ)

فيقول :

( وإذا نزعوا ثيابهم للإحرام وتجردوا وحلوا العقد واتزرروا وارتدوا ، كذلك نزعوا عنهم أسرارهم الغل والحسد وحلوا عن قلوبهم عقد الهوى ومحبة الدنيا ولم يعودوا إلى ما خرجوا منه من ذلك ) (١) ، ويصرح على بن عثمان الهجویری فی كشف المحجوب (ت: ٨٤٠هـ) أن الإحرام فی عرف الصوفیة ، هو أن یحرم علی نفسه ذكر الغير (٢) .

أما من جهة الأصول القرآنية والنبوية ، فإن الشواهد ظاهرة في أن الإحرام فعل ظاهر من أفعال العبادات يرتبط بالنية وإرادة الله بالعمل ، كما هو الحال في سائر العبادات ، فيتحتّم أن يتوفر فيها شرطان أساسيان حتى يقبل العمل وهما :

١. كشف المحجوب ص ١٠٠ .

٢. اللمع ص ١٠٠ .

٣. كشف المحجوب ص ١٠٠ .

٤. الإخلاص لله ، لقوله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } [البينة/١٠] .

٥. متابعة السنة ، لقوله ٤ فيما روى عن عائشة رضی الله عنها : " من عمل عملا

ليس عليه أمرنا فهو رد " (٦) .

أما ما ذكره الصوفية لمعنى الإحرام من ترك شهوة المخلوقات ، ففيه نوع من الإطلاق يفتقر إلى ضبطه بمقياس الشرع ، فليس كل ما يشتهي محرما ، والتخلي عن صفات الآدمية ، وذكر الغير ليس على إطلاقه أيضا ، وإنما التخلي عن الصفات الذميمة من الوجهة الشرعية هو المراد ، فليس كل الصفات الآدمية ذميمة ، ولا ينبغي أن يسمى ذلك إحراما ، لأن الإحرام له مفهومه الشرعي وقدسيته الخاصة ، التي لا يجوز المساس بها أو تميمع مدلولها .

كما أن نزع الغل والحسد ، وخلع عقد الهوى ، ومحبة الدنيا عن القلب ، كل ذلك من المعاني ، لا تقتزن بالحج أو غيره من العبادات عند أدائها أو أداء بعضها فقط ،

ولكنها معان مصاحبة للمسلم عند نطقه بالشهادتين وإذعانه لربه وإعلانه الإسلام ، فالصحابة وهم خير القرون ، لم يذكر عنهم أنهم التفتوا في إحرامهم إلى ذلك ، ولم يتناقلوه فيما بينهم ، ولم يثبت عنهم ذلك ، ولو كان خيرا ما تركوه .

📁 . أخرجه البخارى فى كتاب الصلح (📖🕒🕒🕒) .

ثانيا : منهج ترتيب مداخل المصطلحات الصوفية .

التزمت فى ترتيب مداخل المصطلحات منهجا تبدو معالمة فيما يأتى :

📁 - رتبت المداخل حسب الترتيب الهجائى للمشرق العربى (📁) فصنفت المصطلحات ، دون اعتبار ألف ولام التعريف ، إلى ثمانية وعشرين مدخلا وفق الحرف الأول من المصطلح .

📁 - اعتمد ترتيب الحروف فى كل مصطلح على صورة الكلمة ، لا على نظام المواد اللغوية الذى يرجع اللفظ إلى أصوله اللغوية ، ثم يعتمد حروف المواد الأصول فى الترتيب ، وإنما المدخل هو صورة الكلمة المكتوبة فقط ، فمثلا فى باب الألف ، وردت الاصطلاحات الآتية : ( الأبد ، الاتصال ، الإحسان الإخبات ، الاختيار ، الإخلاص ، الإرادة ، الاستقامة ، الاصطفاء ، الاصطناع الاعتصام ، الامتحان ، الإنابة ، الإيثار ) ، فالمعتبر هو النظر إلى المدخل بحروف الكلمة ، لا بالمادة اللغوية أو حروفها الأصول ، كما أن حرف الألف ليس —

📁 . ترتيب المشرق العربى : (أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - س - ش - ص - ض - ط - ظ - ع - غ - ف - ق - ك - ل - م - ن - هـ - و - ي) .

وترتيب المغرب العربى : (أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ظ - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ق - س - ش - هـ - و - ي)

فالاختلاف بينه وبين ترتيبها فى المشرق العربى بعد الزاى .

مقصورا على المصطلحات التى تبدأ بالألف فقط وإنما ضم إليه ما بدأ بالهمزة .

📁 - الاصطلاحات المركبة ، لا يعتد فى ترتيبها ، إلا بالجزء الأول من تركيبها كما فى اصطلاحات : ( المأخوذ والمستلب ، الأفق الأعلى ، الأفق المبين ، التذانى والتدلى ،

مشرق الشمس ، مغرب الشمس ، الوفاء بالعهد ، يوم الجمعة .. ) حيث تقدم الأول في الترتيب على الثاني مع النظر إلى الحرف الأول من الجزء الثاني في الترتيب العام للمداخل .

[١١] - الترتيب الداخلى للمداخل روعى فيه ترتيب المداخل المعجمية حسب كل حرف من حروف الكلمة ، الأول فالثاني فالثالث وما يليها ، كما فى المصطلحات الواردة فى حرف التاء : ( التبتل ، التجلى ، التسليم ، التفريد التفكير ، التقديس ، التقوى ، التواضع ، التوبة ، التوجه ، التوحيد ، التوفيق التوكل .. ) حيث تقدم مدخل التبتل على التجلى ، لتقدم الباء على الجيم ، والتجلى على التسليم ، لتقدم الجيم على السين ، وهكذا فى جميع المداخل .

[١٢] - إذا اشتمل المدخل العام على بعضى المداخل الفرعية ، فإنه لا ينطبق عليها ما تقدم ، وإنما رتب المداخل الفرعية حسب القرب أو البعد من المعانى ذات الأصول القرآنية ، كما فى مصطلح : (التفكر) ، حيث اشتمل هذا المدخل على بعض المداخل الفرعية مثل : (تفكر العامة) ، (تفكر الخاصة) ، (تفكر خاصة الخاصة) ، فجاء (تفكر العامة) أولاً ، لأنه أقرب إلى الأصول القرآنية والنبوية ، فمعنى عندهم : ( التفكر لعامة الناس من غير الصوفية ، لتحصيل ما به يسهل عليهم الخلاص من إتيان الشهوات التى زينت للناس ، حتى ملكت رقهم ، فإذا أمكن العبد التحرر من رقها بالتحرر من إتيانها ، حتى خرج من ظلمة الشهوات إلى أنوار المشاهدات ، صار من أهل القربات لا محالة ) (١٣) ، ثم (تفكر الخاصة) ثانياً ، وهو عند الصوفية أرقى ، إلا أنه من الأصول القرآنية أبعد فجاء على معنى : (تحصيل ما يسهل سلوك طريق الحقيقة) (١٤) ، ثم (تفكر خاصة الخاصة) ، إذ هو أشد بعداً ، حيث ينقلب الأمر بالتفكر ، إلى ترك حضيض التفكير ، فورد كما ذكر عنهم : ( وأما خاصة الخاصة ، فقد ارتفعوا عن حضيض التفكير ، الذى هو طلب أمر مفقود ، إلى أوج التذكر الذى هو مشاهدة الحق الموجود ) (١٥) .

وربما تعددت المداخل الفرعية إلى ما هو أكثر من ذلك ، كما فى مصطلح : (الإنبابة) ، حيث ورد تحت المدخل العام ، خمسة مداخل وهى : (إنبابة العوام) فذكرت أولاً ، لأنها مبنية على الشواهد الصحيحة من الكتاب والسنة ، ثم (إنبابة الخاصة) ، وهى الرجوع من مخالفة الإرادة الإلهية إلى موافقتها ، بحيث لا يختلج فى القلب إرادة شئ من الأشياء لعلمه أنه لا يقع إلا ما

أراد الله وقوعه (١٠٠) .

١٠٠. معجم الكاشاني ص ١٠٠/١٠٠ .

١٠١. السابق ص ١٠٠/١٠٠ .

١٠٢. لطائف الإعلام /١٠٠/١٠٠ ، ١٠٠/١٠٠ .

١٠٣. السابق /١٠٠/١٠٠ ، ١٠٠/١٠٠ .

وهذا قريب من مذهب الجبر ، ثم (إنابة خاصة الخاصة) ، وهي ألا يرى مع الله سواه (١٠٤) ، ثم (إنابة خلاصة خاصة الخاصة) ، وهي ألا يرى فيما يقال إنه سواه أنه شئ سوى مراتب تجلياته ، ثم (إنابة صفاء خلاصة خاصة الخاصة) .

ويعرف الكاشاني حدها عندهم بقوله : ( تمكّنك عند إنابتك إليه ، بحيث لا تنقهرتحت سلطنة التجلي عن رؤية المجلي ، باستهلاكك في نور المتجلي ، لئلا يستهلك أحكام المراتب ، فيفوتك الخير الكثير ، الذي هو معرفة الحكمة في أحكام مواقع تلك التجليات ، والقيام بحقوقها ) (١٠٥) ، وجميع هذه المعاني ما عدا (إنابة العوام) ، تميل عن المعنى القرآني على اختلاف بينها في زاوية البعد .

ثالثاً : منهج ترتيب الشواهد الصوفية في المداخل .

التزمت في ترتيب شواهد المداخل العامة ، سواء من أقوال الصوفية أو كتاب المصطلحات في الأبواب ، الثالث والرابع والخامس منهجا يرتكز على ما يلي :

( ١٠٦ ) - عرض أقوال الصوفية حسب الترتيب الزمني لتاريخ الوفاة من الأدنى إلى الأعلى ، ليتسنى للقارئ متابعة التطور في معنى المصطلح الصوفي ، وما طرأ عليه من تغيير عبر الزمن ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك مصطلح : (الحرية) ، حيث ورد في هذا المدخل سبعة شواهد من أقوال أعلام الصوفية ، وثلاثة من أقوال كتاب المصطلحات ، فرتبتهم حسب التسلسل الزمني لتاريخ الوفاة ، فالأول ما —

١٠٧. السابق /١٠٠/١٠٠ .

١٠٨. السابق /١٠٠/١٠٠ .

روى عن بشر الحافي ، حيث توفي سنة (١٠٩٠ هـ) (١٠٩) ، ثم ما نسب لأحمد بن

خضرويه توفى سنة (١٠٠٠ هـ) (١) ، ثم ما يروى عن الجنيد بن محمد سيد الطائفة في عصره (ت: ١٠٠٠ هـ) (٢) ثم إبراهيم بن شيان (ت: ١٠٠٠ هـ) (٣) .

انظر في ترجمته ومعرفة تاريخ وفاته ، الرسالة القشيرية / ، ومرآة الجنان / ، وطبقات الشعراني / ، وشذرات الذهب / ، وتاريخ بغداد / ، والبداية والنهاية / ، وحلية الأولياء / ، معجم البلدان / ، والفهرست / .

يراجع في ترجمته : تاريخ بغداد / ، وحلية الأولياء / ، وصفة الصفوة / ، وطبقات الشعراني / ، الرسالة القشيرية / ، وسير أعلام النبلاء / ، ومعجم المؤلفين / ، وكنوز الأولياء ص / ، وجامع كرامات الأولياء / ، والكواكب الدرية / ، و النجوم الزاهرة / ، وتذكرة الأولياء / .

انظر ترجمته في طبقات الصوفية ص / ، و لوائح الأنوار / ، ومرآة الجنان / ، والمنظم / ، وفيات الأعيان / ، وطبقات الشفعية / ، والأنساب ص / ، والبداية والنهاية / ، وسير أعلام النبلاء / ، وطبقات الحنابلة / ، ونتائج الأفكار القدسية / ، وهدية العارفين / ، وفهرست بن النديم / ، وفهرست الخديوية / ، وروضات الجنات ص / ، والنجوم الزاهرة / ، وسير السلف الصالحين ص / .

انظر ترجمته في حلية الأولياء / ، وشذرات الذهب / ، والرسالة القشيرية / ، ونتائج الأفكار القدسية / ، وطبقات الشعراني / ، وطبقات الصوفية ص / .

ثم أبو بكر الشبلي (ت: ١٠٠٠ هـ) (٤) والشيخ عبد الله ابن خفيف الشيرازي (ت: ١٠٠٠ هـ) (٥) وكل هؤلاء من أعلام الصوفية ، ثم أوردت قول أبي نصر السراج الطوسي (ت: ١٠٠٠ هـ) (٦) ، ككاتب للمصطلحات الصوفية ، ثم ما يروى عن أبي علي الدقاق (ت: ١٠٠٠ هـ) (٧) ، وهو من أعلام الصوفية لا من كتابهم ، ولكنه جاء في الترتيب متأخرا في الزمن عن السراج الطوسي ، ثم أوردت بعد ذلك في المدخل ، شرح



## المصطلح لأبي القاسم القشيري ، حيث —

انظر ترجمته في حلية الأولياء / وصفة الصفوة / ونتائج الأفكار القدسية / وطبقات الشعراني / وتاريخ بغداد / واللباب / والأنساب ص / والدياج المذهب ص / وهدية الأحاب ص / والكامل ص / المنتظم / .

انظر ترجمته في حلية الأولياء / ونتائج الأفكار القدسية / وطبقات الشعراني / وشذرات الذهب / ومعجم البلدان / وطبقات الشافعية / المنتظم / . تقدمت ترجمته انظر ص .

أستاذ القشيري صاحب الرسالة ، توفي ودفن بنيسابور سنة /هـ انظر وفيات الأعيان لابن خلكان / وطبقات الشافعية / والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية لعبد الرؤف المناوي / .

توفي سنة (هـ) ، ثم رأى محي الدين بن عربي (ت: هـ) من خلال ما ذكره عبد الرزاق الكاشاني (ت: هـ) في تصنيفه للمداخل الفرعية في مصطلح (الحرية) .

ويمكن للقارئ أن يلحظ بمجرد النظر إلى الشواهد في ترتيبها تطور معنى الحرية عند الصوفية من معنى بسيط يعني إتمام العبودية لله والإخلاص لله وحده ، وألا يكون العبد عبدا لدرهم أو دينار أو استترقه شئ سوى الله (إلى معنى مركب بعيد الصلة تماما عن الأصول القرآنية في عصر ابن عربي ، حيث تعنى الخروج عن رق الرسوم والآثار ، لانمحاق ظلمة كونهم في تجلى نور الأنوار ، فالحرية تحرر من ظلمات أهل الحجاب، الذين لا يعبدون إلا صور الكثرة الأسمائية المحتجين بها عن الوحدة ( .

( - رجعت في تحديد تاريخ الوفاة إلى جميع كتب التراجم الممكنة ، مثل ما ورد من مراجع في الترجمة السابقة لبشر الحافي وأحمد بن خضرويه والجنيد بن محمد وإبراهيم بن شيبان وغيرهم ، كما اكتفيت بوضع سنة الوفاة بجوار الاسم —

١٠٠. تقدمت ترجمته انظر ص ١٠٠/١٠٠ .

١٠١. تقدمت ترجمته ص ١٠١/١٠١ .

١٠٢. اللع ص ١٠٢/١٠٢ .

١٠٣. فصوص الحكم ص ١٠٣/١٠٣ .

مباشرة ، ولم أبين في الهامش المصادر التي اعتمدت عليها في تحديد سنة الوفاة لأن صفحات الرسالة تضيق ولا تتسع بشكل تفصيلي أو إجمالي ، لذكر مصادر الترجمة لهذا العدد الكبير من الصوفية ، فقد بلغ عدد أعلام الصوفية وكتابهم في جميع المداخل أكثر من خمسمائة صوفي ، ولذا اكتفيت بوضع سنة الوفاة بجوار الإسم فقط ، وقد راعيت عند اختلاف أصحاب التراجم في تاريخ الوفاة لأحد أعلام الصوفية الأخذ بالرأى الذى عليه جمهور المترجمين ، فإن لم يكن غير رأيين أو ثلاثة أخذت بالأحوط دائما ، مثال ذلك في ترجمة (الجنيد بن محمد) اختلفوا في وفاته ، فمن قائل إنه توفي سنة سبع وتسعين ومائتين (١٠٠) ، ومن قائل إنه توفي ببغداد سنة ثمان وتسعين ومائتين (١٠١) ، ومن قائل إنه توفي ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين (١٠٢) ، وجمهور المترجمين أو ما يزيد على العشرين منهم على أنه توفي سنة (ت: ١٠٣) فأخذت به .

١٠٤. ذكره أبو القاسم القشيري في ترجمته ، انظر الرسالة القشيرية ١٠٤/١٠٤ ، وأبو عبد الرحمن السلمى في طبقات الصوفية ص ١٠٤/١٠٤ .

١٠٥. ذكره الخطيب البغدادي بسنده عن الحسين بن المنادي قال : ( مات الجنيد بن محمد ليلة النيروز ودفن من الغد وكان ذلك في سنة ثمان وتسعين ومائتين ) ، انظر تاريخ بغداد ١٠٥/١٠٥ .

١٠٦. انظر كتاب نفحات الأنس من حضرات القدس لأبي البركات عبد الرحمن الجامي طبعة الأزهر الشريف ، دار التراث العربى سنة ١٠٦/١٠٦ هـ ، ١٠٦/١٠٦ م ، ص ١٠٦/١٠٦ .

ومثال ذلك أيضا ترجمة (شاه الكرمانى) حيث ورد قولان في وفاته ، القول الأول أنه مات سنة ست وسبعين ومائتين (١٠٦) ، والثانى أنه مات قبل الثلاثمائة (١٠٧) وقد ترددت أقوال المترجمين جميعا بين هذين القولين ، فأخذت بالأحوط وهو الرأى الثانى ، وكتبت بجوار شاه الكرمانى (ت: قبل ١٠٦ هـ) .

(١١) - ألحقت في كل مصطلح على حدة ، تاريخ الوفاة لكل شخصية صوفية وذلك حتى يتسنى ترتيبهم زمنيا من جهة الأقرب إلى عصر خير القرون ، ومن ناحية أخرى مراعاة ترتيب الأفكار قريبا من المعنى الوارد في الأصول القرآنية والنبوية ، وثالثة أنه ربما أراد القارئ البحث عن مصطلح بعينه دون الرجوع إلى ما سبق ، فيمكنه ذلك من معرفة الترتيب الزمني للشواهد في هذا المدخل ، ولهذا ربما يتكرر ذكر تاريخ الوفاة لصوفي ما في كل مصطلح ، مثل الحارث بن أسد المحاسبي (ت: ١١١ هـ) ذكر في مصطلح (الإخلاص) وذكر مرة أخرى في مصطلح (البلاء) ومصطلح (الحرص) وغير ذلك من المداخل ، أما إذا تكرر ذكر شخصية صوفية أكثر من مرة في المصطلح الواحد ، اكتفيت بذكر تاريخ الوفاة مرة واحدة ، كما في مصطلح : (الخليفة) ، حيث ورد ذكر ابن عربي

ذكره صاحب نفحات الأنس ص ١١١/١١٢ .

ذكره أبو عبد الرحمن السلمى في طبقات الصوفية ص ١١١/١١٢ ، وأبو القاسم القشيري في الرسالة ١١١/١١٢ .

(ت: ١١١ هـ) أربع مرات ، فأوردت تاريخ وفاته عند أول ما ذكر .

(١٢) - عرضت أقوال الصوفية في القسم الثاني ، من الفصل الأول إلى الفصل الرابع في جميع المداخل ، بصورة تمكن القارئ من معرفة ما إذا كان القول ثابت النسبة أو محتمل ، ففرقت بين ما هو مؤكد من الأقوال في نسبتها إلى أصحابها وبين ما يروى عنهم ، مما لا يخضع للضوابط المتفق عليها ، في اتصال السند وعدالة الرواة ، وضبطهم ، ومدى توثيق النقل عندهم ، فإذا كان القول مرويا عن شخصية صوفية ، دون سند صحيح منصوص عليه ، ومتصل إلى ذلك الصوفي ، ذكرته بصيغة التمييز أو البناء للمجهول ، مثل : (روى عن فلان) أو (ينسب لفلان كذا) ، أو (يذكر لفلان) ، أو (أن فلانا قال) ، أو ما شابه ذلك من الصيغ التي تعطى معنى إمكانية الثبوت أو عدمها ، أما إذا كان القول ثابتا في تراث منسوب له نسبة صحيحة ذكرته بصيغة الجزم ، أو البناء للمعلوم مثل : (قال فلان) ، أو (ذكر فلان) ، أو غير ذلك من صيغ الأداء .

ومثال ذلك الشواهد الواردة في مصطلح : (الشكر) ، حيث ورد في هذا المدخل

شاهدان مرويان عن أبي سعيد الخراز ، ورويم بن أحمد البغدادي ، الأول ذكره أبو بكر محمد الكلاباذي في كتابه التعرف بصيغة الجزم ، فقال : ( قال أبو سعيد الخراز : ( الشكر الاعتراف للمنعم والإقرار بالربوبية ) (١٧) ، والثاني —————  
التعرف ص ص ص ص .

ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة بصيغة الجزم أيضا ، فقال : ( وقال رويم : الشكر استفراغ الطاقة ) (١٨) ، مع أن الكلاباذي لم يدرك أبا سعيد الخراز ، ولم يسمع منه فأبو سعيد توفي سنة (١٧٠ هـ) ، والكلاباذي توفي سنة (١٧٠ هـ) ولم يصرح أنه سمع من ثقة نقله عن أبي سعيد وكذلك القشيري (ت: ١٧٠ هـ) لم يدرك رويم بن أحمد البغدادي (ت: ١٧٠ هـ) ومن ثم عرضت قولهما بصيغة البناء للمجهول هكذا :

( ويروى عن أبي سعيد الخراز (ت: ١٧٠ هـ) أنه قال : ( الشكر الاعتراف للمنعم والإقرار بالربوبية ) وحكى عن رويم بن أحمد البغدادي (ت: ١٧٠ هـ) أنه قال : ( الشكر استفراغ الطاقة ) .

والمراد من ذلك أن يتحقق القارئ قبل الحكم على الصوفية ، أن ما ينسب إليهم هو من كلامهم ، فهذه من أعظم أمور الإنصاف في ذكر ما للصوفية وما عليهم ، ولذلك نجد ابن تيمية يراعى في منهجه هذه المسألة بدقة ، إنصافا لأوائل الصوفية ، أو ما أطلق عليهم اصطلاحا لفظ : (المشايع) ، فقال في رواية نقلها القشيري في الرسالة عن أحمد بن عطاء (ت: ١٧٠ هـ) (١٩) ، بدون سند : ( لم يذكر لهذه الحكاية إسنادا ، ومثل هذا لا تقوم به حجة ، ولا يحل لأحد أن يدل المسلمين في أصول دينهم بكلام لم تعرف صحة نقله ، مع ما علم —————

الرسالة القشيرية / ص ص ص ص .  
السابق / ص ص ص ص .

من كثرة الكذب على المشايخ المقتدى بهم ، فلا يثبت بمثل هذا الكلام ، قول لابن عطاء ولا مذهب ، بل قد ظهر على هذه الحكاية ، كذب ناقلها وجهل قائلها ) (٢٠) ، ويقول أيضا في مثل ما نقله القشيري من غير تثبت عن أحمد بن أبي الحواري (ت: ١٧٠ هـ) في السماع : ( هذا المقالة ذكرها مرسله ، فلا يعتمد عليها ) (٢١) .

وورد أيضا في مدخل الشكر عدة شواهد أخرى للحارث بن أسد المحاسبي  
(ت: ١١١ هـ) ، وسهل بن عبد الله التستري (ت: ١١١ هـ) ، وأبي طالب المكي  
(ت: ١١١ هـ) ، وأبي القاسم القشيري ، لكنها ذكرت بصيغة الجزم لأنها نقلت من  
كتبهم ، وبهذا يمكن إلى حد ما ، تحرى الدقة في التعرف على آراء الصوفية ومعتقداتهم (١١).

(١١) - أردفت بجوار المداخل تعليقا موجزا يكشف بصورة مختصرة عن معنى —

الاستقامة لابن تيمية /

السابق / ، وانظر أيضا في مثل ذلك : التصوف في تراث ابن تيمية للدكتور  
الطبلاوي محمود سعد ص ١١١ .

- انظر قول الحارث المحاسبي في كتابه : القصد والرجوع إلى الله ص ١١١ ، وكلام سهل بن عبد  
الله التستري في كتابه : تفسير القرآن العظيم ص ١١١ ، وكلام أبي طالب المكي في كتابه : قوت  
القلوب / ، وكلام أبي القاسم عبد الكريم القشيري في كتابه : الرسالة القشيرية  
/ .

المصطلح عند الصوفية بصفة عامة ، ومستخلص من مجموع ما ورد من ألفاظهم فقد يكون  
مقتبسا من قول منسوب لأحدهم كما ورد في مصطلح : (الأبد) ومصطلح : (الاتصال)  
وغيرهما ، وقد يكون ملخصا من المعاني الصوفية الواردة في المصطلح كما في مصطلح :  
(الحقيقة) ، حيث ورد التعريف به على هذه الصورة : ( وردت الحقيقة في ألفاظ الصوفية  
على عدة معان ، تدور أغلبها حول الصدق في الإيمان ، وبلوغ درجة الإحسان ، وكمال  
المراقبة ، والمداومة على النظر في أفعال الله ) ، وقد يكون المعنى مطابقا لما ورد في الأصول  
القرآنية فأكتفى بالتنبيه على ذلك ، كما في مصطلح : (الإخلاص) ، وقد يكون المعنى في  
الاصطلاح الصوفي متعدد ومتنوع ، فأذكر مداخله ، كما في مصطلح : (الإرادة) ، وقد  
تكون العبارة الجامعة مقتبسة من كتاب المعاجم ، كما في مصطلح : (الاستقامة) ،  
حيث اقتبست عبارة موجزة من أصل ما ورد عند التهانوي ، وربما أذكر شاهدا لأحد أعلام  
الصوفية أو أصلا قرآنيا أو نبويا بجوار المدخل ، يوضح المعنى العام للمصطلح ، كما في  
مدخل : (التبتل) ، كل ذلك مع التنبيه على نسبة الأقوال لمصادرها .

(١٢) - نظرا لما دار حول مصطلح : (التصوف) من خلافات في أصوله التي يرد إليها ، أو

زمن نشأته واشتهاره بين الناس ، فقد أفردت فصلا كاملا لتحقيق الأصول القرآنية التي يرد إليها التصوف عند الصوفية أنفسهم ، ثم ناقشت ذلك مناقشة مبنية على تقرير تلك الأصول أو النظر فيها ، فاستقصيت لذلك جميع ما ورد في كتب السنة مما يمكن إضافته لهذا الموضوع ، بالإضافة إلى تحليل لمنشأ الإصطلاح وأول من أطلقه علي الزهاد الأوائل .

#### رابعا : منهج التعرف على الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي .

راعت في ترتيب مداخل المصطلحات بصفة عامة ، أن أبدأ باستقصاء شامل للمداخل ، يحتوي على ذكر المعنى اللغوي للمصطلح ، ثم الأصول القرآنية والنبوية ، ثم عرض أقوال الصوفية حسب القرب أو البعد من المعنى القرآني في تناسب مطرد ، فالأقرب إلى الأصول القرآنية والنبوية ، يوضع مجاورا لها في المدخل ، مع مراعاة الترتيب الزمني للشواهد من أقوال الصوفية أيضا ، بمعنى أن الأقرب منهم إلى عصر خير القرون يوضع مجاورا للأصول القرآنية ثم الأبعد في الزمن ، وقد التزمت في التعرف على الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي منهجا تتضح معالمه فيما يأتي :

[ ] - اعتبار القرآن والسنة شواهد لغوية لجميع المداخل ، واستقصاء وجوه استعمال اللفظ في هذه الشواهد ، حتى تظهر بوضوح جذور استعمال اللفظ في الأصول القرآنية والنبوية ، والمعاني المتنوعة التي تردت بين رسول الله ﷺ وأصحابه ، ثم مقارنة ذلك باستعمال الصوفية لمعنى المصطلح عندهم ، وقد قدمت هذه الشواهد على غيرها في توجيه المعاني وترتيبها ، لأن القرآن والسنة من أرقى أنواع الشواهد اللغوية ، فالقرآن كلام معجز نزل بلغة العرب وتحداهم الله به ، ودعاهم الله إلى الالتفات إليه ، والتدبر فيه من جميع الوجوه فقال تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف/ ] .

وقال أيضا : { وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } [النحل/ ] فحوى من أساليب التعبير والبيان وروعة الأثر في العقول والنفوس ، ما دعى بلغاءهم وألو الفطن منهم أن يتحيروا فيه أهو شعر أم سحرا ؟ حتى أقروا أنه ليس من كلام البشر ، وأن أعلى الطاقات البشرية في الفصاحة ، لا يمكن أن ترقى إلى هذا المستوى ( ) ، ومن ثم اعتبرت القرآن له الأسبقية في الشواهد اللغوية ، كما أن السنة أيضا قول رسول الله ﷺ وهو أعلم الناس بكلام الله وكلام العرب ، وأفصحهم

لسانا وأحسنهم بيانا وأعلمهم بجوامع الكلم ، كما قال في حديث أبي هريرة ؓ : " بعثت  
بجوامع الكلم " (١) .

ولا يعنى تقديم الكتاب والسنة في الشواهد اللغوية ، إهمال المصادر والمعاجم اللغوية ،  
ولكن اعتبرت شواهد المعاني اللغوية الواردة في القرآن والسنة لها الأولوية في حصر المعاني  
وترتيبها ، ومثال ذلك مصطلح : (الاتصال) ، حيث —

📁. انظر أثر القرآن في تطور النقد العربي للدكتور محمد زغلول سلام ، طبعة مكتبة الشباب سنة  
١٤٠٠هـ / ٢٠١٩م ، ص ١٠٠ .

📁. أخرجه البخارى في كتاب الجهاد والسير (١٠٠/١٠٠) ، ومسلم في كتاب  
المساجد (١٠٠/١٠٠) وبلفظ : أعطيت .

ورد في كتب المعاجم على معنى ارتباط الأشياء بعضها ببعض ، كاتحاد طرفي الدائرة وبضاد  
الانفصال (📁) ، لكن اعتمدت على الشواهد القرآنية والنبوية في التدليل على هذا المعنى ،  
وحصر المعاني المتعلقة به ، لأنها أوضح وأيسر مما ذكر عندهم ، فقد استعمل الاتصال في  
القرآن والسنة على نوعين :

📁- الاتصال في الأعيان ، كقوله تعالى : { فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ }  
[هود/١٠٠] ، ونحو حديث أسماء رضي الله عنها قالت : " سألت امرأة النبي ﷺ فقالت : يا  
رسول الله إن ابنتي أصابتها الحصبة فامرق شعرها ، وإني زوجتها أفأصل فيه ؟ فقال : لعن  
الله الواصلة والموصولة " (١) .

📁- الاتصال في المعاني ، وهو ما يعيننا في التدليل على استخدام الصوفية لمصطلح  
الاتصال على المعنى المذكور عندهم ، فأكثر من ذكر الشواهد الموضحة لاستعمال  
الاتصال في المعاني ، كقوله عز وجل : { وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ }  
[القصص/١٠٠] ، أى أكثرنا لهم القول موصولا بعضه ببعض .

وقالت خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ : " والله ما يجزيك الله أبدا إنك لتصل  
الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين —

📁. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٠٠ .

١٤. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس (١٤٠٠/١٤٠٠) .

على نوائب الحق " (١٤٠٠) ، وعن عبد الله بن عمر  $\tau$  : " أن النبي  $\varepsilon$  واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم ، قالوا : إنك تواصل ؟ قال : لست كهيتكم إني أظل أطعم وأسقى " (١٤٠٠) .

وفى مصطلح : (التجلى) ، ورد فى جميع كتب المعاجم على معنى الظهور يقال : أجليت الأمر بينته وأظهرته ، ولكن اعتمدت على الأصول القرآنية والنبوية كشواهد لغوية ، فمن حديث ابن عباس  $\tau$  قال : " خسفت الشمس على عهد رسول الله  $\varepsilon$  ، فصلى رسول الله  $\varepsilon$  والناس معه .. ثم انصرف وقد تجلت الشمس " (١٤٠٠) أى ظهرت ، وعن أبي هريرة  $\tau$  قال  $\varepsilon$  : " تخرج الدابة معها خاتم سليمان ، وعصا موسى ، فتجلو وجه المؤمن ، وتختم أنف الكافر بالخاتم " (١٤٠٠) ، أى تظهره للناس ، وقد يكون التجلى بالذت أو الأمر : (١٤٠٠) .

١٥. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحي (١٤٠٠/١٤٠٠) .

١٦. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (١٤٠٠/١٤٠٠) .

١٧. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (١٤٠٠/١٤٠٠) .

١٨. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (١٤٠٠/١٤٠٠) ، وقال حسن غريب ، وضعفه

الشيخ الألبانى (١٤٠٠/١٤٠٠) ، ورواه ابن ماجة فى كتاب الفتن (١٤٠٠/١٤٠٠) برقم

(١٤٠٠/١٤٠٠) وأحمد فى مسنده (١٤٠٠/١٤٠٠) برقم (١٤٠٠/١٤٠٠) وأبو داود الطيالسى فى

مسنده ص (١٤٠٠/١٤٠٠) برقم (١٤٠٠/١٤٠٠) .

١٩. المفردات فى غريب القرآن ص (١٤٠٠/١٤٠٠) .

٢٠- فمن الأول : قوله : { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل/ (١٤٠٠/١٤٠٠)] وقوله

: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نَنْظُرُ

إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا

{ [الأعراف/ (١٤٠٠/١٤٠٠)] وعن أنس بن مالك  $\tau$  أن النبي  $\varepsilon$  قرأ هذه الآية : { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } قال حماد : هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أئمة إصبه اليمنى



قال : فساخ الجبل وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا (٦٠) ، وفي رواية أخرى ، قال أنس ٧ : " قال هكذا ، يعني أنه أخرج طرف الخنصر ) (٦١) ، وثالثة قال : ( فأوماً بخنصره ، قال : فساخ ) (٦٢) وكروية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، كما في حديث جابر بن عبد الله ٧ قال ٤ : " ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول : من تنظرون ؟ ، فيقولون : ننظر ربنا فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك " (٦٣) .

أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن (٦٤) وصححه الشيخ الألبانى (٦٥) / (٦٦) وأحمد في المسند (٦٧) (٦٨) (٦٩) والحاكم في المستدرک على الصحيحين (٧٠) / (٧١) برقم (٧٢) المعجم الأوسط (٧٣) (٧٤) (٧٥) .  
 أخرجه أحمد برقم (٧٦) (٧٧) (٧٨) والحاكم برقم (٧٩) (٨٠) وقال : صحيح على شرط مسلم (٨١) / (٨٢) ، وصححه الشيخ الألبانى في سنن الترمذى (٨٣) / (٨٤) .  
 أخرجه أحمد (٨٥) (٨٦) (٨٧) والحاكم (٨٨) (٨٩) وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه (٩٠) / (٩١) .  
 أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (٩٢) / (٩٣) .

وعن صهيب ٧ عن النبي ٤ قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نودوا يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا .. فيكشف الحجاب فيتجلى الله عز وجل لهم ، قال : فما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه " (٩٤) .

ومن الثاني : ما روى عن النعمان بن بشير ٧ : " أن الشمس انكسفت فصلى النبي ٤ ركعتين حتى انجلت ، ثم قال : إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ، ولكنهما خلقان من خلقه ، ويحدث الله في خلقه ما شاء ، ثم إن الله تبارك وتعالى ، إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له ، فأيهما انخسف ، فصلوا حتى ينجلي ، أو يحدث الله أمرا " (٩٥) ، فظاهر من الحديث أن التجلى تجلى الأمر ، وقد استدلل الراغب الأصفهاني على تجلى الأمر بقوله تعالى : { فَلَمَّا بَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } ولكن هذا في غير موضعه كما بينت السنة أنه تجلى الذات ، فذكرت ما ورد في السنة وأغفلت ما ذكره الراغب (٩٦) .

[٩٧] - التنبيه على المعاني الاصطلاحية الواردة في الكتاب والسنة إذا وجدت —

أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم ( ) / ( ) / ( ) .

أخرجه الحاكم في المستدرک برقم ( ) ( ) ( ) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

بهذا اللفظ / ( ) / ( ) ، وأخرجه النسائي عن قبصة الهلالي في كتاب الكسوف برقم

( ) ( ) ( ) ولكنه ضعيف كما ذكر الألباني / ( ) / ( ) .

المفردات ص ٧٥ .

كما في مصطلح : (الجمع) ، حيث ورد في القرآن والسنة على معنى ضم الشيء بتقريب

بعضه من بعض ، كقوله تعالى : { وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ } [القيامة/٧٥] ومن حديث ابن

عمر عن النبي ﷺ : " فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا ، يحمده أهل الجمع كلهم " ( ) .

ولكن الجمع ورد في السنة ، كاصطلاح خاص يراد به التمر المتنوع المختلط لما روى عن أبي

سعيد الخدري قال : " كنا نرزق تمر الجمع ، وهو الخلط من التمر وكنا نبيع صاعين بصاع

فقال النبي ﷺ : " لا صاعين بصاع ولا درهمين بدرهم " ( ) وفي رواية " لا تفعل بع الجمع

بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا " ( ) ، وقد يستخدم البخل أيضا على معنى اصطلاحى ،

وإن احتفظ بمدلوله اللغوى العام ، كما روى عن علي بن أبي طالب قال أن رسول الله ﷺ قال

: " البخل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي " ( ) .

أخرجه البخارى في كتاب الزكاة ( ) / ( ) / ( ) .

أخرجه البخارى في كتاب البيوع ( ) ( ) / ( ) .

أخرجه البخارى في كتاب البيوع ( ) ( ) / ( ) .

أخرجه الترمذى في كتاب الدعوات برقم ( ) ( ) ( ) ، وقال : حديث حسن صحيح وقال

الشيخ الألبانى : صحيح / ( ) ( ) ، والنسائي ( ) ( ) / ( ) ، وابن حبان في

صحيحه برقم ( ) ( ) / ( ) ، وأحمد في المسند برقم ( ) ( ) .

وفي مصطلح : (ذو العقل) استخدم العقل على معنى اصطلاحى خاص بين العرب ،

فيقال للعرض المالى المقدر فى الشرع مقابل القتل أو الجراح ، فعن أبي جحيفة قال : قلت

لعلي بن أبي طالب : هل عندكم كتاب ؟ قال لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو

ما فى هذه الصحيفة ، قلت : فما فى هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل

مسلم بكافر ( ) .

وعن أبي هريرة ؓ أنه قال : " قضى رسول الله ﷺ في جنين امرأة من بني لحيان ، سقط ميتا بغرة عبد أو أمة ، ثم إن المرأة التي قضى لها بالغرة توفيت فقضى رسول الله ، بأن ميراثها لبنيتها وزوجها وأن العقل على عصبتها " ( ) .

وفي مصطلح : (الصبر) ، استخدم الصبر على معنى اصطلاحى بين العرب غير ما عرف من المعنى العام ، فيقال لعصارة شجرة مرة تستعمل كدواء ، فعن أم سلمة رضی الله عنها قالت :

"حين توفي أبو سلمة : جعلت على عيني صبورا ، فقال ﷺ : ما هذا يا أم سلمة ؟ قلت : إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه طيب ، قال إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل ، ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحناء ، فإنه خضاب ، قلت —

أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم ( ) / ( ) / ( ) .

أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض برقم ( ) / ( ) / ( ) .

بأى شيء أمتشط يا رسول الله : قال : بالسدر تغلفين به رأسك " ( )

وأطلق أيضا على هيئة مخصوصة للقتل ، يقيد فيها الكائن الحى ثم يرمى حتى الموت ، وقد نهى عنها الشرع ، فعن أبي أيوب الأنصاري ؓ قال : " سمعت رسول الله ﷺ ، ينهى عن قتل الصبر ، فوالذي نفسي بيده ، لو كانت دجاجة ما صبرتها " ( ) ، وعن جابر بن عبد الله ؓ قال : " نهى رسول الله ﷺ أن يقتل شيء من الدواب صبورا " ( ) .

[ ] - معظم الباحثين فى التصوف ، لا يأخذون بعين الاعتبار ، التحقق من الأحاديث ، ومدى ثبوتها عن النبي ﷺ ، ويكتفون بمجرد الإحالة على كتب السنن أو من نقل عنها دون تحقيق ، ولا يذكرون درجة الحديث من الصحة أو الضعف ، مما يضعف الثقة فى الاستشهاد بالأصول النبوية ونسبة الكلام إلى —

صحيح بغير هذا اللفظ ، انظر الجامع الصحيح المختصر ( ) / ( ) / ( ) .

ومسلم ( ) / ( ) / ( ) ، وأخرجه النسائي فى كتاب الطلاق

(١٠٠٠٠) هذا اللفظ ، وقد ضعفها الشيخ الألباني (١٠٠٠٠/١٠٠٠٠) .

١٠٠٠٠. أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٠٠٠٠/١٠٠٠٠) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوى  
ص١٠٠٠/١٠٠٠٠ ، والطبراني في الكبير (١٠٠٠٠/١٠٠٠٠) وأخرجه أبو داود  
(١٠٠٠٠/١٠٠٠٠) برواية ضعفها الألباني (١٠٠٠٠/١٠٠٠٠) .

١٠٠٠٠. أخرجه مسلم في كتاب الذبائح برقم (١٠٠٠٠/١٠٠٠٠) وابن ماجه في سننه برقم  
(١٠٠٠٠/١٠٠٠٠) .

قائله ، وربما تطلب هذا جهدا كبيرا ، ولكنه أمر ضروري لإظهار جدية البحث ،  
وإضفاء الثقة في نفس القارئ ، ولهذا راعيت النص على ذكر درجة الحديث والتحقق من  
صحة أو ضعفه ، على الرغم من كثرة الأحاديث الواردة في الرسالة ، مع التنبيه في هامش  
كل مصطلح على نسبة الأحكام إلى قائلها وقد راعيت تحرى الأصوب والأحوط في الحكم  
على الحديث ، وقد بلغ عدد الأحاديث والشواهد المرفوعة والموقوفة ، من كتب السنة أكثر  
من ألفي حديث اتبعت فيهم المنهج الآتي :

١٠٠٠٠- إذا وجد الشاهد في الصحيحين ، صحيح الإمام البخاري ، وصحيح الإمام مسلم  
اكتفيت به في بيان المعنى ، واكتيف أيضا بعزوه إليهما ، لأن العزو إليهما حكم  
للحديث بالصحة ، كما هي طريقة الحافظ العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ،  
فذكرته في الهامش هكذا : ( أخرجه البخاري في كتاب ... برقم (....) ح ...ص.... ) ،  
وكذلك بالنسبة لأحاديث الإمام مسلم .

١٠٠٠٠- إذا وجد الشاهد في غير الصحيحين ، تحريت على قدر المستطاع أن يكون الحديث  
صحيحا أو حسنا صالحا للاحتجاج ، وإذا كان الحديث ضعيفا نبهت على ذلك أيضا ، مع  
ذكر علة الضعف أحيانا .

١٠٠٠٠- خرجت جميع الشواهد الحديثية التي وردت في كلام الصوفية ، وذكرت الألفاظ  
الصحيحة لهذه الأحاديث وأماكن ورودها ، مع ذكر الحكم عليها من ناحية الصحة  
والضعف ، مثال ، ذلك الحديث الذي ذكره أبو القاسم القشيري في مصطلح : (البعد) ،  
حيث أورده بالمعنى ، فقال : ( قال ع : وما تقرب إلى المتقربون ، بمثل آداء ما افترضتهم عليهم  
، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يجنبى وأحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فبي  
يصر وي يسمع " (١٠٠٠٠) وقد نقلته بلفظه الصحيح في الهامش من صحيح البخاري عن أبي

هريره ٤ : " وما تقرب إلي عبدي بشيء ، أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " (١٠).

﴿١١﴾ - راعيت في جميع الشواهد الحديثية التي وردت في الرسالة ، ذكر الراوى الأعلى في السند الذى تنسب إليه الرواية ، حتى يتيسر لدى الباحثين بعد ذلك طريق البحث عن الحديث من خلال التعرف على راويه .

﴿١٢﴾ - تفسير المعانى القرآنية والنبوية إذا تطلب الشاهد ذلك ، بالرجوع إلى كتب التفسير المعروفة وخصوصا التفسيرات اللغوية ، والشروح المختلفة لكتب السنة ، مع ترتيب المعانى الأصولية فى شواهد القرآن والسنة فى نقاط محددة كلما أمكن ، والتركيز على المعانى الصالحة لشواهد المصطلحات الصوفية .

---

١٠. الرسالة القشيرية / ١٠٠ / ١٠٠ .

١١. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (١٠٠ / ١٠٠) / ١٠٠ .

يعتبر الوحي الإسلامى الممثل فى الكتاب والسنة هو النبع الصافى لجميع الأصول الإسلامفة ، وقد جعله الله عز وجل فى منزلة الماء الذى ينزل من السماء ، فىطهر الأرض ويذهب الزبد جفاء ، أو كجودة المعادن فى الأصالة والنقاء ، ونفع الناس ودوام البقاء ، كما قال تعالى : { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ } [الرعد/١٥٥].

وإذا كانت العلوم الإسلامفة قد فاضت من هذا النبع الصافى ، فإن أصالة كل علم ونقاء معدنه وما فىه من نفع للإنسانية ، يقاس بمقدار أصوله الممتدة وجذوره الراسخة فى الكتاب والسنة ، مصداقا لقوله تعالى : { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ } [الرعد/١٥٦].

وأول ما يطالب به أصحاب كل نوع من أنواع العلوم الإسلامفة ، أو كل طرفة أو تجربة أو مذهب ينتسب إلى الإسلام ، البحث عن الرخصة التى أهلتهم للخوض فى هذا المجال ، لأن الرسول ﷺ استعاذ من العلم الذى لا ىنفع فمن حديث زيد بن أرقم ؓ قال : لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، ثم ذكر من دعائه ؓ : " اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ىنفع ، ومن قلب لا ىخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا ىستجاب لها " (١٥٧).

١٥٨. أخرجه مسلم فى كتاب ذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (١٥٨) (١٥٨) / (١٥٨) .  
أو ىمكن القول بتعبير آخر مطالبة أصحاب العلوم المختلفة بالبحث عن أصالة علمهم ، وإظهار الأصول التى يعتمد عليها من الكتاب والسنة ، فمن البدهى أن العلوم الإسلامفة كعلوم القرآن والحديث والفقه والمواريث والتوحيد واللغة وغير ذلك من أنواع العلوم ، لم تظهر بصورتها المتميزة فى عصر النبوة أو الخلافة الرشفة ، إنما ظهرت بعد ذلك بفترة ، ولكن هذه العلوم قائمة على أصول قرآنية أو نبوية تمنحها شرف الانتساب ورخصة الإنشاء وجواز التوسع فىها ، حتى تصل إلى ما ىمكن من الكمال ، فعلم القرآن المختلفة كضوابط التلاوة ،

وتنوع القراءات ، وتفسير القرآن ، وفهم الناسخ والمنسوخ ، وأسباب النزول ، يمكن أن ترد جميعا إلى حديث عثمان بن عفان ٢ ، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه " (١٧) وفي رواية أخرى : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " (١٨) .

فيصح للمشتغلين بعلوم القرآن أن يحتجوا على أصالة علمهم ، وشرف نسبه بمثل هذه الأحاديث كما أن الرسول ﷺ دعا إلى البحث في القرآن ، ليكون القول فيه عن علم وفهم ، وحذر من الخوض فيه بالرأى وحده ، وجعل المتعلم المعلم من خيرة الأمة وأفضلها ، كل هذا يضاف إلى ما ورد في القرآن الكريم من تكليف بذلك كقوله تعالى : { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً } [المزمل/١] ، وقوله عز وجل : { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ } [القمر/١٧] وقوله : { أَفَلَا —————

١٧. أخرجه البخارى في كتاب فضائل القرآن (١٧/١٧٠) (١٧/١٧٠) .

١٨. الموضوع السابق (١٧/١٧٠) (١٧/١٧٠) .

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد/١٧] ، فهذه الآيات وأمثالها تدل دلالة صريحة على أصالة هذا العلم ونقاء معدنه .

ويحق للمشتغلين بعلوم الحديث رواية ودراسة ، المعنين بدراسة العلل والأسانيد ومعرفة الرجال ووصفهم بالجرح أو التعديل ، أن يستندوا في رد الحديث وعلومه إلى لفظ وارد في السنة ، يحمل الدلالة على معنى الثبوت في النقل والتحذير من الكذب على رسول الله ﷺ ، وإتاحة الجهود اللازمة لوضع الضوابط الضرورية التي تحقق تلك الغاية ، كما في حديث أبي سعيد الخدرى ٢ أن رسول الله ﷺ قال : " حدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " (١٩) ، فلفظ : (حدثوا) ، فيه جواز النسبة إلى علم الحديث ، ورخصة إنشائه ، وبذل الجهد للتوسع فيه ، حتى يصل إلى الكمال الممكن ، وقال أنس بن مالك ٢ : " إنه ليمعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن رسول الله ﷺ قال : من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار " (٢٠) ، وهو ٢ ينبه بذلك على ضرورة الاحتياط في الحديث عنه من احتمال الخطأ ، لأنه لا يُظن في صحابي جليل الشأن كأنس بن مالك ٢ ، أن يكذب على رسول الله ﷺ ، وإنما يدعوا نفسه والآخرين ، إلى أن يكون الحديث عن النبي ﷺ مضبوطا منقولاً كما نطق به .

وكما وجدنا أصولاً قرآنية أو نبوية لعلوم القرآن والحديث ، يمكن أن يجد —————

أخرجه مسلم في الزهد (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، وابن ماجه في المقدمة (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) .

أخرجه البخارى في العلم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، ومسلم في المقدمة (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) .

المشتغلون بالفقه والفرائض والمواريث والتوحيد واللغة ، أصولا قرآنية لنسبة علومهم ، والمبررات الداعية لإنشائها ، وإتاحة الجهود اللازمة للتوسع فيها حتى تصل إلى الكمال الضروري في وضع الضوابط لكل باب ، فنجد نسبة الفقه ، والدعوة إلى تعلمه ونقله إلى الناس بما يلزمه من ضوابط تحقق ذلك ، في قوله تعالى : { فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [التوبة/١٠٠] .

فقوله تعالى : { لِّيَتَفَقَّهُوا } بنى عليه اصطلاح الفقه ، وكذلك ما ورد في حديث معاوية بن أبي سفيان ٢ ، قال رسول الله ﷺ : " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، والله المعطي وأنا القاسم " (١٠٠) .

وعلم الفرائض أو المواريث له أصول قرآنية ونبوية ، تحض على تعلمه وحفظ أحكامه واستقصاء أصوله من الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا } [النساء/١٠٠] ، أو قوله : { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكًا لِّبَنَاتِكُمْ لَكُمْ وَلَهُنَّ أَصْحَابٌ فَلَهُنَّ نِصْفُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ } [النساء/١٠٠] .

فقوله تعالى : (مفروضا) ، (يرثها) ، تعطى أصالة النسبة لعلم الفرائض والمواريث ، وتتيح مشروعية بذل الجهود وتضافرها من أجله ، وكذلك ما —

أخرجه البخارى في كتاب فرض الخمس (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) .

رواه أبو أمامة الباهلي ٢ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع : " إن الله قد أعطى لكل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث " (١٠٠) وقوله ﷺ عن عبد الله بن عباس ٢ : " ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر " (١٠٠) .

وعلم التوحيد أيضا ، له أصول قرآنية ونبوية منصوص علي لفظه فيها ، كما روى عبد الله



بن عباس ؓ ، أن النبي ﷺ لما بعث معاذ بن جبل ؓ إلى نحو أهل اليمن ، قال له : " إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم ، إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ... الحديث " (١) ، فقوله ﷺ : " فليكن أول ما تدعوهم ، إلى أن يوحدوا الله تعالى " ، يدل على أن علم التوحيد ، هو أصل الدين وأول العلوم التي يبدأ بها الداعي دعوته ، كما أنه يمثل له المحصلة المرجوة لكونه الغاية من دعوة النبوة ، قال تعالى :

{ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }  
[إبراهيم/١٥١] ، وقوله سبحانه :

أخرجه الترمذى في الوصايا (١٥١٠/١٥١١) ، وقال الألبانى : صحيح (١٥١٠/١٥١١) ، والنسائى في الوصايا (١٥١٠/١٥١١) ، وأبو داود في الوصايا (١٥١٠/١٥١١) .

أخرجه البخارى في كتاب الفرائض (١٥١٠/١٥١١) ، ومسلم في كتاب الفرائض (١٥١٠/١٥١١) .

أخرجه البخارى في التوحيد (١٥١٠/١٥١١) ، ومسلم في الإيمان (١٥١٠/١٥١١) .

{ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا } [الحج/١٥١] ، وما يقال في العلوم السابقة يقال أيضا في علم اللغة وحسن التعبير والبيان ، فلاهل اللغة المشتغلين بضوابط الكلمة ووضع القواعد التي تحقق استقامة اللغة وعدم اعوجاجها ، أن يستندوا إلى القرآن والسنة في نسبة علمهم وتأصيل مبناه ، ورده إلى أصول شرعية كقوله تعالى : { وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } [النحل/١٥١] ، وقال الإمام البخارى رحمه الله : " نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، وقول الله تعالى : { قُرْآنًا عَرَبِيًّا } [يوسف/١٥١] ، وقوله : { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء/١٥١] " (١٥١) وقد بين رسول الله ﷺ أنه أعطى جوامع الكلم وحسن البيان ، فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " بعثت بجوامع الكلم " (١٥١) ، فعلم اللغة ضرورة مفروضة لفهم القرآن والسنة ، لا سيما أن كل ما ورد عن النبي ﷺ ، فيه كمال الفصاحة وروعة البلاغة اللغوية ، التي تُظهر جوامع الكلم

في قوله **ع** ، وهكذا يمكن بالبحث والتتبع أن نتعرف على الأصول القرآنية والنبوية لكل علم إسلامي نافع للإنسانية في الدنيا والآخرة .

وإذا عدنا إلى التصوف وعلومه ، فالسؤال الضروري الذي يطرح نفسه في هذا الموضوع ، هل اهتم الصوفية بالبحث عن الأصول القرآنية والنبوية لعلومهم ؟ وهل التصوف له أصل في الكتاب والسنة يعتمد عليه ؟ .

📁 . انظر فتح الباري 📖/📖/📖 .

📖 . أخرجه البخاري في الجهاد (📖📖📖📖) 📖/📖/📖 ، ومسلم في المساجد (📖📖📖) .

وينبغي أن نتعرف أولاً على أمرين ضروريين قبل الخوض في تفاصيل الإجابة :

الأمر الأول : ماهيته التصوف وحقيقة ؟

الأمر والثاني : الأصول التي يرد إليها الصوفية مصطلح التصوف ؟

. **حقيقة التصوف الإسلامي :**

لم يعد هناك شك في القول بأن التصوف في مرحلته الأولى ، كان معبراً عن نزعة الزهد والتوكل على الله ، من قبل الراغبين في الخلاص من فتن الحياه وإن كانت أفعالهم تتسم بنوع من المبالغة إلى حد كبير .

إن الباحث في التراث الصوفي ، يجد أغلب العلوم الموروثة عن أوائل الصوفية ، تدور حول وصف سلوك طائفة من المسلمين ، أدت بهم بعض الدوافع إلى إذلال النفس ومحو أوصافها ، والزهد في الحياة بأنواعها قربة منهم إلى الله ، مع مراعاتهم أداء العبادات على النحو المشروع بحرص واحتياط وتعامل مع الأحكام بدرجة واحدة ، لا فرق عندهم بين فرض ونفل ، فأمر الله ملزم ولا يسع الصوفي تركه ، سواء كان على سبيل الندب والاستحباب أو على سبيل الوجوب والإلزام ، كما رأينا ذلك في مرحلة التصوف الأولى البسيط والمركب .

ويمكن للباحث أن يجد بداية التصوف ، المعبر عن إذلال النفس وقمعها والمجاهدة في محو أوصافها ، والزهد في الحياة بأنواعها ، يجده مسطوراً في كتاب الصدق أو الطريق إلى الله لأبي سعيد الخراز (ت:📖📖📖هـ) ، وفي تراث الحارث بن أسد المحاسبي (ت:📖📖📖هـ) ، لا سيما كتابه الرعاية لحقوق الله ، وفي تراث سهل بن عبد الله

التستري (ت: ١٠٠ هـ) ، وآداب المريدين للحكيم بن علي الترمذى (ت: ٢٠٠ هـ) ، وغيرهم ممن كتبوا في التصوف أو كتب عنهم ، غير أنهم من غير تعمد ، لا يشيرون في كتاباتهم إلى مصطلح التصوف ، وإنما يذكرون مصطلح المريد وآداب المريدين والزهد والصدق والتوكل ، والرعاية لحقوق الله ومحاسبة النفس ، وما شابه ذلك من ألفاظ وتعبيرات (١٠٠) .

كما يجد الباحث التصوف ، وقد أصبح قريبا من الفكر المنظم إلى حد ما مشروحا مسطرا عند أبي نصر السراج الطوسي (ت: ٤٠٠ هـ) ، في كتابه اللمع في التصوف ، وأبي بكر محمد الكلاباذى (ت: ٤٠٠ هـ) ، صاحب التعرف لمذهب أهل التصوف ، وأبي طالب المكي (ت: ٤٠٠ هـ) ، في كتابه قوت القلوب ، والهجویری (ت: ٤٠٠ هـ) ، صاحب كشف المحجوب ، كما نجد الترقى في طريق التصوف ، بارزا في ترتيب المقامات والأحوال ، عند أبي القاسم عبد الكريم القشيري (ت: ٤٠٠ هـ) ، صاحب الرسالة القشيرية ، وما خلفه من تراث كبير فيها ، وكذلك عند أبوحامد الغزالي (ت: ٤٠٠ هـ) في كتابه إحياء علوم الدين ، والسهوردي (ت: ٤٠٠ هـ) صاحب عوارف المعارف ، غير أنهم جميعا أظهروا علمية التصوف ، وأنه اصطلاح يخصهم ومذهب يستقلون به دون سائر الناس ، فحاولوا جاهدين أن يضعوا حدا للتصوف ، يتميز باستقلالية خاصة عن بقية العلوم ويعرفون به ، فنقلوا عن —

انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي للدكتور التفتازاني ص ٣٠٠ و انظر أيضا :

١٠٠ هـ : انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي للدكتور التفتازاني ص ٣٠٠ و انظر أيضا :  
 ١٠٠ هـ : انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي للدكتور التفتازاني ص ٣٠٠ و انظر أيضا :  
 ١٠٠ هـ : انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي للدكتور التفتازاني ص ٣٠٠ و انظر أيضا :  
 ١٠٠ هـ : انظر مدخل إلى التصوف الإسلامي للدكتور التفتازاني ص ٣٠٠ و انظر أيضا :

الأوائل بعض العبارات الجامعة في حد التصوف ، تدل في مجملها إما على كمال التوحيد في العبادة وعلو الإيمان ، وإما على الأخلاق الفاضلة والخلق العظيم الذى اتصف به رسول الله ﷺ :

[ ١٠٠ هـ - فمن الأول : نجد عبارات كثيرة ومتكررة ، تدل في مجملها على أداء العبودية وتوحيد الله في أبهى صورته المرجوة التي دعا إليها الإسلام ، كقول ذى النون المصرى (ت: ٤٠٠ هـ) : ( الصوفية قوم آثروا الله تعالى عن كل شئ فآثرهم الله عن كل شئ ) (١٠٠) ، وينظره قول الجنيد بن محمد ، سيد الطائفة في عصره (ت: ٤٠٠ هـ) : ( ١٠٠) .

وكذلك أيضا قول أبي بكر الشبلي (ت: ١١١هـ) في حد الصوفي وتعريفه : ( هو من انقطع عن الخلق واتصل بالحق ) (١) ، والمعنى نفسه نجده لأبي القاسم المقرئ الرازي (ت: ٤٤٤هـ) : ( التصوف استقامة الأحوال مع الحق ) (٢) .

وهذه العبارات وأمثالها ، تدل جميعها على معنى جامع يعبر عن قرب العبد من ربه ، من خلال حفظه لعبوديته ، وتوكله عليه واستعانتة به ، حتى يصل إلى مرضاته ومحبته ، وعندها يتولاه بحفظه ورعايته ، فيحفظ عليه بدنه في حركته وسكنته ، فيسمع بسمع الله ، ويرى بنور الله ، ويمشى في طاعة الله فيحي بالله والله ، ميتا عن كل ما سواه ، فهذه التعريفات في الحقيقة معان —

الرسالة / ١١١ . السابق / ١١١ .  
السابق / ١١١ . طبقات الصوفية ص ١١١ .

جامعة للتعبير عن الطريق الموصل إلى الصدق في الإيمان ، وأداء العبودية على وجه الإحسان ، فلا فرق بين هذه العبارات وما ورد في حديث أبي هريرة  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  ، عن رب العزة قال : " وما تقرب إلي عبدي بشيء ، أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه " (٣)

[١] - ومن الثاني : عبارات كثيرة ومتكررة ، تدل في مجملها على الأخلاق الفاضلة التي تصف بها النبي  $\varepsilon$  ، فالخلق العظيم يمثل في مجموع الصورة المثلى التي أرادها الله من عباده ، حيث اختار لهم الحسن من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، وقبح ما يقابلها من الأضداد ، فقال سبحانه تعالى في وصف نبيه  $\varepsilon$  : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/١] ، وقال أنس بن مالك  $\tau$  : " كان النبي  $\varepsilon$  أحسن الناس خلقا " (٤) ، ومن حديث عبد الله بن عمرو  $\tau$  قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إن من أخيركم أحسنكم خلقا " (٥) ، وسأل حكيم بن أفلح عائشة رضی الله عنها : " يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خلق رسول الله  $\varepsilon$  ؟ ، قالت : أليست تقرأ القرآن ؟ ، قلت : بلى ، قالت : فإن خلق نبي الله —

أخرجه البخارى في كتاب الرقاق (٨١١) / ١١١ .  
أخرجه البخارى في كتاب الأدب برقم (٨١١) / ١١١ ، ومسلم في كتاب

الأدب برقم ( ) / ( ) .

٤. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق برقم ( ) / ( ) .

٤ كان القرآن ، قال حكيم : فهمت أن أقوم ، ولا أسأل أحدا عن شيء حتى أموت " ( ) .

كل هذه المعانى الخلقية الدالة على شمولية التزام المسلم بمنهج الله ، عبر عنها كثير من أوائل الصوفية بمصطلح التصوف ، فجعلوه معبرا عن حسن الخلق ودعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، فروى عن أبى الحسين النورى (ت: ٤٤٤هـ) أنه قال : ( ليس التصوف رسوما ولا علوما ، ولكنه أخلاق ) (٤) ، وعن أبى محمد الجريرى (ت: ٤٤٤هـ) ، قال : ( التصوف ، هو الدخول فى كل خلق سنى ، والخروج من كل خلق دنى ) (٥) ، ومثله لأبى بكر محمد بن على الكتانى (ت: ٤٤٤هـ) : ( التصوف خلق ، فمن زاد عليك فى الخلق ، فقد زاد عليك فى التصوف ) (٦) ولأبى محمد المرتعش (ت: ٤٤٤هـ) : ( التصوف حسن الخلق ) (٧) ، رغبة منه أن يكون التصوف معبرا عن جماع البر المشار إليه فى حديث النواس بن سمعان الأنصارى قال : " سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم ؟ فقال : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس " (٨) .

٥. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ( ) / ( ) ، والنسائى فى كتاب قيام الليل وتطوع النهار ( ) / ( ) ، وأبو داود ( ) / ( ) .

٦. كشف المحجوب ص ٤٤٤ ، طبقات الصوفية ص ٤٤٤ . الملح ص ٤٤٤ .

٧. السابق ص ٤٤٤ . الرسالة / ( ) ، كشف المحجوب ص ٤٤٤ .

٨. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب ( ) / ( ) .

وسواء عبرت تلك التعريفات الصوفية عن توحيد الله وعبادته فى أبهى صورته المرجوة ، أو دلت على الأخلاق الفاضلة التى اتصف بها النبي ﷺ ، إلا أنها تدل على رغبة أكيدة عند قائلها ، أن يكون التصوف معنى شاملا للالتزام الصحيح بالإسلام ، وفى أعلى درجاته الممكنة ، كما عبر عن ذلك تصريحاً أبو القاسم النصرى (ت: ٤٤٤هـ) ، فقال : ( أصل التصوف ، ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع ، وتعظيم حرمان المشايخ ،

ورؤية أعدار الخلق وحسن صحبة الرفقاء ، والقيام بخدمتهم ، واستعمال الأخلاق الجميلة ،  
والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات ، وما ضل أحد في هذا الطريق إلا  
بفساد الابتداء فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء (٤٧) ، وهنا بدا اعتراض أو تساؤل  
يتوجه إلى الصوفية في محورين :

الأول : أن الإسلام لم يسم تصوفاً ومن ثم لا بد من تبرير مقبول لتسميتهم أخلاق  
الإسلام وأمور الإيمان بالتصوف ، كما أن المعارض لو أنكر التسمية فلن ينكر الواقع ، إذ  
أصبح التصوف علماً عليّ كم كبير من الصوفية ، لهم كياناتهم واصطلاحاتهم رموزهم  
وألفاظهم ، وأنهم عرفوا عند الناس بصيغة الزهد في الحياة ، وهيئة ملبسهم الداعية إلى ذلك  
، والاهتمام البالغ في كثير من العبادات ، كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأغلب  
الأنواع الأخرى من الأحكام .

الثاني : أن التصوف إن كان معبراً عن الإسلام وبلوغ العبد حقيقة الإيمان —

طبقات الصوفية ص ١١١١ .

فسوف يقف المنهج الإسلامي حائلاً للمبالغة في العبادة ، والمطالبة بالدليل على كل قول  
أو فعل يستحدثه الصوفية في تجربتهم الإيمانية ، لا سيما وقد نهى النبي ﷺ عن الغلو  
والتشدد ، والابتداع في الدين ، وتبرأ من ذلك على الملأ فمن حديث أنس بن مالك ؓ قال  
: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ؟ ، فلما أخبروا  
كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال :  
أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر :  
أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ،  
أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ،  
فمن رغب عن سنتي فليس مني " (٤٨) .

فالنبي ﷺ لو سمح لهؤلاء بفعلهم ، وبارك للناس اجتهادهم ، لظهر التصوف في عهد النبوة  
، بدليل شرعي مقبول ، ومن ثم بات الناس يخوضون في رد التصوف إلى أصول إسلامية  
مقبولة ، سواء كانوا من أبناء الصوفية أو من غيرهم ، فالتصوف باعتباره طريقة وتجربة  
ومذهبا لعدد كبير من المسلمين أصبح علماً عليهم وشعاراً ، يحتاج إلى فهم اصطلاحاته ،  
وفك رموزه وألفاظه إضافة إلى أنه قد ظهر لدى الصوفية ، نوع من المخالفات المحدثه في

وقت مبكر إما بدافع المبالغة في الزهد والعبادة ، أو تأثير بعض الأفكار الغريبة عن البيئة الإسلامية كقول الحلاج بالحلل والاتحاد ، تلك المخالفات كانت مثارا لإنكار —  
البخارى في النكاح ( ) ، ومسلم في النكاح ( ) .

أهل العلم من الطوائف الأخرى ، لا سيما أهل الفقه والحديث ، كما أنه لا ينبغي في الأصل مخالفة الكتاب والسنة أو الانحراف عن منهجه تحت أي دعوة وإن بنيت على إخلاص السريرة وحسن النية ، فجميع العلوم الإسلامية قامت على خدمة الكتاب والسنة ، وتعمل في إطار توجيهه وهداياته ، ومن هنا التفتت الأنظار إلى تحديد موقف واضح للتصوف وتأسيس نسبه ومشروعيته .

### الأصول التي رد إليها الصوفية مصطلح التصوف :

اختلف الناس في نسبة التصوف اختلافا شديدا ، ولا زالوا بين طرفين يتردد بينهما مؤثر الأراء :

[ ] - الطرف الأول ينكر أصالة التصوف جملة وتفصيلا ، ويقول ببدعيته محتجا بأن عصر النبوة لا تصوف فيه ، ولم يعرف عن واحد من أصحاب النبي ﷺ أنه كان متصوفا ، كما أن القرآن والسنة فيهما من الحياة الروحية والأخلاق الكريمة ما يغني عن التصوف وعلومه ، وتارة يردده إلى أصل هندي وأخرى إلى مصدرى فارسى ، وثالثة إلى أصول يونانية أو نصرانية ( ) .

[ ] - الطرف الثاني مؤيد داعى يؤكد أن سيد الصوفية وأسوتهم هو رسول الله ﷺ ويجعله على رأس طبقاتهم ، ثم خيار الصحابة والتابعين لهم ، ويحاول جاهدا أن يرد التصوف إلى نسبة محمودة أو تبرير معقول ، فتارة ينسبه إلى الصوف ، وأخرى إلى الصفاء ، وثالثة إلى أهل الصفة ، ورابعة إلى الصف الأول .

انظر الحياة الروحية في الإسلام ، للدكتور مصطفى حلمى ص ( ) .  
وآخرون يؤكدون أنه علم وهو اسم ظهر بلا اشتقاق أو غيره ( ) ، والصوفية أنفسهم مختلفون في تأسيس نسبة التصوف ، وإيجاد أصل قرآنى أو نبوى يستندون إليه في بناء مذهبهم ، أو ما يباشرونه من تجربة في سلوك الطريق كما هو ميسور في العلوم الأخرى .

ففى الوقت الذى يردده إلى الصوف السراج الطوسى (١٤١) ، ويشاركة فى ذلك أبو بكر الكلاباذى (١٤٢) ، والسهروردى البغدادى (١٤٣) ، يصف غيرهم تلك الردة جهلا بالتصوف ، حتى قال أحدهم معبرا عن ذلك :

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا : جهلا وظنوه مأخوذا من الصوفى  
ولست أنحل هذا الإسم غير فتى : صافى فصوفى حتى سمى الصوفى (١٤٤)  
وفى المقابل لهذين الرأيين نجد أبا القاسم القشيرى (١٤٥) ويشاركة الهجويرى (١٤٦) يميلان إلى أن الكلمة لا تخضع للاشتقاقات اللغوية المعروفة ، إذ أن الصوفية من الرفعة بحيث لا يكون لها أصل تشتق منه ، يقول الهجويرى : ( يؤكد البعض —

انظر التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ، للدكتور عبد اللطيف محمد العبد  
طبعة دار الثقافة العربية سنة ١٩٨٥ ، ص ١٠٠ ، هـ ، ص ١٠٠ ، ص ١٠٠ : ص ١٠٠ .  
١٤٧ . اللع فى التصوف ص ١٠٠ .  
١٤٨ . التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٠ .  
١٤٩ . عوارف المعارف / ص ١٠٠ / ص ١٠٠ .  
١٥٠ . الدر الثمين والمورد المعين لمحمد بن محمد المالكى ، طبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر سنة  
١٩٨٥ ، ص ١٠٠ / ص ١٠٠ ، وانظر التصوف عند العرب لجبور عبد النور ، طبعة بيروت لبنان  
سنة ١٩٨٥ ، ص ١٠٠ / ص ١٠٠ .  
١٥١ . الرسالة القشيرية / ص ١٠٠ / ص ١٠٠ .  
١٥٢ . كشف المحجوب ص ١٠٠ .

أن الصوفى لقب بهذا الاسم ، لأنه يرتدى رداء من الصوف ، ويقول البعض الآخر : إنه لقب بالصوفى لأنه فى الصف الأول ، ويقول آخرون : إن السبب هو أنهم ينتمون إلى أهل الصفة  $\Psi$  ، وهناك من يقول كذلك : إن الإسم مشتق من الصفاء ، ولكن هذه التفسيرات لكلمة صوفى لا توفى متطلبات الاشتقاقات اللغوية (١٥٣) .

والهجويرى يرى أن هذه التسمية اسم علم لا يحتاج إلى شرح ، فمعنى الصوفية عنده بالنسبة للصوفى واضح كضوء الشمس ، ويبرر ذلك بأن الصوفى ممنوع من العبارة عن نفسه أو الإشارة حتى لا يقع فى الرياء أو إظهار الذات ، وبما أن كلمة صوفى تتطلب شرحا ، فإن كل الناس يحاولون تفسيرها سواء عرفوا قدرها أم جهلوه أثناء تعلم معناها ولكن هكذا يلعب الكامل منهم بالصوفى ويسمى المريد والطلاب بالمتصوفة (١٥٤) وقيل : إنما سموا صوفية نسبة لبني صوفة قبيلة من العرب لها صلة وثيقة بالبيت الحرام فلهذه الرابطة التى تتم بين القوم وبين



بيوت الله تعالى نسب الصوفية إلى بنى صوفه ، وهذا إن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف ، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ، ولو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفية لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في

---

📁 . السابق ص ٦٥ 📖 .

📖 . السابق ص ٦٥ 📖 بتصرف .

الجاهلية ولا وجود لها في الإسلام (📁) ، ويحاول الكلاباذى جاهدا أن يضع الاحتمالات الممكنة لتبرير هذه النسبة بوجه مقبول ، ليجعلها متفقة في المعاني وإن اختلفت في الظاهر اختلاف تنوع لا تنافر أو تضاد ، فهي إن أخذت من الصفاء والصفوة ، كانت صَفْوِيَّةً ، وإن أضيفت إلى الصَّف أو الصُّفَّة ، كانت صَقِيَّةً أو صُفِيَّةً ، ويجوز عنده أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية وزيادتها في لفظ الصَّقِيَّة أو الصُّفِيَّة ، إنما كانت من تداول الألسن ، وإن جعل مأخذه من الصوف ، استقام اللفظ وصحت العبارة من حيث اللغة ، وجميع تلك المعاني عند الكلاباذى ، من التخلي عن الدنيا ، وعزوف النفس عنها وترك الأوطان ، ولزوم الأسفار ، ومنع النفوس وحفظها ، وصفاء المعاملات وصف التصوف السابق (📖) .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن : هل رد التصوف إلى الصوف أو الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، يعتبر أصلا مقبولا ومقنعا ، له ما يؤيده في الكتاب والسنة ؟ .  
وإذا كانت العلوم الإسلامية قد وجد لها أصل في الكتاب أو السنة ، من جهة التسمية والنسبة كما سبق ، فما هو الأصل القرآني أو النبوي الذى يرد إليه مصطلح التصوف ؟ وما هو موقف الصوفية من هذه التساؤلات ؟

---

📁 . الصوفية والفقراء لابن تيمية ص 📁📁 .

📖 . التعرف لمذهب أهل التصوف ص 📖📖 بتصرف .

• رد التصوف إلى الصوف ومناقشته على ضوء الأصول القرآنية والنبوية :

لم يتوان الصوفية ، شأنهم شأن الآخرين ، في وضع الإجابة المقنعة لمثل هذه التساؤلات ، ورد علمهم إلى أصل يشهد له الكتاب والسنة ، فيقول السراج الطوسي وهو من أقدم المؤرخين لدي الصوفية وأعظمهم (١٦) : ( باب الكشف عن اسم الصوفية ، ولم سموا بهذا الاسم ؟ ولم نسبوا إلى هذه النسبة ؟ إن سأل سائل فقال : قد نسبت أهل الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه فلم قلت : الصوفية ؟ ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ) (١٧) .

وبعد مقدمة طويلة نسب التصوف إلى الصوف ، لأنه كما ذكر لباس خشن بعيد عن النعومة والليونة ، وقد كان يلبسه الأنبياء والصالحون ومرتبطة بالزهد في أذهانهم ، فتبعهم الصوفية في ذلك ، ونسبوا إليه (١٨) .

ويذكر السهروردي البغدادي ، أن اختيارهم للباس الصوف ، كان لتركهم زينة الدنيا ، وقناعتهم بسد الجوعة ، وستر العورة ، واستغراقهم في أمر الآخرة وهذا الاختيار ، ملائم ومناسب من حيث الاشتقاق ، ولأن ذلك أبين في الإشارة إليهم ، وأدعى إلى حصر وصفهم ، إذ لبس الصوف حال المقربين من الأنبياء والصالحين (١٩) .

---

١٦ . انظر مقدمة تحقيق اللمع للدكتور عبد الحليم محمود ص ١١١ .

١٧ . اللمع ص ١١١ .

١٨ . قضية التصوف المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ص ١١١ بتصرف .

١٩ . عوارف المعارف للسهروردي تحقيق ، د/ عبد الحليم محمود / ص ١١١ .

كما أن هذه النسبة نسبة راجحة عند كثير من العلماء ، يقول ابن خلدون في مقدمته : ( والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم في الغالب مختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب ، إلى لبس الصوف ) (٢٠) .

ومن ثم اعتمد أغلب المحققين من الصوفية وغيرهم ، في تأصيل التصوف الردة إلى الصوف ، ويعتبرونها الأسلم والأصوب نظرا للسلامة اللغوية ، فالتصوف مصدر الفعل الخماسي المصوغ من صوف ، للدلالة على لبس الصوف ، وكما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، يقال : تصوف إذا لبس الصوف ، كما أن الصوف يتوافق مع الهدف الصوفي الداعي إلى التقشف والخشونة ، وشظف العيش ، فالنسبة إلي الصوف على حد قول بعضهم :

(موفقة كل التوفيق) (١٤١) ، بل رأى بعض الباحثين ، كالأستاذين لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرازق ، ضرورة رفض ما سواها من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون على السواء في أصل الكلمة (١٤٢) .

والمسألة التي تقتضى البحث المنهجي ، هي معرفة هدى النبي ﷺ في اللباس —  
مقدمة ابن خلدون ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافي ، لجنة البيان العربي الطبعة الأولى سنة ١٩٥٨م ، ص ١٠٠/١٠١ .

١٤٣. قضية التصوف المنقذ من الضلال للدكتور عبد الحليم محمود ص ١٠٠ .  
١٤٤. الإسلام والتصوف ، تأليف لويس ماسينيون ومصطفى عبد الرازق ، طبعة دار الشعب بالقاهرة سنة ١٩٥٨م ، ص ١٠٠/١٠١ .

واستقصاء الأدلة في الكتاب والسنة ، لاستخراج الأصل الذي يدعو إلى لبس الصوف ، أو اعتباره شعارا لسلوك ما أو تفضيله على غيره من أنواع اللباس بحيث يمكننا القول : إن مصطلح التصوف له أصل قرآني أو نبوي يرد إليه إذا نسب إلى الصوف ، وإن اتخاذه الصوف ملبسا وشعارا للصوفية في زيهم دون غيره ، أمر لا غبار عليه شرعا؟!!

فإذا طالعنا كتاب الله وجدنا أن الصوف ورد مرة واحدة ، في سياق آية تعدد نعم الله تعالى على الإنسان ، منها أن الله خلق له الأنعام ، ينتفع بها في عدة أشياء ، ذكر منها الصوف ، لكنه نص على استخدامه في الأثاث والمتاع فقال تعالى : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ يَبُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّوهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَساسًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } [النحل/٣٠] ، ولما ذكر الله الملبس بعدها ، عمم ولم يخص الصوف وحده ، فقال : { وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ } [النحل/٣١] .

قال الإمام البخاري : ( سَرَائِلُ قُمُصٌ ) (١٤٥) ، وقال قتادة : سَرَائِلُ مِنَ الْقَطَنِ وَالكَتَانِ وَالصُّوفِ (١٤٦) .

فتح الباري ١٠/١٠٠ .

١٤٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي الشوكاني طبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٥٨م ، ص ١٠٠/١٠١ .

وقال ابن عباس **ط** : { سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ } يعني الثياب (؎) ، فالصوف ذكر على سبيل النعمة المستخدمة غالبا في الأثاث والمتاع ، لقوة تحمله كالحيام والغطاء والوطاء ، وما يفرش في المنازل ويتزين به (؎) ، كما يستخدم هو وغيره من أنواع الثياب ، في الملابس بحكم الواقع البدائي .

وقد دلت السنة النبوية ، على أن لبس الصوف لم يكن مرغوبا بين الصحابة **ψ** ، وإنما فرض عليهم لأنهم لم يجدوا غيره ، وإذا تيسر استبدلوه ، فعن عكرمة مولى ابن عباس **ط** أَنَّ أَنَسًا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، جَاءُوا فَقَالُوا : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، أَتَرَى الْغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبًا ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُ أَطْهَرُ وَخَيْرٌ لِمَنْ اغْتَسَلَ ، وَمَنْ لَمْ يَغْتَسِلْ فَلَيْسَ عَلَيْهِ بِوَاجِبٍ ، وَسَأَخْبِرُكُمْ كَيْفَ بَدَأَ الْغُسْلُ ؟ كَانَ النَّاسُ مَجْهُودِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ ، وَيَعْمَلُونَ عَلَى ظُهُورِهِمْ ، وَكَانَ مَسْجِدُهُمْ ضَيْقًا مُقَارِبَ السَّمَاءِ ، إِنَّمَا هُوَ عَرِيشٌ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ حَارٍّ ، وَعَرِقَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الصُّوفِ ، حَتَّى ثَارَتْ مِنْهُمْ رِيَاخٌ ، آذَى بِذَلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَمَّا وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الرِّيحَ ، قَالَ : " أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا كَانَ هَذَا الْيَوْمَ فَأَغْتَسِلُوا ، وَلِيَمَسَّ أَحَدُكُمْ أَفْضَلَ مَا يَجِدُ مِنْ دُهنِهِ وَطِيبِهِ " ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ **ط** : " ثُمَّ جَاءَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ ، وَلَبَسُوا غَيْرَ الصُّوفِ وَكُفُوا الْعَمَلَ ، وَوَسَّعَ مَسْجِدَهُمْ ، وَذَهَبَ بَعْضُ الَّذِي كَانَ يُؤْذِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْعَرِقِ " (؎) .

السابق / ١٤٨ / ١٤٨ . السابق / ١٤٨ / ١٤٨ .

؎ أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة برقم (١٤٨) وحسنه الألباني / ١٤٨ / ١٤٨ .

فدلالة الحديث واضحة في رفضهم البقاء على الصوف بعد مجئ الخير ، ولولا أنهم لم يجدوا غيره ما لبسوه ، ومعلوم أن انتقالهم عنه إلى غيره ، لم ينقص من فضلهم شيئا ، أو يؤثر في عبوديتهم لله أو قوة إيمانهم به ، فدعوى تفضيله على غيره أو مواظبة الفضلاء السابقين من الصحابة والتابعين على استعماله كملبس دال على إظهار الزهد والخشونة في العيش ، بغية التقرب إلى الله ، دعوة مرفوضة بالأصول النبوية ، وعن أبي بُرْدَةَ قَالَ : " قَالَ لِي أَبُو مُوسَى **ط** : يَا بُنَيَّ ، لَوْ رَأَيْتَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَصَابَنَا الْمَطَرُ ، وَجَدْتِ مِنَّا رِيحَ الصَّانِ ، إِنَّمَا لِبَاسُنَا الصُّوفُ " (؎) ، فهو يحكى واقعا مضى استبدل في حاضره بغير الصوف من أنواع اللباس الأفضل ، عند ظهور النعمة وتوفر البديل ، ولو كان في بقائه فضل لما غيرهه ، وورد

أيضا كثير من الروايات الدالة على إشفاق النبي ﷺ ، على مجموعة من فقراء العرب ، لأنهم لم يجدوا غير الصوف ملبسا ، من شدة الحاجة والفاقة ، فحث الناس على الصدقة ، ورغب فيها أشد ما يرغب ، فدعا إلى الصدقة ، ولو بشئ يسير ، يساعد على تغيير تلك الصورة البائسة ، فعن جرير بن عبد الله قال :

" جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَلَيْهِمُ الصُّوفُ ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ " (١) وفي رواية أخرى يصفهم جرير بن عبد —

أخرجه أحمد في مسند الكوفيين (٢) ، والترمذي برقم (٣) وصححه الألباني / .

أخرجه مسلم في كتاب العلم (٤) / .

الله ﷻ بقوله : " كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءُ عُرَاةٌ مُجْتَابِي التَّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ ، فَتَمَعَّرَ وَجْهَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ ، فَدَخَلَ أَى إِلَى مَنْزِلِهِ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِبِلَالٍ فَأَذَّنَ وَأَقَامَ ، فَصَلَّى ثُمَّ حَطَبَ فَقَالَ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ .. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء/٥٠] وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ : { اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ } [الحشر/٢٠] ، تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ ، مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ ، حَتَّى قَالَ : وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " (٥) .

وأما العادة في ملبسه ﷺ وهو الأسوة والقُدوة لكل مسلم ، فكان المحبوب لديه دائما القطن وغيره ، دون الصوف ، لما روى عن قتادة قال : " قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ : أَيُّ الثِّيَابِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا ؟ قَالَ : الْحَبْرَةُ " (٦) ، والحبرة ثياب مزينة من القطن أو الكتان ، قال ابن بطال : الحبرة من برود اليمن تصنع من القطن ، وكانت أشرف الثياب عندهم (٧) ولا يعنى ذلك أنه ﷺ نهى عن استعمال الصوف أو تركه مطلقا ولكن كان يستعمله ضمن اللباس لا يفضله على غيره ، لما ثبت عن المُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ

الحديث السابق ، وأخرجه النسائي في كتاب الزكاة (٨) / .

أخرجه البخارى في كتاب اللباس (٩) / ، ومسلم في كتاب اللباس والزينة (١٠) / .

فتح الباری / فتح الباری .

قَالَ : " كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فِي رُكْبِهِ وَمَعِيَ إِدَاوَةٌ ، فَخَرَجَ لِحَاجَتِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ ، فَتَلَقَيْتُهُ بِالْإِدَاوَةِ ، فَأَفْرَعْتُ عَلَيْهِ فَعَسَلَ كَفِّهِ وَوَجْهَهُ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ مِنْ جَبَابِ الرُّومِ ضَيْقَةُ الْكُمَيْنِ ، فَصَافَتْ فَادَّرَعَهُمَا إِدْرَاعًا " (١٧) .

وقد أهدى لرسول الله ﷺ جبة من سندس ، وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها ، وفي رواية أخرى : بعث إلى النبي ﷺ جبة من ديباج منسوج فيها الذهب ، وثالثة : أهدى إلى النبي ﷺ مستققة من سندس ، ورابعة أتي بثوب حرير ، أهداه إليه ملك الروم أكيدر صاحب دومة ، يقول أنس بن مالك **٢** راوى الحديث بالألفاظ السابقة : ( فكأني أنظر إلى يديها تدبذبان من طولهما ، فجعل القوم يلتبسوهما ، ويقولون : أنزلت عليك يا رسول الله هذه من السماء " فجعلوا يمسونه وينظرون " " فقالوا : ما رأينا كاليوم ثوبًا قط ، قال : وما يعجبكم منها ؟ " وفي رواية أخرى :

" فقال أعجبون من هذه ؟ والذي نفسي بيده ، لمنديل من مناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذه ، ثم بعث بها إلى جعفر ، قال : فلبسها جعفر ثم جاء ، فقال رسول الله ﷺ : " إني لم أبعث بها إليك لتلبسها ، قال : فما صنع بها ؟ قال : أبعث بها إلى أخيك النجاشي " (١٨) .

أخرجه البخاري في كتاب الوضوء (١٧) / (١٧) ، ومسلم في الطهارة (١٧) / (١٧) ، ومعنى وادرعهما أى نزع الزراعين عن الكمين .

جميع الروايات عن أنس بن مالك **٢** ، ولفظ : جبة سندس عند مسلم (١٧) / (١٧) =

وهذا وإن دل على أن النبي ﷺ لبسها مرة واحدة ، إلا أنه لم يمنع أن يرتدى المسلم أجود الثياب وأثمنها ، بدليل أنه أهداها إلى النجاشي ، كما أن المقارنة أو المفاضلة بين هذا الثوب وثياب سعد في الجنة ، يدل على ذلك أيضا ، فمن المعلوم أن أجود الأشياء في الدنيا ، كأفضل الثياب وأجملها ، أو غير ذلك من أصناف النعيم ، هو الذى يقارن مع نعيم الجنة بقياس الأولى ، وقال عبد الله بن عباس **٢** : لَمَّا خَرَجَتِ الْحُرُورِيَُّةُ أُتِيَتْ عَلِيًّا **٢** فَقَالَ : ائْتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنْ حُلْلِ الْيَمَنِ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ سِمَاكُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحَنْفِيُّ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَجُلًا جَمِيلًا جَهِيْرًا ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ **٢** : فَأَتَيْتُهُمْ فَقَالُوا : مَرَحَبًا

بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا هَذِهِ الْحُلَّةُ ؟ قَالَ : مَا تَعْبِيُونَ عَلَيَّ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْخُلَلِ (١٧) .

وَأُنْكَرَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ ، مَا بَلَغَهَا أَنَّهُ —

= [١٧] / [١٨] ، والجبة رداء يلبس فوق الثياب ، والسندس ما رق من الحرير ، ولفظ : جبة  
من ديباج منسوج فيها الذهب عند الترمذى ( [١٩] [٢٠] ) ، والديباج نوع نفيس  
من الحرير ، ولفظ : مستقة من سندس عند أحمد في المسند ( [٢١] [٢٢] ) ، والمستقة فرو طويل  
الأكمام ، وقيل : كلمة أصلها فارسي ، ولفظ : أتى بثوب حرير عند أحمد في المسند )  
[٢٣] [٢٤] [٢٥] ، والحديث أخرجه البخارى في كتاب الهبة ( [٢٦] [٢٧] ) ، ومسلم  
[٢٨] [٢٩] [٣٠] . [٣١] [٣٢] [٣٣] .

[٣٤] . حسن الإسناد ، أخرجه أبو داود فكتاب اللباس ( [٣٥] [٣٦] ) ، والحاكم في  
المستدرک ( [٣٧] [٣٨] ) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه [٣٩] [٤٠] .

يحرم العلم في الثوب وميثرة الأرجوان ، فبعثت إليه رسولها عبد الله بن كيسان ﷺ قَالَ :  
أَرْسَلْتَنِي أَسْمَاءُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَتْ : ( بَلَّغْنِي أَنَّكَ تُحَرِّمُ الْعِلْمَ فِي الثَّوْبِ ، وَمِثْرَةَ  
الْأَرْجَوَانِ ، فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ ﷺ : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْعِلْمِ فِي الثَّوْبِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ  
الْحَطَّابِ ﷺ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ ،  
فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ مِنْهُ ، وَأَمَّا مِثْرَةُ الْأَرْجَوَانِ ، فَهَذِهِ مِثْرَةُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَإِذَا هِيَ أَرْجَوَانٌ  
فَرَجَعْتُ إِلَى أَسْمَاءَ فَخَبَّرْتُهَا ، فَقَالَتْ :

هَذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْرَجْتُ إِلَيَّ جُبَّةً طَيَالِسَةً كِسْرَوَانِيَّةً ، لَهَا لَبْنَةٌ دِيْبَاجٍ ، وَفَرْجِيهَا  
مَكْفُوفِينَ بِالْدِيْبَاجِ ، فَقَالَتْ : هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبِضْتُهَا ،  
وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا " (١٧) .

ومعنى العلم : جزء من الحرير في الثوب ، وميثرة الأرجوان : المياثر أغشية للسروج تتخذ  
من الحرير ، والأرجوان هو الصبغ الأحمر شديد الحمرة والطيلسان : كساء غليظ  
مخطط ، والكسروانية : نسبة إلى كسرى ملك الفرس ، ومعنى لبنة ديباج وفرجيها  
مكفوفين بالديباج ، اللبنة : رقعة في جيب القميص أو الجبة ، والديباج نوع نفيس من  
الحرير ، وفرجيها مكفوفين أى كسيت جوانبها ، الذيل والشقين والكمين بالحرير (١٨) .

أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة برقم (٢٥٨٤) / (٢٥٨٤) ، والنهي عن الحرير للرجال ، إذا استخدم كله ملبسا لا بعضه .

انظر صحيح مسلم بشرح النووي / ص ١١١ ، ١١٢ .

فمن مجموع ما تقدم من الأصول النبوية ، يمكن القول أن الصوف لم يكن ملبسا دأب النبي ﷺ أو أحد أصحابه على تفضيله أو استعماله ، فدعوى السراج الطوسي : ( إن لبس الصوف ، دأب الأنبياء عليهم السلام والصدقين وشعار المساكين ) (٢٥٨٤) تفتقر إلى الدليل . وقد تبعت الأدلة النبوية ، جاهدا أن أصل إلى حديث ثابت ، يدل على أن الأنبياء بصفة عامة داوموا على تفضيل الصوف ، أو الالتزام به أو اقتزانه لديهم بعلم ما أو سلوك ما ، فلم أجد إلا ما اشتهر عند الصوفية من حديث الترمذي الذي تنفرد به عن ابن مسعود  $\tau$  عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ ، كِسَاءٌ صُوفٍ ، وَجُبَّةٌ صُوفٍ ، وَكُمَّةٌ صُوفٍ ، وَسَرَاوِيلٌ صُوفٍ وَكَانَتْ نَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ جِمَارٍ مَيِّتٍ " (٢٥٨٤) وهو حديث ضعيف جدا (٢٥٨٤) . وأما ما ورد عند ابن ماجة ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  $\tau$  قَالَ : " لَيْسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّوْفَ ، وَاحْتَذَى الْمُخْصُوفَ " (٢٥٨٤) فعلى فرض ثبوته لا يدل على تفضيله أو المداومة عليه ، لما سبق من الأحاديث الأخرى .

اللمع للسراج الطوسي ص ١١١ . أخرجه الترمذي في كتاب اللباس ، باب ما جاء في لبس الصوف (٢٥٨٤) وقال الشيخ الألباني : ضعيف جدا / (٢٥٨٤) .  
علته حميد بن عطاء بن علي الأعرج الكوفي ، فهو منكر الحديث ، انظر الجرح والتعديل (٢٥٨٤) ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء رقم (٢٥٨٤) / (٢٥٨٤) .  
ضعيف ، أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة (٢٥٨٤) وقال عنه الشيخ الألباني : ضعيف / (٢٥٨٤) .

وتفضيله لما تقدم ، ولكن تفرد به ابن ماجة وهو ضعيف (٢٥٨٤) ، وعلى ذلك فنسبة التصوف إلى الصوف ، وإن كانت سليمة من ناحية الاشتقاق ، إلا أنها تتطلب أصلا قرآنيا أو نبويا واضحا بينا ، نبي عليه مشروعية الدعوة إلى تفضيل الصوف ، واتخاذ شعارا لعلم ما أو مذهب أو طريقة معينة .

كيف ظهرت نسبة التصوف إلى الصوف ؟



لما ظهر اتجاه الزهد الذى تنبأه أوائل الصوفية ، وقوى بعد عصر التابعين ، آثر أصحابه العزلة ، إما بدافع الخلوة المؤدية إلى زيادة الإيمان وبلوغ الحقيقة ، أو الابتعاد عن الفتن والمنازعات التى حدثت بين المسلمين فى أعقاب الخلافة الرشيدة فأثروا وقتها العزلة عن الناس والزهد فى الدنيا ، أو رد الفعل الطبيعى لحياة الترف التى مرت بالمسلمين إبان الفتوحات الإسلامية ، أيا كان الدافع لهذا المسلك<sup>(١١)</sup> ، فإن أصحابه اتخذوا ما تيسر من اللباس المناسب وقتها لاتجاه —

علته نوح بن ذكوان ، وهو منكر الحديث جدا ، و يحدث بأحاديث أباطيل ، انظر الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ، للذهبي ترجمة رقم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) والكمال فى ضعفاء الرجال (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، وكتاب الضعفاء (١٠٠٠٠) ص (١٠٠٠٠) ، تهذيب التهذيب رقم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، وتهذيب الكمال رقم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، والمجروحين رقم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، وفى الحديث أيضا : يوسف بن أبى كثير وهو مجهول ، انظر الكاشف فى معرفة من له رواية فى الكتب الستة ، ترجمة رقم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، ولسان الميزان (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) ، وتقريب التهذيب رقم (١٠٠٠٠) / (١٠٠٠٠) .  
١١. من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب ، د/ محمد السيد الجليلند ص (١٠٠٠٠) : ص (١٠٠٠٠) .

الزهد ، فلجأ أغلبهم بالضرورة إلى نوعية الصوف ، الملائم للخشونة وشظف العيش ، متقيدين آنذاك بحكم طبيعة البيئة العربية ، أو غير العربية فى المجتمع الأولى البسيط ، وذلك ليتوافق مع تأديب النفس ، وإلزامها بتحملة فترة طويلة فكان أحدهم يرتدى ملبسا خشنا من الصوف مدة عشرين سنة<sup>(١٢)</sup> ، ولا يخفى أن ذلك يبعث على تكوين صورة الزهد فى أذهان العامة والخاصة مقترنة بلبس الصوف على الدوام ، ويحكى الهجویری عن شيخه ، أنه ارتدى جبة واحدة من الصوف مدة إحدى وخمسين سنة ، وكان يضع الرقع عليها دون كبير اهتمام<sup>(١٣)</sup> .

ويتكرر الأمر ملحوظا عند الغالبية من أبناء التصوف ، حتى أصبح لفظ الخرق والمرقعة ، من المصطلحات التى لها مدلول مشترك ، وفق أصول وقواعد تعارفوا عليها فى وقت مبكر ، كما وضعت لها كتب وفصول ، يقول الهجویری : ( كتبت كتابا مفصلا فى هذا الموضوع عنوانه أسرار الخرق والمرقعات وعلى المرید أن يحتفظ لنفسه بنسخة منه )<sup>(١٤)</sup> .

كل ذلك أدى إلى ظهور رأى عام بين الصوفية وغيرهم ، يربط الزهد برؤية خشونة

الصوف على بدن الزاهد ، حتى أشبه الأمر الإجماع السكوتي الصامت دل على ذلك ما ذكره ابن بطال ، حيث قال : ( كره مالك لبس الصوف لمن —

ص ١٤٠ . هو عبد الله بن خفيف الشيرازي ، انظر كشف المحجوب ص ١٤٠ .

ص ١٤٠ . السابق ص ١٤٠ .

ص ١٤٠ . السابق ص ١٤٠ .

يجد غيره ، لما فيه من الشهرة بالزهد ، لإن إخفاء العمل أولى ، فلم ينحصر التواضع في لبسه ، بل في القطن وغيره ، مما هو دون ثمنه ( ص ١٤٠ ) ، ومثله أيضا يلحظه الباحث ، فيما روى أبو الشيخ الأصفهاني ، بإسناده عن محمد بن سيرين ، أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف ، فقال : إن قوما يتخيرون الصوف ، يقولون إنهم متشبهون بالمسيح بن مريم ، وهدي نبينا أحب إلينا وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره ( ص ١٤٠ ) .

وإذا أضفنا إلى ما تقدم ، سلامة اشتقاق مصطلح التصوف من مادة الصوف وجدنا تبريرا قويا يدعو إلى تبني القول برد التصوف إلى الصوف ، فلما ظهرت حركة التأليف والتدوين في مختلف العلوم سرى ذلك إلى ناحية التصوف ، فبدأ رجال من القوم يكتبون مناهجهم ، وما يدافعون به عن صحة اعتقادهم وسلوكهم ، فحاولوا في طي ذلك البحث عن أصول قرآنية أو نبوية ينسبون علمهم إليها ، وكان أول من قام بذلك فيما أثر عن الصوفية من تراث هو أبو نصر السراج الطوسي ( ت : ٤٠٠ هـ ) ، فهو - كما ذكر الدكتور عبد الحليم محمود - أعظم مؤرخ صوفي في التاريخ قديما وحديثا ( ص ١٤٠ ) بل إن كتابه اللمع في التصوف له مكانة عند الصوفية لا يناها كتاب آخر ، حتى قيل عنه : ( كتاب —

ص ١٤٠ . فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ص ١٤٠ / ص ١٤٠ .

ص ١٤٠ . الصوفية والفقراء لابن تيمية ، تقديم الدكتور محمد جميل غازي ، طبعة مكتبة المدني بالسعودية

ص ١٤٠ ، وانظر كشف المحجوب ص ١٤٠ وقارن .

ص ١٤٠ . اللمع ص ١٤٠ .

اللمع هو الكتاب الأم في تاريخ التصوف الإسلامي ، وقد اجتمعت له خصائص ما توافرت لغيره من كتب الحياة الروحية الإسلامية ، فهو أقدم مرجع صوفي إسلامي ، وهو فوق هذا أكبر هذه المراجع ، وأوثقها وأغزرها مادة ، وأنقأها جوهرًا ولفظًا ، ومن مادته الخصبية اقتبس كافة من أرخ للتصوف وعلضوء مناهجه وأبوابه وقواعده ، جرت الأقلام

التي قدمت لنا عبر التاريخ ، علوم الطريق ورجاله ( ١٦٧ ) .

فلم أجد في حقيقة الأمر ، من سبق السراج الطوسي في رد التصوف إلى الصوف ، أو محاولته تبرير ذلك بأنه دأب الأنبياء والصدّيقين وشعار المساكين المنتسكين ، ولذلك جزم بالأمر مرة واحدة إذ يقول : ( باب الكشف عن اسم الصوفية ولم سموا بهذا الإسم ؟ ولم نسبوا إلى هذه النسبة ؟ إن سأل سائل فقال : قد نسبت أهل الحديث إلى الحديث ، ونسبت الفقهاء إلى الفقه ، فلم قلت : الصوفية ، ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم ؟ ) ( ١٦٨ )

فسياق النص في كتاب لأقدم المؤرخين ، كاللمع في التصوف ، يشعر بأن السراج الطوسي صاحب القدم الأولى واليد الطولى في تبرير هذه النسبة ، وقد بين فيما طرح من تساؤل ، أن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع ولم يرتسموا برسم من الأحوال دون رسم ، فليس لديه خيار إلا ظاهر اللبسة فنسبهم إليها ، ثم وجد أن ملابس الأنبياء والأولياء الأصفياء على أغلب الظن يتوافق مع ملابس الفقراء فجزم بالأمر في رد التصوف إلى الصوف ، يقول

السابق ص ١٦٨ . السابق ص ١٦٩ .

السراج : ( فكذلك الصوفية عندي والله أعلم ، نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التي هم بها مترسمون لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء وشعار الأولياء والأصفياء ، ويكثر في ذلك الروايات والأخبار ، فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك إسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة ) ( ١٦٩ )

ومعلوم مما تقدم أن جميع الروايات والأخبار ، لا تثبت أن نبيا من الأنبياء تخير الصوف ولازمه دون سائر اللباس ، فضلا عن رسول الله ﷺ وأصحابه  $\Psi$  ، ولكنه وهو يتعقب الأدلة ، ليقوى رأيه في نسبة التصوف إلى الصوف والبحث عن دليل قرآني أو نبوي ، يصحح النسبة إلى ظاهر اللباس ، نظر إلى حال الحواريين ( ١٧٠ ) ، اتباع عيسى  $\Upsilon$  ، إذ لبسوا البياض وجمعوا أوصاف الإيمان ، وصدق المتابعة في كل النواحي ، فسموا حواريين نسبة إلى ظاهر اللبسة ، يقول السراج : ( ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص أصحاب عيسى  $\Upsilon$  ، فنسبهم إلى ظاهر اللبسة ، فقال عز وجل : { وَإِذْ قَالَ —

السابق ص [ ] .

[ ] . الحواريون جمع حوارى وهو مأخوذ من الحور وهو البياض عند أهل اللغة ، ويقال لنساء الجنة : الحور العين لشدة بياضهن يقال : حورت الثياب إذا بيضتها ، وقال عبد الله بن عباس ؓ : " إنما سموا الحواريين لبياض ثيابهم كانوا صيادين ، انظر فتح القدير [ ] / [ ] / [ ] وقال البخارى : ( باب مناقب الزبير بن العوام ، وقال ابن عباس ؓ : " هُوَ حَوَارِيُّ النَّبِيِّ ﷺ وَسُمِّيَ الْحَوَارِيُّونَ لِبَيَاضِ ثِيَابِهِمْ " انظر فتح البارى [ ] / [ ] .

الْحَوَارِيُّونَ } [ ] / [ ] ، وكانوا قوما يلبسون البياض ، فنسبهم الله تعالى إلى ذلك ، ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التى كانوا بها مترسمين ، فكذلك الصوفية عندى والله أعلم ( [ ] ) ، فشبه حال الصوفية فى إيمانهم وعدم اختصاصهم بعلم أو رسم ينسبون إليه ، بحال الحواريين الذين لم ينسبوا إلى علم أو حال ، فالعلة المشتركة بينهم ، هى النسبة إلى ظاهر اللبسة فصحت عنده نسبة التصوف إلى الصوف .

ولما أصل السراج الطوسى هذه النسبة ، وأظهر رأيه فيها بجرأة ، تتابع المؤلفون من معاصريه ولا حقية ، يوافقون رأيه أو يخالفون ، يدققون ويبحثون عن الوازم المترتبة على رد التصوف إلى الصوف ، إما بإظهار نسبة أخرى تتأزر مع السابقة أو تنفرد دونها ، فالتقول بأن التصوف إلى الصوف فقط تركيز على المظهر دون الجوهر ، والظاهر دون الباطن ، ودعوتهم فى حقيقتها تنصب على الباطن ، وتدعوا إلى النظر فى أعماق الأمور وبلوغ الحقيقة ، ومن ثم حاول الكلاباذى أن يستقصى كل الوجوه الممكنة ، ثم تابعه الهجویری والقشیری ، ثم الغزالي والسهورردى وغيرهم من مؤرخى التصوف ، فكانت أبرز الوجوه التى يرد إليها التصوف غير الصوف القول بأنه من الصفاء .

. رد التصوف إلى الصفاء ومناقشته :

لا يصح من جهة الاشتقاق اللغوى رد التصوف إلى الصفاء أو الصفوة لأنه لو صح لقليل : صَفَوِيٌّ لا صوفي ، قال الراغب الأصفهاني : أصل الصفاء — [ ] . اللمع ص [ ] .

خلوص الشئ من الشوب ومنه الصفا للحجارة الصافية قال تعالى : { إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } [البقرة/ [ ]] .

وقال عمر بن الخطاب ؓ يصف رسول الله ﷺ : " قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا لِي لَا بُكِّي ،

وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ ، وَهَذِهِ خِرَازِيَّتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى ، وَذَلِكَ قَيْصَرُ  
وَكَسْرَى فِي النَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِرَازِيَّتُكَ " (١٤) ، فالمصطفى  
هو المختار المنتقى من سائر الناس .

والصوفية في ردهم التصوف إلى الصفاء ، أرادوا أن يبينوا أن طريقتهم ليست في التزام  
الصوف والزهد الظاهري فقط ، وإنما هي جوهر يجعلها أسمى الطرق وأعلىها كمالاً وتحققاً ،  
فلهم من الفهم العميق ، والاستنباط الدقيق ، في بعض النواحي ما ليس لغيرهم ، يقول  
السراج الطوسي : ( وللصوفية مستنبطات في علوم مشكلة على فهوم الفقهاء والعلماء ، لأن  
ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم ، تخفى في العبارة من دقتها ولطافتها ، وذلك في  
معنى العوارض والعوائق ، والعلائق والحجب ، وخبايا السر ، ومقامات الإخلاص ، وأحوال  
المعارف ، وحقائق العبودية ، ومحو الكون بالأزل .. إلخ ) (١٥) .

ولما كان مسلك الصوفية ، هو التخلص من الشوائب الحاجبة في الباطن —

المفردات ص ١٤١ .

١٤. أخرجه مسلم في كتاب الطلاق (١٥٠٠) (١٤١) .

١٥. اللمع ص ١٤١ .

والتحرر مما سوى الله ، وكانت النسبة إلى الصوف وحدها ، لا تكفي تبريراً لأصل التصوف  
، لأنها مظهر دون جوهر ، نقب بعضهم عن شخصية مرموقة يرجعون إليها الصفاء كأصل  
للتصوف ، فتخبروا أبا بكر الصديق ؓ مثلاً أعلى ، وقدوة يحتذى بها الصوفي في صفاته ،  
فقال الهجویری :

إن الصفا صفة الصديق : إذا أردت صوفياً على التحقيق (١٦) .

ويتابع قائلاً : ( ذلك أن للصفاء أصل وفرع ، فأصله انتزاع القلب من الأغيار ، وفرعه  
نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة ، وكانت هاتان الصفتان تميزان الصديق ، أبا بكر عبد الله  
بن أبي قحافة ؓ ، فهو إمام أهل هذه الطريقة ) (١٦) ، ثم يورد دليلين على صفاء أبي بكر  
الذي انتسب إليه الصوفية أحدهما له أصول قرآنية ، والآخر له أصول نبوية .

[١٦] - أما الأول : فهو قوله تعالى : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ  
أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا  
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران/١٤١] ، ووجه استدلاله أن الصحابة كلهم انكسرت



القضاء على المنافقين ، ومن ثم سوف يبقى النبي ﷺ حتى يقضى عليهم ، دل على ذلك ما قالته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقد مات النبي بين يديها ، وهى تظن أنه مغشى عليه : " فَسَجَّيْتُهُ ثَوْبًا فَجَاءَ عُمَرُ وَالْمُعِيرَةُ بِنُ شُعْبَةَ ، فَاسْتَأْذَنَّا فَأَذْنَتْهُمَا ، وَجَذَبْتُ إِلَيَّ الْحِجَابَ ، فَنَظَرْتُ عُمَرَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَاعْشِيَاهُ ، مَا أَشَدُّ عَشِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَامَا ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْبَابِ ، قَالَ الْمُعِيرَةُ : يَا عُمَرُ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، بَلْ أَنْتَ رَجُلٌ تَحْوِسُكَ فِتْنَةٌ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَمُوتُ ، حَتَّى يُفْنِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنَافِقِينَ " (١٧) وفى رواية أخرى : " وَعُمَرُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا يَمُوتُ ، حَتَّى يَقْطَعَ أَيْدِيَّ أَنْاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَثِيرٍ وَأَرْجُلَهُمْ " (١٨) .

وفى هذا دليل قوى على رغبة عمر فى تصفية التوحيد من النفاق ، وأما بقية الصحابة كانوا ذهولا من أثر الواقعة ، وذلك من شدة صفائهم لله وحبهم لرسوله ﷺ ، وليس الأمر على ما يفسره الهجویری ، أنهم جميعا ربطوا قلوبهم بالفانى ، وأبو بكر ٢ هو الذى مد روحه إلى الله الباقي ، كما أن أبا —

أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) .

جزء من حديث ، أخرجه ابن ماجة فى كتاب الجنائز برقم (٢٣) (٢٤) ، وصححه الشيخ الألبانى (٢٥) .

بكر ٢ ، كان من أشد المنكسرين قلبا على فراق خليله ، فورد فيما ذكرته أم المؤمنين عائشة : " ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ ٢ فَرَفَعَتْ الْحِجَابَ ، فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَانْبِيَاءَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ حَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : وَانْبِيَاءَهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ : وَانْبِيَاءَهُ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " (٢٦) ، وليس أدل على انكسار قلبه من ذلك .

وكذلك يقال فى استدلال الهجویری على نفض الدنيا الخادعة ، بما فعله أبو بكر ٢ ، عندما قدم كل ما يملك صدقة لله ورسوله ﷺ ، فقد ساق الحديث يبرر به ضرورة التلازم بين الصفاء وتخلي المرء عما يملك ، وانتقاله إلى رداء الصوف ولبس المرقعات أسوة بأبي بكر الصديق ٢ ، ولا يخفى أن الحديث مسوق لتبرير نسبة التصوف إلى الصفاء ، بل وصل الأمر أن يبرروا به ما فعله أبو الحسين النورى وأبو بكر الشبلى وأمثالهما ، فالنورى من صفائه كما سبق أنه حمل إليه ثلاثمائة دينار ، ثمن عقار يبيع له ، فصعد قنطرة وظل يرمى واحدا واحدا

منها إلى الماء ، ويقول : حبيبي تريد أن تحدعني منك بمثل هذا ؟ (١٠٠) .

والشبلى ربما يخلع ثيابه المثلثة ثم يحرقها بالنار (١٠١) ، وهو الذى أوجب على الصوفية كما سبق ، أن تكون زكاة خمس من الإبل ، خمسا من الإبل ، بدلا من شاة كما هو الحكم ، ولما سئل السراج الطوسى عن إمامهم فى ذلك —

أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (١٠٢) وأحمد (١٠٣) واللفظ له .

اللمع ص ١٠٤ . السابق ص ١٠٥ .

قال : إمامهم أبو بكر الصديق ، حيث خرج من ماله كله ، فقال له النبي ﷺ : ما خلفت لعيالك ؟ قال : الله ورسوله ، فلم ينكر عليه ذلك (١٠٤) .

ومعلوم أن الاستدلال بفعل أبي بكر ﷺ على هذه الأمثلة ، قياس مع الفارق لاختلاف العلة فى الفعلين ، فأفعالهم لا يقبلها عقل صريح ، ولا يقرها نقل صحيح ، وفعل أبي بكر ﷺ خدمة للأمة فى وقت يجب مثله ، فلا شك أن الضرورة قد تدعو الإنسان إلى التضحية بكل ما يملك فى بعض الأوقات والأزمات لا سيما المسلم ، وهذه علة فعل أبي بكر الصديق ﷺ ، إضافة إلى أن الرسول ﷺ هو الذى أمرهم بالصدقة ما استطاعوا ، لسد حاجة المسلمين ونصرة الدين ، وأمر الرسول ﷺ مطاع عند المؤمنين على قدر المستطاع ، فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ فى نص الحديث المذكور : " أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا ، فَقُلْتُ : الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا قَالَ : فَجِئْتُ بِنَصْفِ مَالِي فَقَالَ ﷺ : مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ قُلْتُ : مِثْلَهُ ، وَآتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ قَالَ : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا " (١٠٥) ، وهو مع هذا يسأل أبا بكر وعمر ما خلفت لأهلك ؟ ، حرصا منه ﷺ على الاكتفاء الذاتى للأسرة ، فليس من المعقول أو المنقول ، أن يخرج المرء كل ما عنده بغية الصفاء ، ثم يدور يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

السابق ص ١٠٤ .

حسن ، أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب (١٠٦) وقال الألبانى : حسن .

إن تبرير الهجویری فى رده التصوف إلى صفاء أبي بكر الصديق ﷺ ، فيه تحميل الأدلة ما لا يطاق ، وتوجيه لها فى غير موضعها ، حيث بدت للناظر وكأنها مسوقة إلى غير مآتها ،



لتتوافق مع الدعوة إلى الصفاء الصوفي ، وليس من شك أن السعى إلى الصفاء والتحرر من قيود المعصية ، هو دين الله عز وجل وهو عام في كل قول وفعل ، بل يمكن القول إنه شرط الإسلام لقبول العمل ، ولكن بضوابط العبودية الممثلة في ركنيها الأساسيين :

[ ] - الإخلاص الذي هو معنى الركن الأول من الشهادة : لا إله إلا الله والذي بينه رسول الله ﷺ في الحديث القدسي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى :

" أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ عَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ " [ ] ، وفي رواية أخرى : " فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ " [ ] .

[ ] - المتابعة لرسوله ﷺ التي هي معنى الركن الثاني من الشهادة : محمد رسول الله ، وقد بينه النبي ﷺ في حديث عائشة رضي الله عنها حيث قال :

" مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ " [ ] ، وفي رواية أخرى : " مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ " [ ] وثالثة : " مَنْ صَنَعَ أَمْرًا مِنْ غَيْرِ —

[ ] . أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ( [ ] ) [ ] .

[ ] . ابن ماجة في كتاب الزهد ( [ ] ) [ ] وصححه الألباني [ ] [ ] .

[ ] . البخاري في الصلح ( [ ] ) [ ] [ ] ومسلم في الأفضية ( [ ] ) [ ] [ ] .

[ ] . أخرجه ابن ماجة في المقدمة ( [ ] ) [ ] .

أَمْرِنَا فَهُوَ مَرْدُودٌ " [ ] ، ومن ثم علمنا أن دعوة النبي ﷺ للصدقة ، تكون على سبيل الاستحباب ، إذا أدى المسلم فرض الزكاة ، إلا في حال يلزم فيها التضحية ، إما لجهاد ، أو بناء لازم من اللوازم الضرورية لقيام المجتمع الإسلامي ، فإذا تغير الحال ، وزادت الأموال ، وزال لازم التضحية ، فلا معنى للمداومة على نفض اليد أولاً بأول ، على حد قول الهجویری ، ولا معنى لخروج المسلم من كل ما يملك كالإسلام ، إذ أن الصفاء صفاء القلب بالزهد في الحياة ، وإدراك المسلم أنه فيها مبتلى من الله ، وأنه مطالب بتنفيذ أمر الله فيما خوله واسترعه ، وهذا متحقق في كثير من أنبياء الله كإبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام ، كما أن النبي ﷺ نهي أن يفارق المسلم ماله كله في الحياة ، وإذا مات أبقاه لورثته ، إلا الثلث فله أن يوصي به لمن شاء فمن عمل عملاً على غير ذلك ، وإن حسنت نيته ، ففعله لا أصل له ، وهو مخالف للسنة ، وصفاءه مردود عليه ، فقد ثبت عنه ﷺ ، أن سعد

بن أبي وقاص  $\tau$  ، قَالَ له : " يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَّغْنِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ ، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِي مَالِي ؟ ، قَالَ : لا ، فُلْتُ : أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ ؟ قَالَ : لا ، الثُّلُثُ ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا ، حَتَّى اللَّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ " (١) .

📁 . أخرجه أحمد في المسند (١٥٠٠٠٠) .

📖 . أخرجه البخاري في كتاب الوصايا (١٠٠٠٠) /📖📖📖 .

ولو كان خروجه  $\tau$  من جميع المال فيه صلاح له ، لأمره النبي  $\varepsilon$  بذلك فهذا أمر النبي  $\varepsilon$  ، ليضبط مسألة الصفاء في الفرع ، وكيف يتعامل المسلم مع المال ، والمقياس الذي ينفذ به يده منه ، ومعلوم أن سعد  $\tau$  من العشرة المبشرين بالجنة ، وامتناله لأمر الرسول  $\varepsilon$  ، يعد أنموذجا للصفاء المطلوب وهو بذاته يشاكل صفاء أبي بكر  $\tau$  ، لأنه ولي الخلافة بعد رسول الله  $\varepsilon$  وكان بيت مال المسلمين بين يديه ، يقوم بعده وإحصائه والانشغال بتقسيمه على مستحقيه ، ولم يقلل ذلك من صفائه ، أو يؤثر في كمال إيمانه ، ومعلوم أيضا أن أبا بكر  $\tau$  من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن ثم لا يكون الصفاء الذي يدعوا إليه الهجويري وغيره ، مقصورا على أبي بكر  $\tau$  وحده ، بل ذلك عام في جميع الصحابة رضوان الله عليهم ، فدعوى تخصيص أبي بكر بأن يكون أسوة للصوفية في صفائهم وتخليهم عن الدنيا تفتقر إلى الدليل الواضح .

ومن ثم حاول بعض الصوفية أن يبحث عن نسبة أخرى ، تجمع معنى الصدق في أوصاف الظاهر والباطن ، لأن النسبة إلى الصوف نسبة إلى الظاهر والنسبة إلى الصفاء نسبة إلى الباطن ، فرأى بعضهم فقر أهل الصفة ، وصدق حالهم وانقطاعهم إلى الله ، فنسب التصوف إليهم ، كتبرير معقول ، يجمع معاني الإيمان الظاهرة والباطنة ، فهل نسبة التصوف إلى أهل الصفة يعتبر أصلا مقبولا !؟

. هل نسبة التصوف إلى أهل الصفة يعتبر أصلاً مقبولاً؟!

من ناحية اللغة لا يصح ، فلو رد التصوف إلى أهل الصفة لقييل ضُيى ، أما من ناحية التشبه بأفعال أهل الصفة ، والنظر والمقارنة بين طريقة الصوفية ومذهبهم وتجاربهم بحال أهل الصفة ، فالأمر يتطلب الكشف عن حال أهل الصفة أولاً ، من خلال استقصاء شامل الأصول القرآنية والنبوية .

فالصفة التي ينسب إليها أهل الصفة من الصحابة رضوان الله عليهم ، كانت في مؤخرة مسجد النبي ﷺ ، في شمال المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وقد ورد ذكرها في حديث أنس بن مالك  $\tau$  وفيه :

" .. ثُمَّ قَالَ  $\epsilon$  : اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا وَمَنْ لَقَيْتَ ، وَسَمِّي رِجَالًا ، قَالَ : فَدَعَوْتُ مَنْ سَمِّي وَمَنْ لَقَيْتُ ، قَالَ جَعْدُ بْنُ دِينَارٍ رَأَى الْحَدِيثَ عَنْ أَنَسٍ : قُلْتُ لِأَنَسٍ : عَدَدَ كَمْ كَانُوا ؟ قَالَ : زُهَاءٍ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ  $\epsilon$  : يَا أَنَسُ هَاتِ التَّوْرَ ، قَالَ : فَدَخَلُوا حَتَّى امْتَلَأَتِ الصُّفَّةُ وَالْحُجْرَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  $\epsilon$  : لِيَتَحَلَّقَ عَشْرَةُ عَشْرَةً ، وَيَأْكُلُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِمَّا بِيَلَيْهِ ، قَالَ : فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ ، وَدَخَلَتْ طَائِفَةٌ حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ ، فَقَالَ لِي يَا أَنَسُ : ارْفَعْ فَرْعَتُ ، فَمَا أَذْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ ، أَمْ حِينَ رَفَعْتُ ؟ " (٢٠٠) .

وكانت الصفة متسعاً لمن يأوى إليها من المهاجرين الجدد ، المتتابعين على البيئة الجديدة في دار الهجرة ، فهي تشبه دار الضيافة ، حيث يقيم النازل حتى —

٢٠٠. أخرجه مسلم في كتاب النكاح (٢٠٠) (٢٠٠) (٢٠٠) (٢٠٠) .

يدبر أمره ويتأهل للاستقلال بحياته الشخصية أو الأسرية ، ولما انتشر الإسلام في العهد المدني ، كثر عدد المهاجرين ، وتوالى تزاحمهم على المدينة شيئاً فشيئاً سواء كانوا فقراء أو أغنياء متأهلين أو عزاب ، فكان من لم يتيسر له مكان يأوى إليه ، يأوى إلى تلك الصفة التي في المسجد ، ولذلك لم يكن جميع أهل الصفة يجتمعون في وقت واحد ، بل منهم من يتأهل أو ينتقل إلى مكان آخر يتيسر له ، ثم يجيء أناس بعد أناس فكانوا تارة يكثرون وتارة يقلون (٢٠٠) .

فإذا طال مكث أحدهم ، فهو والوافدون عليه ضيوف على الإسلام والمسلمين ، يأكلون من الصدقة أو يلبسون ، يشاركون النبي ﷺ في أغلب الأحيان في الهدايا التي تبعث

إليه ، وقد ورد ذلك منصوصا عليه في الأصول القرآنية والنبوية فمن ذلك :  
📁 - ما ثبت عن أبي هريرة ؓ أنه قال : " وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ، ولا على أحد " (📖) .

📖 - أنهم عاصروا فترة زمنية في المدينة توالى الوفود فيها على رسول الله ﷺ فازدحمت بأهلها ، وأثر العجز الاقتصادي في المدينة على الجميع ، ومن البديهي أن أهل الصفة هم الأكثر من غيرهم معاناة فهم أضياف الإسلام ، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد ، قال أبو هريرة ؓ وهو واحد منهم : ﷻ الله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع —

📁 . مجموع فتاوى ابن تيمية /📁📁/📁📁 ، بتصرف .  
📖 . جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق (📖📖📖📖) /📁📁/📁📁 .  
وإن كنت لأشد الحرج على بطني من الجوع 📁 (📖) .

📖 - أنهم على الرغم من مرارة ما يعانون من شظف العيش إلا أنهم ، كانوا يتعففون السؤال ، فمن حديث أبي هريرة ؓ قال : " ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر ، فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبيني ، فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر ، فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبيني ، فمر فلم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم ، فتبسم حين رأي ، وعرف ما في نفسي وما في وجهي " (📖) .

📖 - أن النبي كان يشركهم الطعام ، على الرغم من كثرتهم ، وعلى نحو ما ذكره أبو هريرة ؓ :  
" إذا أتته صدقة ، بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها " (📖) .

📖 - أنهم سبب في إكرام الله للنبي ﷺ وبعض أصحابه ، بخوارق العادات وإظهار المعجزات والكرامات ، في تكثير القليل من المشروبات والمطعومات فمن حديث أبي هريرة ؓ أيضا ، أن النبي ﷺ أمره بدعوتهم على شراب قليل من اللبن ، ربما يكفى اثنين ، فقال له : " أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي ، فسأني ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا

📁 . جزء من الحديث السابق /📁📁/📁📁ص📁📁 .

📖. جزء من الحديث السابق .

📖. جزء من الحديث السابق .

جاء أمرني ، فكننت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد ، فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت ، قال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : خذ فأعطيهم ، قال : فأخذت القدح ، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، فأعطيته الرجل ، فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح ، فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ ، وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح ، فوضعه على يده ، فنظر إلي فتبسم ، فقال : أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : بقيت أنا وأنت قلت : صدقت يا رسول الله ، قال : اقعد فاشرب فقعدت فشربت ، فقال : اشرب فشربت ، فما زال يقول اشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ، قال : فأرني ، فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة " (📖) .

ومن حديث عبد الرحمن بن أبي بكر Ⓜ قال : " إن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء ، وإن النبي ﷺ قال : من كان عنده طعام اثنين ، فليذهب بثالث وإن أربع فخامس أو سادس ، وأن أبا بكر Ⓜ جاء بثلاثة ، وإنه تعشى عند النبي ﷺ ، ثم لبث حيث صُلِّيَتِ العشاء ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله ، قالت له امرأته : وما حبسك عن أضيافك قال : أوما عشيتيهم ، قالت : أبوا حتى تجيء ، قد عرضوا فأبوا ، قال عبد الرحمن : فذهبت أنا فاخترت —————

📖. جزء من الحديث السابق .

فقال : يا غنثر فجدع وسب ، وقال : كلوا لا هنيئا ، فقال : والله لا أطعمه أبدا ، وايم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، حتى شبعوا ، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر ، فإذا هي كما هي أو أكثر منها ، فقال لامرأته : يا أخت بني فراس ما هذا ؟ قالت : لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات ، فأكل منها أبو بكر Ⓜ وقال : " إنما كان ذلك من الشيطان يعني يمينه ، ثم أكل منها لقمة ، ثم حملها إلى النبي ﷺ ، فأصبحت عنده ، وكان بيننا وبين قوم عقد ، فمضى الأجل ففرقنا اثنا عشر رجلا ، مع كل رجل منهم أناس الله أعلم كم مع كل رجل فأكلوا منها أجمعون " .

ﷺ - أن الفقر الذي لزم أهل الصفة ، كان فقرا اضطراريا من أمور القدر على سبيل الابتلاء ، لمن هاجر إلى رسول الله ﷺ ، وآثره على أهله وعشيرته ، ولم يكن باختيارهم أو رغبتهم في أن يكونوا على تلك الحالة ، فهم كانوا يكتسبون عند إمكان الاكتساب ، ولذلك كان ﷺ يراعى ضعف قوتهم وقلة حالهم ، فيجيز من يقف أثناء صلاة الجماعة ، لينادى على النساء وهن خلف الرجال في الصفوف ، ألا يرفعن رؤوسهن حتى يستوى الرجال جلوسا ، فرما تنكشف عورة أحدهم لقصر ملبسه ، فمن حديث أبي هريرة ﷺ قال : " لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ ، إِمَّا إِزَارٌ ، وَإِمَّا كِسَاءٌ ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ —

ﷺ . أخرجه البخارى في كتاب مواقيت الصلاة (٤٠٤٠) / ﷺ / ﷺ .

الْكُعْبَيْنِ فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةً أَنْ تَرَى عَوْرَتَهُ " (٦٧) .

وقال سهل بن سعد الساعدي ﷺ في وصفه أهل الصفة : " كان رجال يصلون مع النبي ﷺ عاقدي أزهم على أعناقهم كهيئة الصبيان ، ويقال : للنساء لا ترفعن رءوسكن ، حتى يستوي الرجال جلوسا " (٦٨) .

هذا وصف أهل الصفة كما ورد في صحيح السنة ، قوم ألجأهم الإيمان بالله ورسوله إلى أن يتركوا رغد العيش في أوطانهم ، ويهاجروا إلى المدينة ويصبروا على الفقر فيها ، بغية مرافقة النبي في الدنيا والآخرة ، ولم تكن لهم رغبة في أن يكونوا عالة على أحد ، أو يتواكلوا فيتفرغوا للعبادة تاركين للكسب والعمل مع تيسره ، وهذه الصورة لا تتفق مع وصفهم عند مؤرخي الصوفية ، فقد ذكر الهجويزي أن أهل الصفة ، قوم صرفوا وجوههم إلى ربهم ، متعبدين ومهتمين بأمر آخرتهم ، عكفوا على العبادة ورياضة النفس ، والتجرد عن أعراض الدنيا ، فانقطعوا في المسجد يأكلون من مال المسلمين ، ويكرمون من أجل صلاحهم وتقواهم (٦٩) .

بل إنه حكى الإجماع على ذلك ، فقال في باب الكشف عن أهل الصفة : ( اعلم أن المسلمين جميعا ، قد اتفقوا على أن عددا من الصحابة ، لجأوا إلى

ﷺ . أخرجه البخارى في كتاب الصلاة (٤٠٤٠) / ﷺ / ﷺ .

ﷺ . أخرجه البخارى في كتاب الصلاة (٤٠٤٠) / ﷺ / ﷺ ، ومسلم (٤٠٤٠) / ﷺ / ﷺ .

📁/📄/📅 .

📁. كشف المحجوب ص 📁📁📁 ، وانظر التصوف عند العرب لجبور عبد النور ، طبعة بيروت سنة ١٩٧٠م ، ص 📄📄 .

مسجد الرسول ، واشتغلوا بالعبادة تاركين الدنيا ، زاهدين في البحث عن وسائل العيش (📁) ، واحتج لهم بأصل قرآني ، يوحى باللوم على النبي ﷺ لإنكاره عليهم الانقطاع للعبادة ، فقال : " ولقد عاتب الله رسوله من أجلهم حين قال في سورة الأنعام : { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنعام/ ١٠٦] (📄) .

ويقول غيره ٢ : " وهم الذين نزلت فيهم الآية الثامنة والعشرون من سورة الكهف : { وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف/ ١٧] " (📄) .

وهذا الكلام لا يطابق حقيقة الأصول القرآنية والنبوية ، ولا يشهد للصوفية في ردهم التصوف لأهل الصفة ، وبرهان ذلك هو أن آيتي الأنعام والكهف نزلتا بمكة ، فالسورتان مكيتان ، ومعلوم مما أورده الهجويري وغيره أن أهل الصفة لم يظهروا إلا في المدينة المنورة ، بعد وجود الصفة ، وبناء المسجد النبوي ، فكيف عاتب الله نبيه في مكة على قوم لم يظهروا إلا في المدينة ؟

أما الأصل الذي يمكن أن يرد إليه وصف أهل الصفة من القرآن ، هو قوله —

📁. السابق ص 📁📁📁 .

📄. السابق ص 📁📁📁 .

📄. مدخل إلى التصوف الإسلامي للدكتور أبو الوفا التفتازاني ، ص 📄📄 .

تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } [آل عمران/ ١٧٠] ، قال عبد الله بن عباس ٣ وشاركه مجاهد ، ومحمد بن كعب القرظي : " هم أصحاب الصفة الفقراء " (📁) .

والآية واضحة الدلالة في كونهم يعجزون عن الكسب ، لا يستطيعون ضربا في الأرض ،

ومعلوم أن العجز إما لعلة فيهم ، من مرض أو غيره أو لانعدام أسباب العمل التي يتكسبون منها ، بسبب ازدحام المدينة بالمهاجرين على أهلها ، وعجز الموارد في الدولة الإسلامية وقتها ، وقد وصفهم الله بالتعفف وعدم السؤال البتة ، لا سؤال إلحاح ، ولا غير إلحاح ، كما ذهب لذلك جمهور المفسرين (١٤) .

وقد سبق من حديث أبي هريرة ؓ ، في تعففه عن السؤال مع شدة الجوع الذي كابده ، والحجر الذي ربطه على بطنه ، وإظهار نفسه لأبي بكر وعمر بمظهر السائل عن الفقه في الدين ، وكذلك من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر ؓ عندما أبا ضيوف أبي بكر من أهل الصفة أن يأكلوا إلا بحضور صاحب الدار من شدة تعففهم ، كل ذلك يتفق مع ما ورد في آية البقرة ، ويشهد لها كما أن أهل الصفة ، لم يكتسوا على حالهم بعد وجود الخير ، وانفتاح أبوابه فأغلبهم جاهد وقاتل ، وتولى الإمرة ، وتفاعل مع الحياة على أنها وسيلته إلى الآخرة وعلى النحو المرضي لله عز وجل ، ولو كان في مكثهم على حالهم —

فتح القدير / ١٤٠٠ ، ١٤٠١ . السابق / ١٤٠٢ .

خير ما بدلوه ، وللزمو المسجد النبوي لا يفارقونه إلا بالموت .

وكما استدل السراج الطوسي بتعسف ، لنسبة التصوف إلى الصوف على أنه ملبس الأنبياء ودأب الأولياء ، ليظهر التوافق بين الصوفية وسلوك الأنبياء في التزام الصوف دون غيره ، سلك الهجویری مسلکه ، فروى في أهل الصفة حديثا لا أصل له ، عن ابن عباس ؓ ، فيه دعوة إلى تفضيل البقاء على حال أهل الصفة ، وألا يرضى الصوفي عنه بديلا ، لأن ذلك أصل التصوف فقال :

" روى عن ابن عباس ؓ ، أن النبي ﷺ وقف على أهل الصفة ، فرأى فقرهم وجهدهم ، وطيب قلوبهم ، فقال : أبشروا يا أصحاب الصفة ، فمن بقى من أمتي على النعت الذي أنتم عليه ، راضيا بما هو فيه ، فإنه من رفقائي في الجنة " (١٥) .

فقول الهجویری : فمن بقى من أمتي على النعت الذي أنتم عليه ، راضيا بما هو فيه ، إنما يعبر عن الرغبة في إيجاد أصل مقبول للتصوف برده إلى أهل الصفة ، وقد سبق في وصف أبي هريرة ؓ لأهل الصفة ، أنهم إنما كانوا أضياف الإسلام ، والضيف له إكرام لا يتعدى وقتا معلوما ، فإن تخطاه أصبح عالية على غيره ، وعبئا ثقيلًا على المجتمع ، وكيف يرضى رسول الله أن يكون أهل الصفة ، عالية على غيرهم ، ويقرهم على ذلك ، وهو القائل



: " لَأَنَّ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ، ثُمَّ يَعْدُو إِلَى الْجَبَلِ ، فَيَحْتَطِبُ فَيَبِيعَ ، فَيَأْكُلُ وَيَتَصَدَّقُ

كشفت المحجوب ص [1] ، وقد بذلت جهدا كبيرا في تتبع هذا الحديث في كتب السنة فلم أجده سواء في الأحاديث المتصلة أو المنقطعة عن ابن عباس أو غيره .  
خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ " ( [2] ) .

وقد ورد في الحوض على الكسب وتحريم المسألة لغير حاجة ، أحاديث كثيرة يضيق الكلام عن ذكرها ، تدل في جملتها على منافاة هذا الحديث ومعارضته ومن ثم فإن أهل الصفة لو وجدوا من أسباب الحياة ما يغنيهم كسائر الصحابة ما كانوا أهل الصفة ، فهم لم يخيروا فاختراروا ، ولكن اضطروا فسلموا وصاروا مؤمنين بالقدر ، وعلى ذلك فإن قياس حال الصوفية على حال أهل الصفة قياس مع الفارق ، ولذا لجأ بعضهم إلى نسبة أخرى فنسب التصوف إلى الصف الأول .

. رد التصوف إلى الصف الأول ومناقشته :

يقول أبو بكر الكلاباذي : ( وقال قوم إنما سموا صوفية ، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل ، بارتفاع هممهم إليه ، وإقبالهم عليه ، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه ) ( [3] ) .  
من جهة اللغة لا يصح نسبة التصوف إلى الصف الأول ، لأنه لو صح لقليل : صَقِيَ كما لا يصح من جهة الوصف ، فالصوفية ليس كما ذكر الكلاباذي أنهم بين يدي الله عز وجل في الصف الأول هممهم مرتفعة إليه ، وإقبالهم متزايد عليه واقفون بسرائرهم بين يديه ، بل الواقع يخالف ذلك ، وأدلة البحث تفنده ، فالسراج الطوسي صاحب أقدم المراجع الصوفية ، وأكبرها وأوثقها —

[4] . أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي كِتَابِ الزَّكَاةِ ( [5] ) [6] .

[7] . التعرف ص [8] .

وأغزرها مادة ، وأنقأها جوهرًا ولفظًا ، ومن مادته الخصبه اقتبس كافة من أرخ للتصوف ( [9] ) ، نجد أنه يصرح بلا لبس أو غموض ، أن الصوفية ليس من آدابهم المحافظة على الصف الأول ، كما هو مذكور عند الكلاباذي ، فيقول السراج الطوسي في وصف آدابهم في الصلاة :

( ومن آدابهم أيضا أنهم يكرهون الإمامة ، والصلاة في الصف الأول ، بمكة وغيرها

ويكرهون التطويل ، أما الإمامة فلو أن أحدهم يحفظ القرآن ، فإنهم يختارون الصلاة خلف من يحسن أن يقرأ الحمد وسورة أخرى ، وأما ترك الصلاة في الصف الأول ، فإنهم يريدون بذلك ألا يزاحموا الناس ويضيقوا عليهم ، لأن الناس يزدحمون ويطلبون الصف الأول ( ١١٠ ) .  
والعلة في ذلك - والتي لم يصرح بها - أن الناس إنما يزدحمون على الصف الأول ، بدافع الرغبة في تحصيل الأجر الذي أعده الله للمصلين ، عملا بقوله **ع**: " لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْبَدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهَا وَلَوْ حَبَوًّا " ( ١١١ ) وقد تقدم أن أغلب الصوفية في عبادتهم أحرار من التجارة وانتظار العوض والبديل ، وقد سبق قول أبي يزيد البسطامي (ت: ١١٢ هـ) : ( الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة وأهل المحبة محبوبون

١١٠ . انظر مقدمة اللمع للدكتور عبد الحلیم محمود ص ١١٠ .

١١١ . اللمع ص ١١١ .

١١٢ . أخرجه البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي كِتَابِ الْأَذَانِ ( ١١٢ ) / ١١٢ .

بمحببتهم ( ١١٣ ) ، وهذا الكلام شاع بين الصوفية قبل أبي نصر السراج الطوسي (ت: ١١٤ هـ) بقرنين تقريبا ، عندما اشتهر بينهم قول رابعة العدوية ، من نساء الصوفية (ت: ١١٥ هـ) : ( ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا في جنتك ، ولكن حبا لذاتك ) ( ١١٦ ) .

وقد ثبت في السنة ، أن رسول الله **ع** بين الغايه من محصول أفعاله ، وأنها تدور حول طلب الجنة ، والنجاة من عذاب النار ، دل على ذلك ما ذكره معاذ بن رفاعة الأنصاري **ط** ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ ، يُقَالُ لَهُ : سَلِيمٌ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ **ع** ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يَأْتِينَا بَعْدَمَا نَنَامُ وَنَكُونُ فِي أَعْمَالِنَا بِالنَّهَارِ ، فَيُنَادِي بِالصَّلَاةِ ، فَنُخْرِجُ إِلَيْهِ فَيُطَوِّلُ عَلَيْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ع** : يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ، لَا تَكُنْ فَتَانًا ، إِمَّا أَنْ تُصَلِّيَ مَعِيَ ، وَإِمَّا أَنْ تُخْفَفَ عَلَى قَوْمِكَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا سَلِيمُ ، مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ؟ قَالَ : إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ ، وَاللَّهِ مَا أَحْسِنُ دُنْدَنْتَكَ ، وَلَا دُنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ع** وَهَلْ تَصِيرُ دُنْدَنْتِي وَدُنْدَنَتُهُ مُعَاذٍ ، إِلَّا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذَ بِهِ مِنَ النَّارِ " ( ١١٧ ) .

وإذا كان هذا حال الصوفية أنهم لا يطمعون في ثواب الصف الأول ، فكيف —

طبقات الصوفية ص ١٠٠ ، والتعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٠ ،  
.

. صفة الصفة ، /

. أخرجه ابن ماجه في كتاب الإقامة ( ) ، وقال الشيخ الألباني : صحيح  
/ وأحمد في المسند ( ) واللفظ له .

يقال : إنهم سموا صوفية ، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل ، إن هذه النسبة  
يمكن أن تصح إذا بلغ من حرص الصوفي مثلا ، أن يهادى به بين الرجلين حتى يقام في  
الصف ، كما هو شأن الصحابة ، أو كما ذكر عبد الله بن مسعود : " وَلَقَدْ كَانَ  
الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ " ( ) ، وقد كان رسول الله ﷺ  
يسأل عن المتخلفين عن الصلاة في جماعة ، وكيف تركوا الصف الأول دون شهوده ، فقال  
أبي بن كعب : " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الصُّبْحِ ، فَقَالَ : أَشَاهِدُ فُلَانٌ ؟ قَالُوا : لَا ،  
قَالَ : أَشَاهِدُ فُلَانٌ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُتَأَفِّفِينَ ،  
وَلَوْ تَعَلَّمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَيْتُمُوهَا وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الرَّكْبِ ، وَإِنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ  
صَفِّ الْمَلَائِكَةِ ، وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لَابْتَدَرْتُمُوهُ " ( ) .

فكيف يتفق هذا مع قول السراج الطوسي : ( ومن آدابهم ، أنهم يكرهون الصلاة في  
الصف الأول بمكة وغيرها ) ؟ ، أو يصح قول أبي بكر الكلاباذي في تبرير بعضهم لنسبة  
التصوف : ( إنما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل ) .

فالمسألة في رد التصوف إلى الصوف أو الصفاء والصفوة أو أهل الصفة أو الصف الأول ،

تفتقر إلى وجه صريح ، وتبرير صحيح يعتمد على الأصول —

. أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ( ) / .

. أخرجه النسائي في كتاب الإمامة ( ) وحسنه الألباني / .

القرآنية والنبوية ، ومن ثم لجأ كثير من المحققين إلى جعل النسبة علما بلا اشتقاق معروف  
، واعتبروه اسما بلا وصف أو علما على ذات التصوف ، دون البحث عن مضمون الاسم أو  
محتواه ، وهؤلاء عندي أقرب إلى الصواب فالتصوف لا أصل له في الأصول القرآنية والنبوية ،  
يمكن أن يدعو إليه أو يرد عليه ، يقول القشيري ( ت : : هـ ) : ( ثم هذه التسمية  
غلبت على هذه الطائفة ، فيقال : رجل صوفي وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك

يقال له متصوف ، وللجماعة متصوفة ( ) ، ثم علل ذلك بأنه لا يشهد للتسمية من حيث العربية ، قياس ولا اشتقاق فالأظهر أنه كاللقب ، فالذين قالوا : إنه من الصوف ولبسه فذلك وجه ، ولكنهم لا يختصون بلبس الصوف ، والذين قالوا : يرد إلى الصفة التي في مسجد رسول الله ﷺ ، فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفي ، ومن قال : إنه من الصف الأول بعيد أيضا في مقتضى اللغة ( ) .

وقد أفرد السراج الطوسي بابا سماه : ( الرد على من زعم أن الصوفية قوم جهلة ، وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والأثر ) ( ) .

ولكنه لم يورد دليلا واحدا في مستوى أدلة أصحاب الحديث والفقهاء وعلوم القرآن والتوحيد ، في استدلالهم على نسبة علمهم بالأصول القرآنية أو النبوية —

الرسالة القشيرية / ( ) .

السابق / ( ) ، ( ) .

اللمع ص ( ) .

بل ما ذكره لا يميز الصوفية بشئ ينفردون به عن أصحاب الطوائف الأخرى صحيح ، كما ذكر السراج الطوسي ، أنه لا خلاف بين أئمة المسلمين أن الله تبارك وتعالى ، ذكر في كتابه الصادقين والصادقات ، والقانتين والقانتات والخاشعين والخاشعات ، والموقنين والمخلصين والخائفين ، والراجين والوجلين والعابدين والصابرين والراضين ، والمتوكلين والمخبتين ، والأولياء والمتقين والمصطفين والأبرار والمقربين ( ) .

ولكن ذلك عام في المسلمين أصحاب الدرجات العليا من التقوى ، والقول بأن الصوفية ينفردون بهذه الأوصاف دون غيرهم ، تنقيص لشأن الآخرين فهذه الأوصاف أولى بها الخالص من المحدثين والفقهاء ، وأهل التوحيد والتفسير وعلوم اللغة والقرآن ، وغير ذلك من أصناف المسلمين القائمين على خدمة دينهم الداعين إلى الله عز وجل ، أو على الأقل يشاركون الصوفية في هذه الصفات والخلاق الكريمة .

السابق ص ( ) .

\*\*\*\*\*

## 1- الأبد

\*\*\*\*\*

- الأبد : عبارة عن مدة الزمان الممتد الذى لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان وذلك أنه يقال : زمان كذا ، ولا يقال : أبد كذا (1) ، قال تعالى :  
{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } [التوبة/84]  
، وقال سبحانه : { وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْفَاسِقُونَ } [النور/4] ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن  
النبى ؑ قال فى صيام الأبد : " لا صام من صام الأبد مرتين " (2) ،  
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ، سمعت رسول الله ؑ يقول : " من  
صور صورة ، فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها  
أبدا " (3) .

وجميع ما ورد فى القرآن والسنة من لفظ الأبد ، فإنه يعنى الزمان  
الممتد ، أو الدائم الذى لا ينقطع ، سواء فى الدنيا كما سبق ، أو فى  
الآخرة ، كقوله تعالى : { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } [البينة/8] .

---

1. انظر فى بيان المعانى اللغوية ، المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص8 ولسان العرب  
لابن منظور 68/3 ، والقاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى 337/1 ، والتوقيف على  
مهمات التعاريف لعبد الرؤوف المناوى 91/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم 260/4 (1977) .

3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع 85/4 (2225) .

## - الأبد في الاصطلاح الصوفي :

الأبد في اصطلاح الصوفية ، هو ما لا نهاية له ، أو ما ليس له آخر (1) ، وهو اصطلاح قرآني في لفظه ومعناه ، ومن أَلْفِظ الصوفية الدالة على ذلك ، ما روى عن أبي بكر الواسطي (ت: بعد 320هـ) أنه سئل عن الأبد فقال : ( إشارة إلى ترك انقطاع في العدد ، ومحو الأوقات في السرمذ ) (2) ، والأبدية ثابتة عندهم على معنيين :

1- نعت من نعوت الله تعالى : كما ذكر السراج الطوسي (ت: 387هـ) والفرق بين الأزلية والأبدية ، أن الأزلية لا بداية لها ولا أولية ، والأبدية لا نهاية لها ولا آخية (3) ، وعن عمرو بن عثمان المكي (ت: 291هـ) ، قال : ( سبحان الصمد ، القديم في أزل ، لم يزل في سرمذ الأبد ) (4) .

2- أبدية أهل الخلدن : قال عبد الله بن خفيف (ت: 371هـ) : ( ويعتقدون أن نعيم أهل الجنة ، باق مع بقاء الله تعالى ، وعذاب أهل الكفر باق ، مع بقاء الله تعالى ) (5) ، فإذا كانت الأبدية من نعوت الله التي ينفرد بها ، فإن ذلك —

1. انظر كشف المحجوب ص 468 وانظر كشف اصطلاحات الفنون 152/3 .

2. اللمع ص 441 .

3. السابق ص 441 .

4. السابق ص 441 .

5. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص 356 .

لا يمنع اتصاف أهل الخلدن بالأبدية ، لأن أبديتهم باقية بإبقاء الله لها فهي متعلقة بمشيئته ، أما أبديته سبحانه فهي باقية ببقاء الله ، ويروى عن أبي القاسم النصرباذى (ت:367هـ) أنه قال :

( الجنة باقية بإبقائه ، وذكره ورحمته ومحبه لك باق ببقائه ، فستان بين ما هو باق ببقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه ) (1) ، ويعقب القشيري (ت:465هـ) على قوله ، بأن هذا المعتقد ، هو غاية التحقيق عند الصوفية ، فإن أهل الحق قالوا : صفات ذات القديم سبحانه وتعالى باقيات ببقائه تعالى (2) .

---

1. الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري 42/1 ، وجدير بالذكر ، أن مفهوم الأبدية أثار جدلا كبيرا بين فرق الإسلام وطائفة المعتزلة على وجه الخصوص ، حتى فهمها البعض بطول الأمد ، وليس البقاء اللانهائي ، كما هو اعتقاد الصوفية في هذه الجزئية حيث يتفقون مع السلف الصالح ، وكلام النصرباذى ، من أجود ما قيل في تقديم الحل المقنع ، والنابع من الأصول القرآنية لهذه المسألة ، إذ أنه فرق بوضوح بين بقاء صفات الذات وبقاء ما وجد بصفات الفعل ، كالجنة والنار ، ومن ثم ينفرد الله بوصف الأبدية ودوام البقاء ، انظر مقالات الإسلاميين 53/2 ، وما ذكره الشيخ عبد الله بن خفيف في سيرته عن اعتقاد الصوفية في هذه المسألة ص356 ، وانظر أيضا ، الاعتبار ببقاء الجنة والنار في الرد على ابن تيمية وابن القيم القائلين بفناء النار تحقيق الدكتور طه الدسوقي حبيشى ، ص32 وما بعدها وقارن .

2. السابق 42/1 .

\*\*\*\*\*

## 2- الاتصال

\*\*\*\*\*

- **الاتصال** : ارتباط الأشياء بعضها ببعض ، كاتحاد طرفي الدائرة ،  
ويضاده الانفصال ، ويستعمل الوصل على نوعين (1) :  
(1- الاتصال في الأعيان ، كقوله تعالى : { فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا  
تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } [هود/70] ، ونحو حديث أسماء رضي الله عنها ،  
قالت : " سألت امرأة النبي ؑ فقالت : يا رسول الله ، إن ابنتي  
أصابتها الحصبة فامرق شعرها وإني زوجتها ، أفأصل فيه ؟ فقال :  
لعن الله الواصلة والموصولة " (2) .

(2- الاتصال في المعاني ، وهو الشاهد لمصطلح الاتصال ، كقوله  
عز وجل : { وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [القصص/51] أى  
أكثرنا لهم القول موصولا بعضه ببعض ، وقالت خديجة رضي الله  
عنها لرسول الله ؑ : " والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ،  
وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على  
نوائب الحق " (3) ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، أن النبي  
ؑ واصل ، فواصل الناس فشق عليهم ، فنهاهم ، قالوا : —

1. المفردات ص 525 ، لسان العرب مادة (وصل) 726/11 بتصرف .

2. أخرجه البخارى في كتاب اللباس 391/10 (5941) .

3. أخرجه البخارى في كتاب بدء الوحي 37/1 (4) .

إنك تواصل ؟ قال : " لست كهيتكم إني أظل أطمع وأسقى " (1) .



والوصيلة أطلقت على ما تعارف عليه أهل الجاهلية ، أن أحدهم كان إذا ولدت له شاته ذكرا أو أنثى ، قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبجون أخاها من أجلها ، وهو ما عناه الحق في قوله تعالى : { مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ } [المائدة/103] (2) ، وقال أبو هريرة ر : " الوصيلة الناقة البكر ، تبكر في أول نتاج الإبل ، ثم تثني بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ، إن وصلت إحداها بالأخرى ليس بينهما ذكر " (3) .

#### - الاتصال في الاصطلاح الصوفى :

ومصطلح الاتصال في عرف الصوفية أو الواصل ، موضوع على معنى تجيذه الأصول القرآنية والنبوية ، وإن لم يرد اللفظ في القرآن والسنة على المعنى الصوفى ، فالواصل عندهم ، هو من كان على صلة بربه ، فلا يرى بسره معنى التعظيم غيره ، ولا يسمع الأمر إلا منه (4) ، وهذا معنى شرعى محمود ، ثابت بمجمل الأصول الداعية إلى صلة العبد بربه .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم (1922) 211/4 .

2. فتح البارى شرح صحيح البخارى 134/8 .

3. البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4623) 132/8 .

4. التعرف ص108 ، وقارن مع ما ذكره عبد الله الأنصارى الهروى فى كتابه منازل السائرين ، وتقسيمة الاتصال إلى ثلاث درجات ، انظر منازل السائرين ، طبعة دار الكتب العلمية سنة 1988م ص122 وما بعدها .

وروى عن يحيى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أنه قال عن الواصل : ( من لم يعم عينه عن النظر إلى ما تحت العرش ، لم يصل إلى ما فوق العرش ) (1) .

يعنى لم يلحق ما فاته من مراقبة الذى خلق العرش ، وكلامه يدل على الدعوة إلى التعلق بالله ، وترك ما سواه ومثله وعن أبى يزيد البسطامى (ت:261هـ) قال : ( الواصلون فى ثلاثة أحرف ، همهم فى الله وشغلهم فى الله ، ورجوعهم إلى الله ) (2) ، وينسب إلى أبى بكر الشبلبى (ت:334هـ) أنه قال فى إظهار معنى التواضع لمن جاهد فى الوصول إلى الإيمان بربه ، من خلال المراقبة والصدق مع الله : ( من زعم أنه واصل ، فليس له حاصل ، وسبب الحرمان من الوصول والاتصال ، انعدام المراقبة ) (3) ، وروى أيضا عن عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) أنه قال : ( الواصل ، من اتصل بمحبوبه دون كل شئ سواه وغاب عن كل شئ سواه ) (4) ، ويذكر الكلاباذى (ت:380هـ) فى معنى الاتصال عند الصوفية ، أن ينفصل العبد بسره عما سوى الله (5) .

ويرون كما سبق أن الاتصال يوجب الافتقار فيه ، فلا يظن العبد أنه قد وصل وإلا فليتقين أنه انفصل (6) .

والاتصال بالمعنى الصوفي ، وإن كان قائما في بدايته على أصول القرآن والسنة التي دعت إلى دوام مراقبة الله عز وجل ، ومتانة الصلة بين العبد وربّه ، وأداء —

1. اللمع للسراج الطوسي ص433 .
2. عوارف المعارف للسهروردي ص 516 .
3. اللمع ص433 .
4. طبقات الصوفية للسلمي ص466 .
5. التعرف ص108 .
6. اللمع ص433 .

العبودية لله على وجه الكمال ، إلا أنه أخذ بمعنى آخر ، فعند الحلاج ، الاتصال يؤدي إلى مفارقة الشريعة ، واعتقادها هوسا كما قال : ( اعلم أن العبد قائم على بساط الشريعة ما لم يصل إلى التوحيد ، فإذا وصل إليه سقطت من عينه وصارت عنده هوسا ) (1) ، والاتصال عند ابن عربي وتلاميذ مدرسته أخذ على معنى ملاحظة العبد عينه ، متصلا بالوجود الأحدي ، بقطع النظر عن تقيده وجوده بعينه وإسقاط إضافته إليه ، فيرى اتصال مدد الوجود ونفس الرحمن إليه على الدوام بلا انقطاع ، حتى يبقى موجودا به (2) ، ويرى عبد الكريم الجيلي أن الاتصال في دوام الوصلة بلا انقطاع ، ولا فتور حيث تتواتر تجليات الحق تعالى على العبد في هذا المشهد ، من غير رجوع إلى النفس فالوصال هو لحوق العبد بالله تعالى (3) .

- 
1. أخبار الحلاج نشرة لويس ماسينيون وبول كراوس ص55 .
  2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص50 ، وانظر لطائف الأعلام في الكشف عن مصطلح اتصال الوجود ، واتصال الانفصال 1/165 ، وقارن أيضا بين مصطلح اتصال الشهود في اللطائف

الموضع السابق ، وما ذكره عبد الكريم الجيلي في كتابه المناظر الإلهية عن مصطلح التمكين ص 119 ، وانظر جامع الأصول للكمشخانوى أحمد ضياء الدين طبعة دار الكتب العربية سنة 1331هـ ص 59 ، ص 66 في المقارنة بمصطلح القرب والخلة .

3. المناظر الإلهية ص 160 ، لاحظ معنى وحدة الوجود ، الذى يتبدى فى ثنايا كلام الجيلي إذ يعتبر الوصال ، آفة مشعرة بالغرية والاثنية ، والأمر منزعه عنده عن ذلك فالواصل محبوب عن الوحدة ، إذ لا وصول لأنه لا فراق ولذا يقول : ( واعلم أن =

\*\*\*\*\*

### 3- الإحسان

\*\*\*\*\*

- الإحسان : ضد الإساءة ، والحسن كل مبهج مرغوب فيه ، والإحسان يقال على وجهين (1) :

أحدهما : الإنعام على الغير ، كقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ } [النحل/90] ، وقوله سبحانه : { وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [القصص/77] ، وكقوله ع من حديث بن عباس ؓ : " أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء ، يكفرن ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم رأت منك شيئا ، قالت ما رأيت منك خيرا قط ) (2) .

الثاني : الإحسان فى الفعل ، وذلك إذا علم علما حسنا ، أو عمل عملا حسنا كقوله تعالى : { وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } [القصص/77] ، وقوله : { الَّذِي —

= الوصال المعبر عنه بتواتر التجليات الحقية ، لا يكون إلا في حق الضعفاء المحجوبين وأما الكامل ، فإن ذاته منزهة عن تجلى صفات الغير عليها ، بل هو المتجلى في ذاته بصفاته فالفصال أعلى من الوصال ، لأن الحق إذا فصلك عن تجلياته أبقاك بذاته ) ، انظر المناظر الإلهية ص 161 .

1. المفردات ص 119 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الإيمان (29) 104/1 .

أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ { [السجدة/7] ،  
ومنه قوله ع من حديث شداد بن أوس ط : " إن الله كتب الإحسان  
على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا  
الذبح ، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته " (1) .

وللإحسان معنى اصطلاحى شرعى ، وضع على درجة يبلغها  
العبد أعلى من درجة الإيمان ، كما نص على ذلك القرآن في قوله  
تعالى :

{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا  
مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا  
وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة/93] ، ففرق الله بين التقوى  
المبنية على درجة الإيمان والتقوى المبنية على درجة الإحسان ، وقد  
حدد النبي ع للإحسان معنى دوام المراقبة لله ، فى الأقوال والأفعال  
الظاهرة والباطنة ، فقال أبو هريرة ط : " كان النبي ع بارزا يوما للناس  
، فأتاه جبريل فقال : ما الإحسان ؟ ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه  
، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (2) .

## - الإحسان فى الاصطلاح الصوفى :

والإحسان فى اصطلاح الصوفية ، هو تهذيب القصد بعلم الشريعة والطريقة فىكون قصده مطابقا للأمر ، مبرأ عن شوب الرياء والغرض ، وإحكامه بالجزم —

1. أخرجه مسلم فى كتاب الصيد والذبائح (1955) 1548/3 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (50) 140/1 .

وتوطىن النفس على ثبات العزم ، وعدم الفتور فيه ، وتصفيته عن النظر إلى غير المقصود بشهود المعبود ، وعدم الالتفات إلى الغير ولو نفسه ، فيعبد الله معتقدا أنه بمرأى من الله متوجها إليه كأنه يراه بقلبه (1) ، وهذا المعنى إلى هذا الحد قرآنى خالص يدل عليه الأصل النبوى ، الوارد فى حديث جبريل السابق ، إذ جعله الرسول ع أعلى درجات الدين بعد الإسلام الإيمان ، ويؤكد السراج الطوسى (ت:387هـ) ، أن معنى الإحسان الوارد فى الحديث ، هو المعنى عند الصوفية وأن معنى قوله : أن تعبد الله كأنك تراه ، يكون بدوام المراقبة والمشاهدة بالإيمان واليقين ، وينكر على من قال بخلاف ذلك ، يقول : ( بلغنى عن جماعة من أهل الشام ، أنهم يدعون الرؤية بالقلوب فى دار الدنيا ، كالرؤية بالعيان فى دار الآخرة ، ولم أر أحدا منهم ، ولا بلغنى عن إنسان ، أنه رأى منهم رجلا له محصول ) (2) ، ثم يبين أن الصوفية أشاروا برؤية القلوب ، إلى التصديق والمشاهدة بالإيمان وحقيقة

اليقين ، وأنه ينبغي أن يعلم العبد أن كل شئ رآته العيون في الدنيا من الأنوار ، أن ذلك مخلوق ، ليس بينه وبين الله تعالى شبه ، وليس ذلك صفة من صفات الله ، بل جميع ذلك مخلوق (3) .

ويذكر الكاشاني (ت:735هـ) للإحسان في عرف الصوفية ، معنى مغايرا للمعنى السابق البسيط ، ينبثق من مدرسة وحدة الوجود ، فالإحسان عندهم —

1. معجم اصطلاحات الكاشاني ص 286 .

2. اللع 544 .

3. السابق 545 .

يدل على رؤية الرب نفسه في عبده ، ورؤية العبد نفسه في ربه ، كالمرآة يرى الناظر فيها نفسه ، والمحسن هو الذى يرى الحق موصوفا بصفات العبد ، فيراه العبد وراء حجب صفاته بعين صفاته ، لأنه فى عين اليقين ، فلا يرى الحقيقة بالحقيقة ، لأنه تعالى هو الرأى وصفه بوصفه (1) .

يقول الكاشاني : إنما يكون الرأى هو الحق ، ولا يكون للعبد أثر حيث يبسلبه آثار أوصافه عنه بأوصافه ، بأنه الفاعل فيه منه لا هو ، وإذا استحال أن ترى شيئا سواه غير قائم به ، فالكل تعيناته ، فلا شئ يوصف مما سواه ، بأنه عينه أو أنه غيره (2) ، فنقلوا المعنى من رؤية المراقبة ، إلى رؤية الله متعينا فى جميع الأشياء (3) .

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص53 ، وكلام الكاشاني فيه إجحاف وتنقيص لحق أوائل الصوفية ، حيث عمم الاصطلاح على الكل ، لأن معنى الإحسان عندهم يتوافق مع الأصول القرآنية والنبوية ، بل انكروا على من قال بخلافه كما حكى ذلك السراج الطوسي فيما تقدم .

2. مثل المرأة من الأمثلة المتكررة للتعبير عن فلسفة وحدة الوجود ، وفكرته أن الله خلق العالم كمرآة يرى فيها نفسه حتى يعرف ، لأن من يرى نفسه بمראה ، أكمل ممن يراها بغيرها فالإنسان والعالم عند أصحاب الوحدة ، صورة للحق حقيقة لا خيال ، كما أن صورة المرأة حقيقة معبرة عن ذات المرء ، وعلى ذلك فإن الله يرى نفسه في الكافر والمؤمن وصاحب الوحدة يرى الكافر ربا والمؤمن كذلك ، ويرى الصوفي نفسه ربا باعتبار ظهر الحق فيه وهكذا تبدو هذه الزندقة ، قارن فصوص الحكم ص11:15 .

3. لطائف الإعلام 178/1 ، وانظر السابق ص53 .

\*\*\*\*\*

## 4- الإخبات

\*\*\*\*\*

- **الإخبات** : الخبت المتسع المطمئن من بطن الأرض ، وأخبت الرجل ، قصد الخبت أو نزله ، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع ، قال تعالى : { فَأِيَّاهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } [الحج/34] أى المتواضعين وقال أيضا : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [هود/23] (1) .

والإخبات فى قوله تعالى : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [الحج/54] ، معناه أن القلوب تلين وتخضع ونرى معنى آخر يتسم بالتعقيد الذى لا يوجد



عند الأوائل ، ويخرج من المدرسة السابقة ، يذكره الجيلي  
(ت:829هـ) ، فيقول : ( الإحسان أن يتحد البصر بالبصيرة ،  
فيشهدك الحق تعالى أنوار عظمته ساطعة على الوجود ، فيأخذك  
الصعق ، فحينئذ تبدو عليك شمس الجلال .. فتشهدها ببصيرتك  
كأنك ، ناظر إليها بالبصر لاتحادها بقوة أحدية نور اليقين ) (2) .

---

1. المناظر الإلهية ص181 ، ويرى الجيلي أن الإحسان على المعنى الذى ذكره هو ، فيه آفة معيبة ،  
وهو معنى اتحاد البصر بالبصيرة ، لأن ذلك حجاب ، والشيطان لا يصيرا شيئا واحدا إلا فى المجاز ،  
المرجع نفسه ص181 .

2. لسان العرب 27/2 ، القاموس المحيط 54/1 .

وتخشع وهو قريب من الهبوط فى قوله : { وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ  
خَشْيَةِ اللَّهِ } [البقرة/74] (1) ، ومن دعاء النبي ﷺ عن ابن عباس : " رب  
اجعلني لك ، شكارا لك ، ذكارا لك ، رهابا لك ، مطواعا لك ،  
محبنا إليك ، أوها منيبا " (2) .

### - الإخبات فى العرف الصوفى :

الإخبات فى العرف الصوفى يعنى السكون إلى الله تعالى ، كما ورد  
فى قوله : { وَأَخْبِتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ } ، أى سكنوا إليه واطمئنوا (3) ، ومما  
ذكر لهم فى الإخبات قول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) وهو يعدد  
أوصاف القلب ، وأعمال القلوب ، ويجعل الإخبات محله القلب :

( القلب هو معدن التقوى ، والسكينة والوجل ، والإخبات واللين والاطمأنينة والخشوع ، والتمحيص والطهارة ) (4) ، واستدل لذلك بالآية : { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [الحج/54] (5) .

1. انظر المفردات ص141.
2. أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الدعوات 554/5 (3551) وقال : حديث حسن وأبو داود 83/2 (1510) وأحمد فى المسند 227/1 (1997) .
3. لطائف الإعلام 180Y181/1 .
4. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص54 ، وانظر فى التعرف على موقع القلب وأعمال القلوب ، موقف الصوفية من العقل حتى نهاية القرن الرابع الهجرى رسالة ماجستير ، د/محمد عبد الله الشرفاوى ، دار العلوم جامعة القاهرة 268 سنة 1978 م .
5. السابق ص54 .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) الإخبات ، على المعنى الوارد فى الأصول القرآنية ، ويفسره باستدامة الطاعة بشرط الاستقامة وبقدر الاستطاعة ، ومن أمارات الإخبات ، كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع ، وذلك يكون بإطراق السريرة ، ويستشهد لذلك بقوله تعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } [الحج/34] (1) ، ويعرفه مرة أخرى بأنه التخشع لله بالقلب بدوام الانكسار ، ومن علامته الذبول تحت جريان المقادير بدوام الاستغاثة بالسر لقوله تعالى

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [هود/23] (2) .

وينصف الكاشاني (ت:735هـ) ، عنما يجعل الإخبات عند الصوفية على أنواع (3) ، وإن كان ذلك معبرا عن تطور المعنى الدلالي للمصطلح عبر مراحل التصوف المختلفة ، وهى فى أغلبها متوافقة مع الأصول القرآنية ، فذكر منها :

1- إخبات العوام : وهو سكون النفس إلى الرجوع عن المخالفات ، وهو سكون البدايات .

2- إخبات المتوسطين : وهو الخلاص من تردد الخواطر ، بين الإقبال إلى الله والإدبار عنه ، والدوام على الحضور والخدمة .

---

1. لطائف الإشارات 542/2 ، وانظر حقائق التفسير للسلمى 360/1 وقارن .

2. السابق 130/2 .

3. معجم الكاشاني ص 214 .

3- إخبات الخواص : وهو أن يكون الإنسان ممن يستوى عنده المدح والذم مع لائمه لنفسه ، وعماه عن نقصان الخلق عن درجته ، لإقامته على دوام العذل لنفسه والعدر لغيره .

4- إخبات البالغين : وهو إخبات من انقطع عن نفسه ، فضلا عن باقى الخلق لاستغراقه فى حضرة الحق (1) .

وهذا التقسيم فضلا عن كونه يفتقر إلى الدليل ، إلا أن إخبارات  
البالغين مخالف للأصول القرآنية ، لكونه يخرج من مشكاة الفناء  
الحلولى .

\*\*\*\*\*

## 5- الاختيار

\*\*\*\*\*

- الاختيار : طلب ما هو خير وفعله ، قال تعالى : { وَمَا تُقَدِّمُوا  
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا } [المزمل/20] (2)

والاختيار يقال لكل فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه ،  
كقوله تعالى : { وَفَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ } [الواقعة/20] ، وكما روى عن  
عبد الله بن عمر رضي

---

1. السابق ص214 .

2. المفردات ص161 ، وانظر الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك  
بن مالك الطائي الجياني ، تحقيق دكتور محمد حسن عواد ، دار الجيل ، بيروت سنة 1411هـ ،  
ص255 .

الله عنهما ، قال : " قسم عمر خيبر ، فخير أزواج النبي ع ، أن  
يقطع هن من الماء والأرض ، أو يمضي هن ، فمنهن من اختار

الأرض ، ومنهن من اختار الوسق ، وكانت عائشة اختارت الأرض  
" (1) .

والاختيار قد يقال لما يراه الإنسان خيرا وإن لم يكن خيرا ، كقول  
الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ  
فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }  
[الجمعة/9] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن عبد الله بن أبي بن  
سلول لما توفي ، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال : " يا رسول الله ،  
أعطني قميصك أكفنه فيه ، وصل عليه واستغفر له فأعطاه النبي ﷺ  
قميصه ، فقال : آذني أصلي عليه فأذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه  
جذبه عمر ، فقال : أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين ،  
فقال : أنا بين خيرتين ، قال : { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ  
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } [التوبة/80] ، فصلى عليه  
فنزلت : { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ }  
[التوبة/84] (2) .

والخيرة : الحالة التي تحصل للمستخير والمختار ، كقوله تعالى : {  
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ  
الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } [الأحزاب/36] ، وكقوله سبحانه : { وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا  
يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ } [القصص/68] ، وعن أبي سعيد الخدري  
، قال : " خطب النبي ﷺ —

1. البخارى فى كتاب المزارعة (2328) 14/5 .

2. البخارى فى كتاب الجنائز (1269) 165/4 .

فقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله ، فبكى أبو بكر الصديق ؓ ، فقلت فى نفسي : ما يبكي هذا الشيخ ، إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا ، وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله ؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا " (1)

والاستخارة : طلب الخير والتوجيه إليه ، وقد روى عن جابر بن عبد الله ؓ قال : " كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي ، فى ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي ، فى ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم أرضني ، قال : ويسمي حاجته " (2)

- الاختيار فى الاصطلاح الصوفى :

والاختيار فى الاصطلاح الصوفى ىرد على معنن ، أحدهما له  
أصول قرآنية ونبوية ، والثانى لا أصل له :

1. أخرجہ البخارى فى كتاب الصلاة (466) 665/7.

2. أخرجہ البخارى فى كتاب الجمعة (1166) 58/4 .

الأول : الاختيار الذى يعنى اختيار العبد لما أرادہ الله شرعا ،  
فليس للعبد إرادة مخالفة لإرادة الله الشرعية ، وللصوفية فى هذا المعنى  
، ما روى عن يحيى بن معاذ (ت:258هـ) أنه قال : ( ما دام العبد  
يتعرف يقال له لا تختار ، فإنك لست بأمين فى اختيارك حتى تعرف ،  
فإذا عرفت ، يقال له : إن شئت فاختر وإن شئت فلا تختار ، فإنك  
إن اخترت فبنا ، فيما تختار وفيما لا تختار ) (1) .

والمعنى : ما دام العبد فى طريق المعرفة بالله ، فهو مأمور أن يختار  
اختيار الله له بالمجاهدة فى اتباع الشرع ، ومن ثم إذا داوم على ذلك  
سوف تتكيف إرادته على مراد الله واختياره ، وعند ذلك يسمع  
بسمع الله ، ويرى بنور الله ، فأى شئ يختاره وقتها ، سيكون اختيارا  
من الله ، لأنه صديق يدور فى دائرة المجال الشرعى والكونى معا ، أو  
بمعنى آخر تتفق إرادة العبد ، مع الإرادة الشرعية والكونية معا ،  
وهذا المعنى يشهد له أيضا ، ما روى عن أبى يزيد البسطامى  
(ت:261هـ) لما سئل من هو الأمير ؟ ، فقال : ( من لم يبق له

اختيار وصار اختيار الحق له اختياراً (2) ، وقوله أيضاً لما سئل ماذا تريد ؟ ، قال : ( أريد ألا أريد ) (3) ، فالاختيار في اصطلاح الأوائل منهم ، إشارة إلى ما يختاره الله —

1. اللمع ص 429 وانظر نواذر الأصول للترمذى ص 89 وما بعدها حيث يبين أن اختيار العبد الذي يعود عليه بالخير يكون في اختيار الله له وانظر ختم الأولياء ص 279 .
2. كشف المحجوب ص 470 ، وانظر في تفصيل كلام أبي يزيد مفهوم الحرية عند صوفية القرنين الثالث والرابع ، رسالة ماجستير للمؤلف ، كلية دار العلوم (824) 1995م ص 240 .
3. الرسالة 473/2 ، وانظر قوت القلوب للمقارنة بكلام المكي 128/1 .

للعبد في دنياه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، والعبد يختار ذلك بعناية الله له ، حتى يختار باختيار الله له ، لا باختيار نفسه (1) ، وهذا العبد الذي يختار اختيار الله الشرعى على الدوام ، يجتمع فيه نوعان من اختيار الله ، الأول هو الاختيار الشرعى ، والثانى هو الاختيار الكونى .

الثانى : وهو المعنى المخالف للأصول القرآنية والنبوية ويرد على وجهين :

1- اختيار الله للعبد الاختيار الكونى مع تجاهل العبد العمل بالأسباب ، وهو باب التواكل والاحتجاج بالقدر على نفى الأسباب ، ومن ذلك ما روى عن الجنيد بن محمد (ت: 297هـ) أنه أصابته الحمى فقال : يا إلهى عافنى ، فسمع من قال له فى قلبه : من أنت



حتى تتدخل في ملكي ، وتجعل لك خيرة ، إنني أدبر ملكي خيرا منك ، فاختر ما اخترت بدلا من أن تتقدم إلى باختيارك (2) .

وقد استدل الهجویری (ت:465هـ) بذلك ، على أن الاختيار عند الصوفية يعني أنهم يختاروا الحق على اختيارهم ، أى أنهم في سلبية تامة تجاه ما يتليهم به الحق من الخير والشر من صحة ومرض وغنى وفقير (3) ، ومعلوم أن ذلك مخالف للأصول القرآنية والنبوية ، فالدعاء من الأسباب العظيمة في جلب —

1. اللع ص429 ، وانظر الزيد عن هذه العلاقة في طريق المهجرتين لابن القيم ص216 .
2. كشف المحجوب ص470 وانظر في معرفة الاختيار على مستوى الفعل الإنساني سلبا أو إيجابا ، دراسات في الفكر العربي لماجد فخري ص78 وما بعدها .
3. لعل الهجویری يعني أن هذه المرحلة من الاختيار يسبقها إيجابية العبد في التزام المجاهد والاتباع وإن كان كلام الجنيد لا يسعفه ، انظر السابق ص470 .

الخير ودفع الشر ، وقد أمرنا الله به ، فقال تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر/60] ، وفي حديث أبي مالك الأشجعي ؓ ، كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات : " اللهم اغفر لي وارحمني ، واهدني وعافني وارزقني " (1) ، ومن حديث عبد الله بن أبي أوفى ؓ ، قال : " أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ، ثم قال : اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب ، وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم " (2) وعن عبد الله

بن عمر  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  أمر إذا أخذ الرجل مضجعه أن يقول :  
" اللهم خلقت نفسي وأنت توفأها لك مماتها ومحياها إن أحييتها  
فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها اللهم إني أسألك العافية " (3) .

2- المعنى الثانى للاختيار المخالف للأصول القرآنية والنبوية ، هو  
كون اختيار العبد ، عين اختيار الرب ، كما ذكره ابن عربى فى  
الفصوص عند قوله تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ  
رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [هود/56] .

قال : ( فكل ماش ، فعلى صراط الرب المستقيم ، فهو غير  
المغضوب عليهم من هذا الوجه ولا الضالين .. ، وقال تعالى :  
كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به .. فذكر أن  
هويته ، هى عين الجوارح التى هى عين العبد —

1. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء (2697) 2073/4 .

2. أخرجه البخارى فى الجهاد (2966) 140/6 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء (2712) 2083/4 .

فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة (1) ، وقد ذكر الجيلى  
(ت:829هـ) أيضا أن اختيار العبد المخلوق فىنا بالإرادة ، هو عين  
اختيار الحق وإرادته ، فإرادة العبد واختياره ، هو عين الإرادة القديمة  
(2) .

ومن ثم سواء كان العبد مؤمنا أو كافرا ، على شاكلة موسى ن أو فرعون فالجميع عند هؤلاء الصوفية على صراط مستقيم ، واختيار الجميع هو بعينه اختيار الله ، ولا شك ان ذلك هدم لدين الله ، وضياح لمعاني التكليف ، وتبديد للعلة التي خلق الله من أجلها الدنيا والآخرة .

1. فصوص الحكم ص149 وما بعدها ، وانظر أيضا لابن عربي شجرة الكون ، تحقيق رياض العبد الله ص49 وما بعدها ، ورأى ابن عربي واضح في أنه لا يفرق في الاختيار بين الخير والشر ، لا بالمعنى الشرعى ولا بالمعنى الكونى ، ويشاكله أيضا ابن سبعين حيث يرى أن الخير والشر ، لا فرق بينهما عند المحقق من حيث الحقيقة الوجودية لأن الوجود قضية واحدة ، وهو الخير المطلق ، وإنما بمحض الوهم نفرق في عالم الظواهر بين الخير والشر ، انظر ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور أبى الوفا التفتازانى ص193 ، وقارن أيضا مع رأى فريد الدين العطار في الاختيار ، انظر كتابه منطق الطير وادى العشق ص185 .

2. الإنسان الكامل 48/1 ، وانظر في مقارنة رأى ابن عربي مع الجيلى ، ومدى اختلافهما ، معجم المصطلحات الصوفية للدكتورة سعاد حكيم ص441 ، وللمقارنة بين الاختيار من الوجهة الكلامية والوجهة الفلسفية الصوفية ، انظر مشكلة الخير والشر بين المعتزلة والأشاعرة ، رسالة دكتوراة ، مخطوط بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رقم (712) سنة 1975م .

\*\*\*\*\*

## 6- الإخلاص

\*\*\*\*\*

- الإخلاص : الخالص كالصافى ، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه ، كقول الله تعالى : { نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ

مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ { [النحل/66] ، والصابى  
قد يقال لما لا شوب فيه (1) ، وفي حديث عبد الله بن عمرو ؓ ، أن  
النبي ؑ قال : " أربع من كن فيه ، كان منافقا خالصا ، ومن كانت  
فيه خصلة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها .. " (2)

وخلصوا فى قوله تعالى : { فَلَمَّا اسْتَيْسُّوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا }  
[يوسف/80] ، أى انفردوا خالصين عن غيرهم ، وإخلاص المسلمين أنهم  
أفردوا الله بعبادتهم ، لا يشركون به ، وتبرأوا مما يدعيه اليهود من  
التشبيه ، والنصارى من التثليث ، قال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا  
اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/5] ، وعن أبى هريرة ؓ ، أن رسول  
الله ؑ قال : " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله  
، خالصا من قبل نفسه " (3) ، فحقيقة الإخلاص التبرى عن —

1. المفردات ص154 ، ولسان العرب 26/7 ، والقاموس المحيط 796/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان (34) 111/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6570) 426/11 .

كل ما دون الله تعالى ، ومن دعائه ؑ ، من حديث عمار بن ياسر  
رضى الله عنه : " وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وكلمة  
الإخلاص فى الرضا والغضب " (1) ، وركب عكرمة بن أبى جهل ؓ  
البحر ، فأصابتهم عاصف فقال أصحاب السفينة : أخلصوا ،

فإن آهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لعن لم  
ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره (2) .

## - الإخلاص في الاصطلاح الصوفي :

والإخلاص في اصطلاح الصوفية ، باق في معظم أقوالهم على  
المعنى الوارد في الأصوله القرآنية والنبوية ، وكل يجتهد في شرح معناه ،  
فمن ذلك ما روى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : (   
الإخلاص يعرف بالاستقامة ) (3) وكأنه يعني ، أن دوام الاستقامة  
باعثها الإخلاص ، ولكن ذلك لا يحترز من النفاق ، فالمنافق قد  
يدعى الاستقامة في الظاهر ، وقلبه خلو من الإخلاص (4) .

---

1. أخرجه النسائي في كتاب السهو (1306) ، وقال الشيخ الألباني : صحيح 55/3 وأحمد في المسند  
(18351) 264/4 ، وابن حبان في صحيحه (1971) 304/5 .

2. أخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم (4067) وقال الألباني : صحيح 105/7 .

3. طبقات الصوفية ص183 ، وقد صرح الشعراني ، أيضاً أن المرید لا يكون صادقاً مخلصاً إلا إذا كان  
صادقاً في الاستقامة على حدود الشرع ، انظر كشف الغمة عن جميع الأمة لعبد الوهاب الشعراني ،  
طبعة الكستيلية سنة 1281هـ 10/1 ، وانظر أيضاً في هذا المعنى ، شذرات الذهب لابن العماد  
374/8 .

4. ولذا كان تعبيره ع بقوله : ( ألا إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله =

وقد بين الحارث بن أسد المحاسبي (ت:243هـ) دقائق الإخلاص  
في القول والعمل ، في مقابل الرياء ، وأفاض في ضرب الأمثلة التي  
تكشف المعاني القرآنية والنبوية وتوضحها ، يقول : ( إن الإخلاص

منزلة الأقوياء ، والخاصة من العابدين .. ووصف الله عز وجل قلوب  
المخلصين ، وأن الرياء إرادة لغير الله عز وجل فرفضه الله ، فقال : {  
إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لِيُوجِهَ اللَّهُ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا } [الإنسان/9] (1)

وروى عن أبي حفص النيسابورى (ت:270هـ) ، أنه سئل عن  
العاقل ؟ فقال : ( المطالب نفسه بالإخلاص ) (2) ، وينسب إلى  
الجنيد (ت:297هـ) :

---

= وإذا فسدت فسد الجسد كله ( تعبيرا صادقا صحيحا ، فى حديث ححيح ، رواه البخارى (52)  
153/1 ، ولكن لم يصح ما نسب إليه مما اشتهر على ألسنة الناس : ( إذا رأيتم الرجل يعتاد  
المساجد ، فاشهدوا له بالإيمان ) أخرجه الترمذى (3093) وضعفه الشيخ الألبانى 277/5.  
1. الرعاية لحقوق الله ص129، 132 ، ويعتبر كتاب الرعاية للمحاسبى من أدق ما كتب فى معرفة  
دقائق الإخلاص ، والوقوف على خطرات النفس ، وانظر أيضا للمحاسبى رسالة المسترشدين ،  
تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، طبعة مكتبة دار السلام الطبعة الرابعة ، القاهرة سنة 1982م ص113

2. طبقات الصوفية ص121 ، وانظر الأخلاق بين العقل والنقل ، للدكتور أبى اليزيد العجمى ، فى  
بيان علاقة الأخلاق بالعقل ، وأثرها فى النمو الحضارى ، ص164 وما بعدها .

( الإخلاص ما أريد به الله ، من أى عمل كان ) (1) ، وعن رويم بن  
أحمد البغدادى (ت:303هـ) قال : ( الإخلاص ، ارتفاع رؤيتك من  
الفعل ) (2) وقد تكلم القشيرى (ت:465هـ) فى وصف الإخلاص ،  
شارحا ما ورد فى الأصول القرآنية والنبوية ، فقال : ( الإخلاص ،  
ألا يكون شئ من حركاتك وسكناتك إلا لله ) (3) ، واستدل له

بقوله تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ  
الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ } [الزمر/2:3] ، وقوله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا  
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/9] ويفسر الدين الخالص ،  
بأنه ما تكون جملته لله ، فما للعبد فيه نصيب ، فهو من  
الإخلاص بعيد ، اللهم إلا أن يكون بأمره تعالى ، فإنه إذا أمر العبد  
أن يحتسب الأجر على طاعته ، فإطاعته لا تخرجه عن الإخلاص  
باحتمسابه ما أمره به ولولا هذا لما صح أن يكون في العالم مخلص ،  
ومعنى مخلصين له الدين ، أى موحدين لا يشركون بالله شيئاً ، ومن  
السنة يستدل للإخلاص بقوله ع : " ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم  
، إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم الجماعة " (4) .

1. التعرف ص 118 . 2. السابق ص 118 .

3. الرسالة القشيرية 443/2 .

4. انظر السابق 443/2 ، والحديث صحيح ، أخرجه الترمذى فى كتاب العلم (2658) 34/5 ،  
وابن ماجة فى المقدمة (230) 84/1 وقال الشيخ الألبانى : صحيح ، وأحمد فى المسند  
(13374) 225/3 ، والدارمى فى المقدمة (227) 86/1 ، وغيرهم .

\*\*\*\*\*

## 7 - الإرادة

\*\*\*\*\*

- الإرادة : في الأصل من راد يرود ، إذا سعى في طلب الشيء ،  
والإرادة في الأصل ، قوة مركبة في قلب الإنسان ، جعلت أسما  
لشروع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه ، بأنه ينبغي أن يفعل أولا  
يفعل (1) ، وإرادة الله صفة له ، ترد في القرآن على معنيين :

الأول : بمعنى الحكم المنتهى والقضاء المبرم بأن يفعل أو لا يفعل  
فمتى قيل : أراد الله كذا ، فمعناه حكم فيه أنه كذا وليس بكذا ،  
وتسمى الإرادة الكونية وهي بمعنى المشيئة ، كقوله تعالى : { فَعَالٌ لِّمَا  
يُرِيدُ } [البروج/16] ، وكقوله : { قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ  
يُهِلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } [المائدة/17] .

الثاني : إرادة بمعنى الأمر الموجه إلى المكلفين ، كقوله تعالى : {  
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } [البقرة/185] ، وكقوله سبحانه  
: { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ  
نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } [المائدة/6] وهذه الإرادة قد تتخلف ، وقد يعصيها  
الإنسان .

وقد تذكر الإرادة في حق المخلوق ، ويراد به القصد والنية والعزم

على الفعل —

1. المفردات ص 206 ، 207 ، ولسان العرب 1/362 .

كقوله تعالى : { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ  
نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ



وَسَعَى لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا { [الإسراء/18]  
، ومن حديث عبد الله بن عمر  $\tau$  قال : " كنا عند النبي  $\varepsilon$  ، فأتى  
بجمار ، فقال : إن من الشجر شجرة ، مثلها كمثل المسلم ،  
فأردت أن أقول هي النخلة ، فإذا أنا أصغر القوم فسكت ، قال النبي  
 $\varepsilon$  : هي النخلة " (1) .

### - الإرادة في الاصطلاح الصوفي :

والإرادة في اصطلاح الصوفية تطلق ويراد بها عدة معان :

(1- إرادة العبد ، وهي وصف ذاتي للإنسان ، ومصدر أول  
وأصيل لكل الحركات والسكنات ، والرغبات والقصود ، وجميع  
الاختيارات في أعمال القلوب والجوارح ، قال أبو بكر الكلاباذي  
(ت:380هـ) : ( وأجمعوا أن الله خلق لهم الاختيار والاستحسان ،  
والإرادة للإيمان ، والبغض والكراهية والاستقباح للكفر ) (2) ، وهذا  
المعنى للإرادة معني قرآني .

(2- إرادة الله وهي على نوعين ، كما سبق في الأصول القرآنية ،  
ذكرهما سهل بن عبد الله (ت:293هـ) ، فيما روى عنه ، أنه سئل  
عن قوله تعالى :

---

1. أخرجه البخاري في كتاب العلم (72) 198/1 .

2. التعريف لمذهب أهل التصوف ص 62 ، وانظر أيضا للمقارنة برأى بقية أعلام الصوفية آداب المريدين للحكيم الترمذى ص 33 ، وقوت القلوب لأبي طالب المكي 175/1.

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ } وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ { [البقرة/34] ، لما أمر إبليس بالسجود ، أراد منه ذلك أم لا ؟ فقال : أرادته ولم يرده (1) ، ويشرح أبو طالب المكي (ت:386هـ) كيف فرق سهل بن عبد الله ، بين الوجهين من خلال نوعى الإرادة :

أ - أرادته شرعا ، وإظهارا عليه إيجابا وتكليفا ، وهى إرادة الله الشرعية .

ب - ولم يرده منه وقوعا وكونا ، إذ لا يكون فى ملكه إلا ما أراد الله تعالى وهى الإرادة الكونية ، فلو أراد كونه لكان ، ولو أرادته فعلا لوقع ، لقوله تعالى : { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس/82] فلما لم يكن ، علم أنه لم يرده ، فقد كان الأمران معا ، إرادته بالتكليف والتعبد ، وإرادته بأن لا يسجد ، فلم يقدر أن يمتنع من ألا يسجد ، كما لم يقدر من أن يمتنع أن يؤمن (2) ، وهذا المعنى قرآنى أيضا .

(3- الإرادة ، بمعنى الجانب الإيجابى فى مجاهدة الصوفى نفسه ، للتخلص من رعونات النفس وعيوبها ، وعزمه على الترقى فى سلم المقامات والأحوال ، وهى —

2. السابق 218/1 ، وكلام سهل بن عبد الله في هذا الموضوع ، معبر بتمامه عن عقيدة الإسلام في العلاقة بين الإرادة الإلهية والإرادة الإنسانية ، وحل مقنع لإفراد الله بالفاعلية وعلاقته بحرية العباد في أكسابهم ، انظر في المقارنة : القضاء والقدر في الإسلام للدكتور فاروق الدسوقي 359/1 وما بعدها ، وانظر له أيضا : مشكلة الحرية عند الفلاسفة والصوفية في الإسلام ، دكتوراه بمكتبة دار العلوم (762) سنة 1978م .

عندهم بدء طريق السالكين إلى الله ، واسم لأول منزلة القاصدين إليه ، وتعني حبس النفس عن مراداتها ، والإقبال على أوامر الله ، والرضا بموارد القضاء عليه (1) ، وقال عبد الله بن خفيف (ت:371هـ) : ( حقيقة الإرادة ، استدامة الكد وترك الراحة ) (2) ، وقد استدلل أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) لمعناها عند الصوفية ، بقوله تعالى : { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } [الأنعام/52] ، وبقوله ع من حديث أنس بن مالك Ⓜ : " إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله ، فقيل : كيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت " (3) ، ويرى أبو القاسم القشيري ، أن الإرادة وصف للمريد ، لأنها مقدمة كل أمر ، فما لم يريد العبد شيئا ، لم يفعله فلما كان هذا أول الأمر ، لمن سلك طريق الله عز وجل ، سمي مريدا تشبيها بالقصد في الأمور الذي هو مقدمتها (4) ، وقد عبر الدقاق (ت:410هـ) عن الإرادة ، بقوله : ( لا يكون المريد مريدا ، حتى لا يكتب عليه صاحب

الشمال عشرين سنة ) (5) ، وهذا دليل على قوة الإرادة ، وصدق العزم على الطاعة —

1. الرسالة 433/2 ، وانظر طبقات الصوفية ص465 ، والتعريفات ص15 .
2. طبقات الصوفية ص465 .
3. الرسالة 433/2 ، والحديث صحيح ، أخرجه الترمذى فى كتاب القدر (2142) وقال : حديث حسن صحيح ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 450/4 .
4. السابق 433/2 وانظر فى ثناء ابن تيمية على هذا المعنى ، كتاب السلوك ص494 وما بعدها ، والإيمان لابن تيمية ص268 ، و الاستقامة 106/1 .
5. السابق 433/2 .

وإن كان تحديد العشرين سنة تحكم ظاهر لا دليل عليه ، وجميع المعانى السابقة لمصطلح الإرادة عند الصوفية ، لها شواهد فى الكتاب والسنة إلا ما يأتى :

(4- الإرادة ، إرادة القدر فقط ، ولا إرادة لغير الله ، وهذا المعنى ذكره السراج الطوسى (ت:387هـ) عن جماعة من الصوفية ، خالفوا الشرع والاتباع حيث لم يضيفوا إلى الخلق ما أضاف الله تعالى إليهم ، ولم يصفوا أنفسهم بالحركة فيما تحركوا فيه ، بل نسبوها إلى الله ، ومن ثم أسقطوا اللائمة عن أنفسهم وادعوا الجبر فى حركاتهم وسكناتهم ، وخالفوا الشرع والاتباع (1) .

(5- الإرادة المخلوقة فىنا عين إرادة الحق سبحانه وتعالى ، ولكن لما نسبت إلينا ، وكان الحدوث لازماً لوصفنا ، قيل بأن الإرادة مخلوقة ، يعنى إرادتنا وإلا فهى بنسبتها إلى الله تعالى قديمة (2) ، وهذا

لعبد الكريم الجيلى (ت:829هـ) وعلى شاكلته أيضا ، ما ذكره الكاشانى (ت:735هـ) ، أن الإرادة هى التخلص عن البقية ، بطمس الاثنيية ، والتحقق بمشيئة الله حال التحقق ببقاء الله ، كما قال : { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [التكوير/29] ويعنى بذلك تساوى المشيئتين (3) .

1. اللع ص549 ، وهؤلاء يعبرون عن مذهب الجبرية الخالصة قال ابن تيمية : ( وقد أفضى بغلاة الصوفية والمنحرفين منهم ، إلى عدم التمييز بين الأمر الشرعى وبين ما يكون من الأحوال التى تجرى على أيدي الكفار والفجار ، فيشهدون وجه الجمع بقضاء الله وقدره وإرادته العامة ، وأنه داخل فى ملكة ولا يشهدون وجه الفرق بين أوليائه وأعدائه ) انظر التحفة العراقية فى الأعمال القلبية ، المطبعة السلفية سنة 1386هـ . ص51 .

2. الإنسان الكامل 48/1 . 3. معجم الكاشانى ص271Y270 .

\*\*\*\*\*

## 8 - الاستقامة

\*\*\*\*\*

- الاستقامة : تطلق على الاعتدال ، وعلى الطريق الذى يكون على خط مستوية ، والطاعة فى طريق الحق (1) ، كقوله سبحانه وتعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة/6] ، وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال :

" خط لنا رسول الله ﷺ خطأ ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : هذه سبيل متفرقة ، على كل

سبيل منها ، شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي  
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } [الأنعام/153]  
" (2) .

واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم ، كقوله تعالى : { إِنَّ  
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }  
[الأحقاف/13] ، ومن سفيان الثقفي  $\tau$  أن رجلا قال : " يا رسول الله ،  
مرني في الإسلام بأمر ، لا أسأل عنه أحدا بعدك قال : قل آمنت  
بالله ثم استقم " (3) □ .

- 
1. المفردات ص 418 ، والقاموس المحيط 1487/1 ، ولسان العرب 496/12 .
  2. أخرجه أحمد في المسند (4131) ، وابن حبان في صحيحه (6) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط :  
إسناده صحيح 180/1 .
  3. أخرجه أحمد برقم (18938) ومسلم (38) بلفظ : قل آمنت بالله فاستقم 65/1 .
- وقال معاوية بن أبي سفيان  $\tau$  : سمعت النبي  $\varepsilon$  يقول : " من يرد  
الله به خيرا يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم ويعطي الله ، ولن يزال  
أمر هذه الأمة مستقيما ، حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتي أمر الله " (1)

## - الاستقامة في عرف الصوفية :

والاستقامة في عرف الصوفية تعنى عند أغلبهم ، الجمع بين أداء  
الطاعات واجتناب المعاصي ، والخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم

والعادات ، والقيام بأمر الله بالنوافل والمكتوبات (2) ومما ورد عنهم فيها :

ما روى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : ( السمة التي يعرف بها الإخلاص ، الاستقامة ) ، كما استدل عليها بالرجاء فقال : ( يعرف الإخلاص بالاستقامة ، وتعرف الاستقامة بالرجاء ) (3) ، والاستقامة لا تعرف بالرجاء وحده ، إنما تعرف بالصدق في جميع أعمال القلوب ، وأقوال اللسان ، وأعمال الحوارح ، والأجود من كلام حاتم الأصم ، ما ينسب ليحيى بن معاذ الرازي (ت:258هـ) قال : ( الاستقامة على ثلاثة أضرب ، استقامة اللسان على كلمة الشهادة ، واستقامة الجنان على صدق الإرادة ، واستقامة الأركان على الجهد في العبادة ) (4) ، ومثله ما روى عن أبي بكر الواسطي (ت:بعد320هـ) —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (7312) 13 / 306.

2. كشف التهانوى ص1227 .

3. طبقات الصوفية ص94 . 4. كشف التهانوى ص1227 .

أنه قال : ( الخصلة التي بها كملت المحاسن ، وبفقدتها قبحت المحاسن الاستقامة ) (1) ، ويذكر لأبي على الدقاق (ت:410هـ) أن الاستقامة توجب دوام الكرامات ، لقوله تعالى : { وَالَّذِينَ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا } [الجن/16] ولم يقل

سقيناهم ، بل قال : أسقيناهم ، يقال : أسقيته إذا جعلت له سقيا فهو يشير إلى الدوام (2) .

وقد بين القشيري (ت:465هـ) حد الاستقامة عند الصوفية ، مهتديا في تعريفها بالأصول القرآنية والنبوية ، فعرّفها بأنها درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ، ومن لم يكن مستقيما في حالته ، ضاع سعيه وخاب جهده ، ثم استدل لذلك بقوله تعالى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَّضْتُ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا } [النحل/92] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } [الأحقاف/13] ، وقد استدل على معنى الاستقامة بحديث سفيان بن عبد الله الثقفي ⚭ : " قل آمنت بالله ثم استقم " (3) .

والاستقامة تأخذ عند ابن عربي وأتباعه ، مفهوما مخالفا لما سبق ،

إذ يجعلها —————

1. الرسالة القشيرية 442/2 .
2. السابق 441/2 .
3. السابق 441/2 ، وانظر أيضا في تعريف القشيري للاستقامة كتابه منشور الخطاب في مشهور الأبواب ، نشر الدكتور قاسم السامرائي في مجلة المجتمع العربي سنة 1969م 276/18 والحديث تقدم تخريجه .

عامّة في الوجود ، فالكل عنده على صراط مستقيم ، لقوله تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }



[هود/56] ، يقول ابن عربي (ت:638هـ) : ( فما من أحد من العالم إلا على صراط مستقيم ، وهو صراط الرب تبارك وتعالى ) (1) .

ويقول عبد الكريم الجيلي (ت:829هـ) : ( الصراط المستقيم ، هو صراط الله الذى هو تنوعات تجليه فى ذاته لذاته ، فمن حصل فى هذا الصراط واستقام على علم كيفية الاتصاف بأسماء الله تعالى وصفاته ، فإنه يتنوع بتجلياتها فى العالم على حسب مقتضى الشأن ) (2) ، وعلى الرغم من كون الشعرانى ينهل من ينابيع ابن عربي فى فلسفته الداعية إلى وحدة الوجود ، إلا أن له كلاما طيبا فى الاستقامة على الشرع ، ربما يخاطب به لسان أهل الظاهر ، فمن الجدير ألا يترك ، يقول : ( كل طريق لم يمش فيه الشارع فهو ظلام ، ولا يكون أحد ممن يمشى فيه على يقين من السلامة وعدم العطب .. دوروا مع الشرع كيف كان ، لا مع الكشف فإنه يخطئ ، وينبغى إكثار مطالعة كتب الفقه ، عكس ما عليه المتصوفة الذين لاحت لهم بارقة من الطريق ، فمنعوا مطالعة الفقه ، وقالوا إنه حجاب جهلا منهم ) (3) .

---

1. فصوص الحكم ص241 ، وانظر مصطلح الاستقامة عند الكاشانى ، وكيف قسمه إلى استقامة العامة ، واستقامة الخاصة ، واستقامة خاصة الخاصة ، اللطائف 200/1 .

2. المناظر الإلهية ص214 .

3. كشف الغمة عن جميع الأمة للشعرانى 10/1 .

## 9 - الاصطفاء

\*\*\*\*\*

- الاصطفاء : تناول صفو الشيء ، كما أن الاختيار تناول خيره ، والاصطفاء الاختيار والاجتباء (1) ، قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } [آل عمران/33] وقال : { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ } [آل عمران/42] وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " نِعْمَ الْمَنِحَةُ اللَّفْحَةُ الصَّفِيُّ ، مِنْحَةٌ وَالشَّاةُ الصَّفِيُّ ، تَعْدُو بِإِنَاءٍ وَتَرُوْحُ بِإِنَاءٍ " (2) ، وعنه أيضا قال : " استب رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، قال المسلم : والذي اصطفى محمدا على العالمين ، فقال اليهودي : والذي اصطفى موسى على العالمين " (3) ، وقال رسول الله ﷺ : " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق " (4) ، واصطفاء —

1. المفردات ص 283 ، ولسان العرب 462/14.

2. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة (2629) 287/5 .

3. البخارى فى كتاب الخصومات (2411) 815/5 .

4. البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء (3409) 508/6.

الله بعض عباده ، قد يكون بإيجاده تعالى إياه ، صافيا عن الشوب الموجود في غيره ، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول كقوله تعالى :

{ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }  
[الحج/75] وقوله : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا }  
[فاطر/32] ، وقوله سبحانه : { وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ }  
[ص/47] ، ومن حديث واثلة بن الأسقع  $\pi$  قال : " سمعت رسول  
الله  $\varepsilon$  يقول : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشا  
من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم  
" (1) .

#### - الاصطفاء عند الصوفية :

والاصطفاء عند الصوفية ، ورد على معنى الاجتباء في سابق العلم ،  
كقول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( الاصطفاء هو الاجتباء ،  
فالعبد المجتبي منذ بداية أمره رهن الفيضة الإلهية ) (2) ، وذكره السراج  
الطوسي (ت:387هـ) —

1. أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (2276) 1782/4.

2. الحكيم الترمذى ونظريته في الولاية ص118 ، ويقول أيضا فكيفية اصطفاء الله للأولياء : (   
فكذلك شأن هؤلاء المجذوبين ، يجذبهم الله إليه على طريقه فيتولى اصطفاءهم وتربيتهم ، حتى يصفى  
نفوسهم الترابية بأنواره ، كما يصفى جوهر المعدن بالنار ، حتى تزول ترابيته ، وتبقى النفس صافية ،  
وتمتد تلك التصفية حتى إذا بلغوا الغاية من الصفاء أوصلهم إلى أعلى المنازل ، وكشف لهم الغطاء عن

الحل ، وأهدى إليهم عجائب من كلماته وعلومه ، وإنما يمتد ذلك ، لأن القلوب والنفوس لا تحمل

=

أن الاصطفاء في اصطلاح الصوفية هو الاجتباء في سابق العلم ،  
لقوله تعالى :

{ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الأنعام/87] ، ولقوله : {  
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ } [الحج/75] ، ويدل على  
اصطلاحهم بما ينسبه لأبي بكر الواسطي (ت: بعد 320هـ) ، أنه قال  
: ( ابتداك بنفسه واصطفاك لنفسه ، فمن استعظم ذلك ،  
حسنت إخطار نفسه فيما بذلت ، فإن قابلته بنفس العناية ،  
تضمنك ما منه الهداية ) (1) .

ويرى الهجویری (ت: 465هـ) أن الاصطفاء ، هو أن يفرغ  
الحق قلب المؤمن لمعرفته ، حتى تنشر معرفته صفاءها فيه ، واستدل  
لذلك ، بقوله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ  
عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ }  
[فاطر/32] (2) ، وكل هذه المعاني تتوافق إلى حد ما مع الأصول القرآنية  
، وليس فيها ما يناقضها ، غير أن ابن عربي (ت: 638هـ) يذكر  
معنى آخر ، من منظور نظريته في وحدة الوجود ، فالاصطفاء عنده  
يعنى اصطفاء الكل لإظهار الوحدة ، فالكل مصطفى ، سواء كان  
ظالما أو مقتصدا أو سابقا بالخيرات ، ففي قوله تعالى عن قوم نوح ۝

: { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا } [نوح/24] قال : ( أى حيروهم فى تعداد الواحد

، بالوجه والنسب { وَلَا تَزِدْ —

= مرة واحدة كل ذلك ، فلا يزال يلطف بهم ، حتى يعودهم احتمال تلك الأحوال التى تستقبلهم من ملكه ) ، انظر ختم الأولياء ص409 .

1. اللمع ص447 .

2. كشف المحجوب ص635 .

الظَّالِمِينَ { لأنفسهم من جملة المصطفين ، الذين أورثوا الكتاب ،

فهم أول الثلاثة ، فقدمه على المقتصد ، والسابق بالخيرات ) (1) ،

فالظالم لنفسه عند ابن عربى من المصطفين ، شأنه شأن المقتصد

والسابق بالخيرات ، ويختلفون من حيث النظر إلى الوحدة والكثرة ،

ويقول الكاشانى (ت:735هـ) فى شرحه لقول ابن عربى : ( إنما

فضل الظالم على الباقيين ، لأن المقتصد هو الشاهد للكثرة فى الواحد

، والواحد فى الكثرة ، جامعا فى شهوده بين الحق والخلق والسابق

بالخيرات ، هو الذى شهد الكثير واحدا ، فوجد الكثير ، وسار من

كثير إلى الواحد ، فهما ليسا فى الحيرة لكونهما معتبرين للخلق مع

الحق ، وأما هذا الظالم فلا يرى إلا الواحد ، الحقيقى كثيرا بالاعتبار ،

فله الضلال أى الحيرة ولذلك قال بعدها : إلا ضلالا ، إلا حيرة

المحمدى ، حين قال فى ربه : زدنى فيك تحيرا ) (2) .

\*\*\*\*\*

- الاصطناع : الاصطناع المبالغة في إخراج الشيء وإصلاحه (3) ،

وعن أبي —

1. فصوص الحكم ص68 ، وانظر تحذير العباد من أهل العناد لبرهان الدين للبقاعي ص218 ، في مناقشة معنى الاصفاء عند ابن عربي وموقف علماء الإسلام من تلاميذ مدرسته .

2. السابق ص69Y68 . 3. المفردات ص287 .

سعيد الخدري τ ، أن النبي ε لما كان يوم الحديبية ، قال : " لا توقدوا نارا بليل ، فلما كان بعد ذاك قال : أوقدوا واصطنعوا ، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم " (1) ، ومن حديث عبد الله بن عمر τ : " أن النبي ε اصطنع خاتما من ذهب ، وجعل فسه في بطن كفه إذا لبسه ، فاصطنع الناس خواتيم من ذهب ، فرقي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، فقال : "إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه ، فنبذه فنبذ الناس " (2) .

والتصنع تكلف حسن السمات ، فمن حديث أنس بن مالك τ قال : " مات ابن لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهلها : لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه ، قال : فجاء ، فقربت إليه عشاء ، فأكل وشرب ، فقال : ثم تصنعت له ، أحسن ما كان تصنع قبل ذلك ، فوقع بها ، فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة ، رأييت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت

فطلبوا عاريتهم أ لهم أن يمنعوهم ، قال : لا ، قالت : فاحتسب ابنك  
" (3)

ويفسر الشوكاني معنى قوله تعالى : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } [طه/41]  
، وقوله : { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } [طه/39] ، أى لتربى وتغذى بمراى  
منى ، يقال : صنع الرجل جاريته إذا رباها ، وصنع فرسه إذا داوم  
على علفه والقيام عليه ، وذلك —

1. أخرجه أحمد فى المسند (10824) والحاكم فى المستدرک (4336) وقال صحيح الإسناد ولم  
يخرجاه 38/3 والطبرانى فى الكبير (8855) 268/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس (5876) 338/10 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة (2144) 1689/3 وأحمد (12818) .

معروف فى اللغة ، ولكن لا يكون فى هذا تخصيص لموسى ، فإن  
جميع الأشياء بمراى من الله ، وخص موسى بما بين الله ، من  
تكليفه الرسالة فى قوله : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } ، ولأن  
الاصطناع لفظ يحمل معنى دوام الرعاية والموالاتة التى تؤدى إلى نتيجة  
مأمولة (1) .

## - الاصطناع فى الاصطلاح الصوفى :

ومصطلح الاصطناع باق عند الصوفية على أصوله القرآنية ، وهو  
قريب فى المعنى من مصطلح الاصطفاء ، غير أنهم لم يخصصوا موسى ،  
كما ورد فى القرآن ولكن جعلوه لجميع الأنبياء والصدقيين ، كما ورد  
روى عن أبى سعيد الخراز (ت:279هـ) قال : ( أول باد من الحق ،

قد أخفاهم في أنفسهم ، وأمات أنفسهم في أنفسهم ، واصطنعه  
لنفسه ، وهذا أول دخول في التوحيد من حيث ظهور التوحيد  
بالديمومية ( 2) .

وقال السراج الطوسي (ت:387هـ) : ( الاصطناع مرتبة بها الأنبياء  
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والصديقين ، وقال قوم : الاصطناع  
خص به موسى من جميع الأنبياء عليهم السلام لقوله تعالى : {  
وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } [طه/41] وقال قوم : هي مرتبة الأنبياء عليهم  
السلام دون غيرهم ، وسئل بعضهم عن قوله تعالى : { وَاصْطَنَعْتُكَ  
لِنَفْسِي } [طه/41] ، وقوله : { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } [طه/39]

---

1. فتح القدير 3/365 .

2. اللمع ص 447 .

فقال : ما نجا نبى ولا ولى من محتته ، ولا سلم أحد في منته من فتنته ( 1)

ويذكر الهجویری (ت:465هـ) أن الاصطناع ، أن يهذب الله  
تعالى العبد بفناء جميع الأنصبة عنه ، وزوال جميع الحظوظ ، ويبدل  
فيه أوصافه النفسانية حتى يفنى عن نفسه ، بزوال النعت وتبديل  
الأوصاف ، والمخصوصون بهذه الدرجة هم الأنبياء عليهم السلام



دون الأولياء ، وجماعة من المشايخ غيرهم يجيزون هذه الصفة على الأولياء أيضا (2) .

وتكاد تكون الآيات القرآنية ، كقوله جل ذكره : { وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي } هي محل اهتمام الصوفية بمعنى الاصطناع كقول القشيري (ت:465هـ) فيها : ( أى بمراى منى ، ويقال : لا أمكن غيرى بأن يستبعدك عنى ، أو كما يقال أيضا : أحفظك من كل غير ، ومن كل حديث سوى حديثنا ، ويقال : ما وكلنا حفظك إلى أحد ) (3) .

وقال فى قوله تعالى : { وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي } : ( استخلصتك لى حتى لا تصلح لأحد غيرى ، ولا يتأتى شئ منك غير تبليغ رسالتى ، وما هو مرادى منك ، ويقال : أفردت شرك لى ، وجعلت إقبالك على دون غيرى ، وحلت بينك وبين كل أحد ممن هو دونى ) (4) .

---

1. السابق ص 447 .

2. كشف المحجوب ص 634 .

3. لطائف الإشارات 456/2 .  
4. السابق 458/2 .

وللكاشانى (ت:735هـ) فى كيفية اصطناع الله لموسى ٧ تأويل باطنى بعيد ، حيث يذكر أن الله أوحى إلى النفس الحيوانية ، أن اقد فى موسى فى تابوت البدن ، أو الطبيعة الجسمانية ، فاقد فيه فى يم الطبيعة

الهيولانية ، فليلقه اليم عند ظهور نور التمييز والرشد بساحل النجاة ، يأخذه عدوى ، النفس الأمانة بالسوء الجبارة الفرعونية ، فيلقى عليه الله حبه ، ويجعله محبوبا إلى القلوب وإلى كل شئ حتى النفس الأمانة والقوى المنعطفة عليه ، ولتصنع على كلاءتى وحفظى لك بهذا التدبير .. واستخلصتك لنفسى ، وجعلتك من جملة خواصى ، من بين أهل مدينة البدن ، لما فيك من الخصال الشريفة والأهلية للخلافتى (1)

\*\*\*\*\*

## 11- الاعتصام

\*\*\*\*\*

- **الاعتصام** : العصم الإمساك والمنع ، والاعتصام الاستمسك قال : { قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ } [هود/43] ، أى لا شئ يعصم منه ، ومن قال معناه لا معصوم ، فليس يعنى أن العاصم بمعنى المعصوم ، وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك ، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان ، فأيهما حصل حصل معه الآخر ، قال : { مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ } [يونس/27] (2) .

1. تفسيرالقرآن الكريم ، منسوب إلبابن عربى ، ولكنه للكاشانى 41/2 ، 43 .

2. انظر لسان العرب 403/12 ، والمفردات ص336 ، 337 .

والاعتصام التمسك بالشئ ، قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] ، وقال : { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101] وعن سفيان بن عبد الله الثقفي ؓ قال : " قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به ؟ قال : قل ربى الله ثم استقم " (1) ، ومن حديث أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال " (2) .

#### - الاعتصام فى الاصطلاح الصوفى :

الاعتصام فى الاصطلاح الصوفى يعنى التمسك بحبل الله ، والطاعة على وفق الكتاب والسنة ، وهذا المعنى هو السائد عند أغلبهم ، ويوافق ما عليه جمهور العلماء من غير الصوفية ، للدلالة الأصول القرآنية والنبوية عليه (3) ، ومن أهم ما ذكره الصوفية فى مصطلح الاعتصام :

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2410) وقال : حديث حسن ، وصححه الشيخ الألبانى 607/4 ، وانظر جزء أشيب ، لأبى على الحسن بن موسى الأشيب البغدادى طبعة دار علوم الحديث ، مراجعه خالد بن قاسم الفجيرة ، سنة 1990م ، 1410هـ حديث رقم (33) ص 60 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الأفضية (1715) 1340/3 .
3. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشانى ص 199 .

(1- قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( وسألت عن الاعتصام  
بجبل الله وعن الاعتصام بالله ، فإن الله تعالى خلق العباد ، وهو أعلم  
بما يفسدهم وما يصلحهم ، فحرم وأحل .. فلولا القرآن ، ما اهتدى  
العباد لما يصلحهم مما يفسدهم ، فمن تأدب بأدب القرآن ، فقد  
اعتصم بجبل الله ، أى امتنع بجبل الله عما يفسده ، وثم للنفس بعد  
علمه بما فى هذا القرآن تنازع وخصومة ، وتوثب فى هذه المحارم ،  
ويحتاج العبد إلى أن يعتصم بالله ويجاهد نفسه بقوة ، ما أعطى من  
العلم والعقل ، والفهم والحفظ ، والذهن والمواعظ ، ويعلم مع ذلك  
أنه لا ينجيه من ذلك إلا فضل الله ورحمته ، فإذا كان قلبه مع الله فى  
ذلك ، ولا يلجأ إلى أحد سواه فى الامتناع من ذلك السوء ، كان قد  
اعتصم بالله عز وجل قال الله تعالى :

{ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101]

(1)

---

1. آداب المريدين وبيان الكسب ص 107 ، وقارن كلامه بما ذكره الإمام الفقيه الأصولى المحدث ، أبو  
إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى فى كتابيه الاعتصام والموافقات ، وما ذكره أيضا فى رسالته التى  
أرسلها إلى شيخ الصوفية فى عصره ، أبى عبد الله محمد بن عباد النفري ، يسأله عن مسألة وقعت فى  
غرناطة ، واختلف فيها أنظار العلماء وكثر فيها القيل والقال ، وهى هل على السالك إلى الله تعالى  
، أن يتخذ لزاما شيخ طريقة وتربية ، يسلك على يديه ؟ أم يسوغ له ، أن يكون سلوكه إلى الله تعالى  
من طريق التعلم والتلقى من أهل العلم ، دون أن يكون له شيخ طريقة ؟ ، فكتب إليه الشيخ ابن

عباد رحمه الله ، كلاما نفيسا في كيفية الاعتصام بالأصول القرآنية والنبوية ، انظر الرسائل الصغرى لابن عباد المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957م ص106:125.

وقريبا من هذا المعنى ، ما ذكره أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) أن حقيقة الاعتصام تظهر في صدق اللجوء إلى الله ، ودوام الفرار إليه واستصحاب الاستغاثة إليه ، والاعتصام بحبله في التمسك بآثار الواسطة العزيز ، صلوات الله عليه ، وذلك بالتحقق والتعلق بالكتاب والسنة ، قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] (1) .

(2) - ويدلل أبو إسماعيل الأنصاري الهروي (ت:481هـ) على الاعتصام بقوله تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] وقوله سبحانه : { وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ } [الحج/78] ، ويقول : ( الاعتصام بحبل الله ، هو المحافظة على طاعته ، مراقبا لأمره ، والاعتصام بالله هو الترقى عن كل موهوم ، والتخلص من كل تردد ، والاعتصام على ثلاث درجات :

1 - اعتصام العامة بالخير استسلاما وإذعانا ، بتصديق الوعد والوعيد ، وتعظيم الأمر والنهي ، وتأسيس المعاملة على اليقين والإنصاف ، وهو الاعتصام بحبل الله .

2- اعتصام الخاصة بالانقطاع ، وهو صون الإرادة قبضا ، وإسبال الخلق على الخلق بسطا ، ورفض العلائق عزما ، وهو التمسك بالعروة الوثقى .

1. لطائف الإشارات 265/1، 267 ، وانظر التوافق بين كلام القشيري في الاعتصام وما جاء في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ، تحقيق الدكتور ناصر عبد الكريم العقل 60/1 وما بعدها .

3- اعتصام خاصة الخاصة بالاتصال ، وهو شهود الحق تفريدا بعد الاستخزاء له تعظيما ، والاشتغال به قربا وهو الاعتصام بالله (1) .

(3- ولا بن عطاء الله السكندري ، كلام نفيس في مصطلح الاعتصام ، من قبيل التفسير الإشاري أو التذكير بالمثل المقبول ، فيقول : ) اعلم أن هلاك ابن نوح ٧ ، إنما كان لأجل رجوعه إلى تدبير نفسه ، وعدم رضاه بتدبير الله الذي اختاره لنوح ٧ ، ومن كان معه في السفينة ، فقال له نوح ٧ : { يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ } [هود/42Y43] فأوى في المعنى إلى جبل عقله ، ثم كان الجبل الذي اعتصم به ، صورة ذلك المعنى القائم به ، فكان كما قال الله : { وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ } [هود/43] ، في الظاهر بالطوفان وفي الباطن بالحرمان (2) ، ثم ينبه الصوفي إلى الاعتبار ، إذا تلاطمت عليه أمواج الأقدار ، فلا يرجع إلى جبل

عقله الباطل ، لئلا يكون من المغرقين في بحر القطيعة ، ولكن يرجع إلى سفينة الاعتصام بالله والتوكل عليه { وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101] { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق/3] (3) .

1. التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري ، تحقيق موسى محمد على وعبد العال أحمد العرابي ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ص 119 .
2. السابق ص 121
3. منازل السائرين ص 256 .

(3- ويعرف الكاشاني (ت:735هـ) الاعتصام بأنه الاحتماء لقوله : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } [آل عمران/103] ، أى التجئوا إلى الله بسبب النجاة الذى هو حبل الله ، وهو القرآن المجيد ، ليحميكم الله من وقوع العذاب بكم ، قال تعالى : { وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران/101] أى يحتمى به ، وهذا الاعتصام يذكره الكاشاني على عدة أنواع :

- 1- اعتصام العامة : ويكون بالمحافظة على الطاعة ، مراقبة لأمر الله ، بحيث يكون العبد ، إنما يعبد الله لأمره له بالعبادة ، لا لما يرجوه من خير أخروى أو يخافه من شر كذلك ، بل امتثالا لأمره له لا غير ، وهذا هو الاعتصام بحبل الله الذى هو سبب الوصول إليه .

2- اعتصام الخاصة : وهو احتماؤهم بإرادته تعالى عن إرادتهم ، بانقطاع أنفسهم عن غرض الإرادات ، فلا يبقى لهم إرادة ، ويسمى بصون الإرادة المشار إليه في قول أبي يزيد (ت:261هـ) : ( أريد ألا أريد ) .

3- اعتصام خاصة الخاصة : وهو احتماء العبد بهوية الحق ، عن رؤية إنية يضيفها إلى نفسه ، أو إلى غيره من الخلق .

4- اعتصام خلاصة خاصة الخاصة : وهو أن يستهلك العبد تحت قهر سلطان التجليات الإلهية <sup>(1)</sup> ، ويراعى في تقسيم الهروى والكاشانى للاعتصام ، أنه تقسيم اجتهادى ذوقى ، يفتقر إلى الدليل النقلى المقنع ، وخصوصا تقسيم الكاشانى لأن فيه معان كثيرة ، مغايرة للأصول القرآنية والنبوية .

---

1. لطائف الإعلام 220/1

\*\*\*\*\*

## 12- الامتحان

\*\*\*\*\*

- الامتحان : ورد في القرآن والسنة على معنى الاختبار والابتلاء ، كقول الله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَّقُوا } [الحجرات/3] ، وهم الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ ، قال قتادة



في معنى الآية : " أخلص قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديئه ويسقط خبثه " (1) .

ومن حديث علي بن أبي طالب  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  قال : " يا معشر قريش لتنتهن ، أو ليبعثن الله عليكم ، من يضرب رقابكم بالسيف على الدين ، قد امتحن الله قلبه على الإيمان " (2) .

وورد الامتحان بمعنى التثبت من صدق النية واستقرار الإيمان ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ } [المتحنة/10] وذلك أن رسول الله  $\varepsilon$  ، لما صالح قريشا يوم الحديبية ، على أن يرد عليهم من جاءهم من المسلمين ، هاجر إليه النساء فأبى الله أن يرددن إلى المشركين ، وأمر

---

1. فتح القدير 59/5 ، ولسان العرب 401/13 .

2. أخرجه الترمذى في كتاب المناقب (3715) وقال : حسن صحيح غريب ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف الإسناد ، لكن الجملة الأخيرة منه صحيحة متواترة 634/5 .

بامتحانهن ، فكان يستحلفن بالله ، ما خرجن من بغض زوج ، ولا رغبة من أرض إلى أرض ، ولا لالتماس دنيا ، بل حبا لله ولرسوله  $\varepsilon$  ورغبة في دينه فإذا حلفت كذلك ، أعطى النبي  $\varepsilon$  زوجها مهرها ، وما أنفق عليها ، ولم يردها إليه (1) .

وعن المسور بن مخرمة  $\tau$  قال : " جاءت المؤمنات مهاجرات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ممن خرج إلى رسول الله  $\varepsilon$  يومئذ وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي  $\varepsilon$  أن يرجعها إليهم ؟ فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ } ، فمن أقر بهذا الشرط منهن ، قال لها رسول الله  $\varepsilon$  : " قد بايعتك كلاما " (2) .

### - الامتحان في عرف الصوفية :

والامتحان في عرف الصوفية ، اختبار القلوب في مدى صدقها وثباتها على الإيمان ، وذلك برؤية مواقفها في ابتلاءات الحق ، روى عن خير النساج (ت: بعد 300هـ) أنه دخل بعض المساجد فتعلق به شاب من أصحابه ، فقال له : يا شيخ ، تعطف على فإن محنتي عظيمة ، فقال خير النساج : وما محنتك ؟ فقال : افتقدت البلاء وقورنت بالعافية ، وأنت تعلم أن هذه محنة عظيمة (3) .

1. السابق 215/5 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الشروط (2713) 368/5 . 3. اللمع ص 448 .

يشير بذلك إلى الأصل القرآني الوارد في قوله تعالى : { الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } .

[العنكبوت/3:1] (1) ويقول السراج الطوسي (ت:387هـ) : الامتحان ابتلاء من الحق ، يحل بالقلوب المقبلية على الله تعالى ومحنتها انقسامها وتشتتها ، ثم يقسم الامتحان إلى ثلاثة أنواع :

1- امتحان لقوم منهم عقوبة .

2 - امتحان لقوم منهم تمحيص وكفارة .

3 - امتحان لقوم منهم استدعاء الزيادة وارتفاع الدرجة (2) .

وكلام السراج الطوسي ، معبر عن المعنى القرآني بدرجة دقيقة ، ويمثله قول الهجویری (ت:465هـ) : ( الامتحان في عرف الصوفية ، يعنى امتحان قلوب الأولياء بأنواع البلايا التي تأتي من الحق تعالى ، من خوف وحزن ، وقبض وهيبة ، وأمثال ذلك لقوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَّقُوا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } [الحجرات/3] ، وفي هذا درجة عظيمة (3) ، ولعلمهم استقوا هذه المعاني ، من حديث أنس بن مالك ؓ قال : " كان رسول الله ﷺ —

1. اللمع ص448 . 2. كشف المحجوب ص632 ، وانظر الفتح الرباني

والفيض الرحمانى ، لعبد القادر الجيلانى ، عناية رجب أحمد علام ، طبعة مصطفى البابي الحلبي 1400هـ ، 1979م المجلس التاسع في ابتلاء المؤمن ص33 .

3. السابق ص449 ، كتب الدكتور فاروق الدسوقي بحثا عن حقيقة الابتلاء وكيف دار =

يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ، قال : نعم ،

إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، يقلبها كيف يشاء " (1) .

وقول أنس ؓ : هل تخاف علينا ؟ دليل على أن النبي يتوقع الامتحان من الله ، بتقليب القلب في أى لحظة ، وأنه على المسلم أن يدعوا الله الإعانة ، قال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) في قوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى } ، هم الذين تقع السكينة عليهم من هيبة حضرته ، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، بانتزاع حب الشهوات منها ، فاتقوا سوء الأخلاق وراعوا الأدب ، ويقال هم الذين انسلخوا من عادات البشرية (2) .

ويقول في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ } : ( كان النبي ﷺ يمتحنهن باليمين ، فيحلفن إنهن لم يخرجن إلا لله ولم يخرجن مغايزة لأزواجهن ولم يخرجن طمعا في مال ، وفي الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة ، وجواهر الناس تتبين بالتجربة ، ومن أقدم على شئ من غير تجربة تحسى كأس الندم ) (3) .

---

= عليها موضوع القضاء والقدر في الإسلام وكيف يفسر من خلالها علاقة الإنسان بربه ؟ من خلال استقصاء شامل للأصول القرآنية والنبوية ، وهو بحث قيم نفيس ، انظر القضاء والقدر في الإسلام ، طبعة دار الدعوة ، الإسكندرية 1982م ، 166/1 وما بعدها .

1. أخرجه الترمذى في سننه (2140) ، وقال الألبانى : صحيح 448/4 .

2. لطائف الإشارات 438/3 . 3. السابق 573/3 ، وانظر في تفصيل الامتحان =

\*\*\*\*\*

## 13- الإنابة

\*\*\*\*\*

- **الإنابة** : الرجوع إلى الله بالتوبة ، وفي الذكر الحكيم : { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الروم/31] ، أى راجعين إلى ما أمر به ، غير خارجين عن شئ من أمره (1) ، والإنابة وردت في الكتاب والسنة على معنى الرجوع إلى الله تعالى ، بالتوبة وإخلاص العمل ، كقوله تعالى :

{ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ } [الزمر/54] ، وقوله سبحانه : { فَاسْتَغْفِرْ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } [ص/24] وفي السنة من حديث بريدة  $\tau$  : " أتقوله مُرَاءٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقال : لا ، بل مؤمن منيب ، بل مؤمن منيب " (2) ، ومن دعاء النبي  $\varepsilon$  الذى رواه عبد الله بن عباس  $\tau$  : " اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي —

= وعلاقته بالقلوب ، وما جاء في كيفية تقليب الله للخواطر في قلب وانبعائها من نازع الخير أو نازع الشر ، ومن هاتف الخير أو هاتف الشر ، وكيف تحدث العصمة بالهدية من الله ، والخذلان بالعدل والامتحان ، من التراث الصوفي لسهل بن عبد الله ص174 وما بعدها ، وقوت القلوب 123/1 .  
1. لسان العرب 775/1 ، وانظر المفردات ص508 ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد المقرئ الفيومي ، نشر المكتبة العلمية بيروت 629/2 .  
2. أخرجه أحمد في المسند ( 23002 ) 349/5 ، وهو حديث صحيح .

ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت " (1) ، ومن حديث عبد الله بن عباس  $\tau$  أيضا ، يرفعه : " رب اجعلني لك ، شكارا لك

، ذكرا لك رهابا لك ، مطواعا لك ، محبنا إليك ، أواها منيبا ،  
رب تقبل توبتي ، واغسل حوبتي ، وأجب دعوتي وثبت حجتي " (2)

## - الإنابة في الاصطلاح الصوفي :

والإنابة في اصطلاح الصوفية ، وردت على معنى الرجوع من مخالفة الأمر إلى موافقته ، فلا يجدرك حيث نهاك ، ولا يفتقدك حيث أمرك (3) ، وقد أورد الكلاباذي (ت:380هـ) في حدها ، بعض الأقوال التي تتوافق مع المعنى العام للأصول القرآنية أهمها (4) :

- 1- الإنابة إخراج القلب من ظلمات الشبهات .
- 2- الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل .
- 3- الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر ، ومن الوحشة إلى الأنس .

---

1. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة (1120) 5/3 .  
2. أخرجه الترمذى في كتاب الدعوات (3551) قال أبو عيسى الترمذى : هذا حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 5/554 ، وأخرجه أبو داود (1510) 83/2 والنسائى في السنن الكبرى (10443) ، 6/155 .  
3. لطائف الإعلام 1/248 .  
4. التعريفات ص 39 .

وقد ذكر الشيخ أبو اسماعيل الأنصارى الهروى (ت: 481هـ) تفصيلا قريبا من هذه المعانى ، اجتهد فى تقسيمها بنوع من الدقة ، يمكن اعتبارها من قبيل التفسير ، فقال : الإنابة فى قوله تعالى : { وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ } ثلاثة أشياء (1) :

أولا : الرجوع إلى الحق اصلاحا ، كما رجع إليه اعتذارا ، وذلك يكون بالخروج من التبعات ، والتوجه للعثرات ، واستدراك الفئات .

ثانيا : الرجوع إليه وفاء ، كما رجع إليه إجابة ، وذلك يكون بالخلاص من لذة الذنب ، وبترك استهانة أهل الغفلة ، تخوفا عليهم مع الرجاء ، لنفسك بالاستقصاء فى رؤية علل الخدمة .

ثالثا : الرجوع إليه حالا ، كما رجع إليه إجابة ، وذلك بالإياس من عملك ومعاينة اضطرارك ، وشيم برق لطفك .

والإنابة بالمعنى القرآنى السابق عند بعض الصوفية إنابة العوام ، أما ما يتلوها من مراتب الإنابة ، فهى للخواص على اختلاف درجاتهم ، فإنابة الخاصة : هى الرجوع من مخالفة الإرادة الإلهية إلى موافقتها ، بحيث لا يختلج فى القلب إرادة شئ من الأشياء ، لعلمه أنه لا يقع إلا ما أراد الله وقوعه (2) ، يقول الكاشانى : ( وهذا أحد الوجوه التى يحمل عليها قول أبى يزيد : أنا المراد وأنت المرید ، إذ لا مرید سواه ، فالكل مراد له تعالى ، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (3) .

1. منازل السائرين للهروي ص178 .

2. لطائف الإعلام 248/1، 249 . 3. السابق 249/1 .

ثم إنابة خاصة الخاصة : وهى ألا يرى مع الله سواه (1) ، ثم إنابة خلاصة خاصة الخاصة : وهى ألا يرى فيما يقال إنه سواه ، أنه شئ سوى مراتب تجلياته (2) ثم إنابة صفاء خلاصة خاصة الخاصة : ويعرف الكاشاني حدها عندهم بقوله : ( تمكّنك عند إنابتك إليه ، بحيث لا تنقهر تحت سلطنة التجلى ، عن رؤية المجلى باستهلاكك فى نور المتجلى ، لئلا يستهلك أحكام المراتب ، فيفوتك الخير الكثير ، الذى هو معرفة الحكمة فى أحكام مواقع تلك التجليات ، والقيام بحقوقها ) (3) .

ولا شك أن هذا التقسيم فى مثل هذه المتواليات الصوفية ، جرأة عجيبة ومبالغة غريبة فى التصنيف الذى يعوزه الدليل ، لا سيما بمثل هذا الكلام الذى يخرج من دلو الوحدة ، كما أن الإنابة من أعمال القلوب وهى غيب ، فإن قسمها الكاشاني بناء على إحساسه الإيمان ، فما الدليل على تعميمه عند الصوفية ؟ ، ويمكن أن نلاحظ فى مثل هذه التقسيمات ، مدى التغير الدلالى للمصطلح الصوفى ، عبر مراحل التطور فى حركة التصوف ، من معان قريبة للأصول القرآنية



والنبوية في مراحلها الأولى ، إلى معان مركبة معقدة تفتقر إلى الدليل  
النقلي أو العقلي .

1. السابق 249/1 .

2. السابق 249/1 وهذا المعنى والذي يليه نابع من معين وحدة الوجود .

3. السابق 249/1 ، انظر في معاني النيابة عند ابن عربي ، المعجم الصوفي للدكتورة سعاد حكيم  
ص 1077 .

\*\*\*\*\*

## 14- الإيثار

\*\*\*\*\*

- الإيثار : تفضل الغير على النفس ، قال تعالى : { وَيُؤْتِرُونَ عَلَيَّ  
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر/9] ، أى يفضلون غيرهم عليهم  
، وقوله تعالى عن إخوة يوسف : { قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا }  
[يوسف/91] ، أى فضلك .

وقوله ε : " ستكون بعدي أثره ، وأمور تنكرونها ، قالوا يا رسول  
الله : كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم  
، وتسالون الله الذي لكم " (1) ، أى يستأثر بعضكم على بعض ،  
والاستئثار التفرد بالشئ من دون غيره (2) .

وقال رسول الله ε ، لأبي هريرة τ : " عليك السمع والطاعة ، في  
عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثره عليك " (3) ، وعنه τ

أيضا : " أن رجلا أتى النبي ﷺ ، فبعث إلى نساءه ، فقلن : ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : من يضم أو يضيف هذا ؟ ، فقال رجل من الأنصار أنا : فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ ، فقالت : ما عندنا إلا قوت —

1. أخرجه مسلم في كتاب الإمامة (1843) 1467/3 .

2. لسان العرب 7/4 ، والمفردات ص 9 ، 10 ، ومختار الصحاح ص 2 .

3. أخرجه مسلم في كتاب الإمامة (1836) 1462/3 .

صبياني ، فقال : هيئي طعامك ، وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء ، فهيات طعامها ، وأصبحت سراجها ، ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعل يريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ ، فقال : ضحك الله الليلة ، أو عجب من فعالكما فأنزل الله : { وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } " (1) .

- الإيثار في الاصطلاح الصوفي :

والإيثار في الاصطلاح الصوفي يرد على المعنى القرآني ويرد على

غيره :

فمن المعنى القرآني : الإيثار هو تخصيص الغير على النفس (2) ،

كما روى عن أبي حفص النيسابوري (ت:270هـ) أنه قال : (

الإيثار ، أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك ، في أمر آخرتك ودياك (3) وقولة في حظ آخرتك ودياك فيه نظر ، لأن إثار الدنيا ، مبتغاه ما عند الله في الآخرة ، والزهد في الدنيا ، مقترن بالرغبة في الآخرة ، أما الزهد في الآخرة ، وإيثار الغير فهو مخالف لما رواه أبو هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال في الصف الأول : " ولو يعلمون ما في الصف المقدم ، لاستهموا " (4) ، والأقرب من كلام الصوفية إلى الأصول —

1. أخرجه البخارى في كتاب المناقب (3798) 149/7 .
  2. لطائف الإعلام 257/1 وانظر مواقع النجوم لابن عربى ص97 وقارن .
  3. طبقات الصوفية ص122 . 4. أخرجه البخارى عن أبي هريرة في كتاب الأذان (580) 68/2 ، و مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (654) واللفظ له .
- القرآنية والنبوية في الإيثار ، ما ينسب لعبد الله بن خفيف (ت:371هـ) أنه قال : ( إن استطعت ألا يسبقك أحد إلى مولاك فافعل ، ولا تؤثر على مولاك شيئاً ) (1) .

وهذا الإيثار يسميه عبد الرزاق الكاشاني (ت:735هـ) إيثار الشريعة فيقول : ( إيثار الشريعة ، هو الإيثار الذى تدعوا إليه الشريعة ، وهو أن يكون العبد مؤثر الله ورسوله ، على هوى نفسه ، بحيث لا يعصى الله فى شئ مما أمر ونهى ، قال ع : " والذى نفسى بيده ، لا يؤمن أحدكم ، حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " (2) .

أما الإيثار الحقيقي عند الكاشاني ، فهو الإيثار من منظور أصحاب الوحدة حيث يسميه إيثار المتقين ، وهو إيثار هؤلاء القوم الذين جعلوا أنفسهم وقاية للحق ، وهذا باطن التقوى ، فيؤثرون نسبة المذام والنقائص إليهم ، وقاية للحق —

1. السابق ص 144 وانظر أيضا في الإيثار على هذا المعنى : الفتح الرباني والفيض الرحمان لعبد القادر الجيلاني ، المجلس الخامس عشر في إيثار المؤمن على نفسه ص 55 وما بعدها ، والتمكين في شرح منازل السائرين ، تأليف محمود المنوفي ، طبعة دار النهضة العربية القاهرة ص 137 وما بعدها ، وشفاء السائل في تهذيب المسائل ، لابن خلدون نشر عبده خليفة ص 44 .

2. لطائف الإعلام 257/1 ، والحديث أخرجه ابن رجب في جامع العلوم والحكم عن عمرو بن العاص برقم (41) 376/1 وقال : حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح ، وانظر أيضا نواذر الأصول في أحاديث الرسول 164/4 .

وتنزيها له عن ذلك ، وكذا لا ينسب القيام والاتصاف بشئ من الفضائل والكمالات ، لأن له كل ذلك بلا مشارك ، فمن راعى جمال الحق فيما يضاف إليه من أوصاف الخلق على هذا الحد من التأدب ، معه فهو المتصف بحقيقة التقوى وباطنها ، لأنه قد جعل نفسه وقاية للحق ، أن ينسب إليه شيئا من المذام بل إليها ، واتقاه أيضا عن أن يتهجم عليه ، باعتقاد مشاركته في شئ ينسب إلى نفسه شيئا من المحامد التي إنما ينسبها إلى ربه فقط ، مع علمه بما أخبر به تعالى عن نفسه ، بقوله : { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ } [هود/123] لأن الكل خلق الله وإيجاده (1) .

وهناك معان أخرى ذكرت في الإيثار ، بعيدة عن المعنى الشرعي ، ومخالفة للأصول القرآنية والنبوية (2) .

---

1. لطائف الإعلام 260/1 ، وانظر المزيد في فصوص الحكم لابن عربي 183/1 وبلغت الخواص لابن عربي ص 35 .

2. السابق 261:258/1 حيث ذكر نوعاً من الإيثار سماه إيثار الحقيقة ، ونوعاً آخر سماه إيثار الإيثار ثم إيثار الملامية ، وإيثار المستأثر ، وإيثار المستفيد ، وإيثار الخلة ، وإيثار الخليل ، وإيثار الأديب ، وإيثار حق الإيثار ، والعجيب أن الكاشاني اعتبر كل هذه مصطلحات صوفية لمجرد أن ابن عربي ذكر لفظاً لا يعنى به الاصطلاح ، ولكنه ورد في سياق المعنى العام للألفاظ ، انظر مثلاً كلام ابن عربي في الإيثار في كتابه ، مواقع النجوم ص 97 ، 98 ، وإذا ما كان من الممكن اعتبار ما تقدم من الألفاظ التي ذكرها الكاشاني مصطلحات منسوبة إلى الصوفية .

\*\*\*\*\*

## 15 - البخل

\*\*\*\*\*

- البخل : البخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ، ويقابله الجود والبخل يرد في الأصول القرآنية والنبوية على ضربين (1) :

1- بخل بمقتنيات النفس كقوله : { الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ } [الحديد/24] ، وقوله : { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران/180] وقال سبحانه : { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى } [الليل/6] .

وعن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : " مثل البخيل والمتصدق ، مثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما ، فكلما هم المتصدق بصدقته اتسعت عليه ، حتى تعفي أثره

، وكلما هم البخيل بالصدقة انقبضت كل حلقة إلى صاحبها ،  
وتقلصت عليه وانضمت يداه إلى تراقيه " (2) .

وعن بكر بن عبد الله المزني ، قال : كنت جالسا مع عبد الله بن  
عباس ؓ عند الكعبة فأتاه أعرابي ، فقال : ما لي أرى بني عمكم  
يسقون العسل واللبن وأنتم تسقون النبيذ ، أمن حاجة بكم أم من  
بخل ؟ فقال ابن عباس ؓ :

1. المفردات ص38 ، ولسان العرب 47/11 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2917) 117/6 .

الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل ، قدم النبي ﷺ على راحلته ،  
وخلفه أسامة فاستسقى ، فأتيناه بإناء من نبيذ ، فشرب وسقى  
فضله أسامة ، وقال : أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا ، فلا نريد تغيير  
ما أمر به رسول الله ﷺ (1) .

2- بخل بمقتنيات الغير ، وهو الأكثر مذمة ، قال تعالى : {  
الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} [الحديد/24] .

وعن عبد الله بن عمرو ؓ أن رسول الله ﷺ خطب ، فقال : "  
إياكم والشح ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح ، أمرهم بالبخل  
فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا " (2) ،  
وعن جبير بن مطعم ؓ أن النبي ﷺ قال : " لو كان لي عدد هذه

العضاه نعماً ، لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ، ولا كذوباً ، ولا  
جباناً " (3) ، وقال عمر بن الخطاب  $\tau$  قسم رسول الله  $\varepsilon$  قسمة ،  
فقلت : يا رسول الله ، لغير هؤلاء أحق منهم ، أهل الصفة ، فقال  
رسول الله  $\varepsilon$  : إنكم تخيرونى ، بين أن تسألوني بالفحش ، وبين أن  
تبخلوني ، ولست بباخل (4) .

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج (1316) 953/2 .
2. أخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة (1698) وصححه البيهقى الألبانى : 33/2 والبخارى فى الأدب  
المفرد (470) ص166 ، والبيهقى فى السنن الكبرى (7607) 187/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2821) 42/6 .
4. أخرجه مسلم فى الزكاة (1056) 730/2 ، وأحمد فى المسند (128) واللفظ له .

وقد يستخدم البخل على معنى اصطلاحى ، وإن احتفظ بمبدلولة  
اللغوى كما روى عن علي بن أبي طالب  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : "   
البخيل الذى من ذكرت عنده ، فلم يصل علي " (1) ، وقد تعددت  
الروايات فى تعوده  $\varepsilon$  من البخل عامة ، وفى حديث أنس بن مالك  $\tau$   
، أن رسول الله  $\varepsilon$  كان يدعو :

" أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ،  
وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات " (2) .

- البخل فى الاصطلاح الصوفى :

والبخل ورد في اصطلاح الصوفية ، على المعاني السابقة المذكورة في الأصول القرآنية ، ومن كلامهم الذى يعد شرحا وتفسيرا لما سبق ، ما روى عن أبي حفص النيسابورى (ت:270هـ) أنه سئل عن البخل ؟ فقال : ( ترك الإيثار عند الحاجة إليه ) (3) ، وعن أبي على الجوزجاني (ت:بعد300هـ) أنه قال في البخل : ( هو ثلاثة أحرف : الباء وهو البلاء ، والخاء وهو الخسران ، واللام وهو اللوم ، فالبخل بلاء في نفسه ، وخاسر في سعيه ، وملوم في بخله ) (4) .

- 
1. أخرجه الترمذى في كتاب الدعوات برقم (3546) 5/551 ، وقال : حديث حسن وأحمد في المسند (1738) واللفظ له .
  2. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن (4707) 8/239 .
  3. طبقات الصوفية ص120 ، تجدر الإشارة إلى أن معاجم المصطلح الصوفى خلت من مصطلح البخل مع كونه من عيوب النفس التى تكلم فيها كثير من الصوفية كما نرى .
  4. السابق ص246 .

وكلام الجوزجاني من قبيل مذمة البخل ، لكن اجتهاده في تفسير الحروف لا يعتد به ، لافتقاره إلى الدليل .

ولأبي القاسم القشيري (ت:465هـ) في مصطلح البخل ، كلام قريب إلى حد ما من الأصول القرآنية ، فيذكر أن البخل على لسان أهل العلم ، منع الواجب ، وعلى بيان الإشارة ، ترك الإيثار في زمان الاضطرار ، والبخل في قوله تعالى : { الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ



النَّاسَ بِالْبُخْلِ { [الحديد/24] معناه منعهم عن مطالبات الحقائق ، في معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع ، وبيان هذا أن يقع بلسانك الانسلاخ عن العلائق وحذف فضولات الحالة (1) .

و في قوله تعالى : { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران/180] .

يقول القشيري : ( من أثر شيئا على الله ، لم يبارك له فيه ، فلا يدوم له في الدنيا بذلك استمتاع ، ولا للعقوبة عليه في الآخرة عنه دفاع ، والبخل على لسان العلماء منع الواجب ، وعلى مقتضى الإشارة إبقاء شئ ، ولو ذرة من المال أو نفسا من الأحوال ) (2) .

---

1. لطائف الإشارات 332/1 ، 333 .

2. السابق 300/1 .

\*\*\*\*\*

## 16- البسط

\*\*\*\*\*

- البسط : بسط الشيء نشره وتوسعه ، وهو ضد القبض ،  
ويستخدم في المحسوسات وغيرها ، فمن الأول ، قوله عز وجل : {  
وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ } [الكهف/18] ، وعن أبي هريرة  $\tau$  قال :  
" قلت يا رسول الله : إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه ، قال :  
ابسط رداءك ، فبسطته ، قال : فغرف بيديه ، ثم قال : ضمه ،  
فضممته ، فما نسيت شيئا بعده " (1) ، وعن عائشة رضی الله عنها  
، أنها قالت : " كنت أنام بين يدي رسول الله  $\varepsilon$  ، ورجلاي في قبلته  
، فإذا سجد غمزني ، فقبضت رجلي ، فإذا قام بسطتهما " (2) ،  
وعنها أيضا : " أن النبي  $\varepsilon$  كان له حصير ، يبسطه بالنهار ،  
ويحتجره بالليل " (3) .

ومن الثاني البسط في المعاني ، وهو الشاهد للمعنى الصوفي ، كقوله  
عز وجل : { وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ } [الشورى/27] ، أى لو وسعه  
، وقوله : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ }  
[البقرة/247] أى سعة فبسطته في العلم ، هو انتفاعه به ونفع غيره ،  
فصار له به بسطة أى جود (4) .

1. أخرجه البخارى في كتاب العلم (119) 259/1 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة (513) 700/1 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الأذان (730) 353/4 . 4. المفردات ص 46 .

وعن أنس بن مالك  $\tau$  ، قال : سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " من سره أن يبسط له في رزقه ، أو ينسأ له في أثره ، فليصل رحمه " (1) ، ومن حديث عروة بن الزبير  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " فوالله ، ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " (2) .

وبسط اليد مدها ، وبسط الكف يستعمل على أنواع ، تارة للطلب نحو قوله تعالى : { إِلَّا كَبَّاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ } [الرعد/14] وتارة الأخذ نحو : { وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ } [الأنعام/93] وتارة للصولة والضرب ، قال تعالى : { وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ بِالْشُّؤِ } [المتحنة/2] وتارة للبدال والإعطاء نحو : { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة/64] (3) .

## - البسط في الاصطلاح الصوفي :

البسط في الاصطلاح الصوفي ، بسط إيماني ، ويعنى الفرح بالتوفيق ، والثقة بالوعد في الآيات ، واتساع الرحمة على جميع الكائنات ، وهذا بسط البديات عندهم (4) ، وهو الذى يتوافق مع الأصول القرآنية من جهتين :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع (2067) 353/4.

2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى (4015) 371/7.

3. لسان العرب 259/7 ، والقاموس المحيط 850/1 .

4. معجم الكاشانى ص 354 .

1- مبادرة العبد إلى الزيادة الإيمانية المستمرة ، بإقباله على الله ، وهو أحد الوجوه التى ذكرها أبو القاسم القشيرى فى قوله تعالى : { وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ } [البقرة/245] ، فقبط القلوب بإعراضها ، وبسطها بإقبالها (1) .

والبسط قد يطلق عندهم على غلبة الرجاء فى القلب ، كما ذكر عن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) أنه قال : ( الخوف من الله يقبضنى ، والرجاء منه يبسطنى ) (2) .

ووروى عن أحمد بن عطاء الروذبارى : (ت:369هـ) أنه سئل عن القبض والبسط ؟ فقال : ( إن القبض أول أسباب الفناء ، والبسط أول أسباب البقاء ، فحال من قبض الغيبة وحال من بسط الحضور ، ونعت من قبض الحزن ، ونعت من بسط السرور ) (3) .

2- البسط من جهة التوفيق الإلهى للعبد فى بلوغه درجة الإيمان ، فالبسط على هذا ، نور ينسط على القلب يخلقه الله فيه (4) ، وهذا الوجه يدل عليه قوله تعالى : { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ } [الأنعام/125] ، وقوله : { وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } [التغابن/11] .

[التغابن/11] .

وقد ورد للبسط عندهم معان أخرى مبنية على التقسيم الذوقى والاجتهاد الشخصى الذى يفتقر إلى الدليل النقلى ، منها :

1. لطائف الإشارات 190/1 . 2. الرسالة 212/1 .

3. الرسالة 212/1 . 4. طبقات الصوفية ص 499 .

1- البسط فى مقام القلب ، بمثابة الرجاء فى مقام النفس ، وهو فى مقام القلب وارد بإشارة إلى قبول ولطف ، ورحمة وأنس ، والبسط فى مقام النفس ، هو أن يبسط الله العبد مع الخلق ظاهرا ، ويقبضه إليه باطنا ، رحمة للخلق ، فهو يسع الأشياء ، ويؤثر فى كل شئ ، ولا يؤثر فيه شئ (1) .

2- البسط عبارة عن تجل رحمانى ، به انتشر فى الوجود ، وما كان منطويا فى العلم الإلهى ، وكل بسط فى الوجود من هذا التجلى الرحمانى (2) .

3- البسط لمحمد  $\varepsilon$  ، فإنه كان متصفا بالقبض والبسط (3) ، ثم استدلوا لذلك برواية عن أسماء بنت عميس ، أنه  $\varepsilon$  قبض على الشمس ، فوقف حتى صلى على  $\tau$  (4) ، يقول الجيلى : ( فهذا دليل عظيم ، على اتصافه بالقبض والبسط ، فإنه قبض على الشمس أن تغيب وبسط فى النهار حتى زاد ووقف الشمس على الجبال والأرض ) (5) .

1. أبو الحسن الشاذلى ص129 للدكتور عبد الحليم محمود .
2. انظر التعبير في التذكير للقشيري ص45 وقارن الإملاء للغزالي ص66 واصطلاحات الصوفية لابن عربي ص5 ، لطائف الإعلام 283/1 .
3. الكمالات الإلهية في الصفات الحمديّة للجيلي ص105 .
4. موضوع ، قال الإمام أحمد : لا أصل له ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس 428/1 .
5. الكمالات الإلهية في الصفات الحمديّة ص278 .

\*\*\*\*\*

## 17- البصيرة

\*\*\*\*\*

- **البصيرة** : تقال لقوة القلب المدركة ، قال تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } [يوسف/108] ، أى على معرفة وتحقق وتقال أيضا للحجة والاستبصار فى الشئ ، كقوله تعالى : { بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ } [القيامة/14] (1) ، ومن حدث أبى سعيد الخدرى ؓ ، قال رسول الله ﷺ عن الدجال : " يقول له الدجال : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت فيك إلا بصيرة " (2) .

- **البصيرة فى الاصطلاح الصوفى** :

والبصيرة فى الاصطلاح الصوفى ، قوة باطنة هى للقلب كعين الرأس ، ويقال هى عين القلب عندما ينكشف حجابها ، فيشاهد

بها بواطن الأمور ، كما يشاهد عين الرأس ظواهرها ، ولهذا قالوا :  
البصيرة ما يخلص من الحيرة (3) .

ووردت عندهم أيضا على معنى التحقق من الشيء ، وزيادة اليقين  
وتوكيده كالتحقق من الدعوة إلى المتابع للكتاب والسنة واتباع الوحي  
، يقول الجنيد بن —

1. المفردات ص 49 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الفتن (2938) 4/2256.

3. لطائف الإعلام 1/284 ، ومعجم الكاشاني ص 64 .

محمد (ت:297هـ) : ( الطرق كلها مسدودة ، إلا على المقتفين آثار  
النبي صلى الله عليه وسلم ، لقوله تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو  
إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي } [يوسف/108] ) (1) .

ويعرف السراج الطوسي (ت:387هـ) البصيرة ، بالألا يشهد  
الصوفي لنفسه ولا يرى نفسه ، فيستقطعه بشواهدده ، ويوقن أنه ليس  
إلى نفسه شيء من الهداية وأنه لا يملك ضرا ولا نفعا ، إلا أن يتولى  
الله تعالى ذلك (2) ، ويقاربه أيضا قول القشيري (ت:465هـ) : ( )  
البصيرة اليقين الذى لا مرية فيه ، والبيان الذى لا شك فيه ،  
والبصيرة يكون صاحبها ملاحظا بالتوفيق جهدا ومكاشفا ، بالتحقق  
سرا (3) ، وله أيضا : ( البصيرة ، أن تطلع شمس الفرقان فتندرج  
فيها أنوار نجوم العقل ، لقوله تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ  
عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي } (4) .

ولئن كان معنى البصيرة فيما سبق ، قريب من الأصول القرآنية ،  
إلا أنه أخذ عند بعض الصوفية بمعنى أخرى مفارق ، فيعنون بها  
الدعو إلى أحدية الذات —

1. انظر حلية الأولياء 257/1 ، والأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي ص 53 .
2. اللمع ص 153 ، والبصيرة التي يذكرها السراج الطوسي تعد من كمالات التوحيد ونسبة الفضل ،  
وأفعال الخير ، والطاعة التي يقوم بها الإنسان إلى الله ، وإن كان العبد له جهد ومبادرة .
3. لطائف الإشارات 213/2 .
4. السابق 213/2 .

الموصوفة بكل الصفات في عين الجمع ، بحيث يرى الوحدة في عين  
الكثرة والمجمل في عين المفصل ، وعند العبور من الباطن إلى الظاهر ،  
وبالعكس ، أى يرى الكثرة في الوحدة ، والمفصل في المجمل مع وحدة  
المجلى والمتجلى فيه بالعين وإن وقع الاختلاف بالتعين (1) .

\*\*\*\*\*

## 18 - البعد

\*\*\*\*\*

- البعد : ضد القرب وليس لهما حد ممدود ، وإنما ذلك بحسب  
اعتبار المكان بغيره ويستعمل البعد على نوعين (2) :

- 1- البعد في المحسوس وهو الأكثر ، كقوله تعالى : { أُولَئِكَ يُنَادُونَ  
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [فصلت/44] ، وقوله سبحانه : { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ  
يَأْتِيَتَ بَنِيَّ وَبَنِيكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ } [الزخرف/38] ، ومن



دعاء النبي ﷺ في السفر : " اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده " (3) .

1. انظر لطائف الإعلام 285/1 وقارن بتفسير القرآن الكريم للكاشاني ، منسوب لابن عربي 624/1 وانظر الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية ص281 في معنى البصيرة في مفهوم الجيلي عند وصفه الرسول ﷺ بالأسماء والصفات الإلهية ، واحتججه على بصيرة النبي ﷺ برؤيته للجنة والنار وعجائب الملكوت الأعلى ، وانظر الشفا ، للقاضي عياض تحقيق سعيد عبد الفتاح 283/1 .  
2. المفردات ص53 .  
3. أخرجه مسلم في كتاب الحج (1342) 978/2 .

2- البعد في المعنويات ، كقوله تعالى : { بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ } [سبأ/8] ، أى الضلال الذى يصعب الرجوع منه إلى الهدى ، تشبيها بمن ضل عن محجة الطريق بعدا متناهيا ، فلا يكاد يرجى له العود إليها ، وقوله : { وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَبَعِيدٍ } [هود/89] ، أى تقاربونهم في الضلال ، فلا يبعد أن يأتيكم ما آتاهم من العذاب (1) ، ويحتمل البعد الزمني والمكاني ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، قال النبي ﷺ : " إني فرطكم على الحوض ، من مر علي شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبدا ، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول : إنهم مني ؟ ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي " ، وقال عبد الله بن عباس τ :

" سحقا بعدا ، يقال : سحيق بعيد ، سحقه وأسحقه أبعده " (2)

## - البعد في الاصطلاح الصوفي :

والبعد في الاصطلاح الصوفي ، يذكر على معنى البعد عن الله ،  
ويضاده القرب ، كما روى عن أبي حفص النيسابورى  
(ت:270هـ) ، أنه قال :

( التصوف كله آداب ، لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن  
لزم آداب الأوقات ، بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب ، فهو  
بعيد من حيث يظن —

1. المفردات ص 53 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6585) 472/11 .

القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول ) (1) .

ويرى الصوفية الرياء بعدا وتجريد التوحيد الإخلاص قربا ، ويروى  
أن أبا الحسين النورى (ت:295هـ) رأى بعض أصحاب أبي حمزة ،  
فقال : أنت من أصحاب أبي حمزة الذى يشير إلى القرب ؟ ، إذا  
لقيته فقل له : ( إن أبا الحسين النورى يقرئك السلام ويقول لك :  
قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد ) (2) .

ومثل هذه المعانى لها أصولها القرآنية ، وربما كان اعتمادهم فى شرح  
المعنى على الشاهد النبوى ، كقول أبي القاسم القشيرى (ت:465هـ)

( البعد هو التدنس بمخالفته تعالى ، والتجافي عن طاعته ، فأول البعد بعد عن التوفيق ، ثم بعد عن التحقيق ، بل البعد عن التوفيق في الحقيقة هو بعد عن التحقيق ، قال ع : " وما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما فرضتهم عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبني وأحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فبي يبصر وبى يسمع " (3) ، والمعنى المشار إليه في الحديث وإن كان في القرب ، إلا

1. طبقات الصوفية ص 119 .

2. الرسالة القشيرية 260/1 .

3. السابق 257/1 ، والحديث أخرجه البخارى فى الرقاق برقم (6502) عن أبي هريرة ولفظه : ( وما تقرب إلى عبدي بشيء ، أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ) وانظر للمقارنة روضة الطالبين لأبى حامد الغزالي ص 59 ، وميزان العمل للمؤلف السابق ص 169 ، والمواقف لابن عباد النفري ص 2 .

أن أنه صحيح فى مصطلح البعد بمفهوم المخالفة ، ويتوافق أيضا مع الأصول القرآنية .

ومن الإنصاف أن يذكر لابن عربى بلسان الظاهر ، قوله : ( البعد الإقامة على المخالفات ، وقد يكون البعد منك ، ويختلف باختلاف الأحوال ، فيدل على ما يراد به قرائن الأحوال ) (1) .

ويذكر الكاشانى فى تفسيره ، معنى الإقامة على المخالفات ، أن المخالفة من أحكام ما به الافتراق ، والطاعة من أحكام ما به

الاجتماع ، والبعد افتراق والقرب اجتماع ، وعلى ذلك يتنوع معنى  
البعد ، فقد يكون البعد باعتبار النعوت الذاتية ، كافتراق الأشياء  
وتحيزها بالحدود الذاتية ، وهذا هو البعد الأبعد ، ومن ذلك قوله  
تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [العنكبوت/6] ، إذ لا جامع بين  
ذات الغنى بالذات ، وبين الذوات المفتقرة بالذات ، وقد يكون  
بالنعوت العرضية ، كالمكان والزمان ، والمقدار والألوان ، وقد يكون  
البعد منك فلا يزول هذا البعد ، إلا من باب دع نفسك وتعالى ،  
فإن من ترك نفسه بعد عنها ، وتركها إنما هو بترك أوصافها وأخلاقها  
المبعدة إياها عن مقصدها ، ولا يترك أوصافها وأخلاقها إلا عند  
اتصافها وتخلقها بالأخلاق الإلهية وصفاتها (2) .

- 
1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص7 ، ولطائف الإعلام 287/1 ، وانظر في القرب أيضا  
الفتوحات المكية 173/2 ، 14/3 ، 22/4 وانظر بلغة الخواص ص 18 .
  2. رشح الزلال ص88 ، 89 .

\*\*\*\*\*

## 19- البقاء

\*\*\*\*\*

- البقاء : ثبات الشيء على حاله الأولى ، وهو يضاد الفناء ، والباقي  
ضربان :

1- باق بنفسه لا إلى مدة ، وهو البارى تعالى ، ولا يصح عليه  
الفناء ، فهو الآخر الذى ليس بعده شئ ، قال تعالى : { كُلُّ مَنْ  
عَلَيْهَا فَإِنَّ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن/26:27] (1) .  
2- باق بغيره : وهو ما عداه ويصح عليه الفناء ، والباقي بالله  
ضربان (2) :

أ- باق بشخصه إلى أن يشاء الله أن يفنيه ، كبقاء الأجرام السماوية  
فى الدنيا وكبقاء أهل الجنة أبدا ، فإنهم يبقون على التأييد بمشيئة  
الله لا إلى مدة كما قال سبحانه وتعالى : { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا }  
[البينة/8] .

ب- وباق بنوعه وجنسه دون شخصه وجزئه ، كالإنسان والحيوان فى  
الدنيا وكبقاء نعيم الجنة فى الآخرة ، بنوعه وجنسه متجددا .  
ولكون ما فى الآخرة يتصف بالدوام قال عز وجل : { وَمَا عِنْدَ  
اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الفصص/60] ، وعن أبي سعيد الخدرى ؓ ، قال : " قرأ  
رسول الله ﷺ : { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ } [مريم/39] ، قال : يؤتى بالموت  
كأنه كبش أملح —

1. المفردات ص 57 ، ولسان العرب 79/14 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة ( بقى ) .

2. السابق ص 57 .

حتى يوقف على السور بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ،  
فيشرئبون ويقال : يا أهل النار ، فيشرئبون ، فيقال : هل تعرفون هذا

؟ فيقولون : نعم هذا الموت ، فيضجع فيذبح ، فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحا ، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا " (1) .

## - البقاء فى الاصطلاح الصوفى :

والبقاء فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى دوام اتصاف العبد بالأوصاف الحميدة ومجانبته اللائمة لكل ما هو مذموم فى الكتاب والسنة ، وهذا المعنى نجده عند إبراهيم بن شيبان (ت:330هـ) حيث روى عن أنه قال : ( علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية ، وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة ) (2) ، وقال الكلاباذى (ت:380هـ) : ( الباقى هو أن —

1. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3156) وقال : حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح دون قوله : فلولا أن الله قضى .. 315/5 ، وأخرجه مسلم 2188/4 (2849) ، والنسائى فى السنن الكبرى (11316) 393/6 .

2. طبقات الصوفية ص404 ، ومن الجدير بالذكر أن علم البقاء والفناء ، لم يعرف فى مرحلة التصوف الأولى البسيط ، وإنما ظهر فى بداية مرحلة التصوف الأولى المركب فحمله المعتدلون من الصوفية على المعنى البسيط ، الموافق للأصول القرآنية ، كما هى عبارة إبراهيم ابن شيبان ، لكنه حمل على معنى بدعى معقد ظهر فى المراحل التالية وانظر نشأة التصوف الإسلامى ، للدكتور إبراهيم بسيونى ، طبعة دار المعارف بمصر ص228 ، والتصوف الإسلامى الخالص ، محمود أبو الفيض المنوفى ، طبعة دار نضضة مصر ص158 .

تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا ، فتكون كل حركاته فى موافقات الحق دون مخالفته ، فيكون فانيا عن المخالفات ، باقيا فى الموافقات ، وليس معنى أن تصير الأشياء كلها له شيئا واحدا، أن تصير

المخالفات له موافقات ، فيكون ما نهى عنه كما أمر به ، ولكن على معنى أن لا يجرى عليه ، إلا ما أمر به وما يرضاه الله تعالى ، دون ما يكرهه (1) ، وهذا المعنى تؤيده الأصول القرآنية والنبوية كما ورد في قوله تعالى :

{ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا } [مريم/76] ،  
وقوله : { وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون } [82/43] ،  
وقوله : { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [هود/86] ، فهذه الآيات تدل في المعنى العام ، على ضرورة بقاء العبد على الأوصاف المحمودة شرعا ، من خلال التزامه بأحكام العبودية والعمل في توحيد الله ، وعن أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " استكثروا من الباقيات الصالحات ، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الملة ، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الملة ، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الملة ، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " (2) .

---

1. التعرف ص148 ، وقارن ذلك بما ورد عند السهروردي في عوارف المعارف ص524 ، وانظر رأى المستشرق نيكلسون في البقاء والفناء ، في كتابه في التصوف الإسلامي ترجمة أبي العلا عفيفي .

2. أخرجه أحمد في المسند (11731) 75/3 والبيهقي في شعب الإيمان (605) 425/1 وهو صحيح الإسناد ، انظر الترغيب والترهيب 280/2 .

ويحاول أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) أن يجعل البقاء عند الصوفية إشارة إلى قيام الأوصاف المحمودة ، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة ، يقال في العرف الصوفي : إنه فنى عن شهواته ، فإذا فنى عن شهواته ، بقى بنيته وإخلاصه في عبوديته ، ومن زهد في دنياه بقلبه ، فنى عن رغبته ، فإذا فنى عن رغبته فيها ، بقى بصدق إنابته ، ومن عالج أخلاقه ، فنفى عن قلبه الحسد والحقد ، والبخل والشح ، والغضب والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس يقال في عرفهم ، فنى عن سوء الخلق ، فإذا فنى عن سوء الخلق ، بقى بالصدق في ضدها ) (1) .

وقد تجاوز المعنى الصوفي للبقاء هذا الحد عند بعضهم ، وأخذ بمعان لا دليل عليها ، وفيها تجاوز شديد لا يتسع البحث لعرضها (2) .

---

1. انظر الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري 228/1 ، والإملاء في اشكالات الإحياء ص66 ، وشرح الرسالة القشيرية للأنصارى 60/2 .

2. انظر في تفصيل ذلك : الحب الإلهي عند محي الدين بن عربي ، إعداد منشأوى عبد الرحمن إسماعيل ، رسالة ماجستير ، مخطوط كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رقم (373) سنة 1983م ، وانظر لابن عربي في مصطلح البقاء فصوص الحكم ، 14/2 ص72 ، وكتاب التراجم ص7 ، و الديوان ص50 ، وسائل السائل ص44 ، ومواقع النجوم ص15 ، والفتوحات المكية 107/2 ، وانظر الفصل الرابع من القسم الأول مرحلة التصوف الأولى المركب والتصوف الحلولى .



## 20- البلاء

\*\*\*\*\*

- البلاء : الاختبار ، وسمى التكليف بلاء من أوجه (1) :

1- أن التكليف كلها مشاق على الأبدان ، فصارت من هذا الوجه بلاء .

2- أنها اختبارات ، ولهذا قال الله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } [محمد/31] ، وقال : { وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ } [البقرة/124] .

3- أن اختبار الله تعالى للعباد ، يكون تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء ، فالمنحة مقتضية للصبر ، والمنحة مقتضية للشكر ، والقيام بحقوق الصبر ، أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين ، قال تعالى : { وَنَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } [الأنبياء/35] وقوله تعالى : { وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ } [البقرة/49] راجع إلى أمرين :  
أ- المحنة في قوله تعالى : { يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } [البقرة/49] .

ب- المنحة التي أنجاهم : { وَآتَيْنَاهُمْ مِنْ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ } [الدخان/33] .

1. المفردات في غريب القرآن ص 61 ، 62 .

## - البلاء في الاصطلاح الصوفي :

البلاء في الاصطلاح الصوفي ، يرد على معنى الاختبار والامتحان ، كما سبق في الأصول القرآنية :

يقول المحاسبي (ت:243هـ) : ( إن الدنيا فتنة بلوى واختبار ، وإنها ليست بدليل على رضا الله عز وجل عن العباد ، ألم تسمع قوله تبارك وتعالى : { فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي } [الفجر/15:16] ، قال الله عز وجل : { كَلَّا } ، كذبهما جميعا ، فليس هذا بكرامتي ، ولا هذا بهواني ، ولكن الكريم من أكرمه بطاعتي ، على أي حال كان ، فقيرا كان أو غنيا ، والمهان من أهنته بمعصيتي على أي حال كان ، فقيرا كان أو غنيا ، فاغتر الكافرون بظاهر نعم الله عز وجل ، وظنوا أن ذلك من كراماتهم على الله عز وجل ) (1) .

وروى عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) ، أنه قال : ( البلوى من الله على وجهين : بلوى رحمة ، وبلوى عقوبة ، فبلوى الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله وترك التدبير ، وبلوى العقوبة يبعث صاحبه على اختياره وتدبيره ) (2) .

وعلى الوتيرة نفسها ، يبين السراج الطوسى (ت:387هـ) معنى

البلاء من —

1- الرعاية ص 346 .

2- طبقات الصوفية ص 210، 211 .

مفهوم قرآنى محض ، ويدل عليه بشاهد نبوى ، فيقول : ( البلاء ظهور امتحان الحق لعبده فى حقيقة حاله بالابتلاء ، وهو ما ينزل به من التعذيب ، وروى عن النبى ؑ أنه قال : " نحن معشر الأنبياء أشد الناس بلاء " (1) .

وقال على بن عثمان الهجويرى (ت:465هـ) : ( البلاء امتحان أجساد الأحبة بأنواع المشقات والأمراض والآلام ، لأنه كلما كان البلاء أكثر قوة على العبد ، فإنه يكون أكثر قربا للحق ، لأن البلاء لباس الأولياء ، ومهد الأصفياء وغذاء الأنبياء صلوات الله عليهم ، ألم تر أن الرسول ؑ قال : " أشد البلاء للأنبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل " وجملة القول ، فإن البلاء اسم للألم الذى يظهر على قلب المؤمن وجسده ، وتكون حقيقية لنعمه ، وبحكم أن سره يكون خافيا على العبد ، فإنه يثاب عليه باحتماله آلامه ) (2) .

---

1. اللمع ص 429 والحديث أخرجه الترمذى فى الزهد (2398) عن مصعب بن سعد ؓ عن أبيه ، قال : " قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب

دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد ، حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة ) وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح 601/4 ، ورواه الحاكم في المستدرک وقال : صحيح على شرط الشيخين انظر حديث رقم ( 120 ) 99/1 .

2. كشف المحجوب ص 633 ، والحديث الذى أورده الهجویری وإن كان معناه صحيحا إلا أنه لا أصل له بهذه اللفاظ ، وتجدر الإشارة إلى أن الهجویری ينقل ما وصل إلى سمعه مما صحح أو لم يصح ، وما صح ، فإنه ينقله بالمعنى وبغير ألفاظه ، وذلك لتساهله الشديد فى النقل عن رسول الله ﷺ ، وانظر المزيد فى الفتح الربانى ص 33 ، وقوت القلوب 10/2 وما بعدها .

\*\*\*\*\*

## 21- التبتل

\*\*\*\*\*

- التبتل : هو الانقطاع عن الدنيا إلى الله ، قال تعالى : { وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا } [المزمل/8] ، ومعناه انقطع فى العبادة وإخلاص النية ، انقطاعا يختص به (1) وليس هذا منافيا ، لما ثبت عن سعد بن أبي وقاص ، أن رسول الله ﷺ رد على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا (2) ، فإن التبتل فى الحديث هو الانقطاع عن النكاح والعزوف عنه ، ومنه قيل لمريم العذراء التبتل أى المنقطعة عن الرجال (3) .

- التبتل فى الاصطلاح الصوفى :

والتبتل ورد فى الاصطلاح عند أغلب الصوفية يرد على المعنى القرآنى ، يقول القشيرى فى معنى التبتل الوارد فى قوله تعالى : {

وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا { [المزمل/8] أى انقطع إليه انقطاعا

تاما (4) ، وقال الكاشاني : التبتل هو —

1. لسان العرب 42/11 ، والمفردات ص 36٣37 ، مختار الصحاح ص 40 .
2. أخرجه البخارى فى النكاح (5074) 19/9 ومسلم فى النكاح (1402) 1020/2 .
3. غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة 1396 ، 19/4 .
4. لطائف الإشارات 643/3 .

الانقطاع إلى الله بالكلية ، والإشارة إليه بقوله : { وَتَبَتَّلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا } ، فقوله وتبتل إليه دعوة إلى التجريد المحض (1) ولكنهم قسموا التبتل على ثلاثة أنواع :

- 1- تبتل العامة هو التجريد عن اللواحق للناس .
- 2- تبتل المرید وهو التجريد عن اللواحق ، إلى ما تدعوا إليه النفس (2) .

3- تبتل الواصل : وهو انقطاعه عما سوى الحق انقطاعا تاما ، وذلك من وجهين مخالفين للأصول القرآنية :

أ- الانقطاع الذى لا يلحظ فيه شيئا من المخلوقات فى عبادته ، لا من أعراض الدنيا ، ولا من أعراض الآخرة يعبده فردا لفرد ، كما روى أبى يزيد البسطامى : ( الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة ، وأهل المحبة محبوبون بمحبتهم (3) ، وقال : ( إن الله قد

أمر العباد ونهاهم ، فأطاعوه ، فخلع عليهم خلعهم ، فاشتغلوا بالخلع عنه ، وإني لا أريد من الله إلا الله ( 4 ) .

ب- أن ينقطع عما سواه بذكره لنفسه على أنه هو ، وهذا تبطل أهل الوحدة يقول الكاشاني : ( واذكر اسم ربك الذي هو أنت ، أى اعرف نفسك واذكرها ولا تنساها ، فينساك الله ، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة

1. لطائف الإعلام 300/1 .

2. السابق 300/1 .

3. الرسالة 461/2 .

4. طبقات الصوفية ص 70 ، ص 72 .

حقيقتها ، وتبطل وانقطع إلى الله بالإعراض عما سواه انقطاعا تاما معتدا بالذى ظهر عليك نوره ، فطلع من أفق وجودك بايجادك ( 1 )

\*\*\*\*\*

## 22 - التجلى

\*\*\*\*\*

- التجلى : الظهور ، يقال : أجليت الأمر بينته وأظهرته ، ومن حديث عبد الله بن عباس  $\tau$  قال : " خسفت الشمس على عهد رسول الله  $\varepsilon$  ، فصلى رسول الله  $\varepsilon$  والناس معه .. ثم انصرف ، وقد

تجلت الشمس " (2) ، أى ظهرت ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال  $\epsilon$  : " تخرج الدابة ، معها خاتم سليمان وعصا موسى ، فتجلو وجه المؤمن ، وتختم أنف الكافر بالخاتم " (3) ، أى تظهره للناس ، وقد يكون التجلى بالذت أو الأمر (4) :

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى وهو للكاشانى 720/2 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح (5197) 209/9 .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (3187) وقال : حسن غريب ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 340/5 ، وابن ماجة فى كتاب الفتن (4066) 1351/2 وأحمد فى المسند (7924)

4. المفردات ص96 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة : ( جلو ) .

1- فمن الأول : قوله تعالى : { وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل/1:2] وقوله : { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف/143] ، وعن أنس  $\tau$  ، أن النبي  $\epsilon$  قرأ هذه الآية : { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } ، قال حماد : هكذا ، وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى ، قال : فساخ الجبل ، { وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } (1) ، وفى رواية أخرى ، قال أنس  $\tau$  : " قال هكذا ، يعنى أنه أخرج

طرف الخنصر " (2) ، وثالثة قال : " فأوماً بخنصره ، قال : فساخ " (3) .

وكرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، كما في حديث جابر بن عبد الله  
τ قال ε : " ثم يأتينا ربنا بعد ذلك ، فيقول : من تنظرون ؟  
فيقولون : ننظر ربنا فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : حتى ننظر إليك ،  
فيتجلى لهم يضحك " (4) .

وعن صهيب عن النبي ε قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ،  
وأهل النار النار ، نودوا يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً ،  
فقالوا : ألم يثقل موازيننا —

1. أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن (3074) 265/5 وأحمد (12282) .
2. أخرجه أحمد في المسند (11851) ، وهذه الراوية والتي قبلها فيها ضعف .
3. أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن (1392) وصححه الألبانى 14/4 ، وأحمد في المسند (12766) واللفظ له .
4. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (191) 177/1 وأحمد (15155) .

ويعطينا كتبنا بأيماننا ، ويدخلنا الجنة وينجيننا من النار ؟ فيكشف  
الحجاب قال : فيتجلى الله عز وجل لهم ، قال : فما أعطاهم الله  
شيئاً أحب إليهم ، من النظر إليه " (1) .

2- ومن الثانى : ما روى عن قبيصة الهلالي τ : " أن الشمس انخسفت  
فصلى نبي الله ε ركعتين ركعتين حتى انجلت ، ثم قال : إن الشمس  
والقمر لا ينخسفان لموت أحد ، ولكنهما خلقتان من خلقه ، وإن الله



عز وجل يحدث في خلقه ما شاء وإن الله عز وجل إذا تجلى لشيء من خلقه يخشع له ، فأيهما حدث فصلوا حتى ينجلي ، أو يحدث الله أمرا " (2) ، فظاهر من الحديث أن التجلى تجلى الأمر .

## - التجلى في الاصطلاح الصوفي :

التجلى في الاصطلاح الصوفي ، يدور في الأغلب عند المعتدلين من الصوفية حول ظهور نور الإيمان في قلب المؤمن ، من خلال المراقبة ومشاهدة أفعال الربوبية ، وهذا المعنى لا يعارض الأصول القرآنية والنبوية ، ومن أقوالهم الدالة عليه :

ما روى عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) ، أن التجلى على ثلاثة أحوال تجلى الذات : وهى المكاشفة أى كشوف القلب في الدنيا ، كقول —

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (181) 163/1 وأحمد (18457) واللفظ له .
2. ضعيف من رواية قبيصة الهلالي ، أخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة (1262) وضعفه الألباني 401/1 ، والنسائي في كتاب الكسوف (1485) 141/3 .

ابن عمر  $\tau$  : " كنا نترأى الله في ذلك المكان " ، يعنى في الطواف ، وقال  $\epsilon$  : " اعبد الله كأنك تراه " (1) ، وتجلي صفات الذات : ومعناه ، أن تتجلى له قدرته عليه ، فلا يخاف غيره ، وكفايته له ، فلا يرجو سواه ، وتجلي حكم الذات : وهى الآخرة وما فيها ، وكشوف العيان فى الآخرة ، إذ يكون فريق فى الجنة وفريق فى

السعير<sup>(2)</sup> ، وينسب لأبي الحسين النورى (ت:295هـ) كلام نفيس  
دقيق فى مصطلح التجلى حيث قال :

( تجلى لخلقه بخلقه ، واستتر عن خلقه بخلقه ، فبتجليه حسنت  
المحاسن وجملت ، وباستتاره قبحت وسمجت )<sup>(3)</sup> ، وروى عن الجنيد  
(ت:297هـ) أنه قال : ( التجلى قد يكون بطريق الأفعال ، وقد  
يكون بطريق الصفات ، وقد يكون بطريق الذات )<sup>(4)</sup> .

---

1. التعرف للكلاباذى ص121.

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6416) وأحمد فى المسند (6121) عن عبد الله بن عمر  $\tau$   
بلفظ قال : أخذ رسول الله  $\text{ﷺ}$  ببعض جسدي ، فقال : " اعبد الله كأنك تراه ، وكن فى الدنيا كأنك  
غريب أو عابر سبيل " .

3. اللمع ص439 وانظر فى المقارنه بكلام الجنيد ، المعارضة والرد لسهل بن عبد الله التستري  
ص80 ، وللمقارنة من الناحية الكلامية ، الاقتصاد فى الاعتقاد لأبى حامد الغزالى ص158 ،  
ومن الناحية الفلسفية الرسالة العرشية لابن سينا ص10 وتحافت الفلاسفة لأبى حامد الغزالى ص37 ،  
وسالة التعليقات للفاربي ص20 .

4. عوارف المعارف للسهروردى ص526 .

وقد نقل كتاب المصطلحات القدامى هذا المعنى عن الصوفية ،  
فقال أبو نصر السراج الطوسى (ت:387هـ) : ( التجلى إشراق  
أنوار إقبال الحق ، على قلوب المقبلين عليه )<sup>(1)</sup> ، ويذكر الهجویری  
(ت:465هـ) أن التجلى هو ما يسطع من الأنوار الربانية على قلوب  
المقبلين ، التى بها يتمكنون من رؤية الله تعالى بقلوبهم )<sup>(2)</sup> .

ويقسم الكاشاني التجلى إلى قسمين ، ولكن قسيمه بعيد عن الأصول القرآنية والنبوية حيث يعبر بهما عن فكر أصحاب وحدة الوجود (3) :

التجلى الأول : وهو ظهور الذات نفسها لنفسها ، فى عين التعين والقابلية الأولى الذى هو الوحدة ، وحقيقة التجلى الأول ، إنما هو عبارة عن شهود الذات نفسها ، وإدراكها من حيث وحدتها ، بجميع اعتباراتها وشؤونها ، فظهرت الذات نفسها لنفسها فى نفسها ، بهذا التجلى والظهور وبحسبه ، وحضرت معها بلا توهم تقدم أستار ، وغيبة وفقدان ، وأحيانا يسمى هذا النوع بتجلى الذات أو التجلى الأحدى الجمعى ، أو تجلى الغيب المغيب ، أو تجلى الغيب الأول أو —

1. اللمع ص 439 ، وانظر كتاب الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذى ص 71 .
2. كشف المحجوب ص 472 ، وانظر لطائف الإشارات 2/259 فى شرح أبى القاسم القشيرى لموقف موسى عند التجلى ، حيث أفاض فيه بتوسع .
3. لطائف الإعلام 1/300 ، 301 ، وانظر فى معانى التجلى عند ابن عربى ، الفتوحات المكية 1/166 ، وفصوص الحكم 1/133 ، ص 170 ، إنشاء الدوائر ص 35 ، ومواقع النجوم ص 158 ، وعقلة المستوفز ص 52 .

تجلى الهوية ، أو التجلى المعطى للاستعداد ، وجميعها اصطلاحات صوفية تدل على معنى واحد .

التجلى الثانى : هو ظهور الذات لنفسها فى ثانى رتبها ، المعبر عنها بالتعين الثانى ، الذى تظهر فيه الأسماء ، وتتميز ظهورا وتميزا

علميا ، ولهذا سمي التعيين الثاني بالحضرة العلمية ، وحضرة المعاني ،  
وعالم المعاني .

\*\*\*\*\*

## 23 - التسليم

\*\*\*\*\*

- التسليم : السلم والسلامة ، التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة (1)  
: فمن السلامة فى الباطن ، قوله تعالى : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا  
بُنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء/89] أى متعر من الآفات ،  
ومن السلامة فى الظاهر ، قوله تعالى : { وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا  
شِيَةَ فِيهَا } [البقرة/71] .

والتسليم يطلق على عدة معان :

(1- التسليم بمعنى الاستسلام والانقياد والقبول ، كقول الله تعالى  
: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا  
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] .

(2- التسليم بمعنى التحية وإلقاء السلام ، كقوله تعالى : { إِنَّ

اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ

1. المفردات ص 239 ، 241 ، ولسان العرب 292/12 ، والمصباح المنير 287/1 .

يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }  
[الأحزاب/56] وعن أبي سعيد الخدري قال : " قلنا يا رسول الله ، هذا

التسليم ، فكيف نصلي عليك ؟ ، قال : قولوا اللهم صل على محمد ، عبدك ورسولك ، كما صليت على آل إبراهيم .. " (1) .

(3- التسليم الذى ينهى الصلاة ، فعن علي بن أبي طالب ، عن النبي ﷺ قال : " مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم " (2) ، وعنه أن رسول الله ﷺ ، كان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم ، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت .. " (3) .

والتسليم من العبد لله على ضربين :

1- تسليم للأمر الإلهى الكونى ، ومسلك العبد فيه الرضا بالقضاء والقدر ، فإنه واقع لا محالة ، لقوله سبحانه وتعالى : { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [مرم/35] ، ولقوله : { أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [آل عمران/83] .

---

1. أخرجه البخارى فى التفسير (4798) 392/8.

2. حسن أخرجه الترمذى فى كتاب الطهارة (3) وقال الألبانى : حسن صحيح 8/1 وأبو داود (61) 16/1 ، والدارقطنى فى سننه (1) 359/1 ، وانظر بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (169) 283/1 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (771) 534/1 .

2- تسليم للأمر الشرعى والتدبير النبوى ، ومنه قوله تعالى : { فَلَا  
وَرَبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي  
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] ، وكلا  
الوجهين يدل عليهما قوله تعالى : { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ  
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا  
} [النساء/125] .

فالإسلام يحمل الأمرين جميعا ، وهو الاعتراف باللسان ،  
والاستسلام لله فى أمره الشرعى ، ثم اعتقاد بالقلب ، ووفاء بالفعل ،  
واستسلام لله فى جميع ما قضى وقدر ، فالمسلمون منقادون للحق  
مدعون له راضون بقضائه وقدره (1) .

### - التسليم فى الاصطلاح الصوفى :

والتسليم فى الاصطلاح الصوفى ، ورد على معنى الرضا بالقضاء  
والقدر ، كما نسب إلى الحارث بن أسد المحاسبى ، أنه قال  
(ت:243هـ) : ( التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء ، من غير  
تغير منه فى الظاهر والباطن ) (2) ، ويذكر أيضا أن التسليم ، هو  
استقبال القضاء بالرضا ، والانقياد لأمر الله ، وترك الاعتراض (3) ،  
وكلامه يوافق الأصول القرآنية والنبوية وتحتمله الأدلة ، وقد قسم أبو  
اسماعيل الأنصارى الهروى (ت:481هـ) التسليم ، الذى ورد فى قوله

1. المفردات ص 241 .

2. طبقات الصوفية ص 59 .

3. التعريفات للجرجاني ص 59 .

تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }  
[النساء/65] ، إلى ثلاث درجات :

الدرجة الأولى : تسليم ما يزاحم العقول ، مما يشق على الأوهام من الغيب والإذعان لما يغالب القياس من سير الدول ، والقسم التي قسمها على خلقه ، والإجابة لما يفرع المرید من ركوب الأحوال .

الدرجة الثانية : تسليم العلم إلى الحال ، والقصد إلى الكشف ، والرسم إلى الحقيقة .

الدرجة الثالثة : تسليم ما دون الحق إلى الحق ، مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحق إياك إليه (1) .

ولكنه تقسيم غامض يفتقر إلى الدليل ، ولا تحتمله الآية التي استشهد بها فالشاهد من الآية في التسليم ، هو تنفيذ أمر النبي ﷺ عن محبة ورضا ، بلا اعتراض منهم ، وتصديق ما أخبرهم به تصديقا جازما ، ويشابه الكاشاني الهروي في تقسيمه للتسليم ، إذ جعله على نوعين :

النوع الأول : تسليم المتدئين وهو الانقياد للأمر الشرعى بلا طلب للعض فيقول : ( التسليم صورته فى البدايات ، تسليم للأحكام الشرعية بلا اعتراض عليها ولا طلب لعقلها ) (2) ، وقوله : ولا طلب لعقلها ، يخالف السنة من جهة

1. منازل السائرین ص265. 2. معجم الكاشانى ص243 ولطائف الإعلام 319/1 .

أن طلب العوض هو نهج النبى ؑ وأصحابه ، وهم الكمل فى إسلامهم لله وتسليمهم له ، فهذا المعنى له أصول قرآنية إلا فى الدعوة إلى ترك العوض .

النوع الثانى : تسليم النهايات ، ويدور فى إطار القول بوحدة الوجود كتفسيرهم لقوله تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء/65] فلا وربك لا يؤمنون إلايمان الحقيقى التوحيدى ، حتى يحكموك لكون حكمك حكم الله ، وإنما حجت الذات بالصفات ، والصفات بالأفعال ، فإذا تشاجروا وقفوا مع صفاتهم ، محجوبين عن أفعال الحق فلم يؤمنوا حقيقة ، فإذا حكموك انسلخوا عن أفعالهم ، وإذا لم يجدوا فى أنفسهم حرجا من قضائك ، انسلخوا عن إرادتهم فصاروا إلى مقام الرضا ، وعن علمهم وقدرتهم فصاروا إلى مقام التسليم ، فلم يبق لهم حجاب من صفاتهم واتصفوا



بصفات الحق ، فانكشف لهم في صورة الصفات ، فعلموا أنك هو ،  
قائم به لا بنفسك ، عادل بالحقيقة بعدله فتحقق إيمانهم بالله (1) .  
ويقول عبد الرزاق الكاشاني في معنى التسليم : ( التسليم الحق ،  
هو أن تجحد نفسك مسلمة إلى الحق ، وأنه ما سلمها إلى الحق إلا  
الحق ، وقد تسلم من دعوى التسليم له ، فيما شرع من الحكم ،  
وقضى من الأحكام ، بمعانتك تسليم الحق إياك إليه ) (2) .

---

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 1/269، ص270 .

2. لطائف الإعلام 1/319 ، وانظر أيضا الفتوحات المكية 2/381 .

\*\*\*\*\*

## 24 - التفريد

\*\*\*\*\*

- التفريد : الفرد الذى لا يختلط به غيره ، قال تعالى : { قُلْ إِنَّمَا  
أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ثُمَّ تَذْكُرُوا مَا بَصَّحْتُمْ  
مِنْ حِجَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } [سبأ/46] .

وعن أبي سعيد الخدري ؓ قال : " نهانا رسول الله ﷺ ، أن نخلط  
بسرا بتمر ، أو زيبيا بتمر ، أو زيبيا ببسر ، وقال : من شرب النبيذ  
منكم ، فليشربه زيبيا فردا ، أو تمرا فردا ، أو بسرا فردا " (1) ، ومن  
حديث عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ أفرد الحج (2) ، وعن

أنس بن مالك  $\tau$  أن رسول الله  $\varepsilon$  أفرد يوم أحد ، في سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش ، فلما رهبوه قال : من يردهم عنا وله الجنة (3) .

ويقال في الله فرد ، تنبيها أنه بخلاف الأشياء كلها في الازدواج ، المنبه عليه بقوله تعالى : { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } [الذاريات/49] ، ومستغن عما عداه ، كما نبه عليه بقوله : { فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } [آل عمران/97] ، وإذا —

1. أخرجه مسلم في كتاب الأشربة (1987) 157/3 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الحج (1211) 875/2 .

3. أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير (1789) 1415/3 .

قيل : هو منفرد بوحدانيتها ، فمعناه هو مستغن عن كل ما سواه ، لأنه مخالف للموجودات كلها (1) .

والتفرد في قوله تعالى : { وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا } [مريم/80] ، يعنى انقطاعه عن كل ما له ، فعن خباب بن الأرت  $\tau$  قال : " كنت رجلا قينا (2) ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال لي : لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، قال : قلت : لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث ، قال : وإني لمبعوث من بعد الموت ، فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد ، قال : فنزلت :

{ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمَّ  
اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَانِ عَهْدًا كَلًّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا  
وَنَنْزِلُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا } [مريم/80:77] (3) .

والتفريد ذكر في السنة على معنى كثرة الذكر ، إلى حد لا يسبق  
فيه الذاكر فيكون منفردا بثواب ذكره ، فمن حديث أبي هريرة ؓ ،  
قال رسول الله ﷺ : " سبق المفردون قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟  
قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات " (4) .

1. المفردات ص 375 .

2. أى يعمل حدادا ، قال ابن منظور : ( القين الحداد ، والقين جمع قين وهو الحداد والصانع ) ،  
انظر لسان العرب 350/13 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4735) 284/7 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر (2676) 2062/4 .

## - التفريد فى الاصطلاح الصوفى :

والتفريد فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى منزلة عليا فى توحيد الله ،  
يظهر أثرها على حركات الصوفى وسكناته ، كما روى فى ذلك عن  
عمرو بن عثمان المكى (ت:291هـ) (1) :

تفرد بالله الفريد فريد فظل وحيدا والمشوق

وحيد

وذاك لأن المفردين رأيتهم على طبقات والذنو  
بعيد

فمن مفرد يسمو بهمة قلبه عن الملك جميعا فهو عنه  
يحيد

وأدمن سيرا في السمو توحدنا وكل وحيد بالبلاء  
فريد

وآخر يسمو في العلو تفردا عن النفس وجدا فهي منه  
تبيد

ويذكر الكلاباذى (ت:380هـ) أن التفريد ، أن يتفرد عن  
الأشكال وينفرد في الأحوال ويتوحد في الأفعال ، وهو أن تكون  
أفعاله لله وحده ، فلا يكون فيها رؤية نفس ، ولا مراعاة خلق ، ولا  
مطالبة عوض ، ويتفرد في الأحوال عن الأحوال ، فلا يرى لنفسه  
حالا ، بل يغيب برؤية محولها عنها ، ويتفرد عن الأشكال ، فلا يأنس  
بها ، ولا يستوحش منها (2) .

وللسراج الطوسى (ت:387هـ) في التفريد عبارة يغلب عليها  
الطابع الكلامى الذوقى قال : ( التفريد هو إفراد المفرد ، برفع الحدث  
وإفراد القدم —

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص 133 .

2. السابق ص 133 .

بوجود حقائق الفردانية ، الموحدون لله من المؤمنين كثير ،  
والمفردون من الموحدين قليل (1) .

ويذكر السهروردي (ت:632هـ) : أن التفريد أن لا يرى نفسه  
فيما يأتي به ، بل يرى منة الله عليه ، فالتجريد ينفي الأغيار ،  
والتفريد ينفي نفسه واستغراقه عن رؤية نعمة الله عليه وغيبته وكسبه  
(2) ، وجميع ما ذكر من المعاني السابقة له أصل قرآني ، على اعتبار  
أن التفريد درجة عليا في التوحيد ، لا يبلغها إلا من تعلق قلبه بالله في  
جميع حركاته وسكناته ، وهو الموصوف بدوام الذكر كما سبق في  
حديث : ( سبق المفردون ) ، أما ما سوى ذلك من المعاني المرافقة  
لمصطلح التفرد عند الصوفية ، والتي تشعر القارئ بفناء المتفرد عن  
شهود السوى ، وغيبوته المطلقة ، وانقطاعه عن مطالبة العوض في  
الطاعة ، وغير ذلك فلا أصل له ، وكذلك ما ذكره محي الدين بن  
عربي ، أن التفريد هو وقوفك بالحق معك (3) ، ويعني شهود الحق ولا  
شئ معه ، فيشاهده منفردا ، كحق بلا خلق ، على أن الكل تعيناته ،  
وليس ثم إلا هو (4) .

---

1. اللمع في التصوف ص 425.

2. عوارف المعارف للسهروردي ص 526 وقارن بين التفريد عند السهروردي صاحب العوارف ويحي  
السهروردي المقتول من خلال الرجوع إلى كتابه حكمة الإشراق نشرة هنري كوربان سنة 1952م  
ص 16 وما بعدها .

3. اصطلاحات الصوفية ابن عربي ص 8 .

4. لطائف الإعلام 337Y338/1، وانظر رشح الزلال ص 97 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية

للكاشاني ص 375 والمناظر الإلهية ص 162 .

\*\*\*\*\*

## 25- التفكير

\*\*\*\*\*

- التفكير : الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل ، وذلك للإنسان دون الحيوان ، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ، والتفكر أثر أعمال العقل في وزن الأسباب ومعرفة العلل ، فيستدل من خلالها على عظمة ربه وافتقاره إليه ، وصدق ما جاء به النبي ﷺ (1) .

وقد دعا القرآن الكريم إلى التفكير في كثير من الآيات ، كقوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ { [سبأ/46] .

وقال : { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ { [آل عمران/191:192] ، وقال تعالى : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ { [الحشر/21] .

وفي السنة عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال عن المنافق : "

ثم يقال —

1. المفردات ص 384 .

له : الآن نبعث شاهداً عليك ، ويتفكر في نفسه ، من ذا الذي يشهد علي فيختم علي فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق ، وذلك الذي يسخط الله عليه " (1) .

### - التفكير في الاصطلاح الصوفي :

التفكير في الاصطلاح الصوفي ، ما يتوصل به إلى الحق ، إذا كان مصحوباً بنور التوفيق الإلهي ، والخطاب الشرعي ، لقوله تعالى : { أَوْمَرُكُمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الأعراف/184] ، وقال : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل/44] ، ولو انفرد الفكر العقلي عن مصاحبة الشرع زل وضل (2) .

والتفكير الصحيح عند الصوفية ، هو غاية علم اليقين ، كما أن رعاية الإيمان عين اليقين ، وحد التفكير تلمس البصيرة لإدراك البغية وهو ثلاثة أنواع (3) :

الأول : فكرة في عين التوحيد وفي صفات الكمال ، ونعوت العظمة والجلال وذلك بحر لا ساحل له ، ولا ينجى من الغرق في هذا البحر إلا الاعتصام بجبل الله تعالى ، والتمسك بالعلم الظاهر .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الزهد (2968) 2269/4.

2. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 105/2، ص 106 .

3. السابق 106/2 ، وانظر التعريفات ص 66 .

الثاني : الفكرة في لطائف الصنعة ، وفي أسرار الحكمة ، وعجائب الإبداع .

الثالث : الفكرة في معاني الأعمال والأحوال فخالص الفكر يوصل إلى استقامة القلوب ، واستقامة القلوب توصل إلى الصدق والإخلاص .

وقسم أبو على الروذباري (ت:322هـ) التفكير إلى خمسة أقسام :

1- تفكر في آيات الله ، يتولد منه المعرفة .

2- تفكر في آلاء الله تعالى ونعمائه ، يتولد منه الشكر والرضا .

3- تفكر في وعد الله وثوابه ، يتولد منه الرجاء والرغبة .

4- تفكر في وعيده وعذابه ، يتولد منه الخوف والرهبة .

5- تفكر في جفأة النفس مع إحسان الله إليها يتولد منه الحياء من

الله تعالى (1) .



ويذكر القشيري في مدلول قوله تعالى : { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } أن التفكير نعمة كل طالب ، وثمرته الوصال  
بشرط العلم ، ثم يقسم التفكير أيضا إلى ثلاثة أنواع : تفكر الزاهدين  
في فناء الدنيا ، وقلة وفائها لطلابها فيزدادون بالفكرة زاهدا فيها ،  
تفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادون نشاطا عليه ورغبة فيه ، تفكر  
العارفين في الآلاء والنعم فيزدادون محبة للحق سبحانه (2).

---

1. السابق 106/2 .

2. لطائف الإشارات 305/3 ، وانظر للمقارنة ، طبقات الصوفية ص135 ، و الفتح الرباني  
ص184 ، وكتاب التوهم للمحاسبي ص2 وما بعدها ، والرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله  
ص19 وما بعدها .

ويبين الكاشاني ، أن التفكير في اصطلاح الطائفة ، عبارة عن  
التماس العقل وتفتيشه عما يحصل به مطلوبه وما يتغيه ، وهو القرب  
من الله تعالى ، ثم قسم التفكير عند الصوفية إلى ثلاثة أقسام تعبر في  
حقيقتها عن التغير الدلالي للمصطلح الصوفي عبر مراحل الزمنية :

1- تفكر العامة : لتحصيل ما به يسهل عليهم الخلاص من إتيان  
الشهوات التي زينت للناس حتى ملكت رقهم ، فإذا أمكن العبد  
التحرر من رقها ، بالتحرر من إتيانها ، حتى خرج من ظلمة  
الشهوات إلى أنوار المشاهدات ، صار من أهل القربات لا محالة .

2- تفكر الخاصة : فى تحصيل ما يسهل عليهم سلوك طريق الحقيقة ، مثل أنهم لما رأوا أن ما لهم من وجود ، و حياة وعلم وقدره ، وغير ذلك من صفات الكمال ، إنما هى حادثة لهم ثم زائلة عنهم ، وأنها لهم فى بعض الأوقات أكمل وأشد ، وفى بعضها أنقص وأضعف ، علموا لا محالة أن لها مبدأ فياضا ، هو منبع تلك الكمالات ، التى لا تصح لغيره ، فيترقى صاحب هذا التفكير بمعرفته بنفسه ، من حيث احتياجها إلى مبدئ يفيض عليها وجودها وكمالاتها إلى معرفته بربه ، إنه هو ذلك المبدئ ، فعلموا أن الأمر كما ذكر الله تعالى ، فى قوله : { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } [النحل/53] ، فلهذا كان هذا النوع من الفكر هو تفكر الخاصة (1) .

---

1. معجم الكاشانى ص196 ولطائف الإعلام 336Y337/1 .

3- تفكر خاصة الخاصة : وأما خاصة الخاصة ، فقد ارتفعوا عن حضيض التفكير ، الذى هو طلب أمر مفقود ، إلى أوج التذكر ، الذى هو مشاهدة الحق الموجود (1) .

وجميع المعانى السابقة لا غبار عليها ، إذ تشهد لها الأصول القرآنية والنبوية إما بنصها أو معناها ، ما عدا المعنى الأخير ، لأنه مبنى على فكر أصحاب وحدة الوجود الداعى إلى أنه لا تفكر ، إذ لا غير ولا

موجود ليفكر ، فجميع عالم الأرواح والأجساد ، مظهر الحق وأسماؤه وأوصافه ، وعلى ذلك تنزه الله أن يوجد غيره (2) .

1. لطائف الإعلام 336Y337/1 .

2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 242/1 ، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب الصوفية مولع بتقسيم الذوقيات والروحانيات إلى أفكار وعناصر محددة ، مع أن المفترض أن يكون هذا التقسيم في المحسوس المنضبط ، فالأحاسيس الإيمانية يصعب حصر معالمها وحدودها ، كما يلاحظ ما عند الصوفية من افتعال تقسيمات عجيبة تحمل الآيات في كثير من المواضع ما لا تحتمل ، حتى يظهروا للناس بالتحقيق والتدقيق الذي لا يفهمه إلا هم ، ولو عرضا هذا الكلام على شيخ من شيوخ الطرق ، ليفهمه ويعبر عنه للآخرين أو يشرحه للمريدين لربما عجز عن ذلك .

\*\*\*\*\*

## 26- التقديس

\*\*\*\*\*

- التقديس : يطلق على معينين :

1- التطهير ، كقوله تعالى : { قَالُوا أَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } [البقرة/30] ، أى نطهر الأشياء بالتوحيد ارتساما لك ، ومن حديث أبي سعيد الخدري ؓ ، أن النبي ﷺ قال : " إنه لا قدست أمة ، لا يأخذ

الضعيف فيها حقه غير متعتع " (1) ، وعن عائشة رضی الله عنها ،  
 أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : " سبح قدوس رب  
 الملائكة والروح " (2) ، وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي أن هلم  
 إلى الأرض المقدسة ، فكتب إليه سلمان ، إن الأرض لا تقدر أحدا  
 ، وإنما يقدر الإنسان عمله ، وقد بلغني أنك جعلت طبيبا تداوي ،  
 فإن كنت تبرئ فنعما لك وإن كنت متطببا ، فاحذر أن تقتل إنسانا  
 ، فتدخل النار (3) .

1. أخرجه ابن ماجة في الأحكام (2426) وقال الشيخ الألباني : صحيح 810/2 .
2. أخرجه مسلم في الصلاة (487) 353/1 ، أحمد (24109) 34/6 .
3. أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الأفضية (1459) 769/2 ، وهو حديث منقطع لأن يحيى بن سعيد لم يسمع من أبي الدرداء .

2-التقديس بمعنى المباركة ، قال عبد الله بن عباس ؓ في قوله تعالى :  
 { إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } [طه/12] ، المقدس المبارك (1) ، وقوله  
 تعالى : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ } [النحل/102] يعنى به جبريل من  
 حيث ، إنه ينزل بالقدس من الله ، أى بما يبارك النفوس ويطهرها ،  
 من القرآن والحكمة ، والبيت المقدس هو المطهر من نجاسة الشرك (2)

- التقديس فى الاصطلاح الصوفى :

التقديس عند الصوفية ، يرد على معنى التطهير والمباركة ، وتنزيه الحق عن كل ما لا يليق بجنابه ، وعن النقائص الكونية مطلقا ، كما ورد في الأصول القرآنية السابقة ، وهو أخص من التسبيح (3) ، ومنهم من يفسره بالإخلاص في النية وتطهيرها من الشوائب كما روى عن أبي عبد الله السَّجَزِي (ت: بعد 280هـ) أنه قال : ( من لم يقدر علمه ، لم يقدر فعله ، ومن لم يقدر فعله لم يقدر بدنه ، ومن لم يقدر بدنه لم يقدر قلبه ، ومن لم يقدر قلبه لم يقدر نيته والأمر كلها مبنية على النية ) (4) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التفسير ، تفسير سورة طه 285/8.

2. لسان العرب 168/6 ، والمفردات فى غريب القرآن ص 396 ، وانظر معجم ما استعجم لأبى عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي 270/1 ، والتوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي 198/1 .

3. التعريفات للجرجاني ص 67 .

4. طبقات الصوفية ص 254 .

وقال سهل بن عبد الله التستري (ت: 293هـ) : ( القدوس هو الحق الذى طهر من الأولاد والشركاء والصاحبة ) (1) ، ويرى القشيري (ت: 465هـ) أن التقديس هو تنزيه الله عن كل آفة ونقص ، والقدوس هو المنزه عن الدرك والوصول إلى كنه ذاته ، فليس بيد الخلق إلا عرفان الحقائق ، بنعت تعالى والتأمل فى شهود أفعاله ، فأما الوقوف على حقيقة أنيته ، فقد جلت الصمدية عن إشراف

عليه ، أو طمع إدراك في حال رؤيته ، أو جواز إحاطة في العلم به  
فليس إلا ما قاله بلسان مستنطق ، وحالة بشهود حق مستغرق (2) .  
والتقديس يرد أيضا عند الصوفية ، على معنى مناف للأصول  
القرآنية والنبوية حيث جعلوا التقديس هو نفى علو الله على خلقه ،  
سواء كان العلو علو فوقية أو علو قهر أو علو شأن ، فمعنى التقديس  
عند أصحاب الوحدة تنزيه الله عن علو المكان والمكانة ، يقول  
الكاشاني : ( أما تقديسه عن العلو المكاني فظاهر لاستحالة تمييزه  
تعالى ، وأما تقديسه عن علو المكانة ، فالسر فيه أن الحق تعالى في  
كل متعين غير متعين به ، ومع كل شئ غير مشارك له في مرتبته ،  
ولما كانت الإشارة الحسية منفية عنه ، فكذا الإشارة العقلية لاستحالة  
تقيده بمكانة مخصوصة ) (3) ، وهو يشير إلى قول ابن عربي : ( ومن  
أسمائه الحسنى العلى على من ؟ وما ثم إلا هو ، فهو العلى لذاته أو  
عن ماذا ؟ وما هو إلا هو ؟ فعلوه

---

1. تفسير سهل بن عبد الله ص 14 .

2. لطائف الإشارات 581/3 : 582 .

3. لطائف الإعلام 341/1 .

لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي  
العلية لذاتها وليست إلا هو ) (1) .

1. فصوص الحكم ص77 ، التقديس على هذا المعنى باطل لا أصل له في الكتاب والسنة فالأدلة تواترت على إثبات علو الذات ، وأن الله فوق العرش مستو عليه لا مستول عليه ، استواء بكيفية حقيقية يعلمها الله ويجهلها البشر ، وليس كمثل شئ فيها ، ولا يلزم من إثباتها التمثيل والتشبيه لأن النبي أشار إلى ربه إشارة حسية مثبتا بذلك علو الفوقية ، ولا شك أن النبي ﷺ أولى بالحق من غيره في ذلك ، ولا حجة في قول القائل إن إثبات العلو يدل على التحيز ، لأن المكان المحسوس أحكامه تختلف عن المكان الغيبي ، والمكان المثبت في الأدلة هو الذي لا يخضع للمقاييس المرئية بالحسابات المعروفة ، كما أن الله له علو المكانة ، وهو علو الشأن ، فليس كمثل شئ في ذاته أو صفاته أو أفعاله ، وله علو القهر ، لقوله : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } [الأنعام/61] وقال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه/5] كيف استوى؟! فقال : كيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به فأخرج ، انظر العلو للذهبي ص 141 ، ص142 وحلية الأولياء لأبي نعيم 6 / 325 ، 326 ، وانظر الدارمي في الرد على الجهمية ص 55 ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص 664 وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف ص 24، 26 ، والبيهقي في الأسماء والصفات ص 408 وسئل الإمام أبو حنيفة عمن قال : لا أعرف ربّي في السماء أم في الأرض؟ قال : قد كفر لأن الله تعالى يقول : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } وعرشه فوق سبع سماوات ، قيل له : فإن قال : هو على العرش استوى ولكن لا أدرى العرش في الأرض أم في السماء؟ قال : إذا أنكر أنه في السماء ، فقد كفر =

\*\*\*\*\*

## 27- التقوى

\*\*\*\*\*

- **التقوى** : جعل النفس في وقاية مما يخاف ، ويقال اتقى فلان بكذا إذا جعله وقاية لنفسه ، وفي حديث عدي بن حاتم  $\tau$  ، قال  $\epsilon$  : " اتقوا النار ولو بشقّة —

= انظر الفتوى الحموية ص 28 ، وقال الإمام الشافعرحمه الله : ( القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما : إقرار بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه ، تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء ) انظر مختصرالعلو للعلو الغفار ص 176 ، وقيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ( الله فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم وهو على عرشه لا يخلو شئ من علمه ) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي 156/1 ، وقال الإمام على بن المديني : قول أهل السنة والجماعة أن الله فوق السموات على العرش استوى ، وسئل عن قوله تعالى : { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } [المجادلة/7] فقال : اقرأ ما قبلها { أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } ، انظر السابق 165/1 ، وانظر الفتوى الحموية ص 29 ، قال أبو زرعة الرازي : " إن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا كيف أحاط بكل شئ علما " انظر شرح أصول الاعتقاد وأهل السنة والجماعة 177/1 ، وقال أبو نعيم الأصبهاني : طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة فما اعتقدوه =

تمرّة فمّن لم يجد شقة تمرّة فبكلمة طيبة " (1) .

وصارت التقوى في تعارف الشرع ، حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور ، والمتقى هو الذي يجعل طاعته لله ، وامتناله لأوامره ، وقاية له من عذابه ، ويتم ذلك بترك بعض المباحات المشبهات حتى لا يقع في الحرام ، لما روى عن النعمان بن بشير  $\pi$  أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات ، استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، كراع يرعى حول الحمى ، يوشك أن يواقعها ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه " (2) ، وقال ابن



عمر : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر " (3)

= أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكليف وأن الله بائن من خلقه والخلق بائون منه ولا يحل فيهم ولا يمتزج بهم ، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه ، وقال أيضا : وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه ، مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان خلافا لما نزل في كتابه ، انظر الفتوى الحموية ص 35 .

1. المفردات ص 530، 531 ، ولسان العرب 403/15 ، والحديث أخرجه البخارى في كتاب المناقب (3595) 706/6 .

2. أخرجه البخارى في الإيمان (52) 153/1 ، ومسلم في الإيمان (1599) 1219/3 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس ، وهو قول وفعل ويزيد وينقص 11/1 .

وعن رفاعة بن رافع  $\tau$  ، أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلى ، فرأى الناس يتبايعون ، فقال : يا معشر التجار ، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه ، فقال : إن التجار بيعثون يوم القيامة فجارا ، إلا من اتقى الله وبر وصدق (1) .

والتقوى منازل ودرجات ، لقوله تعالى : { وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا } [الزمر/73] ، فهناك التقوى المنبعثة عن الإسلام ، والتقوى المنبعثة عن الإيمان ، والتقوى الناتجة عن الإحسان ، قال تعالى في بيان هذا التنوع :

{ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [المائدة/93] ، وقال تعالى : { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } [محمد/17] ، وعن تميم بن طرفة قال : " جاء سائل إلى عدي بن حاتم فسأله نفقة في ثمن خادم ، أو في بعض ثمن خادم ، فقال : ليس عندي ما أعطيك إلا درعي ومغفري ، فأكتب إلى أهلي أن يعطوكها ، قال : فلم يرض فغضب عدي ، فقال : أما والله لا أعطيك شيئا ، ثم إن الرجل رضي ، فقال : أما والله لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من حلف على يمين ، ثُمَّ رَأَى أَنَّ قَى لِلَّهِ مِنْهَا ، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى مَا حَنَنْتُ يَمِينِي " (2) .

- 
1. أخرجه الترمذى في كتاب البيوع (1210) وقال : هذا حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 515/3 وسنن البيهقى الكبرى (10194) 266/5 .
  2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (1651) 1272/3 .

## - التقوى فى الاصطلاح الصوفى :

التقوى عند أوائل الصوفية ، من أعلى المقامات وأجلها ، لأنها توقى من المكروهات والمرهوبات ، الحائلة بين المرء وبين المحبوبات والمطلوبات ، فيتقى الكفر بالإيمان ، والشرك بالتوحيد ، والرياء بالإخلاص ، والكذب بالصدق والغش بالنصيحة ، والمعصية بالطاعة ، والابتداع بالاتباع ، والشبهة بالورع والدنيا بالزهد ، والغفلة بالذكر ،

والشيطان بالاستعواذ ، والنار باجتنب الأعمال الرديئة إليها ،  
والشروع كلها بالخيرات المنقذة منها ، فالتقوى شاملة لجميع المقامات  
، ومحتويه على سائر معاملات المقربين والأبرار ، والمتقى عند أوائل  
الصوفية له أربع علامات يعرف بها (1) :

1- كثرة الخوف من الذنوب الماضية التي ذهبت لذتها وبقيت عقوبتها  
.

2- أن يكون كثير الحذر والخوف لما يقع فيه من الذنوب فيما يستقبل  
من عمره .

3- أن يفرغ ويخاف من سوء الخاتمة ، فإنها الطامة الكبرى ، والداهية  
العظمى وما جاهد الرجال أنفسهم إلا لأجلها .

4- كثرة المحاسبة لنفسه لا يفتر عن حسابها طرفة عين ، لما روى أن  
النبي ﷺ قال : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن  
توزنوا " (2) .

---

1. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 250/2 .

2. أخرجه الترمذى فى صفة القيامة (2459) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 638/4 وهو أثر عن  
عمر بن الخطاب وليس حديثاً ولفظه كما ورد عند الترمذى : " حاسبوا =

وتتنوع عبارات الصوفية المختلفة فى حد التقوى ، وتدور حول  
المعنى القرآنى والنبوى ، كما روى عن سهل التستري

(ت:293هـ) قال : ( التقوى مشاهدة الأحوال على قدم الانفراد ، قال تعالى : { لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } [الحج/37] ، أى التبرى ، وهو الإخلاص فالتقوى ، ترك ما دون الله ) (1) .

وعن أبي العباس الطوسى البغدادى (ت:299هـ) : ( التقوى ألا تمد عينيك إلى زهرة الدنيا ولا تتفكر بقلبك فيها ) (2) ، وينسب إلى أحمد بن عطاء الآدمى (ت:311هـ) : ( للتقوى ظاهر وباطن ، فظاهرها محافظة الحدود ، وباطنها النية والإخلاص ) (3) .

---

= أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " ، وروى أيضا عن ميمون بن مهران قال : ( لا يكون العبد تقيا ، حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه ، من أين مطعمه وملبسه ) ، وقد أورد الترمذى فى هذا المعنى حديثا عن شداد بن أوس  $\mathfrak{c}$  عن النبي  $\mathfrak{c}$  قال : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله " وقال هذا حديث حسن انظر حديث رقم (2459) 738/4 .

1. التعرف ص 117 مكتبة الكتاب الأزهرية .

2. طبقات الصوفية ص 241 ، وانظر أيضا فى هذا المعنى سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف الشيرزى ص 325 .

3. الرسالة القشيرية 308/1 ، وحلية الأولياء 0/1 ص 386 .

وروى أيضا عن أبى الحسن الوراق النيسابورى (ت:320هـ) أنه قال : ( أجل شئ يفتح الله تعالى به على عبده التقوى ، فإن منها تتشعب جميع الخيرات ، وأسباب القرب والتقرب ، وأصل التقوى

الإخلاص ، وحقيقتها التخلي عن كل شيء ، إلا ممن إليه تقواك (1) ، وكلامهم يعد من قبيل تفسير الشواهد القرآنية إما بالاستنباط كقول أبي القاسم النصرباذى (ت:367هـ) : ( من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا ، لأن الله سبحانه يقول :

{ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [الأنعام/32] (2) .

أو توضيح المعنى ، كقول السراج الطوسى (ت:387هـ) : ( معنى قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } [آل عمران/102] ، راجع إلى قوله : { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } [التغابن/16] (3) ، ويقول أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( أصل التقوى ، اتقاء الشرك ، ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات ، ثم بعده إتقاء الشبهات ، ثم يدع بعده الفضلات ) (4) .

- 
1. طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ص300 ، وانظر الفتح الربانى والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى ص134 .
  2. الرسالة القشيرية 307/1 .
  3. اللمع ص122 .
  4. الرسالة القشيرية 306/1 .

وإذا كانت المعانى الصوفية السابقة للتقوى تتفق مع الأصول القرآنية والنبوية أو تعبر عنها ، فإن الكاشانى يذكر لها تفصيلات

أخرى بعضها يتوافق مع ما سبق والبعض الآخر فيه نظر ، لكنها  
معبرة عن التغير الدلالي لمصطلح التقوى عبر مراحل التصوف المختلفة  
، فيقول : التقوى المحافظة على الحدود ، وهي على أنواع (1) :

- 1- تقوى العوام : وهي طاعة العبد لربه فيما أمر ونهى .
- 2- تقوى الخواص : وهي موافقة العبد لربه فيما قدر وقضى .
- 3- تقوى خاصة الخاصة : أن تعرف ما لك وما له ، فلا تصف  
ما بك من نعمة إليه ، وإن وجدت غير ذلك فلا تلومن إلا  
نفسك .

4- التقوى من التقوى : هو أن تنخلع من إضافة التقوى إليك ،  
لمشاهدتك قيومية الحق تعالى للأشياء .

5- تقوى المنتهين : هو طهارة قلوبهم عن أن يلم بها شئ غير الحق ،  
وهذا القلب هو البيت المحرم .

6- تقوى المحققين : هو التقوى منه به ، أى تقواك من مقتضيات  
اسم المنتقم والضار ، بالالتجاء إلى اسمه النافع والغفار ، قال النبي  
ع : " اللهم إني أعوذ بك منك " (2) .

---

1. لطائف الإعلام 341:339/1 .

2. جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة (486) 352/1 عن عائشة =

7- تقوى الحقيقة : هو أن يتقى الله من أن يضيف إليه مالا ينبغي  
لقدسه من الحدث وتوابعه أو أن يضيف إلى خلقه مالا ينبغي إلا  
له ، مما استأثر به لنفسه وهذا إيثار المتقين (1) .

\*\*\*\*\*

## 28- التواضع

\*\*\*\*\*

- التواضع : التواضع التذلل ، ولم يرد لفظه في القرآن ، وإن ورد  
بالمعنى في قوله تعالى : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الحجر/88] ،  
وقوله : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ  
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } [الفرقان/63] ، أى بالتواضع ، وقال ابن منظور  
: تواضع الرجل ذل وتواضعت الأرض انخفضت عما يليها (2) .

وقد ورد التواضع بلفظه في السنة في غير حديث مع بقاءه على

معناه اللغوي —————

= رضى الله عنها أنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش ، فالتمسته فوقعت يدي على بطن  
قدميه ، وهو في المسجد وهما منصوبتان ، وهو يقول : اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من  
عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

1. انظر مصطلح الإيثار ، إيثار المتقين .

2. لسان العرب 397/8 ، والمفردات ص 530 ، ص 531 .

فمن ذلك ما رواه أبو هريرة ؓ ، عن رسول الله ﷺ قال : " ما  
نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع

أحد لله إلا رفعه الله " (1) ، وعن عياض بن حمار  $\tau$  ، قال : قام فينا رسول الله  $\varepsilon$  ذات يوم خطيبا ، فقال : " .. وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد " (2) ، وفي ترك الزينة والتباهى بها ، روى معاذ بن أنس الجهني  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه ، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها " (3) ، وجاء رجل إلى ابن عباس  $\tau$  فقال : " إن مولاك إذا سجد وضع جبهته ، وذراعيه وصدرة بالأرض فقال له ابن عباس : ما يملك على ما تصنع ؟ قال : التواضع ، قال : هكذا ربضة الكلب ، رأيت النبي  $\varepsilon$  إذا سجد رئي بياض إبطيه " (4) .

1. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلوة (2588) 201/4.

2. أخرجه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها (2865) 2198/4.

3. أخرجه الترمذى في كتاب صفة الجنة (2481) وقال : هذا حديث حسن ، وقال الشيخ الألبانى :

حسن 650/4 ، ومعنى قوله : من ترك اللباس ، أى فاخر الثياب التى يتباهى بها بين الناس والتى

تقلل من تواضعه لله ، ومعنى قوله : حلل الإيمان يعنى ما يعطى أهل الإيمان من حلل الجنة .

4. أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة (899) وصححه الألبانى 237/1 ، وأخرجه أحمد فى المسند

(2928) واللفظ له .

## - التواضع فى الاصطلاح الصوفى :

التواضع فى الاصطلاح الصوفى ، ورد على المعنى اللغوى السابق ،

متوافقا مع الأصول القرآنية والنبوية ، وجل عباراتهم ، يدور حول



الخضوع ، والانقياد ونفى الكبر ، وخشوع القلب ، وأثر ذلك في الحياة ، روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) لما سأل عن التواضع : ( أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبل الحق من كل من تسمعه منه ) (1) ، وقريب منه ما روى عن أحمد بن عاصم الأنطاكي (ت:بعد250هـ) : ( أنفع التواضع ما نفى عنك الكبر ، وأمات عنك الغضب ) (2) .

وينسب لرويم بن أحمد البغدادي (ت:303هـ) أنه قال : ( التواضع تذلل القلوب لعلام الغيوب ) (3) ، وربما جعل بعضهم التواضع أساس الخير كله فيروى عن يوسف بن حسين الرازي (ت:304هـ) قال : ( الخير كله في بيت ومفتاحه التواضع ) (4) ، وتكلم عنه أبو طالب المكي (ت:386هـ) من جهة ظهور أثر التواضع على العبد ، فقال : ( اعلم أن التواضع يظهر بمعان خمسة بالقول والفعل والنزى والأساس والمنزل ، يكون في المؤمن بعضها ، فمن كملت فيه فهو متواضع ) (5) ، والقشيري (ت:465هـ) يجعل

### كلامه عن التواضع —

1. طبقات الصوفية ص12 .
2. السابق ص138 .
3. التعرف ص115 .
4. طبقات الصوفية ص189 .
5. قوت القلوب 138/2 .

شرحا لشاهد نبوى ، أو توضيح للقدوة من فعل النبي ﷺ ، فالتواضع عنده هو الاستسلام للحق ، وترك الاعتراض على الحكم ، ويعلل ذلك بما روى عن ابن مسعود  $\pi$  ، عن النبي ﷺ قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه ، مثقال ذرة من كبر " (1) وحديث أنس  $\pi$  ، قال : " كان رسول الله ﷺ ، يعود المريض ويشيع الجنائز ، ويركب الحمار ، ويجب دعوة العبد " (2) ، وربما قسم بعضهم التواضع على درجات متعددة عند الصوفية منها (3) :

الدرجة الأولى : التواضع للدين وهو ألا يعارض معقوله منقولاً .  
الدرجة الثانية : أن ترضى نفسك بأخوة المؤمن ، الذى رضيه الله تعالى لنفسه عبداً ، وأن لا ترد على عدل حقا ، وتقبل من المعتذر معاذيره .

---

1. جزء من حديث عبد الله بن مسعود ، أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (91) 93/1 ولفظه عن النبي ﷺ قال : " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر قال : رجل إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس " .

2. الرسالة 380Y381/1 ، والحديث أخرجه الترمذى عن أنس بن مالك فى كتاب الجنائز (1017) ، وقال الألبان : ضعيف 337/3 ، ولفظه : ( كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشهد الجنائز ويركب الحمار ويجب دعوة العبد ، وكان يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بجبل من ليف عليه إكاف من ليف ) وقال الترمذى : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث مسلم الأعور عن أنس وهو ضعيف .

3. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 227/2 ، ص 228.

الدرجة الثالثة : أن تتواضع للحق ، فتنزل عن رأيك وعوائدك في الخدمة .

وللكاشاني تقسيم آخر للتواضع ، يعبر به عن المفهوم الصوفي على اختلاف مسالكه ، وإن كان قريبا في هذه المرة من الأصول القرآنية والنبوية :

1- التواضع للمريد : وهو ألا يعارض بمعقول منقولا ، أى لا تعارض بين المنقول من الكتاب والسنة بالمعقول لك ، بحيث تطلب صحة بالاستدلال على ذلك ببحثك ونظرك ، بل تكون مطيعا للأمر تقليدا ، والخبر إيمانا من غير طلب تعقل أمر وراء المفهوم مما أخبرت به ، أو وراء المعرفة لكيفية التعبد بما أمرت به وهذا المعنى نفيس يؤدي إلى نفي البدعة واتباع السنة .

2- التواضع للإرادة : هو أن يترك العبد جميع المرادات والمطالب ، بحيث لا يريد من الحق إلا ما أراده ، فينزل عن مراد نفسه ، ويترك الحق يتصرف فيها على مراده تعالى ، وهذا المعنى يتوافق مع الأصول القرآنية إذا كان يقصد به الرضا بالقدر ، أما ما يأتي من المعاني ، فتمشى مع المنهج العام للمتحققين في الإيمان ، وإن كانت التقسيمات التي ذكرها للتواضع وتسمية كل نوع باسم مستقل يفتقر إلى الإقناع .

3- التواضع للحقيقة : هو أن تنزل عن رسمك الذى هو نفسك لتنفيذ الحقيقة وهذا النزول ، وإن كان غير مكتسب ، لأن الفناء إنما يكون وقت اضمحلال ظلمة الرسوم فى نور التجلى ، لكن مداومة العبد على رياضة نفسه ، بملازمة الذكر ، ومنع العادة وتحمله لمشاق المجاهدة ، هو الذى يعده لأن يصير من أهل المقامات .

4- التواضع مع الخلق : هو بأن ينتفى عنك الخضوع لأحد من الخلق عند حاجتك إليه ، كما ينتفى عنك الجفاء وقت الغنى عنه ، وذلك لأن الخضوع عند الحاجة ليس من باب التواضع ، إنما هو من باب الصنعة والمسكنة والخديعة ، فالمتواضع بالحقيقة من كان قصده فى قربه من الناس الرحمة بهم واللين لهم ، وفى بعده عنهم الزهد فيما فى أيديهم والنزهة عما لا يحل له منهم عند المخالطة لهم ، فمثل هذا لا يكون قربه ممن قرب منه مكرًا وخديعة ، ولا بعده عن تباعد عنه تكبرًا وعظمة ، وهذا هو التحقق بالتواضع مع الخلق لأجل تعظيمه للحق ، وذلك أكمل أوصاف العبد عند ملابسته للخلق (1) .

\*\*\*\*\*

## 29- التوبة

\*\*\*\*\*

- التوبة : التوبة ترك الذنب على أجمل الوجوه ، وهو أبلغ وجوه الاعتذار فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه : إما أن يقول المعتذر : لم أفعل ، أو يقول : فعلت لأجل كذا ، أو يقول : فعلت وأساءت وقد أقلعت ، ولا رابع لذلك ، وهذا الأخير هو التوبة (2) .

1. لطائف الإعلام 363/1 ، 364 .

2. المفردات ص 76 .

والتوبة في الشرع : ترك الذنب لقبحه ، والندم على ما فرط منه ، والعزم على ترك المعاودة ، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة ، فمتى اجتمعت هذه الأربع ، فقد كمل شرائط التوبة ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا } [التحريم/8] ، وقال سبحانه : { إِنَّ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } [التحريم/4] . (1)

والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة ، فالعبد تائب إلى الله ، والله تائب على عبده ، والتواب العبد الكثير التوبة ، وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركا لجميعه ، وقد يقال لله ذلك ، لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال ، قال الله تعالى : { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة/128] وقال : { إِنَّهُ هُوَ

التَّوَابُ الرَّحِيمُ } [البقرة/37] ، وعن أنس  $\tau$  قال : قال رسول الله  $\varepsilon$  : " الله أفرح بتوبة عبده ، من أحدكم سقط على بعيره ، وقد أضله في أرض فلاة " (2) .

وقوله : { وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا } [الفرقان/71] أى التوبة التامة ، وهو الجمع بين ترك القبيح ، وتحرى الجميل (3) ، وجميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وردت فى التوبة على هذا المعنى .

- 
1. السابق ص76 ، وكتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي 138/8 .
  2. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات (6309) 105/11 .
  3. لسان العرب 233/1 ، وانظر السابق ص76 .

## - التوبة فى الاصطلاح الصوفى :

التوبة فى الاصطلاح الصوفى وردت فى أغلب ألفاظهم على المعنى القرآنى البسيط ، مؤيدة فى الغالب بالشواهد القرآنية والنبوية ، كما روى عن عمرو بن عثمان المكى (ت:291هـ) قال : ( التوبة فرض على جميع المذنبين والعاصين صغر الذنب أو كبر ، وليس لأحد عذر فى ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية لأن المعاصى كلها ، قد توعده الله عليها أهلها ، ولا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة وهذا مما يبين أن التوبة فرض ) (1) ، وربما كان لبعضهم فيها جهاد لا يخلو من الإيجابية ، كاختلافهم فى نسيان الذنب مع التوبة ، او عدمه فيروى

عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) أنه قال : ( التوبة إلا تنسى ذنبك ) ، وعن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) : ( التوبة نسيان الذنب ) (2) ، وبيان ذلك عندهم ، كما ذكر الطوسي ، أن التوبة التي ذكرها سهل ، توبة المبتدئين والتي —

1. طبقات الصوفية ص202 وانظر في التوبة عند الصوفية أيضا تنبيه الغافلين للسمرقندي ص35 ، والرعاية لحقوق الله للمحاسبي ص68 وما بعدها ، وللغزالي روضة الطالبين ص168 ، ومنهاج العابدين ص10 ، وإحياء علوم الدين 2/4 وما بعدها ، وعوارف المعارف للسهروردي ص487 ، وكتاب كشف الغايات لابن عربي ص484 نشر بمجلة الشروق بيروت سنة 1967 م ، وانظر المنهج الصوفي في الأخلاق ، رسالة دكتوراه محمد يوسف ابن الحاج محمد مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم رقم 375 سنة 1974 م ص120 وما بعدها .

2. اللمع في التصوف ص68 .

ذكرها الجنيد توبة المتحققين ، لأنه يخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبه خروجاً لا يبقى له في سره أثر ، حتى يكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط (1) .

والتوبة يجعلها أبو يعقوب السوسى (ت:304هـ) بداية طريق الصادقين إلى الله ، فيروى عنه أنه قال : ( التوبة أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله ومعناها الرجوع من كل شئ ذمة العلم إلى ما مدحه العلم ) (2) ، ويذكر المكي (ت:386هـ) أن فرض التوبة الذي لا بد للتائب منه ، ولا يكون محققاً صادقاً إلا به ، الإقرار بالذنب ، والاعتراف بالظلم ، ومقت النفس على الهوى ، وحل الإصرار الذي كان عقده على أعمال السيئات ، وإطابة الغذاء بغاية

ما يقدر عليه ، لأن الطعمة أساس الصالحين ، ثم الندم على ما فات من الجنايات ، يقول أبو طالب المكي (3) :

( وجملة ما على العبد من التوبة ، وما تعلق بها عشر خصال : فرض عليه ألا يعصى الله تعالى ، وأن ابتلى بمعصية لا يصر عليها ، والتوبة إلى الله تعالى منها والندم على ما فرط منه ، وعقد الاستقامة على الطاعة إلى الموت ، وخوف العقوبة ، ورجاء المغفرة ، والاعتراف بالذنب واعتقاد أن الله تعالى قدر ذلك عليه ، وأنه عدل منه ، والمتابعة بالعمل الصالح ليعمل في الكفارات لقول النبي —

1. التعرف ص 111 .

2. اللمع ص 68 .

3. قوت القلوب 179/1 .

صلى الله عليه وسلم : " واتبع السيئة الحسنة تمحها " (1) ، ويعتبر كلام المكي من أنفس ما قيل فيها ، لا سيما عندما قسم التوبة إلى نوعين (2) :

1- توبة العموم ، ويستدل لها بقوله تعالى : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور/31] ، ويذكر في معناها ، ارجعوا إليه من هوى نفوسكم ، ومن وقوفكم مع سهواتكم ، عسى أن تظفروا ببغيتكم في المعاد ، وكى تبقوا ببقاء الله في نعيم



لا زوال له ولا نفاذ ، ولكي تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة ،  
وتنجوا من النار ، فهذا هو الفلاح .

2- توبة الخصوص ، ويستدل لها بقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ  
وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } [التحریم/8] ، ويذكر في  
معناها ، أن النصوح من النصح على وزن فعول ، للمبالغة في  
النصح ، ومعناه خالصة لله تعالى مجردة لا تتعلق بشيء ، ولا يتعلق  
بها شيء ، وهو الاستقامة على الطاعة ، من غير روغان إلى معصية  
، كما تروغ الثعالب ، وألا يحدث نفسه بذنوب متى قدر عليه ،  
وأن يترك الذنب لأجل الله تعالى خالصا لوجهه ، كما ارتكبه  
لأجل

---

1. أخرجه الترمذی عن أبي ذر في كتاب البر والصلة (1987) وقال الشيخ الألبانی : حسن  
355/4 ، ولفظه قال أبو ذر **ط** : "قال لي رسول الله **ع** : اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة  
الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن" وقال أبو عيسى الترمذی : هذا حديث حسن  
صحيح .

2. السابق 179/1 .

هو جمع عليه بقلبه وشهوته ، فهذه هي التوبة النصوح ، وهذا  
العبد هو التواب المتطهر الحبيب .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) أن التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين ، وحقيقة التوبة الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه ، واستدل لذلك بقوله تعالى : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور/31] ، كما استدل بأصول قرآنية ونبوية أخرى (1) .

ويعلق الكاشاني التوبة على معنى الرجوع إلى الله تعالى ، ويجعل ذلك على مراتب بعضها يوافق الأصول القرآنية ، وبعضها يخالف ، فمنها : الرجوع من المخالفة إلى الموافقة ، ومن الطبع إلى الشرع ، ومن الظاهر إلى الباطن ، ومن الخلق إلى الحق ، بحيث يتوب العبد عن كل ما سوى الله ، بحيث لا يبقى في قلبه ميل إلى غير ربه تعالى ، وهذا هو الذي يعبد الله الله ، لا لرغبة في مثوبة أو رهبة في عقوبة ، ثم يتوب بعد ذلك من علة التوبة ، أي من رؤيته بأن التوبة مما سوى الله ، إنما حصلت له من نفسه ، بل إنما هي فضل ربه ، ثم يتوب من رؤية توبته من تلك العلة ، بحيث لا يرى أنه رأى ذلك بنفسه إنما رآه بربه (2) .

---

1. الرسالة القشيرية 275/1 .

2. لطائف الإعلام 352Y353/1 ، وكلام الكاشاني في نهايته يؤدي إلى الفناء عن شهود السوى ، مما يوقع في فلسفة الحلول والاتحاد ، للتعرف على التوبة من الوجهة الكلامية يمكن الرجوع إلى غاية المرام في علم الكلام الآمدي ( تحديد معناها وجوبها عقلا =

\*\*\*\*\*

## 30- التوجه

\*\*\*\*\*

- **التوجه** : وجهت الشيء أرسلته في جهة واحدة فتوجه ، ويقال لتوجه القلب والبدن وإن كان توجه البدن تابع لتوجه القلب (1) ، فتوجه القلب بمعنى توجه أعمال القلوب كالنية والقصد والعزم والإخلاص ، قال تعالى : { وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا } [البقرة/148] ، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام/78:79] ، ومن توجه البدن ، التوجه إلى القبلة ، كما روى عن جابر بن عبد الله ؓ ، قال : " كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته حيث توجهت فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة " (2) .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، قال : " كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ، ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ﷺ يجب أن —

= عند المعتزلة وجوب قبولها على الله عندهم ، كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ابن حزم 62:61/4 ، مذاهب الإسلاميين عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين بيروت 379:376/2 ، الإرشاد الجويني ص 410:403 ، وتأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي تحقيق إبراهيم عوضين القاهرة 1971م 130:128/1 .

1. المفردات ص 514 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (399) 598/1 .

يوجه إلى الكعبة فأنزل الله : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ  
فَلَنُوَلِّينَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [البقرة/144]  
، فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود : { مَا  
وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة/142] فصلى مع النبي ﷺ رجل ، ثم  
خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو  
بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه  
نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة " (1) .

وقال تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى  
شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ } [النحل/76] ، وعن  
عثمان بن حنيف ، أن رجلا ضير البصر ، أتى النبي ﷺ ، فقال  
: ادع الله أن يعافيني ، قال : إن شئت دعوت ، وإن شئت  
صبرت فهو خير لك ، قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ ،  
فيحسن وضوءه ، ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه  
إليك بنبيك محمد بنى الرحمة إني توجهت بك إلى ربي فى حاجتي هذه  
لتقضى لي اللهم فشفعه فى (2) .

3- وقد يطلق التوجه بمعنى الإلزام والأمر المفروض ، كقول عبد الله بن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبد الأوثان ، يحت بعضهم بعضا على الإسلام —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (400) 600/1.

2. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3578) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 569/5 وابن ماجه فى كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (1385) 441/1.

نفاقا لما قوى بعد غزوة بدر : " هذا أمر قد توجه ، فبايعوا الرسول ع على الإسلام فأسلموا " (1) .

#### - التوجه فى الاصطلاح الصوفى :

والتوجه فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى إخلاص النية ، وإرادة العبودية فى كل قول وعمل ، ومما ورد فى ذلك ، قول سهل بن عبد الله فى حد التوجه : ( هو قصد العبد فى حركاته وسكونه إلى الله ، (2) ، ويذكر القشيرى أن التوجه هو أفراد القصد وتطهير العقد وحفظ العهد وتخليص الوجد ، كما توجه إبراهيم ؑ فى قوله تعالى : { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام/79] ، يقول القشيرى فى قول إبراهيم وجهت وجهى : ( أفردت قصدى لله ، وطهرت عقدى عن غير الله ، وحفظت عهدى فى الله لله ، وخلصت وجدى بالله ، فأبى الله بالله ، بل محو فى الله بالله لله ) (3) .

ويذكر في قوله تعالى : { وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا } [البقرة/148] إن كل قوم اشتغلوا عنا بشئ حال بينهم وبيننا فكونوا أنتم أيها المؤمنون لنا وبنا :

إذا الأشغال أهوني عنك بشغلهم : جعلتك أشغالي فأنسيتني شغلي (4) .

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (4566) 78/8 .
  2. تفسير سهل بن عبد الله التستري ص36 .
  3. لطائف الإشارات 135/1 .
  4. السابق 485/1 .

ويقسم الكاشانى التوجه عند الصوفية إلى نوعين :

1- توجه الأصاغر : وهو المقصود بما سبق من المعانى عندهم ، ويراد به حضور القلب مع الحق ، ومراقبته له بتفريغه عن كل ما سواه ، من صور الأكوان والكائنات (1) .

2- توجه الأكابر الكمل : ويعنى من منظور وحدة الوجود ، ألا يجعل العبد فى عبوديته لربه متعلقا غير الحق ، وأن يكون ذلك تعلقا جمليا كليا ، غير محصور فيما يعلمه العبد منه تعالى ، أو يسمعه عنه ، بل على نحو ما يعلم سبحانه نفسه فى أكمل مراتب علمه بنفسه وأعلاها ، فمن كان فى العبودية والعمل على هذا النحو من التوجه فإن توجهه أكمل التوجهات (2) .

\*\*\*\*\*

## 31- التوحيد

\*\*\*\*\*

- التوحيد : التفرد يقال : فلان واحد دهره ، أى لا نظير له (3) ،  
والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له ، وهو على ثلاثة أنواع :  
(1) - إفراد الله بالربوبية ، كما جاء فى قوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
لَا تَغْلُوا —

1. لطائف الإعلام 365/1 وانظر فى التوجه عند ابن عربى الفتوحات المكية 265/1 .

2. السابق 365/1 .

3. المفردات ص515 وانظر لسان العرب 70/3 ، والقاموس المحيط 414/1 .

فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ  
رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا  
تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ  
وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا { [النساء/171]  
، وكقوله تعالى : { يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ  
الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ { [يوسف/39] .

(2) - إفراد الله بأسمائه وأوصافه : كقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ { [الشورى/11] وقوله : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {  
[الإخلاص/4] وقوله سبحانه : { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا { [مريم/65] .

(3- أفراد الله بالعبادة : كقوله تعالى : { إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [يوسف/40] ، وقال ابن عباس ؓ : لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل ؓ إلى نحو أهل اليمن ، قال له :

" إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى ، فإذا عرفوا ذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم .. " (1) ، وفي رواية : " فليكن أول ما تدعوهم إليه ، عبادة الله عز وجل " (2) ، ومن حديث جابر بن عبد الله ؓ ، يصف حجة الوداع : " ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شيء عملنا به ، فأهل بالتوحيد ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا —

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد (7372) 359/13 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان (19) 51/1 .

شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك " (1) وعن أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يضحى اشترى كبشين عظيمين سمينين أقرنين ، أملحين موجوءين ، فذبح أحدهما عن أمته ، لمن شهد لله بالتوحيد وشهد له بالبلاغ وذبح الآخر عن محمد وعن آل محمد ﷺ (2) .



والتوحيد في القرآن ، أغلبه يدور على النوع الثالث ، لكون المشركين نازعوا فيه دون الباقي ، قال تعالى عن إقرارهم بالتوحيد في النوعين السابقين : { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } [الزخرف/9] وقال عن موقفهم من الثالث : { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [الزمر/45] ، أى إذا انفرد الله بالذكر للعبادة دون آلهتهم ، كقوله تعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا } [الحج/34] تعجبوا وأنكروا وقالوا : { أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص/5] ، وعن عمرو بن العاص  $\tau$  ، أن والده العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة ثم مات ، ولم يفعل وأن ولده هشام بن العاصي نحر حصته ، خمسين بدنة ، وأن عمرا  $\tau$  سأل النبي  $\varepsilon$  ، عن أن يذبح الباقي فقال : " أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد ، فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك " (3) .

1. أخرجه مسلم في كتاب الحج (1218) 886/2 .

2. أخرجه ابن ماجة في الأضاحي (3122) ، وقال الشيخ الألباني : صحيح 1034/2 .

3. أخرجه أحمد في المسند (6665) .

وفي رواية أخرى ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : " إنه لو كان مسلما ، فأعتقتم عنه أو تصدقتم عنه ، أو حججتم عنه ، بلغه ذلك " (1) .

- التوحيد في الاصطلاح الصوفي :

والتوحيد عند أغلب الصوفية ورد بالمعنى الشرعى ، فمنهم من تناوله بصبغة كلامية معبرة عن طريقة السلف ، كما روى عن ذى النون (ت:248هـ) أنه سئل عن التوحيد ؟ فقال : ( هو أن تعلم أن قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا مزاج ، وصنعه للأشياء بلا علاج ، وعلّة كل شئ صنعه ، ولا علّة لصنعه وليس فى السماوات العلى ولا فى الأرضين السفلى مدبر غير الله تعالى ، ومهما تصور وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك ) (2) ، ومثله أيضا ما ينسب إلى الجنيد بن محمد (ت:297هـ) أنه قال : ( التوحيد أفراد القديم عن الحدث ) (3) ، ويعنى أفراد الموحد بتحقيق وحدانيته ، بكمال أحديته ، وأنه الواحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ينفى الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف —

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الوصايا (2883) ، وقال الشيخ الألبانى : حسن 118/3 وانظر سنن البيهقى الكبرى (12417) 279/6 .

2. اللمع ص 49 .

3. كشف المحجوب للهجويرى ص 334 ، كثيرا ما يستشهد ابن تيمّة بكلام الصوفية فى التوحيد وإثبات الصفات ، معتبرا المعتدلين منهم من علماء السلف المحققين ، انظر أسس الاتفاق بين السلفية ومشايخ الصوفية فى تراث ابن تيمية ، الطبلاوى محمود حسين سعد رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم ، (837) لسنة 1982م .

ولا تصوير ولا تمثيل ، لقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى/11] (1) ، ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) التوحيد مدلا على معناه بالأصول القرآنية والنبوية ، فمن القرآن قوله تعالى :

{ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } [البقرة/163] وقوله : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص/1] وقوله : { لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِثْمًا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ } [النحل/51] ، ومن السنة ما روى عن عبد الله بن مسعود  $\tau$  يرفعه إلى رسول الله  $\varepsilon$  :

" أن رجلا لم يعمل من الخير شيئا قط ، إلا التوحيد فلما حضرته الوفاة ، قال لأهله : إذا أنا مت ، فخذوني واحرقوني حتى تدعوني حممة ، ثم اطحنوني ، ثم اذروني في البحر في يوم راح ، قال : ففعلوا به ذلك ، قال : فإذا هو في قبضة الله ، قال : فقال الله عز وجل له : ما حملك على ما صنعت؟ ، قال : مخافتك قال : فغفر الله له " (2)

ثم يبين أن حقيقة التوحيد مركبة من إثبات توحيد شئ ما ، وفي كمال معرفة توحيده ، وكما أن الله سبحانه وتعالى واحد ، ليس له شريك في ذاته ولا في صفاته ، وليس له بديل ولا شريك في أعماله ، وحيث أن الموحدين يعتقدون بأنه كذلك ، فمعرفة التوحيد بالتوحيد تسمى توحيدا ، ثم قسم التوحيد على ثلاثة أنواع (3) :

1. الرسالة القشيرية 583/2 .

2. أخرجه أحمد (3776) والبخارى في كتاب أحاديث الأنبياء (3481) 594/6 .

3. كشف المحجوب ص 331Y332 وانظر الرسالة القشيرية 582/2 .

1- توحيد الله لنفسه : ويعنى علمه بتوحيده كقوله تعالى : { شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } [آل عمران/18] .

2- توحيد الله فى خلقه : ويعنى أمره للإنسان بنطق التوحيد كقوله سبحانه وتعالى : { فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا } [الحج/34] .

3- توحيد الناس لله : وذلك معرفتهم بتوحيده ، كقوله تعالى : { أُنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } [الأنعام/19] .

ويعتبر الكاشانى ما تقدم من أقوال الصوفية فى التوحيد ، توحيد البدديات وهو شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، على وجهها المطلوب ، وأحيانا يسميه توحيد العامة (1) ، ويجعل درجة التوحيد بعدها على نوعين :

أ- توحيد الخاصة ، وهو أرقى من توحيد العامة إلى حد ما ، وحده أن لا يرى مع الحق سواه .

ب- توحيد خاصة الخاصة ، وهو المعتبر عنده ، وحده ألا ترى سوى ذات واحدة ، وعند ذلك يتعذر التوحيد ، ولا يمكن تحقيقه إذ سيكون شركا فى عرفهم ، ويستدل الكاشانى لهذا النوع الراقى من التوحيد ، بما قاله عمر بن الفارض فى التائية حيث يقول :

1. معجم الكاشاني ص 378 .

ولو أنى وحدت ألحدت وانسلخت : عن أى جمعى مشركا بى  
صنعتى

واستدل أيضا بقول أبى إسماعيل الأنصارى : وقد أجبت فى سالف  
الزمان سائلا سألنى عن توحيد الصوفية بهذه القوافى الثلاث :

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إياه توحيده ونعت من ينعت لأحد

يقول الكاشاني معقبا فقله : لاحد ، هو معنى قول سيدى عمر  
، ولو أنى وحدت ألحدت (1) .

\*\*\*\*\*

## 32- التوفيق

\*\*\*\*\*

- التوفيق : الوفق المطابقة بين الشيئين ، قال تعالى عن عذاب  
الكافرين :

1. لطائف الإعلام 367/1 ، 368 وانظر أيضا فى التوحيد عند فلاسفة الحلول ووحدة الوجود ،  
وأخبار الحلاج لأبى يوسف القزوينى ، نشرة ماسينيون ص 24 والمنحنى الشخصى لحياة الحلاج  
لماسينيون ص 66 ، وكتاب الطواسين للحلاج ص 9 ، وحكمة الإشراف للسهروردى المقتول

ص 367 ، وله أيضا هياكل الأنوار ص 302 ، والفتوحات المكية لابن عربي 288/2 ، وانظر فصوص الحكم 145/2 ولابن سبعين رسالة بدء العارف ص 54 ، وخطاب الله بلسان نوره ص 143 والرسالة الفقيرية ص 229 .

{ جَزَاءً وَفَاقًا } [النبأ/26] وقال عمر بن الخطاب τ : " وافقت ربي في ثلاث فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } [البقرة/125] ، وآية الحجاب ، قلت : يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن ، فإنه يكلمهن البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي ε في الغيرة عليه ، فقلت لهن : { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ } [التحريم/5] فنزلت هذه الآية " (1) .

والموافقة تطلق أيضا على المصادفة : يقال وافقت فلانا ، ووافقت الأمر صادفته ، ومن ذلك ما روى عن جابر بن عبد الله τ ، أن النبي ε قال :

" إن في الليل لساعة لا يوافقها ، رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة " (2) ، وعن أبي هريرة τ ، أن النبي ε قال : " إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة ، غفر له ما تقدم من ذنبه " (3) .

والاتفاق مطابقة فعل الإنسان للقدر ، ويقال ذلك في الخير والشر ، يقال : اتفق لفلان خير ، واتفق له شر ، وعن معاوية بن الحكم السلمي τ قال : —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (402) 601/1 وانظر فى معانى اللفظ المفردات للراغب الأصفهاني ص 528 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين (757) 521/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان (780) .

" قلت : يا رسول الله ومنا رجال يخطون ، قال : كان نبي من الأنبياء يخط فممن وافق خطه فذاك (1) والخط أى الخط فى الرمل ، وهو نوع من الكهانة يدعى فيه الكاهن معرفة الغيب ، ولكنه فى الحديث وحى لكون الفاعل نبي .

والتوفيق مطابقة فعل الإنسان للقدر ، ولكنه يختص فى التعارف بالخير دون الشر ، كقوله تعالى : { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ } [هود/88] ، وكقوله عز وجل : { ثُمَّ جَاءُوكَ يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } [النساء/62] ، وعن ابن عمر  $\pi$  ، قال : " كان رسول الله  $\epsilon$  إذا رأى الهلال ، قال : الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى ربنا وربك الله " (2) .

## - التوفيق فى الاصطلاح الصوفى :

التوفيق فى الاصطلاح الصوفى ، يتوافق فى الدلالة مع الأصول القرآنية السابقة فقد ذكره الحكيم الترمذى (ت:320هـ) على معنى إعانة الله للعبد عند بلوغه حقيقة الصدق ، فيقول : ( أما معرفة النفس من قبل مخالفتها والالتجاء إلى الله —

1. أخرجه مسلم في كتاب المساجد (537) .
2. صحيح بمعناه ، من رواية طلحة بن عبد الله عند الترمذى (3451) وصححه الألبانى 504/5 ، وابن حبان في صحيحه (888) 171/3 ، وأخرجه الدارمى بلفظه عن ابن عمر في كتاب الصوم (1687) 7/2 وهو منقطع ، انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم رقم (1249) 264/5 ، والإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال لشمس الدين الحسينى رقم (522) ص 265 .

للنجاة منها ، فهذه معرفة فطن كيس ، فإذا علم الله الصدق من عبده ، فى هذا كان منه على أحد منزلتين ، فمنزلة منه أن يهديه لطريق الجهد ، طريقا مستقيما لا يلتفت ، ولا يعرج على شىء ، ويوفقه ويعينه ، ويثيبه فيه حتى لا تختلف أحواله (1) ، ويعرفه أبو طالب المكى (ت:386هـ) من خلال استقصائه للمعاني القرآنية والنبوية ، فيقول : ( التوفيق هو الاتفاق ، وهو أن يجمع الله بينك وبين الشىء الذى تريده ، ولا بد منه فى كل عمل وإن قل ، قال تعالى : { وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ } [هود/88] ولذا كان من دعائه ع : " يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك " (2) .

ويذكر القشيري أن حقيقة التوفيق ما ينفق به الشىء ، وفى الشريعة التوفيق ما تنفق به الطاعة ، وهو قدرة الطاعة ، ثم كل ما تقرب العبد به من الطاعة من توفير الدواعى وفنون المنهيات يعد من جملة التوفيق على التوسع ، والتوفيق بالله —

1. العلل للحكيم الترمذى ص210 مخطوطة دار الكتب رقم 125 مجاميع .
2. قوت القلوب 124/1 والحديث أخرجه الترمذى فى كتاب القدر (2140) ) وصححه الألبانى 448/4 ، عن أنس ؓ قال : " كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ، ثبت



قلبي على دينك " وأخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم (1369) 755/3 ، وأبو طالب المكي متميز في أغلب أسلوبه باعتماده على الكتاب والسنة ، وكلامه في مسائل الاعتقاد من أجود ما يحتج به لمذهب السلف ، وعلى الرغم من هذا له مخالفات يجب الحذر منها ، انظر المزيد في رسالة ماجستير للدكتور عبد الحميد مذكور ، أبو طالب المكي ومنهجه الصوفي ، مخطوط بكلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، رقم 806 سنة 1872م .

ومن الله ، وهو سبحانه بإعطائه متفضل ، ومدار الأمر في التوفيق على الأغراض المقتضية حسن القصد بالإصلاح ، فيقرن الله به حسن التيسير ، ومن انطوى على قصد بالسوء ، وكل الحق بشأنه التعويق ، قال تعالى : { إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ } [هود/88] (1) .

\*\*\*\*\*

### 33- التوكل

\*\*\*\*\*

- التوكل : التوكيل أن تعتمد على غيرك ، وتجعله نائبا عنك ، قال الله تعالى : { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [الأحزاب/3] ، أى اكتف به أن يتولى أمرك ويتوكل لك ، وقال تعالى : { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } [آل عمران/173] أى نعم الموكل عنا فى حفظنا منهم ، وقال تعالى : { وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ

ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِي { [يونس/71]  
(2)

1. لطائف الإشارات 152Y152/2 وقریب من كلام القشیری ، قول الجرجانی فی حد التوفیق عند الصوفیة : ( التوفیق جعل الله فعل عباده ، موافقا لما یجبه ویرضاه ) التعريفات للجرجانی ص72 .  
2. المفردات ص531 ، ص532 .

والتوکل یقال علی وجهین :

1- یقال : توکلت لفلان ، بمعنی تولیت له وتعهدته ، وعن سهل بن سعد الساعدي τ ، قال النبي ε : " من توکل لی ما بین رجلیه ، وما بین لحيیه ، توکلت له بالجنة " (1) ، وعن أبي هريرة τ ، أن رسول الله ε قال : " مثل المجاهد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم ، وتوکل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه ، أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة " (2) .

2- ویقال : وکلته فتوکل لی وتوکلت علیه ، بمعنی اعتمدته قال الله تعالى : { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق/3] ، وربما یفسر الوکیل بالكفیل ، والوکیل أعم ، لأن کل کفیل وکیل ، وليس کل وکیل کفیلا (3) ، وعن عمر بن الخطاب τ ، قال رسول الله ε : " لو أنکم کنتم توکلون علی الله حق توکله ، لرزقنکم كما یرزق الطیر ، تغدو خماصا وتروح بطانا " (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحدود (6807) 115/12 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير (2787) 8/6 .
3. المفردات ص 532 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2344) وقال : حديث حسن صحيح وقال الألبانى : صحيح 573/4 وأحمد فى المسند (272) .

## - التوكل فى الاصطلاح الصوفى :

تناول الصوفية التوكل فى الاصطلاح القرآنى بالشرح والتحليل ، واستقصاء الأدلة من الكتاب والسنة ، بحيث يمكن القول ، إن ما سجل عن بعضهم فيه يعد من قبيل البحث الجزئى المتميز ، ومن ثم حاز مصطلح التوكل قدرا كبيرا من الأقوال والآراء التى أدلى بها الصوفية على اختلاف فكرهم وتجاربهم ، والحق يقال إن كثيرا منهم أبدع فى بيانه وكشفه ، وكل له اجتهاده ، قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : ( التوكل المفترض على الناس فى جملتهم ، هو التصديق لله عز وجل فيما أخبر من قسم ، حيث قال :

{ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ } [الذاريات/22:23] ، وكفالتة من سياقه الأرزاق إليهم ، وإيصال الأقوات التى قسمها فى الأوقات التى وقتها ، بتصديق تقوم الثقة به فى قلوبهم وينفى به الشكوك عنهم والشبه ، ويصفون به اليقين ، ويثبت به حقائق العمل أنه الخالق الرازق المحيى

المميت المعطى المانع المنفرد بالأمر كله ، فإذا صح هذا العلم في القلوب ، وكان ثابتا في عقود الإيمان ، تنطق به الألسنة إقرارا منها بذلك لسيدها ، ويرجع إلى ذلك العلم عند تذكرها ، دفع الاسم عليها بالتوكل (1) ، وإذا كان كلام المحاسبي في التوكل ، معبرا بصدق عن مجموع الأصول القرآنية والنبوية ، فإن أبا تراب النخشي (ت:245هـ) روى عنه في —

1. الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله . للحارس بن أسد المحاسبي (ت:243هـ) تحقيق محمد عثمان الخشت طبعة مكتبة القرآن سنة 1984م ص40 .

التوكل كلام نفيس ، يدل على عمق النظر في فهم الأصول القرآنية ، حيث سأل عن التوكل ؟ فأجاب : ( التوكل طرح البدن في العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضيا موافقا للقدر ) (1) ، ومثله أيضا ما ينسب لسهل بن عبد الله (ت:293هـ) أنه قال : ( من طعن في الحركة ، فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان ، والتوكل حال النبي ﷺ ، والكسب سنته ، فمن بقى على حاله فلا يترك سنته ) (2) .

وينفى الحكيم الترمذى (ت:320هـ) عن التوكل ، ما اشتهر عن الصوفية في الماضي والحاضر من التواكل والجبرية ، فقال فيمن ترك الطلب ، والسعى في الأسباب ، وتواكل بحجة أن الرزق ليطلب العبد

كما يطلبه أجله ، وقد ضمن الله الرزق : ( إن كانوا قعدوا ينبغي لهم أن يقوموا وأن يطلبوا ، تحرزا من الطمع وفساد القلب ، فلا يضيع حق الزوجة والولد ، برغم أن أرزاقهم على الله ، فهذا تارك للسبيل والسنة ، لقوله تعالى : { وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة/233] ) (3) ، وربما عبر عبد الله بن خفيف الشيرازي (ت:371هـ) عن ذلك بقوله : ( التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه ) (4) .

---

1. الرسالة 418/1 . 2. قوت القلوب 16/2 .

3. آداب المريدين وبيان الكسب للحكيم الترمذي ص168 ، 169 .

4. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص326 وانظر طبقات الصوفية ص465 =

ويظهر أبو طالب المكي (ت:386هـ) من خلال استقصائه الشامل للشواهد القرآنية والنبوية التي وردت في التوكل ، كيف يخطوا الراغبون في التوكل على الله في درجات التوكل ، ومراحله على وجه التحديد ، وينصح المريد أن يلتزم بثلاث درجات لا يقلل من شأنها ولا يأخذ بواحدة ويدع الأخرى :

الدرجة الأولى : توجه القلب إلى الله على الدوام ، لعلمه أن الله على كل شئ قدير ، وهو المعطى المانع ، فالقدرة كلها له ، يحكم في خلقه بأمره ما شاء كيف شاء ، أما الأسباب فهي مثل الآلة بيد الصانع يقول المكي : ( ألا ترى أنه لا يقال الشفرة حذت النعل ولا

السوط ضرب العبد ، إنما يقال الحذاء حذ النعل ، وفلان ضرب عبده بالسوط ، وإن كانت هذه الأواسط مباشرة للأفعال إلا أنها آلة بيد صانعها ، وكذلك الخليقة يباشرون الأسباب في ظاهر العيان والله من ورائهم محيط ، القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة (1) .

الدرجة الثانية : توجه الجوارح إلى الأسباب ، فقد أثبت الله الأسباب كأواسط لمعاني الحكمة في التصريف والتقليب ، وإيقاع الأحكام على المحكوم وعودة الثواب والعقاب على المرسوم ، من حيث كان المتوكل قائما بأحكام الشريعة ، ملتزما لمتطلبات العلم ، إذ أمرنا بالسعى فيها ، فلا يضر التصرف —

= وحلية الأولياء 0/1 ص 386 وطبقات السبكي 154/2 ، وقارن بين كلام الصوفية السابق ورأى ابن عربي واتفاقه معهم على هذا المعنى القرآني للتوكل من خلال الرجوع إلى الفتوحات المكية 199/2 وما بعدها .

1. قوت القلوب 13/2 .

والتكسب في المعاش لمن صح توكله على الله ، ولا يقدر في مقامه ولا ينقص من حاله ، قال الله تعالى : { وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا } [النبا/11] ، وقال تعالى : { وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } [الأعراف/10] ، وروى عن النبي ﷺ : " أحل ما أكل العبد ، من كسب يده ، وكل بيع مبرور " (1) ، وقد كان الصانع بيده ، أحب إليهم من التاجر ، والتاجر أحب إليهم من البطل ولأن التوكل من شرط الإيمان ووصف الإسلام ، قال الله تعالى : { إِنَّ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ

بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } [يونس/84] ، فاشترط في الإيمان به والإسلام له ، التوكل عليه ، فإن كان المتوكل حال التصرف فيها قد دخل في الأسباب ، وهو ناظر إلى المسبب في تصريفه ، معتمد عليه ، واثق فيما يقلبه فيه مولاه ، عالم بأن الله تعالى قد أودع الأشياء منافع خلقه ، وجعلها خزائن حكمته ، ومفاتيح رزقه ، ويكون أيضا متبعا للسنة تاركا للترفة والتنعيم ، فهو في تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلة في توكله فساكنها .

الدرجة الثالثة : التسليم والرضا التام بما قضاه الله وقدره ، لأن الاستسلام لقضاء الله وقدره لا يكون إلا لنتيجة الفعل ، ولا يأتي في المقدمة ، أى في مرحلة الأخذ بالأسباب ، فإن هذا القول يكون تعبيرا عن المرحلة الأخيرة —

1. الحديث صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد في المسند (16814) عن رافع بن خديج ولفظه : قيل : يا رسول الله أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ، وأخرجه ابن ماجة في سننه (2138) ، وصححه الألباني 723/2 ، والحاكم في المستدرک (2160) 13/2 .

من التوكل بعد ظهور نتيجة الفعل ، وعلى ذلك يحمل قولهم : التوكل الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام<sup>(1)</sup> ، وحال العبد وقتها حسن اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضا ، فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس ، وثبتوا في الابتلاء ، لشهود المبلى يدبر الخلائق كيف شاء فحصل لهم مقام اليقين ، وحال من التوكل ، ونصيب من الرضا .

ويحاول السراج الطوسي (ت:387هـ) أن يستند إلى القرآن في تصنيف بعض آياته على نحو يجعل التوكل درجات للملتزمين به ، توكل العامة مختلف عن الخاصة ، وخاصة الخاصة فقال : ( التوكل مقام شريف ، قد أمر الله تعالى به وجعله مقرونا بالإيمان ، لقوله تعالى : { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } [إبراهيم/12] وقال في موضع آخر : { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [المائدة/11] فخص توكل المتوكلين ، من توكل المؤمنين ، ثم ذكر توكل خصوص الخصوص فقال : { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } ، لم يردهم إلى شئ سواه ، كما قال لسيد المرسلين وإمام المتوكلين ع : { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا } [الفرقان/58] (2)

وهذا التقسيم السابق مع شموليته واستفائه المعاني والأصول القرآنية ، إلا أنه يعد مفهوما متواضعا عند بعض الصوفية ، فهو عندهم توكل العامة ، إذ نظروا إلى التوكل نظرة غريبة ، يشع منها الحلول والاتحاد بالله أنعكست بسببه المفاهيم —

1. الرسالة 421Y423/1 .

2. اللمع ص78 .

فقالوا : ( التوكل ترك التوكل ، وهو أن يكون الله لهم حيث كان لهم ، إذ لم يكونوا موجودين ) (1) ، حيث يكون العبد في هذه الدرجة



مضمحلا لا وجود له ، ومن ثم يسقط التوكل ، يقول الكاشاني : ( )  
التوكل أن ملكة الحق للأشياء ملكة عزة ، لا يشاركه فيها مشارك  
ليكل شركته إليه ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 34- الثقة

\*\*\*\*\*

- **الثقة** : السكون بالشيء والاعتماد عليه والاطمئنان به ، كقول يعلى  
بن أمية رضى الله عنه : " غزوت مع النبي ﷺ جيش العسرة ، فكان  
من أوثق أعمالي في نفسي " (3) .

والوثاق اسم لما يوثق به ، وأوثقته شدته ، قال تعالى : { حَتَّى إِذَا  
أَتَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ } [محمد/4] ، وقال سبحانه : { فَيَوْمَئِذٍ لَا  
يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ } [الفجر/25:26] ، وعن أبي  
هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله ﷺ قال : " غفر لامرأة مومسة مرت بكلب  
على رأس ركيٍّ يلهث قال : كاد يقتله —

1. السابق ص 79 ، وانظر التعرف ص 121 وعوارف المعارف ص 346
2. لطائف الإعلام 362/1 ، وانظر معجم الكاشاني ص 238 ، وانظر للتوسع في معرفة التوكل على  
الله من المفهوم الصوفي ، رسالة ماجستير بعنوان : مقام التوكل عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين  
، مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1988 .
3. أخرجه البخارى في كتاب الإجارة □ برقم (2266) 519/4 .

العطش ، فنزعت خفها ، فأوثقتة بخمارها ، فنزعت له من الماء ، فغفر لها بذلك " (1) ، وعنه أيضا أن النبي ﷺ قال : " إن الشيطان عرض لي ، فشد علي ليقطع الصلاة علي ، فأمكنني الله منه فدعته ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا ، فتنظروا إليه " (2) .

والميثاق عقد مؤكد بيمين وعهد ، قال تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } [الأحزاب/7] ، والموثق العهد ، قال تعالى : { قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ } [يوسف/66] .

وقالت عائشة رضي الله عنها ، قال ﷺ : " ما بال أناس يشترطون شروطا ليس في كتاب الله ، من اشترط شرطا ليس في كتاب الله ، فهو باطل وإن اشترط مائة شرط ، شرط الله أحق وأوثق " (3) ، والوثقى تأنيث الأوثق والعروة الوثقى في قوله تعالى :

{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا } [البقرة/256] ، حبل الله المحكم الموثوق ، الذى لا ينفك عن عروته والمقصود بها عهد الإسلام ، الذى ينطق به

الإنسان عند إعلانه كلمة التوحيد —————

- 1 . أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق □ (3321) 414/6 ، والركبى البئر .
- 2 . أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة □ (1210) 97/3 .
- 3 . أخرجه البخارى فى كتاب البيوع □ (2155) 432/4 .

بقوله لا إله إلا الله (1) ، وقال كعب بن مالك π : " لقد شهدت مع النبي ﷺ ليلة العقبة ، حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها " (2) .

## - الثقة في الاصطلاح الصوفي :

واصطلاح الثقة عند الصوفية يرد على المعنى القرآني ، حيث تعنى ثقة العبد في ربه وعهده ، وذلك بتصديق الخبر جزماً ، والاعتماد على واهب التقوى والقدر والوثوق بقول النبي ﷺ (3) .

روى عن شقيق البلخي (ت: قبل 237هـ) وقد سئل ؟ ، بأى شئ يعرف بأن العبد واثق بربه ؟ ، قال : يعرف بأنه إذا فاته شئ من الدنيا ، يحسبه غنيمة وإذا أبطأ عليه شئ من الدنيا ، يكون أحب إليه من أن يأتيه (4) ، ويذكر لحاتم —

1 . فتح القدير 276/1 وانظر المفردات ص512 ، والقاموس المحيط 1197/1 .

2 . أخرجه البخارى في كتاب المناقب □ (3889) 459/7 .

3 . انظر جامع الأصول في الأولياء ، لأحمد ضياء الدين مصطفى ، دار الكتب العربية الكبرى ، مصر

، سنة 1331هـ ص79 ، وقال أبو القاسم القشيري : ( العروة الوثقى في قوله تعالى : { فَمَنْ

يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا } [البقرة/256] هي

الوقوف عند الأمر والنهي ، وهو سلوك طريق المصطفى ﷺ ، وطاغوت كل واحد ما يشغله عن ربه ،

والإيمان حياة القلب بالله ، لطائف الإشارات 198/1 .

4 . طبقات الصوفية ص65 .

الأصم (ت:237هـ) فى ثقة العبد فى رزق الله ، أنه قال : ( الوثائق من رزقه من لا يفرح بالغنى ولا يهتم بالفقر ولا يبالى أصبح فى عسر أو يسر ) (1) .

والثقة يجعلها يحيى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) من صفات الأولياء ، فروى عنه أنه قال : ( الثقة بالله فى كل شئ ، من خصال الأولياء ) (2) .

ويذكر الكاشانى أن الثقة عند الصوفية ، تعنى اعتماد العبد فى كل شئ على الله وحده ، بحيث لا يعتمد فى شئ على شئ سواه ، والعبد المتحقق بالثقة بالله ، من حصل له إلامن من الخوف مما سوى الله ، والإعراض عن الاعتراض عما قدره الله وقضاه ، ويستدل بقوله تعالى لأم موسى ص : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } [القصص/7] ، فلولا حسن الثقة بالله لما استطاعت الوالدة أن تلقى ولدها فى لجة الماء (3) .

\*\*\*\*\*

## 35- الجننة

\*\*\*\*\*

- الجننة : كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الأرض ، قال تعالى :  
{ وَلَوْلا —

1 . السابق ص 94 .

2 . السابق ص 110 .

3 . لطائف الإعلام 378/1 .

إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ { [الكهف/39]

(1) ، وقال عمر بن الخطاب ؓ يوما ، للصحابة رضى الله عنهم : "

فيم ترون هذه الآية نزلت ؟ : { أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ

نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } [البقرة/266] ؟ قالوا الله أعلم :

فغضب عمر ؓ ، فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس ؓ :

في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال عمر ؓ يا ابن أخي ، قل

ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس ؓ : ضربت مثلا لعمل قال عمر ؓ

أي عمل ؟ قال ابن عباس ؓ : لعمل ، قال عمر ؓ : لرجل غني

يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم بعث الله له الشيطان ، فعمل

بالمعاصي حتى أغرق أعماله (2) .

وسميت الجنة بذلك ، إما تشبيها بالجنة في الأرض ، وإن كان

بينهما فرق كبير وبون شاسع ، وإما لستره سبحانه نعمها عنا ،

حيث قال : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ }

[السجدة/17] ، وعن عبد الله بن قيس ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " جنتان

من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ،

وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر على —

1 . المفردات ص 98 ، لسان العرب 92/13 ، ومختار الصحاح 48/ 1 ، والمغرب في ترتيب المعرب ، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري ، و عبد الحميد مختار ، نشر مكتبة أسامة بن زيد ، الطبعة الأولى حلب ، سنة 1979م 165/1 .

2 . أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن □ (4538) 49/8 .

وجهه في جنة عدن " (1) ، وعن أبي سعيد الخدري τ ، عن النبي ε قال :

" ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا ، فلا تبأسوا أبدا ، فذلك قوله تعالى : { وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الأعراف/43] " (2) .

وربما يطلق على مجالس الذكر وتدارس العلم رياض الجنة كما روى عن عبد الله بن زيد المازني τ ، أن رسول الله ε قال : " ما بين بيتي ومنبري ، روضة من رياض الجنة " (3) .

وعن أنس بن مالك τ عنه ، أن رسول الله ε قال : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ ، قال حلق الذكر " (4) .

## - الجنة في الاصطلاح الصوفي :

الجنة عند الصوفية ، تنوعت مدلولاتها بين ما يوافق الأصول القرآنية

أو يخالفها —

1 . أخرجه البخارى في الموضوع السابق □ (4878) 491/8 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الجنة □ (2837) 2182/4 .
3. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة □ (1195) 84/3 .
4. حسن ، أخرجه الترمذى في كتاب الدعوات □ (3510) وحسنه الشيخ الألبانى رحمه الله 532/5 ، وأخرجه الطبرانى في معجمه الكبير (11158) 95/11 ، والحاكم في المستدرک (1820) 671/1 .

على النحو الآتى :

(1- الجنة عند العوام والمبتدئين من الصوفية : وهى جنة الأعمال التى يجزى فيها العبد عن مجاهداته وعباداته ، وهى دار النعيم التى أعد الله فيها من فضله العميم ، ما تشتهيئه الأنفس وتلد الأعين ، مما لا يحصى من جوده المقيم (1) .

يقول ابن خفيف : ( الجنة دار الخلد ، ينعم فيها أولياء الله ، وهم باقون فيها يتنعمون أبدا ، ومن دخلها من المؤمنين دخلها بفضل الله ورحمته ، لا بعمله كما ثبت عن رسول الله ﷺ : " لن يدخل أحدكم الجنة عمله ، قالوا ولا أنت يارسول الله ، قال ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه " (2) .

وهذه الجنة يطلقون عليها فى الاصطلاح الصوفى : جنة الأعمال ، وربما قالوا الجنة الصورية (3) ، وهذا ما دلت عليه الأصول القرآنية .

(2- الجنة عند الخواص لا خطر لها فى قلوبهم ، وهم أبعد الناس

عن طلبها —

1. لطائف الإعلام 395/1 ، وانظر تنبيه الغافلين للسمرقندي ، في صفة الجنة وأهلها ص22 ، وتفسير القرآن لسهل بن عبد الله ص9 ، وسلوة العارفين وبستان الموحدين للحكيم الترمذى ص129 .

2. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص356،357 والحديث أخرجه البخارى في كتاب الرقاق (6464) عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : "سددوا وقاربوا ، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة ، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل " 300/11 .

3. لطائف الإعلام 395/1 .

ونسب لرابعة العدوية (ت:185هـ) من نساء الصوفية ، في الكشف عن دافعها للعبودية :

( ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن حبا لذاتك ) (1) .

ولأبي يزيد البسطامي (ت:261هـ) قال فيما روى عنه : ( الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة وأهل المحبة محبوبون بمحبتهم ) (2) ، وينسب لأبي القاسم النصرى (ت:367هـ) : ( إذا بدا لك شئ من بوادى الحق ، فلا تلتفت معه إلى جنة ولا إلى نار ، ولا تخطرهما ببالك ، وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظم ما عظمه الله تعالى ) (3) ، وهذا المعنى محدث لا أصل له ، وإن كان لبعضهم نية حسنة ، كقول النصرى : ( الجنة باقية بإبقائه ، وذكره ورحمته لك باق بإبقائه ، فشتان بين ما هو باق بإبقائه ، وبين ما هو باق بإبقائه ) (4) .



فهو يفضل رحمة الله لعبده ، كصفة من صفات الذات ، على  
الجنة التي هي صفة من صفات الأفعال ، والذي ثبت أن الجنة محل  
الرحمة ، فمن أراد الرحمة فلا مناص من الجنة ، ومن حديث أبي هريرة  
τ ، قال النبي ε :

" قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء

من عبادي —

1. صفة الصفوة 2/249 .

2. طبقات الصوفية ص 70 .

3. السابق ص 485 .

4. الرسالة 1/41 .

وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذب بك من أشياء من عبادي ،  
ولكل واحدة منهما ملؤها " (1) .

(3- الجنة عند خاصة الخاصة : ويسمونها جنة الامتنان ، وهي ما  
يناله أهل الإيمان من عين الجود موهبة من الله تعالى ، وهذا مقام من  
تحقق بالانخلاع عن أحكام الغيرة والأغيار ، فاستتر بأعيان سبحات  
نور الأنوار ، وذلك هو التحقيق بحقائق الأسماء الإلهية ، وستر عين  
الذات بستور صور الصفات (2) .

فالنعيم في جنة الامتنان هو عين الرحمة التي يظهر بها الحق في الكل  
، فمنه نعيم خالص مختص بأهل الجنان ، ومنه نعيم ممتزج بالعذاب ،  
مختص بأهل جهنم وهذا دائم أبدا لا ينقطع نعيم العذاب مطلقا عن

الكفار ، بل إن أهل النار من لذتهم بالعذاب واستعذابهم له لو هب  
عليهم نسيم من الجنة استكروهه وتعذبوا به ، فالجنة والنار كلاهما في  
اصطلاح أصحاب الوحدة نعيم جنان الخلد ، يقول محي الدين بن  
عربي (3) :

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم  
مباين

نعيم جنان الخلد والأمر واحد وبينهما عند التجلي  
تباين

يسمى عذابا من عدوبة طعمه وذاك كالقشر والقشر  
صاين

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن □ (4850) 460/8 .
  2. لطائف الإعلام 395/1 .
  3. فصوص الحكم ص 123، 122 ، وانظر فى معنى الجنة عند ابن عربى أيضا الفتوحات 442/3 ،  
وبلغة الخواص ص 123 .

\*\*\*\*\*

## 36- الجوع

\*\*\*\*\*

- الجوع : هو الألم الذى ينال الإنسان عند خلو المعدة من الطعام ، وقد ورد الفظ القرآنى فى قوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة/155] ، وقوله : { إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى } [طه/118] وآيات أخرى كثيرة ، وقال أبو هريرة ؓ : " لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة مغشيا علي ، فيجيء الجائي ، فيضع رجله على عنقي ، ويرى أني مجنون ، وما بي من جنون ، ما بي إلا الجوع " (1) ، وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : " إن النبي ﷺ لما رأى من الناس إدبارا ، قال : اللهم سبع كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة حصت كل شيء ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع " (2) .

والجوع أمر نسبي ، ويرتبط بالعلامات التى تظهر على البدن ، كما تقدم فى حديث أبي هريرة وابن مسعود ، وقد ورد على الوجه التقريبي فى حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : " لا يجوع أهل بيت عندهم التمر " .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام □ (7324) 316/13 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة □ (1007) 572/2 .

وفي رواية أخرى قال : " يا عائشة بيت لا تمر فيه ، جياع أهله ، يا عائشة بيت لا تمر فيه جياع أهله ، أو جاع أهله قالها مرتين أو ثلاثا " (1) .

والمجاعة زمان الجوع وتقال على وجهين ، عموم الجوع على الكل في وقت ما ، ومنه سمى عام المجاعة في عهد عمر بن الخطاب ؓ (2) ، وزمان الرضاع لكثرة جوع الطفل وتكرار الرضاع ، ومنه ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : " دخل علي النبي ﷺ وعندي رجل ، قال : يا عائشة من هذا ؟ قلت : أخي من الرضاعة ، قال : يا عائشة انظرن من إخوانكن ، فإنما الرضاعة من المجاعة " (3) .

#### - الجوع في الاصطلاح الصوفي :

والجوع في اصطلاح الصوفية ورد على المعنى القرآني كأدب من آدابهم يفضلونه على الشبع ، وربما أطلق بعضهم علي الجوع الموت الأبيض (4) فروى عن يحيى بن معاذ الرازي (ت:258هـ) أنه قال : ( لو علمت أن الجوع يباع في السوق ما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره ) (5) .

---

1. أخرجه مسلم في الأشربة □ (2046) 618/3 وأبو داود في سننه (3831) 362/3 .

2. المفردات ص 103 ، لسان العرب 61/8 ، المصباح المنير .

3. أخرجه البخاري في كتاب الشهادات □ (2647) 30/5 .

4. الجوع سماه بذلك حاتم الأصم ، انظر طبقات الصوفية ص93 والتعريفات ص255 .

5. اللمع ص 269 وانظر السابق ص 111 .

وقال : ( الجوع على أربعة أوجه : للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزهاد سياسة ، وللصديقين تكرمة ) (1) .

ومن طرائف ما يروى عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) أن سائلا سأله في حد الجوع ، فقال له : الرجل يأكل في اليوم أكلة ؟ فقال : أكل الصديقين ، قال : فأكلتين ؟ قال : أكل المؤمنين ، قال : فثلاثة ؟ قال : قل لأهلك بينون لك معلفا (2) ، ولعل سهلا يقصد بذلك أن الطعام إنما يكون لقوام البدن ، لا لتسمينه فمن اشتغل بالتسمين ، سيشتغل بالبحث عن النوعية الجيدة من الطعام ، ومن ثم البحث عن أسباب الوصول إلى النفقات المطلوبة للحصول عليها ، وغير ذلك مما يشغله عن الله فيصير علافا لا عابدا .

ويذكر المكي (ت:386هـ) أقوال الصوفية في الجوع ، مستندا إلى تفصيل الأدلة في الكتاب والسنة ، ويبين أنهم قد اختلفوا في حد الجوع بين معتدل ومبالغ من ذلك :

(1- حد الجوع الأول من الوقت إلى مثله ، كالغد أربعة وعشرون ساعة وحده الآخر اثنان وسبعون ساعة ، فهذا حد الجوع من الأوقات .

(2- حد الجوع ألا تطلب نفسك الأدم فمتى طلبت نفسك الأدم

مع الخبز —

1. الرسالة 372/1 ، وانظر في مفهوم الجوع عند الصوفية ، آداب الطعام والعادات الغذائية عند متصوفة الإسلام ، إعداد محمد عبد المنعم صالح ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1967م .

2. السابق 375/1 .

فلمست جائعا .

(3- حد الجوع أن تطلب الخبز ، فلا تميز بينه وبين غيره ، فمتى تآقت النفس إلى الخبز بعينه ، فليست بجائعة لأن لها شهوة في التخير .

(4- حد الجوع أن ييزق العبد فإذا لم يقع على مذاقه ذباب ، فقد خلت معدته من الطعام ، ومن ثم خلا مذاقه من الدسومة والدهنية ، وصار صافيا مثل الماء فلا يسقط عليه الذباب (1)

وقد استدلل القشيري (ت:465هـ) على أن الجوع والشهوة ، ابتلاء من الله ووجب على المرء أن يصبر في مواجهته ، بقوله تعالى : { وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ } [البقرة/155] ، ثم قال في آخر الآية : { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } فبشرهم بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع ، ويقول في قوله تعالى : { وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر/9] ، ( ولهذا كان الجوع من صفات القوم ، وهو أحد أركان المجاهدة ، فإن أرباب السلوك تدرجوا إلى

اعتیاد الجوع ، والإمساك عن الأكل ، ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع (2) .

1. قوت القلوب 165/2 .

2. الرسالة 372/1 ، انظر المزيد عن مصطلح الجوع ، أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية ، للشيخ محمود خطاب السبكي ، تحقيق سعيد عبد الفتاح سنة 1996م ص 59 .

وينبغي أن نفرق فيما سبق بين الجوع والتجويع ، لأن الأصول القرآنية والنبوية أمرت بالصبر على الجوع ، كابتلاء لا حيلة للإنسان فيه ، ولم تأمر بتجويع النفس وتعذيب البدن ، طلبا للحكمة والمعرفة ، فالذي دل عليه القرآن والسنة ، أن المسلم لا يكثّر من الأكل المفوت للخير الكثير ، فقد يكون الأكل واجبا بقدر ما تقوم به البنية ، ومندوبا بقدر الشبع الشرعي المقوى له على التنفل ، وجائز وهو ما فوّقه بحيث لا يورث فتورا عن العبادة ، ومن ثم فإن مثل ما يروى عن أبي عثمان المغربي (ت: 373هـ) أنه قال : ( الرباني لا يأكل في أربعين يوما ، والصمداني في ثمانين يوما ) (1) ، فإنه باطل ، ولا يستند إلى الأصول القرآنية والنبوية .

\*\*\*\*\*

## 37- الحال

\*\*\*\*\*

- الحال : يقال لعدة أمور (2) :

1- الحال : من الحول وأصله تغير الشئ وانفصاله عن غيره ،  
وباعتبار الانفصال قيل : حال بيني وبينك كذا ، ومنه قوله تعالى : {  
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ } [الأنفال/24] ، إشارة إلى ما قيل في  
وصفه تعالى إنه يقلب القلوب —

1. السابق 1 / 375 .

2. المفردات ص 137 ، 138 .

وهو أن يلقي في قلب الإنسان ما يصده عن مراده لحكمة تقتضى  
ذلك ، وقيل على ذلك :

{ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ }

[سبأ/54] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " انطلق النبي ﷺ في طائفة  
من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين  
خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم  
، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت  
علينا الشهب " (1) .

2- الحال : ما يختص به الإنسان وغيره ، من أموره المتغيرة في نفسه  
وجسمه فباعتبار التغير ، قيل : حال الشئ يحول حولاً ، واستحال  
تهيأ لأن يحول ، وفي السنة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ  
قال : " رأيت الناس مجتمعين في صعيد ، فقام أبو بكر فزرع ذنوباً أو



ذنوبين ، وفي بعض نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم أخذها عمر فاستحالت بيده غربا ، فلم أر عبقريا في الناس ، يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن " (2) .

3- الحال : تستعمل في بقاء الصفة التي عليها الموصوف ، فمن ذلك ما روى عن سهل بن سعد  $\tau$  أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي  $\varepsilon$  ، فنظر النبي  $\varepsilon$  فقال : " من أحب أن ينظر إلى رجل من —

1. أخرجه البخارى في كتاب الأذان □ (773) 295/2 .

2. أخرجه البخارى في كتاب المناقب □ (3633) 728/6 .

أهل النار فليُنظر إلى هذا ، فاتبعه رجل من القوم ، وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح ، فاستعجل الموت ، فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه " (1) .

وقال أبو بكر  $\tau$  : " إن رسول الله  $\varepsilon$  قال : لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد  $\varepsilon$  في هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله  $\varepsilon$  عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله  $\varepsilon$  " (2) ، وعن أنس  $\tau$  حدثهم أن ناسا من عكل وعرينة ، كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي  $\varepsilon$  واستاقوا الذود ، فبلغ النبي  $\varepsilon$  فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم فسمروا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم " (3) .

## - الحال فى الاصطلاح الصوفى :

والحال فى اصطلاح الصوفية باق على المعنى اللغوى السابق ، ويقصدون أن ينبعث من باطن العبد داعية للمراقبة أو المحاسبة أو الإنابة أو غير ذلك ، ثم تزول تلك الداعية لغلبة صفات النفس ثم تعود بعد زوالها ، ثم تعود بعد عودها فما دام العبد فى مراقبته أو فى محاسبته لذلك ، أو فى غير ذلك من الصفات بحيث لا تزال تلك الصفة ، تعود ثم تزول ثم تعود بلا استقرار وثبات ، قيل : بأن حاله

1. أخرجه البخارى فى كتاب القدر □ (6607) 507/11 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى □ (4241) 564/8 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى □ (4192) 524/8 .

كذا ويعنون تثبيت تلك الصفة عليه بعد أن كانت تحول وتزول عنه لظهور صفات النفس وغلبتها عليه (1) .

وقد تنوعت تعبيراتهم فى تعريف الحال ، فروى عن الجنيد (ت:297هـ) أنه قال : ( الحال نازلة تنزل بالعبد فى الحين ، فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك ، فيصفو له فى الوقت فى حاله ووقته ويزول ) (2) .

ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) فى معنى قوله ع : " إن ليغان على قلبى حتى استغفر الله تعالى فى اليوم سبعين مرة " (3) ، أنه كان ع أبدا فى الترقى من أحواله ، فإذا ارتقى من حالة إلى حالة

أعلى مما كان فيها فرمما حصل له ملاحظة إلى ما رتقى عنها ، فكان  
يعدها غنا بالإضافة إلى ما حصل فيها فأبدا كانت أحواله في التزايد  
(4)

1. لطائف الإعلام لعبد الرزاق المكاشاني ص403 ، وانظر كشف اصطلاحات الفنون 119/2 ،  
وانظر في معنى الحال عند ابن عربي الذي يتوافق مع هذا المعنى ، الفتوحات المكية 132/2 ،  
370/4 .

2. اللمع ص411 .

3. أخرجه الإمام الترمذى في كتاب تفسير القرآن (3259) وقال الشيخ نصر الدين الألبانى رحمه الله  
: صحيح ، 383 /5 ولفظه عن أبي هريرة ؑ عن النبي ﷺ قال : " إني لأستغفر الله في اليوم مائة  
مرة " وانظر بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث حديث (1097) 973/2 .

4. الرسالة القشيرية 207/1 .

وقال القشيري (ت:465هـ) : ( الحال عند القوم معنى يرد على  
القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم ، من طرب  
أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو احتياج ) (1)

ويذكر الكاشاني عند الصوفية مصطلح : الحال الدائم ، وهو الحال  
المضاف إلى الحضرة العندية ، وهو باطن الزمان المشار إليه بقوله ﷺ :  
" ليس عند ربكم صباح ولا مساء " (2) .

\*\*\*\*\*

- الحجاب : الحجب والحجاب ، المنع من الوصول ، يقال :

### حجبه حجاباً

1. السابق 206/1 ، وانظر في معنى الحال عند الصوفية كشف المحجوب ص 447 والإملاء ص 62 ، وعوارف المعارف للسهروردي ص 530 ، وقد شرح السهروردي الحال والمقام والفرق بينهما ، كما أشار إلى المقامات والأحوال وأقوال المشايخ فيها على الترتيب ، وانظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص 86:89 ، وطبقات الأولياء لابن الملتن ص 44 ، والأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية للشعراني 88/1 المواقف والمخاطبات للنفري ، نشر آربري مادة حال ، وتاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غني ، ترجمة صادق نشأت ص 300 : ص 495 ، والتصوف الإسلامي الخالص تأليف السيد محمود أبو الفيض المنوفي ص 97:100 .
2. لطائف الإعلام 404/1 والحديث لم أعثر عليه في كتب السنة .

وحجاباً (1) ، قال تعالى : { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًا بِسِيمَاهُمْ } [الأعراف/46] ، أى فاصل بين أهل الجنة وأهل النار ، وقال :

{ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [الشورى/51] ، أى من حيث لا يراه مكلمه ومبلغه ، وقوله : { حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ } [ص/32] يعنى الشمس إذا استقرت بالمغيب (2) ، وقال سلمة بن الأكواع τ : "كنا نصلي مع النبي ﷺ المغرب إذا توارت بالحجاب " (3)

والحجاب يرد على معنيين :

1- الستر المعنوى : فى قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [الإسراء/45] وهو الختم والطبع يفسره قوله تعالى بعده : { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الإسراء/46] .

2- الستر الحسى : كقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ( قلت : يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب

---

1. المفردات ص 108 ، ولسان العرب 298/1 .

2. السابق ص 108 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة □ (561) 49/2 ، وانظر النهاية فى غريب الحديث 340/1 .

فأنزل الله آية الحجاب )<sup>(1)</sup> ، فاستعملات الكلمة فى القرآن والسنة تدور على معنى الستر والمنع ، سواء كان هذا الستر حسيا أو معنويا .

## - الحجاب فى الاصطلاح الصوفى :

يتنوع مدلول الحجاب فى عرف الصوفية بين عدة معان ، منها ما هو قائم على الأصول القرآنية والنبوية ، ومنها ما يخالفها ، فمن ذلك : (1- الحجاب حجاب الأسباب ، إذ أنها حائل موضوع للابتلاء ، يقول أبو طالب المكى (ت:386هـ) : ( احتجب عن العموم

بالأسباب فهم يرونها وحجب الأسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ، ولا يرونها ) (2) ، أى أن العامة لضعف توكلهم وإيمانهم ، يعاينون النتائج والأحداث بالأسباب فقط بينما لا يخدع الموحدون والمتوكلون بالأسباب ، لقوة إيمانهم بالله ومعرفتهم بصفاته ، فينظرون إلى من خلفها ، ويعتمدون عليه ويستعينون به .

ويوضح أبو طالب المكي احتجاب صفات الأفعال بقوله : ( وكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين ، من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين ، أوائل في الفعل ، من قبل أن الله تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم ، فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم ، فأشركوا في أسماء الله ) (3) .

ويذكر لسهل بن عبد الله التستري ، أنه قال عن صفة الفعل : (

إنها الصفة —

1. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن □ (4483) 18/8 .

2. قوت القلوب 126/1 .

3. السابق 11/2 .

التي بها احتجب وبها تسمى الله ، فإذا أبصر الإنسان ، أشعره الله بمباشرة صفاته وخفى ألطافه آثارها في خلقه ) (1) ، فالأسباب في حقيقتها ميدان لإظهار فعل الله عز وجل ، يحجب قدرته الفاعلة حتى يتلى الناس بها ، فأصحاب الغفلة يقعون في الشرك الخفى ، فيقول العبد أعطاني ومنعني فلان على أنهم أوائل في الفعل ، وهذا

شرك خفى لأن الأسباب تظهر على أيديهم ، وتجرى بواسطتهم فحجبوا بها عن المسبب ، واستتر عنهم المعطى المانع ، وأهل البصائر يوحدون ولا يحجبون ، فكانت الأسباب حجابا وابتلاء ، ومن هنا تنوع موقف السرى السقطى (ت: 251هـ) من الحجاب فى هذين الدعاءين المختلفين فنسب إليه أنه مرة يقول : ( اللهم مهما عذبتنى بشئ ، فلا تعذبنى بذل الحجاب ) (2) ومرة أخرى يقول : ( اللهم الطف بنا واسترنا بلطف الحجاب ) (3) .

أما الأول فيقصد أن ينعم بشهود الربوبية والفاعلية الإلهية ، وأما الآخر فيسأل الله التخفيف ، حتى يستمر فى حياته ليرعى شئون نفسه ، لأنه لو ظل مشاهدا له وراء كل شئ يسبح الله حقيقة ، استحال عليه أن يفعل الضروريات أو يفكر فى صلاح معيشتة ، ومن ثم فالصوفية الأوائل فهموا علاقة الأسباب بالفاعلية الإلهية ، باعتبارها حجابا لقدرة الله عز وجل ، يسدله الخالق رحمة بالناس من ناحية ، وابتلاء واختباراً لهم من ناحية أخرى ، وهذا المعنى يمكن أن —

1. من التراث الصوفى ص 215 .

2. طبقات الصوفية ص 303 .

3. حلبة الأولياء 120/10 ، وانظر ختم الأولياء ص 149 .

يستدل له بشاهد نبوى ، حيث قال رسول الله ﷺ للصحابى أبى ربيعى حنظلة بن الربيع ر كاتب الوحى : " والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم

، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات " (1) ، إذ  
ظن حنظلة أن الانشغال بالأسباب في غير مجلس الذكر مدعاة  
للفراق ، فقال : " نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأننا رأى العين  
، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا  
" (2) ، وهو ما يعتبره نفاقا ، وإرشاد النبي ﷺ لحنظلة  $\tau$  ، يوحى بأن  
أهل الحق في دوام الأحوال ، يباشرون الأسباب في ظاهر العيان ،  
ويعلمون أن الله من ورائهم محيط ، قادر فاعل بلطائف القدرة وخفايا  
المشيئة .

(2) - الحجاب حجاب المعاصي ، فحجاب النفس الشهوات  
واللذات والأهوية وحجاب القلب الملاحظة في غير الحق ، وجملة  
الصفات الذميمة بصفة عامة حجاب بين العبد وربّه ، ويذكر  
القشيري في قوله تعالى : { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ }  
[المطففين/15] ، أن المعاصي التي كانوا يكسبون ، حجبتهم عن ربهم  
وغطت على قلوبهم ، وكما أنهم اليوم محجوبون عن معرفته ، فهم غدا  
محجوبون عن رؤيته ، ودليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون يرونه  
غدا كما يعرفونه اليوم (3) وهذا المعنى قرآني أيضا .

(3) - الحجاب احتجاب الوحدة بالكثرة ، يقول ابن عربي : ( )

الحجاب هو —

1. أخرجه مسلم في كتاب التوبة (2750) 2106/4 وأحمد (17646) 178/4 .



2. الحديث السابق . 3. لطائف الإشارات 701/3 كشف التهانوى 9/2 .

كل ما ستر مطلوبك عن عينك ، وهو عند أهل الحق انطباع الصور الكونية في القلب ، المانعة لقبول تجلى الحق (1) ، ويظهر معنى ذلك على التفصيل من تفسير الكاشاني لقوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الإسراء/45:46] ، فيذكر أن الله جعل بين نبيه ﷺ وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة لقصور نظرهم عن إدراك الروحانيات وقصر همهم على الجسمانيات حجابا ، مستورا من الجهل وعمى القلب ، فلا يرون حقيقة القارئ ولا آمنوا بالوحدة ، وإنما لا يبصرونك ، لأنهم لا يحسبونك إلا هذه الصورة البشرية لكونهم بدنيين منغمسين في بحر الهيولى ، محجوبين بالغواشى الطبيعية ، وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله ، إذ لو عرفوا الحق لعرفوك ، ولو عرفوا صفاته لعرفوا كلامه ، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيات البدنية أن يفقهوه ، ولو عرفوا أفعاله لعلموا القراءة لمن ، ولم يكن في آذانهم وقر لرسوخ أوساخ التعلقات ، ولوا على أديبارهم نفورا لتشتت أهوائهم وتفرق همهم في عبادة متعبداتهم من أصنام الجسمانيات والشهوات ، فلا يناسب بواطنهم معنى الوحدة ، لتألفها بالكثرة واحتجابها بها (2) .

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص16 ، ص18 وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص13 والتعريفات ص86 .

2. تفسير القرآن منسوب لابن عربي 721/1 وانظر أيضا للمقارنة بمعنى الحجاب عند ابن عربي فصوص الحكم 54/1 ، وشرح جواهر النصوص في حل كل الفصوص لعبد الغني النابلسي 4/1 .

\*\*\*\*\*

## 39- الحـرـص

\*\*\*\*\*

- **الحرص** : ورد في القرآن والسنة على معنى شدة الرغبة وفرط الشره والإرادة إلى المطلوب ، كما قال تعالى : { إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ } [النحل/37] أى إن تفرط إرادتك في هدايتهم ، وقال تعالى : { وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف/103] (1) ، ومن السنة ما روى عن أبي بكره  $\tau$  قال : سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقلت : يا رسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه " (2) ، وعنه أيضا  $\tau$  : " أنه انتهى إلى النبي  $\varepsilon$  وهو راعع ، فرجع قبل أن يصل إلى الصف ، فذكر ذلك للنبي  $\varepsilon$  فقال : زادك الله حرصا ولا تعد " (3) ، والحرص على نوعين :

(1) - محمود وهو فرط الإرادة لفعل الخير ، كقوله تعالى في وصف النبي  $\varepsilon$  : { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ { [التوبة/128] ، وعن أبي هريرة ؓ : "

قال رجل للنبي ﷺ —

1. لسان العرب 11/7 ، والمفردات ص 113 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان □ (31) 106/1 .
3. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (783) 312/2 .

يا رسول الله ، أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح حريص تأمل الغنى وتحشى الفقر ، ولا تمهل ، حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا ، وقد كان لفلان " (1) ، ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد ، حتى أكون أنا التي أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو " (2) .

(2) - حرص مذموم وهو ما ورد فى قوله تعالى : { وَكَتَجِدْتَهُمْ

أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ { □ [البقرة/96] ، وروى عن أبي هريرة ؓ ، عن النبي ﷺ قال : " إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرزعة وبئست الفاطمة " (3) ، وعن أنس ؓ قال رسول الله ﷺ : " يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال ، والحرص على العمر " (4) ، ومن حديث كعب بن مالك الأنصاري ؓ قال رسول الله ﷺ : " ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه " (5) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا □ (2748) 439/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح □ (5236) 248/9 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام □ (7148) 133/13 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة □ (1047) 724/2 وأحمد فى المسند (13719) .
5. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد □ (2376) وقال الألبانى : صحيح 588/4 .

### - الحرص فى الاصطلاح الصوفى :

الحرص فى ألفاظ الصوفية يدور على المعنى القرآنى السابق ، ويعنى عندهم طلب الشئ باجتهاد فى إصابته <sup>(1)</sup> ، ويرتبط اللفظ بالمذمة ، لاقترانته بطلب الدنيا ، وهى عندهم فى موضع العداة ، روى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : ( المنافق ما أخذ من الدنيا ، يأخذ بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة وينفق لله خالصا فى الطاعة ) <sup>(2)</sup> .

ويرى الحارث المحاسبى (ت:243هـ) أن الغنى ، قد يكون زاهدا فى غناه والفقير قد يكون راغبا حال فقره ، فالغنى الصادق المطيع خازن من خزان الله ليس حبسه للأموال ضنا بها وحرصا عليها فهو زاهد وإن كثر عنده المتاع <sup>(3)</sup> .

ويذكر القشيرى (ت:465هـ) فى شرحه لقوله جل ذكره : {  
وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ

يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزْحَرْجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ { [البقرة/96] ، أن حب الحياة في الدنيا نتيجة الغفلة عن الله ، وأشد منه غفلة أحبهم للبقاء في الدنيا ، وحال المؤمن من هذا على الضد وأما أهل الغفلة وأصحاب التهلكة فإنما حرصهم على الحياة لعلمهم بما فقدوا فيها من طاعتهم ، فالعبد الأبق لا يريد رجوعاً إلى سيده ، والانقلاب إلى من هو خيره مرجو خير للمؤمنين من البقاء

1. التعريفات للجرجاني ص 90 .

2. طبقات الصوفية ص 95 .

3. الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ص 101 : 109 .

مع من شره غير مأمون (1) ويذكر أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) أن شدة الحرص على فضول الدنيا من الأوصاف الرديئة والأخلاق المذمومة التي توقع في الغضب وتؤدي إلى الكذب وطلب الجاه والعجب (2) .

\*\*\*\*\*

## 40 - الحرمة

\*\*\*\*\*

- الحرمة : الحرام الممنوع منه ، وهو على نوعين في كتاب الله (3) :

1- تحريم كوني : وهو منع أمر من قبل الله ، لا يمكن للإنسان فعله ، كقوله تعالى : { قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي

الأرضِ { [المائدة/26] وقوله : { وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ }  
[الفصل/12] .

2- تحريم شرعى : وهو منع أمر يمكن للإنسان مخالفته ، كقوله تعالى  
{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا  
الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ —

1. لطائف الإشارات 107/1 .

2. إحياء علوم الدين 178/3 ، خلت معظم المعاجم الصوفية من مصطلح الحرص مع كونه كما هو  
واضح لفظ دائر بين مشايخ الصوفية ، ولم يذكر إلا الجرجاني في تعريفاته كما تقدم .

3. المفردات ص 114، 115 .

صَاغِرُونَ { [التوبة/29] وقوله تعالى { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا }  
[البقرة/275] .

والحرمة تعظيم ما عظم تحريمه ، كقوله تعالى : { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ  
حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } [الحج/30] .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " وما انتقم رسول الله ﷺ  
لنفسه □ إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها " (1) ، ومن حديث أبي  
بكرة قال رسول الله ﷺ : " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم  
حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم " (2) ، ومن  
حديث أبي هريرة قال أن النبي ﷺ قال : " لا يجلس لامرأة تؤمن بالله واليوم  
الآخر ، أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة " (3) .

## - الحرمة في الاصطلاح الصوفي :

والحرمة عند الصوفية تعظيم حرمة الله ، بتحريم ما حرم الله والامتناع عن معصيته ، قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( فالتقوى حسن النية وسلامة الصدر من الآفات ، وذلك أن الله وضع في الأرض بيتا استخلصه لنفسه وجعله مباحاً ذكره وسماه كعبة وحرماً ، وجعله قياماً للناس وسماه البيت المحرم وسماه بكة ووضع في جوف الآدمى قلباً استخلصه لنفسه فلم يكله إلى أحد . . ثم جعل صدره له حرماً ، وجعل للقلب عينين يبصران بذلك المصباح ، ما يجري في

1. أخرجه البخارى في كتاب المناقب □ (3560) 6/654 .
2. أخرجه البخارى في كتاب العلم □ (67) 1/190 .
3. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة □ (1088) 2/659 .

الصدر ، فمن اتقى على كعبة الله وحرمه ، أن يحدث فيه فساداً أو معصية فهنا أحق أن يتقى على قلبه وصدره ، أن يحدث فيه غلاً أو غشاً أو سوءاً حتى يتأدى ذلك إلى جوارحه ، فيفتضح عند رب العالمين (1) .

ويذكر القشيري في تعليقه على قوله تعالى : { ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } [الحج/30] مدلولات متنوعة لتعظيم الحرمات كلها في إطار الأصول القرآنية والنبوية منها : تعظيم الحرمات يكون بتعظيم أمره وتعظيم أمره بترك مخالفته ، تعظيم

الحرمات بطلب الرضا من الله ، فمن طلب الرضا بغير رضى الله لم يبارك له فيما آثره من هواه على رضى مولاه ولا محالة سيلقى سريعا نجه ، تعظيم حرماته بالغيرة على إيمانه وما فجر صاحب حرمة قط ، تعظيم الحرمات ألا يقع فى الفرقة ، فترك الخدمة يوجب العقوبة وترك الحرمة يوجب الفرقة ، وكل شئ من المخالفات فللعفو فيه مساغ وللأمل إليه طريق ، وتارك الحرمة على خطر ألا يغفر ، وذلك بأن يؤدى ثبوته بصاحبه إلى أن يختل دينه وتوحيده (2) .

وربما كان ما سبق من معانى الحرمة مفهوما متواضعا لها ، عند الكاشانى فتعظيم الحرمات يجعله على مراتب تختلف فى درجاتها بحسب العموم والخصوص فهناك تعظيم الحرمات عند العامة : وذلك يكون بالوقوف عند مراسم الله تعالى وحدوده رغبة فيما وعد الله ورهبة مما توعد ، وأيضا تعظيم الحرمات عند —

1. آداب المريدين وبيان الكسب ص 99 ، 100 .

2. لطائف الإشارات 541/2 .

المتوسطين : وذلك يكون بالحياء من الله تعالى ، لا لطلبها للمثوبة ولا رهبا من العقوبة ، لئلا يصير العبد بذلك ، مسترقا لرغبته ورهبته لا لربه ، ثم تعظيم الحرمات عند الخاصة : وذلك بأن يحفظهم الحق فى أوقات المشاهدة عن الخروج عن حد الأدب ، فإذا أشهدهم الله تعالى بأنه ظاهرا فى كل شئ ، أشهدهم مع ذلك نزاهته عن كل شئ (1) .



1. لطائف الإعلام 408/1 وتعظيم الحرمات الذى يتوافق مع الأصول القرآنية هو تعظيم الدرجة الأولى دون الثانية والثالثة ، فالتعظيم المبني على مراعاة الثواب والعقاب فى العبادة هو تعظيم النبي ﷺ وطريقته ، ومعلوم أن ما جاوز ذلك تحت أى دعوى لا يقبل ، كما أن تعظيم الحرمات عند الخاصة ، وهى الدرجة العظمى عند أصحاب الوحدة يشير به الكاشانى إلى ما ذكره بن عربى أن التنزيه عند أهل الحقائق فى الجانب الإلهى عين التحديد والتقييد ، وذلك أن للحق فى كل خلق ظهورا فهو الظاهر فى كل مفهوم ، وهو الباطن عن كل فهم إلا عن فهم ، من قال إن العالم صورته وهويته وكذلك من شبهه وما نزهه ، فقد قيده وحدده وما عرفه ، ومن جمع فى معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين على الإجمال فقد عرفه وحفظ حرمة ، ولذلك فإنهم يحتجون بأن النبي ﷺ ربط معرفة الحق بمعرفة النفس ، ففى الحديث الموضوع : (من عرف نفسه فقد عرف ربه ) موضوع ، انظر المقاصد الحسنة للسخاوى ص 198 والموضوعات الكبرى للإمام على القارى ص 83 ، بل يفسرون قوله تعالى : { سَتْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ } [فصلت/53] ، بأنه ما خرج عنك { وَفِي أَنْفُسِهِمْ } ، وهو عينك { حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ } ، أى للناظر { أَنَّهُ الْحَقُّ } ، أى من حيث أنك صورته وهو روحك انظر لطائف الإعلام 235/1 ، وأبين من ذلك ما صرح به ابن عربى شعرا فى قوله : فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدا وإن قلت بالتشبيه كنت محمدا =

\*\*\*\*\*

## 41- الحرية

\*\*\*\*\*

- الحرية : الحر خلاف العبد ، والحرية ضربان (1) :

الأول : من لم يجر عليه أحكام الرق ، نحو قوله تعالى : { الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ } [البقرة/178] ، والتحرير جعل الإنسان حرا ومنه قول الله تعالى : { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ } [النساء/92] ، وعن أبي هريرة ، τ ، عن النبي ﷺ قال : " قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، رجل

أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره " (2) .

الثاني : من لم تملكه الصفات الذميمة ، من الحرص والشر من المقتنيات الدنيوية ، وإلى العبودية التي تضاد ذلك ما روى عن أبي

### هريرة τ عن النبي ε —

= وإن قلت بالأمرين كنت مسددا وكنت إماما في المعارف سيدا  
فمن قال بالإشفاق كان مشركا ومن قال بالإفراء كان موحدا  
فإياك والتشبيه إن كنت ثانيا وإياك والتنزيه إن كنت مفردا  
فما أنت هو بل أنت هو وتراه في عين الأمور مسرحا مقيدا  
انظر فصوص الحكم ص54 ، ص56 ، ص60 .

1. المفردات ص111 ، ولسان العرب 4/181 ، والمغرب 1/194 .
2. أخرجه البخارى في كتاب الجهاد والسير □ (2887) 6/95 .

قال : " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش " (1) .

وقوله تعالى : { إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [آل عمران/35] ، قيل : هو أنها جعل وليدها بحيث لا ينتفع به الانتفاع الدنيوى ، بل جعلته مخلصا للعبادة ، وقيل : معتقا من أمر الدنيا وكل ذلك إشارة إلى معنى واحد (2) .

- الحرية فى الاصطلاح الصوفى :

والحرية ترد عند أوائل الصوفية ، على معنى تمييزه الأصول القرآنية والنبوية فيعنى عندهم إتمام العبودية لله والتحرر مما سواه ، كما روى عن بشر الحافي (ت:227هـ) أنه قال للسرى السقطي : ( إن الله تعالى خلقك حرا ، فكن كما خلقك ، لا تراء أهلك في الحضر ، ولا رفقتك في السفر ، اعمل لله ودع عنك الناس ) (3) ، ويقول أيضا : ( من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية ، لغير الله ، فليظهر السريرة بينه وبين الله تعالى ) (4) .

وينسب لأحمد بن خضرويه (ت:240هـ) أنه قال : ( في الحرية تمام

#### العبودية —

1. أخرجه البخارى في كتاب البيوع □ (2227) 487/4 .
2. المفردات ص 111 .
3. اللمع للسراج الطوسى ص 450 .
4. الرسالة القشيرية 262/2 .

وفي تحقيق العبودية تمام الحرية ) (1) ، وربما جعل الجنيد بن محمد (ت:297هـ)

---

1. اللمع للسراج الطوسى ص 448 ، طبقات الصوفية ص 104 ، يعد الصوفية أو من تكلموا في الحرية على هذا المعنى فلهم السبق في إنشاء اصطلاح للحرية يغير المفاهيم الفلسفية والكلامية ، ويحمل في طياته تكامل المذهب في إثبات الحرية بالعبودية لله والتحرر مما سواه ، سواء كانت الحرية في القلب أو اللسان أو الجوارح ، فمقدار الحرية في الإنسان يتحدد بمقدار العبودية لله ، والخروج من عبودية ما سواه ، كما أن أوائل الصوفية رسموا طريقا للحرية من خلال المقامات ، والمجاهدات التي

تزيد الإيمان شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الكمال فيه ، ويبدأ الطريق بمقام التوبة ثم الورع والزهد والصبر والتوكل والرضا وينتهي بالحرية ، فالحرية عندهم آخر مقام للعارف ، وأغلب ذلك ليس نحتاً من الأذهان لخدمة قضايا الإيمان ، ولكن تعبيراً عن وجدانهم وتجربتهم التي خاضوها ، فأسفرت عن هذه المعاني والحقائق وعلى ذلك ، فإنهم وفقوا إلى التخلص من المتناقضات واللوازم في العلاقة التي تربط بين الله وبين الإنسان من ناحية وبين الله والعالم من ناحية أخرى ، بحيث يمكن القول إن مذهب أوائل الصوفية يعبر بصدق عن حقيقة هذه العلاقة ، فهو لا يختلف إلى حد ما عن منهج الكتاب والسنة في عرض الموضوع ، فالعلاقة بين الله وبين الإنسان هي علاقة عبودية يؤديها الإنسان لربه من خلال معنى الابتلاء في الأرض والاستخلاف فيها ، والله سبحانه وتعالى كيفه بالصورة التي تمكنه من تحقيق هذه الغاية ، ووهبه كل مقومات الحرية السابقة ليعي دوره في الحياة ، ويعقل الأشياء عن الله ويتحمل المسؤولية عن أفعاله الخلقية ، فيتحقق معنى العدل والجزاء ، فالكمال الإنساني يكمن في ارتقاء الإنسان إلى ما فوق سلطان الشيطان والشر والنفس ، ودخول الإنسان في عبودية الله بإرادته هو السبيل الوحيد عند أوائل الصوفية للمحافظة على حرته وتحقيق ذاته ، إذ أنه يضع نفسه في موقعه =

الحرية آخر ما يصل إليه العارف من المجاهدة ، فيروى عن أنه قال :  
الحرية آخر مقام للعارف ، وسئل عن من لم يبق عليه من الدنيا إلا  
مقدار مص نواة ، أيكون حراً ؟ فقال : المكاتب عبد ما بقى عليه  
درهم ، وقال متمنياً أن يرى حراً بحق :

أتمنى على الزمان محالا : أن ترى مقلتاى طلعة حر (1)

وينسب لإبراهيم بن شيبان (ت:330هـ) أنه قال : ( من أراد أن  
يكون حراً من الكون ، فليخلص في عبادة ربه ، فمن تحقق في عبادة  
ربه ، صار حراً مما سواه ) (2) ، وربما ركز بعضهم على أن التحرر  
الحقيقي يكمن في القلب على اعتبار ، أن صلاح القلب يؤدي

باللزم إلى صلاح البدن وسائر الجوارح فروى عن أبي بكر الشبلى  
(ت:334هـ) أنه قال : ( الحرية هي حرية القلب لا غير ) (3) ، وربما  
توهم البعض ولأول وهله ان الحرية تعنى التحلل من قيود العبودية لله ،  
وهذا ما يرده عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) حيث —

= الصحيح بين الكائنات ، فينضم إليها ويشاهدها عابدة بحقيقة الربوبية ، فينخرط معها بنفى تدييره  
إلى تديير الله ، وخضوعه وإخضاعه لما منحه الله من نعم وفضل ، مما يجعل الإنسان كائنا على قمة  
الكائنات ، انظر المزيد فى مفهوم الحرية عند الصوفية فى القرنين الهجريين الثالث والرابع رسالة  
ماجستير للمؤلف مخطوط كلية دار العلوم 618 سنة 1995م فصل عن الحرية ومنهج العبودية  
ص281 وما بعدها .

1. الرسالة 461/2 .

2. طبقات الصوفية ص 404 .

3. السابق ص 343 .

يقول : ( والحرية من العبودية باطلة ، أى إذا تصور امرؤ أن العبد  
يجوز له فى حياته ، أن يتحرر من قيد العبودية ، وأن تسقط عنه  
التكاليف الشرعية ، فهو على باطل (1) ، ولكن التحرر جائز من رق  
النفوسية ، أى يجوز للعبد أن يتحرر من قيد نفسه وغلها ، والرق  
والعبودية لا يسقطان من العبد بحال ، ولا يسقط عنه اسم العبودية  
(2) ، وقال السراج الطوسى (ت:387هـ) : ( الحرية إشارة إلى نهاية  
التحقق بالعبودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك شئ من المكونات  
وغيرها ، فتكون حرا إذا كنت لله عبدا ، فلا يكون العبد عبدا حقا ،  
ويكون لما سواه مسترقا ) (3) .

ولا شك أن هذا ما أشار إليه ع بقوله : " تعس عبد الدينار ،  
تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميعة ، إن  
أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا  
انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة  
قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقية كان  
في الساقية ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع له " (4) .

---

1. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص 361 . 2. السابق ص 361 .  
3. اللمع ص 450 .

4. أخرجه البخارى في كتاب الجهاد (2886) ، وتعس دعاء عليه بالهلاك أى انكب وعثر والخميصة  
ثوب خز أو صوف معلم ، والخميعة ثياب لها خمل من أى شئ كان ، وإذا شيك فلا انتقش أى إذا  
أصابته شوكة فلا أخرجت منه .

ويروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : ( أنت عبد  
من أنت فى رقه وأسرره ، فإن كنت فى أسر نفسك ، فأنت عبد  
نفسك ، وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك ) (1) .

ويستند القشيري (ت:465هـ) إلى الأصول القرآنية فى بيان معنى  
الحرية عند الصوفية ، فيبين أن المحرر هو الذى ليس فى رق شئ من  
المخلوقات ، حرره الحق سبحانه فى سابق حكمه عن رق الاشتغال  
بجميع الوجوه والأحوال ، قال تعالى : { إِذْ قَالَتْ امْرَأَةٌ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي

نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ { [آل عمران/35] (2) .

واستدل على معنى الحرية بقوله تعالى : { وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر/9] ، وذلك أنهم إنما آثروا على أنفسهم لتجردهم عما خرجوا منه وآثروا به ، فالحرية ألا يكون العبد تحت رق المخلوقات ، ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحة سقوط التميز بين الأشياء ، فيتساوى عنده أخطار الأعراض حتى يستوى حجرها وذهبها (3) .

وكما عودنا الكاشاني في ذكر معاني المصطلح وتخصيصه على الوجه الدلالية لاعتبارات الصوفية ، جعل الحرية في الاصطلاح الصوفي على ثلاثة أنواع :

---

1. الرسالة 430/2 .

2. لطائف الإشارات 237/1

3. الرسالة 460/2 .

1- حرية العامة : وهي التي تقدمت وتعنى الخروج عن رق اتباع الشهوات (1).

2- حرية الخاصة : وهي الخروج عن رق المرادات ، لاقتصارهم على ما يريد الحق بهم ، وهو ما عناه القشيري ، بقوله : ( إن الذي

أشار إليه القوم من الحرية ، هو ألا يكون العبد تحت رق شئ من المخلوقات ، لا من أعراض الدنيا ولا من أعراض الآخرة فيعبده فرد الفرد ) (2) .

3- حرية خاصة الخاصة : وهى خروجهم عن رق الرسوم والآثار ، لانمحاق ظلمة كونهم فى تجلى نور الأنوار ، ويعنى ما ذكره ابن عربى : ( الحرية من ظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلمانية ، لقوله تعالى : { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا } [نوح/28] أى هلاكاً فى الحق ، فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم ) (3)

\*\*\*\*\*

## 42- الحزن

\*\*\*\*\*

- الحزن : أصل الحزن خشونة فى الأرض ومنه قوله ع عن أبى موسى الأشعري ؓ قال : " إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض —

1. لطائف الإعلام 409/1 ، ومعجم الكاشانى ص 82 .

2. الرسالة 461/2 .

3. فصوص الحكم ص 71:73 .

فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود ، وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيب " (1) ، وعن



أبي هريرة  $\tau$  أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " تعوذوا بالله من جب الحزن ، قالوا : يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة ، قلنا : يا رسول الله ، ومن يدخله قال القراء المرءون بأعمالهم " (2) .

والحزن خشونة في النفس لما يحصل فيه من الغم ، ويزاده الفرح قال الله عز وجل : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] وقوله تعالى : { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ } [آل عمران/139] ، فليس ذلك بنهي عن تحصيل الحزن ، فالحزن ليس يحصل بالاختيار ، ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه (3) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض ، وللمحزون على الهالك ، وكانت تقول إني سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " إن التلبينة تجم فؤاد المريض ، وتذهب ببعض الحزن " (4) .

- 
1. أخرجه الترمذى في كتاب الزهد (2955) وصححه الألبانى 204/5 ، وأبو داود (4693) 222/4 وابن حبان في صحيحه (6181) 60/14 .
  2. أخرجه الترمذى في كتاب الزهد (2383) وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 593/4 ، وابن ماجه (256) 94/1 .
  3. المفردات ص 115،116 .
  4. أخرجه البخارى في الطب (5689) 153/10 والتلبينة حساء يجعل من دقيق أو نخالة .

وللحزن علامات يعرف بها ، منها ما ورد في قول الله تعالى : {  
وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ }  
[يوسف/84] ، وقوله عز وجل : { تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا  
{ [التوبة/92] ، عن أنس ؓ قال : " قنت رسول الله ﷺ شهرا حين قتل  
القراء ، فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزنا قط أشد منه " (1) ، وعن  
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " أن النبي ﷺ بكى على سعد بن  
عبادة عند موته ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا فقال : ألا  
تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب  
بهذا وأشار إلى لسانه أو يرحم ، وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه " (2)

وقد ثبت في السنة أن ما يصيب المسلم من الحزن يكفر عنه  
الخطايا ، فعن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال : " ما يصيب المسلم من  
نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة  
يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها " (3) ، وقد كان النبي ﷺ يكثُر  
أن يتعوز من الحزن ، لما روى عن أنس بن مالك ؓ قال :  
" كنت أسمع النبي ﷺ كثيرا يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهم  
والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال " (4)

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز □ (1300) 199/3 .
2. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق □ (1304) 209/3 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المرضى □ (5642) 107/10 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير □ (2893) 101/6 .

## - الحزن فى الاصطلاح الصوفى :

والحزن عند الصوفية ، توجع القلب لفاتت ، أو تأسفه على ممتنع ، وهو عندهم تأسف على ما يفوت العبد من الكمالات وأسبابها وماهياتها ، وهو على نوعين (1) :

الأول : الحزن المحرم وهو ما كان من فوات لحظة من الدنيا ومتاعها ، لقوله الله تعالى : { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } [الحديد/23] ولا يصح مع الحزن على متاع الدنيا إيمان بالقدر .

الثانى : الحزن المندوب ، وهو الحزن على فوات الأعمال الصالحة ، وعلى زمان مضى لم يجتهد فيه .

وقال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : ( إذا حزن العبد فى الدنيا للأخرة ، فهو المفروح غدا فى جوار الله ، وإذا حزن فى الدنيا للدنيا فهو القاصى عن قرب الله عز وجل ، ومخرج الحزن علمهم بعلم الله عز وجل فيهم أنه قد رآهم فى مواطن يكرهها ، فهم غير آمنين لا تقر لهم أعين ، ولا ينشطون لفرح لما غلب على قلوبهم من الأحزان ) (2) ، ويجعل المحاسبى الحزن على وجوه :

حزن على فقد أمر يحب وجوده ، وحزن مخافة أمر مستقبل ، وحزن لما أحب من الظفر بأمر فيتأخر عن مراده ، حزن يتذكر من نفسه

### مخالفات الحق فيحزن —

1. القصد والرجوع إلى الله ص 95 .

2. طبقات الصوفية ص 59 .

له ، ثم يذكر المحاسبي أيضا في استقصاء جيد علامات الحزن ويورد منها (1) :

1- التفكير في الذنوب السالفة .

2- رهبة القدوم على الله تعالى بغير زاد .

3- أخذ القلوب بحقوق الله تعالى الواجبة والفرائض اللازمة .

4- الانقباض عند الانبساط ، والانقطاع عن فضول الكلام ،

وقلة المبالاة بأمور الدنيا .

وقسم الكاشاني الحزن عند الصوفية إلى ثلاثة أنواع تعبر في الحقيقة

عن وجهة نظره ، إذ يعتبر ما سبق من الحزن حزن العامة ، ويكون

لأجل تفريطهم في القيام بما يجب عليهم من وظائف الخدمة وهو ما

تقدم ، ويسمى نوعا آخر بحزن المرید ، وهو حزن المتوسطين بين

العوام والخواص وحزْنهم من جهة ما قد يعرض لقلوبهم ، من التفرقة

حرصا على حصول الجمعية على الحق ، أما حزن الخاصة فهو حزْنهم

على غيرهم (2) ، يقول : ( وإليه الإشارة بقوله تعالى عن يعقوب عليه

السلام : { قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذَهَبُوا بِهِ } [يوسف/13] ، وإنما لم يكن للخاصة حزن على أنفسهم ، لأن الحزن تفرقة وفقدان وهم أهل الجمعية والوجدان ، ولهذا جاء في الحديث أن كل من سوى المصطفى ؑ يقول يوم القيامة نفسى نفسى ، وهو ؑ يقول : أمتى أمتى " (3) ، وكلامه فيه تعسف شديد فى تفسير الأدلة .

- 
1. حياة القلوب 199/2 .
  2. لطائف الأعلام 410/1 .
  3. جزء من حديث متفق عليه ، أخرجه البخارى فى تفسير القرآن (4712) 247/8 =

\*\*\*\*\*

## 43 - الحسد

\*\*\*\*\*

- الحسد : الحسد على نوعين :

- 1- حسد محرم وهو تمنى زوال نعمة من مستحق لها وانتقالها إليه ، وربما كان مع ذلك سعى فى إزالتها (1) ، قال تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ } [البقرة/109] ، والحسد محرم لما روى عن أبي هريرة ؓ عن النبي ؑ قال : إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا (2) ، وعنه أيضا أن رسول الله ؑ قال :

" .. ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد " (3) .

= ومسلم في كتاب الإيمان □ (194) 184/1 وكلاهما عن أبي هريرة ؓ ، ولفظه : " ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يا رب أمتي يا رب " .

1. المفردات ص118 ، ولسان العرب 3/148 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الأدب □ (6064) 10/496 .

3. أخرجه النسائي في كتاب الجهاد □ (3109) ، وقال الألباني : حسن ، 6/12 ، وابن حبان في صحيحه (4606) 10/466 .

والحسد دواؤه الاستعاذة بالرقية ، لقوله تعالى في الحث على الاستعاذة : { وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } [الفلق/ 5] ، وعن عائشة رضی الله عنها قالت : " كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاها جبريل قال : باسم الله يبريك ، ومن كل داء يشفيك ، ومن شر حاسد إذا حسد ، وشر كل ذي عين " (1)

2- حسد مشروع ، وهو ما يطلق ويراد به الغبطة ، وتعنى تمنى المرء أن يكون له من الخير مثل ما عند الغير دون زوالها عنه ، ومن ذلك ما روى عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " لا تحاسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار ، يقول : لو أوتيت مثل ما أوتي هذا ، لفعلت كما يفعل ، ورجل آتاه الله مالا ينفقه □ في حقه ، فيقول لو أوتيت مثل ما أوتي لفعلت كما يفعل " (2) ، وعن عائشة قالت : " ما حسدت أحدا ما حسدت خديجة ،

وما تزوجني رسول الله ﷺ إلا بعد ما ماتت ، وذلك أن رسول الله ﷺ بشرها بيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب " (3) .

## - الحسد في الاصطلاح الصوفي :

والحسد عند الصوفية متوافق مع الأصول القرآنية السابقة ، فهو كراهة حصول النعمة للغير ومحبة زوالها عنه ، وأكثر ما يكون الحسد

### بين الأقران والأمثال —

1. أخرجه مسلم في كتاب السلام □ (2185) 1718/4 وأحمد في المسند (11574) .
2. أخرجه البخارى في كتاب التمني □ (7232) 233 / 13 .
3. أخرجه الترمذى في كتاب المناقب □ (3876) وقال : حديث حسن ، وقال الألبانى : صحيح 702/5 ، والقصب قصب اللؤلؤ .

والأخوة وبنى العم والأقارب ، وإنما يكون غالبا بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ، ويتواردون في الأغراض ، فإذا خالف واحد صاحبه في غرض من أغراضه ، نفر طبعه عنه ، وأبغضه ، وثبت الحقد في قلبه ، فعند ذلك يريد أن يستحققه ويتكبر عليه ، ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه ، فلا تحاسد بين شخصين في بلدين لا رابطة بينهما تجمعهما ولا تحاسد أيضا بين شخصين لا تحاد بينهما ، فلا يحسد العطار النجار ، ولا الفلاح البزار ، ولا العالم العابد ، ولا الأمير القاضى ، ولا عكسه وله أسباب منها ، أن يكون عدو له أو مبعوضا له ، وأن يكون قبول الناس

عليه أكثر ومحبتهم له أقوى ، أن يكون موصوفا عند الناس بزيادة في العلم والفضل فيحسده على ذلك ، ومنها كثرة المال والجاه (1) .

ويروى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال :

( أصل الطاعة ثلاثة أشياء : الخوف والرجاء والحب وأصل المعصية ثلاثة أشياء : الكبر والحرص والحسد ) (2) ، وقد بين الحارث المحاسبي (ت:243هـ) تفصيل الحسد ودقائقه وأفرد له أبوابا متعددة ، فيقول : ( إن الحسد في الكتاب والسنة على وجهين وهما موجودان في اللغة

(3) ، ثم يقسمه إلى وجهين (4) : —

1. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 33/2 ، 34 .

2. طبقات الصوفية ص 95 .

3. الرعاية لحقوق الله ص 387 .

4. السابق ص 389 ، 390 .

1- أحدهما حسد غير محرم ، وهو كراهة التقصير عن منزلة غيره ، ومحبة المساواة ، واللحوق به ، مع ترك التمني أن يزول عمن نافسه ، حاله التي هو عليها ، فبعض هذا الحسد فرض ، وبعضه فضل ، وبعضه مباح ، وبعضه يخرج إلى النقص والحرام .

2- وأما الوجه الآخر فمحرم كله ، ولا يخرج إلا إلى ما لا يحل ، وقد ذمه الله عز وجل في كتابه والرسول ع في سنته ، واجتمع علماء الأمة عليه ، قال تعالى : { وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ



الْحَقُّ { [البقرة/109] وقال سبحانه : { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ  
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ { [النساء/54] .

ثم يبين المحاسبي أن الحسد أنواع (1) :

(1- ما يكون من الحسد على الرياسة وحب المنزلة ، فالرياسة  
والمنزلة عند الناس بالعلم ، فإنه يورث رد الحق وتركه على علم ، كما  
تفرق أهل الكتاب حسدا بينهم أن يعلوا بعضهم بعضا في العلم ، كل  
واحد منهم يحسد صاحبه الرياسة ، أن تكون له دونه ، وكذلك المنزلة  
عند الناس ، فرد الحق أن يقبله وابتدع ، فقال بغير الحق ليتبعه الناس  
على قول ، هو خلاف قول من يحسده وخطأه فيما يقول وإن كان  
حقا ، وأظهر أن الحق في غيره ليصد الناس عنه ويطفئ نوره ، حسدا  
أن ترتفع منزلته أو يخضع له فيكون عليه رئيسا .

---

1. السابق من ص395 : ص398 ملخصا .

(2- ما يكون من الحسد عن الحقد والعداوة والبغضاء ، وهو  
أشد الحسد وذلك ما وصفه الله عز وجل عن الكفار وعداوتهم ،  
وبغضهم للمؤمنين فالمبغض لا يجب أن يرى بمن يبغض نعمة عليه  
من الله ، ويجب أن يراه بأسوأ الحال في الدين والدنيا ، ولهذا قال  
تعالى عن المنافقين : { وَإِذَا لَقُّوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ

الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { [آل

عمران/119] .

(3- ما يكون من الحسد عن حب ظاهر الدنيا ، أن ينال ما يرى  
بغيره من حب أو بر من قرابة أو غيره ، كالأخوة يتحاسدون ، أو أخ  
يحاسد الأخ عند أبيهما أو أمهما أو قرابتهما وكذلك الصاحبان أو  
الشريكان ، فيحسده على ما يرى من حب أبيهما أو أمهما أو برهما  
، أو من صحبهما أو شاركهما ، ويجب أن يؤثر بذلك دونه ،  
فيحسده فيقع فيه ويبغضه ليصرف وجه أبيه أو غيره إليه بالبر والحب  
، وكذلك المرأتان والضرتان ، وذلك كما وصف عن أخوة يوسف  
عليه السلام ، حين حسدوه في حب أبيه له دونهم ، وإيثاره إياه  
عليهم ، إذ قالوا : { لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ  
{ [يوسف/8] إلى قوله : { اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ  
أَيُّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ { [يوسف/9] .

(4- ما يكون من الحسد عن العجب ، كما أخبرنا الله عن الأمم  
الماضية فقالوا لرسولهم : { مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ  
شَيْءٍ { [يس/15] وقولهم : { وَلَئِنِ اطَّعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا  
لَخَاسِرُونَ { [المؤمنون/34] فجزعوا أن يفضل عليهم من هو مثلهم في  
الخلقة والنسب ، فقالوا يتعجبون منهم :

{ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } [الإسراء/94] ، وقال الله تعالى عن قول نوح  
وهود لقومهما : { أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ  
مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ } [الأعراف/63] ، فحسدوه فردوه الحق وعاندوا الإيمان .

\*\*\*\*\*

## 44 - الحَق

\*\*\*\*\*

- الحَق : أصل الحق المطابقة والموافقة ، والحق يقال على أوجه منها  
(1) :

1- الحق : اسم من أسماء الله عز وجل ، لقوله تعالى : { ثُمَّ رُدُّوا إِلَى  
اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ } [الأنعام/62] ، وقوله : { فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا  
بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّا تُصْرَفُونَ } [يونس/32] وعن ابن عباس رضي  
الله عنهما : " كان من دعاء النبي ﷺ في التهجد : اللهم أنت الحق ،  
ووعدك الحق ، ولقاؤك حق وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق  
، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق والساعة حق لك " (2) .

2- الحق : يقال لفعل الله تعالى ، لأن المفعولات توجد بحسب  
مقتضى الحكمة وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً  
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ  
ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ } [يونس/5] .

—

1. لسان العرب 49/10 ، والمفردات ص125 ، ص124 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب □ (1120) 5/3 .

3- الحق : يقال للاعتقاد المطابق للحقيقة ، كقوله تعالى : { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة/213] ، وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : " جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن الله لا يستحيى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي ﷺ : إذا رأت الماء " (1) .

4- الحق : يطلق على التوحيد والشريعة ، فعن عبد الله بن مسعود قال : " دخل النبي ﷺ مكة ، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود فى يده وجعل يقول : { جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ } [الإسراء/81] " (2) وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } [التوبة/33] ، ويطلق على الشريعة ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ } [النساء/170] ، وروى عن عبد الله بن مسعود قال : " □ لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو يقضى بها ويعلمها " (3) .

5- الحق يطلق على صفة النبي ﷺ ، كقول الله تعالى : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } □ [البقرة/146] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم □ (130) 276/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم والغصب □ (2478) 100/5 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب العلم □ (73) 199/1 .

6- الحق يطلق على الدّين كقوله تعالى : { وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلِيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ } □ [البقرة/282]

## - الحق فى الاصطلاح الصوفى :

والحق فى عرف الصوفية ، يطلق غالبا فى إطار المعنى القرآنى السابق ، فربما أطلقها بعضهم ويعنى بها اتباع الشرع أو المعرفة أو الإيمان أو التوحيد أو الله تعالى ، كما روى عن أحمد بن خضروية (ت:240هـ) أنه قال : ( القلوب أوعية ، فإذا امتلأت من الحق ، أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح ، وإذا امتلأت من الباطل ، أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح ) (1) ، وعن ذى النون المصرى (ت:248هـ) قال : ( كل مدع ، محجوب بدعواه عن شهود الحق لأن الحق شاهد لأهل الحق ، ولأن الله هو الحق ، وقوله الحق ، ولا يحتاج أن يدعى ،

إذا كان الحق شاهدا له ، فأما إذا كان غائبا فحينئذ يدعى ، وإنما تقع الدعوى للمحجوبين ) (2) ، ويذكر لأبي سعيد الخراز (ت:279هـ) في بعض كلامه : ( عبد موقوف مع الحق بالحق للحق ) ، ويعنى بذلك أنه موقوف مع الله بالله لله (3) ، ويروى أن يوسف بن حسين الرازى (ت:304هـ) سئل : دلنى على طريق المعرفة ؟ ، فقال : أر الله الصدق منك فى جميع أحوالك ، بعد —

1. طبقات الصوفية ص 105 .

2. السابق ص 22 .

3. اللع ص 413 .

أن تكون موافقا للحق ، ولا ترق إلى حيث لم يرق بك ، فتزل قدمك ، فإنك إذا رقيت سقطت ، وإذا رقى بك لم تسقط ، وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظنا (1) ، ويذكر السراج الطوسى (ت:387هـ) أن الحق فى عرف الصوفية هو الله عز وجل ، لقوله : { وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ } [النور/25] والحقوق معناه الأحوال والمقامات ، والمعارف والإرادات ، والعقود والمعاملات والعبادات (2) ، وقال أبو الحسن على بن عثمان الهجویری (ت:465هـ) : ( مرادهم من الحق الله ، لأن هذا اسم من أسماء الله ، لقوله تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ } [الحج/62] (3) .

والحق فى عرف ابن عربى يطلق على عدة معان ، أولها له أصول نبوية ويعنى به ما وجب على العبد من جانب الله ، وما أوجبه الحق

على نفسه (4) ، وهذا المعنى يشهد له ما ثبت عن معاذ بن جبل  $\tau$  قال : " كنت ردف النبي  $\epsilon$  على حمار ، فقال : يا معاذ ، هل تدري حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا " (5) أما بقية المعاني فإنها تدور على فلسفته في وحدة الوجود كقوله :

- 
1. طبقات الصوفية ص 188 .
  2. اللمع ص 413 .
  3. كشف المحجوب الهجویری ص 627 .
  4. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 15 .
  5. أخرجه البخارى في كتاب الجهاد والسير □ (2856) 69/6 .

( الحق هو الله الذى له التجلى في صور الأشياء كلها ، مشهودا في أعين الخلق فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى ، فالعارف يعلم أن كل شئ يراه ليس إلا الحق ) (1) ، وربما اعتبر الحق ، هو الوجود والخير في مقابل الباطل الذى هو العدم والشر ، فيقول : ( فما أخرج الله العالم من العدم ، الذى هو الشر إلا للخير الذى أراده به ، ليس إلا الوجود ، فإن الدار الدنيا لها وجه إلى الحق بما هي موجودة ، ولها وجه لغير الحق بما يندم فيها وينتقل عنها ) (2) ويقول أيضا : ( وليس في الوجود باطل أصلا ، وإنما الوجود حق كله والباطل إشارة إلى العدم ) (3) ( الباطل عدم ولا عين له في الوجود ،

ولو كان له وجود لكان حقا (4) ، وكذلك الحق يعتبره ابن عربي أحد وجهى الحقيقة الوجودية فإنها واحدة بذاتها ثنوية بوجهيها ، فيقال : حق خلق ، على اعتبار أن الحقيقة الوجودية واحدة ، وكذلك رب عبد ، واحد كثير ، قديم حادث ، إلى غير ذلك من الثنائيات التي هي واحد عنده من الوجهين ، فالحق في أحد الوجهين هو الجامع لكل صفات القدم في مقابل الخلق الوجه الآخر للحق ، الجامع لكل صفات الحدوث ، فالخلق في الواقع ليس إلا مظهرا ومجلى وتعيينا للحق ، يقول —

1. الفتوحات المكية 184/4 وانظر التعريفات للجرجاني ص94 وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 80/2 .
2. السابق 377/3 .
3. مواقع النجوم ص79 .
4. الفتوحات 402/4 .

محي الدين بن عربي : ( فالحق مصرف العالم ، والعالم مصرف الحق ، ألا تراه يقول : { أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي } [البقرة/186] ، أليست الإجابة تصريفا ) (1) ، ( فالكون كله جسم وروح بهما قامت نشأت الوجود ، فالعالم للحق كالجسم للروح ) (2) .

ويقول أيضا : ( فإن للحق في كل خلق ظهور ، فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن عن كل فهم ، إلا عن فهم من قال : إن العالم صورته وهويته وهو الاسم الظاهر ، كما أنه بالمعنى روح كل ما ظهر ،



فهو الباطن ) (3) ، وربما أراد بالحق : العدل والإنصاف ، وهو صفة الإنسان الكامل ، يقول ابن عربي : ( فأعطى الإنسان الكامل كل ذى حق حقه كما أن الله : { أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } [طه/50] ، فالذى انفرد به الحق ، إنما هو الخلق ، والذى انفرد به من العالم الكامل إنما هو الحق ، فيعلم ما يستحقه كل موجود ، فيعطيه حقه وهو المسمى بالإنصاف ) (4) .

\*\*\*\*\*

## 45 - الحقيقة

\*\*\*\*\*

- الحقيقة : تستعمل في مقابل الوهم والشك والظن ، وقد ورد قوله تعالى :

1. السابق 545/3 .
2. السابق 315/3 .
3. فصوص 168/1 .
4. الفتوحات 398/3 .

{ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ } [الأعراف/105] على معنى الصدق في البلاغ (1) ، وقال ابن عمر  $\tau$  : " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى ، حتى يدع ما حاك في الصدر " (2) ، وعن أبي حفصة  $\tau$  قال : " قال عبادة بن الصامت  $\tau$  لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان ، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم

يكن ليصيبك " (3) ، وفي رواية أخرى ، قال : " ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره " (4) ، وعن أبي الدرداء  $\tau$  عن النبي  $\epsilon$  قال : " لكل شيء حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان ، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه " (5) ، وقال مسروق  $\tau$  : " كفى بالمرء علما ، أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ، أن يعجب بعلمه ، وحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها فيذكر ذنوبه ، فيستغفر الله تعالى منها " (6) .

1. تفسير ابن كثير 2/235 ، والمفردات ص126 .
2. أخرجه البخارى في كتاب الإيمان 1/60 .
3. أخرجه أبو داود في كتاب السنة □ (4700) وقال الألبانى : صحيح 4/225 ، وأخرجه البيهقى في سننه (20664) 10/204 .
4. صحيح بمعناه ، أحمد في المسند □ (22197) واللفظ له ، ومسلم بمعناه عن جابر بن عبد الله في كتاب القدر (2648) 4/2040 .
5. صحيح بمعناه ، أحمد في المسند □ (26944) واللفظ له ، وأخرجه بمعناه أبو داود في السنة (4699) وصححه الألبانى 4/225 ، وابن ماجه في المقدمة (77) 1/29 .
6. أخرجه الدارمى في المقدمة □ (314) 1/104 .

### - الحقيقة في الاصطلاح الصوفى :

وقد ورد مصطلح الحقيقة في ألفاظ الصوفية على عدة معان ، تدور أغلبها حول الصدق في الإيمان ، وبلوغ درجة الإحسان ، وكمال المراقبة ، والمداومة على النظر في أفعال الله .

فروى عن أبي الحسين النورى (ت:295هـ) أنه قال : ( أعز الأشياء فى زماننا شيئان : عالم يعمل بعلمه ، وعارف ينطق عن حقيقته ) (1) ، ويروى عن رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) : ( قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم ، من قعودك مع الصوفية ، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق ، فمن قعد معهم وخالفهم فى شئ مما يتحققون فيه نزع الله نور الإيمان من قلبه ) (2) .

وهذا الكلام فيه نظر لأن الله لا ينزع نور الإيمان من القلب ، إلا إذا خالف العبد شرعه وعصى أمره ، أما مخالفة أذواق الصوفية فلا توجب ذلك ، ولذا أحسن أبو بكر بن طاهر الأبهري (ت:330هـ) ، عندما سئل عن الحقيقة ؟ فقال : الحقيقة كلها علم وسئل عن العلم ؟ فقال : العلم كله حقيقة (3) ، فرد الحقيقة إلى اتباع العلم ، ومثله أيضا ما ذكره السراج الطوسى (ت:387هـ) —

1. طبقات الصوفية ص 169 .

2. السابق ص 182 .

3. السابق ص 394 .

حيث قال : ( الحقيقة وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به ، فلو داخل القلوب شك أو مخيلة ، فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه منتصبه ، لبطل الإيمان ، وهو قول النبى ﷺ

لحارثة : " لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ ، فقال : عزفت  
نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، وكأنى أنظر إلى  
عرش ربي بارزا " (1) .

وكأنه يعبر عن مشاهدة قلبه ، ودوام وقوفه وانتصابه بين يدي ربه  
، لما آمن به حتى عبده كأنه رأى العين (2) ، ومن أجود ما قيل في  
ذلك ، ما روى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) ، قال : ( قوله  
تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } [الفاتحة/5] حفظ للشريعة ، وقوله : { وَإِيَّاكَ  
نَسْتَعِينُ } [الفاتحة/5] إقرار بالحقيقة ) (3) .

---

1. حديث ضعيف ، أخرجه الطبراني في الكبير عن حارثة أنه " مر برسول الله ﷺ فقال له : كيف  
أصبحت يا حارث ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا ، فقال : انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما  
حقيقة إيمانك ؟ فقال : قد عزفت نفسي عن الدنيا وأسهرت لذلك ليلي وأظمأت نهارى ، وكأنى  
أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأنى أنظر إلى أهل النار  
يتضاغون فيها ، فقال : يا حارث عرفت فالزم ثلاثا " انظر معجم الطبراني الكبير لأبي القاسم  
سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، مراجعة حمدى بن عبد المجيد ، نشر مكتبة العلوم والحكم ،  
الموصل سنة 1983م ، 1404هـ ، (3367) /3 266 وانظر المنتخب من مسند عبد بن  
حميد ، مراجعه صبحى البدرى السامرائى ومحمود محمد خليل الصعدي ، نشر مكتبة السنة ،  
القاهرة سنة 1988م 1408هـ □ (445) ص165 .

2. اللمع ص413 . 3. الرسالة القشيرية 261/1 .

وللهجويرى (ت:465هـ) كلام في مصطلح الحقيقة يدل على  
وضع الصوفى حال انجذابه إلى ربه ، وفنائته عن سواه ، لا بمعنى

اضمحلال الإنسان فيقول : ( الحقيقة عندهم هي مقام الإنسان في الجمع مع ربه ، ووقوف القلب في مقام التنزيه ) (1) .

ويبين القشيري (ت:465هـ) أن الحقيقة في اصطلاح الصوفية ، ما يقابل الشريعة ، فالشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، وكل شريعة غير مؤبدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة ، فغير مقبول فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة أن تعبد ، والحقيقة أن تشهد ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ، وأخفى وأظهر ، والشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره ، والحقيقة أيضا شريعة ، من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره (2) .

وإذا عدنا إلى الحقيقة في فلسفة محي الدين بن عربي (ت:638هـ) نجد أنها تأخذ معنى آخر عما تقدم ، إذ تعنى ظهور ذات الحق ، من غير حجاب التعينات ، ومحو الكثرات الموهومة في نور الذات ، وذلك يكون بسلب آثار أوصافك عنك بأوصافه ، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ، كما قال تعالى : { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } [هود/56] (3) ، وهناك بعض المصطلحات —

1. كشف المحجوب للهجويري ص466 .

2. الرسالة القشيرية 261/1 .

3. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص7 ، وكشاف اصطلاحات الفنون 86/2 .

المرتبطة بالحقيقة ومستعملة على فكر أصحاب الوحدة ، وهى بعيدة فى مدلولها عن الكتاب والسنة منها (1) :

(1- حقيقة الحقائق : ويعنون بها باطن الوحدة وهى عبارة عن الذات الأحادية الجامعة لجميع الحقائق ، فهى تجمع فى ذاتها جميع ماهيات الحق والخلق والحضرة الإلهية والكونية ، وتسمى حضرة الجمع وحضرة الوجود (2) .

(2- حقيقة الحق : عبارة عن صورة علمه بنفسه ، من حيث تعينه فى تعلقه نفسه ، باعتبار توحد العلم والعالم والمعلوم .

(3- حقيقة الخلق : عبارة عن صورة علم ربه بهم ، أو نسبة تعينه فى علم ربه أزلا وأبدا ، فإنه لما كان تعالى عالما بجميع الأشياء على حقائقها حقيقة ، وكان علمه الصفة القائمة المستحيل على ما سواه أن تكون قائمة به ، استحال على ما سواه أن يكشف الأشياء بحقائقها .

(4- الحقائق : هى أسماء الشؤون الذاتية عندما تتصور ، وتتميز فى المرتبة الثانية ، فإن جميع الحقائق الإلهية والكونية ، إنما تكون شؤوننا وأحوالا ذاتية ، من اعتبارات الواحدية مندرجة فيها .

(5- الحقيقة الإنسانية الكمالية : هى حضرة الألوهية ، المسماة بحضرة المعانى وبالتعين الثانى ، والمعنى بكونها الحقيقة الإنسانية الكمالية ، هى كون

---

1. لطائف الإعلام 424/1 : ص 427 .

2. انظر أيضا الفتوحات 433/2 وانظر معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 37 .

صورة الإنسان الكامل صورة لمعنى ، وحقيقة ذلك المعنى ،  
وتلك الحقيقة هي حضرة الألوهية المسماة بالتعين الثاني ، فكان  
الإنسان الكامل ، هو مظهر التعين الثاني ، والإنسان الأكمل  
هو مظهر التعين الأول ، المسمى بحقيقة الحقائق .

(6) - الحقيقة المحمدية : وهي أكمل مجلى خلقى ظهر فيه الحق  
، بل هي الإنسان الكامل بأخص معانيه ، وإن كان كل موجود  
، هو مجلى خاص لاسم إلهى ، فالحقيقة المحمدية ، هي مبدأ  
خلق العالم وأصله ، وهي الذات مع التعين الأول ، فله الأسماء  
الحسنى كلها وهو الإسم الأعظم (1) .

\*\*\*\*\*

## 46 - الحكمة

\*\*\*\*\*

- الحكمة : وضع الشئ فى موضعه ، وتطلق على إصابة الحق بالعلم  
والعقل وقد تنوع معناها ومدلولها على ما يأتى (2) :

---

1. لطائف الإعلام 426/1 وانظر للمقارنة معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص37 والتعريفات للجرجاني ص95 ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 87/2 وإنشاء الدوائر لابن عربي ص19 ، ومواقع النجوم ص20 ، والتدييرا الإلهيه ص120 والإنسان الكامل للجيلي 25/1 .
2. المفردات ص127 ، والقاموس المحيط 415/1 .

1- الحكمة صفة الله التي تضمنها اسمه الحكيم ، قال تعالى : { وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الحشر/1] ، والحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء ، وإيجادها على غاية الأحكام ، وهي صفة تليق به سبحانه ، وليس كمثلها شئ فيها ، كما قال الله تعالى : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ } [التين/8] .

2- الحكمة وصف الإنسان ، عند معرفته علل الأشياء ومعلولاتها ، والأسباب المؤدية إلى تحصيل الخيرات في الدنيا والآخرة ، وهو ما وصف الله به لقمان في قوله : { وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ } [لقمان/12] ، وقال سبحانه وتعالى : { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة/269] .

3- الحكمة وصف القرآن الحكيم ، وذلك لتضمنه الدلالة على جميع الخيرات في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : { تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ } [يونس/1] وقال أيضا : { وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ } [القمر/5] .

4- الحكمة وصف السنة ، لأنها توضح مراد الله وتفسره كقوله : { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [الجمعة/2] ، وقال تعالى : { وَادْكُرْنَا مَا



يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ { [الأحزاب/34] ، وقال قتادة :  
الحكمة السنة (1) .

5- الحكمة كل قول بليغ موزون بالنقل ، وقال ابن عباس ؓ : "   
ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة " (2) ، وفي رواية  
قال : " اللهم علمه

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن 8 / 376 .

2. البخارى فى المناقب □ (3756) 7 / 126 والترمذى فى المناقب (3824) 5 / 680 .

الحكمة وتأويل الكتاب " (1) .

6- الحكمة : كل قول بليغ موزون بالعقل ، فعن أبي بن كعب ؓ أن  
رسول الله ﷺ قال : " إن من الشعر حكمة " (2) وعن أبي خلداد ؓ ،  
قال رسول الله ﷺ : " إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدا فى الدنيا وقلة  
منطق ، فاقربوا منه ، فإنه يلقي الحكمة " (3) ، وعن أبي هريرة ؓ ،  
قال رسول الله ﷺ : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها ،  
فهو أحق بها " (4) .

7- الحكمة ، تعلم العلم وتعليمه والعمل به ، لما روى عن ابن  
مسعود ؓ أن النبي ﷺ قال : " لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله  
مالا فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة ، فهو  
يقضى بها ويعلمها " (5) .

1. أخرجه ابن ماجة في المقدمة □ (166) وقال الشيخ الألباني : 58 / 1 ، وانظر فضائل الصحابة حديث (1923) 976/2 .
2. أخرجه البخارى في كتاب الأدب □ (6145) 553/10 .
3. ضعيف ، أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد (4101) 1373/2 ، وانظر الأحاد والمثاني (2690) 152/5 وفي السند يزيد بن سنان ، وهو ضعيف ، انظر ضعفاء العقيلي (1995) 382/4 ، والإصابة (9276) 661/6 ، والكامل في ضعفاء الرجال (2166) 269/7 ، والمجروحين من المحدثين والضعفاء (1187) 106/3 .
4. ضعيف جدا ، أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد (4169) 1395/2 وفي السند إبراهيم بن الفضل وهو متروك ، انظر ضعفاء العقيلي (56) 60/1 ، والجرح والتعديل (376) 122/2 ، والكشف الحثيث ، لأبي الوفا العجمي (20) ص 39 .
5. أخرجه البخارى في كتاب العلم □ (73) 199/1 .

## - الحكمة في الاصطلاح الصوفى :

الحكمة فى عرف الصوفية ، هى الاطلاع على أسرار الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها ، ومعرفة ما ينبغى بالشروط التى تنبغى ، فمن عرف الحكمة ويسر للعمل بها ، فذلك الحكيم الذى أتاه الله الحكمة ، فأحكم وضع الأشياء فى مواضعها ، كما قال تعالى :

{ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة/269] (1) .

وقد تنوعت أقوالهم فيها ولكنها فى الأغلب تدور فى إطار هذا المعنى ، فجعلها بعضهم بمعنى السنة كما روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) أنه قال : ( من جلس مع صاحب بدعة ، لم يعط

الحكمة (2) ، وبعضهم جعل الزهد وترك فضول الكلام وتصغير الشأن سسبا في الحكمة ، فلأبي سليمان الداراني (ت:215هـ) : ( إذا ترك الحكيم الدنيا ، فقد استنار بنور الحكمة ) (3) .

وينسب لأبي بكر الوراق (ت:بعد250هـ) أنه قال : ( الحكماء خلف الأنبياء ، وليس بعد النبوة إلا الحكمة ، وهي إحكام الأمور ، وأول علامات الحكمة ، طول الصمت ، والكلام على قدر الحاجة ) (4) ، وروى عن شاه الكرمانى (ت:قبل300هـ) : ( علامة الحكمة معرفة أقدار الناس ) (5) ويذكر —

1. انظر معجم الكاشاني ص77 ، ولطائف الإعلام ص432 .

2. طبقات الصوفية ص10 .

3. السابق ص81 .

4. السابق ص226 . 5. السابق ص261 .

لأبي محمد الجريري (ت:311هـ) أنه قال : ( لكل شئ عند الله حق وإن أعظم الحقوق عند الله حق الحكمة ، فمن جعل الحكمة في غير أهلها ، طالبه الله بحقها ومن طالبه بحقها خصم ) (1) .

وربما عنى بعضهم بالحكمة سماع الحق أو النطق به ، مثل ما يروى عن الحكيم الترمذى (ت:320هـ) أنه قال : ( الناس فى استماع الحكمة رجلان : عاقل وعامل ، فالعاقل يتعجب وهو لما يسمعه يشتهى ، والعامل يتقلب كأن قلبه منه حية تلتوى ) (2) ، ولعلى بن الكاتب (ت:بعد340هـ) : ( إن الرجل إذا سمع الحكمة فلم يقبلها

فهو مذنب ، وإذا سمعها ولم يعمل بها فهو منافق (3) ويذكر لأبي عثمان المغربي (ت:373هـ) : ( الحكمة هي النطق بالحق ) (4) .  
وهناك بعض المصطلحات المرتبطة بالحكمة يتنوع مدلولها حسب اتجاه قائلها ومسلكتهم في التصوف (5) :

1- الحكمة الجامعة : ويقصد بها عندهم ، معرفة الحق ، والعمل به ، ومعرفة الباطل وتجنبه .

2- الحكمة المتصرف بها : وتعنى بها ما ينتفع به كل من سمعه ، وذلك كعلم الشريعة والطريقة .

- 
1. السابق ص 193 .
  2. السابق ص 218 .
  3. السابق ص 387 .
  4. السابق ص 483 .
  5. لطائف الإعلام ص 432 ، ص 433 .

3- الحكمة المسكوت عنها : وتعنى بها ما يدق على أفهام العوام وأصحاب الفطنة البتراء فهمه ، من أسرار علوم الحقيقة ، التي بها هلك من سمعها لسوء فهمه لمعاني أسرارها .

3- الحكمة المجهولة : وهى ما خفى عن العباد وجه الحكمة في إيجادها ، مثل إيلام بعض الحيوانات وخلود أهل النار فيها ، فإنه تعالى أن تصل فائدة شئ من الأشياء ، مع قدرته على إيصال المنافع إلى العبيد ، من غير إيلام لأحد منهم ، فلكونه تعالى لا

يفعل إلا المحكم المتقن ، صار ما يعد من هذا القبيل من الحكمة  
المجهولة .

\*\*\*\*\*

## 47- الحياء

\*\*\*\*\*

- الحياء : انقباض النفس عن القبائح ، وإبقاؤها على الفضيلة ،  
واستحيا فهو مستحي (1) ، قال الله تعالى : { فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا  
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ } [القصص/25] ، وقال : { إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي  
النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ } [الأحزاب/53] ،  
وأصل الاستحياء ، الاستبقاء على الحياة كقوله تعالى : { يُذَبِّحُونَ  
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } [البقرة/49] ، والحياء شعبة من شعب  
الإيمان ، لما ورد عن أبي هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : —

1. المفردات ص 140 ، ولسان العرب 14 / 211 ، وكتاب العين 3 / 317

" الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان " (1) ، وعن  
عبد الله بن مسعود  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  مر على رجل من الأنصار ،  
وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : " دعه فإن الحياء من  
الإيمان " (2) .

وعن أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، قال : " كان النبي  $\varepsilon$  أشد حياء من  
العذراء في خدرها " (3) .

وقد ورد الحث علي الحياء ، من رواية عبد الله بن مسعود ، أن رسول الله ﷺ قال : " استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله ، قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله ﷻ حق الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك ، فقد استحيا من الله حق الحياء " (4) .

وقال أنس بن مالك : " جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ، تعرض عليه نفسها ، قالت : يا رسول الله ألك بي حاجة ، فقالت بنت أنس : ما أقل حياءها ، وا سواتاه وا سواتاه ، قال : هي خير منك ، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها " (5) ، وعن عمران بن حصين ، أن النبي ﷺ قال : —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ﷻ (9) 67/1 .
  2. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق ﷻ (24) 93/1 .
  3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب ﷻ (3562) 654/6 .
  4. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة ﷻ (2458) وقال الألبانى : حسن 637/4 وانظر مكارم الأخلاق (90) ص 39 .
  5. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح ﷻ (5120) 80/9 .
- " الحياء لا يأتي إلا بخير " (1) .

## - الحياء فى الاصطلاح الصوفى :

والحياء فى العرف الصوفى ، من جملة الأخلاق التى تتولد من علم العبد بنظر الحق إليه ، فيجذبه إلى تحمل المجاهدة ، ويحمله على

استقباح الخيانة ، ويكفيه عن الشكوى عند البلوى ، ويدعوه إلى المحبة (2) ، وروى عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) أنه قال : ( الحياء هو الامتناع عن كل ما لا يرضاه الله تعالى وعلامته فى الظاهر انقباض جوارحه عن الانبساط ، وإن مشى طأطأ رأسه حياء من الله تعالى ، وقيل له : ما لذى يشين الحياء ؟ فقال : إثارة النفوس إلى موضع الأطماع ) (3) ، وينسب للجنييد بن محمد (ت:297هـ) : ( الحياء من الله عز وجل أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة ، وسئل عما يولد الحياء فقال : رؤية العبد آلاء الله عليه ، ورؤية تقصيره فى شكره ) (4) ، وللحسين بن منصور الحلاج (ت:309هـ) : ( حياء الرب أزال عن قلوب أوليائه ، شهود سرور الطاعة ) (5) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب □ (6117) 537/10 .

2. حياة القلوب ص 207 .

3. السابق ص 207 .

4. طبقات الصوفية ص 162 وانظر السابق ص 207 .

5. السابق ص 310 .

وروى عن بندار بن الحسين الشيرازى (ت:353هـ) أنه قال : ( إن المحبة رغبة وهى مزعجة ، والحياء خجلة ، والمحبة طالب غائب ، والمستحق حاضر وبينهما فرقان ، لأن المحبة تصح مع الغيبة ،

والحياء يصح مع المشاهدة ، فشتان بين غائب غريب ، وحاضر قريب (1) .

ولابن عربي (ت:638هـ) في الحياء كلام نفيس ، يتحدث فيه مكتسبياً بثوب أهل الظاهر متكلماً بلسانهم ، حيث جعله على فرض وسنة ، أما الفرض فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، وأما السنة منه ، فالحياء من الله أن تكشف عورتك في خلوتك ، فالله أولى أن تستحي منه (2) ، والحياء يعم الأعضاء ، فكما أنه من الحياء غض البصر عن محارم الله ، كذلك يلزمه الحياء من الله أن يسمع ما لا يحل له سماعه من غيبة (3) .

ويقسم عبد الرزاق الكاشاني الحياء عند الصوفية ، إلى درجتين قريبتين من الأصول القرآنية (4) :

1- حياء العامة : وهو ما يحدث لهم عند علمهم بنظر الحق إليهم ، فإن العبد إذا علم أن الحق ناظر إليه استحي منه ، وهذا هو الحياء الذى يجذب العبد إلى كمال تحمل المجاهدة ، واستقباح الجناية ، وصاحب هذا الحياء هو الذى لا يفقده الحق حيث أمره ولا يجده حيث نهاه .

---

2. الفتوحات 5 / 203 .

1. السابق ص 469 .

4. لطائف الأعلام 1 / 436 .

3. السابق 5 / 206 .



2- حياء الخاصة : هو ما يحدث لهم عند مشاهدة كشف جمعية ، لا يمازجه حجاب تفرقة وغيرية ، وهذا الكشف يوجب لصاحبه الحياء من الحق أن يراه ملتجأ في شئ إلى سواه ، لكونه حياء ناشئاً عن شهود محقق بأن الأمر كله لله بخلاف الأول ، فإنه إنما نشأ عن خير موجب للإيمان ، ومعلوم أن الخبر ليس كالعيان في بلوغه إلى مقام الإيقان .

\*\*\*\*\*

## 48 - الحياء

\*\*\*\*\*

- الحياء : وردت في القرآن في مقابل الموت وهي على وجوه (1) :
- 1- الحياء وصف ذاتي لله عز وجل ، قال تعالى : { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } [البقرة/255] فإنه إذا قيل فيه تعالى هو حي فمعناه لا يصح عليه الموت وليس ذلك إلا لله عز وجل .
  - 2- الحياء بمعنى القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان ، ومنه قيل : نبات حي ، وقال تعالى : { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } [الحديد/17] وقال تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [الأنبياء/30] .

3- الحياة بمعنى القوة الحساسة ، وبه سمى الحيوان حيوانا ، قال تعالى  
: { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ } [فاطر/22] ، وقوله : { إِنَّ  
الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي —

1. لسان العرب 214/14 ، المفردات ص 139،138 .

المَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [فصلت/39] فقوله : إن الذى أحياها  
، إشارة إلى القوة النامية ، وقوله لمحى الموتى ، إشارة إلى القوة  
الحساسة .

4- الحياة بمعنى القوة العاقلة العالمة ، كقوله تعالى :

{ أَوْمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ  
كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام/122] .

5- الحياة الدنيا المنقضية ، وهى المدة التى يقضيها البشر على  
الأرض فى فترة الابتلاء ، قال الله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ  
الدُّنْيَا } [النازعات/38] وقال : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ }  
[الرعد/26] ، أى الأعراض الدنيوية ، وقوله : { وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ  
النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ } [البقرة/96] .

6- الحياة الآخروية الأبدية ، وذلك يتوصل إليه بالحياة ، التى هى  
العقل والعلم كقوله : { يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } [الفجر/24] وقوله  
: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ } [آل عمران/169] وقال : { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [الأنفال/24] ، كل ذلك يعنى الحياة الأخروية الدائمة .

## - الحياة فى الاصطلاح الصوفى :

الحياة فى الاصطلاح الصوفى ، ترد فى الأغلب على معنى حياة الإيمان ، ويذكر التهانوى أن الحياة عند أهل التصوف ، تجلى النفس وتنورها بالأنوار الإلهية وقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } [البقرة/260] المراد من الموتى عندهم ، القلوب المحجوبة عن أنوار المكاشفات والتجلى

والإحياء عبارة عن حصول ذلك التجلى والأنوار الإلهية ، فمن كان بقاءه ببقاء نفسه ، فإنه ميت فى وقت حياته ، ومن كانت حياته به ، كانت حقيقة حياته عند وفاته ، لأنه يصل بذلك إلى رتبة الحياة الأصلية قال تعالى : { لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ } [يس/70] (1) .

ويشهد لهذا ما روى عن الجنيد أنه قال : ( الحى من كانت حياته بحياة خالقه لا من تكون حياته ببقاء هيكله ) (2) ، ويقول عبد الكريم الجيلى : وجود الشئ لنفسه حياته التامة ، ووجود الشئ لغيره حياة إضافية ، ولهذا التحق بها الفناء والموت (3) ، ولعل المعنى إلى هذا الموضوع لا يخالف الأصول القرآنية ، ولكن يذكر الكاشانى للحياة فى الاصطلاح الصوفى معنى فلسفيا ، فيعنون بالحياة وصول السائر

إلى المقام الذى فوق المعاينة ، التى هى فوق المشاهدة المرتفعة عن المكاشفة ، وذلك بأن تتجلى الحقائق بأعيانها وأوصافها ، وخصوصياتها على وجه لا يجب الوصف عن العين ، فيسمى ذلك التجلى حياة ، لأن صاحبه يأمن من موت الاعتلال فى شئ من الأحوال ، ومن موت الانفصال عن العين بهذا الاتصال ، ومن موت الغيبة عن أزل الآزال ، وعند ذلك يتحقق بالوصول إلى نهاية الآمال فيحيا بحياة الكبير المتعال ، وإلى التحقق بهذه الحياة أشار عمرو بن الفارض بقوله :

- 
1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 100/2 .
  2. السابق 100/2 .
  3. الإنسان الكامل للجيلى 49/1 .

فلا حى إلا عن حياتى حياته وطوع مرادى كل نفس مريدة والحياة عند ابن عربى وصف كل شئ فى الأكوان ، سواء كان حيا أو جمادا فى العرف ، وعلته فى ذلك أن جميع المخلوقات مسبحة ، ومن ثم فهى حية لأن التسبيح لا يكون إلا من حى ، وهذه الحقيقة عنده لا يقر بها إلا المؤمن أو صاحب الكشف ، فالمؤمن يقر بها للسند القرآنى ، وصاحب الكشف يقر بها شهودا وعيانا ، فهو يشهد تسبيح كل الموجودات من الجماد وغيره ، وبالتالي يشهد حياتهم ، يقول : ( إن الموجودات كلها ، ما منها إلا من هو حى

ناطق أو حيوان ناطق ح، تى المسمى جمادا أو نباتا أو ميتا ، لأنه ما من شئ ، من قائم بنفسه وغير قائم بنفسه ، إلا وهو مسبح ربه وبحمده ، وهذا نعت لا يكون إلا لمن هو موصوف بأنه حى (1) ، ويقول ابن عربى : ( وما ثم شئ إلا وهو حى ، فإنه ما من شئ إلا وهو يسبح بحمد الله ، ولكن لا نفقه تسبيحه إلا بكشف إلهى ، ولا يسبح إلا حى ، فكل شئ حى ) (2) ويرى ابن عربى أن الحى الحقيقى ، هو الإنسان الكامل ، وهو الذى جعل حياته بالله فيقول (3) :

---

1. ديوان ابن الفارض ص61 ، وانظر لطائف الإعلام 436/1 .

2. فصوص الحكم 170/1 .

3. الفتوحات المكية 3/ 490 وانظر النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم تأليف الشيخ الإمام أحمد بن طغريك طبع المطبعة الميمنية بمصر أحمد البابى الحلبي ، سنة 1308هـ ص44 وما بعدها ، ويمكن القول إن كلام ابن عربى صحيح من وجه ومخالف للأصول القرآنية من وجه آخر ، فما ورد فى الأصول القرآنية والنبوية فى مسألة =

لله قوم وجود الحق عينهم هم الأحياء إن عاشوا وإن ماتوا

---

= إثبات الكلام للمخلوقات على الحقيقة أو على المجاز ، يدل على صدق ابن عربى من جهة أن كل شئ فى الأنام له لغة ونطق وكلام ، وأنه يتخاطب مع بنى جنسه فى انسجام تام ، فكل مخلوق له قول ولغة تخصه ، يتحدث بها مع بنى جنسه ، شأنهم فى ذلك شأن البشر ، واختلافهم فى اللغات والأجناس والصور ، فكما أن الإنسان لا يفهم إلا لغه أخيه الإنسان ، الذى يتكلم بنفس اللسان ، كذلك موقفه من اللغة التى يسمعها من هذه المخلوقات أو ما يراه بينها من إشارات ، فإن لها رموزا وشفرة وكلاما فيه عبرة ، ولهم قانون ونظام ، ومنهج وأحكام ، يتكاتفون فى إظهاره ويتعاملون بينهم

من خلاله ، والله يسمع قولهم وكلامهم ، ويعلم تسييحهم ونظامهم كما قال : { أَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } [النور/41] وقال عن السماوات والأرض ومن فيهن : { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [الإسراء/44] وقال سبحانه في تسييح الجبال بالغدو والآصال مع داود U : { إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ } [ص/18] فنادها ربها ، وهو عليم بحالها ، وكيفية كلامها ، فكلفها وأمرها ، ونادها فقال لها : { يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ } [سبأ/10] فالجبال مسبحات ناطقات ذاكرات ، وقد قال تعالى : { وَقَالُوا لِحُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } [فصلت/21] فكل شئ له كلام ونطق يتخاطب به ، فلو أدركنا كلامهم ورموزهم ولغتهم لأمكن أن نسمع تسييحهم ، ونرى كيف يعبدون الله ؟ والنملة تتكلم بنص القرآن ، ولو أدركنا منطقتها كما أدركه سليمان U ، لعلمنا أنها لا تقل عن الإنسان في النطق والبيان =

لا يأخذ القوم نوم ولا سنة ولا يؤودهم حفظ ولو

ماتوا

= قال تعالى : { وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا } [النمل/17:19] ، وقال سليمان U : { وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ } [النمل/16] .

ومن ثم فالله وحده هو الذى أنطقهم جميعا ، وهو وحده الذى يمكن أن يخاطبهم جميعا ، ويسمع تسييحهم جميعا ، وربما يعترض معترض ، كيف يكون للحجارة والمعادن قول وكلام ونحن نراها لا تتكلم ؟ وقد قال الله تعالى عن إبراهيم U : { فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } [الأنبياء/63:65] ، وقال سبحانه وتعالى منكرًا على بنى إسرائيل ، أنهم عبدوا العجل من دون الله : { وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ

وَكَانُوا ظَالِمِينَ } { الأعراف/148} ، فكيف يكون للحجارة قول ولغة ومنطق؟ وجواب ذلك أن الله ركب المخلوقات على النسب والاعتبارات والعلل والمعلولات ، فكل نوع من المخلوقات متكلم ناطق باعتبار من يفهم قوله وكلامه؟ أبكم وأصم باعتبار من لا يفهمه؟ فالنمل باعتبار جنسه كلُّ يُفهمُ كلامَ الآخر والعالم بقولهم ومفردات الخطاب بينهم ، يمكن أن يسمعهم وهم يتخاطبون أو يتحدثون؟ وقد سمعهم سليمان وهم يقولون : { ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } [النمل/18] ، وهكذا القول في كل نوع من المخلوقات ، فإنه متكلم ناطق ، سواء أدركنا قوله أولم ندرکه ، أو اعتبره البعض متكلماً أو لم يعتبره =

الله كرمهم الله شرفهم      الله يحييهم به إذا ماتوا

= فالحقيقة التي لا شك فيها أن رب العزة والجلال علم منطقتهم جميعاً ، ويسمع تسييحهم جميعاً ويرى صلاتهم جميعاً ، فهو الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً أحاط بكل مخلوق ونظامه ، في قوله وكلامه وصدق الله في كتابه ، إذ يقول : { كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ } [النور/41] ، { وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [الإسراء/44] ، فالحجارة لها قول باعتبار جنسها صماء باعتبار النظر إلى قول البشر ، والحيوانات لها قول اعتبار جنسها ، خرساء باعتبار النظر إلى قول البشر ، والله تعالى قادر على أن يُنطق هذه المخلوقات بقول البشر وما هو أفضل من قولهم ، وقد ثبت عن أبي هريرة ؓ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكَبَهَا فَضَرَبَهَا ، فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ الْبَقْرَةُ ، وَقَالَتْ لِرَاكِبِهَا : إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِيمًا خُلِقْنَا لِلْحَرِثِ ، فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَبْقَرَةٌ تَتَكَلَّمُ؟! فقال : فيأني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم ، وَيَبْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ يَرعى إِذَا جَاءَ ذئبٌ فَأخذ منها شاة وكان الراعى قد غفل عنها ، فانتبه الراعى على صياحها فأدركها واستنقذها من الذئب ، فقال له الذئب بلغه فصيحاً واضحةً بليغةً : يا هذا استنقذتها مِنِّي من لها يوم السبع يوم لا راع لها غيري ، فقال الناس لرسول الله ﷺ : سبحان الله عجيب يا رسول الله أذئب يتكلم؟! فقال : فيأني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر ، وما هما ثم ) وهذا حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب المناقب (3471) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (2388) .

كما أن أصحاب العلوم المادية ، يعلمون أن المادة تتكون من مجموعة من الذرات المتنوعة كل ذرة لها نظام معلوم في تركيبها ، ولجميع الذرات قانون في مداراتها ، ينظم التكافؤ لكل ذرة في علاقتها بأختها ، سواء كانت الذرة سالبةً أو موجبةً ، ولولا معرفة الإنسان =

لقد رأيتهم كشفوا وقد بعثوا من بعد ما قبروا من بعد ما ماتوا (1)

\*\*\*\*\*

## 49- الحيرة

\*\*\*\*\*

- الحيرة : وردت في القرآن والسنة على معنى التردد في الأمر ، قال تعالى :

= لتركيب الذرة منذ حين ، وبعد جهل به دام آلاف السنين ، ما استطعنا أن نعلم أن المادة في عناصرها عبارة عن أخوات من الذرات ، تتماسك في مجموعات يسمونها جزيئات ، ولولا أنها متكاتفات متماسكات ، متفاهات متخاطبات ، وفق رموز وشفرات ، ما ظهرت لنا المواد في صورتها التي نراها ، وعالم الفيزياء والكيمياء يرى أن جزيء الماء ، لا بد أن يتحد فيه ذرتان من الهيدروجين ، مع ذرة واحدة من الأكسجين !! وعلى ذلك فالحجارة والمعادن يراها الجاهل بحقيقتها صماء ، ويراهم عالم الفيزياء والكيمياء الكُتْرُونَاتٍ متحركة سالبة ، وپْرُوْتُونَاتٍ جاذبة موجبة ، ونيوترونات متعادلة ساكنة ، لهم دستور ونظام ، وقانون وأحكام ، والذرات لا تعتل ولا تحتل ، ولا تنحل إلا إذا شاء الله لها الفناء وتحولت إلى طاقة ذرية هائلة ، فالكل متكلم ناطق بكيفية تليق به ، ربما نجهلها لكن الله يعلمها : { إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [آل عمران/6:5] .

فكلام ابن عربي مقبول من هذا الوجه ، أما الوجه الآخر فإنه استدل بهذا على وحدة الوجود ، وجعل ذلك دليلا على حياة الله السارية في الأكوان ، فجميع الأحياء هي له مجالى وتعينات ، وليست مخلوقات مستقلة خلقت للعبادة وتوحيد الله .



{ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ } [الأنعام/71] ، والحائر  
الموضع الذي يتحير به الماء (1) .

وقال مجاهد : { كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ } [الدخان/54] أنكحناهم  
حورا عينا يحار فيها الطرف (2) ، وفي الحديث القدسي عن ابن عمر  
τ ، عن النبي ﷺ إن الله تعالى قال : " لقد خلقت خلقا ، ألسنتهم  
أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر ، في حلفت لأتحنهم فتنة  
تدع الحليم منهم حيرانا ، في يغترون أم علي يجترئون " (3) ، وروى  
عن الحسن بن علي قال : ( إن الجد قد مضت سنته ، وإن أبا بكر  
جعل الجد أبا ، ولكن الناس تحيروا ) (4) .

#### - الحيرة في الاصطلاح الصوفي :

والحيرة في الاصطلاح الصوفي ، يعنون بها التردد بين أداء الطاعة  
ورؤيتهم صغارها وحقارتها إلى ما يجب من الشكر في حق الله ، وهذا  
يصح على معنى أن العبد ينال فضل الله برحمته ، لا فيما يقابل طاعته  
، إذ الطاعة سبب في النعم ولكن لا تزنها ، كما ثبت في حديث أبي  
هريرة τ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لن يدخل أحدا عمله  
الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله  
بفضل ورحمة " (5) .

1. المفردات ص 135 ، ولسان العرب 4/223 ، وكتاب العين 3/288 .

2. أخرجه البخارى في كتاب التفسير سورة الدخان 8/433 .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2405) وقال الألبانى : ضعيف 604/4 .

4. أخرجه الدارمى فى كتاب الفرائض □ (2912) 451/2 .

5. أخرجه البخارى فى كتاب المرضى □ (5673) 132/10 .

وروى عن أبى بكر الواسطى (ت: بعد 320هـ) أنه قال : ( حيرة  
البدية أجل من سكون التولى عن الحيرة ) (1) ، ويقسم الكلاباذى  
(ت: 380هـ) الحيرة إلى نوعين (2) :

أ- الحيرة الأولى : وتكون فى أفعاله به ونعمه عنده ، فلا يرى شكره  
نعمة يجب عليه شكرها ، ولا يرى أفعاله أهلا أن يقابله بها استحقارا  
لها ، ويرأها واجبة عليه ، لا يجوز له التخلف عنها ، ومثالها أن أبى  
بكر الشبلى ، قام يوما يصلى فبقى طويلا ثم صلى ، فلما انفتل عن  
صلاته ، قال : يا ويلاه إن صليت جحدت ، وإن لم أصل كفرت ،  
أى جحدت عظم النعمة ، وكمال الفضل حيث قابلت ذلك بفعلى  
شكرا له مع حقارته ، ثم أنشد :

الحمد لله على أنى كضفدع يسكن فى اليم

إن هى فاهت ملأت فمها أو سكتت ماتت من الغم

ب- الحيرة الأخيرة : أن يتحير فى متاهات التوحيد ، فيضل فهمه  
ويخنس عقله فى عظم قدرة الله تعالى ، وهيبته وجلاله ، كما قيل :  
دون التوحيد متاهات تضل فيها الأفكار .

وقال أبو نصر السراج الطوسى (ت: 387هـ) : ( الحيرة بديهة ترد

على —

1. اللمع ص 421 .

2. التعرف لمذهب أهل التصوف ص 137 .

قلوب العارفين ، عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم ، تحجبهم عن التأمل والفكرة (1) .

والحيرة عند ابن عربي يعنى بها حيرة النظر فى وحدة الوجود ، والحائر هو الذى يرى عين الحق متجليا فى صورة الممكنات ، ويعلم أن الله قابل لكل معتقد كان ، فمن باب الحيرة عنده ما ورد فى قوله تعالى : { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [الصافات/96] وقوله : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ } [الأنفال/17] وكذلك قوله سبحانه : { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ } [الأنفال/17] والقتل ما شوهده إلا من المخلوق ، وهذا يعنى أن الصوفى حيرته نبعت من اجتماع الأضداد فىرى الحق خلقا ويرى الخلق حقا ، ويظل حائرا فى وحدة الوجود ، لا يدرك حقا وحده أو خلقا وحدة ، بل حقا فى خلق ، وخلقاً فى حق فيتحير ، فالوصول إلى الحيرة فى الحق هو عين الوصول إلى الله ، والحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلى لاختلاف الصور عليهم فى العين الواحدة (2) .

وبهذا يفسر قوله تعالى : { وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا } [نوح/24] أى أضل قوم نوح كثيرا من أهل العلم وحيرتهم فى تعداد الواحد بالوجوه والنسب { وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ } [نوح/24] لأنفسهم { إِلَّا ضَلَالًا } [نوح/24] إلا حيرة المحمدي الذى قال : زدنى فيك تحيرا (3) .

1. اللمع ص 421 .

2. انظر فى معنى الحيرة عند ابن عربى الفتوحات المكية 270/1 ، 490/3 .

3. ليس حديثا ، ولا وجود له فى كتب السنة ، وغنما هو من وضع ابن عربى .

فالحائر له الدور ، والحركة الدورية حول القطب ، فلا يبرح منه {  
مَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا }  
[نوح/25] فهى التى خطت بهم ، فغرقوا فى بحار العلم بالله وهو الحيرة  
(1) .

\*\*\*\*\*

## 50 - الخاصة

\*\*\*\*\*

- الخاصة : خصه بالشىء يخصه إذا أفرد به دون غيره ،  
والخاصة ضد العامة (2) ، قال تعالى : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } [الأنفال/25] أى تعمكم ، ومن حديث  
جابر بن عبد الله ؑ ، أن النبى ؑ قال : " وكان النبى يبعث إلى قومه  
خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة " (3) ، وقال عمر بن الخطاب ؓ : "   
إن الله جل وعز كان خص رسوله ؑ بخاصة ، لم يخص بها أحدا  
غيره ، قال تعالى : { مَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ  
وَلِلرَّسُولِ } " (4) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ ، أن رسول  
الله ؑ قال : " كيف بكم وبزمان ، يغربل الناس فيه غربلة ، تبقى

حثالة من الناس قد مرجت عهدهم وأماناتهم واختلفوا ، فقالوا :

وكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : —

1. الفصوص 72/1 .

2. لسان العرب 24/7 .

3. أخرجه البخارى فى التيمم □ (335) 519/1 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الحج □ (1224) 867/2 .

تأخذون ما تعرفون ، وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر  
خاصتكم وتذرون أمر عامتكم " (1) .

وقد يعبر عن الفقر الذى لم يسد بالخصاصة ، كما روى عن أبى  
هريرة ؓ أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه فقلن : " ما معنا إلا  
الماء ، فقال رسول الله ﷺ : من يضم أو يضيف هذا فقال رجل من  
الأنصار : أنا فانطلق به إلى امرأته ، فقال : أكرمي ضيف رسول الله  
ﷺ فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني فقال : هيئي طعامك وأصبحي  
سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت  
سراجها ونومت صبيانها ، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ،  
فجعل يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين ، فلما أصبح غدا إلى رسول  
الله ﷺ ، فقال : " ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما ، فأنزل الله  
: { وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ  
نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر/9] " (2) .

والخص بيت من قصب أو شجر وذلك لما يرى فيه من الخصاصة  
وروى عن عبد الله بن عمرو  $\tau$  قال : " مر علي رسول الله  $\varepsilon$  ، ونحن  
نعالج خصا لنا وهى ، فقال : ما هذا ؟ فقلنا : خص لنا وهى ،  
فنحن نصلحه ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : ما أرى الأمر إلا أعجل من  
ذلك " (3) .

- 
1. أخرجه أبو داود فى الفتن والملاحم □ (4342) وقال الألبانى : صحيح 123/4 .
  2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب □ (3798) 149/7 .
  3. أخرجه أبو داود فى الأدب (5235) وصححه الألبانى 360/4 .

وقد خصه بكذا يخصه ميزه بالأمر دون غيره ، كقوله تعالى : { وَاللَّهُ  
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [البقرة/105] ، وعن أبي  
هريرة  $\tau$  أن النبي  $\varepsilon$  قال : " لا تحتصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي  
، ولا تخلصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام ، إلا أن يكون فى صوم  
يصومه أحدكم " (1) .

وقال سلمة بن الأكوع  $\tau$  : " ما استغفر رسول الله  $\varepsilon$  لإنسان  
يخصه إلا استشهد (2) ، وعن بريدة □ بن الحصيب  $\tau$  : " كان رسول  
الله  $\varepsilon$  إذا أمر أميرا على جيش أو سرية ، أوصاه فى خاصته بتقوى الله  
، ومن معه من المسلمين خيرا " (3) .

- الخاصة فى الاصطلاح الصوفى :

الخاصة في الاصطلاح الصوفي ضد العامة ، وهم أعلى في المقام والمنزلة وربما تنوع دلالة الخصوص من مفهوم لآخر على النحو الآتي :

1- الخاصة منزلة يتصف بها أصحاب الدرجة الإيمانية العليا ، المتحققون في تقواهم وإخلاصهم لله ، بغض النظر عن كونهم من الصوفية أو غيرهم ، كما روى عن أبي بكر الوراق (ت: بعد 250هـ) قال: ( الخاصة هم الذين فقهت قلوبهم ، وحسنت أخلاقهم ، وكانوا أئمة يدعون الناس إلى الخير والعمل به وسالموا السلطان على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعلماء على صدق —

1. أخرجه مسلم في كتاب الصيام □ (1144) 801/2 .

2. جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الجهاد (1807) 1433/3 .

3. جزء من حديث أخرجه مسلم في الموضوع السابق (1731) 1357/3 .

الخبر ، والعامة على ظاهر الأمور ، فإذا خلو من ذلك فهم المفترون ، وإذا فسدت الخاصة غلبت الكذبة على الصادقين والكهنة على الموقنين والموسوسون على المخلصين ) (1) .

2- الخاصة هم الصوفية دون غيرهم من العامة أو سائر الطوائف ، فيذكر السراج الطوسي أن الصوفية هم الخاصة ، لأنهم يختصون عن غيرهم بالارتقاء إلى الدرجات العالية ، والتعلق بالأحوال الشريفة ، والمنازل الرفيعة من أنواع العبادات ، وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة ، ولهم في معاني ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء ،

وأصحاب الحديث ثم يبين على حد زعمه بعض الأنواع التي تفردوا بها ، فأول شيء من التخصيصات التي للصوفية وما تفردوا بها عن غيرهم ، ترك ما لا يعنيههم ، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطلوبهم ومقصودهم ، إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير الله تبارك وتعالى ، ويذكر أيضا أن الصوفية لهم تخصيص من طبقات أهل العلم بفهم آيات من كتاب الله تعالى متلوة ، وأخبار عن رسول الله ﷺ مروية ما نسختها آية وما رفع حكمها خبر ولا أثر ، يدعو ذلك إلى مكارم الأخلاق ، ويبحث عن معالي الأحوال وفضائل الأعمال ، وليس لغير الصوفية من أولى العلم القائمين بالقسط في ذلك نصيب غير الإقرار به والإيمان بأنه حق ، ويشير السراج الطوسي إلى أنه من أعظم النعم التي اقتصوا بها دوام المراقبة وهي التحقق بمقام الإحسان ، وللصوفية أيضا تخصيص في معرفة الحرص والأمل ودقائقهما ، ومعرفة النفس وأماراتها —

1. طبقات الصوفية ص 226 .

وخواطرها ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفى ، وكيفية الخلاص من ذلك ، وكيفية وجه الإنابة إلى الله عز وجل وصدق الالتجاء ، ودوام الافتقار والتسليم والتفويض والتبرى من الحول والقوة ، ولهم أيضا على حد زعمه مستنبطات في علوم مشكلة على مفهوم الفقهاء والعلماء ، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم ،



تخفى في العبارة من دقتها ولطافتها ، فالصوفية عند السراج الطوسي مخصوصون من أولى العلم القائمين بالقسط بحل هذه العقد والوقوف على المشكل من ذلك (1) .

من الممكن كما ذكر الطوسي أن يكون البعض ممن نسب إلى الصوفية متصفا بهذه الأوصاف أو أو كثير منها ، لكن الزعم بأنهم ينفردون بهذا دون غيرهم فالأمر منه بعيد ، وأولى ما يذكر في تقسيم العامة والخاصة لدرجات المسلمين تقسيم القرآن ، إذ يقول الله تعالى عن أصحاب اليمين : { عُرْبًا أَتْرَابًا لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ } [الواقعة/40:37] وقال عن السابقين الأعلى في المنزلة من أصحاب اليمين : { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ } [الواقعة/14:10] فما الدليل على أن الصوفية هم السابقون السابقون ، وبقية العلماء مفسرون ومحدثون وفقهاء ، يأتون متأخرين عن الصوفية ؟

ومعلوم أن أغلب الأولين في الآية من السابقين والصحابه والتابعين لا يعرفون الصوفية وربما لم يسمعوها عنها ، وهذا يعنى أن الخاصة من

عامة المسلمين هم —————

1. اللع ص 28 : ص 33 .

الأعلى في درجة التقوى ، كما قال تعالى :

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا  
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات/13]

فالقول بأن الصوفية دون غيرهم من عامة الناس أو سائر الطوائف  
هم الخاصة قول باطل جملة واحدة .

ويمثله ما ذكره السراج الطوسي من تفضيل الصوفية على غيرهم ،  
وتفضيل أصحاب الوحدة على بسطاء الصوفية ، ما ورد عن عبد  
الرزاق الكاشاني حيث قال : ( الخاصة هم علماء الطريقة وخاصة  
الخاصة هم علماء الحقيقة ) (1) .

\*\*\*\*\*

## 51 - الخاطر

\*\*\*\*\*

- الخاطر : لم يرد في القرآن ، ولكنه ورد في السنة على عدة معان (2)  
:

1- القدر والمكانة : ومنه ما روى عن مالك بن ربيعة  $\tau$  ، أنه سمع  
رسول الله  $\varepsilon$  وهو يقول : " اللهم اغفر للمحلقين ، اللهم اغفر  
للمحلقين ، فقال رجل من القوم : والمقصرين ؟ فقال رسول الله في  
الثالثة أو في الرابعة : " والمقصرين —

1. لطائف الإعلام 441/1 .

2. لسان العرب لابن منظور 249/4 ، والمصباح المنير للمقرئ 173/1 ، والقاموس المحيط للفيروز  
أبادى 494/1 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (خطر) .

ثم ، قال : وأنا يومئذ مخلوق الرأس ، فما يسرني بخلق رأسي حمر  
النعم ، أو خاطرا عظيما " (1) .

2- الاضطراب والحركة : كقول ابن عباس ؓ : " قام نبي الله ﷺ يوما  
يصلي فخطر خطرة ، فقال □ المنافقون الذين يصلون معه : " ألا  
ترى أن له قلبين ، قلبا معكم ، وقلبا معهم فأنزل الله عز وجل : { مَا  
جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ } [الأحزاب/4] " (2) .

3- ما يرد على القلب بسرعة لا لبث فيها ولا بطاء ، فعن أبي هريرة  
ؓ قال قال النبي ﷺ : " إذا نودي بالصلاة ، أدبر الشيطان وله ضراط  
، فإذا قضي أقبل فإذا ثوب بها أدبر ، فإذا قضي أقبل ، حتى يخطر  
بين الإنسان ، وقلبه فيقول : اذكر كذا وكذا ، حتى لا يدري أثلاثا  
صلى أم أربعاً " (3) ، وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال : " الله أعددت  
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على  
قلب بشر ، فاقروا إن شئتم : { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ  
قُرَّةِ أَعْيُنٍ } [السجدة/17] " (4) .

- 
1. أخرجه أحمد في المسند □ (17145) واللفظ له ، والبخارى بمعناه (1640) 616/3 .
  2. ضعيف الإسناد ، أخرجه في الترمذى كتاب تفسير القرآن (3199) وقال : حديث حسن ، وقال  
الألبانى : ضعيف الإسناد 348/5 ، وأحمد في المسند (2410) .
  3. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق □ (3285) 388/6 .
  4. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق □ (3244) 366 /6 ، ومسلم في كتاب الجنة  
2174/4 (2824) .

## - الخاطر في الاصطلاح الصوفي :

الخطر في الاصطلاح الصوفي ، خطاب يرد على الضمائر ، قد يكون بإلقاء ملك ، وقد يكون بإلقاء شيطان ، ويكون بأحاديث النفس ، أو يكون من قبل الحق سبحانه ، فإذا كان من الملك فهو الإلهام ، وإذا كان من قبل النفس ، قيل له الهواجس ، وإذا كان من قبل الشيطان ، فهو الوسواس ، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقائه في القلب فهو خاطر حق ، وجملة ذلك من قبيل الكلام النفسى (1) .

يقول الحارث المحاسبى (ت:243هـ) في المتقطين لخواطر السوء : ( وكذلك من اشتغل بالله عز وجل ، رد الخاطر - يعنى خاطر الشيطان - باشتغال قلبه بربه ، فهذه الفرقة للقرآن والسنة والصالحين أتبع ، وعلى رد الخطرات أقوى وأبعد من الخدع والنقص ، فهم في الاشتغال برهم دائبون ، وبالحدرد إذا عرض الخاطر متيقظون ، وبقوة الاشتغال بالله ، يسهل عليهم فحص الخواطر إذا عرضت بفتنة ، فسلموا أو غنموا ، واتبعوا واستقاموا ) (2) .

ويذكر لسهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) تفصيل دقيق في التعرف على الخواطر ومصادرها ، وكيف أنها ابتلاء من الله ، فيرى أن الخواطر إذا كانت عن أواسط الهداية ، وهى الملك والروح ، قدحت في قلب العبد نورا —

1. اللمع ص 263 .

2. الرعاية لحقوق الله ص 162 ، 163 .

أدركه الحفظة ، وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات ، وكانت تقوى  
وهدى ورشدا من خزائن الخير ومفتاح الرحمة ، وإن كانت الخواطر عن  
أواسط الغواية وهم العدو والنفس ، قدحت في القلب ظلمة ونتاجنا ،  
أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال ، فكتبوها سيآت ، وكانت  
فجورا وضلالا ، وهى من خزائن الشر ومعالق الأعراض ، وكل هذا  
إلقاء من خالق النفس ومسويها ، وجبار القلوب ومقلبيها ، حكمة  
منه وعدلا لمن شاء ، ومنة وفضلا لمن أحب (1) .

ويروى عن أبي الحسن المزين (ت:328هـ) أنه قال : ( للقلوب  
خواطر يشوبها شئ من الهوى ، لكن العقول المقرونة بالتوفيق ، تزجر  
عنها وتنهى والتوحيد أن توحد الله بالمعرفة ، وتوحده بالعبادة ،  
وتوحده بالرجوع إليه فى كل ما لك وما عليك ، وتعلم أن ما خطر  
بقلبك ، فالله تعالى بخلاف ذلك وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف  
خلقه ، باينهم لصفاته قدما ، كما باينوا بصفاتهم حدثا ) (2)

وقد أجاد أبو طالب المكى (ت:386هـ) حين استقصى كل ما  
يتعلق بالخواطر فى النفوس ، وقسمها تقسيما دقيقا أحسب أنه لم  
يسبق إليه فى عصره فجعلها عدة أقسام (3) :

1. من التراث الصوفي ص 172 ، وانظر قوت القلوب 1 / 123 .

2. السابق ص 384 .

3. انظر قوت القلوب 1 / 114 ، 115 .

(1) - خاطر النفس وخاطر العدو ، وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين ، وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء ، ولا يردان إلا بالهوى وضد العلم .

(2) - خاطر الروح وخاطر الملك ، وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين ، وهما محمودان لا يردان إلا بحق ، وبما دل عليه العلم .

(3) - خاطر العقل وهو متوسط بين هذه الأربعة ، وهو على نوعين :

أ - يصلح للمذمومين ، فيكون حجة على العبد لما كان من تمييز العقل وتقسيم المعقول ، لأن العبد يدخل في هواه بشهوة جعلت له ، واختيار لا يعسر عليه من حيث لا يعقل ولا إجبار .

ب - ويصلح أيضا للمحمودين ، فيكون شاهدا للملك ، ومؤيدا لخاطر الروح ، ويثبات العبد على حسن النية وصدق المقصد ، ويبين المكى أن خاطر العقل ، إنما كان مع النفس تارة ، ومع الملك تارة أخرى حكمه من الله تعالى وإتقانا لصنعه ، ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز ، فيكون

عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له وعليه ، فالله سبحانه وتعالى جعل الإنسان مكانا لجريان أحكامه ، ومحلا لنفاذ مشيئته في مباني حكمته .

(4- خاطر اليقين وهو روح الإيمان ، والعمل الذى يحرك الإرادة على الطاعة والاستجابة ، كمحصلة للخواطر الإيمانية المتقدمة (1) .

---

1. انظر السابق 127 / 1 ، وهذا التقسيم تقسيم نفيس يتوافق مع الأصول القرآنية =

ويعرض المكى أيضا ، كيف يمكن للإنسان أن يفرق بين أنواع الخواطر ومصادرها ، والسلوك الأمثل حيالها ، فيحدد ذلك فيما يلي (1) :

[ 1 - ما كان من لائح يلوح فى القلب ، من معصية ثم يتقلب

فلا يثبت فهذا نزغ من قبل العدو .

[ 2 - ما كان فى القلب من هوى ثابت ، أو حال مزعج دائم

لابث ، فهو من قبل النفس الأمانة بطبعها ، أو مطالبة منها

بسوء عاداتها .

[ 3 - ما ورد على العبد من همه بخطيئة ، ووجد العبد فيها

كراهيتها فالخاطر مركب :

أ - الورود من قبل العدو .

ب - والكراهية من قبل الروح والإيمان .

= والنبوية وما يؤخذ عليه هو تسمية نازع الشر والهوى بالنفس ، ونازع الخير بالروح فهم أرادوا بالنفس ما كان معلولا من أوصاف العباد ، أما النفس التي ورد ذكرها في القرآن ، فهي على ثلاثة أنواع يشمل ، النفس المطمئنة ، والنفس اللوامة ، والنفس الأمارة بالسوء ، كما أن الله تعالى قال في كتابه الكريم : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [الشمس/7:8] ، فجمع في النفس بين جانبين نفسيين متقابلين ومتضادين ، أحدهما يدعو إلى الخير والآخر ويحض الإنسان عليه ، والثاني يدعو إلى الشر ويرغبه فيه ، والإنسان بينهما من حيث الاستجابة بالاختيار في القبول أو الرد كما أن النفس تطلق في القرآن ويراد بها معان أخرى . 1. انظر السابق 1/ 127 .

[4 - ما وجد من هوى أو معصية ، ثم ورد عليه المنع من ذلك ،  
فالحاظر مركب أيضا :

أ - الهوى من قبل النفس .

ب - المنع من قبل الملك .

[5- ما وجدته عن خوف أو حياء ، أو ورع أو زهد ، وما شهدته  
من تعظيم وهيبة وإجلال فهذا كله من إرادة اليقين ، وهو من  
مزيد الإيمان (1) .

1 . تشهد الأصول القرآنية والنبوية لمعظم ما أورده أبو طالب المكي من أركان أساسية لتشكيلة الخواطر في قلب الإنسان ، فدل قوله تعالى : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } [الشمس/7:8] على وجود نازعين نفسيين متقابلين ومتضادين ليس لأحدهما غلبة على الآخر ، أو جدهما الحق تبارك وتعالى في القلب على سبيل الإبتلاء والامتحان ، تنبعث منهما الخواطر في الجنان بين أصبعين من أصابع الرحمن الأول ويسمى نازع الخير وفطرة الإنسان ومبعث التقوى والإيمان ، والثاني يسمى نازع الشر والهوى ومبعث الفجور في الإنسان ، وهذان النازعان يسهمان في تشكيل



الخواطر خيرها وشرها في منطقة حديث النفس ، قال ابن القيم : ( هيا الله الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد ثم ذكر هذه الآية : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } ثم قال : أخبر الله عن قبول النفس للفجور والتقوى وأن ذلك نالها منه امتحانا واختبارا ، ثم خص بالفلاح من زكاها فناماها وعلاها ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأوليائه وهي التقوى ، ثم حكم بالشقاء على من دساها فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور ) انظر مدارج =

ويقول الكاشاني : ( الخاطر عند الصوفية يطلق على ما يخطر بالبال ، ويطلق أيضا على القلب ، وهذا من باب إطلاق الحال على المحل ، والخطر هو ما —

= السالكين 2/ 381 ، وقد دلت الأصول النبوية على وجود هاتين ، يهتفان بلمتين أحدهما هو الشيطان ، والآخر هو الملك ، فعن عبد الله بن مسعود  $\tau$  قال : قال رسول الله  $\varepsilon$  : " ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه ، فلا يأمرني إلا بخير " أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار 4/ 2168 ، ومن حديث ابن مسعود  $\tau$  أيضا ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان ، فيإبعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك ، فيإبعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك ، فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله ومن وجد الأخرى ، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم " أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله  $\varepsilon$  5/ 219 ، وبهذا تظهر تشكيكة الخواطر التي تتردد على في النفس من النازعين والهاتفين ، وعند التحقيق ، وعلى ما ذكره أبو طالب المكي في نوعيات الخواطر التي تتردد على القلب إما مفردة وإما مركبة فإن نوعيات الخواطر بهذه القسمة تنحصر في ستة عشر نوعية ، إما خاطر ينبعث من نازع التقوى ، أو خاطر ينبعث من نازع الهوى ، أو خاطر ينبعث من الملك ، أو خاطر ينبعث من الشيطان ، أو خاطر مركب ينبعث من نازع التقوى ويعاونه الملك ، أو خاطر مركب ينبعث من الملك ويعاونه نازع التقوى ، أو خاطر مركب ينبعث من نازع الهوى ويعاونه الشيطان ، أو خاطر مركب ينبعث من

الشیطان ویعاونہ الهوی ، أو خاطر مرکب ینبعث من نازع التقوی ویشبطه الهوی ، أو خاطر مرکب ینبعث من الملک ویشبطه =

یرد علی القلب من الخطاب ، ربانیا کان أو ملکیا ، أو نفسانیا أو شیطانیا من غیر إقامة ، وقد یكون بوارد لا تعمل فیہ للعبد ، ویفرق بینها تميزات الشرع (1).

\*\*\*\*\*

## 52- الختم

\*\*\*\*\*

- الختم : الختم علی وجهین :

(1- الختم فی المحسوسات ، وهو علی أوجه :

أ- ختم الشئ للاستيثاق من ثبوته إلى صاحبه ، والمنع من تحريفه ، وأغلب ما یكون فی الكتب ، لما روى عن أنس بن مالك قال :  
" كتب النبي ﷺ

= الهوی ، أو خاطر مرکب ینبعث من نازع التقوی ویشبطه الشیطان ، أو خاطر مرکب ینبعث من الملک ویشبطه الشیطان أو من الهوی ویشبطه نازع التقوی أو ینبعث من الهوی ویشبطه إیحاء الملک أو أو ینبعث من الشیطان ویشبطه نازع التقوی أو ینبعث من الشیطان ویشبطه إیحاء الملک ، ولكل من هذه الخواطر امتلئة لا یحصیها إلا الله .

1. لطائف الإعلام 1/ 439 ، 441 وانظر للتوسع والمقارنة فی الخواطر عند الصوفیة اللمع ص 418 وما بعدها ، وروضة الطالبین لأبی حامد الغزالی ص 9 ، ورسالة المسترشدين للمحاسبي ص 63 ، وانظر آراء ابن عربی فی الخواطر فی الفتوحات المکیة 2/ 32 ، 2/ 565 وما بعدها ، 3/ 61 ، 3/ 97 ، 2/ 77 وما بعدها ، 4/ 152 وشرح التجلیات ص 156 وما بعدها .

كتابا ، أو أراد أن يكتب ، فقبل له : إنهم لا يقرءون كتابا إلا محتوما ، فاتخذ خاتما من فضة نقشه ، محمد رسول الله كأنى أنظر إلى بياضه في يده " (1) .

وقد يكون في بدن النبي للدلالة على صدقه ، لما روى عن السائب بن يزيد  $\tau$  يقول : " ذهبت بي خالتي إلى النبي  $\epsilon$  فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وجع ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ ، فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة " (2) .

ب - الختم للدلالة على المغلق الذى لا يفتح ، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، في الثلاثة الذين أوامهم المبيت إلى غار ، فوقعت عليهم صخرة سدت عليهم الغار ، وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ، قال النبي  $\epsilon$  : " وقال الآخر : اللهم إن كنت تعلم أني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء ، فقالت : لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت فيها حتى جمعتها ، فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقامت وتركتها ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة " (3) .

ج - الختم للدلالة على بلوغ الآخر ، فعن أبي هريرة  $\tau$  قال : " خرج

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم □ (65) 187/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء □ (190) 354/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع □ (2215) 477/4 .

رسول الله ﷺ ، فقال : أقرأ عليكم ثلث القرآن ، فقرأ قل هو الله أحد  
الله الصمد حتى ختمها " (1) ، وفى حديث سهل بن سعد الساعدي  
τ ، قال النبي ﷺ : " إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة ،  
وإنه لمن أهل النار ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار ، وهو من  
أهل الجنة ، وإنما الأعمال بخواتيمها " (2) .

(2) - الختم فى المعنويات تشبيها بما سبق ، فقوله تعالى : { خَتَمَ  
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } [البقرة/7] ، وقوله  
تعالى : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ  
{ [الأنعام/46] ، إشارة إلى ما أجرى الله به العادة ، أن الإنسان إذا  
تناهى فى اعتقاد باطل ، أو ارتكاب محذور ، ولا يكون منه تلفت  
بوجه إلى الحق ، يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصى ،  
وكأنما يختم بذلك على قلبه (3) .

وعن أبي هريرة τ ، أن رسول الله ﷺ قال : " إن مثلي ومثل الأنبياء  
من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من  
زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا  
وضعت هذه اللبنة قال : فأنا —————

1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين □ (812) 557/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق □ (6493) 337/11 .
3. لسان العرب 163/12 ، والمفردات فى غريب القرآن ص 143، 142 ، ومختار الصحاح 71/1 ، وكتاب العين 241/4 .

اللبنه ، وأنا خاتم النبيين " (1) ، وعنه أيضا π ، قال رسول الله ε : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين " (2) .

#### - الختم فى الاصطلاح الصوفى :

والختم فى الاصطلاح الصوفى يرد على أنواع ، فتارة يعنى من ختم الله تعالى به النبوة وهو نبينا ε ، كما تقدم فى حديث أبى هريرة π ، وتارة يعنى بالختم الدلالة على المغلق الذى لا يفتح ، كقول القشيرى :

( الختم على الشئ يمنع ما ليس فيه أن يدخله وما فيه أن يخرج منه ، وكذلك حكم الحق سبحانه ، بألا يفارق قلوب أعدائه ، ما فيها من الجهالة والضلالة ولا يدخلها شئ من البصيرة والهداية ، على أسمع قلوب غطاء الخذلان سدت تلك المسامع عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوساوس الشيطان وهواجس النفوس ، شغلتها عن استماع خواطر الحق ، قال جل ذكره : { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة/7] ) (3) .

وتارة يريدون به الشخص الذى يختم الله به كل مقام ، وهو التحقق

بنهاية —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب □ (3535) 645/6 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الجمعة □ (865) 591/2 .

3. لطائف الإعلام 441/1 .

كمال تلك المرتبة ، كما سمي نبينا ء خاتم الأنبياء لأجل ذلك ،  
وسمي خاتمهم لكونه آخرهم ء (1) .

وتارة يعنى بالختم من يختم الله به الولاية ، كما ذكر الحكيم  
الترمذى فى شأن خاتم الأولياء وصفته : ( وما صفة ذلك الولي الذله  
إمامة الولاية ورياستها وختم الولاية ؟ قال : ذلك من الأنبياء قريب ،  
يكاد يلحقهم ، قال : فأين مقامه ؟ قال : فى أعلى منازل الأولياء ،  
فى ملك الفردانية ، وقد انفرد فى وحدانيته ومناجاته ، كفاحا فى  
مجالس الملك وهدياه من خزائن السعى ، قال : وما خزائن السعى ؟  
قال : إنما هى ثلاث خزائن : المنن للأولياء ، وخزائن السعى لهذا  
الإمام القائد ، وخزائن القرب للأنبياء عليهم السلام ، فهذا خاتم  
الأولياء ، مقامه من خزائن المنن ، ومتناوله من خزائن القرب ،  
فهو فى السعى أبدا ) (2) .

وختم الولاية عند ابن عربى يرد على نوعين :

—————

1. لطائف الإشارات 60/1 .

2. ختم الأولياء ص 367، 368 وانظر الدراسة التي قدمها الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركه عن الحكيم الترمذى ، بعنوان الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف القاهرة سنة 1391هـ ، 1971م ، وانظر أيضا السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة ، إعداد أحمد عبد الرحيم السايح رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف القاهرة سنة 1986م .

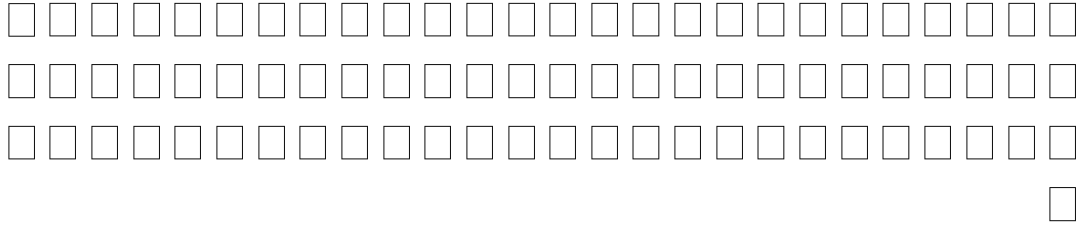
أ- ختم الولاية العامة ، وهى للذى لا يوجد بعده ولى ، وهو عندهم عيسى عليه السلام ، يقول ابن عربى : ( فيكون عيسى عليه السلام خاتم الأولياء وهو أفضل هذه الأمة المحمدية ، فإنه وإن كان وليا فى هذه الأمة والملة المحمدية ، فهو نبى ورسول فى نفس الأمر ) (1) .

ب- ختم الولاية الخاصة ، وهى لرجل من العرب ، جمع علم كل ولى محمدى ، هو خاتم النبوة المطلقة يختم الله به الولاية المحمدية ، فكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع ، كذلك ختم الله بالختم المحمدى الولاية التى تحصل من الورث المحمدى (2) .  
وختم هذه الولاية المحمدية يدعيه ابن عربى لنفسه فقال (3) :

أنا ختم الولاية دون شك      لورث الهاشمى مع المسيح

---

1. الفتوحات المكية 1/185 وانظر أيضا المزيد عن ختم الأولياء فى 3/507 ، 2/49 ، 3/400 ، 7/1 وما بعدها ، وانظر أيضا التجليات ، طبعة حيدر آباد ص 8 ، وعنقاء مغرب ص 18 وما بعدها ، والدراسة التى قدمها الدكتور عبد الحميد مذكور ، الولاية عند محى الدين ابن عربى ، رسالة دكتوراه ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1980م ، وانظر أيضا :



2. السابق 49/2 .

3. السابق 244/1 .

كما أنى أبو بكر عتيق أجاهد كل ذى جسم وروح

وما ادعاه الترمذى وابن عربى أو غيرهما من الصوفية من وجود خاتم الأولياء الذى يكون فى آخر الزمان ، أو ختم الولاية المحمدية ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء ، فإنه ادعاء باطل لا أصل له فى الكتاب والسنة ، فإن أفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، وغيرهم من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة ، وخير القرون قرنه ع ، كما روى عن عمران بن حصين رضي الله عنهما ، قال ع : " خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا " (1) .

كما أن لفظ خاتم الأولياء ، لا يوجد فى كلام أحد من سلف الأمة ، ولا أئمتها ، ولا ذكر فى كتاب الله ولا سنة رسوله ع ،



وموجب هذا اللفظ أنه آخر مؤمن تقي ، ومهما يكن في الأمر ، فإن الله يقول : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] ، فكل من كان مؤمنا تقياً ، كان لله ولياً ، وهم على درجتين : السابقون المقربون ، وأصحاب اليمين المقتصدون كما قسمهم الله تعالى في القرآن ، وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا ، فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ، ولا أكملهم ، بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم ، والأولياء وإن كان فيهم محدث ، كما روى عن أبي هريرة ؓ عن —

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب □ (3650) 5/7 .

النبي ؑ أنه قال : " إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحدِّثُونَ ، وإنه إن كان في أمي هذه منهم ، فإنه عمر بن الخطاب " (1) .

فهذا الحديث يدل على أن المحدثين من هذه الأمة عمر ، وأبو بكر أفضل منه إذ هو الصديق ، والمحدث وإن كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى ، فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة ، فإنه ليس بمعصوم (2) .

\*\*\*\*\*

## 53- الخشوع

\*\*\*\*\*

- الخشوع : قريب من الخضوع ، إلا أن الخضوع في البدن ، والخشوع في البدن والصوت والبصر ، ويعنى الانخفاض والذل والسكون ، ومنه وصف الأرض بالخشوع وهو يبسها وانخفاضها ، وعدم ارتفاعها بالرى والنبات ، قال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ } [فصلت/39] (3) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء □ (3469) 591/6 .
  2. انظر حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص115 بتصرف وانظر أيضا نقد ابن تيمية كتاب ختم الأولياء نشر عثمان يحيى ص506 ، ابن تيمية وفلاسفة التصوف للدكتور محمد سليمان داود ، الطبعة الثالثة سنة 1402هـ 1983م ص198 وما بعدها .
  3. لسان العرب 2/27 ، مدارج السالكين لابن قيم الجوزية 1/558 .
- ويطلق الخشوع على شدة الخضوع والتذلل المصحوب بالرجفة ، قال تعالى : { وَيَجْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء/109] ، وقال : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون/2] ، وقال : { وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء/90] .

ومن حديث النعمان بن بشير ؓ قال رسول الله ﷺ : " إن ناسا يزعمون أن الشمس والقمر ، لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء ، وليس كذلك إن الشمس والقمر ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل ، إن الله عز

وجل إذا بدا لشيء من خلقه خشع له ، فإذا رأيتم ذلك ، فصلوا كأحدث صلاة صليتموها من المكتوبة " (1) .

ويطلق الخشوع أيضا على التواضع بالمسكنة ، كما قال ابن عباس  $\tau$  في الاستسقاء : " خرج رسول الله  $\varepsilon$  متواضعا ، متبذلا متخشعا متضرعا □ ، فصلى ركعتين كما يصلي في العيدين ، ولم يخطب خطبتكم هذه " (2) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " هل ترون قبلي ها هنا ؟ فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم إني لأراكم من وراء ظهري " (3)

---

1. أخرجه النسائي في كتاب الكسوف □ (1485) 141/3 ، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة □ (1262) 401/1 ، وأحمد في المسند □ (18377) ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (1402) 329/2 وهو حديث صحيح .

2. أخرجه النسائي في كتاب الاستسقاء □ (1521) وهو حديث حسن ، 163/3 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة □ (418) 612/1 .

ومن حديث عمرو بن سعيد  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها ، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله " (1) .

ويستعمل الخشوع في القلب والجوارح ، وإن كان خشوع الجوارح  
لازم لخشوع القلب لأنها تتبعه ، فقوله تعالى : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ  
وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة/45] يدل عليهما معا ،  
فمن خشوع القلب قوله تعالى : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ  
قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ } [الحديد/16] وعن زيد بن أسد ، كان رسول الله ﷺ يقول  
:

" اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن  
نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها " (2) .

ومن خشوع الجوارح قوله تعالى في خشوع الصوت : { وَخَشَعَتِ  
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا } [طه/108] ، وقوله في خشوع  
البصر : { خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ } [القلم/43] ، وفي خشوع  
جميع الجوارح ، ما ورد عن علي بن أبي طالب ؓ ، أن رسول الله ﷺ  
كان إذا ركع قال : " اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت  
، خشع لك سمعي وبصري ، ومخني وعظمي وعصبي " (3) ،  
وفي رواية أخرى عن علي ؓ :

- 
1. أخرجه مسلم في كتاب الطهارة □ (228) 206/1 .
  2. أخرجه مسلم في كتاب الذكر □ (2722) 2088/4 .
  3. أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين □ (771) 534/1 .

" خشع سمعي وبصري ، ومخي وعظمي وعصبي ، وما استقلت به قدمي ، لله رب العالمين " (1) ، وثالثة عن جابر بن عبد الله  $\pi$  : " خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي ، وعظمي وعصبي ، لله رب العالمين " (2) .

## - الخشوع في الاصطلاح الصوفي :

قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل والانقياد للحق ، واتفقوا على أن الخشوع محله القلب ، وقد استدلوا له بقوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } [المؤمنون/2] (3) ، وأقوالهم فيه تتوافق مع الأصول القرآنية ، روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) : ( كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع ، أكثر مما في قلبه ) (4) ، وروى عن أبي سليمان الداراني (ت:215هـ) قال : ( لكل شيء حلية ، وحلية الصدق الخشوع ) (5) وللجنيد بن محمد (ت:297هـ) لما سئل عن الخشوع ؟ قال : ( تذلل القلوب لعلام الغيوب ) (6) .

---

1. أخرجه أحمد في المسند (963) والترمذي في كتاب الدعوات (3421) وقال الشيخ الألباني : صحيح 485/5 .

2. أخرجه النسائي في كتاب التطبيق (1051) وقال الشيخ الألباني : صحيح 192/2 وأخرجه بن خزيمة في صحيحه (607) 306/1 .

3. الرسالة القشيرية 380/1 .

4. السابق 383/1 .

وينسب للحكيم الترمذى (ت:320هـ) أنه قال : ( الخاشع من خمدت نيران شهوته ، وسكن دخان صدره ، وأشرق نور التعظيم في قلبه ، فماتت شهوته ، وحى قلبه ، فخشعت جوارحه ) (1) ، وروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال في قوله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا } [الفرقان/63] معناه : متواضعين متخاشعين (2) .

ويقسم الهروى الخشوع إلى درجات ثلاث:

الأولى : التذلل للأمر ، والاستسلام للحكم ، والاتضاع لنظر الحق .

الثانية : ترقب آفات النفس والعمل ، ورؤية فضل كل ذى فضل عليك .

الثالثة : حفظ الحرمة عند المكاشفة ، وتصفية الوقت من مزايا الخلق ، وتجريد رؤية الفضل (3) .

ويذكر الكاشانى أن الخشوع فى اصطلاح الطائفة ، عبارة عن خمود النفس وهمود الطباع ، لمتعاضم أو مفرع ، والمراد بخمود النفس موتها ، وبهمود الطباع سكونها ، والمراد بالطباع هنا قوى النفس ، والمتعاضم من له عظمة ومهابة فى القلوب ، والمفرع من له سطوة تخشى ، ونقمة تتقى ، ويقسم الخشوع إلى نوعين : خشوع العامة :

بسبب الرهبة من الوعيد ، والخوف من التهديد وخشوع  
الخاصة : بسبب دواعي الحقيقة ، إلى حفظ الحرمة مع الحق ، وتجريد  
القصد له وحده من دون الخلق (4) .

1. السابق 382/1 . 2. السابق 382/1 . 3. نازل السائرین ص12 وانظر أيضا  
مدارج السالكين 1/ 558 . 4. لطائف الإعلام 1/ 443 .

\*\*\*\*\*

## 54 - الخشِية

\*\*\*\*\*

- الخشِية : الخشِية خوف يشوبه تعظيم ، وأكثر ما يكون ذلك عن  
علم بما يخشى منه ، ولذلك خص العلماء بها في قوله تعالى : { إِنَّمَا  
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28] (1) .

وعن أبي هريرة ؓ ، عن النبي ؑ قال : " أسرف رجل على نفسه ،  
فلما حضره الموت أوصى بنيه ، فقال : إذا أنا مت فأحرقوني .. فإذا  
هو قائم ، فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : خشيتك يا  
رب ، أو قال : مخافتك فغفر له بذلك " (2) والخشِية ترد على نوعين  
:

1) - خشية المخلوق وهي باعتبار المدح والذم نوعان :

أ- الخشية الممدوحة ومنها قوله تعالى : { وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا  
مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ } [النساء/9] ، وقوله : {  
فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا } [الكهف/80] وعن ابن عمر  $\tau$   
أن رجلا سأل رسول الله  $\varepsilon$  عن صلاة الليل ؟ فقال رسول الله  $\varepsilon$   
: " صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة  
واحدة توتر له ما قد صلى " (3) .

1. لسان العرب 228/14 ، المفردات ص 149 .

2. أخرجه مسلم في كتاب التوبة □ (2756) 2109/4 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة □ (991) 554/2 .

وقال عبد الرحمن بن عوف  $\tau$  ، وقد أتى يوما بطعامه : " قتل  
مصعب بن عمير  $\tau$  ، وكان خيرا مني ، فلم يوجد له ما يكفن  
فيه إلا بردة وقتل حمزة  $\tau$  أو رجل آخر خير مني ، فلم يوجد  
له ما يكفن فيه ، إلا بردة لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا  
طيباتنا في حياتنا الدنيا ، ثم جعل يبكي " (1) ، ومن حديث  
عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها : " فرجع رسول الله  $\varepsilon$  يرجف  
فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال :  
زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة  
وأخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا  
والله ما يخزيك الله أبدا ) (2) .



ب- ومن الخشية المذمومة ، قول الله تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي } [البقرة/150] ، وقوله تعالى : { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ } [الإسراء/31] ، وقال تعالى : { إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً } [النساء/77] ، وقالت عائشة رضی الله عنها : " صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه ، فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فخطب فحمد الله ، ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ، فوالله إني لأعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية " (3) .

- 
1. أخرجه البخارى في كتاب الجنائز □ (1274) 168/3 .
  2. أخرجه البخارى في الموضع السابق □ (4) 47/1 .
  3. أخرجه البخارى في كتاب الأدب □ (6101) 529/10 .

وينظره أيضا حديث أنس بن مالك ر ، قال رسول الله ﷺ : " أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " (1) ، ومن حديث أبي سعيد الخدري ر قال ﷺ : " لا يحقر أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمرا لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ، فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى " (2) .

(2) - خشية الخالق ، وغالبا ما تقترن بالدمع والبكاء ، قال تعالى :  
 { وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى } [عبس/9] ،  
 وقوله تعالى : { مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ }  
 [ق/33] وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " لا يلج النار ، رجل  
 بكى من خشية الله ، حتى يعود اللبن في الضرع " (3) ، وعن ابن  
 عباس رضى الله عنهما قال  $\varepsilon$  : " عينان لا تمسهما النار ، عين بكت  
 من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله " (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح □ (5063) 5/9 .
2. أخرجه ابن ماجة فى الفتن □ (4008) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 132/2 .
3. الترمذى فى فضائل الجهاد □ (1633) وقال الألبانى : صحيح 171/4 .
4. أخرجه الترمذى فى الموضوع السابق (1639) وقال الألبانى : صحيح 175/4 وانظر رسالة  
 ماجستير بعنوان الخوف والخشية والوجل فى القرآن الكريم إعداد حسن عبد اللطيف مصطفى كلية  
 أصول الدين جامعة الأزهر الشريف سنة 1989م .

## - الخشية فى الاصطلاح الصوفى :

الخشية فى الاصطلاح الصوفى ، وردت على المعنى السابق غير أنها  
 درجة أقل من درجة الخوف ، فالخشية عندهم ترتبط بالعلم ، والخوف  
 يرتبط بالمشاهدة كما ذكر عن أبى بكر الوراق (ت: بعد 250هـ) قال  
 : ( من صحت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية ) (1) ، ويذكر  
 للجنيد بن محمد (ت: 297هـ) أن صاحب الخشية ، من كبحه لجام

العلم ، وقام بحق الشرع ، والتجأ إلى الله عز وجل (2) ، ويقول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( من أراد الله هدايته واكتنفته رأفته ورحمته ، ومنحه طريق محبته ، فسبيله إذا فتح عليه هذا الطريق أن يرزقه خشيته ، وإنما برزت الخشية من العلم به ، فإذا علمه القلب خشية وإنما ينال العلم من الفتح ، فإذا فتح الله له شاهد الأشياء ببصر قلبه ، فعلمه فخشيته ، وإذا التزم القلب الخشية ، حشاه الله بالمحبة ، فيكون بالخشية معتصما مما كره الله سبحانه مهما دق أو جل ، ويكون بالمحبة منبسطا في أموره ذا شجاعة ) (3) ، ويبين أن الله لو ترك العبد مع الخشية ، لا نقبض وعجز عن كثير من أموره ، ولو تركه مع المحبة وحدها ، لا استبدى وتعدى ، لأن النفس تهيج ببهجة المحبة ، ولكنه تبارك اسمه لطف به ، فجعل الخشية بطانته ، والمحبة ظهارته ، حتى يستقيم به قلبه ، فيرى التبسم والانطلاق والسعة في وجه

---

1. طبقات الصوفية ص 226 .

2. الرسالة القشيرية 344/1 .

3. ختم الأولياء ص 405 .

العبد وأموره وذلك لظهور المحبة على قلبه ، ومع ذلك في داخله أمثال الجبال خشية (1) .

ويقول في موضع آخر : ( أصحاب الخشية ، هم أهل العلم بالله ، أما أصحاب الخوف فهم أرباب المشاهدة ، فمثل الأوائل

كمثل رجل فى نهر ومثل الآخريـن كمثل رجل فى بحر ، ومثل صاحب الخشية ، كمن رأى أثر مخالب الأسد على الطريق ، ومثل الخائف كمن شاهد الأسد ولقيه واقفا على الطريق ، وهو قوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ } [الفجر/ 14] (2) .

ويذكر أبو نصر السراج الطوسى (ت:387هـ) ، أن الله عز وجل حث المؤمنين على المسارعة إلى الخيرات ، فقال : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا مُدَّتْهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } [المؤمنون/55:56] ، فاستفاد أهل الفهم من هذه الآية ، أن أول المسارعة إلى الخيرات هو التقلل من الدنيا ، وترك الاهتمام بالرزق ، والتباعد والفرار من الجمع والمنع ، باختيار القلة على الكثرة والزهد فى الدنيا على الرغبة فيها ، ثم ذكر الذين يسارع لهم فى الخيرات ووصفهم فقال : { وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَجَّهْمُ مُشْفِقُونَ } [المعارج/27] فوصفهم بالإشفاق من الخشية ، والخشية والإشفاق اسمان باطنان ، وهما عملان من أعمال القلب ، فالخشية سر فى القلب خفى ، والإشفاق من الخشية أخفى من الخشية ، وهو الذى ذكر الله تعالى ، فقال : { يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى } [طه/7] —

1. السابق ص 405 .

2. السابق ص 41 ، ص 42 .

وقد قيل : إن الخشية انكسار القلب من دوام الانتصاب بين يدي الله تعالى ثم من بعد هذه المرتبة الشريفة ، والحال الرفيعة التي وصفهم الله تعالى بها من الخشية والإشفاق وغير ذلك ، قال : { وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } [المؤمنون/58] وكانوا قبل الخشية والإشفاق مؤمنين بآيات الله ، فعلم أنه أراد بذلك زيادة الإيمان (1) .

ويروى عن أبي علي الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : ( الخشية من شرط العلم ، لقوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28] ) (2) .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) أن الحجارة منها ما تظهر عليه آثار خشية الله ، أما القلوب إذا منيت بإعراض الحق عنها ، وخصت بانتزاع الخيرات منها فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، قال تعالى : { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة/74] (3) وقال أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) في بيان العلاقة بين البكاء والخشية : البكاء ثمرة الخشية ، وكل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله ، فهو إظهار لفضيلة الخشية ، قال تعالى : { وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } [الإسراء/109] (4) .

1. اللمع ص 116:117 .
2. الرسالة القشيرية 343/1 .
3. لطائف الإشارات 99/1، 100 .
4. إحياء علوم الدين 171/4 .

\*\*\*\*\*

## 55- الخُلُق

\*\*\*\*\*

- الخُلُق : الخلق يراد به القوى والسجاي المدركة بالبصيرة ، وقد يكون الخلق فطريا أو كسبيا (1) ، فمن الخلق على معنى السجية الفطرية ، ما روى عن المسور بن مخرمة τ ، قال : " خرج رسول الله ε زمن الحديبية ، فقالوا : خلأت القصواء ، خلأت القصواء ، فقال النبي ε : ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل " (2) ، وعن حذيفة بن أسيد الغفاري τ ، قال ε : " إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ، ثم يتصور عليها الملك فيقول : يا رب ، أذكر أو أنثى ؟ ، فيجعله الله ذكرا أو أنثى ، ثم يقول : يا رب أسوي أو غير سوي ؟ ، فيجعله الله سويا أو غير سوي ، ثم يقول : يا رب ما رزقه ما أجله ما خلقه ؟ ، ثم يجعله الله شقيا أو سعيدا " (3) .

ومن الخلق على معنى السلوك المكتسب ، قوله تعالى في وصف خلق النبي صلى الله عليه وسلم : { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4]

، وعن البراء بن عازب  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  قال لجعفر : " أشبهت خلقي  
وخلقي " (4) ، وقالت —

1. لسان العرب 85/10 ، والمفردات ص 157 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الشروط □ (2734) 416/5 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب القدر □ (2645) 2038/4 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب الصلح □ (2700) 358/5 .

امرأة ثابت بن قيس : " يا رسول الله ، إني لا أعتب على ثابت في  
دين ولا خلق ، ولكني لا أطيقه ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : فتردين عليه  
حديثه ؟ قالت : نعم " (1) ، وعن مسروق  $\tau$  ، قال رسول الله  
 $\varepsilon$  : " إن من أخيركم أحسنكم خلقا " (2) ، ومن حديث النواس بن  
سمعان الأنصاري  $\tau$  ، قال سألت رسول الله  $\varepsilon$  عن البر والإثم ؟ ،  
فقال : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن  
يطلع عليه الناس " (3) ، وقالت عائشة رضى الله عنها : " ما كان  
خلق أبغض إلى رسول الله  $\varepsilon$  من الكذب " (4) ، وعن أبي ذر  $\tau$  قال  
: " قال لي رسول الله  $\varepsilon$  ، اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة  
تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن " (5) .

والخلق نوع من الطيب أصفر اللون ، وقيل له خلق لتحلى  
الإنسان به قال عمار بن ياسر  $\tau$  : " تخلقت خلوقا ، فجئت إلى  
رسول الله  $\varepsilon$  ، فانتهرني وقال : اذهب يا ابن أم عمار ، فاغسل عنك  
" (6) ، وفي رواية أخرى ، قال  $\tau$  : " قدمت على أهلي ليلا ، وقد

تشققت يداي فخلقوني بزعفران ، فغدوت على النبي ة وسلمت عليه

، فلم يرد علي ولم يرحب بي ، وقال : اذهب —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق □ (5275) 307/9 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب □ (6029) 466/10 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب البر □ (2553) 1980/4 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة □ (1973) وقال الألبانى : حسن 348/4 .
5. أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة □ (1987) وقال الألبانى : حسن 355/4 .
6. أخرجه أبو داود فى السنن (4601) وحسنه الألبانى 199/4 .

فاغسل هذا عنك ، فذهبت فغسلته ثم جئت ، وقد بقي علي منه  
ردع فسلمت فلم يرد علي ولم يرحب بي ، وقال : اذهب فاغسل هذا  
عنك ، فذهبت فغسلته ثم جئت فسلمت عليه ، فرد علي ورحب بي  
وقال : إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضخم  
بالزعفران ولا الجنب " (1) .

## - الخلق فى الاصطلاح الصوفى :

الخلق فى الاصطلاح الصوفى ، هو ما يرجع إليه المكلف من نعتة ،  
فخلق كل مخلوق هو ما اشتملت عليه نعوته وصفاته ، فكأن المراد  
بالخلق ، صفات النفس فإن كانت محمودة ، فهو على خلق محمود ،  
وإن كانت مذمومة فهو على خلق مذموم (2) .

- 
1. أخرجه أبو داود فى كتاب الترجل □ (4176) وقال الشيخ الألبانى : حسن 79/4 وأخرجه  
البيهقى فى السنن الكبرى (8754) 36/5 ، وانظر عن الأخلاق فى الكتاب والسنة ، رسالة



دكتوراه بعنوان الفضائل الخلقية في الإسلام ، إعداد أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، مكتبة كلية دار العلوم سنة 1977م ، دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ، ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ، سنة 1973م وتهذيب الأخلاق لأبي علي أحمد مسكويه ، تحقيق قسطنطين زريق ، طبعة دار الحياة بيروت ، والاتجاه الأخلاقي في الإسلام للدكتور مقداد بالجن ، مطبعة الخانجي ، طبعة أولى سنة 1973م ، وله أيضا : التربية الأخلاقية في الإسلام ، سنة 1977م ، وتاريخ الأخلاق في الإسلام للدكتور محمد يوسف موسى سنة 1952م .

2. لطائف الإعلام 452/1 .

وعبارات الصوفية في مصطلح الخلق ، تعبر في أغلبها عن الأصول القرآنية والنبوية ، فروى عن أبي عثمان المغربي (ت:373هـ) أنه قال : ( حسن الخلق هو الرضا عن الله تعالى ) (1) .

ويروى أيضا عن أبي سعيد الخراز (ت:279هـ) أنه قال : ( الخلق هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى ) (2) ، ويذكر أن سهلا بن عبد الله التستري (ت:293هـ) سئل عن حسن الخلق ؟ ، فقال : ( أدناه الاحتمال ، وترك المكافأة ، والرحمة للظالم ، والاستغفار له ، والشفقة عليه ، وأن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ، ويسكن إلى الوفاء بما ضمن ، فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه ، وفيما بينه وبين الناس ) (3) ويروى عن شاه الكرمانى (ت:قبل300هـ) أنه قال : ( علامة حسن الخلق ، هو كف الأذى ، واحتمال المؤن ) (4) .

وربما يجعل بعضهم الخلق على معنى بعيد ، فيه نوع من المخالفة ، كما يروى عن أبي بكر الواسطي (ت:بعد320هـ) أنه قال : ( الخلق

العظيم أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى ، وحسن الخلق ، إرضاء الخلق فى السراء والضراء ، والخلق العظيم وصف به نبينا ة :

1. إحياء علوم الدين 57/3 .
2. الرسالة القشيرية 495/2 .
3. إحياء علوم الدين 57/3 .
4. الرسالة القشيرية 496/2 .

{ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4] لأنه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى (1) .

وقوله جاد بالكونين فيه نظر ، لأنه يعنى الدنيا والآخرة ، والذى تدل عليه الأصول القرآنية والنبوية أنه ة جعل الدنيا وسيلة إلى الآخرة (2) .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد ، وبه يظهر جواهر الرجال ، والإنسان مستور بخلقه ، مشهود بخلقه ، ويستدل لحسن الخلق بقوله تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم/4] ، ومن السنة ما روى عن أنس قيل : " يا رسول الله : أى المؤمنين أفضل إيماناً ؟ قال : أحسنهم خلقاً " (3) .

ويقرر أبو حامد الغزالي فى الكشف عن حقيقة الخلق الحسن ، أن الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا ، يقال : فلان حسن الخلق

والخلق أى حسن الباطن والظاهر ، فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ،  
ويراد بالخلق الصورة الباطنة وذلك لأن الإنسان مركب من جسد

مدرک بالبصر ، ومن روح ونفس مدرک —

1. إحياء علوم الدين 57/3 وانظر السابق 494/2 .

2. انظر للتعرف على المزيد فى موقف أوائل الصوفية من الأخلاق ، الوجهة الأخلاقية للتصوف  
الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى للدكتور أبى اليزيد العجمى ، مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة  
سنة 1976م .

3. الرسالة 494/2 والحديث حسن صحيح ، أخرجه الترمذى فى كتاب الرضاع عن أبى هريرة  
(1162) بلفظ : ( أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرَكُمْ خَيْرًا لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا ) ،  
وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 466/3 .

بالبصيرة ، ولكل واحد منهما هيئة وصورة ، إما قبيحة وإما جميلة ،  
فالنفس المدركة بالبصيرة ، أعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ،  
ولذلك عظم الله أمره بإضافته إليه ، إذ قال تعالى : { إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا  
مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ }  
[ص/71:72] ، فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين ، والروح إلى رب  
العالمين ، فالخلق عبارة عن هيئة فى النفس راسخة عنها تصدر الأفعال  
بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية ، فإن كانت الهيئة بحيث  
تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا ، سميت تلك الهيئة  
خلقا حسنا ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة  
التي هى المصدر خلقا شيئا (1) .

1. إحياء علوم الدين 58/3 وانظر للتوسع والمقارنة المراجع الآتية : الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام للدكتور مصطفى حلمي ، مطبعة دار الثقافة العربية طبعة أولى ، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي ، للدكتور أحمد محمود صبحي ، طبعة دار المعارف ، المشكلة الأخلاقية لأندريه كريسون ، ترجمة الدكتور عبد الحلیم محمود سنة 1946م ، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، للدكتور توفيق الطويل ، طبعة دار النهضة العربية ، طبعة ثالثة سنة 1976م ، في العقيدة والأخلاق للدكتور محمد بيصار طبعة سنة 1973م ، فلسفة الأخلاق في الإسلام ، للدكتور محمد يوسف موسى سنة 1942م ، الأخلاق بين العقل والنقل للدكتور أبي اليزيد أبي زيد العجمي ، مكتبة دار الثقافة العربية سنة 1988 ، الأخلاق دراسة فلسفية دينية للدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوي ، طبعة مطبعة الجبلأوى ، القاهرة سنة 1990 ، الأخلاق بين الفلسفة والإسلام للدكتور عبد المقصود عبد الغنى ، طبعة مكتبة الزهراء ، القاهرة سنة 1987م .

ويقسم الكاشاني الخلق عند الصوفية إلى أنواع (1) :

أ- الخلق الحسن مع الحق : وهو علم العبد أن كل ما يأتي منه يوجب عذرا لأنه لنقصانه لا يبدو منه إلا النقص ، وأن كل ما يأتي من الحق يوجب شكرا ، لأن الجود الكامل لا يصدر عنه إلا الجود والتفضل .

ب- الخلق الحسن مع الخلق : هو المستجمع أموراً ثلاثة وهي : بذل المعروف واحتمال الأذى وكفه ، وإنما كان كف الأذى من جملة مكارم الأخلاق لأنه لما كان العبد متمكناً من فعل الأذى وكفه ، ثم تركه من خشية الله تعالى ، كان جزاؤه أن يكتسب له حسنة .

ج- الخلق الكامل : هو المستجمع أموراً ثلاثة ، هي العلم والجود والصبر وهذه الأوصاف الثلاثة ، هي التي لا يصح لأحد تحسين خلقه مع الحق ولا مع الخلق إلا بالاتصاف بجميعها .

د- الخلق العظيم : هو أكمل ما يمكن أن يتصف به الإنسان من مكارم الأخلاق ، ولهذا جمعها الله في نبينا محمد ع ، قال تعالى : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } [الفلم/4] .

ويجدر التنبيه على أن التصوف في مرحلته الأولى ، عرف بأنه دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، كما نسب إلى أبي الحسين النورى (ت:295هـ) أنه قال : ( ليس التصوف رسوما ولا علوما ، ولكنه أخلاق ) (2) ، وينسب أيضا لمحمد —

1. لطائف الإعلام 454:452/1 .

2. كشف المحجوب ص52 ، طبقات الصوفية ص 167 .

المرتعش (ت:328هـ) : ( التصوف حسن الخلق ) (1) ، ويذكر لأبي بكر الكتانى (ت:322هـ) : ( التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق ، فقد زاد عليك في التصوف ) (2) ، إلا أن التصوف لم يعد معبرا عن الأخلاق ، ورأى كثير من الصوفية عدم كفاية الأخلاق ، لإشباع التصوف وامتلائه ، يقول الدكتور عبد الحلیم محمود مصورا هذه الحقيقة : ( يتجه الكثير من الناس في تعريف التصوف إلى الجانب الأخلاقى ، وهذا الاتجاه شائع عند الصوفية أنفسهم ، وعند غيرهم من الباحثين في التصوف والمؤرخين له ، وهذا الاتجاه لا يعبر عن التصوف تعبيرا دقيقا ، فالذين ذكروا التعريف الأخلاقى للتصوف ذكروا هم أنفسهم تعاريف أخرى ، وذلك على الأقل يدل دلالة لا

لبس فيها على أنهم ، لم يروا كفاية الجانب الأخلاقي في تحديد التصوف وتعريفه (3) .

\*\*\*\*\*

## 56 - الخلة

\*\*\*\*\*

- الخلة : خالص المودة ، مأخوذة من تحلل الأسرار بين الصديقين ،  
يقول —

1. السابق ص 52 .

2. الرسالة 495/2 ، وانظر السابق ص 48 .

3. قضية التصوف المنقذ من الضلال ، للدكتور عبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية دار المعارف ، سنة 1985م ص 38، 39 .

الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [البقرة/254] ، وقوله تعالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } [النساء/125] ، أى جعله صفة له ، وخصه بكراماته ، قال ثعلب : إنما سمي الخليل خليلا ، لأن محبته تتخلل القلب ، فلا تدع فيه خليلا إلا ملأته (1) .

والخلة درجة أعلى من المحبة ، وهى ثابتة فى القرآن والسنة لنبيين اثنين ، هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فعن عبد الله بن مسعود ؓ أن النبي ﷺ قال : " لو كنت متخذا خليلا ، لاتخذت أبا

بكر خليلا ، ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا " (2) ، وعن جندب ؓ قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : " إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا ، لاتخذت أبا بكر خليلا ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك " (3) .

#### - الخلة في الاصطلاح الصوفي :

1. فتح القدير 370/1 .
2. أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة □ (2383) 1855/4 .
3. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة (466) 665/1 ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (532) 377/1 واللفظ له .

والخلة ترد عند أغلب الصوفية حول المعنى القرآنى السابق ، فإما يقصدون بالخلة أن تمتلأ جميع الأعضاء بحب المحبوب ، أو يعنون تخلية القلب عما سوى المحبوب ، أو تخلل مودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته (1) .

ويذكر القشيري أن الخلة لبسة يلبسها الحق لمن شاء ، لا صفة يكتسبها العبد وأن الخليل هو المحتاج بالكلية إلى الحق في كل نفس ، ليس له شئ منه ، بل هو بالله لله في جميع أنفاسه وأحواله ، اشتقاقا

من الخلة التي هي الخاصة وهي الحاجة ، ويقال : إنه من الخلة التي هي المحبة ، والخلة أن تباشر المحبة جميع أجزائه ، وتتخلل سره حتى لا يكون فيه مساغ للغير ، قال تعالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } [النساء/125] ، فلما صفاه الله سبحانه عنه وأخلاه منه ، نصبه للقيام بحقه ، بعد امتحائه عن كل شيء إلا الله سبحانه (2) .

والخلة من منظور وحدة الوجود هي تحقق العبد بصفات الحق ، بحيث تخلله الحق فيكون العبد مرآة الحق (3) .

ومعنى قوله تعالى : { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } [النساء/125] ، أى يخاله ويدخله فى خلال ذاته وصفاته وأفعاله ، بحيث لا يذر منها بقية ، أو يسد خلله ويقوم بدل ما يفنى منه ، عند تكميله وفقره إليه (4) .

- 
1. كشاف التهانوى ص232 .
  2. لطائف الإشارات 367/1 ، 368 .
  3. معجم الكاشانى ص179 .
  4. تفسير القرآن لابن عربى 289/1 ، وقارن مع أدب الدنيا والدين ، للماوردى طبعة مطبعة السعادة سنة 1921م ص 21 .

قال ابن عربى : ( إنما سمي الخليل خليلا ، لتخلله وحصره جميع ما اتصف به الذات الإلهية ، قال الشاعر :

قد تخللت مسلك الروح منى : وبذا سمي الخليل خليلا



كما يتخلل اللون المتلون ، فيكون العرض بحيث جوهره ، ما هو  
المكان المتمكن ، أو لتخلل الحق وجود صورة إبراهيم (1) .  
وليست درجة الخلطة أعلى من المحبة عندهم ، كما ورد في الأصول  
القرآنية ولكنها أدون وأقل ، يقول الكاشاني : ( الخليل وإن كان  
أعلى مرتبة من الصفي ، لكنه أدون من الحبيب ، لأن الخليل محب  
يوشك أن يتوهم فيه بقية غيرية والحبيب محبوب لا يتصور فيه ذلك )  
(2) .

\*\*\*\*\*

## 57 - الخلووة

\*\*\*\*\*

- الخلووة : خلا فلان بفلان صار معه في خلاء ، ويرد على عدة  
معان (3) :

1- خلا بمعنى انفرد وانتهى إلي خلوة كقوله تعالى : { اقْتُلُوا يُوسُفَ  
أَوْ اطْرَحُوهُ —

1. فصوص الحكم ص 87 ، 88 ، والفتوحات المكية 362/2 وما بعدها ، وانظر تعليق الدكتور أبي

العلا عفيفي في شرحه على الفصوص في معنى الخليل 57/2 .

2. تفسير القرآن لابن عربي 289/1 .

3. لسان العرب 218/11 ، والمفردات ص 158 ، وكتاب العين 306/4 .

أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ { [يوسف/9] ، وقوله : { وَإِذَا خَلَوْا إِلَى

شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ { [البقرة/14] ، وقال النبي ﷺ

، لعمر بن الخطاب  $\tau$  : " يا عمر إنك رجل قوي ، لا تزاحم على الحجر ، فتؤذي الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه ، وإلا فاستقبله فهلل وكبر " (1) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه سمع النبي  $\varepsilon$  ، يقول : " لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم " (2) ، وقال خبيب بن الأرت : " كنت مع رسول الله  $\varepsilon$  في طريق مكة ، فأصبت خلوة من رسول الله  $\varepsilon$  ، فدنوت منه فقال : قل أعوذ برب الفلق حتى ختمها ، ثم قال : قل أعوذ برب الناس حتى ختمها ، ثم قال : ما تعوذ الناس بأفضل منهما " (3) ، وقال سعد بن معاذ  $\tau$  لأمية بن خلف : " انظر لي ساعة خلوة ، لعلني أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريبا من نصف النهار " (4) .

2- خلا بمعنى سبق ومضى ، ومنه قوله تعالى : { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } [الحاقة/24]  $\varepsilon$  ، وقوله : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ } [البقرة/214] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " إنما أجلكم في أجل من خلا من

1. ضعيف ، أخرجه أحمد في المسند □ (191) في سنده رجل مبهم ، والبيهقي في السنن الكبرى . 80/5 (9043) .

2. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد □ (3006) 166/6 .

3. صحيح الإسناد أخرجه النسائي في كتاب الاستعاذة □ (5429) 250/8 .

4. أخرجه البخاري في كتاب المغازي □ (3950) 329/7 .

الأمم ، ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس ) (1) .  
3- خلا من الأمر براء منه ولم يصبه ، قال τ : " مر النبي ε بامرأة ،  
وهي تبكي عند قبر ، فقال : اتقي الله واصبري ، فقالت : إليك عني  
، فإنك خلو من مصيبي " (2) .

4- وخليت فلانا تركته ، يقال لكل ترك تخلية ، نحو قوله تعالى : {  
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ } [التوبة/5] ، وعن  
المسور بن مخزومة قال رسول الله ε : " يا ويح قريش لقد أكلتهم  
الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس فإن أصابوني كان  
الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام " (3) وقال ابن  
عمر رضي الله عنهما : " رأيت على عهد النبي ε كأن بيدي قطعة  
إستبرق فكأنني لا أريد مكانا من الجنة إلا طارت إليه ورأيت كأن اثنين  
أتياني أرادا أن يذهبا بي إلى النار فتلقاهما ملك فقال لم ترع خليا عنه  
" (4) .

5- والمرأة الخلية المخلاة عن الزوج ، وقال مالك رحمه الله في الرجل  
يقول لامرأته : أنت خلية ، أو برية ، أو بائنة : ( إنها ثلاث  
تطبيقات للمرأة التي قد دخل بها ) (5) .

---

1. أخرجه البخارى في كتاب أحاديث الأنبياء □ (3459) 571/6 .  
2. أخرجه البخارى في كتاب الأحكام □ (7154) 142/13 .  
3. أخرجه أحمد في المسند □ (18431) والبخارى في كتاب الشروط ( 2734 ) .

4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة □ (1158) 48/3 .

5. انظر موطأ مالك كتاب الطلاق 584/2 .

## - الخلوة فى الاصطلاح الصوفى :

والخلوة فى الاصطلاح الصوفى ، تأتى على معنى الانفراد والوحدة والتخلى لذكر الله ، فاللفظ باق عندهم على معناه اللغوى ، روى عن بشر بن الحافى (ت:227هـ) أنه قال فىمن يتفرد ويختار الخلوة : ( ليتق الله تعالى عند خلوته وليلزم بيته ، وليكن أنيسه الله عز وجل وكلامه ) (1) ، ويروى عن ذى النون المصرى (ت: 245هـ) أنه قال : ( لم أر شيئا أبعث لطلب الإخلاص من الوحدة ، لأنه إذا خلا لم ير غير الله تعالى ، فإذا لم ير غيره لم يحركه إلا حكم الله ، ومن أحب الخلوة ، فقد تعلق بعمود الإخلاص واستمسك بركن كبير من أركان الصدق ) (2) .

وينسب لىحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أن المسلم فى خلوة دائمة لأن الخلوة ، إنما تكون فى الأئس بالله ، فقال : ( أنظر أنسك بالخلوة ، أو أنسك معه فى الخلوة ، فإن كان أنسك بالخلوة ، ذهب أنسك إذا خرجت منها ، وإن كان أنسك به فى الخلوة ، استوت لك الأماكن فى الصحارى والبرارى ) (3) ولأبى عثمان المغربى (ت:373هـ) : ( من اختار الخلوة على الصحبة ، ينبغى أن يكون خاليا من جميع الأذكار إلا ذكر ربه ، وخاليا من جميع الإرادات إلا

رضا ربه ، وخاليا من مطالبة النفس من جميع الأسباب ، فإن لم يكن  
بـهذه —

1. اللمع ص 277 .

2. طبقات الصوفية ص 21 .

3. الرسالة القشيرية ص 301 .

الصفة فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية (1) ، وروى عن سهل بن  
عبد الله التستري (ت: 293هـ) : ( لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال  
، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله ) (2) .

ويذكر أن الجنيد بن محمد (ت: 297هـ) سئل عن الخلوة ؟ فقال  
: ( إن السلامة مصاحبة لمن طلب السلامة ، فترك المخالفة وترك  
التطلع إلى ما أوجب العلم مفارقتة ) (3) .

وقال الحكيم الترمذى (ت: 320هـ) في بداية تصوفه : ( ووقع  
على حب الخلوة في المنزل والخروج إلى الصحراء ، فكنت أطوف في  
تلك الخربات ، فلم يزل ذلك دأبي ، وطلبت أصحاب صدق ،  
يعينونني على ذلك فعز على فاعتصمت بهذه الخرابات والخلوات )  
(4) .

ويعبر الكاشاني عن هذه المعاني السابقة بقوله : ( الخلوة عند  
الصوفية ، محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره ، هذا حقيقة  
الخلوة ومعناها ، وأما صورتها فهي ما يتوصل به إلى هذا المعنى من  
التبتل إلى الله والانقطاع عن الغير ) (5) .

1. السابق ص 300 .

2. السابق ص 301 .

3. اللمع ص 277 .

4. ختم الأولياء ص 15 ، 16 .

5. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 161 .

والخلوة أصبحت منذ وقت مبكر إلى عصرنا ، علما على مكان مخصوص للصوفية اتخذوه رباطا ، سواء كان المكان ملحقا بالمسجد أو منفردا عنه يجتمعون فيه للحضرة الصوفية وتلاوة الأوراد والذكر ، وسماع قصائد المنشدين في مدح الأولياء والعارفين ، حتى أصبحت الخلوة مزارا للعامّة والمريدين ، ومقرا للاحتفالات بالموالد والأعياد (1) .

\*\*\*\*\*

## 58- الخليفة

\*\*\*\*\*

- الخليفة : الخلافة النيابة عن الغير ، وهي على نوعين (2) :

1- الخلافة لعجز المنوب عنه أو غيبته أو موته ، كقوله تعالى : □ { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي } [الأعراف/142] ، وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَكَم خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ } [فاطر/39] ، ومنها ما قاله عمر بن الخطاب Ⓜ : " إني لا أعلم

أحداً أحق بهذا الأمر ، من هؤلاء نفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، فمن استخلفوا بعدي ، فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا " (3) .

- 
1. انظر في بيان وظيفة الرباط عند الصوفية وأماكنها ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 100/10 ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي 290/5 .
  2. المفردات ص 156 ، ولسان العرب 89/9 ، كتاب العين 267/4 .
  3. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز □ (1392) 301/3 .

وعن ابن عمر  $\tau$  ، كان من دعائه ﷺ في السفر : " اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل " (1) ، ومن حديث أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، قال رسول الله ﷺ : " إذا بويع لخلفتين ، فاقتلوا الآخر منهما " (2) ، وعن النواس بن سمعان  $\tau$  ، قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع ، فقال : " غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم ، فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم " (3) .

2- الخلافة لتشريف المستخلف أو ابتلائه ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله آدم وذريته في الأرض ، فقال سبحانه : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة/30] على وجه الابتلاء كما قال : { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ }

[الإنسان/2] ، وقال أيضا : { يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ } [ص/26] ، وعن أبي سعيد الخدري  $\tau$  قال  $\varepsilon$  : " ما استخلف خليفة إلا له بطانتان بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصم الله " (4) .

1. أخرجه مسلم في كتاب الحج □ (1342) 978/2 .
2. أخرجه مسلم في كتاب الإمارة □ (1853) 1480/3 .
3. أخرجه مسلم في كتاب الفتن □ (2937) 2250/4 .
4. أخرجه البخارى في كتاب القدر □ (6611) 58/11 .

قال  $\varepsilon$  لحذيفة : " ثم تكون دعاة الضلالة ، فإن رأيت يومئذ خليفة الله في الأرض فالزمه " (1) .

### - الخليفة في الاصطلاح الصوفي :

والخليفة في الاصطلاح الصوفي ، يتوافق في الأغلب مع ما سبق ، فالأوائل يعنون بالخليفة آدم وذريته ، حيث استخلفهم الله في الأرض ، وابتلاهم فيها واستأمنهم على ملكه ، كما ذكره أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) في شأن الأنبياء عليهم السلام ، والعلماء والصالحين من بعدهم رضى الله عنهم ، كيف ملكوا الدنيا ، وكانوا أزهد الناس فيها ؟ فبين أنهم كانوا أمناء الله تعالى في أرضه على سره ، وعلى أمره ونهيهِ وعلمه ، وموضع وديعته والنصحاء له في خلقه وبريته ، وهم الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيهِ ، وفهموا لماذا خلقهم وما أراد



منهم ، وإلى ما ندبهم ، فسمعوا الله عز وجل يقول : { آمَنُوا بِاللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } [الحديد/7] ثم قال : { ثُمَّ  
جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ }  
[يونس/14] ، فأيقن القوم أنهم وأنفسهم لله تعالى ، وكذلك ما خولهم  
وملكهم فإنما هو له ، غير أنهم في دار اختبار وبلوى ، وخلقوا  
للاختبار والبلوى في هذه الدار ، فمن ملك شيئاً من الدنيا ، فهو  
معتقد أن الشيء لله تعالى لا له ، إلا من طريق حق ما خوله الله تعالى  
واستخلفه ، وهو مبلى به حتى يقوم بالحق فيه ، فكانوا خزاناً لله جل  
ذكره ، خارجين من ملكهم في ملكهم ، ناعمين بذكر الله وعبادته ،  
غير —

1. أحمد في المسند □ (22916) وأبو داود (4244) وحسنه الشيخ الألباني 95/4 .

ساكنين إلى ما ملكوا ، لا يستوحشون من فقدته إن فقدوه ، ولا  
يفرحون به إن  
وجدوه (1) .

وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( وللخليفة شأن في ملك  
المستخلف والآدمى هو الخلق الوحيد الذى خلق لذلك ، فقد خلق  
آدم بيديه ، وعلمه الأسماء كلها ، وقد خلقنا لمحبته ، وجعلنا موضعاً  
لتوارد مختلف مشيئاته واقتضى منا الخدمة والوقوف بين يديه وتنفيذ  
هذه المشيئات ، فولاية المرء قائمة على تنفيذ أحكام الله ، فإنه إذا

وفى لله بالصدق فى سعيه إليه ولاه ، حتى يرقيه إلى درجة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم ولاه خزانته وصيره من أمنائه على حكمه ، فمن ولى الله تدبيرهم وأدبهم وولاهم ولايته ، فهم أولو الأمر وخلفاء الله صرخوا إلى الله مضطرين ، فأجابهم وكشف السوء عنهم ، وجعلهم خلفاء الأرض بلا إله إلا الله ( 2) .

ويذكر القشيري (ت:465هـ) أن ابتداء ظهور السر فى آدم وذريته حين قال : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } ، فلما ركب صورته لم يكونوا رأوا مثلها فى بديع الصنعة وعجيب الحكمة ، فعندها ترجمت الظنون وتقسمت القلوب وتجتت الأقاويل ، وإنما قال للملائكة ذلك تشريفاً وتخصيصاً لآدم بالخلافة (3) .

---

1. كتاب الصدق ص32:39 .

2. نوارد الأصول للحكيم الترمذى ص382 ، 383 .

3. لطائف الإشارات 74،75/1 .

ولابن عربى (ت:638هـ) بلسان أهل الظاهر حيث يشرح المعنى السابق الذى يوافق الأصول القرآنية ، فيقول : ( إن الخلافة مدرجة فى جميع النوع الإنسانى ، كما نبه عليه سبحانه وتعالى فى قوله : { وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ } [الحديد/7] ، فهذا النوع الإنسانى مستخلف من قبل الحق بقدر وسعه ، فأدناهم المستخلف على

نفسه ، وأكملهم المستخلف على العالم بأسره ) (1) ، ويقول أيضا : ( وكما أن الخليفة قد استخلف من استخلفه في ماله ، وجميع أحواله لما اتخذه وكيلا ، فاستخلاف العبد ربه ، لما اتخذه وكيلا خلافة مطلقة ، واستخلاف الرب عبده خلافة مقيدة ، بحسب ما تعطيه ذاته ونشأته ) (2) .

وربما يعنى ابن عربى بالخليفة فى فلسفته أمرا آخر ينبعث من نظرتة الباطنة المغلفة بفكره فى وحدة الوجود فمن ذلك :

1- الخليفة هو الذى يتلقى الأمر من الله مباشرة بلا واسطة كما يتلقى الخلفاء الأمر من الرسل فى ظاهر الشرع ، فىقول : ( لله فى الأرض خلائف عن الله وهم الرسل ، وأما الخلافة اليوم ، يقصد الخلافة الظاهرة ، فعن الرسل لا عن الله فإنهم ما يحكمون إلا بما شرع لهم الرسول لا يخرجون عن ذلك ) (3) ويقول فى الخلافة الباطنة عند الصوفية : ( الخليفة الحق هو القطب القائم بورثة النبوة —

1. بلغة الخواص ق 23 .

2. الفتوحات المكية 299/3 .

3. فصوص الحكم 162/1 .

فالرسول صلى الله عليه وسلم مات وما نص بخلافة عنه إلى أحد ولا عينه لعلمه أن فى أمته من يأخذ الخلافة عن ربه ، فىكون خليفة عن الله مع الموافقة فى الحكم المشروع ) (1) .

وهذا الخليفة أو كما يسميه القطب أو الغوث ، تحت يده وزيران  
إمامان وهو موضع نظر الحق ، وله ما للخليفة من خصائص وحقوق  
وواجبات ، إذا ولاه الله سبحانه وتعالى نصب له في حضرة المثال  
سريرا أقعده عليه ، فإذا نصب له ذلك السرير ، خلع عليه جميع  
الأسماء التي يطلبها العالم ، وتطلبه فيظهر بها حللا وزينة ، وأمر الله  
العالم ببيعته على السمع والطاعة ، فيدخل في بيعته كل مأمور أعلى  
وأدنى إلا العالين من الملائكة والأفراد من البشر ، الذين لا يدخلون  
تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف ) (2) ، وعلى هذا أصبح لكل  
طريقة صوفية خليفة أعظم يرجعون إليه في أمورهم (3) .

(2) - الخليفة هو الله على اعتبار الوحدة ، فالعبد يستخلف ربه في  
دعائه عند ابن عربي لا على معنى الاستعانة والتوكل ، والله يستخلف  
العبد لا على معنى الابتلاء والتكليف ، ولكن على اعتبار الظهور  
والتعينات ، يقول محي الدين ابن عربي : ( يقول رسول الله ﷺ في  
دعائه ربه في سفره : " أنت الصاحب في —

1. الفتوحات المكية 148/4 .

2. بلغة الخواص ق 60 ، فصوص الحكم 163/1 .

3. البناء الاجتماعي للطريقة الشاذلية في مصر للدكتور فاروق أحمد مصطفى ص 319 .

السفر والخليفة في الأهل " (1) ، فما جعله خليفة في أهله ، إلا عند فقدهم إياه فينوب الله عن كل شئ ، أى يقوم فيه مقام ذلك الشئ بهويته ) (2) .

ومن كلامه أيضا : ( وإنما كانت الخلافة لآدم عليه السلام دون غيره من أجناس العالم ، لكون الله تعالى خلقه على صورته ) (3) .  
ويقول : ( إن الإنسان هو العين المقصودة لله من العالم ، وإنه الخليفة حقا وإنه محل ظهور الأسماء الإلهية وهو الجامع لحقائق العالم كله ) (4) .

\*\*\*\*\*

## 59 - الخوف

\*\*\*\*\*

- **الخوف** : ضد الأمن ، وهو توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع ، توقع محبوب عن أمانة مظنونة أو معلومة ، قال الله تعالى : { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ } [الأنعام/81] .

ويستعمل الخوف في الأمور الدنيوية والأخرية (5) :

---

1. جزء من حديث ابن عمر أخرجه مسلم في كتاب الحج □ (1342) .

2. الفتوحات المكية 136/3 ، 137 .

3. السابق 263/1 .

4. السابق 125/1 .

5. المفردات ص 162 ، ولسان العرب 99/9 ، وكتاب العين 312/4 .

1- فمن الخوف المتعلق بالأمر الدنيوية قوله تعالى عن موسى ؑ : { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ } [القصص/18] وقوله تعالى : { وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا مَثَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ } [النساء/3] وقوله : { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا } [النساء/35] ، وعن أسامة بن زيد ؓ ، قال : " بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فأدركت رجلا ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته ، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟ قلت : يا رسول الله ، إنما قالها خوفا من السلاح ، قال : أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ " (1) ، وقد ورد في السنة ما يدل على خوفه ﷺ من أمور تقع فيها أمته منها :

أ- عن أبي سعيد الخدري ؓ قال ﷺ : " أخوف ما أخاف عليكم ، ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا ، قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ ، قال : بركات الأرض " (2) .

ب- وعن جابر ؓ قال ﷺ : " إن أخوف ما أخاف على أمتي ، عمل قوم لوط " (3) .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان □ (96) 96/1 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة □ (1052) 728/2 .  
3. حديث حسن ، أخرجه الترمذى في كتاب الحدود (1457) 58/4 وابن ماجه في سننه (2563)  
856/2 .

ح- وعن عمر بن الخطاب τ ، أن رسول الله ﷺ قال : " إن أخوف ما أخاف على أمتي ، كل منافق عليم اللسان " (1) .

د- ومن حديث محمود بن لبيد τ ، أن رسول الله ﷺ قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء " (2) .

هـ- وعن أبي الدرداء τ قال : " عهد إلينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون " (3) .

2- ومن الخوف المتعلق بالأمر الأخرية ، قوله تعالى : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } [السجدة/16] ، وقوله : { وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } [الإسراء/57] ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ﷺ قال : " سبعة يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم .. ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله " (4) .

- 
1. أخرجه أحمد في المسند □ (144) ، وابن حبان في صحيحه برقم ( 80 ) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخارى 281/1 .  
2. أخرجه أحمد في المسند □ (23119) والطبرانى في الكبير ( 4301 ) وصححه الألبانى في سلسلة الأحاديث الصحيحة (951) .

3. أخرجه أحمد في المسند □ (26939) والدارمي في المقدمة (211) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1582) .

4. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة □ (1423) 344/3 .

والخوف يطلق كاصطلاح شرعى على صلاة المحارب ، فعن ابن عباس ؓ قال : ( فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ؓ ، في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ) (1) .

### - الخوف فى الاصطلاح الصوفى :

والخوف فى الاصطلاح الصوفى ، اسم جامع لحقيقة الإيمان ، وهو علم الوجود والإيقان ، وهو سبب اجتناب كل نهى ، ومفتاح كل أمر ، وليس شئ يحرق شهوات النفوس ، فيزيل آثار آفاتهما إلا مقام الخوف (2) .

والخوف عندهم معنى يتعلق بالمستقبل ، وهو ما يحذر من المكروه فى المستأنف ، لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه ، أو يفوته محبوب ، ولا يكون هذا إلا لشئ يحصل فى المستقبل ، فأما ما يكون فى الحال موجوداً ، فالخوف لا يتعلق به ، والخوف من الله تعالى ، هو أن يخاف أن يعاقبه الله ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ، وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى :

{ وَخَافُونِي إِذْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران/175] ، وقال : { فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي } [النحل/51] ومدح المؤمنين بالخوف ، فقال : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل/50] وينقسم الخوف إلى نوعين (3) :



1. أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين □ (687) 479/1 .

2. قوت القلوب 225/2 .

3. الرسالة القشيرية 342/1 ، حياة القلوب على هامش قوت القلوب 183/2 .

أ - الخوف الواجب وهو ما يمنع من المحرمات ويحمل على القيام بالواجبات .

ب - الخوف المندوب وهو ما يمنع عن كل مكروه وعن تعاطي الشبهات .

روى عن أبي سليمان الداراني (ت:215هـ) : أنه قال ( إذا سكن الخوف القلب أحرق الشهوات ) (1) ، وينسب إلى شقيق البلخي (ت:قبل 237هـ) قوله : ( من لم يكن معه ثلاثة أشياء ، لا ينجو من النار ، الأمن والخوف والاضطراب ) (2) ، ولذى النون المصري (ت:245هـ) : ( إذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه ، فالخوف رقيب العمل والرجاء شفيح المحن ) (3) .

ويروى عن يحيى بن معاذ الرازي (ت:258هـ) أنه قال : ( مسكين ابن آدم لو خاف من النار ، كما يخاف من الفقر لدخل الجنة ) (4) ، ويذكر أن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) سئل عن الخوف ؟ فقال : ( هو توقع العقوبة مع مجارى الأنفاس ) (5) .

ويروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) قال : ( الخوف من شرط الإيمان وقضيته لقوله تعالى : { وَخَافُونِي إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [آل عمران/175] ) (6) .

1. طبقات الصوفية ص 81 .

2. السابق ص 66 .

3. السابق ص 21 ، ص 24 .

4. الرسالة القشيرية 1 / 345 .

5. السابق 1 / 346 .

6. السابق 1 / 343 .

ولما كان الخوف مما يسكن القلب ، وهو من المعاني التي لا ترى ، كانت معرفته بظهور علاماته على الخائف ، وقد ذكروا بعضها منها (1) :

(1- الخائف يبصر ما هو فيه من الخير والشر .

(2- ليس الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه ، إنما الخائف من يترك ما يخاف إن يعذب عليه .

(3- علامة الخوف الحزن الدائم .

(4- الخائف من أنزل نفسه منزلة السقيم ، الذى يجتمى من كل شئ مخافة طول السقام .

(5- علامة الخوف التحير والاضطراب .

- (6) - علامة الخوف قصر الأمل .
- (7) - علامة الخوف دوام المراقبة في السر والعلانية .
- (8) - علامة الخوف الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا .
- (9) - علامة الخوف النحول في الجسم ، والإصفرار في اللون ، وقد تتفتت منه المرارة ويفضى إلى الموت .

ويجتهد المكي في تفصيل مقامات الخوف دون دليل ، فيقول :

### الخوف اسم —

1. انظر الرسالة القشيرية 348:342/1 ، واللمع في التصوف ص 90:89 وقوت القلوب 229:225/2 ، ومنارات السائرين ومقامات الطائرين ص 380 ، وإحياء علوم الدين 173:163/4 .

جامع لمقامات الخائفين ، ثم يشتمل على خمس طبقات في كل طبقة ثلاث مقامات (1) :

&□□ فالمقام الأول من الخوف : هو التقوى ، وفي هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون .

& والمقام الثاني من الخوف : هو الحذر ، وفي هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون .

& والمقام الثالث : هو الخشية وفي هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين .

& والمقام الرابع : هو الوجل ، وهذا للذاكرين والمخبتين والعافين .

والمقام الخامس: هو الإشفاق وهو للصديقين ، وهم الشهداء  
والمحبون وخصوص المقربين ، وخوف هؤلاء عن معرفة  
الصفات لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لأجل  
العقوبات .

ويذكر الكاشاني أن الخائفين من الله سبحانه ، منهم من يبلغ  
الخوف به إلى حد الانخلاع عن طمأنينة الأمن خوفا من العقوبة أو  
من المكر أو الهيبة ، ويقسم الخوف إلى أنواع (2) :

1. خوف العامة : من العقوبة تصديقا بالوعيد .
2. خوف أرباب المراقبة : من المكر في جريان الأنفاس .
3. خوف الخاصة : إجلال وهيبة ، إذ ليس في مقام الخصوص

وحشة الخوف —

1. قوت القلوب 241/2 .

3. لطائف الإعلام 458:456/1 .

فالهيبة والإجلال هو أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف ، فإن  
الخوف من الإعراض ، إنما يكون على قدر الإقبال وحيثما كان  
الإقبال أتم كان الخوف من الإعراض أشد وحيث لا أتم من إقبال الله  
على عبده ، فكذا لا خوف أشد من الإجلال والهيبة .

\*\*\*\*\*

- **الدعوى** : الدعاء إلى الشيء الحث على قصده ، قال تعالى عن يوسف عليه السلام : { قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ } [يوسف/33] { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ } [يونس/25] ، والدعوة ترد على معنى النداء والطلب كقوله تعالى : { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا } [البقرة/69] ، وقوله سبحانه : { وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ } [فصلت/31] أى ما تطلبون ، وعن أم عطية رضى الله عنها قالت : " أمرنا أن نخرج الحيض يوم العيدين وذوات الخدور ، فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم ، ويعتزل الحيض عن مصلاهن " (1) ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال  $\epsilon$  : " حق المسلم على المسلم خمس ، رد السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس " (2) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة (351) 556/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (1240) 135/13 .

والدعوى الادعاء ، كقوله تعالى : { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَا } [الأعراف/5] ، والادعاء أن يدعى شيئا أنه له ، كما روى عن ثابت بن الضحاك  $\tau$  ، عن النبي  $\epsilon$  قال : " ليس على رجل نذر فيما لا يملك ، ولعن المؤمن كقتله ، ومن قتل نفسه بشيء فى الدنيا عذب

به يوم القيامة ، ومن ادعى دعوى كاذبة ليتكثر بها ، لم يزد الله إلا قلة " (1) .

والدعوة مختصة أيضا بادعاء النسبة ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص  $\tau$  أن رجلا قال : فلان ابني ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : " لا دعاوة في الإسلام " (2) وأصل الدعوة للحالة التي عليها الإنسان نحو القعدة والجلسة ، قال تعالى :

{ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس/10] ، وعن ابن مسعود  $\tau$  ، قال النبي  $\varepsilon$  : " ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية " (3) ، وروى عن جابر بن عبد الله  $\tau$  ، قال : " كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فاجتمع قوم ذا وقوم ذا ، وقال هؤلاء يا للمهاجرين ، وقال هؤلاء يا للأنصار فبلغ ذلك النبي  $\varepsilon$  ، فقال : دعوها فإنها منتنة ، ألا ما بال دعوى أهل الجاهلية

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (110) 110/1 .

2. أخرجه أحمد في المسند (6932) واللفظه ، وأبو داود في كتاب الطلاق (2274) وقال الألباني : حسن صحيح 2/ 283 .

3. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (1294) 195/3 .

ألا ما بال دعوى أهل الجاهلية " (1) .

الدعوى فى الاصطلاح الصوفى أن تضيف النفس إليها ما ليس لها ،  
بإدعاء النسبة لحال شريف يتوق إليه (2) .

روى عن مالك بن دينار والحسن البصرى وشقيق البلخى ، أنهم  
ذهبوا لزيارة رابعة العدوية (ت:185هـ) فى مرضها ، فقال لها الحسن  
: ليس بصادق فى دعواه من لم يصبر على ضرب مولاه .

فقلت رابعة : هذا كلام يشم فيه رائحة الأنانية .

فقال شقيق : ليس بصادق فى دعواه من لم يشكر على ضرب مولاه  
.

فقلت رابعة : يجب أن يكون أحسن من هذا .

فقال مالك : ليس بصادق فى دعواه من لم يتلذذ بضرب مولاه .

فقلت رابعة : يجب أن يقال أحسن من هذا .

فقالوا لها : تكلمى أنت يا رابعة .

فقلت : ليس بصادق فى دعواه من لم ينس الضرب فى مشاهدة  
مولاه (3) .

---

1. أخرجه أحمد فى المسند (14221) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3518)  
، وانظر كتاب العين للخليل بن أحمد 2/221 ، والمغرب فى ترتيب المغرب 1/288 ، والمفردات  
ص170 .

2. اللمع ص428 .

3. تذكرة الأولياء 1/71 ، 72 .

ويروى عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) أنه قال :  
أغلظ حجاب بين العبد وبين الله ، الدعوى ، وقال منشدا :  
ولما ادعيت الحب قالت كذبتني : فما لي أرى الأعضاء منك  
كواسيا (1) .

وينسب إلى أبي عمرو الزجاجي أنه سأل الجنيد (ت:297هـ) عن  
المحبة ؟ فقال : ( تريد الإشارة ؟ قلت : لا ، قال : تريد الدعوى ؟  
قلت : لا ، قال : فأيش تريد ؟ قلت : عين المحبة ، فقال : أن تحب  
ما يحب الله تعالى ، في عباده وتكره ما يكره الله تعالى في عباده ) (2)

ويذكر لابن عطاء الأدمي (ت:311هـ) أنه قال : ( ثلاثة مقرونة  
بثلاثة الفتنة مقرونة بالمنية ، والمحبة مقرونة بالاختيار ، والبلوى مقرونة  
بالدعوى ) (3) .

ولأبي الخير الأقطع ( ت:340هـ) : ( الدعوى رعونة لا يحتمل  
القلب إمساكها ، فيلقها إلى اللسان ، فتنتطق بها ألسنة الحمقى ، ولا  
يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه ) (4) .

وروى عن أبي عمرو الزجاجي (ت:348هـ) أنه كان يقول : ( من  
ليس له دعوى ، فليس فيه معنى ) (5) ، ويعنى بذلك أن تضيف  
النفس إليها من الطاعات التي ليست من أخلاقها وتكون معها بينة  
لما تدعى .



1. اللمع ص 429 .
2. طبقات الصوفية ص 163 .
3. السابق ص 269 .
4. السابق ص 372 .
5. اللمع ص 429 .

وقال الحسين بن منصور الحلاج (ت: 309هـ) معبرا عن مذهبه الحلولى : ( ما صحت الدعاوى لأحد ، إلا لإبليس وأحمد ، غير أن إبليس سقط عن العين ، وأحمد كشف له عن عين العين ، قيل لإبليس : اسجد ، ولأحمد : انظر هذا ما سجد ، وأحمد ما نظر ، ما التفت يمينا ولا شمالا : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } [النجم/17] ، أما إبليس فإنه دعا ، لكنه ما رجع عن حوله ، وأحمد ادعى ورجع عن حوله ، بقوله : بك أحول وبك أصول ، وبقوله : يا مقلب القلوب وقوله : لا أحصى ثناء عليك ) (1) .

وقال أيضا : ( فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون ، إبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه ، وفرعون أغرق في اليم ، وما رجع عن دعواه ، ولم يقر بالواسطة أبدا ، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداى ورجلاى ، ما رجعت عن دعواى ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 61- الدنيا

\*\*\*\*\*

- الدنيا : الدنو القرب ويستعمل في الزمان والمكان والمنزلة (3) :

1. الطواسين للحلاج نشر ماسينيون ص52Y51 .

2. السابق ص52 .

3. كتاب العين للخليل بن أحمد 75/7 ، المفردات ص172 .

1- قرب الزمان : ومنه سميت الدنيا لقرب انتهائها ، كقوله تعالى عن إبراهيم ؑ : { وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [النحل/122] والدنيا معاش الإنسان ، ووسيلته إلى الآخرة ، فمهما طال زمان المرء فيها فهو منصرم ، وعن أبي هريرة ؓ ، كان ؓ يقول : " اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي " (1) ، ومن حديث عمر بن الخطاب ؓ ، قال ؓ : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو إلى امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه " (2) ، وعن أبي بن كعب ؓ ، قال رجل : " يا رسول الله ، أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال : إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وآخرتك " (3) ، ومن حديث أنس ؓ ، أن النبي ؓ مر بقوم يلقحون ، فقال : لو لم تفعلوا لصلح ، قال فخرج شيصا فمر بهم ، فقال : ما لنخلكم ، قالوا : قلت كذا وكذا ، قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم " (4)

2- قرب المكان : كقوله تعالى : { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } [الحاقة/23] ، وقوله : { وَمِنَ النَّخْلِ مِنِ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ } [الأنعام/99] ، وعن أبي سعيد

الخدري ، قال —

1. أخرجه مسلم في كتاب الذكر (2720) 2087/4 .
2. أخرجه البخارى في كتاب بدء الوحي (1) 13/1 .
3. أخرجه أحمد في المسند (20736) واللفظ له ، وقال الألبانى : حسن ، والترمذى في كتاب صفة القيامة والرقاق (2457) 636/4 وقال : حسن صحيح .
4. أخرجه مسلم في كتاب الفضائل (2363) 1836/4 .

أسيد بن حضير : رفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها : قال رسول الله ﷺ : وتدرى ما ذاك ؟ تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم (1) .

3- قرب المنزلة والمكانه : وعبر به عن عدة أشياء ، عبر بالأدنى عن الأصغر فيقابل بالأكبر نحو : { وَلَنْذِيْقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } [السجدة/21] { وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ } [المجادلة/7] ، وعبر بالأدنى عن الأزدل والأحقر ، فيقابل بالخير والأبقى نحو قوله : { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } [الأعلى/16:17] وقوله تعالى : { قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } [البقرة/61] ، وعبر بالأدنى عن الأول ، فيقابل بالآخر نحو قوله : { وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ } [الليل/13] ، وقوله سبحانه وتعالى : { لَعَلَّكُمْ

تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ { [البقرة/219:220] ، وعبر بالأدنى عن الأقرب فيقابل بالأقصى والأبعد ، كما روى عن جابر بن عبد الله  $\tau$  ، قال  $\epsilon$  : " إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا ، قال : ثم يجيء أحدهم ، فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم أنت " (2) ، ونحو قوله تعالى : { إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ } [الأنفال/42] .

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن (5018) 680/8 .
  2. أخرجه مسلم فى كتاب صفة القيامة (2813) 2167/4 .

### - الدنيا فى الاصطلاح الصوفى :

حظي اصطلاح الدنيا باهتمام بالغ لدى الصوفية ، وعند الأوائل منهم على وجه الخصوص ، فهم ما برحوا يمحسون حقيقتها وغايتها وموقعها فى قلوبهم وإن كانت أغلب أقوالهم تنصب على ذمها والحذر منها ، وتصويرها فى أبشع ما يكون للنفس ، وأفعالهم أيضا تدل على النفور منها مطلقا إلا ما لا بد لهم منه ، روى عن أبى سليمان الدراني (ت:215هـ) ، أنه قال : ( لكل شئ مهر ومهر الجنة ، ترك الدنيا بما فيها ) (1) ، وينسب أيضا لأحمد بن أبى الحوارى (ت:230هـ) :

أنه قال : ( الدنيا مزبلة ومجمع الكلاب ، وأقل من الكلاب من عكف عليها ، فإن الكلب يأخذ منها حاجته ، وينصرف والمحب لها ، لا يزايلها بحال ) (2) ، ويذكر لشقيق البلخي (ت: قبل 237هـ) : ( عملت في القرآن عشرين سنة ، حتى ميزت الدنيا من الآخرة ، فأصبت في حرفين ، وهو قوله تعالى : { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [القصص/60] (3) ، ويروى أن أحمد بن خضرويه (ت: 240هـ) استقرض من رجل مائة ألف درهم ، فقال له الرجل : أليس أنتم الزهاد في الدنيا ؟ ما تصنع بهذه الدراهم ؟ قال : أشتري بها لقمة ، فأضعها في فم مؤمن ولا أجتري ، أن أسأل ثوابه من الله تعالى ، قال : لم ؟ ، قال : لأن الدنيا كلها —

1. طبقات الصوفية ص 81 .

2. السابق ص 102 .

3. السابق ص 64 .

لا تزن عند الله جناح بعوضة ، وما مائة ألف درهم في الدنيا من جناح بعوضة ؟ لو أخذتها فطلبت بها شيئا ما الذى تعطى بها ؟ والدنيا كلها لها هذا القدر ؟ (1) ، ولأبي على الثقفى (ت: 328هـ) : ( أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت ، وأف من حسراتها إذا أدبرت ، والعاقل من لا يركن إلى شئ ، إذا أقبل كان شغلا ، وإذا أدبر كان حسرة ) (2) .

ومن أمثلة الاجتهاد المحمود للصوفية ، في كشف حقيقة الدنيا ومعرفتها ، من خلال البحث في الأصول القرآنية والنبوية :

[1 - ما كتبه الحارث بن أسد المحاسبي (ت:243هـ) عن الغرور بالدنيا ، إذ يبين أن الغرة بالدنيا عن الآخرة ، إيثار الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة ، وهو قوله عز وجل : { فَلَا تَغْرِبَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [فاطر/5] وقول الله تعالى : { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران/185] ، فاغتر الكافرون بها ، لما رأوا من فعل الله عز وجل بهم ، من إكرامه لهم بالدنيا ورفعتهما وسعتهما ، فظنوا أن ذلك لم يكن من الله عز وجل ، إلا لمنزلتهم عنده وأنهم أحق بالخير من غيرهم ، ثم هم بعد ذلك على وجهين :

أ- فرقة منهم شكاك في الآخرة ، يقولون في أنفسهم وبألسنتهم ، إن يكن لله عز وجل معاد ، فنحن أحق به من غيرنا ، ولنا فيه النصيب الأوفر اغترارا بما —

1. السابق ص 104 .

2. السابق ص 364 .

ظهر لهم من خير الدنيا وكرامتها ، وقد حكى الله ذلك عن الرجلين اللذين تحاورا ، فقال الكافر منهما للمؤمن المحاور له : { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا } [الكهف/36] .

[الكهف/36] .

ب- وفرقة منهم يغترون بنعم الله عز وجل في الدنيا ، فلا يرون أن الله عز وجل أخذهم بعقوبة في الدنيا ، وأنه إنما أعطاهم ما أعطاهم من الدنيا لما علم منهم من الخير ، وأنهم عنده بالمنزلة العظمى ، كقول الله عز وجل إخبارا عن مقال موسى لقارون ، يخوفه بأس الله عز وجل فقال : { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي } [القصص/78] ، فقال الله عز وجل : { أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا } [القصص/78] ، أى لم يمنع الله عز وجل ما أعطاهم من نعيم الدنيا لما كفروا أن يعذبهم ، فلم يعلم قارون أن الله عز وجل قد فعل ذلك بغيره ، وذلك من الله عز وجل استدراج لمن أراد أن يهلكه ويعذبه ، ليغتر بنعم الله عز وجل : { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ } [القلم/44] (1) .

ثم يقول في الكشف عن حقيقة الدنيا في بيان قرآني دقيق : ( أخبرنا الله أن الدنيا فتنة وبلوى واختبار ، وأنها ليست بدليل على رضا الله عن العباد ، ألم تسمع قوله تعالى : { فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي } [الفجر/15:16] قال الله عز وجل : { كَلَّا } فكذبهما جميعا ، فليس هذا بكرامتي ولا هذا بهواني —

ولكن الكريم من أكرمه بطاعتي على أى حال كان ، فقيرا كان أو غنيا ، فاغتر الكافرون بظاهر نعم الله عز وجل ، وظنوا أن ذلك من كرامتهم على الله عز وجل وكذلك وصفهم ، فقال : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } [المؤمنون/56:55] (1) .

[2 - ويحاول أبو طالب المكي (ت:386هـ) أن يستقصى حقيقة الدنيا معتمدا على مجموع الأصول القرآنية ، وما يسفر عنه البحث فيها ، فقال : ( لا يمكن لعبد أن يعرف الزهد ، حتى يعرف الدنيا أى شئ هى ، فقد قال الناس فى الزهد أشياء كثيرة ، ونحن غير محتاجين إلى ذكر أقوالهم ، بما بين الله تعالى وأغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغنى ) (2) .

ويعتمد المكي فى معرفة الدنيا ، على مجموعة من الآيات التى وصفت حقيقة ويقارن بينها إلى أن يصل إلى وصف واحد يبين حقيقة الدنيا :

الآية الأولى : وتبين الدنيا من خلال حصر أنواع المشتريات فيها ، وهى سبعة أصناف وردت فى قوله سبحانه وتعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران/14] يقول أبو طالب المكي معقبا :



( فهذه سبعة أوصاف ، هي جملة متاع الدنيا ، وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمل ، فمن أحب جميعها

فقد —

1. السابق ص 346 .

2. قوت القلوب 1 / 245 .

أحب جملة الدنيا ، ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل ، فقد أحب بعض الدنيا ، وعلمنا بنص كلام الله أن الشهوة دنيا ، وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات ، فإذا لم تكن الحاجة دنيا ، دل أنها لا تسمى شهوة وإن كانت قد تشتهى (1) .

الآية الثانية : وتبين الدنيا من خلال علل الاشتهااء فيها وحصرتها في خمسة أنواع : { اَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } [الحديد/20] ، يقول المكي معقبا : ( فرد الأوصاف السبعة إلى خمسة معان ، هي وصف من أحب تلك السبعة ) (2) .

الآية الثالثة : وتبين اختصار العلل ، وتركيزها في معينين جامعين من العلل الخمسة السابقة : { إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ } [محمد/36] .

الآية الرابعة : وتبين الدنيا من خلال وصف واحد جامع ، يرجع إليه ما سبق فقال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ } [النازعات/40] فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى ، فمن نهى

نفسه عن الهوى ، فهو لم يؤثر الدنيا ، وإذا لم يؤثر الدنيا ، فهذا هو الزاهد الذى لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ، ولا يحزن على مفقود من ذلك ، يأخذ الحاجة من كل شئ عند الحاجة إلى الشئ ، ولا يتناول عند الحاجة إلا سد الفاقة ، ولا يطلب الشئ قبل الحاجة ، فأول الزهد دخول غم الآخرة فى القلب ، ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى ، ولا يدخل هم الآخرة ، حتى يخرج هم الدنيا ، ولا تدخل حلاوة —

1. السابق / 1 / 245 . 2. السابق / 1 / 246 .

المعاملة ، حتى تخرج حلاوة الهوى ) (1) .

[3- وعلى الوتيرة نفسها يبين أبو حامد الغزالي (ت: 505هـ) أن معرفة ذم الدنيا لا تكفي ما لم يعرف المرء حقيقة الدنيا المذمومة ما هي ؟ وما الذى ينبغى أن يجتنب منها ، وما الذى لا يجتنب ، فلا بد من بيان الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها ، لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ، ما هي ؟ يقول : ( دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك ، فالقريب الدانى منها يسمى دنيا ، وهو كل ما قبل الموت ، والمتراخى المتأخر يسمى آخرة ، وهو ما بعد الموت ، فكل ما لك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة ، فهى الدنيا فى حقلك ) (2) ، إلا أنه يبين أن جميع ما يميل إليه المرء ، وله فيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام (3) :

القسم الأول : ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت ، وهو شيئان العلم والعمل فقط ، ويعنى بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله ، وملائكته وكتبه ورسله ، وملكوت أرضه وسمائه ، والعلم بشريعة نبيه ، ويعنى بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى ، وقد يأنس العالم بالعلم .

القسم الثانى : وهو المقابل له على الطرف الأقصى ، كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له فى الآخرة أصلا ، كالتلذذ بالمعاصى كلها ،  
والتنعم بالمباحات الزائدة —

1. السابق 1 / 246 .

2. إحياء علوم الدين 3 / 214 .

3. السابق 3 / 215 .

على قدر الحاجات ، والضرورات الداخلة فى جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة والأنعام والحرث والغلمان والجوارى والخيول والمواشى والقصور والدور ، ورفيع الثياب ولذائد الأطعمة ، فحظ العبد من هذا كله هى الدنيا المذمومة ، وفيما يعد فضولا أو فى محل حاجة نظر طويل .

القسم الثالث : وهو متوسط بين الطرفين ، كل حظ فى العاجل معين على أعمال الآخرة ، كقدر القوت من الطعام ، والقميص الواحد الخشن ، وكل ما لا بد منه ، ليتأتى للإنسان البقاء والصحة ، التى بها يتوصل إلى العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الثانى ،

لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل ، لم يكن به متناولا للدنيا ولم يصير به من أبناء الدنيا ، وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى ، التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا .

\*\*\*\*\*

## 62- الذكر

\*\*\*\*\*

- **الذكر** : الحفظ للشيء وجريانه على اللسان ، والذكر نوعان (1) :

1- ذكر بالقلب ، ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ

ما يقتنيه من —

1. مختار الصحاح ص 93 ، ولسان العرب 308/4 ، والمفردات ص 179 .

المعرفة ، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال اعتبارا بإحرازه ، والذكر يقال اعتبارا باستحضاره ، وحضور الشيء في القلب ذكره وتذكره ، بإرادة أو بغير إرادة وضده نسيانه وتناسيه ، بإرادة أيضا أو بغير إرادة

، قال تعالى :

{ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } [الكهف/63] ، وقال سبحانه : { فَإِذَا قَضَيْتُمْ

مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } [البقرة/200] ،

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " إن أم الفضل سمعته وهو

يقرأ ، والمرسلات عرفا فقالت : يا بني ، والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ ، يقرأ بها في المغرب " (1) .

2- ذكر باللسان سواء باستحضار القلب أو غيره ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا } [الأحزاب/41:42] ، وعن كعب بن عجرة  $\tau$  ، عن رسول الله ﷺ قال : " معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ، ثلاث وثلاثون تسبيحة ، وثلاث وثلاثون تحميدة ، وأربع وثلاثون تكبيرة " (2) وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله ﷺ : " رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل علي " (3) ، ومن حديث ابن عباس

---

1. أخرجه البخارى في كتاب الأذان (763) 287/2 .

2. أخرجه مسلم في كتاب المساجد (596) 418/1 .

3. أخرجه الترمذى في كتاب الدعوات (3545) وقال الألبانى : حسن صحيح 550/5 وابن حبان في صحيحه (908) 189/3 .

$\tau$  ، كان النبي ﷺ يدعو ويقول : " رب اجعلني لك ، شكارا لك ، ذكارا لك رهابا لك ، مطوعا لك ، محبنا إليك ، أوها منيبا " (1) .

والذكر قد يطلق على بعض المعاني الاصطلاحية الواردة في الأصول القرآنية والنبوية منها : القرآن سماه الله ذكرا لقوله تعالى : { وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا } .

[طه/100:99] وقوله : { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ }  
 [الأنبياء/50] ، وقوله : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر/9] ،  
 ويطلق أيضا على اللوح المحفوظ : لما روى عن عمران بن حصين  $\tau$  ،  
 قال  $\varepsilon$  : " كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ، وكتب  
 في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض " (2) ، وعن أبي هريرة  
 $\tau$  ، قال  $\varepsilon$  : " لقي آدم موسى فقال : أنت آدم الذي خلقك الله  
 بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك الجنة ، ثم فعلت ؟ ، فقال :  
 أنت موسى الذي كلمك الله ، واصطفاك برسالته ، وأنزل عليك  
 التوراة ، ثم أنا أقدم أم الذكر ؟ قال : لا بل الذكر ، فحج آدم موسى  
 ، فحج آدم موسى عليهما السلام " (3) .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3551) وقال الألبانى : صحيح 554/5 وأبو داود  
 . 83/2 (1510)

2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3192) 331/6 .

3. أخرجه أحمد فى المسند (9664) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء  
 . (3409)

ويطلق الذكر أيضا على خطبة الجمعة والصلاة : لما روى عن أبي  
 هريرة  $\tau$  قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إذا كان يوم الجمعة ، كان على كل باب  
 من أبواب المسجد الملائكة ، يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس  
 الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر " (1) ، ولقوله تعالى

عن المنافقين : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } [النساء/142] ولما روى عن حنظلة الأسيدي ؓ قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر ، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم " (2) ، ويطلق الذكر أيضا على مجالس العلم ، على اعتبار ما فيها من ذكر الله والتعلق بطاعته ، لما روى عن أبي هريرة ؓ ، عن النبي ﷺ قال : " إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا ، يتبعون مجالس الذكر ، فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم ، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا ، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء " (3) وعن أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " إذا مررتم برياض الجنة ، فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر " (4) .

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق (3211) 351/6 .
  2. أخرجه مسلم فى كتاب التوبة (2750) 2106/4 .
  3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر (2689) 2069/4 .
  4. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات (3510) وقال الألبانى : حسن 532/5 والطبرانى فى المعجم الكبير (11158) 95/11 .

- الذكر فى الاصطلاح الصوفى :

والذكر عند المعتدلين من الصوفية ، ورد في أغلب عباراتهم متوافقا مع المعنى القرآني ، كما أنه يمثل ركنا قويا في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو عمدة الأمر ، فلا يصل أحد إلى الله عندهم إلا بدوام الذكر ، لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } [الأحزاب/41] ، ومن خصائصه أنه غير مؤقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله ، إما فرضا وإما ندبا ، والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات ، لقوله تعالى : { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [آل عمران/191] ، قياما بحق الذكر وقعودا عن الدعوى فيه ، والذكر عندهم على ضربين : ذكر اللسان وذكر القلب ، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب ، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حل سلوكه (1) ، ومما ورد في معنى الذكر عندهم ، ما روى عن أحمد بن الحواري (ت:230هـ) أنه قال : ( إنما كره الأنبياء الموت ، لانقطاع الذكر عنهم ، وعلامة حب الله حب ذكر الله ، فإذا أحب الله العبد أحبه ، ولا يستطيع العبد أن يحب الله حتى يكون الابتداء من الله بالحب له ، وذلك حين عرف منه الاجتهاد في مرضاته ) (2) ، وينسب إلى ذى النون المصرى (ت:248هـ) ، أنه قال : ( من ذكر



الله تعالى ذكرا على الحقيقة نسي في جنب ذكره كل شيء ، وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له —

1. الرسالة القشيرية 468:464/2 . 2. طبقات الصوفية ص101 .

عوضا عن كل شيء ) (1) ، ويذكر لأبي عثمان النيسابورى (ت:298هـ) أنه قال : ( الذكر الكثير ، أن تذكره في ذكرك له ، أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله ) (2) ، وعن أبي محمد الجيرى (ت:311هـ) أنه قال :

( ذكرك منوط بك إلى أن يتصل ذكرك بذكره ، إذ ذاك يرفع ويخلص من العلل ، فما قارن حدث قدما ، إلا تلاشى وبقي الأصل وذهبت الفروع ، كأن لم تكن ) (3) ، ويروى أن أبا بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) سئل عن الذكر فقال : الخروج من ميدان الغفلة إلى قضاء المشاهد ، على غلبة الخوف وشدة الحب له ) (4) وعنه أيضا : ( الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه ) (5) .

وينسب لأبي العباس الدينورى (ت:بعد340هـ) : ( اعلم أن أدنى الذكر أن ينسى ما دونه ، ونهاية الذكر أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر ، ويستغرق بمذكوره عن الرجوع إلى مقام الذكر ، وهذا حال فناء الفناء ) (6) .

1. الرسالة 466/2 .
2. طبقات الصوفية ص 174 .
3. السابق ص 263 .
4. الرسالة 466/2 .
5. طبقات الصوفية ص 305 .
6. السابق ص 447 .

ويذكر الكلاباذى (ت:380هـ) أن حقيقة الذكر ، أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر ، لقوله تعالى : { وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ } [الكهف/24] يعنى إذا نسيت ما دون الله ، فقد ذكرت الله (1) .

ويقسم الكاشانى (ت:735هـ) الذكر عند الصوفية على أنواع منها ، ما يتفق مع المعانى السابقة أو يفترق ، فيذكر منها (2) :

(1) - ذكر العامة : وهو ما يتقرب به عامة أهل الإيمان ، من ذكر الله تعالى إما بكلمة الشهادة ، وهى كلمة لا إله إلا الله ، وإما غيرها من التسيبحات والأدعية والأذكار .

(2) - ذكر الخصوص : وهو الذكر الذى يكون من تلقين الشيخ المرشد لذكر معين ، إما كلمة لا إله إلا الله أو غيرها ، وذلك لإزالة قيد وحجاب معين مرشد إلى إزالته شيخ عارف بأدواء النفوس ، يكون تلقينه لذلك الذكر أقوى أثرا فى إزالة ظلمة الحجب ، عندما تكون الملازمة لذلك الذكر عن حضور يدفع كل خاطر ، حتى خاطر الحق أيضا ، ويمنع كل تفرقة تخطر بالبال

، ويجعل الهم هما واحدا بحيث لا يخطر بالبال غير المذكور ،  
متوجها إليه بتوجه ساذج عن العقائد المقيدة ، بل على اعتقاد ما  
يعلم الحق نفسه بنفسه في نفسه ، ويعلم كل شئ وعلى ما تعلم  
رسله وتفهمه عنه ، بحيث لا يدخل خلوة الذكر إلا وهو خال  
عن كل معتقد ، سوى الإيمان بما جاء

---

1. التعرف ص103 .

2. لطائف الإعلام ص468 :471

من عند الله ، على مراد الله ، وبما أخبر به رسول الله ﷺ ، على  
مراد رسول الله ﷺ .

(3) - الذكر الظاهر : ويعنى به ذكر اللسان ، الذى بمداومته يحصل  
الخلاص من الغفلة والنسيان .

(4) - الذكر الخفى : وهو الذكر بالجنان مع سكوت اللسان .

(5) - ذكر السر : وهو ما يتجلى له من الواردات .

(6) - الذكر الشامل : يعنى به استعمال الظاهر والباطن ، فيما

يقرب من الله تعالى بحيث يكون اللسان مشغولا بالذكر ،

والجوارح بالطاعات ، والقلب بالواردات .

(7) - الذكر الأكبر : يعنى به ما وقعت الإشارة إليه ، بقوله تعالى :

{ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ } [العنكبوت/45] والمراد به كمال المعرفة والطاعة ،

قال ٤ : " أنا أعرفكم بالله وأتقاكم له " (1) ، فمن كان في معرفته ، وطاعته على هذا الحد فهو صاحب الذكر الأكبر .

1. لم يرد في الحديث لفظ : ( أنا أعرفكم بالله ) ، ولكنه أخرج مسلم في كتاب الصيام (1108) 779/2 عن عمر بن أبي سلمة ٢ أنه سأل رسول الله ٤ أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله ٤ سل هذه ، لأم سلمة؟ فأخبرته أن رسول الله ٤ يصنع ذلك فقال : يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال له رسول الله ٤ : أما والله إني لأتقاكم لله وأخشاكم له .

(8) - الذكر الأرفع : وهو الذكر الأكبر لأنه أرفع الأذكار ، ويسمى الذكر المرفوع أيضا ، وإليه الإشارة بقوله : { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } [الشرح/4] فإنه تعالى رفعه بذكره وطاعته له ، إلى مرتبة في الذكر لا يعلوها غيره من الخلائق .

(9) - الذكر المرفوع : وهو الأرفع ، وقد يعنى بالذكر المرفوع ذكر الحق لعبده جزاء له على ذكره لربه ، كما جاء في الكلمات القدسية أنه تعالى يقول : ( من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ) (1) .

(10) - الذكر الحقيقي : يعنى به الذكر المنسوب إلى الذكر بالحقيقة ، فلما كانت الأفعال كلها إنما هي منسوبة إلى الحق حقيقة لا إلى العبد ، كذلك صار الذكر الحقيقي ، إنما هو الذكر المنسوب إلى الحق تعالى لا إلى العبد لأن الذكر المنسوب إلى العبد ، ليس

له هذه النسبة الحقيقية ، فإن ذكر العبد ليس هو الذكر الحقيقي ، وأن الأمر في هذا المعنى وغيره من جميع ما يضاف إلى الحق والخلق ، من باب التسمية الحقيقية والمجازية (2) .

1. أخرجه البخارى فى التوحيد (6856) 2/1 ص187 عن أبى هريرة ؑ ، قال النبى ؓ : " يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم وإن تقرب إلي بشيرٍ تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " .
2. انظر فى مصطلح الذكر عند ابن عربى المعجم الصوفى د/ سعاد حكيم ص272 .

\*\*\*\*\*

## 63- ذو العقل

\*\*\*\*\*

- **ذو العقل** : أصل العقل الإمساك والاستمساك ، كعقل البعير بالعقال ، فعن أنس بن مالك ؓ قال : " بينما نحن جلوس مع النبى ؓ فى المسجد دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ " (1) وعن عدي بن حاتم ؓ قال : " لما نزلت : { حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ } [البقرة/187] ، عمدت إلى عقال أسود ، وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر فى الليل فلا يستبين لى ، فغدوت على رسول الله ؓ فذكرت له

ذلك ، فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار (2) ، والعقل يقال  
لأمرين (3) :

1- القوة المتهيئة لقبول العلم ، وهى الغريزة التى وضعها الله فى  
قلوب الممتحنين من عباده ، وهذا يعرف بفعاله ولا نعرف كيفيته  
، وإليه الإشارة —

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (63) 179/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم (1916) 157/4 .

3. المفردات ص 341 ، 342 بتصريف ، وانظر العقل ومكانته فى القرآن الكريم إعداد سيد محمد  
يوسف منصور اللبان ، رسالة ماجستير مخطوط كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة  
1985م ص 33 .

بقول النبي ﷺ : ( رفع القلم عن ثلاثة وذكر منها المجنون حتى يعقل )  
(1) وكل موضع فيه رفع التكليف عن العبد لعدم العقل فلأجل هذا  
المعنى .

2- العلم الذى يستفيده الإنسان بتلك الغريزة أو القوة يقال له  
عقل ، كقوله تعالى : { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } [العنكبوت/43] ، وقال  
جابر بن عبد الله ر قال : " جاء رسول الله ﷺ يعودني وأنا مريض لا  
أعقل ، فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت " (2) .

وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل ، فإشارة إلى هذا المعنى  
دون الأول نحو قوله تعالى : { صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }  
[البقرة/171] ، ونحو ذلك من الآيات ، والعقل يقال أيضا للعرض المالى

المقدر فى الشرع مقابل القتل أو الجراح ، فعن أبى جحيفة قال : قلت لعلى بن أبى طالب : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما فى هذه الصحيفة ، قلت : فما فى هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر (3) .

وعن أبى هريرة ؑ أنه قال : " قضى رسول الله ؑ فى جنين امرأة من

بنى —

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الحدود (1423) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 32/4 ، وابن ماجه فى سننه (2041) 658/1 ، والدارمى (2296) 225/2 وأحمد فى مسنده (1183) .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء (194) 360/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب العلم (111) 246/1 .

لحيان سقط ميتا ، بغرة عبد أو أمة ، ثم إن المرأة التى قضى لها بالغرة توفيت فقضى رسول الله ؑ بأن ميراثها لبنيتها وزوجها وأن العقل على عصبتها " (1) .

- ذو العقل فى الاصطلاح الصوفى :

والعقل عند أوائل الصوفية ، غريزة فى قلوب الممتحنين من عباده ، أقام به على البالغين الحجة ، يولد العبد بها ثم يزيد ، فالعقل الذى منحنا الله قادر على التفكير ، وعلى معرفة ما أنزل الله ، وكل إنسان بلغ سن الرشد ، فقد تحمل مسؤولية ناتجة من أنه عاقل ، والله لا

يهلك قوما إلا ويذكرهم ، ويخاطب عقلهم بما يفهم من عبر ، وإذا كان الله قد من علينا بالعقل ، فلكى يخاطبنا بواسطته (2) .

والعاقل عند أوائل الصوفية هو من أطاع الله واهتدى بهديه ، يقول الحارث بن أسد المحاسبي : ( ألا فمن رغب منكم في العقل ، وأراد السبيل إلى اكتسابه فإن أفضل ما تستفيد بالعقل أن تطيع الله فيما افترض عليك ، وتتجنب ما حرم الله عليك ، فمتى فعلت ذلك أخذت من العقل بنصيب ، فبذلك جاءت الأخبار أن العاقل ، من أطاع الله ولا عقل لمن عصاه ) (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض (6740) 25/12 .

2. ماهية العقل ومعناه للحارث المحاسبي تحقيق ، د/ حسين القوتلى طبعة بيروت ، سنة 1972 ، ص 105 ص 164 ، وانظر المزيد عن العقل عند أوائل الصوفية فى رسالة ماجستير بعنوان : موقف الصوفية من العقل حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة (268) 1981 م .

3. الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله للمحاسبي ص 11 .

ويبين المحاسبي أن الله دعا العقول إلى النظر فى آياته ، والفكر فى عجائب صنعه ، لأن فى ذلك سبيلا لهم إلى معرفته ، وإلى العلم بأنه الخالق الرازق الإله الواحد سبحانه وأن من دونه خلق له ، وأن الخلق كلهم مألوهون مستعبدون لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ويستدل لذلك ، بقوله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي



الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَفُجُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ { [آل عمران/190:191] ، وبقوله : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } [فصلت/53] (1) .

ويقول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( العقل اسم واحد ، وسلطانه ناقص وزائد ، يقوى بقوة أركانه ، ويزداد بزيادة سلطانه ، يعقل النفس عن متابعة الهوى ، كما يمنع العقل الدابة من مرتعها ومرعاها ، والعاقل هو الذى يعقل عن الله أمره ونهيهِ ومواعظه ، ووعدهِ ووعدهِ ، ويفهم مراده فى الأشياء على قدر ما يوفقه ، ويكشف له من تعظيم أمرهِ واجتناب مناهيهِ ، وهذه كلها لا توجد إلا بلطف الله ، وحسن نظره إليه ، فيفضله على غيره باللب الموصوف والنور المعروف ) (2) ، ثم يجعل للعقل مقامات متنوعة :

1- عقل الفطرة : وهو الذى يخرج به الصبى والرجل من صفة

الجنون ، فيعقل —

1. القصد والرجوع إلى الله ص 58 .

2. بيان الفرق بين الصدر والقلب الفؤاد واللب ص 77 .

ما يقال له ، لأنه يؤمر وينهى ، ويميز بين الخير والشر ، ويعرف به الكرامة من الهوان ، والربح من الخسران ، والأبعد من الجيران ، والقراءة من الأجانب .

2- عقل الحجة : وهو الذى به يستحق العبد من الله تعالى الخطاب ، فإذا بلغ الحلم يتأكد نور العقل ، الذى وصف بنور التأيد ، فيؤيد عقله ، فيصل إلى خطاب الله تعالى .

3- عقل التجربة : وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه يصير حكيما بالتجارب يعرف ما لم يكن بدليل ما قد كان ، وهو ما قال رسول الله ﷺ : " لا حكيم إلا ذو تجربة ، ولا حلیم إلا ذو عثرة " (1) .

4- العقل الموروث : وصفته أن يكون الرجل كبيرا عاقلا ، حكيما عليما حلوما وقورا ، قد ابتلى بولد سفيه أو تلميذ سفيه ، لا ينتفع من صحبته فيورث الله تبارك وتعالى ببركته عقله ونوره ، وضياءه ونفعه ووقاره وسكينته وسمته لهذا السفيه ، فيتغير حاله في الوقت فيصير وقورا عاقلا على سبيل سلفه ، وهذا إنما يورث يعاينه الإنسان بوفاة الكبير العاقل وتغير الحال في السفيه الجاهل (2) .

---

1. ضعيف ، أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة (1956) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 379/4 ، عن أبي سعيد الخدرى  $\tau$  قال : " قال رسول الله ﷺ لا حلیم إلا ذو عثرة ولا حكيم إلا ذو تجربة " قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأخرجه أحمد فى المسند (10634) وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب موقوفا على معاوية بن أبى سفيان بلفظ ( وقال معاوية  $\tau$  : " لا حكيم إلا ذو تجربة " 546/10 . 2. السابق ص 76 .

أما العاقل عند أصحاب الوحدة فهو المعتنق لمبدأهم ، وهو الذى يرى الخلق فى الظاهر ، والحق فى الباطن ، ويكون الحق عنده مرآة

للخلق وتحتفى المرآة حتى تصوير في صورة يظهر هو نفسه فيها ، وهذا هو الاحتجاب المطلق ، فيرى الوجود الواحد بعينه حقا من وجه ، وخلقاً من وجه ، فلا يحتجب بالكثرة عن شهود الوجه الواحد الأحد بذاته ، ولا يزاحم في شهود كثرة الظاهر أحدية الذات التي يتجلى فيها ، ولا يحتجب بأحدية وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقية ، ولا يزاحم في شهوده أحدية الذات المتجلية في المجالى كثرتها ، وإلى ذلك أشار بن عربى فى قوله (1) :

ففى الخلق عين الحق إن كنت ذا عين

وفى الحق عين الخلق إن كنت ذا عقل

(2)

\*\*\*\*\*

## 64- الذوق

\*\*\*\*\*

- الذوق : مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً ، والمذاق طعام الشيء والذوق يقال فى المحسوسات والمعنويات (3) :

---

1. معجم الكاشانى ص181 وكشاف التهانوى 335/2 والتعريفات ص113 .

2. السابق ص181 .

3. لسان العرب 111/10 ، وكتاب العين 201/5 والمفردات ص182 .

1- الذوق في المحسوسات هو وجود الطعم بالفم ، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر ، فإن ما يكثر منه يقال له الأكل ، قال الله تعالى : { فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا } [الأعراف/22] ، وروى عن جابر  $\tau$  قال : " مكث النبي  $\varepsilon$  وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثا ، لم يذوقوا طعاما " (1) ، وعن أبي هريرة  $\tau$  قال : " الفأرة مسخ وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تذوقه ، فقال له كعب  $\tau$  : أسمعت هذا من رسول الله  $\varepsilon$  ؟ قال : أفأنزلت علي التوراة ؟ " (2) .

2- الذوق في المعنويات من باب التشبيه ، ومنه عدة معاني :

أ- الذوق : تعبيراً عن استشعار حلاوة الجماع ، لما روى عن عائشة رضي الله عنها ، جاءت امرأة رفاعة القرظي النبي  $\varepsilon$  ، فقالت : " كنت عند رفاعة فطلقني ، فأبَّت طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، إنما معه مثل هدبة الثوب ، فقال : أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ ، لا : حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك " (3) .

ب- الذوق : تعبيراً عن استشعار سكرات الموت ، ومنه قوله تعالى : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } [آل عمران/185] وعن عائشة رضي الله عنها : أن أبا

---

1. أخرجه أحمد في المسند (13799) 300/3 واللفظ له ، وأخرجه البخاري في كتاب المغازي برقم (4100) .

2. أخرجه مسلم في كتاب الزهد (2997) 2294/4 .

3. أخرجه البخاري في كتاب الشهادات (2639) 295/5 .

بكر τ جاء فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله ، قال : " بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتين أبدا " (1) ، ومن حديث عائشة رضی الله عنها ، قال عامر بن فهيرة :

إني وجدت الموت قبل ذوقه : إن الجبان حتفه من فوقه (2) .

ج- الذوق : تعبيرا عن الإحساس بالألم والعذاب ، ومنه قوله تعالى : { كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } [النساء/56] وعن أبي هريرة τ قال : " جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر ، فنزلت : { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر/48:49] " (3) .

د- الذوق : تعبيرا عن الإحساس بالرحمة والنعمة ، كقوله تعالى : { وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ } [هود/9] ، وقوله : { وَلَئِن أَدَقْنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ } [هود/10]

و- الذوق : تعبيراً عن الابتلاء والاختبار كقوله تعالى : { وَضَرَبَ  
اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ  
فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا  
يَصْنَعُونَ } [النحل/112]

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3670) 24/7 .
2. أخرجه أحمد فى المسند (25898) 221/6 واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب الحج  
(1889) 263/7 .
3. أخرجه مسلم فى كتاب القدر (2656) 2046/4 .

فاستعمال الذوق مع اللباس ، من أجل أنه أريد به التجربة  
والاختبار أى فجعلها بحيث تمارس الجوع والخوف ، وعن خباب  
بن الأرت قال ع : " إني سألت الله أن لا يذيق بعضهم بأس  
بعض فمنعنيها " (1) .

## - الذوق فى الاصطلاح الصوفى :

الذوق فى الاصطلاح الصوفى يراد به الذوق الإيماني ، تشبيهاً له  
بالتذوق فى المحسوسات ، فالأذواق التى يشير القوم إليها ، هى علوم  
لا تنال إلا لمن كان خالى القلب عن جميع العلائق والعوائق كلها ،  
وتقرير ذلك عندهم أنه لما استحال على القوة الذائقة أن تدرك شيئاً  
من الطعوم ، ما لم تكن خالية عن التكيف بجمعها ، لكون  
الرطوبة اللعابية المنبعثة من آلة اللعاب ، إذا لم تكن عديمة الطعم ،

فإنه لا يمكن لها أن تؤدي المطعوم على وجهه ، كما يشاهد ذلك من حال المرضى ، إذا تكيفت قوتهم الذائقة بكيفية طعم الخلط الغالب ، فإن طعم الأشياء المأكولة والمشروبة ، لا تتأدى إلا مشوبة بطعم ذلك الخلط الغالب فكذا حال القوة المدركة للحقائق من الإنسان ، فإنها ما لم تكن خالية عن التكيف بشئ من العقائد والآراء المترسخة فيها ، فإنها لا محالة يستحيل عليها أن تؤدي إلى نفس كيفية تلك الحقائق على ما هي عليه في أنفسها ، ليتمكن النفس من الاطلاع على وجه الحق فيها (2) .

- 
1. أخرجه الترمذى فى كتاب الفتن (2175) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 471/4 .
  2. انظر لطائف الإعلام 473:471/1 ، والتعريفات للجرجاني ص112 ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 321/2 بتصرف .

ومما ورد عنهم فى مصطلح الذوق ، ما روى عن ذى النون المصرى (ت:248هـ) أنه قال : ( لما أراد أن يسقيهم من كأس محبته ، ذوقهم من لذائذته وألعمهم من حلاوته ) (1) .

وينسب لأحمد بن عطاء الروذبارى (ت:369هـ) : ( الذوق لأهل المواجيد فأهل الغيبة إذا شربوا طاشوا وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا ) (2) ، ويذكر السراج الطوسى (ت:387هـ) أن الذوق عندهم هو ابتداء الشرب ، وينقل عن بعضهم قوله :

يقولون ثكلى ومن لم يذق : فراق الأحبة لم يثكل (3)

أما الهجویری (ت:465هـ) فعنده أن الذوق مثل الشرب ، ولكن الشرب لا يستعمل إلا في الفرح ، أما الذوق فإنه ينطبق على الفرح والبلاء ، كأن يقول قائل : ذقت الخلاف وذقت البلاء ، وذقت الراحة فكل هذا يصح ، ويمكن أن يقال في الشرب : شربت بكأس الوصال ، وبكأس الود ، قال تعالى : { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا } [الطور/19] وحينما ذكر الذوق ، قال جل شأنه : { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } [الدخان/49] ، وفي موضع آخر ، قال : { ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } [القمر/48] (4) .

1. اللمع ص 449 .

2. طبقات الصوفية ص 498 .

3. اللمع ص 449 .

4. كشف المحجوب ص 475 .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( ومن جملة ما يجرى في كلامهم ، الذوق والشرب ، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي ونتائج الكشوفات وبوادة الواردات ، وأول ذلك الذوق ثم الشرب ثم الرى فصفاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني ، ووفاء منازلهم يوجب لهم الشرب ودوام مواصلاتهم يقتضى لهم الرى ،



فصاحب الذوق متساكر ، وصاحب الشرب ، سكران وصاحب  
الرى صاح (1) .

والذوق عند الصوفية كما تقدم ذوق إيماني ، لكن تتنوع دلالاته  
عندهم على حسب الايمان بما يعتقدونه كل منهم ، فالأوائل ذوقهم  
تشهد له الأصول القرآنية والنبوية ، لأن أصول التوحيد السني قائمة  
في اعتقادهم ، لكن الحلولى منهم مشربه في الذوق الفناء عن شهود  
السوى والاتحاد بالله ، ويرى صاحب الذوق السابق أدنى منه في المنزلة  
، كذلك الذوق في مفهوم القائلين بوحدة الوجود ذوق إيماني نبع من  
نفى الفرق لأن الكل تعينات لذاته ، يقول ابن الفارض :

وعنى بالتلويح يفهم ذائق : غنى عن التصريح  
للمتعت

منحك علما إن ترد كشفه فرد : سبيلي واشرع في اتباع  
شريعتي

فمنبع صدى من شراب نقيعة : لدى فدعنى من سراب  
بقية (2) .

فذوق ابن عربى وابن الفارض ومن شاكلهما يختلف عن ذوق  
الحلاج وأبى يزيد ، يختلف عن ذوق القشيري والسراج الطوسى  
وغيرهما ، فكل قد علم مشربه الإيماني وذوقه الروحاني .

---

1. الرسالة 239/1 .

2. ديوان ابن الفارض ص 60 ، 75 .

\*\*\*\*\*

## 65 - الران

\*\*\*\*\*

- الران : الرنة قلقلة في الصوت متتابعة ، تحيط بالسمع فتؤثر عليه ، وقال مجاهد بن جبير : مرت بنا جنازة ، فقال ابن عمر  $\tau$  : " لو قمت بنا معها فأخذ بيدي فقبض عليها قبضا شديدا ، فلما دنونا من المقابر ، سمع رنة منخلفه وهو قابض على يدي فاستدارني فاستقبلها ، فقال لها شرا ، وقال : نهي رسول الله  $\epsilon$  أن تتبع جنازة معها رانة " (1) ، وقال عمر بن الخطاب  $\tau$  : " أما بعد أيها الناس ، فإن الأسيفع أسيفع جهينة ، رضي من دينه وأمانته ، بأن يقال □ : سبق الحاج ، ألا وإنه قد دان معرضا فأصبح قد رين به ، فمن كان له عليه دين فليأتنا بالغداة ، نقسم ماله بينهم ، وإياكم والدين ، فإن أوله هم ، وآخره حرب " (2) ومعنى قد رين به أى أحاط الدين بماله ، من كثرة تتابعه شيئا فشيئا .

---

1. أخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز (1583) ، وقال الشيخ الألباني رحمه الله : حسن 504/1 ، والبيهقي في السنن الكبرى برقم (6915) 64/4 ، والطبراني في المعجم الكبير برقم (13484) 402/12 .

2. أخرجه مالك في كتاب الأفضية (1460) 770/2 ، والبيهقي في سننه (11046) 49/6 ، وفيه عمر بن عبد الرحمن بن دلاف المزني ، وهو مستور ، انظر الإكمال ترجمة رقم (630) ص 306 ، وتعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة (772) 298/1 والتاريخ الكبير رقم (2071) 172/6 .

والرين صدأ يعلو الشئ الجليل فيعكر صفاءه ، قال تعالى : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين/14] ، أى صار ذلك كصدأ على جلاء قلوبهم ، فعمى عليهم معرفة الخير من الشر (1) ، وعن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ : " إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، ذاك الرين الذي ذكر الله عز وجل في القرآن : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } " (2) .

### - الران في الاصطلاح الصوفي :

الران في عرف الصوفية ، حجاب حائل بين القلب ، وبين تجلى الحقائق فيه فصاحبه ممنوع من الرؤية بعين البصيرة ، وسببه كثرة الذنوب ، يقول الحارث المحاسبي : ( إن القلب إذا كان طاهرا لم تعتوره الشهوات ، ولم يغتذ اللذات من الحرام ، ولم تعتقه الذنوب ، ولم يعل قلبه الرين ، كانت رعايته لحقوق الله والقيام ، بها أسهل وتوبته إلى الله أسرع ) (3) .

وقال أبو القاسم القشيري في قوله تعالى : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين/14] : ( غطى على قلوبهم ، ما كانوا

### يكسبون من المعاصي —

1. لسان العرب 187/13 ، 193/13 المفردات ص 208 .
2. أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن (3334) ، وقال الألبانى : حسن 434/5 أخرجه أحمد في المسند (7939) ، وابن ماجه (4244) 1418/2 .

3. الرعاية لحقوق الله ص55 .

وكما أنهم اليوم ممنوعون عن معرفته ، فهم غدا ممنوعون عن رؤيته (1)

ويذكر الكاشاني أن الرين ينشأ من تراكم الذنب على الذنب ، فتصدأ القلوب بالرسوخ في الذنوب وتتغير جواهرها ، وعندها ينغلق باب المغفرة ، ولذلك قال الله تعالى : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين/14] ، أى ارتدعوا عن الرين (2) ، وحده عنده هو الحجاب الحائل بين القلب ، وبين عالم القدس باستيلاء الهيات النفسانية عليه ، ورسوخ الظلمات الجسمانية فيه بحيث يحتجب عن أنوار الربوبية بالكلية (3) .

وقال أيضا في الحجاب :

( يقال : الران ، والمراد بذلك انطباع الصور الكونية في القلب ، على سبيل الاستيعاب له والرسوخ فيه ، بحيث لا يبقى مع ذلك مطمع لتجلى الحقائق فيه لعدم نوريته بتراكم ظلم الحجب المختلفة عليه ، فلهذا يسمى عموم حصول صور الأكوان في القلب ورسوخها فيها ، حجابا ورينا عليه ) (4) .

---

1. لطائف الإشارات 701/3 .

2. تفسير القرآن الكريم للكاشاني ، منسوب لابن عربي ص779 .

3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 143 .

4. لطائف الإعلام 477/1 .

\*\*\*\*\*

## 66- الرجاء

\*\*\*\*\*

- الرجاء : الرجاء ظن يقتضى حصول ما فيه مسرة (1) ، وهو يضاد الخوف ويلازمه ، كقوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ } [الإسراء/57] ، وقوله : { وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ } [النساء/104] ، وعن أنس ؓ ، أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت ، فقال : كيف تجددك ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله ، وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن ، إلا أعطاه الله ما يرجو ، وآمنه مما يخاف □ (2) .

والرجاء في جميع الأدلة الواردة في الكتاب والسنة ، يدور حول معنى الرغبة والتمنى والطلب ، وكثرة الإلحاح في الدعاء ، فمن حديث النعمان بن بشير ؓ أنه ﷺ قال عن أصحاب الغار : " فقال رجل منهم .. فلما رأته ذلك أسلمت إلي نفسها ، فلما تكشفتها وهممت بها ،

ارتعدت من تحتي ، فقلت لها : ما شأنك ؟ ، قالت : أخاف

الله رب العالمين ، قلت لها : خفتيه في الشدة ، ولم —

1. المفردات ص 190 ، ولسان العرب 309/14 ، كتاب العين 176/6 .
2. أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد (4261) وقال الشيخ الألباني : حسن 1423/2 والترمذى برقم (983) 311/3 ، وأبو يعلى في مسنده برقم (3303) 57/6 .

أخفه في الرجاء ، فتركها وأعطيتها ما يحق علي بما تكشفتها " (1) .

وعن أم عطية قالت : " كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد ، حتى نخرج

البكر من خدرها ، حتى نخرج الحيض ، فيكن خلف الناس فيكبرن

بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم ، يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته " (2) ،

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : " لما أنزلت هذه الآية :

{ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } [آل عمران/92] قام أبو طلحة ؓ ،

إلى رسول الله ﷺ فقال : " إن أحب أموالي إلي بيرحاء ، وإنها

صدقة لله أرجو برها ، وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث

أراك الله " (3) ، وعن أبي هريرة ؓ ، أن النبي ﷺ قال لبلال عند

صلاة الفجر : " يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ،

فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ، قال : ما عملت عملا

أرجى عندي أني لم أتطهر طهورا في ساعة ليل أو نهار ، إلا صليت

بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي " (4) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : " أربعون خصلة ، أعلاهن منيحة العنز ، ما من عامل يعمل بخصلة منها ، رجاء ثوابها —

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (17950) واللفظ له ، وأخرجه البخاري في كتاب البيوع برقم (2215) .

2. أخرجه البخاري في كتاب الجمعة برقم (971) 535/2 .

3. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة برقم (1461) 381/3 .

4. أخرجه البخاري في كتاب الجمعة برقم (1149) 41/3 .

وتصدق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة " (1) .

ومن حديث أبي هريرة  $\tau$  قال  $\varepsilon$  : " قَالَ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دَعَاهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ كُلِّ خَزَنَةٍ بَابٍ أَيْ فُلْ هَلُمَّ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ  $\tau$  : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَاكَ الَّذِي لَا تَوَى عَلَيْهِ فَقَالَ النَّبِيُّ  $\varepsilon$  : إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ " (2) .

وعن سهل بن سعد  $\tau$  ، أنه سمع النبي  $\varepsilon$  يقول يوم خيبر : " لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه ، فقاموا يرجون لذلك ، أيهم يعطى ؟ فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى ، فقال : أين علي ؟ " (3) ، ومن حديث عائشة رضي الله عنها قال ملك الجبال للنبي  $\varepsilon$  : " إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي  $\varepsilon$  : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم ، من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا " (4) .

- الرجاء في الاصطلاح الصوفي :



الرجاء فى الاصطلاح الصوفى من أعمال القلوب التى تتعلق  
بمحصول محبوب فى المستقبل ، وسكون القلب بحسن الوعد ، والثقة  
بالجود من الكرىم الودود فهو عندهم قوت الخائفين ، وفاكهة  
المحرومين ، ومن جملة مقامات الطالبين —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة برقم (2631) 287/5 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2841) 57/6 .

3. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق (2942) 129/6 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3231) 360/6 .

وأحوالهم (1) ، وأغلب عبارات الصوفية ، تدور حول هذا المعنى ،  
روى عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) ، وقد سئل عن الرجاء ؟ ،  
فقال : ( الطمع فى فضل الله تعالى ورحمته ، وصدق حسن الظن عند  
نزول الموت ) (2) ، وحكى عن ذى النون المصرى (ت:248هـ) أنه  
كان يدعو ، ويقول : " اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا  
عندنا ، واعتمادنا على عفوك أرجأ عندنا من عقابك لنا " (3) .

وينسب لأبى محمد الجريرى (ت:311هـ) : ( الرجاء طريق الزهاد  
والخوف سلوك الأبطال ) (4) ، ولأبى على الروذبارى (ت:322هـ) :  
( الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر ، إذا استويا استوى الطير ، وتم  
طيرانه ، وإذا نقض أحدهما وقع فيه النقض ، وإذا ذهب صار الطائر  
فى حد الموت ) (5) ، ويروى عن عبد الله بن خفيف الشيرازى  
(ت:371هـ) ، أنه قال : ( الرجاء استبشار بوجود فضله ) (6) .

- 
1. انظر التعريفات للشريف الجرجاني ص114 ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 84/3 بتصرف .
  2. طبقات الصوفية ص59 .
  3. اللمع ص92 .
  4. طبقات الصوفية ص264 .
  5. الرسالة القشيرية 357/1 .
  6. السابق 357/1 .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( الرجاء تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل ، وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان ، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل في الاستقبال ، وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين التمني ، أن التمني يورث صاحبه الكسل ، ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمن معلول ) (1) .

وقد قسم الكاشاني الرجاء عند الصوفية إلى عدة أنواع (2) :

(1- رجاء المجازاة : يعنى به الرجاء الذى يبعث العامل على الاجتهاد وتلذذه عند الخدمة ويوجب له سماحة نفسه بترك الملاهى ، وهو ما يتوقعه من المجازاة على قيامه بالأمر الذى وعد بالثواب عليه ، وترك النهى الذى توعده بالعقاب على فعله ، ومثل هذا إنما ينشط فى عمل الطاعات ، وترك الخطيئات لأجل ما يرجوه فى الجنان ، عوضا عما بذل من مراد نفسه وحظوظها ، فهو يترك ما يترك من المناهى التى

هى مثل شرب الخمر والزنا وأشباه ذلك من المحرمات المملدة عند مقترفيها ، لما يرجوه من الرحيق المختوم والخور العين وغير ذلك مما وعد الحق به فى دار الرضوان ، فهو لولا ذلك ، لما هان عليه ترك مصائد الشيطان ، فلهذا صار هذا الرجاء ضعيفا فى نظر هذه الطائفة ، إذ كان العامل عليه إنما ينشط فى عمل رجاء الجزاء ، كمثلى الصبى الذى ينشط إلى حفظ تلقينه رغبة فيما وعد عليه من الحلوى .

---

1. السابق 357/1 . 2. لطائف الإعلام 484:482/1 .

(2- رجاء أرباب الرياضات : هو تصفية القلوب ليستعد بذلك للقاء المحبوب بما يحملون على أنفسهم ، من المجاهدات لها على ترك مألوفاتها وملذاتها ، وإنما كان هذا النوع من الرجاء ضعيفا أيضا ، لأن أهل الرياضة مشغولون بتطهير القلوب ، فهم بعد لم يبلغوا منازل القرب التى لا تحصل إلا بعد تطهير القلوب .

(3- رجاء أرباب القلوب : هو لقاء المحبوب الحق جل اسمه ، وإنما يعد هذا النوع من الرجاء ضعيفا أيضا ، لأن الرجاء للشئ ، إنما يكون فى وقت الغيبة وحيث أن الأمر عند هذه الطائفة ، إنما ينبى على الحضور والمشاهدة ، صار الرجاء عندهم من المراتب الإلهية لا محالة بالجملة ، لما فى الرجاء من تعلق الهمة بما لعل الله أراد غيره ،

فلهذا لا يعتد بالرجاء من أعرض عن الاعتراض ونفى عنه الأغراض  
(1) .

والصوفية ليسوا جميعا على ما ذكره الكاشاني في تقسيمه ، يعدون  
الرجاء حال الضعفاء من أهل السلوك ، بل ما ورد في عباراتهم  
السابقة يدل على خلاف ذلك ، ومن ثم فإن الرجاء المذكور في كلام  
الكاشاني ، محمول على من أسقط رؤية العوض في العبادة ، وهؤلاء  
يعتبرون الرجاء من الرعوننة التي هي الوقوف مع حظ النفس الذي  
يرجى حصوله ، وأول الطريق عند هذه الطائفة الخروج عن النفس ،  
فضلا عن شهواتها في الدنيا أو الآخرة ، ولذلك استدل الكاشاني  
بقول الحلاج :

أريدك لا أريدك للثواب : ولكني أريدك للعقاب

---

1. السابق 482/1 .

فكل مآربي قد نلت منها : سوى ملذوذ قلبي بالعذاب (1)

يقول الكاشاني : ( فجعل غاية مطلوبه أن يتلذذ بالعذاب ، وليس  
أن مقصوده من العذاب التلذذ به ، وإلا لكان ذلك رعوننة من جهة  
طلب اللذة ، ومن جهة الاقتراح بتخصيصها ، ومن جهة طلب  
خرق العادة الذي هو حصول اللذة في محل الإيلام ، بل إنما أراد

بذلك أن يرى حسن رضاه بأحكام مولاه ، بما ليس للنفس فيه حظ  
بوجه ( 2) .

\*\*\*\*\*

## 67- الرضا

\*\*\*\*\*

- الرضا : الرضا يرد على معنى القناعة والاختيار والتسليم (3) ،  
كقول الله تعالى : { وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ  
يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ  
إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } [البقرة/282] ، وقوله سبحانه : {  
قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ  
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [البقرة/144] وقوله : { إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ  
تَرَاضٍ مِنْكُمْ } [النساء/29] .

1. وانظر ديوان الحلاج طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص 70 .

2. السابق 482/1 .

3. المفردات ص 197 ، ولسان العرب 323/14 ، وكتاب العين 57/7 .

وعن سعد بن أبي وقاص  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  خرج إلى تبوك  
واستخلف عليا ، فقال : " أتخلفني في الصبيان والنساء ، قال : ألا  
ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي

بعدي " (1) ، ومن حديث عمر بن الخطاب ؓ قال : " فرأيت أثر الحصر في جنبه فبكيت ، فقال : ما يبكيك ؟ فقلت يا رسول الله : إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ، فقال : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة " (2) .

والرضا يرد أيضا على معنى ينافى التسخط ، أو الحزن أو الغضب ، كما قال تعالى : { وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ } [التوبة/58] ، وقال تعالى : { وَلَا يَحْزَنَنَّ وَيَرْضَوْْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ } [الأحزاب/51] ، ومن حديث عمار بن ياسر ؓ ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب " (3) .

وعن أنس بن مالك ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط " (4) ، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قال : " قلت يا \_\_\_\_\_

1. أخرجه البخارى في كتاب المغازى برقم (4416) 7/716 .

2. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن برقم (4913) 8/525 .

3. أخرجه النسائى في السهو برقم (1305) ، وقال الألبانى : صحيح 3/54 .

4. أخرجه ابن ماجة في الفتن (4031) ، وقال الألبانى : حسن 2/1338 .

رسول الله ﷺ أكتب ما أسمع منك ؟ قال : نعم قلت : في الرضا والسخط ؟ قال نعم ، فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقا "

(1) ، ومن حديث أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، فإذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك ، فالأرض الأرض ، ألا إن خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا ، وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا " (2) ، والرضا في الكتاب والسنة على نوعين (3) :

أ - رضا العبد عن الله ولازمة ثلاثة أمور : الرضا بالله ربا ، وهو أن لا يكره ما يجرى به قضاؤه قبل السعى وبعده ، والرضا بالإسلام ديناً ، وهو أن يخضع لأمره ونهيه ، والرضا بمحمد  $\varepsilon$  نبيا ورسولا ، ألا يحدث في دين الله أمراً يخالف سنة نبيه  $\varepsilon$  ، وقد دل على الثلاثة حديث أنس بن مالك  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  خرج حين زاغت الشمس ، فصلى الظهر ، فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر أن فيها أموراً عظيماً ثم قال : " من أحب أن يسأل عن شيء ، فليسأل —

1. أخرجه أحمد في المسند (6891) واللفظ له ، وأبو داود في كتاب العلم (3646) 3/318 ، والدارمي في المقدمة برقم (484) 1/136 .

2. أخرجه أحمد في المسند برقم (10759) واللفظ له ، وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن برقم (21911) وقال حسن صحيح 4/483 .

3. المفردات ص 197 .

فلا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم ، ما دمت في مقامي هذا ، فأكثر الناس في البكاء وأكثر أن يقول سلوني ، فقام عبدالله بن

حذافة السهمي فقال : من أبي ؟ قال : أبوك حذافة ، ثم أكثر أن يقول : سلوني فبرك عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، فسكت ثم قال : عرضت علي الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كالحير والشر " (1) .

ب- رضا الله عن العبد ، وهو أن يراه مؤتمراً لأمره ومنتهياً عن نهيهِ ، قال الله تعالى : { جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ } [البينة/8] وقال تعالى : { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ } [الفتح/18] ، وقال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة/3] ، وعن ابن عمر  $\tau$  ، " كان رسول الله  $\epsilon$  إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال : { سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } [الزخرف/14:13] ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى " (2) .

## - الرضا في الاصطلاح الصوفي :

والرضا عند أغلب الصوفية ، يرد على معنيين وردت بهما الأصول القرآنية :

1. أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة برقم (540) 27/2 .



2. أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (1342) 978/2 .

الأول : الرضا بالأمر الكوني وهو الرضا بالقضاء والقدر ، مع مراعاة أن الواجب على العبد أن يرضى بالقضاء الذى أمر بالرضى به ، إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد ، أو يجب عليه الرضا به ، كالمعاصى وفنون محن المسلمين <sup>(1)</sup> روى عن أبي سليمان الداراني (ت:215هـ) أنه قال : ( علموا النفوس الرضى بمجارى المقدور ، فنعم الوسيلة إلى درجات المعرفة ) <sup>(2)</sup> ، ويروى أن ذى النون المصرى (ت:248هـ) سئل عن الرضا ؟ فقال : سرور القلب بمر القضاء <sup>(3)</sup>

وعن أحمد بن عطاء الآدمى (ت:311هـ) قال : ( الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنه اختار له الأفضل ) <sup>(4)</sup> ويروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) : ( ليس الرضا ألا تحس بالبلاء ، إنما الرضا ألا تعترض على الحكم والقضاء ) <sup>(5)</sup> .

الثانى : الرضا بالأمر الشرعى ، وهو استسلام العبد لله ، فيذم ما ذمه الله ويكره ما كرهه ، لموافته رضاه فى كل شئ شرعه ، على تفصيل العلم وترتيب الأحكام ، فما كان من خير وبر أمر الله به أو

ندب إليه ، رضى به العبد وأحبه —————

1. الرسالة القشيرية 422/2 بتصرف .

2. طبقات الصوفية ص 81 .

3. اللمع ص 80 .

4. التعرف للكلاباذى ص 102 .

5. الرسالة القشيرية 422/2 .

شرعا وفعلا ووجب عليه الشكر ، وما كان من شر نهي عنه وتهدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وقدرا ، ويسلمه لمولاه حكمة وحكما ، وعليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبا ، ويعترف به لنفسه ظلما ، ويرضى بعود الأحكام عليه بالعقاب ، وأنه اجتزحه بجوارحه اكتسابا ، ورضا بأن لله الحجة البالغة عليه وأن لا عذر له فيه ، فهم مع الله فيما أحب وكره (1) ، وروى عن أبي سليمان الداراني : ( إذا سلا القلب من الشهوات فهو راض ) (2) ، وعن حاتم الأصم (ت:237هـ) : ( من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء ، فهو يتقلب في رضا الله ، أولها الثقة بالله ، ثم التوكل ، ثم الإخلاص ، ثم المعرفة ، والأشياء كلها تتم بالمعرفة ) (3) ، ويذكر لأبي تراب النخشي (ت:245هـ) ، أنه قال : ( ليس ينال الرضا من للدنيا في قلبه مقدار ) (4) وروى عن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) أنه سئل عن الرضا ؟ فقال : الرضا رفع الاختيار (5) ، ويروى عن أبي القاسم النصرباذى (ت:367هـ) : ( من أراد أن يبلغ محل الرضا فليزم ما جعل الله رضاه فيه ) (6) .

---

1. قوت القلوب 45/2 بتصرف .

2. الرسالة القشيرية 423/2 .

3. طبقات الصوفية ص 94 .

4. الرسالة القشيرية 426/2 .

5. اللمع ص 80 .

6. الرسالة القشيرية 422/2 .

ومن عباراتهم التي تجمع بين المعنيين السابقين ، ما روى عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) أنه قال : ( أحق الناس بالرضا عن الله ، أهل المعرفة بالله عز وجل ) (1) ، وعن أبي سليمان الداراني قال : ( ليس أعمال الخلق بالذى يرضيه ولا بالذى يسخطه ، ولكنه رضى عن قوم فاستعملهم بعمل أهل الرضا وسخط على قوم فاستعملهم بعمل أهل السخط ) (2) ، ويروى عن ذى النون المصرى : ( ثلاثة من أعلام الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء وهيجان الحب فى حشو البلاء ) (3) ، ويذكر أن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) قال : ( إذا اتصل الرضا بالرضوان ، اتصلت الطمأنينة فطوبى لهم وحسن مآب ، لقوله تعالى : { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة/8] فالرضا فى الدنيا تحت مجارى الأحكام ، يورث الرضوان فى الآخرة بما جرت به الأقلام ) (4) ، ولعبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:371هـ) : ( الرضا على قسمين : رضا به ورضا عنه ، فالرضا به أن يرضاه مدبرا ، والرضا عنه فيما يقضى ) (5) .

1. طبقات الصوفية ص 10 .
2. اللمع ص 80 .
3. الرسالة القشيرية 425/2 .
4. التعرف لمذهب أهل التصوف ص 102 .
5. الرسالة القشيرية 424/2 .

وربما وردت بعض العبارات في الرضا ، تدل على المبالغة فيه تخالف ظواهر النصوص القرآنية ، كما نسب إلى الدراني : ( الرضا أن لا تسأل الله تعالى الجنة ولا تستعيز به من النار ) (1) ، وقوله أيضا : ( أرجو أن أكون عرفت طرفا من الرضا ، لو أنه أدخلني النار لكنت بذلك راضيا ) (2) ، ولأبي بكر الشبلي أيضا لما قال بين يدي الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له الجنيد : قولك ذا ضيق صدر ، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء ، فسكت الشبلي ) (3) .

وقد نبه أبو طالب المكي على مخالفة ذلك للصواب فقال : ( ولا ينقص الراضى من مقام الرضا ، مسألة مولاة ومزيد الآخرة وصلاح الدنيا تعبدا بذلك وافتقارا إليه في كل شئ ، لأن في ذلك رضاه ، ومقتضى تمدحه بمسئلة الخلائق له ، فإن صرف مسائله إلى طلب النصيب من المولى ، وابتغاء القرب منه حبا له ، وآثره على ما سواه ، كان فاضلا في ذلك ، لأنه قد رد قلبه إليه وجمع همه بذلك ، وهذا على قدر مشاهدة الراضى عن معرفته وهو مقام المقربين ، وهذا

أصل فاعرفه فهو طريق الصوفيين وعليه عمل العارفين من السلف فلم يكن يضرهم عندهم خلاف من خالف (1) .

1. السابق 425/2 .

2. السابق 426/2 .

3. السابق 425/2 .

4. قوت القلوب 44/2 .

وقد قسم الكاشاني الرضا عند الصوفية إلى خمسة أنواع (1) :

1- رضا العامة : هو أن يرضى هو بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ، بحيث يكون الله ورسوله أحب الأشياء إليه ، وأولاها عنده بالتعظيم وأحقها بالطاعة .

2- رضا الخاصة : هو أنهم كما رضوا بالله ربا ، فإذا قد رضوا به مالكا ومتصرفا في جميع أحوالهم بما قضى وقدر ، بحيث لا يجد العبد في نفسه حرجا من قطع يده ، وموت ولده ، وهذا هو الوقوف الصادق ، مع مراد الحق تعالى وقوفا بالحقيقة ، من غير تردد في ذلك .

3- رضا المحب : وهو قريب من رضى الخاصة ، بحيث لا يجد العبد في نفسه حرجا من قطع يده ، وموت ولده إلا أن هذا المحب ، هو الذى يكون رضاه بذلك ، لكونه لا يجد لنفسه رضا ولا سخطا لسقوط مراداته ، فإن الرضا فرع عن الإرادة ، وقد

سقطت في حق هذا العبد بمشاهدته ، بأن هذا الواقع ليس إلا على وفق إرادة الحكيم في صنعه الرحيم بفعله ، ومن كان هذا بالنسبة إليه أرجح وأميز من غيره ، فقد زال أيضا عن التحكم وسقوط الإختيار وفقد التمييز ، ولو أدخل النار لأنه لا يرى ، أن ذلك عن إرادة الحق الصادرة عن الحكيمية والرحيمية ، وعند ذلك يتحقق بالرضا عن الله في كل ما يريده ، وفي ذلك تصحيح مقام الرضا المختص بأهل المحبة الصادقين فيها .

---

1. لطائف الإعلام 492:490/1 .

4- رضا الحق على العبد : وهو ثمرة رضا الخاصة ، وهو أن لا يفقد تعالى عبده حيث أمره ، ولا يجده حيث نهاه ، وذلك بأن يكون العبد مطيعا لربه في كل ما أمره به ونهاه عنه ، وهذا هو العبد الذي قد أرضى ربه .

5- رضا العبد عن الرب : هو رضا المحب كما مر ، وهو أن لا يبقى للعبد تعلق بغير ، ما أراده الحق تعالى له ، وذلك بأن لا يجد في نفسه حرجا مما قدره الحق وقضاه ، ولو في قطع يده وموت ولده ، فإن المحبة الحقيقية لا تصح إلا مع محبة ما هو مراد المحبوب (1) .

\*\*\*\*\*

## 68- الرعـاية

\*\*\*\*\*

- الرعـاية : الرعى فى الأصل حفظ الحيوان ، إما بغذائه المحافظ لحياته ، وإما بذب العدو عنه ، يقال رعيتـه أى حفظته وأرعيتـه جعلت له ما يرمى ، والمرعى موضع الرعى (2) قال تعالى : { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا } [النازعات/30:31] ، وقال : { كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ } [طه/54] .

1. انظر المزيد عن مصطلح الرضا عند الصوفية فى رسالة ماجستير بعنوان مقام الرضا عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد محمد مختار محمد مصلح ، مخطوط كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1988م .

2. كتاب العين للخليل بن أحمد 2/240 ، والمفردات ص 198 ، والمغرب 1/334 .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : " كنا مع رسول الله ﷺ ، خدام أنفسنا نتناوب الرعاية ، رعاية إبلنا ، فكانت علي رعاية الإبل ، فروحتها بالعشي ، فأدركت رسول الله ﷺ يخطب الناس ، فسمعتـه يقول : ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيركع ركعتين ، يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا قد أوجب ، فقلت : بخ بخ ما أجود هذه " (1) ، وعن أبي هريرة ر عن النبي ﷺ قال : " بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت : لم أخلق لهذا خلقت للحراثة ، قال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر ، وأخذ الذئب

شاة فتبعها الراعي ، فقال : له الذئب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري قال : آمنت به أنا وأبو بكر وعمر " (2) .

واستعير الرعى للحفظ والسياسة ، كقوله تعالى : { فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } [الحديد/27] أى ما حفظوا عليها حق المحافظة ، وهو مستخدم فى كل سائس لنفسه أو لغيره ، فمن الأول حديث النعمان بن بشير  $\pi$  ، قال  $\varepsilon$  : " الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله فى أرضه —

1. أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة برقم (169) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 43/1 وابن خزيمة فى صحيحه برقم (222) 110/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المزارعة برقم (2324) 11/5 .

محارمه ، ألا وإن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " (1) .

ومن الثانى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " كللكم راع وكللكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ، وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته " (2) .



ومن حديث أبي السوار π ، عن خاله قال : " أتى علي رسول  
الله ﷺ فضربني ضربة □ ، إما بعسيب أو قضيب أو سواك ، أو شيء  
كان معه ، فوالله ما أوجعني ، فبت بليلة ، قلت : ما ضربني رسول  
الله ﷺ ، إلا لشيء علمه الله في ، وحدثني نفسي أن آتي رسول  
الله ﷺ إذا أصبحت ، فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ فقال :  
إنك راع ، لا تكسرن قرون رعيتك ، فلما صلينا الغداة ، قال رسول  
الله ﷺ : اللهم إن أناسا يتبعوني ، وإني لا يعجبني أن يتبعوني ،  
اللهم فمن ضربت أو سببت ، فاجعلها له كفارة وأجرا ، أو قال  
مغفرة ورحمة " (3) .

#### - الرعاية في الاصطلاح الصوفي :

الرعاية في الاصطلاح الصوفي ، يقصد بها الرعاية لحقوق الله عز

#### وجل والقيام —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (62) 178/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (893) 441/2 .

3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (22563) 294/5 .

بها وهى عندهم أمر عظيم ، تولى الله تعالى عليه أنبياءه وأحباءه ،  
لأنهم رعوا عهده وحفظوا وصيته ، وكل ما أمر الله عز وجل بالقيام به  
، قد أمر برعايته ورعاية حقوقه ، من واجب مضيق أو موسع ، أو  
معين أو مخير ، أو مقدم أو مؤخر ، لقول النبي ﷺ : " كلكم راع ،  
وكلكم مسئول عن رعيتيه " (1)

ويقسم الحارث بن أسد المحاسبي (ت: 243هـ) أهل الرعاية لحقوق الله إلى سبع منازل (2) :

فأول منازل الرعاية : الرعاية لحقوق الله عز وجل عند الخطرات على العلل والأسباب والأوقات والإدارات ، فلا تخطر بقلبه خطرة من أعمال القلوب إلا جعل الكتاب والسنة دليلين عليها ، فلم يقبلها باعتقاد الضمير ، وبتركها يسكن قلبه في مجال الفكر من التمني وغيره ، إلا أن يشهد له العلم أن الله عز وجل قد أمر بها وندب إليها ، أو أذن فيها بأسبابها وعللها ووقتها وإرادتها فيها ، فإنه قد يقبل الخطرة يرى أنها داعية إلى سنة وهي بدعة ، وقد يرى أنها داعية إلى طاعة وهي معصية ، وقد يرى أنها داعية إلى خير وهي شر ، كالخطرة تدعو إلى الإخلاص بترك العمل ، وإلى التنزه عن الخلق بالفكر ، وإلى الرجاء على العمل بالعجب والعزة ، وإلى المنافسة بالحسد ، وإلى الغضب لله عز وجل بتمنى البلاء في الدنيا والدين للمسلمين ، واعتقاد استحلال ما حرم الله عز وجل منهم ونحو ذلك من الخطرات .

---

1. انظر الرعاية ص 37 ، وحياة القلوب على هامش قوت القلوب 100/2 .

2. السابق ص 87 ، ص 106.

ثم أهل المنزلة الثانية : وهم الذين أغفلوا الرعاية عند الخطرات في أعمال القلوب ، مما ليس للبدن فيه عمل ، حتى جالت قلوبهم

بالفكرة فيما كره الله عز وجل ، ثم تيقظوا قبل أن يعتقدوها بقلوبهم  
ففزعوا وصرخوا بقلوبهم عن ذلك .

وأهل المنزلة الثالثة : الذين أغفلوا الرعاية والمراقبة عند الخطرات  
وعند الفكر في أعمال قلوبهم ، حتى اعتقدوا ما كره الله عز وجل من  
أعمال قلوبهم ، مما لا عمل للبدن فيه مثل العجب والكبر ، والحسد  
والشماتة ، وسوء الظن وما أشبه ذلك والبدعة ، ثم تيقظوا وفزعوا  
وذكروا الله عز وجل ، فندموا وخلوا ما عقدوا عليه من ذلك بالتوبة  
إلى الله عز وجل .

وأهل المنزلة الرابعة : الذين أغفلوا المراقبة لله عز وجل ، والرعاية  
لحقه حتى هموا وعزموا أن يأتوا ما كره الله عز وجل بجوارحهم ، ثم  
تيقظوا ورهبوا فندموا على ما أضمروا وخلوا ما عليه عقدوا بضمائر  
قلوبهم .

وأهل المنزلة الخامسة : الذين أغفلوا مراقبة الله عز وجل وتقواه ،  
حتى ابتدءوا بالعمل بجوارحهم بما كره الله عز وجل ، من لحظة بعين  
أو إصغاء بأذن أو مد بيد أو خطوة برجل ، ثم تيقظوا وفزعوا وخافوا  
الله عز وجل ، قبل أن يتموا ما كره الله عز وجل من العمل كالعين  
يلحظ بها ، ثم يذكر اطلاع الله عز وجل عليه ، وأن الله يسأله عنها  
أو يخاف أن يغضب عليه ، فيصرف بصره قبل أن يستتم من النظر ما  
أراد وأحب .

وأهل المنزلة السادسة : الذين أغفلوا مراقبة الله عز وجل وتقواه ، حتى استتموا ما كره الله عز وجل من العمل وفرغوا منه ، ثم فزعوا وندموا فتابوا إلى الله عز وجل وأقلعوا ، ولم يصروا على شئ مما كره الله ، بعد ما تيقظوا فعلموا أنهم أسخطوا الله عز وجل بما قدموا وفعلوا ، وتعرضوا .

وأهل المنزلة السابعة : الذين أغفلوا رعاية حقوق الله عز وجل ، حتى فرغوا من الأعمال التي يكرهها الله عز وجل ، ثم فزعوا عند بعضها فأقلعوا عن بعضها وأقاموا على بعضها ، ولم ترسخ أنفسهم بالتوبة من بعضه ، كالرجل يأتي العمل من أعمال السلطان من الجباية والكتابة وغير ذلك ، فيظلم فيه ثم يفزع وينوى ألا يظلم أحدا .

وروى عن عمرو بن عثمان المكي (ت:291هـ) أنه قال : ( اعلم أن الرعاية مصحوبة لك في كل الأحوال ، من العبادة إلى أن تلقى ربك ، كذلك التقوى واعلم أن العلم قائد ، والخوف سائق ، والنفس حرون بين ذلك ، جموح خداعة رواغة ، فاحذرهما وراعها بسياسة العلم ، وسقها بتهديد الخوف يتم لك ما تريد ) (1) .

ويذكر الكاشاني أن الرعاية هي صون بالعناية ، لأنه في الدعاء يقال : رعاك الله ، أى اعتنى بصونك عما فيه شينك ، وقسمها إلى عدة أنواع (2) :

أ- رعاية الأعمال : وهى سلامتها من النقص ، وذلك يكون بتحقيرها إذ كان فيه توفيرها ، فإنك إن لم تستحضر عملك بالنسبة إلى ما يجب عليك وألا —

1. طبقات الصوفية ص 203 .

2. لطائف الإعلام 493:492/1 .

يداخلك من التيه ما تفسد به نيتك ، ومن العجب ما يحبط مزيدك ، ولهذا لا ينبغي لك عند القيام بوظائف العبادات ، أن تنظر إليها بإعجاب أو تتزين بها بين الناس ، بل ينبغي أن يكون نظرك إليها مقصورا على النظر فى أدائها وعلى تصحيحه بمقتضى العلم الشرعى الموجب للإخلاص .

ب- رعاية الأحوال : وهى سلامتها عن الاستحسان لها ، وذلك بأن تقدر أن الغالب عليك منها دعوى كاذبة ، لتطهر نفسك بذلك من الرعونة ويخلص القلب من نصيب الشيطان .

ج- رعاية الأوقات : بأن تقف مع كل خطرة بتصحيحها بالشروط المعتبرة فى تصحيح خطرات الحق والخطوات إليه ، وذلك بأن تغيب عن حظك من كدر رسمك الذى هو نفسك ، وإنما تصفو من ذلك ، إذا لم تر تقدمك بنفسك بل بربك ، ثم تغيب عن شهودك لصفوك .

\*\*\*\*\*

## 69- الرغبة

\*\*\*\*\*

- الرغبة : الحرص على الجمع مع منع الحق (1) ، وأصل الرغبة السعة في الشيء واستعيرت لسعة الإرادة وطول التمني فيها ، قال تعالى : { **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ** —

1. انظر لسان العرب 422/1 ، والقاموس المحيط ص115 ، وكتاب العين للخليل بن أحمد 413/4 ، والمغرب في ترتيب المغرب للمطرزي 335/1 .

في الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } [الأنبياء/90] ، وعلى هذا الاعتبار كانت الرغبة على نوعين (1) :

أ- طلب حصول الشيء والحرص عليه ، فإذا قيل : رغب فيه وإليه ، اقتضى ذلك تمنى وقوعه كقوله تعالى : { **وَتَرْتَبِئُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ** } [النساء/127] وقوله : { **إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ** } [التوبة/59] ، ومن السنة في هذا المعنى ، ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : □ إذا دعا أحدكم ، فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه □ " (2) ، وقالت أم سلمة رضی الله عنها: " فوضعت له  $\varepsilon$  وسادة آدم حشوها ليف ، فقعدها عليها فخطبني إلى نفسي ، فلما فرغ من مقالته ، قلت : يا رسول الله ، ما بي أن لا تكون بك الرغبة في ، ولكني امرأة في غيرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به ، وأنا

امرأة دخلت في السن ، وأنا ذات عيال " (3) ، وعن ميمونة رضى الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم : " كيف أنتم إذا مرج الدين ، وظهرت الرغبة ، واختلفت الإخوان ، وحرقت البيت العتيق " (4) .

1. المفردات ص 198

2. أخرجه مسلم في كتاب الذكر برقم (2679) 4/2063.

3. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد رقم (15909) واللفظ له ، والترمذى في كتاب الدعوات برقم (3511) 5/533 ، وأبو داود في كتاب الجنائز برقم (3115) 3/191 .

4. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (26289) ورواته ثقات .

ومن حديث البراء بن عازب  $\tau$  ، قال صلى الله عليه وسلم : " إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك " (1) .

ب- طلب البعد عن الشيء والحرص على امتناع وقوعه ، فإذا قيل :  
رغب عنه اقتضى ذلك صرف الرغبة عنه والزهد فيه ، نحو قوله تعالى :  
{ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ } [البقرة/130] وقوله سبحانه : { قَالَ  
أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ } [مريم/46] ، ومن السنة في هذا المعنى ،  
ما روى عن سعيد بن المسيب  $\tau$  عن أبيه ، أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله  $\varepsilon$  ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ،

وعبد الله بن أبي أمية ، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : " يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم ، هو على ملة عبد المطلب ، وأبي أن يقول لا إله إلا الله " (2) .

ومن حديث أنس بن مالك ، قال ﷺ : " أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء برقم (247) 426/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1360) 263/3 .

عن سنتي فليس من " (1) ، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : " قدمت علي أمي وهي مشركة ، في عهد رسول الله ﷺ ، فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت وهي راغبة : أفأصل أمي ؟ ، قال : نعم صلي أمك □ " (2) ، تعنى وهي راغبة عن الإسلام .

### - الرغبة فى الاصطلاح الصوفى :

الرغبة فى اصطلاح الصوفية فوق الرجاء ، لأن الرجاء طمع ، فيحتاج إلى تحقيق ، وأما الرغبة فهى سلوك على تحقيق المرغوب ، والرغبة عندهم على ثلاث درجات (3) :



1- رغبة لأهل الخير تتولد من العلم بعظم شأن المرغوب إليه ،  
وعظم إحسانه وجزيل إنعامه ، فتبعث على الاجتهاد والطاعة  
الموجبين للقرب ، وتصون السالك عن العثور .

2- رغبة أرباب الحال ، وهى رغبة لا تبقى من المرغوب شيئاً .

3- رغبة أهل الشهود يبذل كل ما فى مجهودهم لطلب الشهود .

قال الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : ( الذى يشين الورع ويوهنه  
الرغبة فى الدنيا وكثرة الطمع فيها ودوام الحرص عليها يجمع ما لا يضر  
فقدته ) (4) . —

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5063) 5/9 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الهبة برقم (2620) 275/5 .

3. حياة القلوب على هامش قوت القوب 204/2 .

4. القصد والرجوع إلى الله ص 47 .

وقال أبو حامد الغزالى (ت:505هـ) ، ويشاركة ابن عربى

(ت:638هـ) الرأى : ( الرغبة ثلاثة : رغبة النفس فى الثواب ،

ورغبة القلب فى الحقيقة ورغبة السر فى الحق ) (1) .

ويشرح الكاشانى المقصود بهذه الأنواع فى الاصطلاح

الصوفى ويجعلها عندهم على ثلاث درجات (2) :

1- رغبة النفس : تحققها بالسلوك بسبب ما وعدت به من

الثواب على أعمال البر ، وذلك هو الذى يبعثها على الاجتهاد

ويصونها من وهن الفترة ، ويمنعها من الرجوع إلى غثاثة الرخص .

- 2- رغبة القلب : هى التحقق بالحقيقة ، فيصونه ذلك عن الالتفات إلى غير ما هو المقصود من وجوده ، سواء كان ذلك الشئ من حظوظ الدنيا ، أو من حظوظ الآخرة ، لعلمه بأن المطلوب إنما هو الفناء عما سوى الحق ليحصل البقاء به ، فلهذا لا يبقى فيه التفات إلى عالم الخلق لكمال توجهه إلى عالم الحق .
- 3- رغبة السر : فى التحقق بالحق وبذلك صونه عن الأغيار ، لأنه فى الحضرة التى تأبى التنويه ، فمن شهدها لم يكن متحققا بحضرة الأحدية .

---

1. الإملاء ص69 ، واصطلاح الصوفية لابن عربى ص10.

2. لطائف الإعلام 494/1 .

\*\*\*\*\*

## 70- الرهبة

\*\*\*\*\*

- الرهبة : الرهبة من مقدمات الخوف ، وهى توقع المخافة مع التحرز والاضطراب ، وغالبا ما ترتبط بالصدر ، كما أن الخوف يرتبط بالقلب ، قال تعالى عن الرهبة : { لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ } [الحشر/13] ، وفى الخوف ، قال أسامة بن زيد : " "

يا رسول الله ، إنما قالها ، يعنى لا إله إلا الله ، خوفا من السلاح ، قال : أفلا شققت عن قلبه ؟ " (1) .

فالرهبنة حالة تعترى المرء قبل حلول الخوف فى القلب ، قال تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ } [الأنفال/60] وقال : { سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ } [الأعراف/116] ، أى حملوهم على أن يرهبوا وقوله : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي } [البقرة/40] وذلك يشمل الحذر من التفكير فى نقض العهد ، أو الإقدام عليه لوجود الرهبة والحذر من فعله ، والوقوع فيه لوجود الخوف (2) .

ومما ورد فى السنة عن معنى الرهبة ، ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : " قيل لعمر ألا تستخلف ؟ قال : إن أستخلف فقد استخلف من —

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (96) 96/1 .

2. لسان العرب 426/1 ، المغرب للمطرزى 354/1 ، المفردات ص204 .

هو خير مني أبو بكر ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ، رسول الله ﷺ فآثنوا عليه ، فقال : راغب راهب ، وددت أنى نجوت منها كفافا ، لا لي ولا علي ، لا أتحملها حيا ولا ميتا " (1) .

وعن أنس بن مالك Ⓜ : " أن الناس سألوا نبي الله ﷺ ، حتى أحفوه بالمسألة فخرج ذات يوم ، فصعد المنبر ، فقال : سلوني لا

تسألوني عن شيء إلا بينته لكم ، فلما سمع ذلك القوم ، أَرْمُوا وَرَهْبُوا  
أن يكون بين يدي أمر قد حضر ، قال أنس ؓ : فجعلت ألتفت يمينا  
وشمالا ، فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه ييكي " (2) .

وعن فاطمة بنت قيس لما قضى رسول الله ﷺ ، صلواته جلس على  
المنبر وهو يضحك ، فقال : " ليلزم كل إنسان مصلاه ، ثم قال :  
أتدرون لم جمعتمكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إني والله ما  
جمعتمكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتمكم لأن تميما الداري ، كان  
رجلا نصرانيا ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثا وافق الذي كنت  
أحدثكم عن مسيح الدجال " (3) .

وعن عمران بن حصين ؓ قال : قال النبي ﷺ لأبي : " يا حصين كم  
تعبد اليوم إلها ؟ قال أبي : سبعة ، ستة في الأرض ، وواحدا في  
السماء ، قال : فأيهم —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7218) 218/13 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل برقم (2359) 1834/4 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الفتن برقم (2942) 2261/4 .

تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذي فى السماء " (1) ، وعن عبد الله  
بن عباس ؓ أنه كان يكره البسرَ وَحْدَهُ ويقول : " نهى رسول الله ﷺ  
وفد عبد القيس عن المزاء ، فَأَرْهَبُ أَنْ تَكُونَ الْبُسْرَ " (2) .

- الرهبة فى الاصطلاح الصوفى :

الرغبة في اصطلاح الصوفية ضد الرغبة ، وهى الخشية لله والرغبة في فضله والرغبة من عدله ، وهى عندهم على ثلاث درجات يدل عليها إجمال الأمر في قوله تعالى : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي } [البقرة/40] رهبة الظاهر ، وهى توقع المخافة بسبب ، ما ذكر الله من الوعيد بالنار ، ورهبة الباطن ، وهى توقع المخافة بسبب صولة الحق ، والعلم بأوصافه وأفعاله ، رهبة السر ، وهى رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق من إظهار السعادة أو الشقاوة (3). وحكى عن أبي القاسم الجنيد (ت:298هـ) أن الرهبة وجه من وجهى الخوف فالخوف ضربان ، رهبة وخشية ، فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف وصاحب الخشية يلتجئ إلى الرب (4) .

- 
1. أخرجه الترمذى في الدعوات برقم (3483) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 519/5.
  2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (2826) واللفظ له وأبو داود في كتاب الأشربة برقم (3709) .
  3. الإملاء ص 69 ، اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 11 ، لطائف الإعلام 496/1 .
  4. الرسالة القشيرية 344/1 .

وقال القشيري : رهب وهرب يصح أن يقال أنهما واحد معنى مثل جذب وجذب ، فإذا هرب انجذب في مقتضى هواه ، كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم فإذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية ، ويبين القشيري أن الرهبانية في قوله تعالى : { وَرَهْبَانِيَّةً

ابْتَدَعُوهُمَا مَا { [الحديد/27] هِيَ الْفَعْلَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الرَّهْبَانِ وَهُوَ الْخَائِفُ ،  
وَكَانُوا يَفْرُونَ إِلَى الْجِبَالِ وَالصَّحْرَاءِ لِيَخْلُصُوا مِنَ الْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ  
وَيَقْطَعُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الزَّوْجِ وَالنَّسْلِ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِهَا بَلْ هُمْ  
الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا (1) .

\*\*\*\*\*

## 71 - الروح

\*\*\*\*\*

- الروح : الريح الهواء المتحرك ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$   
: " لا تسبوا الريح ، فإنها من روح الله ، تأتي بالرحمة والعذاب ،  
ولكن سلوا الله من خيرها ، وتعوذوا بالله من شرها □ " (2) ، وراح  
فلان إلى أهله ، أى أتاهم بسرعة ، والرواح السير آخر النهار ، وعن  
أنس بن مالك  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " من راح روحه في سبيل الله ،  
كان له بمثل ما أصابه من الغبار ، مسكا —

1. لطائف الإشارات 545/3 .

2. أخرجه ابن ماجة في الأدب (3727) وقال الشيخ الألباني : صحيح 1228/2 وأبو داود برقم  
(5097) 326/4 ، وابن حبان في صحيحه برقم (1007) 287/3 .

يوم القيامة " (1) ، وعنه أيضا  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " لغدوة في  
سبيل الله أو روحه ، خير من الدنيا وما فيها " (2) ، والروح تطلق  
على بعض الاصطلاحات الشرعية الآتية (3) :

1- روح الإنسان وهى ما يحصل به الحياة والتحرك ، واستجلاب المنافع واستدفاع المضار ، والروح جسم غيبي يسرى فى البدن ، سريان الورد فى الماء والنار فى الفحم ، يصعد ويهبط إلى البدن بأمر الله ، وهى المذكورة فى قوله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء/85] ، وعن عبد الله بن مسعود ؓ ، قال : " بينا أنا أمشي مع النبي ؑ فى خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ؟ وقال : بعضهم لا تسألوه ، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه ؟ فقال : بعضهم لسألنه ؟ ، فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ، ما الروح ؟ فسكت ، فقلت : إنه يوحى إليه ، فقامت فلما انجلت عنه قال : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء/85] (4) .

- 
1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الجهاد (2775) وقال الشيخ الألبانى : حسن 927/2 والطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (1381) 212/2 .
  2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2792) 17/6 .
  3. لسان العرب 461/2 ، وكتاب العين 291/3 ، المفردات ص 205 .
  4. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (125) 270/1 .

وعن حذيفة بن اليمان ؓ ، قال النبي ؑ : " تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم ، قالوا أعملت من الخير شيئاً ؟ ، قال : كنت

أمر فتياي أن ينظروا ويتجاوزوا عن المعسر ، قال : فتجاوزوا □ عنه " (1) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ع : " من صور صورة ، فإن الله معذبه ، حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا ، فربما الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ، فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر كل شيء ليس فيه روح " (2) .

2- الروح جبريل ، كما في قوله تعالى : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } [الشعراء/193] ، ويسمى أيضا بروح القدس ، كما في قوله : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ } [النحل/102] .

3- الروح أشرف الملائكة ، نحو قوله تعالى : { يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا } [النبأ/38] ، وقوله : { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج/4] ، وكذلك قوله : { لَيْلَةُ الْقَدْرِ حَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ } [القدر/5:3] .

4- الروح عيسى عليه السلام ، كما في قوله تعالى : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ } [النساء/171] ، وذلك لما كان له من إحياء الأموات .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2077) 360/4 .



2. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق (2225) 485/4 .

5- الروح القرآن ، يذكر عن ابن عباس فى قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ  
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا } [الشورى/52] ، وذلك لكون القرآن  
سببا للحياة الأخروية الموصوفة فى قوله سبحانه : { وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ  
لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [العنكبوت/64] (1) .

### - الروح فى الاصطلاح الصوفى :

الروح فى الاصطلاح الصوفى ، جسم مخلوق ، وهى أمر من أمر  
الله تعالى ليس بينها وبين الله تعالى سبب ولا نسبة ، غير أنها من  
ملكه وطوعه وفى قبضته غير متناسخة ، ولا تخرج من جسم فتدخل  
فى غيره ، وتذوق الموت كما يذوق البدن ، وتتنعم بتنعم البدن ،  
وتعذب بعذاب البدن ، وتحشر فى البدن الذى تخرج منه ، وخلق الله  
تعالى روح آدم عليه السلام من الملكوت ، وجسمه من التراب (2) .

روى عن أبى تراب النخشبى (ت:245هـ) أنه قال : ( أيها الناس  
أنتم تحبون ثلاثة ، وليست هى لكم تحبون النفس وهى لله ، وتحبون  
الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة ، وتطلبون اثنين ولا  
تجدونهما ، الفرج والراحة وهما فى الجنة ) (3) ، وعن يحيى بن معاذ

الرازى (ت:258هـ) قال : ( روح ولى —

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن 8 / 425 .

2. اللمع ص555 .

3. الطبقات ص148 .

الله من القدس تشغله بمولاه ، والحكمة جند من جنود الله يرسلها إلى قلوب العارفين ، حتى تروح عنها وهج الدنيا (1) .

وروى عن الجنيد (ت:298هـ) : ( الروح شئ استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه ، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود لقوله : { قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء/85] (2) ، ولأبي عبد الله النبا جى (ت:بعد300هـ) : ( الروح جسم يلفظ عن الحس ، ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود ) (3) .

ويذكر لابن عطاء الأدمى (ت:311هـ) : ( خلق الله الأرواح قبل الأجساد ، لقوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } [الأعراف/11] فقوله : { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ } ، يعنى الأرواح ، { ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } يعنى الأجساد ) (4) .

ويذكر أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) أن الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول : إنها الحياة ، ومنهم من يقول : إنها أعيان مودعة في هذه القوالب ، أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ، ما دامت الأرواح في الأبدان ، فالإنسان حى بالحياة ، ولكن الأرواح مودعة في —

1. اللمع ص 427 .

2. التعرف ص 67 .

3. السابق ص 67 .

القبالب ، ولها ترق في حال النوم ومفارقة للبدن ثم رجوع إليه ، وأن الإنسان هو الروح والجسد ، لأن الله سبحانه وتعالى سخر هذه الجملة بعضها لبعض والحشر يكون للجملة ، والمثاب والمعاقب الجملة ، والأرواح مخلوقة ، ومن قال بقدمها فهو مخطئ خطأ عظيماً (1) ، والروح تذكر في عرف بعض الصوفية على معنى يغاير ما سبق ويتعارض مع القرآن والسنة ، فمن ذلك (2) :

أ- روح الإلقاء : أى ما يلقي في القلب من إلهام ، فإن أهل الطريق لا يثبتون ما يثبتونه من قواعدهم ، التي يبنون عليها تجرد النفس ، وغيره عن خبر واستدلال بالكتاب أو السنة ، بل على ما يقتضيه الكشف والعيان من روح الإلقاء ، وهم يجيزون ذلك اعتباراً بالإشارة الواردة في قول الله تعالى : { يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } [غافر/15] ، فالآية ليست خاصة عندهم بالأنبياء والرسل ، ولكنها عامة في اصطلاحهم بإزاء الروح الملقى إلى القلب من علم الغيب على وجه مخصوص .

ب- الروح الأعظم : يعنى به العقل الأول ، ويقال له القلم الأعلى ، ويسمى أيضاً الروح الأول ، والروح الأقدم ، لأنه منشأ لجميع الأرواح .

ح- الروح المضاف : ويعنون به النفس الكلية المسماه باللوح المحفوظ وبكل شئ وبالكتاب المبين ، وذلك لأن هذا الروح لما قبل ما نقشه القلم الأعلى فيه —

1. الرسالة القشيرية 272/1 .

2. لطائف الإشارات 502:497/1 ، واصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 8 .

صار متضمنا ، صنفى الكلم الفعلية والقولية مفصلة ، بحيث لا يفوته شئ مما يدخل في الوجود إلى انتهاء يوم القيامة ، سمى بهذا الاعتبار بكل شئ المعنى بقوله تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [الأعراف/145] ، ثم أنه باعتبار توجهه إلى موجدته ، وأخذه المدد عنه بلا واسطة يسمى روحا مضافا إلى الحضرة الإلهية .

د- الروح المحمدية : عبارة عن جهة وحدة القلم الأعلى المختصة بالمظهرية الروحانية المنسوبة إلى التجلى الأول ، لغلبة حكم الإجمال والوحدة عليها ، وإنما كان الروح المحمدى هو مظهر هذا الروح ، لأجل كمال طهارة مرآة قابلية قلبه التقى النقى ع ، ومضاهاته في التبعية لحضرة الحق تعالى ، ويسمى أيضا روح الأرواح ، لانتشاء جميع الأرواح عنه ، لأن جهة وحدانية القلم الأعلى هى أصل الأرواح .

هـ- روح العالم : ويعنى به المعنى الذى هو للعالم بمنزلة الروح الجسدى كما قيل : والكون فص أنت معنى نقشه ووجوده ، فذلك

المعنى هو الإنسان الكامل لأنه لولاه لما وجد العالم ، كما أن الروح لولاها لما وجد الجسد ويسمى قلب العالم .

\*\*\*\*\*

## 72- الرياء

\*\*\*\*\*

- الرياء : ورد في الكتاب والسنة على معنى قول الخير أو فعله ، مع تخلف الإخلاص فيه فمن القرآن قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ

بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ { [البقرة/264] وقوله : { الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } [الماعون/6:7] .

ومما ورد في السنة عن الرياء ، ما روى عن أبي سعيد الخدري ، قال سمعت النبي ﷺ يقول : " يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا " (1) .

وعن أسماء بنت يزيد رضی الله عنها ، قال رسول الله ﷺ : " من ارتبط فرسا في سبيل الله ، وأنفق عليه احتسابا ، كان شبعه وجوعه وريه وظمؤه وبوله وروثه ، في ميزانه يوم القيامة ، ومن ارتبط فرسا رياء وسمعة ، كان ذلك خسرانا في ميزانه يوم القيامة " (2) .

ومن حديث أبي هريرة  $\tau$  ، قال رجل : " يا رسول الله ، الرجل يعمل العمل فيسره ، فإذا اطلع عليه أعجبه ذلك ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : له أجران أجر السر وأجر العلانية " ، وقال أبو عيسى الترمذى فى شرح هذا الحديث : ( وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث ، فقال : إذا اطلع عليه فأعجبه فإنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير ، لقول النبي  $\varepsilon$  : " أنتم شهداء الله فى الأرض " —

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4919) 531/8 .
2. صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (27046) وفى معناه ما أخرج البخارى فى كتاب المساقاة برقم (2371) .

فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا ، لما يرجو بثناء الناس عليه ، فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ليكرم على ذلك ويعظم عليه فهذا رياء ، و قال بعض أهل العلم : إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله ، فىكون له مثل أجورهم فهذا له مذهب أيضا (1) ، ومن حديث جندب بن عبد الله  $\tau$  ، قال النبي  $\varepsilon$  : " مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ " (2) .

والرياء شرك أصغر ، كما ورد فى حديث محمود بن لبيد  $\tau$  أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ " (3) ، وعن

عمر بن الخطاب ؓ أنه خرج يوماً إلى مسجد رسول الله ﷺ ، فوجد معاذ بن جبل ؓ ، قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي ، فقال : ما يبكيك ؟ ، قال : يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ —

1. ضعيف أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (2384) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 594/4 ، وصححه بن حبان فى صحيحه برقم (375) 99/2 ، وأبو داود الطيالسى فى مسنده برقم (2430) ص318 لأبى داود سليمان بن داود ، دار المعرفة ، بيروت
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6499) 343/11 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (23119) وصححه الألبانى فى الصحيحه (9511) والطبرانى فى الكبير برقم (4301) وفى صحيح الجامع برقم (1551) .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن يسير الرياء شرك " (1) . وعن شداد بن أوس ؓ ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية ، قال : قلت يا رسول الله : أتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ، ولا وثناً ولكن يراءون بأعمالهم ، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً ، فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه " (2) .

## - الرياء فى الاصطلاح الصوفى :

الرياء فى الاصطلاح الصوفى يرد على معنى طلب المنزلة فى قلوب الناس بإظهار الخصال المحمودة ، نقل عن الفضيل بن عياض (ت:187هـ) أنه قال : ( خير العمل أخفاه ، وأمنعه من الشيطان أبعداه من الرياء ) (3) ، وروى عن بشر بن الحارث الحافى (ت:227هـ) أنه قال للسرى السقطى : ( إن الله تعالى خلقك حراً

فكن كما خلقك لا ترائى أهلك فى الحضر ولا رفقتك فى السفر  
اعمل لله —

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (3989) وقال الألبانى : ضعيف 1320/2 وقال الحاكم فى المستدرک على الصحیحین : صحیح (4) 44/1 .
2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (16671) وفى سننه زيد بن الحباب ، وهو صدوق انظر فى ترجمته تذكرة الحفاظ (338) 350/1 ، ولسان الميزان (2022) 503/2 وتهذيب الكمال رقم . 40/10 (2095)
3. طبقات الصوفية ص 13 .

ودع عنك الناس (1) ، ويذكر لحاتم الأصم (ت:237هـ) : ( المنافق  
ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، ويمنع بالشك وينفق بالرياء ،  
والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالسنة ، وينفق لله خالصا فى الطاعة )  
(2) .

قال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( المختال الذى ينظر  
إلى نفسه والمرائى الذى ينظر إلى أبناء جنسه ، وكلاهما موسومان  
بالشرك الخفى ، والله لا يحب المشركين ، والفخور من الإبل كالمصراة  
من الغنم ، وهو الذى سدت أخلافه ليجتمع فيها الدر ، فيتوهم  
المشتري أن جميع ذلك معتاد لها ، وليس كذلك ، فكذلك الذى يرى  
من نفسه حالا ورتبة وهو فى ذلك مدع ، هو الفخور والله لا يحبه  
، وكذلك المرائى الذى ينفق ماله رياء الناس ، قال تعالى : { وَالَّذِينَ  
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنْ  
الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا } [النساء/38] ، أدخل هؤلاء تحت قوله :



{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } [النساء/36] ، فعقوبتهم في العاجل أنهم ليسوا من جملة محبيه ، وكفى بذلك محنة (3) .

وقال عبد القادر الجيلاني (ت:561هـ) : ( المرأى ثوبه نظيف وقلبه نجس يزهد في المباحات ، ويكسل عن الاكتساب ، ويأكل بدينه ولا يتورع جملة —

1. اللمع ص 450 .

2. الطبقات ص 95 .

3. لطائف الإشارات 333/1 .

ويأكل الحرام الصريح ، ويخفى أمره على العوام ، ولا يخفى على الخواص ، كل زهده وطاعته على ظاهره ، ظاهره عامر وباطنه خراب (1) .

وقد فصل الحارث بن أسد المحاسبي الرياء تفصيلا دقيقا ، معتمدا في شرحه على الأصول القرآنية والنبوية ، وبين أنه على وجهين (2) :  
أ- أحدهما أعظم وأشد ، وهو إرادة العبد العباد بطاعة الله عز وجل ، لا يريد الله بذلك .

ب- والثاني أدنى وأيسر وهو إرادة العباد بطاعة الله عز وجل ، وإرادة ثواب الله عز وجل يجتمعان في القلب (3) .

ويخصى المحاسبي دواعى الرياء وأسباب هيجانه في ثلاثة أمور :

(1) - حب المحمدة : وهو ما يجده العبد من نفسه ، أنه يجب أن يعلم العباد لطاعته لربه عز وجل ، فيوصل ويعطى ويشنى عليه ويعظم ، واستدل لذلك بما رواه أبو موسى الأشعري ، أن أعرابيا سأل النبي ﷺ فقال : يارسول الله : " الرجل يقاتل حمية " ، ومعنى ذلك أنه يحمى فيأنف أن يقهر ، أو يذم لأنه غلب أو غلب قومه ، فيقاتل لذلك ، وقال : " الرجل يقاتل ليرى مكانه " —

1. الفتح الرباني والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى ص 31 .

2. الرعاية ص 134 .

3. السابق ص 136 ، وفي إدخاله إرادة العبد ثواب الله عز وجل في الرياء نظر ، لأن إرادة الثواب مما

أمر الله بإرادته وليس له في قوله تعالى : { إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا }

[الإنسان/9] دليل ، حيث قال : ( فنوا عن قلوبهم أن =

وهذا طلب الحمد بالقلب ومعرفة القدر " ورجل يقاتل للذكر " (1) ، وهذا طلب الحمد بالألسن .

(2) - خوف المذمة والضعفة في الدنيا ، كمن تخلف عن الصف الأول

في القتال فلم يمكنه طلب الحمد على الشجاعة ، وأراد الانصراف

لقللة رغبته في الأجر أو جبن يمنعه من الانصراف أن يذم بالحبن

ويسمى به ، فصار حبسه نفسه في ذلك الموقف خوفا أن يذم ، ولولا

ذلك لانصرف ، لأنه إذا خاف الهزيمة أو رأى كثرة القتل أحب أن

يتنحى عن الصف ، أو يفر من العسكر والسرية فإذا خاف أن يقال

: جبن حبس نفسه على المقام .

(3- الطمع لما في أيدي الناس ، كمن يبره الناس بما يظهر من طاعة ربه ، أنه يوصل بالأموال ويهدى إليه الهدايا وتقضى به الحوائج ، ويسارع إلى إقراضه المال ويوسع عليه في طلب الدين ، وما أشبه ذلك (2) .

= يريدوا مع الله خلقه ( فهم الذين قالوا بعد ذلك يطمعون في ثواب الله والنجاة من عذابه { إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا } [الإنسان/10] .

1. أخرجه البخارى (7020) 2714/6 عن أبي موسى الأشعري  $\tau$  بلفظ : " جاء رجل إلى النبي  $\varepsilon$  فقال : الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأبي ذلك في سبيل الله قال : من قاتل لتكون كلمة الله هي الله العليا فهو في سبيل الله " ومسلم برقم (1904) 1512/3 .  
2. السابق ص 137 .

\*\*\*\*\*

## 73 - الزهد

\*\*\*\*\*

- **الزهد** : الزهيد الشئ القليل ، والزاهد في الشئ الراغب عنه ، والراضى منه بالزهيد أى القليل ، وقد ورد الزهد في قوله تعالى عن يوسف : { وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ } [يوسف/20] ، أى ارتضوا في بيعه بالقليل (1) .

وورد الزهد أيضا في السنة في عدة روايات ، منها ما روى عن أبي ذر  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  قال : " الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا

إضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك ،  
أوثق مما في يدي الله ، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها  
، أرغب فيها لو أنها أبقيت لك " (2) ، وعن علي ؓ ، قال : " قيل :  
يا رسول الله من يؤمر بعدك ؟ ، قال : إن تؤمروا أبا بكر ؓ تجدوه  
أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة ، وإن تؤمروا عمر ؓ تجدوه  
قوياً أميناً ، لا يخاف في الله لومة لائم ، وإن تؤمروا علياً ؓ ، ولا أراكم  
فاعلين تجدوه هادياً مهدياً ، يأخذ بكم الطريق المستقيم " (3) ، وعن

أبي خلاد —

1. المفردات ص 215 ، ولسان العرب 196/3 ، المغرب للمطري 375/1 .
  2. أخرجه الترمذي في كتاب الزهد برقم (2340) وقال الألباني : ضعيف جدا 571/4 وابن ماجه  
في كتاب الزهد برقم (4100) 1373/2 .
  3. أخرجه أحمد في المسند برقم (861) وفيه عبد الحميد بن أبي جعفر وهو مجهول .
- رضى الله عنه ، وكانت له صحبة ، قال رسول الله ﷺ : " إذا رأيتم  
الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطلق ، فاقتربوا منه فإنه يلقي  
الحكمة " (1) .

## - الزهد في الاصطلاح الصوفي :

الزهد في الاصطلاح الصوفي مقام شريف ، وهو عندهم أساس  
الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز  
وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله  
تعالى ، فمن لم يحكم أساسه في الزهد ، لم يصح له شئ مما بعده لأن

حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والزهد فى الدنيا رأس كل خير وطاعة  
(2) .

روى عن الفضيل بن عياض (ت187هـ) : ( كان يقال : جعل  
الشر كله فى بيت ، وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا ، وجعل الخير كله  
فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا ) (3) ، ونقل عن أحمد بن  
أبى الحوارى (ت:230هـ) أنه قال : ( من نظر إلى الدنيا نظر إرادة  
وحب لها ، أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه ، فمن عرف الدنيا ،  
زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله آثر رضاه ،  
و إذا رأيت من قلبك قسوة ، فجالس الذاكرين —

1. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4101) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : ضعيف 1373/2

2. اللمع ص72 .

3. طبقات الصوفية ص13 .

واصحب الزاهدين ، وأقلل مطعمك ، واجتنب مرادك ، وروض  
نفسك عن المكاره ) (1) ، وروى عن يحيى بن معاذ الرازى  
(ت:258هـ) أنه قال : ( الدنيا كالعروس ، ومن يطلبها  
ماشطها ، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها ،  
والعارف مشتغل بالله لا يلتفت إليها ) (2) .

ويذكر للجنييد بن محمد (ت:298هـ) أنه سئل عن الزهد ؟ فقال

: ( تخلى الأيدى من الأملاك ، وتخلى القلوب من الطمع ) (3)

وينسب لمحمد بن الفضل البلخي (ت:319هـ) أنه قال : ( الدنيا بطنك ، فبقدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا ) (4) ، وروى عن جعفر بن محمد الخلدي (ت:348هـ) أنه قال : ( من أراد أن يزهد ، فليزهد أولاً في الرياسة ، ثم ليزهد في قدر نصيب نفسه ومراداتها ) (5)

وينسب لعبد الله بن خفيف (ت:371هـ) أنه قال : ( علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الملك ، والزهد سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدي من الأملاك ) (6) ، ويقسم الكاشاني الزهد عند الصوفية إلى أنواع (7) :

1. السابق ص100 ، ص102 .

2. اللمع ص72 .

3. الرسالة القشيرية 328/1 .

4. طبقات الصوفية ص214 .

5. السابق ص438 .

6. الرسالة القشيرية 327/1 . 7. لطائف الإعلام 511:509/1 .

(1- زهد العامة : التنزه عن الشبهات بعد ترك الحرام ، حذرا عن المعتبة وأنفة عن الغصة كراهة مساواة الفساق .

(2- زهد أهل الإرادة : النزاهة عن الفضول ، بترك ما زاد عما يحصل به المسكة ، وبقاء الرمق بقدر البلاغ من القوت اغتناما للفراغ ، إلى عمارة الوقت والتحلى بحلية الأنبياء والصديقين .

(3- زهد خاصة الخاصة : هو إعراضهم عن كل ما سوى الله تعالى ، من الأغراض والأعراض الظاهرة أولا ، والباطنة ثانيا ، وعن كل ما هو غير ثالثا .

(4- الزهد فى الزهد : معناه استحقاقك لما زهدت فيه ، ولهذا كان الزهد فى الدنيا سيئة فى نظر الخواص ، فإن ما سوى الحق تعالى ، أى شئ هو حتى يرغب فيه أو عنه ، ومن تحقق بهذا النظر ، استوت عنده الأحداث لتحققه شمول إرادة الحق لجميع المرادات ، ولقد أحسن القائل :

إذا زهدتني فى الهوى خشية الردى : جلت لى عن وجه يزهد فى الزهد

أى إذا زهدتني فيما تهواه نفسى لخيفتى مما توعدتني ، فإنما ذلك حالى ما دمت غير ذاهب عن شهود الاكتساب بالشخص إلى وادى الحقائق ، أما إذا جلت لى عن وجهها ، فرأيت شمول إرادتها لكل المرادات ، وجمعها لفرق الشتات ، زهدنى رؤية ذلك الوجه المتجلى ، عن الزهد فيما زهدت فيه ، وعن رؤية زهدى ، أو رؤيتى زاهدا لاضمحلال الكل فى أحدية الجمع عندما يتحقق الوصول بفناء الرسوم وتلاشى الغير فى العين (1) .

وهذه المعنى لا أصل له ولا يقول به إلا الحلولية وأصحاب الوحدة  
ولا يمثل رأى أوائل الصوفية ، وإنما الزهد الوارد فى القرآن والسنة ،  
زهد القلب فى الدنيا واعتبارها وسيلة إلى الآخرة ، وهذه الحقيقة  
القرآنية يعبر عنها أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) بقوله □ :

( لا يكون العبد زاهدا مستكمل الزهد ، حتى يستوى عنده الحجارة  
والذهب عندها تخرج قيمة الأشياء من قلبه ، فمن ملك من أهل  
العمل والصدق شيئا من الدنيا ، فهو معتقد أن الشيء لله عز وجل ،  
لا له ، وأن الله خوله فيه ، وهو مبلى به ، حتى يقوم بالحق فيه ،  
فالنعمة بلاء ، حتى يقوم العبد بالشكر فيها ويستعين بها على طاعة  
الله ، وكذلك البلوى والضراء ، □ اختبار وابتلاء حتى يصبر ، ويقوم  
بحق الله فيه ، فالأنبياء صلوات الله عليهم والصالحون من بعدهم الذين  
أشعرهم الله بأن أبلاهم فى الدنيا بالسعة وخولهم ، كانوا إلى الله عز  
وجل ساكنين لا إلى الشيء ، وكانوا خزانا لله جل ذكره ، فى الشيء  
الذى ملكهم ينفذونه فى حقوق الله تعالى غير مقصرين ، ولا  
مفرطين ، ولا متأولين على الله وكانوا غير متلذذين بما ملكوا ، ولا  
مشغولى القلوب بما ملكوا ، ولا مستأثرين به دون عباد الله ) (1)

---

1. انظر كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز ص 43 ، ويشهد لذلك قوله ع : " ما يسرنى أن لى مثل  
أحد ذهباً أنفقه فى سبيل الله تعالى ، تأتى على ثلاثة يكون منه عندى شئ إلا دينار أرصده لدين



على " حديث أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6445) ومسلم فى كتاب الزكاة برقم (991)

\*\*\*\*\*

## 74- السالك

\*\*\*\*\*

- **السالك** : السلوك النفاذ فى الطريق والذهاب فيه ، ويقال فى المحسوسات الدنيوية وغيرها (1) :

أ- فمن الأول قوله تعالى : { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا } [نوح/20:19] ، وقوله : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا } [طه/53] ، وعن أنس  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  كان فى غزاة ، فقال : " إن أقواما بالمدينة خلفنا ، ما سلكنا شعبا ولا واديا ، إلا وهم معنا فيه ، حبسهم العذر " (2) ، وقال رسول الله  $\varepsilon$  لعمر  $\tau$  : " والذي نفسى يده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا ، إلا سلك فجا غير فجك " (3) ، وعن أبي هريرة  $\tau$  قال رسول الله  $\varepsilon$  : " لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا ، وسلكت الأنصار واديا أو شعبا ، لسلكت وادي الأنصار ، أو شعب الأنصار " (4) .

---

1. المفردات 239 ، وانظر لسان العرب 442/10 ، وكتاب العين 311/5 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2839) 101/6 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3294) 390/6 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب التمنى برقم (7244) 238/13 .

ب- ومن الثانى قوله تعالى : { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ } [المدثر/38:42] وقوله سبحانه وتعالى عن الشرك : { كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ } [الحجر/12] وعن أبى سعيد  $\tau$  ، أن النبى  $\varepsilon$  قال : " لتتبعن سنن من قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا : يا رسول الله اليهود والنصارى؟ ، قال : فمن ؟ " (1) وقال  $\varepsilon$  ، لأبى هريرة  $\tau$  : " اقعد فاشرب ، فقعدت فشربت ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول : اشرب حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ، ما أجد له مسلكا " (2) ، وعن أبى هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له طريقا إلى الجنة " (3) .

### - السالك فى الاصطلاح الصوفى :

السالک عند الصوفية ، هو السائر إلى الله المتنقل شيئا فشيئا فى مدارج الإيمان ومقامات اليقين ، وهو المتوسط بين المريد والمنتهى ، مادام فى السير (4) ، من باب تشبيه المعنويات بالمحسوسات ، وقد ورد مصطلح السالك فى ألفاظهم فى مواضع عديدة منها ، قول الكلاباذى (ت:380هـ) فى سبب تأليفه لكتابه —

1. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3456) 571/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6452) 287/11 .
3. أخرجه الترمذى فى كتاب العلم برقم (2646) وقال الألبانى : صحيح 28/5 .
4. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 119 .

التعرف : ( فدعانى ذلك إلى أن رسمت فى كتابى هذا وصف طريقتهم ، وبيان نحلتهم وسيرتهم ، من القول فى التوحيد والصفات ، وسائر ما يتصل به ، مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم .. ويكون بياناً لمن أراد سلوك طريقه ، مفتقراً إلى الله تعالى فى بلوغ تحقيقه ) (1) .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) : ( وعلى الشيخ أن يتلمذ لمن سلك طريق الله تعالى .. والتلمذة لمن سلك طريق الله سبحانه وتعالى ، تجعل السلوك فى طريق الله أقوى وأسرع ، أما من تتلمذ لمن لا يوثق فى علمه بهذا الطريق فقد تحجب .. وبعد ذلك يورد ورداً آخر ، وخير وصف له أن من ذاقه من سالكى هذه الطريقة على سبيل الوهلة ، فإنه يموت ، وذلك من هيبة الحق سبحانه وعند هذا الورود يفنى العبد ولا يبقى منه شئ ) (2) .

ويذكر ضياء الدين السهروردى (ت:563هـ) أنه لا يصح لأحد أن يسلك طريق الصوفية ، حتى يعلم عقائدهم وآدابهم فى ظاهرهم وباطنهم واصطلاحاتهم فى كلماتهم ، ويفهم إطلاقاتهم فى محاوراتهم ، حتى يصح له أن يحذو حذوهم ويقفوا أثرهم فى أفعالهم وأقوالهم ،

فإنه من كثرة المدعين ، جهل حال المحققين وفساد المفسدين  
الفاستدين إليهم يعود ، ولا يقدر في صلاح الصالحين (3) .

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص 28 .

2. طريق الله تعالى لعبد الكريم القشيري ص 25 ، ص 28 .

3. آداب المريدين ص 15 .

وقال محي الدين بن عربي (ت: 638هـ) : ( السالك هو الذي  
مشى على المقامات بحاله لا بعلمه ، فكان العلم له عينا ) (1) .

وسئل ابن عباد النفري شيخ الصوفية في عصره ( ت: 792هـ) :  
هل على السالك إلى الله تعالى أن يتخذ لزاما ، شيخ طريقة وتربية  
يسلك على يديه ؟ أم يسوغ له أن يكون سلوكه إلى الله تعالى من  
طريق التعلم والتلقى من أهل العلم دون أن يكون له شيخ طريقة ؟ ،  
فقال :

المرجوع إليه في السلوك ينقسم إلى قسمين : شيخ تعليم وتربية  
وشيخ تعليم بلا تربية ، فشيخ التربية ليس بضروري لكل سالك ،  
وإنما يحتاج إليه من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس ، وأما من كان  
وافر العقل منقاد النفس ، فليس بلازم في حقه ، وأما شيخ التعليم  
فهو لازم لكل سالك (2) .

وقد قسم ابن عربي السالكين أربعة أقسام بحسب رتبتهم في العلم  
بالله (3) :

(1- السالك بنفسه : السالك بنفسه ، وهو المتقرب إلى ربه ابتداء  
بالفرائض ونوافل الخيرات الموجبين لمحبة الحق ، من أتى بهما  
لتحصيل المحبتين ، فهو يجهد فيما كلفه الحق ، ويبذل استطاعته  
وقوته فيما أمره به ربه .

(2- السالك بربه : فأما السالك الذى يسلك بربه ، فهو الذى

يكون الحق —

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 2 .

2. الرسائل الصغرى لابن عباد النفرى المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957م ص 106 .

3. الفتوحات 381/2 ، 382 .

سمعه وبصره وجميع قواه ، فإن عينه ثابتة فى العدم والحق سمعه  
وبصره .

(3- السالك بالمجموع : وأما السالك بالمجموع ، فهو السالك بعد

أن ذاق كون الحق سمعه وبصره وعلم سلوكه أولاً بنفسه على  
الجملة من غير شهود نفسه على التعيين ، فلما علم أن الحق  
سمعه وعلم أن السامع بالسمع ما هو عين السمع ، فكان بالعلم  
سالكا بالمجموع .

(4- سالك لا سالك : وأما القسم الرابع وهو سالك لا سالك ، فهو أنه رأى نفسه لم تستقل بالسلوك ما لم يكن الحق صفة لها ، ولا تستقل الصفة بالسلوك ما لم تكن نفس المكلف موجودة ، ويكون كالمحل لها فيبدو أنه سالك بالمجموع ، فإذا تبين له أنه بالمجموع ظهر السلوك بان له أن المظهر لا وجود له عينا ، وإن الظاهر تقيد بحكم استعداد المظهر ورأى الحق يقول : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال/18] ، فمن وقف على هذا العلم من نفسه علم أنه سالك لا سالك .

ويذكر الكاشاني أن السالك هو الذى يسير فى طريق الله حتى يبلغ المقصود ويجعل السالكين على أربع حالات (1) :

1- المجذوب : فإذا وهب الحق سبحانه وتعالى عبدا جذبة ، فاتجه بقلبه إلى الله وتجرد عن جميع العلائق دفعة واحدة ، ووصل إلى مرتبة العشق ، فإنه يسمى مجذوبا إذا بقى فى هذه المرتبة ، وهذا لا يصلح أن يكون شيئا وإماما .

---

1. لطائف الإعلام 8:7/2 .

2- المجذوب السالك : وذلك إذا رجع ثانية ، واطلع على حقيقة نفسه وسلك طريق الله يسمونه المجذوب السالك ، وهذا يصلح أن يكون شيئا وإماما .

3- السالك المجذوب : ويكون إذا سلك الطريق الأول وأتمه ، ثم وصلته جذبة الحق يسمونه السالك المجذوب ، وهذا أيضا يصلح أن يكون شيخا وإماما .

4- السالك : وذلك إذا سلك الطريق ، ولم تصله جذبة الحق يسمونه السالك وهذا لا يصلح أن يكون شيخا وإماما (1) .

\*\*\*\*\*

## 75 - الستر

\*\*\*\*\*

- الستر : تغطية الشئ وإخفاؤه ، والستر والستره ما يستتر به ، ويستخدم الستر في المحسوسات وغيرها (2) :

أ- فمن النوع الأول ، قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا } [الكهف/90] ، وعن أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، قال : " اعتكف رسول الله  $\varepsilon$  ، في المسجد فسمعهم يجهروا بالقراءة —

1. انظر للمقارنة والتوسع في مصطلح السلوك ، رسالة دكتوراه بعنوان السلوك عن الحكيم الترمذى ومصادره من السنة النبوية ، إعداد أحمد عبد الرحيم السايح ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1986م .

2. لسان العرب 343/4 ، والمفردات ص 223 ، وكتاب العين 236/7 .

وهو في قبة له ، فكشف الستور ، وقال : ألا كلكم مناج ربه ، فلا يؤذون بعضكم بعضا ، ولا يرفعون بعضكم على بعض في القراءة ، "

(1) ، وقال عطاء بن أبي رباح : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام نقضوه حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه " (2) .

وعن سعيد بن المسيب " أن عمر بن الخطاب  $\pi$  ، قضى في المرأة إذا تزوجها الرجل ، أنه إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق " (3) ، وعن عائشة رضی الله عنها قالت : " قدم رسول الله  $\varepsilon$  من سفر ، وَقَدْ سَتَّرْتُ عَلَى بَابِي دُرُنُوكًا فِيهِ الْخَيْلُ ذَوَاتُ الْأَجْنِحَةِ ، فَأَمَرَنِي فَنَزَعْتُهُ " (4) ، وعن أبي سعيد الخدري  $\pi$  قال : سمعت رسول الله  $\varepsilon$  ، يقول : " إذا أراد أن يمر بينك وبين سترتك أحد فاردده ، فإن أبي فادفعه ، فإن أبي فقاتله ، فإنما هو شيطان □ " (5) .

ب- ومن الثاني ، قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا

1. أخرجه أحمد (11486) واللفظ له ، وأبو داود في الصلاة برقم (1332) 38/2 .
2. أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (1333) 970/2 .
3. صحيح الإسناد إلى سعيد بن المسيب أخرجه مالك في الموطأ النكاح (1121) .
4. أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة برقم (2107) 1666/3 ، والدُرُنُوكُ ستر رقيق فيه تصاوير .
5. أخرجه أحمد في المسند برقم (11146) واللفظ له ، وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة برقم (509) .

يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا { [الإسراء/45] ، وقوله : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ { [فصلت/22] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله  $\varepsilon$



، يقول : " إن الله يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ ، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ، حتى إذا قرره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون ، فيقول الأَشهاد : { هُوَ لِأَنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَيَّ رَبِّهِمْ أَلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } [هود/18] " (1) وعنه أيضا τ ، أن رسول الله ﷺ قال : " المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " (2) ، ومن حديث أبي هريرة τ ، أن رسول الله ﷺ قال : " الخيل لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر .. ورجل ربطها تغنيا وتغففا ، ثم لم ينس حق الله في رقابها ، ولا ظهورها فهي لذلك ستر .. " (3) ، وعنه أيضا τ ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كل أمي معافي إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا —

1. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم والغصب برقم (2441) 550/6 .

2. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق (2442) 550/6 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب المساقاة برقم (2371) 470/6 .

ثم يصبح وقد ستره الله عليه ، فيقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه " (1) ، وعن أبي المليح الهذلي أن نسوة من أهل حمص استأذن على عائشة ،

فقلت : " لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيما امرأة وضعت ثيابها ، في غير بيت زوجها ، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله " (2) .

### - الستر في الاصطلاح الصوفي :

الستر في الاصطلاح الصوفي يساوي الحجاب في المعنى (3) ، والستر في عرفهم يضاد التجلي ، فالعوام في غطاء الستر ، والخواص في دوام التجلي ، وصاحب الستر بوصف شهوده ، وصاحب التجلي أبدا بنعت خشوعه ، والستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكشفهم به ، لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ، ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم (4) .

ونرى للسرى السقطى (ت:251هـ) موقفا متقابلا ، من استتار الفاعلية الإلهية بحجاب الأسباب ، فمرة يقول في دعائه : ( اللهم الطف بنا واسترنا —

1. أخرجه البخارى في كتاب الأدب برقم (6069) 501/10 .
2. أخرجه ابن ماجة في كتاب الأدب برقم (3750) وقال الشيخ الألبانى : صحيح وأحمد في المسند برقم (24186) والطبرانى في المعجم الكبير برقم (179) 73/25 .
3. انظر مصطلح الحجاب .
4. الرسالة القشيرية 244/1 .

بلطف الحجاب ) (1) ، ومرة أخرى يقول : ( اللهم مهما عذبتنى بشئ ، فلا تعذبنى بذل الحجاب ) (2) ، وليس هذا من قبيل التناقض ، ولكنه

يقصد بالأميرين أن ينعم مرة بشهود الربوبية ، ومرة يسأل الله التخفيف بستر الأسباب حتى يستمر في حياته ليرعى شئون نفسه ، لأنه لو ظل مشاهدا له وراء كل شيء يسبح الله حقيقة ، استحال عليه أن يفعل الضروريات ، أو يفكر في صلاح معيشتة .

وقال الكلاباذى (ت:380هـ) : ( الاستتار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود الغيب ، والاستتار الذى يعقب التجلى ، هو أن تستتر الأشياء عنك فلا تشاهدها ، كقول عبد الله بن عمر الذى سلم عليه وهو فى الطواف ، فلم يرد عليه فشكاه ، فقال : إنا كنا نترأى الله فى ذلك المكان ، أخبر عن تجلى الحق له بقوله : كنا نترأى الله وأخبر عن الاستتار بغيبته عن التسليم عليه (3) .

وللقشيري (ت:465هـ) معنى يقرب من رأى أبى بكر الكلاباذى فيقول : ( إنما قال الحق تعالى لموسى ؑ : { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى } [طه/17] ليستر عليه ما يعلل به بعض ما أثر فيه من المكاشفة بفجأة السماع ، وقال ؑ : ( إنه ليغان على قلبى ، حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة ) (4) ، والاستغفار طلب —

1. حلية الأولياء 120/10، وانظر ختم الأولياء ص149.

2. طبقات الصوفية ص303 .

3. التعرف ص147 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء برقم (3702) .

الستر لأن الغفر هو الستر ، ومنه غفر الثوب والمغفرة وغيره ، فكأنه أخبر أنه يطلب الستر على قلبه عند سطوات الحقيقة ، إذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق (1) .

ويذكر عبد الرزاق الكاشاني (ت:736هـ) معبرا عن فلسفته في وحدة الوجود ، أن المشركين مستترون بحجاب الجهل وعمى القلب ، فلا يرون حقيقة محمد ﷺ ، ويحسبونه هذه الصورة البشرية ، لكونهم بدنيين منغمسين في بحر الهيولى ، محجوبين بالغواشى الطبيعية وملابس الصفات النفسانية عن الحق وصفاته وأفعاله ، إذ لو عرفوا الحق لعرفوا أنه هو ﷺ ، ولو عرفوا صفات الله لعرفوا كلام محمد ، ولم يكن على قلوبهم أكنة من الغشاوات الطبيعية والهيئات البدنية ، وهذا هو المشار إليه في قوله تعالى : { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } [الإسراء/45] (2) .

وقال عبد الكريم الجيلى (ت:829هـ) : (الستر منظر يتجلى الحق تعالى على العبد بتجل تستر عنه سائر العوالم الكونية ، فلا يعلم للأكوان علما ، فهو كأحد عوام الناس فى الاطلاع على الأشياء لا يعلم ما تحت جنبيه ، وفى هذا قال سيد أهل الله تعالى : { وَمَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ } [الأحزاب/9] (3) .

2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 721:720/1 .

4. المناظر الإلهية ص 204 .

ويذكر الكاشاني أن الستر كل ما سترك عما يفنيك ، ويطلق ويراد به غطاء الكون ، وقد يراد به الوقوف مع العادات ، وقد يراد به نتائج الأعمال ، وهناك اصطلاحان آخران حول معنى الستر ، الأول الستائر : وهى صور سرائر الآثار وسميت بالستائر ، لأن معانى الأسماء الذاتية تفهم من خلفها ، والثانى الستور : وهى الهياكل البدنية ، سميت بذلك لكونها مرخاة بين العوالم الغيبية الحقية والشهادية الخلقية (1) .

\*\*\*\*\*

## 76- السكر

\*\*\*\*\*

- السكر : السكر حالة تذهب عقل الإنسان ، فلا يستطيع التمييز فيها بين الأشياء ، وأكثر ما يستعمل السكر فى الشراب (2) ، ومنه ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : " لما نزلت { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى } [النساء/43] فكان منادى رسول الله ﷺ إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران " (3) ، وعن أبي هريرة ر ، عن رسول الله ﷺ قال : —

1. لطائف الإعلام 12/2 .

2. المفردات ص 226 ، ولسان العرب 372/4 .

3. أخرجه أحمد في المسند برقم (380) واللفظ له ، وأخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن برقم (3049) ، والنسائي في كتاب الأشربة برقم (5540) 286/8 ، وأبو داود في كتاب الأشربة برقم (3670) 325/3 .

" إذا سكر فاجلدوه ، ثم إن سكر فاجلدوه ، ثم إن سكر فاجلدوه ، ثم قال في الرابعة : فاضربوا عنقه □ " (1) ، ومن حديث أبي موسى الأشعري τ ، قال رسول الله ε : " كل ما أسكر عن الصلاة ، فهو حرام " (2) ، وعن جابر بن عبد الله τ ، أن رسول الله ε قال : " ما أسكر كثيره فقليله حرام " (3) .

وقد يكون السكر لذهاب العقل ، من غضب أو ألم أو فرط محبة ، كقوله تعالى : { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } [19/ك] وكما روى عن أبي سعيد الخدري τ ، عن النبي ε قال : " يقول الله تعالى : يا آدم فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ؟ قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين ، فعنده يشيب الصغير ، { وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } [الحج/2] " (4) .

وعن عائشة رضی الله عنها قالت : " رأيت رسول الله ε وهو

يموت —

1. أخرجه النسائي في كتاب الأشربة برقم (5662) وقال الألباني : صحيح 313/8 وابن ماجه برقم

(5272) 859/2 ، والدارمي برقم (2105) 156/2 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الأشربة برقم (1733) 1586/3 .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب الأشربة (1865) وقال الألبانى : حسن صحيح 292/4 وأبو داود برقم (3681) 327/3 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3348) 440/6 .

وعنده قدح فيه ماء ، فيدخل يده فى القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء ، ثم يقول : اللهم أعني على سكرات الموت " (1) .

والسُّكْر اسم لما يكون منه السُّكْر قال تعالى : { وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا } [النحل/67] .

### - السكر فى الاصطلاح الصوفى :

السكر فى الاصطلاح الصوفى غيبة بوارد قوى ، والسكر زيادة عن الغيبة من وجه ، وذلك أن صاحب السكر ، قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفى فى حال سكره ، وقد يسقط إخطار الأشياء عن قلبه فى حال سكره ، وتلك حال المتساكر الذى لم يستوفه الوارد ، فيكون للإحساس فيه مساغ ، وقد يقوى سكره حتى يزيد على الغيبة ، فرمما يكون صاحب السكر أشد غيبة من صاحب الغيبة إذ قوى سكره ، وربما يكون صاحب الغيبة أتم فى الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكرا غير مستوف ، والغيبة قد تكون للعباد بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرغبة ، ومقتضيات الخوف والرجاء ، والسكر عندهم لا يكون إلا لأصحاب المواجيد (2) .

روى عن أبي بكر الواسطي (ت: بعد 320هـ) أنه قال : ( مقامات الوجد أربعة ، الدهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو ، كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم أخذته الأمواج ) (3) .

- 
1. أخرجه ابن ماجة في كتاب الجنائز برقم (1623) وقال الألباني : ضعيف 519/1 .
  2. الرسالة القشيرية 23/1 .
  3. عوارف المعارف للسهروردي ص 527 .

وقال عبد الله بن خفيف الشيرازي (ت: 371هـ) : ( السكر غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب ) (1) ، وقال أيضا : ( السكر للمريدين حق وللعارفين باطل ، وغلبات الحق على سائر الخلق جائزة ، والأحوال للمتوسطين والمقامات للعارفين ، والشدة للمريدين ، والصحو أفضل من السكر ) (2) .

ويفرق السراج الطوسي (ت: 378هـ) بين السكر والغشية ، فيقول : ( الفرق بين السكر والغشية ، أن السكر ليس نشأته من الطبع ، لا يتغير عند وروده الطبع والحواس ، والغشية نشأتها ممزوجة بالطبع تتغير عند ورودها الطبع والحواس ، وتنتقض منها الطهارة ، والغشية لا تدوم والسكر يدوم ) (3) .

ويذكر الكلاباذي (ت: 380هـ) أن السكر هو أن يغيب عنه تميز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء ، وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذه ، وبين أصدادها في مرافقة الحق ، فإن غايات وجود الحق تسقطه عن



التمييز بين ما يؤلمه ويلذه والصاحي الذي نعتة قبل نعت السكر ، ربما يختار الآلام على الملاذ ، لرؤية ثواب أو مطالعة عوض ، وهو متألم في الآلام ، ومتلذذ في الملاذ ، فهو نعت الصحو والسكر (4) .

---

1. سيرة الشيخ الكبير أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي ص 320 ، وانظر طبقات الصوفية ص464 ، وحلية الأولياء 386/10 .

2. السابق ص362 .

3. اللمع ص417 .

4. التعرف ص116 .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( اعلم أن الصحوه على حسب السكر ، فمن كان سكره بحق كان صحوه بحق ، ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ مصحوبا ، ومن كان محقا في حاله كان محفوظا في سكره قال تعالى : { فَلَمَّا بَجَلَى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } [الأعراف/143] هذا مع رسالته وجلالة قدره خر صعقا ، وهذا مع صلابته وقوته ، صار دكا متكسرا (1) .

ويذكر ابن عربي أن من أسكره الشهود فلا صحو له البتة ، وكل حال لا يورث طربا وبسطا ، وإدلالا وإفشاء أسرار إلهية ، فليس بسكر ، وإنما هو غيبة أو فناء أو محق ، كما أنه يجعل السكر على مراتب (2) :

1- سكر طبيعى : وهو سكر المؤمنين ، وهو ما تجده النفوس من الطرب والالتذاذ والسرور والابتهاج بوارد الأمانى ، فإن له أثرا قويا فى القوة المتخيلة ، فالواقفون من أهل الله مع الخيال لهم هذا السكر الطبيعى .

2- السكر العقلى : وهو سكر العارفين ، وهو شبيه بالسكر الطبيعى فى رد الأمور إلى ما تقتضيه حقيقته ، لا إلى ما يقتضيه الأمر بنفسه ، ويأتى الخبر الإلهى عن الله لصاحب هذا المقام بنعوت المحدثات ، إنها نعت لله فىأبى قبولها على هذا الوجه ، لأنه فى سكرة دليله وبرهانه ، فيرد ذلك الخبر لما —

1. الرسالة 237/1 ، 238 .

2. فصوص الحكم 2 / 544 .

يقتضيه نظره مع جهله بذات الحق ، فإذا صحا هذا العاقل عن سكره بالإيمان لم يرد الخبر الصدق ، فهذا سكر عقلى .

3- سكر الكمل : وهو سكر المنتهين من الرجال ، وهو السكر الإلهى الذى قال فيه رسول الله : ( اللهم زدنى فيك تحيرا ) (1) ، والسكران حيران فالسكر الإلهى إبتهاج وسرور بالكمال (2) .

---

1. ليس بحديث ولكنه من اختلاق ابن عربى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا شأن كثير من الصوفية ، وخصوصا من كان منهم معتقدا لفكر ابن عربى أو مصححا له ، لا يتورعون فى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعون أن هذه الأحاديث صحت عندهم من باب الكشف ، فهم لا يعتبرون طريقة المحدثين فى إثبات ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

2. يجب التنبه على أن جميع ما ورد في مصطلح السكر من أقوال ومعان صوفية لا أصل لها في الكتاب والسنة ، إلا ما ذكر من أنه غيبة بوارد قوى ، من سماع آية مؤثرة أو حديث يذكر الإنسان بربه أو بجنته وناره ، قد تذهب عقل الإنسان ويشبه وقتها السكران ، وربما يفيق منها أو يموت بسببها ، كما حدث لعبد الله بن وهب حيث خر مغشيا عليه عندما قرئ عليه من آيات وأحاديث الأهوال ، فحملوه وأدخلوه الدار فلم يزل مريضا حتى توفي ، رواه الحاكم في المستدرک برقم (8711) 617/4 ، وانظر تهذيب التهذيب 66/6 ، من أجل هذا أورت مصطلح السكر في هذا الباب ، أما ما ذكره ابن عربي من السكر الطبيعي والعقلي وسكر الكمل ، وتقسيم غيره للسكر والغيبة والغشية ، وجعل هذا للمريدين وهذا للعارفين وأمثال ذلك من التقسيمات الهمجية ، فلا تشهد لها أصول قرآنية أو نبوية .

\*\*\*\*\*

## 77 - السكينة

\*\*\*\*\*

- السكينة : السكينة ضد الحركة والسكينة والسكن واحد ، قال الله تعالى : { أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ } [إبراهيم/45] والسكينة تطلق ويراد بها عدة أمور (1) :

1- السكينة الاطمئنان والوقار والهدوء ، فعن أبي هريرة  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  قال : " إذا أقيمت الصلاة ، فلا تأتوها تسعون ، وأتوها تمشون عليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا " (2) ، وعن الفضل بن عباس  $\tau$  ، وكان رديف رسول الله  $\varepsilon$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال في عشية عرفة وغداة جمع للناس حين دفعوا : " عليكم السكينة ، وهو كاف ناقته " (3) .

2- السكينة ما يزول به الخلاف ويجمع عليه القلوب ، كقوله تعالى :

{ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ } [البقرة/248] ،

وقوله سبحانه : —

1. لسان العرب 211/13 ، والمغرب للمطري 405/1 ، والمفردات ص 237 .

2. أخرجه البخاري في كتاب الجمعة برقم (908) 453/2 .

3. أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج (3020) واللفظ له وقال الشيخ الألباني : صحيح

258/5 ، ومسلم برقم (1282) 931/2 ، والدارمي برقم (1891) 84/2 .

{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ

صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة/103] .

3- السكينة ما يزول به الفزع والرعب ، كقوله تعالى : { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ

إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا

رَحَبَتْ ثُمَّ وَلِيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ

{ [التوبة/25:26] وقوله : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ }

[الفتح/4] .

4- السكينة الرحمة التي تنزل بها الملائكة ، فعن البراء بن عازب ،

قرأ رجل الكهف ، وفي الدار الدابة ، فجعلت تنفر ، فسلم ، فإذا

ضبابة أو سحابة غشيتها فذكره للنبي ، فقال : " اقرأ فلان فإنها

السكينة نزلت للقرآن " (1) ، وعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي

الله عنهما ، أنهما شهدا على النبي ، أنه قال : " لا يقعد قوم يذكرون

الله عز وجل ، إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده " (2) .

## - السكينة في الاصطلاح الصوفي :

السكينة في الاصطلاح الصوفي ، تطلق على ما يطمئن القلب ، ويؤدى إلى سكون النفس مما يرد على المؤمن من أنوار الحق ومراتب اليقين ، قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( السكينة سكون القلب ، وطمأنينته إلى الواردات —

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3614) 719/6 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2700) 2074/4 .

التي من الله إلى أوليائه ، وهى عندهم دليل الولاية ، كما أن المعجزات دليل النبوة كما قال تعالى : { إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ } [البقرة/248] ، وفعلها السلطان والغلبة على من اعترض عليه ، وضدها الحيرة والاضطراب (1) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) فى تعريفها : ( السكينة ما يسكن إليه القلب من البصائر والحجج ، فيرتقى القلب بوجودها عن حد الفكرة إلى روح اليقين وثلج الفؤاد ، فتصير العلوم ضرورية ، وهذا للخواص فأما عوام المسلمين ، فالمراد منها السكون والطمأنينة واليقين ، قال تعالى : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } [الفتح/4] (2) .

ويقول ابن عربي (ت:638هـ) : ( السكينة نور في القلب يسكن به إلى شاهده ويطمئن ، وهو من مبادئ عين اليقين بعد علم اليقين ، كأنه وجدان يقيني معه لذة وسرور ) (3) .

ويذكر عبد الرزاق الكاشاني (ت:736هـ) أن السكينة فعيلة من السكون الذي هو وقار ، لا الذي هو فقد الحركة ، وهى فى هذه الطريق عبارة عما تجده النفس من الطمأنينة عند تنزل الغيب ، وربما عرفوها بحدود أخرى مثل :

- 
1. انظر ختم الأولياء ص181 ، وانظر أيضا ص335 ، 347 ، 390 ، 262 : 263 .
  2. لطائف الإشارات 419/3 .
  3. تفسير القرآن الكريم لابن عربي 507/2 .

1- السكينة : خلصة لذيذة تثبت زمانا ، أو خلصات مثالية لا تنقطع حيناً من الزمان .

2- السكينة : سكون النفس تحت ورود الهواجم .

3- السكينة : كمال الطمأنينة بوعده الحق .

4- السكينة : الحق سبحانه فإنه هو الصدق الذى يجب على النفس الاتصاف بالسكون إليه على وجه المبالغة المعبر عنها بالسكينة (1) .

\*\*\*\*\*

- السماع : ما سمعت به فشاع ، السمع يراد به عدة أمور (2) :

1- وصف للإنسان ويعنى قوة فى الأذن به يدرك الأصوات على كيفية معلومة نحو قوله تعالى : { أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } [الأعراف/195] ، ونحو : { وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } [الأنعام/25] ، وقوله : { حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً } [البقرة/7] .

2- السمع فعل آلة السمع وإدراكها نحو : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] ، وقوله : { لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ } —

1. لطائف الإعلام 25/2 .

2. كتاب العين 348/1 ، المفردات ص 242 ، لسان العرب 162/8 .

المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً } [النور/12] ، وعن سعد بن أبي وقاص  $\tau$  قال : سمعت النبي  $\varepsilon$  يقول : " من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام ، فذكرته لأبي بكر ، فقال : وأنا سمعته أذناي ، ووعاه قلبي من رسول الله  $\varepsilon$  (1) ، وعن عبد الله بن مسعود  $\tau$  ، قال رجل لرسول الله  $\varepsilon$  : كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت ؟ قال النبي  $\varepsilon$  : إذا سمعت جيرانك يقولون : أن قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون : □ قد أسأت ، فقد أسأت " (2) .

3- السمع بمعنى المسموع ، نحو قول الله تعالى : { إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ  
لَمَعْزُولُونَ } [الشعراء/212] ، وعن عائشة رضي الله عنها ، أنها سمعت  
رسول الله ﷺ يقول : " إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو السحاب ،  
فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع ، فتسمعه  
فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم " (3)

- 
1. أخرجه البخارى في كتاب الفرائض برقم (6767) 12 / 55 ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم (634) .
  2. أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد برقم (4223) وقال الشيخ الألبانى : صحيح وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (526) 2 / 285 ، والبيهقى في السنن الكبرى برقم (20184) 10 / 125 .
  3. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق برقم (3210) 6 / 350 .

4- السمع بمعنى الاستجابة والطاعة ، كما روى عن زيد بن أرقم ،  
قال رسول الله ﷺ : كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن ، وحنى  
جبهته وأصغى السمع متى يؤمر ، قال : فسمع ذلك أصحاب  
رسول الله ﷺ ، فشق عليهم ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا حسبنا الله  
ونعم الوكيل " (1) ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي  
ﷺ قال : السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية ، فإذا أمر بمعصية ،  
فلا سمع ولا طاعة " (2) ، وعن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ : " عليك



السمع والطاعة ، في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك (3) .

5- السمع وصف لله عز وجل بكيفية يعلمها الله ، وليس كمثله شيء فيها نحو قوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى/11] ، وقوله سبحانه : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } [المجادلة/1] ، وقوله تعالى : { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا { آآ عمران/181] ، وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : " اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي ، أو قرشيان وثقفي كثيرة شحم بطونهم ، قليلة فقه قلوبهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما —

1. أخرجه أحمد في المسند (18858) واللفظ له ، والترمذى في كتاب تفسير القرآن برقم (3243) 372/5 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الجهاد برقم (2955) 135/6 .

3. أخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (1836) 1467/3 .

نقول ؟ ، قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا ، فإنه يسمع إذا أخفينا ، فنزلت : { وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ } [فصلت/22] (1) .

- السماع في الاصطلاح الصوفى :

السماع في الاصطلاح الصوفى سماع القرآن أو قصائد الشعر بنغمة طيبة موافقة للطبائع ، تؤثر في المستمعين إلى درجة الصعق

والبكاء والغشية ، وما شابه ذلك من ألوان التأثير ، ويستدلون لذلك بقوله تعالى : { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } [الزمر/17] ، وغير ذلك من الآيات ، ولهم في ذلك شروط متعددة منها (2) :

- 1- ألا يطلبه الإنسان إلا إذا جاء من نفسه .
- 2- ألا يكون عادة وأن يستعمل قليلا حتى لا يمل منه الإنسان .
- 3- أن يكون بحضور أحد المرشدين .
- 4- أن يكون المكان خاليا من العامة .
- 5- أن يكون القوال رجلا محترما .
- 6- أن يكون الحضور غير مائلين إلى الترف .
- 7- أن يطرح جانبا كل تكلف وأن لا يزيد في حركاته حتى تقهره قوة السمع ، فإذا تسلطت عليه لا يلزمه مقاومتها بل يلزمه متابعتها .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7521) 405/13 .

2. كشف المحجوب ص505 ، واللمع ص338 .

8- إذا اشتدت قوة السمع يلزمه أن يضطرب ، وإذا سكنت يلزمه أن يسكن .

9- أن يكون عنده قوة إدراك ، يقبل بها وارد الحق فيقدره حق قدره فإذا سطعت قوته على القلب لا يلزم مقاومته ، فإذا انقطع الوارد يلزم أن لا يجتهد فى إرجاعه .

10- ألا ينتظر مساعدة من الغير أو يرفضها .

11- ألا يشغل أخاه المشتغل بالسماع لسؤاله عن معنى هذا أو

ذاك لأن مثل هذا العمل مضر بالسماع .

12- أن يفرغ القلب من الاشتغال بالدنيا .

والسماع الذى له أصل فى الكتاب والسنة ، سماع القرآن بإصغاء ،

أو سماع القول الحسن من المواعظ ، أو إلقاء العلم ، أو النصح

للآخرين ، لقوله تعالى : { فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ

فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَبَابِ

{ [الزمر/17:18] ، ولما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود ، قال

: " قال لي رسول الله ، اقرأ علي القرآن ، قال : فقلت يا رسول الله

: اقرأ عليك ، وعليك أنزل ، قال : إني أشتهي أن أسمع من غيري

فقرأت النساء حتى إذا بلغت : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ

وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [النساء/41] ، رفعت رأسي ، أو

غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي ، فرأيت دموعه تسيل " (1) .

---

1. أخرجه البخارى برقم (4306) 1673/4 ، ومسلم برقم (800) 551/1 .

أما هذه الشروط ، فقد أسفرت بعفوية عما نراه من بدع السماع

المنتشر فى الموالد وعند القبور ، مما أخرج السماع عن حده القرآنى

والنبوى ، وقد روي عن ذو النون المصرى (ت:248هـ) وقد سئل

عن السماع؟ فقال: (وارد حق يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزدق) (1).

ويذكر أن الجنيد (ت: 289هـ) سئل: ما بال الإنسان يكون هادئاً، فإذا سمع السماع اضطرب؟ فقال: إن الله تعالى لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله تعالى: { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } [الأعراف/172] استفزعت عذوبة سماع الكلام الأرواح، فلما سمعوا السماع حركهم ذكر ذلك (2) وهذا الكلام باطل لأنه لا دليل عليه، ونقل عن أبي بكر الكتاني (ت: 322هـ) أنه قال: (سماع العوام على متابعة الطبع، وسماع المريدين رغبة ورهبة وسماع الأولياء رؤية الآلام والنعم، وسماع العارفين على المشاهدة، وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام) (3).

وأجود من هذا ما يروى أن أبا بكر الشبلي (ت: 334هـ) لما سئل عن السماع؟، قال: ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة

حل له استماع —

1. الرسالة القشيرية 645/2.
2. طبقات الصوفية ص 375.
3. الرسالة القشيرية 645/2.

العبرة، وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية (1)، وعن أبي علي الدقاق (ت: 410هـ) قال: (السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم

، مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم (2)

ويذكر الكاشاني أن السماع هو حقيقة الانتباه لكل بحسب نصيبه ، فهو حاد يحدو بكل أحد إلى وطنه ، أى يتنبه كل أحد منه إلى المقصود الخاص به كما يقسم السماع بلا دليل إلى أنواع عديدة ، أغلبها باطل لا أصل له في القرآن أو السنة :

- 1- سماع العامة : وهو تنبيههم على امتثال الأمر .
  - 2- سماع الخاصة : شهودهم الحق تعالى في كل مسموع ومبصور لأنهم لا يسمعون إلا بالحق وفي الحق وللحق ومن الحق .
  - 3- السماع بالحق : هو سماع من لم تبق فيهم بقية من عالم النفس ، فهم يسمعون بقيومية الله تعالى مع طهارتهم من أرجاس النفوس .
  - 4- السماع في الحق : هو سماع من يشاهد ، جمعيته تعالى لكل كمال ، فهو لا يسمع شيئاً من الكمالات منسوبة إلى غيره تعالى ، بل إليه سبحانه لتفرده بالكمال لذاته تعالى .
  - 5- السماع للحق : هو سماع من يشهد بأن جميع ما يسمعه من الترغيب في بذل النفس والعرض والمال وغير ذلك ، إنما هو مبدول للحق لا لشيء سواه .
-

1. السابق 644/2 .

2. السابق 644/2 .

6- السماع من الحق : هو سماع من يأخذ الخطاب من الله تعالى ، أخذ الإبقاء بالمشروع ، وعلى الحد الجائز قبوله ، ومن الوجه الذى يسمع منه أهل الحقيقة ، وإليه أشار إليه سهل بن عبد الله بقوله : ( منذ ثلاثين سنة أسمع من الله ، والناس يظنون أنى أسمع منهم ) ، ولأجل أن سماعهم إنما هو من محبوبهم الحق تعالى أنشد قائلهم :

من كل معنى لطيف أستقى قدحا : وكل ناطقة فى

الكون تطربنى

وذلك لأن سماعهم لما كان من المحبوب الحق ، صار الطرب حاصلًا من كل ناطق ، وليس السماع مختصًا بإنشاد الشعر بالألحان وبالسماع بها بل إنما هو اعتبارات يفهمها أهل السماع من السالكين ، ومعان يتمنعها أهل القلوب المشرقة بنور القرب من جناب القدس ، ولهذا تشغلهم تلك اللذات الروحانية الواصلة إلى أرواحهم عن لذات المحسوسات والموهومات والمعقولات .

7- سمع الحق : ويسمى عبد السميع ، ويعنى به من تحقق

بمظهرية الاسم السميع ، ولهذا يسمع كلام الله من كل كائن ، إذ كانت الكائنات كلها إنما هى آثار ظاهرة عن القول الإلهى ،

بموجب قوله : { كن } ولأنه لا ينقطع ذلك القول أبداً بحكم الإمداد مع الأناث .

8- سمع العالم : وهو سمع الحق فإنه إنما كان سمع الحق لتحقيقه بمظهرية الإسم السميع ، فلهذا هو سمع العالم إذ لا سمع إلا بإسمه السميع تعالى (1) .

1. لطائف الإعلام 28:26/2 .

\*\*\*\*\*

## 79 - الشاهد

\*\*\*\*\*

- الشاهد : ورد في الكتاب والسنة على عدة معان :

1- الشاهد المراقب للحدث بحضوره فيه ، قال تعالى : { وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } [البقرة/282] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  قال : ( إذا ادعت المرأة طلاق زوجها ، فجاءت على ذلك بشاهد عدل ، استحلف زوجها ، فإن حلف بطلت شهادة الشاهد ، وإن نكل فنكوله بمنزلة شاهد آخر وجاز طلاقه ) (1) .

وعن أبي بكره τ ، أن النبي ε قعد على بعيره ، وأمسك إنسان  
بخطامه أو بزمامه ، قال : أي يوم هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا أنه  
سيسميه سوى اسمه ، قال : أليس يوم النحر ؟ قلنا : بلى ، قال :  
فأي شهر □ هذا ؟ ، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، فقال  
: أليس بذي الحجة ؟ ، قلنا : بلى ، قال : فإن دماءكم وأموالكم  
وأعراضكم بينكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في  
بلدكم هذا ، ليلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من  
هو —

1. أخرجه ابن ماجة في الطلاق برقم (2038) وقال الشيخ الألباني : ضعيف. 657/1 والدارقطنى في  
سننه برقم (155) 64/4.

أوعى له منه □ (1) .

2- الشهادة بمعنى الحكم والإعلام والإخبار ، نحو : { وَشَهِدَ شَاهِدٌ  
مِّنْ أَهْلِهَا } [يوسف/26] وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا  
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } [الأحزاب/45] ونحو : { وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا }  
[يوسف/81] أى ما أخبرنا .

3- الشهادة الإقرار ، نحو : { وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ  
فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ } [النور/6] ، وقال تعالى : { مَا  
كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ  
} [التوبة/17] أى مقرين ، وعن أنس بن مالك τ قال : " كنا عند رسول



الله ع فضحك ، فقال : هل تدرون مم أضحك ؟ قال : قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال يقول : بلى ، قال فيقول : فإني لا أجزى على نفسي إلا شاهدا مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا ، قال : فيختم على فيه ، فيقال : لأركانه انطقي ، قال : فتنطق بأعماله ، قال : ثم يخلى بينه وبين الكلام ، قال : فيقول : بعدا لكن وسحقا ، فعنكن كنت أناضل " (2) .

3- والشهادة قد تناول جميع ما تقدم ، كقوله : { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم } [آل عمران/18] .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (67) 190/1 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد برقم (2969) 2280/4 .

4- الشاهد بمعنى الكوكب ، فعن أبي بصرة الغفاري قال صلى بنا رسول الله ع فى واد من أوديتهم ، يقال له المخمص ، صلاة العصر ، فقال : إن هذه الصلاة صلاة العصر ، عرضت على الذين من قبلكم فضيعوها ، ألا ومن صلاها ضعف له أجره مرتين ، ألا ولا صلاة بعدها حتى تروا الشاهد ، قلت لابن لهيعة ما الشاهد ؟ قال : الكوكب الأعراب ، يسمون الكوكب شاهد الليل (1) .

5- الشاهد يوم عرفة ، فعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي ﷺ ، قال في هذه الآية : { وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ } [البروج/3] ، يعني الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم القيامة (2) ، والشهيد من قتل حاضرا في المعركة مجاهدا في سبيل الله ، فعن أنس بن مالك ر ، عن النبي ﷺ قال : " ما من عبد يموت ، له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا ، وأن له الدنيا وما فيها ، إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة ، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل مرة أخرى " (3) .

#### - الشاهد في الاصطلاح الصوفى :

الشاهد في الاصطلاح الصوفى هو ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد وهو على حقيقة ما يضبطه القلب من صورة المشهود (4) ، يروى عن الجنيد بن —

1. صحيح بمعناه أحمد في المسند برقم (26685) واللفظ له ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم (830) .

2. أخرجه أحمد في المسند برقم (7912) وهو حسن من طريق يونس بن عبيد وفيه أبو عمر عمار بن أبي عمار وهو صدوق .

3. أخرجه البخارى في الجهاد برقم (2795) 18/6 . 4. لطائف الإعلام 35/2 .

محمد (ت:298هـ) ، أنه سئل عن الشاهد ؟ ، فقال : ( الشاهد الحق في ضميرك وأسرارك مطلع عليها ، والمشهود ما يشهده الشاهد ) (1) ، وعن أبي بكر الواسطى (ت:بعد320هـ) قال : ( الشاهد الحق ) (2) ، وروى عن أبي بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه سئل عن

المشاهدة ؟ فقال : ( من أين لنا مشاهدة الحق ؟ الحق لنا شاهد )  
(3) .

وقال السراج الطوسي (ت:380هـ) : ( الشاهد ما يشهدك ، بما  
غاب عنك ، فيحضر قلبك لوجوده ) (4) ، وقال أبو القاسم  
القشيري (ت:465هـ) في تعريف الشاهد : ( الشاهد ما يكون  
حاضر قلب الإنسان ، وهو ما كان الغالب عليه ذكره ، حتى كأنه  
يراه ويبصره ، وإن كان غائبا عنه فكل ما يستولى على قلب صاحبه  
ذكره فهو يشاهده ) (5) .

\*\*\*\*\*

## 80 - الشريعة

\*\*\*\*\*

- الشريعة : شرع في الأمر بدأ فيه ، وعن عائشة رضی الله عنها أنها  
أخبرت —

1. اللمع ص 415 .

2. السابق ص 415 .

3. الرسالة القشيرية 268/1 .

4. اللمع ص 415 .

5. الرسالة 268/1 .

عن النبي ﷺ وعنهما ، أنهما شرعا جميعا وهما جنب في إناء واحد □ " (1)

وقد يراد بالشرع أيضا حرية الفاعل فيما يخصه ويمتلكة ، فعن جابر بن عبد الله  $\tau$  ، أن رجلا من الأنصار أعطى أمه حديقة من نخل حياتها ، فماتت فجاء إخوته فقالوا : نحن فيه شرع سواء ، فأبى فاخصموا إلى النبي  $\varepsilon$  ، فقسمها بينهم ميراثا " (2) ، والشرع نهج الطريق الواضح ، واستعير ذلك للطريقة الإلهية قال تعالى : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } [الشورى/13] والمعنى شرع الأصول التي تتساوى فيها جميع الملل وهى أصول التوحيد ، وقوله تعالى : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة/48] يدل على أمرين (3) :

أحدهما : ما فطر الله تعالى عليه كل إنسان ، مما قدره الله من وضع يسر له وطريق يتحراه مما يعود إلى مصالح العباد وعمارة البلاد وذلك المشار إليه بقوله : { وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا } [الزخرف/32] .

الثانى : ما فرض الله له من الدين وأمره به ، ليتحراه اختيارا مما تختلف فيه الشرائع

ويعترضه النسخ ، ودل عليه قوله : { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا } —————

1. أخرجه أحمد في المسند (24825) واللفظ له والبخارى في الغسل برقم (250) .

2. ضعيف الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (13785) وأبو داود في كتاب البيوع برقم (3557) 295/3.

3. المفردات ص 258 ، ولسان العرب 175/8.

[الجائبة/18] ، وقال ابن عباس ؑ : الشرعة ما ورد به القرآن والمنهاج ما ورد به السنة (1) ، وعن معاذ بن أنس ؑ ، عن رسول الله ﷺ : " لا تزال الأمة على الشريعة ما لم يظهر فيها ثلاث ، ما لم يقبض العلم منهم ، ويكثر فيهم ولد الحنث ، ويظهر فيهم الصقارون ، قال : وما الصقارون أو الصقلاوون يا رسول الله ؟ قال : بشر يكون □ في آخر الزمان تحيتهم بينهم التلاعن " (2) ، وعن عبد الله بن مسعود ؑ ، قال : " من سره أن يلقي الله غدا مسلما ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبىكم ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم ، كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم " (3)

## - الشريعة في الاصطلاح الصوفي :

الشريعة في الاصطلاح الصوفي تقابل الحقيقة ، وقد أدلى كل منهم بما يكشف معناها في مقابل معنى الحقيقة عندهم ، فمن ذلك الشريعة بمعنى جميع الأحكام التكليفية المتعلقة بأعمال الإنسان الظاهرة والباطنة كما دل على ذلك ، قول السراج الطوسى : ( أنكرت طائفة من أهل الظاهر ، وقالوا لا نعرف إلا علم الشريعة

الظاهرة التي جاء بها الكتاب والسنة وقالوا : لا معنى لقولكم علم  
الباطن —

1. أخرجه البخارى فى الإيمان ، باب قول النبي ﷺ بنى الإسلام على خمس 60/1 .
2. صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد برقم (15201) وفيه زيان بن فائد وأحاديثه مناكير والحديث صحيح بمعناه ، انظر صحيح البخارى كتاب العلم برقم (85) .
3. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (654) .

وعلم التصوف فنقول وبالله التوفيق : إن علم الشريعة علم واحد ، وهو اسم واحد يجمع معنيين ، الرواية والدراية ، فإذا جمعتهما فهو علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ، ولا يجوز أن مجرد القول فى العلم أنه ظاهر أو باطن ، لأن العلم متى ما كان فى القلب ، فهو باطن فيه إلى أن يجرى ويظهر على اللسان فإذا جرى على اللسان فهو ظاهر (1) ، ثم انتهى إلى أن الحقيقة فى علم التصوف وهو العلم والفقهاء المستنبط من جميع أعمال الظاهر والباطن ويدل على صحة كل عمل منها ، أى ما يستنبط من علوم الشريعة (2) .

ويروى عن أبى على الدقاق (ت:410هـ) ، ( قوله تعالى : { وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ } [الفاتحة/5] حفظ للشريعة ، { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة/5] إقرار بالحقيقة ) (3) .

وقال على بن عثمان الهجویری (ت:465هـ) : ( الشريعة عمل كسبى للإنسان ، والحقيقة حفظ الله تعالى وعصمته له ، الشريعة لا تثبت بدون الحقيقة والحقيقة لا تثبت بدون ملاحظة الشريعة ،

والاتصال بينهما كالصلة بين الجسد والروح ، وكذلك الشريعة بدون الحقيقة رياء ، والحقيقة بدون الشريعة نفاق وقد قال تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/69] فالمجاهدة شريعة والهداية هي الحقيقة ، فالأولى تشمل مراقبة الإنسان لظاهر الأحكام ، أما الأخرى فتشمل معونة الله تعالى وإكرامه بحفظ الباطن للعبد ، وعلى ذلك —

1. اللمع ص 44:43 .

2. السابق ص 44 .

3. الرسالة القشيرية 261/1 .

فالشريعة من المكاسب ، أما الحقيقة فهي من المواهب ، وحين نسلم بذلك فبون شاسع بينهما (1) .

وقريب من ذلك قول القشيري (ت:465هـ) : ( الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول ، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول ، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده ، والشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر ) (2) .

ويذكر عبد الرزاق الكاشاني (ت:736هـ) تعريفا غريا للشريعة ينبعث من فلسفة في وحدة الوجود ولا يستند إلى دليل ، فيبين أن الشريعة ميزان كل عادل يأتي به الخليفة الكامل من جانب حقيقته

، ليحفظ به حكم الوحدة والعدالة على طرق خليفته ، الذى يتعلق به فى نفسه أولا وفيمن يأخذ المدد الوجودى بواسطته ثانيا ، وذلك لئلا تتغوره الأحكام الإمكانية ، والآثار المتكثرة النفسانية والشيطانية ، فهذا الميزان الكلى هو المسمى شريعة (3) .

1. كشف المحجوب ص 465 .

2. الرسالة القشيرية 261/2 .

3. لطائف الإعلام 37 /2 .

\*\*\*\*\*

## 81 - الشكر

\*\*\*\*\*

- الشكر : الشكر تصور النعمة وإظهارها وعرفان الإحسان ونشره ، ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها ، ودابة شكور مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها ، وقيل أصله من عين شكرى ، أى ممتلئة ، فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه (1) ، والشكر يوصف به الرب والعبد :

أ- فالشكر فى حق الله ، يدور حول معنى إظهار المجازاة والمعاوضة لعمل الخير فإذا وصف الله بالشكر فى قوله تعالى : { وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ } [التغابن/17] ، فإنما يعنى إنعامه على عباده وجزاءه بما أقاموه من



العبادة ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  : " أن رجلا رأى كلبا يأكل  
الثرى من العطش ، فأخذ الرجل خفه فجعل يغرف له به حتى أرواه ،  
فشكر الله له ، فأدخله الجنة " (2) ، وعنه أيضا  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$   
قال : " بينما رجل يمشي بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق ،  
فأخره فشكر الله له فغفر له " (3) .

ب- والشكر في حق العبد ، يتضمن الإقرار بالنعمة إلى المنعم ،  
والخضوع له —

1. لسان العرب 4/424 ، المفردات ص 266،265 ، وكتاب العين 5/292 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الوضوء برقم (174) 1/334 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الأذان برقم (654) 2/163 .

عن رضا ومحبة ، والامتناع عن عصيانه ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه  
، قال النبي  $\varepsilon$  : " لا يدخل أحد الجنة ، إلا أرى مقعده من النار لو  
أساء ، ليزداد شكرا ، ولا يدخل النار أحد ، إلا أرى مقعده من  
الجنة ، لو أحسن ليكون عليه حسرة " (1) .

وعنه أيضا  $\tau$  قال : " بعث رسول الله  $\varepsilon$  خيلا قبل نجد ، فجاءت  
برجل من بني حنيفة ، يقال له : ثمامة بن أثال ، سيد أهل اليمامة ،  
فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله  $\varepsilon$  فقال :  
ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا  
دم ، وإن تنعم تنعم على شاکر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه  
ما شئت ، فتركه رسول الله  $\varepsilon$  " (2) .

ومن حديثه τ ، قال رسول الله ε : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " (3) وعنه أيضا τ ، عن النبي ε قال : " يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا ابن آدم ، حملتك على الخيل والإبل ، وزوجتك النساء ، وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ " (4) .  
والشكر في حق العبد ثلاثة أضرب (5) :

- 
1. أخرجه البخارى في كتاب الرقاق برقم (6569) 426/11.
  2. أخرجه مسلم في كتاب الجهاد برقم (1764) 1386/3 .
  3. أخرجه الترمذى في البر والصلة برقم (1954) ، وقال الألبانى : صحيح 339/4 .
  4. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (10005) .
  5. المفردات ص 266 .

1- شكر القلب وهو تصور النعمة ، والاعتراف بها إلى المنعم ، والعزم على طاعته ، وعن صهيب الرومى τ ، قال رسول الله ε : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له " (1) .

2- وشكر اللسان هو الثناء على المنعم بفضله ، وقال ابن عباس τ : " مطر الناس على عهد النبي ε ، فقال : أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة الله ، وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا " (2) .

3- وشكر سائر الجوارح ، وهو مكافأة النعمة بفعل الجوارح ، من خلال خضوعها واستجابتها لأمره ونهيهِ ، قال تعالى : { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ } [سبأ/13] لينبه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح ، ومثله قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [البقرة/172] ، فشكر النعمة أداء العبادة بالقلب واللسان والجوارح ، وعن المغيرة بن شعبة  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  كان يقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول : أفلا أكون عبداشكورا □ (3) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن النبي  $\varepsilon$

لما قدم —

1. أخرجه مسلم في كتاب الزهد برقم (2999) 2295/4 .
2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (73) 84/1 .
3. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة برقم (1130) 19/3 .

المدينة وجددهم يصومون يوما يعني عاشوراء ، فقالوا : هذا يوم عظيم ، وهو يوم نجى الله فيه موسى ، وأغرق آل فرعون ، فصام موسى شكرا لله ، فقال : أنا أولى بموسى منهم ، فصامه وأمر بصيامه " (1) ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " الطاعم الشاكر ، بمنزلة الصائم الصابر " (2) .

- الشكر في الاصطلاح الصوفي :

الشكر فى الاصطلاح الصوفى مبنى على تفصيل واستقصاء الأصول القرآنية والنبوية ، وكل يدلى فيه بدلوه ومن ذلك ما ذكره قول الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : ( علامة الشكر لله عز وجل ، الزيادة لأن الله يقول : { لئن شكرتم لأزيدنكم } [ابراهيم/7] ، والشكر فى نفسه ومعناه ، أن تعلم أن النعمة من الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا نعمة على الخلق من أهل السموات والأرض إلا وبدايتها من الله عز وجل ، فتكون الشاكر لله عز وجل عن نفسك وعن غيرك بمعرفة نعم الله على الخلق جميعا ، فهذا غاية الشكر ) (3) .

ويروى عن أبى سعيد الخراز (ت:279هـ) : ( الشكر الاعتراف للمنع والىقرار بالربوبية ) (4) ، وقال سهل التستري (ت:293هـ) :  
( الشكر لله هو —

1. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3397) 494/6 .

2. أخرجه الترمذى فى صفة القيامة برقم (2486) وقال الألبانى : صحيح 653/4 .

3. القصد والرجوع إلى الله ص 70 .

4. التعرف للكلاباذى ص 100 .

الطاعة لله ، والطاعة لله هى الولاية من الله تعالى ، كما قال : { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا } [المائدة/55] ، ولا تتم الولاية من الله تعالى إلا بالتبرى ممن سواه (1) ، وحكى عن رويم بن أحمد البغدادى (ت:303هـ) أنه قال : ( الشكر استفراغ الطاقة ) (2) ،

وقال أبو طالب المكي (ت:386هـ) : قطع الله بالمزيد مع الشكر ،  
ولم يستثن فيه واستثنى في خمسة أشياء :

1. في الإغناء ، قال : { فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ }  
[التوبة/28] .

2. في الإجابة ، قال : { فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ }  
[الأنعام/41] .

3. في الرزق ، قال : { يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ } [آل عمران/37] .

4. في المغفرة ، قال : { وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ } [المائدة/40] .

5. في التوبة ، قال : { ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ }  
[التوبة/27] .

وختم الله بالمزيد عند الشكر من غير استثناء ، فقال تعالى : {  
لَعِنَ شُكْرُكُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ } [إبراهيم/7] ، فالشاكر على مزيد ، والشكور في  
نهاية المزيد ، وهو الذي يكثر شكره على القليل من العطاء ، ويتكرر  
منه الشكر والثناء على الشيء الواحد من النعم (3) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( حقيقة الشكر الثناء

على المحسن —

1. تفسير سهل بن عبد الله ص 7 .

2. الرسالة 438/1 .

3. قوت القلوب 204/1 .

بذكر إحسانه ، فشكر العبد لله تعالى ، ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه ، وشكر الحق سبحانه للعبد ، ثناؤه عليه بذكر إحسانه له ، ثم إن إحسان العبد طاعته لله تعالى ، وإحسان الحق إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له ، وشكر العبد على الحقيقة ، إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب ، قال تعالى : { لئن شكرتم لأزيدنكم } [إبراهيم/7] والشكر ينقسم إلى أقسام :

1- شكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمه .

2- شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة .

3- وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاء والخدمة (1) .

\*\*\*\*\*

## 82 - الصبر

\*\*\*\*\*

- **الصبر** : الصبر الإمساك في ضيق ، وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع (2) ، والصبر من أوصاف المؤمنين وخصالهم وقد رد الحث عليه في الكتاب والسنة :

أ- فمن الكتاب قال تعال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا } [آل عمران/200] ، أى احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم ، وقال : —

1. الرسالة 438:437/1 .

2. لسان العرب 437/4 ، كتاب العين 115/7 .

{ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ } [البقرة/177] ، وقوله : {  
أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا } [الفرقان/75] ، أى بما تحملوا من الصبر  
فى الوصول إلى مرضاة الله .

ب- ومن السنة ، عن أبي مالك الأشعري ؓ ، قال رسول الله ﷺ : "   
الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله  
تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض ، والصلاة نور والصدقة  
برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو  
فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها " (1) وعن أبي أمامة ؓ ، عن النبي ﷺ  
قال : يقول الله سبحانه : " ابن آدم إن صبرت واحتسبت عند  
الصدمة الأولى ، لم أرض لك ثوابا دون الجنة " (2) .

والصبر لفظ عام ر بما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه (3)  
:

1- فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبيرا لا غيره ، ويضاده الجزع  
، كما روى عن أنس بن مالك ؓ ، قال : " مر النبي ﷺ بامرأة تبكي  
عند قبر فقال : اتقي الله واصبري ، قالت : إليك عني ، فإنك لم  
تصب بمصیبتی ، ولم تعرفه فقيل لها : إنه النبي ﷺ ، فأنت باب النبي ﷺ  
فلم تجد عنده بوابين ، فقالت : لم أعرفك ، فقال : إنما الصبر عند  
الصدمة الأولى " (4) ، وعن صهيب الرومى ؓ —

1. أخرجه مسلم في كتاب الطهارة برقم (223) 203/1 .
  2. أخرجه ابن ماجة في الجنائز برقم (1597) وقال الألباني : حسن 509/1 .
  3. المفردات ص 274 .
  4. أخرجه البخارى في كتاب الجنائز برقم (1283) 177/3 .
- قال رسول الله ﷺ : " عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " (1) .

2- وإن كان في محاربة سمي شجاعة ، ويزاده الجبن ، كما روى عن أبي قتادة ؓ ، أن رجلاً قال يا رسول الله : أرأيت إن قتلت في سبيل الله ، تكفر عني خطاياي ؟ ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم إن قتلت في سبيل الله ، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله ﷺ : كيف قلت ؟ ، قال : أرأيت إن قتلت في سبيل الله ، أتكفر عني خطاياي ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : نعم وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر إلا الدين ، فإن جبريل عليه السلام ، قال لي ذلك (2) ، وعن ابن عباس ؓ قال : " لما نزلت : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنَّ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ } [الأنفال/65] شق ذلك على المسلمين ، حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال : { الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ }



[الأفعال/66] ، قال : فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم ) (3) .

3- وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر ،

فعن ابن —

1. أخرجه مسلم في كتاب الزهد برقم (2999) 2295/4 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الإمامة برقم (1885) 1501/3 .

3. أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن برقم (4653) 163/8 .

عمر  $\tau$  ، قال سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " من صبر على لأوائها ، كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة " (1) ، وعن أنس بن مالك  $\tau$  ، قال سمعت النبي  $\varepsilon$  يقول : " إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ، فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه " (2) ، وعن أبي سعيد الخدري  $\tau$  : " إن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله  $\varepsilon$  ، فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم ، حتى نفذ ما عنده ، فقال : ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر " (3) .

4- وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماننا ، كما قال عثمان بن

عفان  $\tau$  يوم الدار : " إن رسول الله  $\varepsilon$  قد عهد إلي عهدا ، فأنا صابر عليه " (4) .

والصبر قد يطلق على بعض المعاني الاصطلاحية مثل :

أ- قتل الصبر : وهو أن يقيد الكائن الحي ثم يرمى حتى الموت ،  
فعن أبي أيوب الأنصاري  $\tau$  ، قال سمعت رسول الله  $\varepsilon$  ينهى عن قتل

الصبر ، فوالذي نفسي —

1. أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (1377) 1004/2 .

2. أخرجه البخارى في كتاب المرضى برقم (5653) 120/10 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الزكاة برقم (1469) 392/3 .

4. أخرجه الترمذى في المناقب برقم (3711) وقال الألبانى : صحيح 5 / 631.

بيده لو كانت دجاجة ما صبرتها (1) ، وعن جابر بن عبد الله  $\tau$   
قال : " نهى رسول الله  $\varepsilon$  أن يقتل شيء من الدواب صبيرا " (2) .

ب- الصبر : يقال لعصارة شجرة مرة تستعمل كدواء ، وعن أم  
سلمة قالت حين توفي أبو سلمة : جعلت على عيني صبيرا ، فقال  $\varepsilon$   
: ما هذا يا أم سلمة ؟ قلت : إنما هو صبر يا رسول الله ليس فيه  
طيب ، قال : إنه يشب الوجه فلا تجعله إلا بالليل ، ولا تمتشطى  
بالطيب ولا بالحناء ، فإنه خضاب ، قلت : بأي شيء أمتشط يا  
رسول الله ؟ قال : بالسدر تغلفين به رأسك (3) .

ج - شهر الصبر : شهر رمضان ، فعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال : سمعت  
رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم  
الدهر " (4) .

- الصبر في الاصطلاح الصوفى :

الصبر عند الصوفية عبارة عن حبس النفس على الطاعات ، ولزوم الأمر والنهي ثم على ترك رؤية الأعمال ، وترك الدعوى مع مطالبة الباطن بذلك والثبات على مقامات البلايا ، حتى يصير كل بلاء ومحنة بتلك الرؤية عطاء ومنحة ، ويصير وظيفة السالك ومقامه شكرا بعد أن كان صبورا ، فالصبر عندهم يشمل جميع المقامات والأخلاق والأعمال والأحوال ، فإن جميع ذلك لا —

1. أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد برقم (2687) وقال الألباني : ضعيف 60/3 .
2. أخرجه مسلم في كتاب الذبائح برقم (1550/3) (1959) .
3. أخرجه النسائي في كتاب الطلاق برقم (3537) وقال الألباني : ضعيف 204/6 .
4. أخرجه النسائي في الصيام برقم (2408) وقال الألباني : صحيح 218/4 .

يتحقق إلا بحمل النفس على الثبات في التوجه إلى تحققه ، وعلى مقاساة الشدة في تصحيحه (1) .

روى عن بشر الحافي (ت:227هـ) أنه قال : ( الصبر الجميل هو الذى لا شكوى فيه إلى الناس ) (2) .

ويقسم أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) الصبر إلى أنواع (3) :

[1] - أولها : □ الصبر على أداء فرائض الله تعالى على كل حال ، في الشدة والرخاء والعافية والبلاء طوعا وكرها □ .

[2] - ثانيها : □ الصبر عن كل ما نهى الله تعالى عنه ، ومنع النفس من كل ما مالت إليه بهواها مما لا يرضى الله ، وهذه الدرجة وما سبقها هما فرض على العباد أن يعملوا بهما .

[3] - ثالثها : الصبر على النوافل ، وأعمال البر وما يقرب العبد إلى الله تعالى فيحمل نفسه على بلوغ الغاية للذى رجاه من ثواب الله عز وجل .

[4] - رابعها : الصبر على قبول الحق ممن جاء به من الناس ودعا إليه بالنصيحة فيقبل منه ، لأن الحق رسول من الله جل ذكره إلى العباد ولا يجوز لهم رده ، فمن ترك قبول الحق ورده فإنما يرد على الله تعالى أمره .

---

1. لطائف الإعلام 54/2 بتصرف .

2. طبقات الصوفية ص 43 .

3. كتاب الصدق لأبي سعيد الخراز ص 19 بتصرف .

[5] - خامسها : □ الصبر على احتمال مكروه النفس ، فإذا وقع بها ما تكرهه تجرع العبد ذلك ، وترك البث والشكوى ، وكنتم ما نزل بها كما قال تعالى : { وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ } [آل عمران/134] ، فالعبد كنتم ما كرهه وشق على نفسه احتمالها فصار بذلك صابرا .

ويروى عن إبراهيم الخواص (ت:291هـ) أنه قال : ( الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة ) (1) ، ويذكر لسهل التستري (ت:294هـ) أنه قال : ( الصبر تصديق الصدق ، الصالحون في

المؤمنين قليل ، والصادقون في الصالحين قليل ، والصابرون في الصادقين قليل ، وأفضل منازل الطاعة الصبر على المعصية ، ثم الصبر على الطاعة ، وقال تعالى : { اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا } [الأعراف/128] أى استعينوا بالله على أمر الله ، واصبروا على أدب الله (2) .

وللصوفية أيضا كلام نفيس في الصبر يعبر عن الأصول القرآنية والنبوية ، منه ما روى عن عمرو بن عثمان المكي (ت:297هـ) أنه قال : ( الصبر هو الثياب مع الله سبحانه وتعالى ، وتلقى بلائه بالرحب والدعة ) (3) .

وعنه أيضا : ( لقد وبخ الله تعالى التاركين للصبر على دينهم بما أخبرنا عن الكفار أنهم قالوا : { امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ } [ص/6] ، فهذا

توبيخ لمن ترك —

1. الرسالة القشيرية 1 / 455 .

2. قوت القلوب 1/194 ، والتعرف ص 94 .

3. طبقات الصوفية ص 203 .

الصبر من المؤمنين على دينه (1) ، وذكر عن الجنيد (ت:298هـ) أنه سئل عن الصبر ؟ فقال : ( هو تجرع المرارة من غير تعبيس ) (2) ، وروى عنه أيضا أنه قال : ( المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن ، وهجران الخلق في طاعة الله تعالى شديد ، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد ) (3) .

وقال أبو طالب المكي (ت:386هـ) : الصبر يحتاج إليه العبد قبل العمل ومعه وبعده (4) :

(1- الصبر قبل العمل ، أن يصبر على تصحيح النية وعزم العقود والوفاء بها حتى تصح الأعمال ، لأن النبي ﷺ قال : ( إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ) (5) ، وقال تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/5] ، وحقيقة النية الإخلاص ، ولأن الله تعالى قدم الصبر على العمل ، فقال تعالى : { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } [هود/11] .

---

1. الرسالة القشيرية 455/1 □.

2. السابق 454/1 .

3. السابق 454/1 .

4. قوت القلوب 196/1 .

5. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحي برقم (1) 15/1.

(2- والصبر مع العمل ، التأنى فيه حتى يتم ويعمل ، لقوله تعالى : { نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [العنكبوت/58:59] .

(3- والصبر بعد العمل ، هو الصبر على كتفه وترك التظاهر به والنظر إليه ليخلص من السمعة والعجب ، فيكمل ثوابه كما خالص

من الرياء ، كما قال تعالى : { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا  
أَعْمَالَكُمْ } [محمد/33] ، وقال تعالى في مثله : { لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ  
بِالْمَنِّ وَالْأَذَى } [البقرة/264] .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( الصبر على أقسام :  
صبر على ما هو كسب للعبد ، وصبر على ما ليس بكسب له ،  
فالصبر على المكتسب على قسمين : صبر على ما أمر الله تعالى به  
، وصبر على ما نهي عنه ، وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد :  
فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم فيما يناله فيه مشقة ) (1)

\*\*\*\*\*

## 83 - الصدق

\*\*\*\*\*

- **الصدق** : الصدق ضد الكذب ، وهو مطابقة القول والفعل في  
الظاهر لما في الضمير من قول أو فعل ، ويسرى ذلك في نوعي  
الكلام الخبر والإنشاء فالصدق في الخبر وقوعه على نحو يوافق حقيقة  
المخبر عنه ، والصدق في الأمر

---

1. الرسالة القشيرية 453/1:454 .

تنفيذه على النحو المطلوب (1) ، ومن أمثلة ذلك :

أ- الصدق مطابقة القول حقيقة المخبر عنه ، ووقوعه على نحو يتوافق مع الحقيقة نحو قوله : { قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ { [يوسف/17] ، وقوله : { ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ { [النمل/49] وقوله : { إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ { [مريم/54] ، ومن السنة ما روى عن كعب بن مالك  $\tau$  ، قال : " يا رسول الله ، إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله  $\varepsilon$  أحسن مما أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله  $\varepsilon$  إلى يومي هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله على رسوله  $\varepsilon$  : { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ.. إلى قوله .. وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ { [التوبة/117] (2) .

وعن سعيد بن جبیر  $\tau$  ، قال : " سألت ابن عمر عن حديث المتلاعنين فقال : قال النبي  $\varepsilon$  للمتلاعنين : " حسابكما على الله ، أحدكما كاذب ، لا سبيل لك عليها ، قال : مالي ، قال : لا مال لك ، إن كنت صدقت عليها فهو —

1. لسان العرب 193/10 ، المفردات ص 277 ، وكتاب العين 56/5 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4418) 717/7 .



بما استحلتت من فرجها ، وإن كنت كذبت عليها ، فذاك أبعد لك " (1)

وعن عمر بن الخطاب ؓ قال : " بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، ذات يوم إذ طلع علينا رجل ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه " (2) .

وعن أبي هريرة ؓ ، قال : " شهدنا خيبر ، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال ، قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، فكاد بعض الناس يرتاب ، فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته ، فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه فاشتد رجال من المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال : قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر " (3) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق برقم (5312) 367/9 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (8) 36/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4204) 538/7 .

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، قالت : " دخلت علي  
عَجُوزَانِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ السَّعْدِيِّ ، فقالتا لي : إن أهل القبور يعذبون  
فى قبورهم فَكَذَّبْتُهُمَا وَلَمْ أُنْعَمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا فخرجتا ، ودخل علي  
النبي ﷺ ، فقلت له : يا رسول الله إن عجوزين وذكرت له ، فقال :  
صَدَقْتَا إِنَّهُنَّ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا " (1) .

ب- الصدق تنفيذ الأمر أو مطابقة الفعل للحقيقة ، ومثاله قوله  
تعالى : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ وَيُلْئِمُ لِلْمُكذِّبِينَ }  
[المسلمات/48] ، ومن السنة ما روى عن سعيد المقبري عن أبيه ⚭ ، قال :  
" كنا فى جنازة ، فأخذ أبي مسعود الأنصاري ⚭ بيد مروان ، فجلسا  
قبل أن توضع ، فجاء أبو سعيد ⚭ فأخذ بيد مروان ، فقال : قم  
فوالله لقد علم هذا أن النبي ﷺ نهانا عن ذلك فقال أبو هريرة ⚭ :  
صدق " (2) ، وعن طلحة بن عبيد الله ⚭ ، قال : جاء رجل إلى  
رسول الله ﷺ ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا  
، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : خمس صلوات فى  
اليوم والليلة ، فقال : هل علي غيرها ؟ ، قال : لا ، إلا أن تطوع ،  
قال رسول الله ﷺ : وصيام رمضان ، قال : هل علي غيره ؟ ، قال :

لا ، إلا أن تطوع ، قال وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة ، قال : هل علي غيرها ؟ ، قال : لا ، إلا أن —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات برقم (6366) 178/11 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1309) 212/3 .

تطوع ، قال : فأدبر الرجل ، وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص قال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق " (1) .

ج- الصدق مطابقة القول الظاهر للباطن ومثاله ، قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل : " ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه ، إلا حرمه الله على النار ، قال : يا رسول الله ، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : إذا يتكلوا ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثما " (2) .

وعن أبي هريرة ر ، قال : " لما فتحت خيبر ، أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم فقال النبي ﷺ : اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود ، فجمعوا له ، فقال : إني سائلكم عن شيء ، فهل أنتم صادقي عنه ؟ فقالوا : نعم ، قال لهم النبي ﷺ : من أبوكم ؟ قالوا : فلان ، فقال : كذبتكم ، بل أبوكم فلان ، قالوا : صدقت قال : فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أيينا ، فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا : نكون فيها يسيرا ، ثم تخلفونا فيها ، فقال النبي ﷺ : اخسئوا فيها ،

والله لا نخلفكم فيها أبدا ، ثم قال : هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم في هذه الشاة سما ؟ قالوا : نعم قال : ما حملكم على ذلك ؟ ، قالوا : أردنا إن كنت كاذبا نستريح ، وإن —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (46) 130/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (128) 272/1 .

كنت نبيا لم يضرك (1) .

د- الصدق مطابقة الفعل الظاهر للفعل الباطن ومثاله ، ما روى عن خزيمه بن ثابت الأنصاري ، أنه رأى فى المنام أنه سجد على جبهة رسول الله ﷺ فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فاضطجع له رسول الله ﷺ وقال : صدق بذلك رؤياك فسجد على جبهة رسول الله ﷺ " (2) ، وعن ابن عباس ، قال : " ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ، أن النبي ﷺ قال : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العينين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " (3) .

هـ- الصدق مطابقة القول والفعل الظاهر والباطن للحقيقة ، وهو الصدق بالمعنى العام الشامل لكل ما تقدم ، ومثاله ما روى عن أنس بن مالك ، قال النبي ﷺ : " أنا أول شفيع فى الجنة ، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبيا ما يصدقه من أمته إلا

رجل واحد " (4) ، وعن عبد الله بن مسعود  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا ، وإن الكذب يهدي إلى —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجزية برقم (3169) 314/6 .
2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (21375) .
3. أخرجه مسلم فى كتاب القدر برقم (2657) 2046/4 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (196) 188/1 .

الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (1) ، وعن حكيم بن حزام  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن □ صدقا وبيننا ، بورك لهما فى بيعتهما ، وإن كذبا وكتما ، محق بركة بيعتهما " (2) .

### - الصدق فى الاصطلاح الصوفى :

الصدق فى الاصطلاح الصوفى ، هو الموافقة للحق فى الأقوال والأفعال والأحوال ، وذلك لا يتم إلا ممن كمل فى قوة ضبطه لنفسه فى جانبى العلم والعمل (3) ، روى عن أحمد بن خضرويه (ت:240هـ) قال : ( من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق ، فإن الله تعالى قال : { إن الله مع الصادقين } وضد الصدق الرياء والكذب ) (4) .

وقال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : ( الصدق قول باللسان مع إضمار القلب حالة واحدة ، لا يخالف أحدهما صاحبه ،

وأصل الصدق المعرفة لأنك لا تصدق إلا من تعلم أنه يراك ويسمعك ، وهو قادر على عقوبتك وعلمك أنه لا ينجيك منه إلا الصدق له ،

### فوقع حينئذ الصدق ضرورة فالمعرفة —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6094) 523/10 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب البيوع برقم (1532) 1164/3 .

3. لطائف الإعلام 59/2 بتصرف .

4. سراج القلوب على هامش قوت القلوب 208/2 .

أصل الصدق ، والصدق أصل لسائر أعمال البر ، وعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد فى أعمال البر ، والصدق موهبة من الله عز وجل ، فإذا وقر فى القلب انصدع لذلك نور ، وكان له هياج فى القلب ، وأخذ بالرأس ، وانتشر فى سائر الجسد ، فتأخذ كل جارحة منه قسطها من الصدق على قدر الكثرة والقلة من هيجان الصدق ، وعلى قدر ما وافق من ذلك رقة القلب وصحة العقل (1) كما بين أن الصدق كائن فى النية واللسان والعمل (2) :

1- فأما صدق النية فهو : أن يبذلها القلب خوف عقاب أو رجاء

ثواب لا يريد بذلك غير الله عز وجل .

2- وأما صدق اللسان فهو : أن يطلقه إذا قام له شاهد من الحق

، وكان التخلف عن اللفظ وهنا فى صدقه .

3- وأما صدق العمل فهو : الهجوم على ما عزم عليه بترك روح

النفس حتى يصير إلى ما عزم عليه من العمل ، فيتمه بالحرص

عليه والانكماش وخوف الفوت ودرك الأمل ، لا يقطعه عنه قاطع ولا يمنع عنه مانع .

وقال أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) : ( الصدق اسم للمعاني كلها ، وهو داخل فيها ، وذلك أنه لا بد للمريد المحقق في إيمانه والمطالب لسلك سبيل النجاة ، من معرفة ثلاثة أصول يعمل بها ، فبذلك يقوى إيمانه وتقوم حقائقه —

1. القصد والرجوع إلى الله للحارث المحاسبي ص61 .

2. السابق ص60 .

وتثبت فروعه ، فتصفو عند ذلك الأعمال وتخلص إن شاء الله ، فأولها الإخلاص لقول الله عز وجل : { فَأَعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } [الزمر/2] ، ثم الصدق لقول الله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } [التوبة/119] ، ثم الصبر : لقول الله عز وجل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا } [آل عمران/200] ، ثم قال : ( وهذه ثلاثة أسام لمعان مختلفة ، وهي داخلة في جميع الأعمال ، ولا تتم الأعمال إلا بها ، فإذا فارقت الأعمال فسدت ولم تتم ، ولا يتم بعض هذه الأصول الثلاثة إلا ببعض ، فمتى فقد أحدها تعطل الآخر ، فالإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصبر لا يتم إلا بالصدق فيه والإخلاص فيه ، والصدق لا يتم إلا بالصبر عليه والإخلاص فيه ) (1) .

وروى عن أبي بكر الواسطي (ت:320 هـ) معنى جامع في الصدق ، فقال : ( الصدق صحة التوحيد مع القصد ) (2) .

وقال ابو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( الصدق عماد الأمر ، وبه تمامه وفيه نظامه ، وهو تالى درجة النبوة ، قال الله تعالى : { فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ } [النساء/69] ، وأقل الصدق استواء السر والعلانية ، والصادق من صدق في أقواله ، والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ —

1. كتاب الصدق ص 14:15 .

2. الرسالة القشيرية 450/2.

الصَّادِقِينَ } (1) ، وقد ذكر الكاشاني بعض الاصطلاحات الصوفية في الصدق فعد منها (2) :

1- صدق الأقوال : وهو موافقة الضمير المنطق ، بحيث يكون الصادق من كان وصف قلبه يطابق ما نطق به لسانه ، كقول الجنيد : ( حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك فيه إلا الكذب ) .

2- صدق الأفعال : وهو الوفاء لله بالعمل من غير مداهنة ، ولهذا قال المحاسبي : الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل إصلاح قلبه ، ولا يجب إطلاع الناس على



مثاقيل الدر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السئ من حاله ، لأن كراهته لذلك دليل على أنه يجب الزيادة عندهم ، وليس هذا من أخلاق الصديقين .

3- صدق الأحوال : وهو اجتماع الهم على الحق ، بحيث لا يختلج في القلب تفرقة عن الحق بوجه .

صدق الهمة : وهو أن يبلغ العبد في همته حدا لا يملك معه صرفا لقلبه عما التفتت إليه همته ، لأنه متى صدقت الهمة ارتفعت المهلة ، وزال التصبر لغلبة سلطان الهمة عليها ، ولهذا من بلغ به صدق همته في طلب ربه إلى هذا الحد الذى لا يصلح لصاحبه أن يملك معه التفاتا إلى غير ما يقتضيه حكم —

1. السابق 452/2 .

2. لطائف الإعلام 60:59/2 .

4- ملك الهمة ، لانقهاره تحت غلبة سلطانها ، كان سريعا ما يصير من أهل المحبة التى من بلغ إليها اتصل بأرباب السير فى درجات الارتقاء إلى مراتب الكمالات من غير نهاية .

5- صدق النور : ويعنون به الكشف الذى لا استتار بعده ، وإنما سمى بذلك تشبيها بنور البرق إذا ظهر صدقه ، وذلك عندما يأتى المطر ، فهكذا فيما يبدو للسالك من الأنوار التى تظهر مرارا ثم تختفى وذلك ما دام لم يبلغ بعد فى سيره إلى حضرة الجمع ، فإذا

بلغها لم يصح حينئذ اختفاء النور إذ لا ظلمة هناك ، فلهذا سمي البلوغ إليها بصدق النور أى أن النور الذى كان الحال فيه مشتبهاً قبل ذلك عندما كان يظهر ثم يستتر قد تبين صدقه عند الوصول إلى مقام الجمع الذى لا ظلمة فيه .

\*\*\*\*\*

## 84- الصفاء

\*\*\*\*\*

- **الصفاء** : أصل الصفاء خلوص الشئ من الشوب ، ومنه الصفا والصفوان للحجارة الصافية ، قال تعالى : { كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ } [البقرة/264] وقال سبحانه : { إِنَّ الصِّفَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } [البقرة/158] وذلك اسم لموضع مخصوص ، والصفاء يقال فى المحسوسات وغيرها (1) :

1. المفردات ص283 ، وكتاب العين للخليل بن أحمد 162/7.

أ- فمن الأول : قول عبد الله بن مسعود ؓ : " والذى لا إله إلا هو ، ما أذكر ما غير من الدنيا إلا كالثغب شرب صفوه وبقي كدره " (1) ، وعنه أيضا ؓ أن النبي ﷺ قال : " إن المرأة من نساء أهل الجنة ، ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك بأن الله تعالى يقول : { كَأَنَّ الْيَابُوتَ وَالْمَرْجَانَ } [الرحمن/58] ، فأما

الياقوت ، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لأريته من ورائه ) (2) ، وعن سعيد بن المسيب  $\pi$  ، قال : " إنما سميت الخمر ، لأنها تركت حتى مضى صفوها وبقي كدرها ، وكان يكره كل شيء ينبذ على عكر " (3) ، ومن حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إنما مثل المريض إذا برأ وصح ، كالبردة تقع من السماء في صفائها ولونها " (4) .

ب- ومن الثاني : الصفاء الإيماني أو الاصطفاء ، كاصطفاء الله بعض عباده للرسالة والنبوة ، فالاصطفاء تناول صفو الشيء ، كما أن الاختيار تناول خيره قال تعالى : { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ } [الحج/75] ، وقال —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2964) 139/6 .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة الجنة برقم (2533) 676/4 .
3. أخرجه النسائى فى الأشربة برقم (5746) قال الألبانى : صحيح الإسناد 334/8 .
4. أخرجه الترمذى فى كتاب الطب برقم (2086) 411/4 وأخرجه ابن أبى الدنيا فى المرض والكفارات برقم (22) ص 34 وفيه الوليد بن محمد الموقرى وهو متروك .

سبحانه وتعالى : { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } [آل عمران/33] ، وقال حذيفة بن اليمان  $\pi$  : سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، أبيض مثل

الصفاء ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخرة أسود  
مربادا كالكوز مجخيا ، لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا إلا ما  
أشرب من هواه " (1) .

وقد يستعمل الصفاء في بعض المعاني الاصطلاحية مثل ، اطلاق  
مصطلح الصفي على خير ما يعار للصدقة ، كما روى عن أبي هريرة  
τ ، أن رسول الله ﷺ قال : " نِعَمَ الْمَيْحَةَ اللَّقْحَةَ الصَّفِيَّ مِنْحَةً ،  
وَالشَّاءُ الصَّفِيَّ تَغْدُو بِإِنَاءٍ وَتَرُوحُ بِإِنَاءٍ " (2) ، واطلاق مصطلح  
الصفي على أعظم نعمة في الإنسان وهي نعمة البصر ، كما روى عن  
أبي هريرة τ ، أيضا أن رسول الله ﷺ قال : " يقول الله تعالى ما لعبد  
المؤمن عندي جزاء ، إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا  
الجنة " (3) ، واطلاق مصطلح الصفي على السهم الذي يؤخذ من  
الغنيمة قبل قسمتها ، مثل ما روى عن عامر الشعبي τ ، قال : "   
كان للنبي —

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (144) 128/1 .

2. أخرجه البخاري في كتاب الهبة برقم (2629) 287/5 .

3. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق برقم (6424) 246/11 .

صلى الله عليه وسلم سهم يدعى الصفي ، إن شاء عبدا وإن شاء أمة  
وإن شاء فرسا ، يختاره قبل الخمس " (1) .

- الصفاء في الاصطلاح الصوفي :

الصفاء فى الاصطلاح الصوفى أصل من الأصول التى ىرد إليها مصطلح التصوف ، فمن المعلوم أن المسلك الصوفى ، مبنى على التخلص من الشوائب الحاجبة والتحرر مما سوى الله ، ولما كانت النسبة إلى الصوف نسبة إلى المظهر كانت النسبة إلى الصفاء نسبة إلى صفاء الجوهر ، إذ أنهم يعتبرون التصوف أسمى الطرق وأعلاها كمالا وتحققا .

روى عن ابن عطاء الأدمى (ت:311هـ) أنه قال : ( لا تغتروا بصفاء العبودية ، فإن فيها نسيان الربوبية لأنها ممازجة الطبع ورؤية الفعل ) (2) ، وروى عن أبى بكر الكتانى أنه سئل (ت:322هـ) عن الصفاء ؟ ، فقال : مزايلة المذمومات (3) .

وقال السراج الطوسى (ت:378هـ) : ( الصفاء ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق فى الحين ) (4) وقال الهجوبرى (ت:465هـ) :

إن الصفا صفة الصديق : إذا أردت صوفيا على التحقيق (5) .

- 
1. أخرجه أبو داود فى الخراج برقم (2991) قال الألبانى : ضعيف الإسناد 152/3 .
  2. اللمع ص 114 .
  3. السابق ص 114 .
  4. السابق ص 114 .
  5. كشف المحجوب ص 40 .

ويتابع قائلاً : ( ذلك أن للصفاء أصل وفرع ، فأصله انتزاع القلب من الأغيار ، وفرعه نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة ، وكانت هاتان الصفتان تميزان الصديق أبا بكر ، حيث تعلق قلبه بربه عند موت النبي ، ولم ينظر إلى ما حدث من تبديل الحياة بالموت ، ولكنه نظر إلى الله الذي بدل كل شيء ، ومن ثم تحقق فيه أصل الصفاء وهو انتزاع القلب من الأغيار ، وأما فرع الصفاء فهو نفض اليد من هذه الدنيا الخادعة ، حيث تبرع أبو بكر  $\tau$  بماله كله ومواليه وارتدى رداء الصوف ، على حد قول الهجویری ، ثم جاء إلى النبي  $\varepsilon$  فسأله : وما خلفت لعيالك ؟ ، فأجابه أبو بكر ، تركت لهم الله ورسوله ، فهو إمام أهل هذه الطريقة ، إن الصفا عكس للكدر ، والكدر من صفات الإنسان ولهذا فإن الصوفي الحقيقي ، هو من يترك الكدر وراء ظهره ) (1) ، ويذكر الكاشاني في معنى الصفاء اصطلاحات غريبة عن منهج القرآن منها (2) :

1- الصفاء : وهو اسم للبراءة من الكدر عن قلب صفا من الصدا ، الصاد له عن سلوك سواء طريق أرباب الوفاء ، وإنما يصفو القلب عند انطواء حظ —

1. السابق ص 41 ، ليس من شك أن السعي إلى الصفاء والتحرر من قيود المعصية هو دين الله عز وجل ، وهو عام في كل قول وفعل ، بل يمكن القول إنه شرط الإسلام لقبول العمل ، ولكن بضوابط العبودية الممثلة في ركنيها الأساسيين ، الإخلاص والمتابعة لرسوله  $\varepsilon$  ، وكلام الهجویری فيه نظر تقدم تفصيله في الفصل السادس من القسم الأول .

2. لطائف الإعلام 62:61/2 .

العبودية في حق الربوبية ، وقد يتبين له أن السلوك إنما كان لرجوعه عن حجابية ظلمة خلقيته إلى كشف أنوار حقيقته بعد فنائه عن ظلمة الحدث في نور الأزل .

(2- صفاء خلاصة خاصة الخاصة : ويعنى به من تحقق بمقام الأكملية ، الذى هو مظهرية التعين ، بمظهرية التعين الثانى ، وذلك فى باب الحقيقة الإنسانية وهو خلاصة خاصة الخاصة .

(3- صفوة صفاء خلاصة خاصة الخاصة : هم صفاء الخلاصة ، وقد يعنى بصفوة الصفاء ، قوم هم فوق هذا المقام ، فإن صفاء الخلاصة هم أهل الأفق العلى ، وأما صفوة الصفاء فهم أهل الأفق الأعلى ، الذى هو مقام أحدية الجمع ومقام أو أدنى .

\*\*\*\*\*

## 85 - الطهارة

\*\*\*\*\*

- الطهارة : الطهارة نقيذ النجاسة وهى ضربان (1) :

أ- طهارة الجسم الظاهر من النجاسات الحسية ومثاله ، ما ورد فى قول الله تعالى : { وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا } [المائدة/6] ، وقوله سبحانه : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاغْتَزَلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ

وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ {

[البقرة/222] .

1. لسان العرب 504/4 ، المفردات ص308 ، كتاب العين 18/4 .

ومما ورد في السنة ، ما روى عن أسماء بنت أبي بكر رضی الله عنها ، قالت : " سمعت امرأة تسأل رسول الله ﷺ ، كيف تصنع إحدانا بثوبها إذا رأت الطهر أتصلي فيه ؟ ، قال : تنظر فإن رأت فيه دما ، فلتقرصه بشيء من ماء ، ولتنضح ما لم تر ، ولتصل فيه " (1) ، وعن أبي هريرة ر ، قال رسول الله ﷺ : " البحر الطهور ماؤه الحل ميتته " (2) ، وعن عبد الله بن مسعود ر ، قال : " كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ثم قال : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل " (3) .

وعن أبي هريرة ر ، قال رسول الله ﷺ : " طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب ، أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب " (4) ، وعن عائشة رضی الله عنها ، عن النبي ﷺ قالت : " سئل النبي ﷺ عن جلود الميتة ؟ فقال : دباغها طهورها " (5) .



1. أخرجه أبو داود في الطهارة برقم (360) 99/1 ومسلم برقم (291) 420/1 .
2. أخرجه ابن ماجة في الصيد (3246) وقال الشيخ الألباني : صحيح 1081/2 .
3. أخرجه البخارى في المناقب برقم (3579) 679/6 .
4. أخرجه مسلم في كتاب الطهارة برقم (279) 346/1 .
5. أخرجه أحمد في المسند (24688) واللفظ له ، ومسلم برقم (366) 277/1 .

ب- طهارة القلب فى الباطن من النجاسات المعنوية ، كالشرك وسائر الذنوب ومثاله ما ورد فى قوله تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } [التوبة/103] ، وقوله : { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } [الأحزاب/53] وقد تحمل الآية الدلالة على الطهارة الحسية والمعنوية معا ، كقوله تعالى : { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [الحج/26] وقوله تعالى : { فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَتَطَهَّرُونَ } [النمل/56] ، على اعتبار أن فعل اللواط يرتبط بمحل النجاسة وهو من أقبح الذنوب ، ومما ورد فى السنة حديث عبد الله بن أبى أوفى ؓ ، أن النبى ؐ كان يقول : " اللهم لك الحمد ملء السماء وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد ، اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد ، اللهم طهرني من الذنوب والخطايا ، كما ينقى الثوب الأبيض من الوسخ " .

(1) ، وعن بريدة بن الحصيبي  $\tau$  ، قال : " جاء ماعز بن مالك  $\tau$  ، إلى النبي  $\varepsilon$  فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، قال فرجع غير بعيد ثم جاء ، فقال : يا رسول الله طهرني ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه ، حتى إذا كانت الرابعة ، قال له رسول الله : فيم أطهرك ؟ فقال : من الزنى " (2) .

1. أخرجه مسلم في كتاب الصلاة برقم (476) 346/1 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الحدود برقم (1695) 1321/3 .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن النبي  $\varepsilon$  دخل على أعرابي يعودُه وكان  $\varepsilon$  إذا دخل على مريض يعودُه قال : لا بأس طهور إن شاء الله ، فقال له : لا بأس طهور إن شاء الله ، قال : قلت : طهور ؟ ، كلا ، بل هي حمى تفور أو تثور على شيخ كبير تزيره القبور ، فقال النبي  $\varepsilon$  : فنعم إذا  $\square$  " (1) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  : " أن النبي  $\varepsilon$  لقيه في بعض طريق المدينة ، وهو جنب فانخنس منه ، فذهب فاغتسل ثم جاء ، فقال : أين كنت يا أبا هريرة ؟ ، قال : كنت جنباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة ، فقال : سبحان الله ، إن المسلم لا ينجس " (2) .

- الطهارة في الاصطلاح الصوفي :

الطهارة في الاصطلاح الصوفي ترد على المعنى الظاهر في الشرع ،  
وعلى معنى باطن يعنى التخلي عن رذائل الأخلاق ليصح التحلى  
بحميدها ، فمن الطهارة على المعنى الأول ، قول السراج الطوسى : ( )  
ومن آدابهم أيضا أن يكونوا دائما على الطهارة فى سفرهم ، وأصلهم  
فى ذلك ، أنهم لا يدرون متى تأتيهم المنية لقول الله تعالى :  
{ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف/34]  
يريدون بذلك إن جاءهم الموت بغتة ، يخرجوا من الدنيا على الطهارة  
( 3) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3616) 722/6 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الغسل برقم (283) 464/1 .
3. اللمع ص 197:198.

وسئل الحارث بن أسد المحاسبى عما يطهر القلوب ويجلى صدها  
ويقويها على دفع هواها ؟ ، فقال : ( قطع الشهوة ، وعدم الميل إلى  
الرخصة ، والفرار من تأويل الغرة ، التقلل من المطعم والمشرب ،  
وإصلاح القوت ) (1) .

ويذكر السراج الطوسى أن طائفة من الصوفية ادعت الصفاء  
والطهارة على الكمال والدوام ، وأن ذلك لا يزول عنهم ، وزعموا أن  
العبد يصفوا من جميع الكدورات والعلل بمعنى البينونة منها ، وقد  
غلطوا فى ذلك ، لأن العبد لا يصفوا على الدوام من جميع العلل ،

وإن وقعت له الطهارة وقتا ، فلا يخلو من العلل وإنما تصفو له وقتا دون وقت على مقدار أماكنهم ، فيذكر الله بنعت الصفاء والطهارة تكون لقلب العبد من الغل والحسد والشرك والتهم ، فأما الصفاء الذى لا يحتمل العلة ، والطهارة من جميع أوصاف البشرية على الدوام بلا تلوين ولا تغيير ، ليس ذلك من صفات الخلق ، لأن الله تعالى هو الذى لا تلحقه العلل ولا تقع عليه الأغيار ، والخلق مراد بالابتلاء ، أنى يخلون من العلل والأغيار وحكم العبد إذا كان ذلك كذلك ، أن يتوب إلى الله تعالى ، ويستغفر الله تعالى فى كل وقت ، لقول الله عز وجل : { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور/31] (3) .

وقال أبو القاسم القشيري : ( كما أن فى الشريعة لا تصح الصلاة بغير الطهور فلا تصح فى الحقيقة بغير طهور ، وكما أن للظاهر طهارة فللسرائر أيضا طهارة

---

1. أعمال القلوب والجوارح ص120 ، وانظر القصد والرجوع إلى الله ص87 .

2. اللمع ص547 .

وطهارة الأبدان بماء السماء أى المطر ، وطهارة القلوب بماء الندم والنجل ثم بماء الحياء والوجل ، وكما يجب غسل الوجه عند القيام إلى الصلاة يجب صيانة الوجه عن التبذل للأشكال عن طلب خسائس الأعراض ، وكما يجب غسل اليدين فى الطهارة ، يجب قصرهما عن

الحرام والشبهة ، وكما يجب مسح الرأس يجب صونه عن التواضع والخفض لكل أحد ، وكما يجب غسل الرجلين في الطهارة يجب صونهما في الطهارة الباطنة عن التنقل فيما لا يجوز " (1) .

وقال أيضا في قوله قوله جل ذكره : { وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ } [النساء/43] ، ( كما يقتضى غسل جميع البدن في الطهارة ، كذلك في الطهارة الباطنة ما يوجب الاستقصاء ، وذلك عندما تقع للمريد فترة ، فيقوم بتجديد عقد وتأكيد عهد والتزام عزم وتسليم وقت واستدامة ندم واستشعار خجل ، وكما أنه إذا لم يجد المتطهر الماء ففرضه التيمم فكذلك إذا لم يجد المريد من يفيض عليه صوب همته ويغسله ببركات إشارته ويعينه بما يثوب به من زيادة حالته اشتغل بما تيسر له ، من اقتفاء آثارهم والاستراحة إلى ما يجد من سالف سيرهم وما ورد من حكاياتهم ) (2) .

وإذا كانت الطهارة في الباطن عند القشيري تعنى معنا بسيطا يتمثل

في التخلي —

1. لطائف الإشارات 405/1 .

2. السابق 405/1 ، وتجدد الإشارة إلى أن التأويل الذى ذكره القشيري تأويل باطنى لا تشهد له

الأصول القرآنية والنبوية ولا يرقى إلى مستوى التفسير الإشارى المختلف فيه .

عن رذائل الأخلاق ومذمومها ، فإنها تعنى عند محى الدين بن عربى معنى أعمق يدل على فلسفة فى وحدة الوجود ، إذ يقول فى قوله تعالى :

{ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة/125] : ( أمرناهما بتطهير بيت القلب ، من قاذورات أحاديث النفس ، ونجاسات وساوس الشيطان ، وأرجاس دواعى الهوى ، وأدناس صفات القوى ، للطائفين أى السالكين المشتاقين الذين يدورون حول القلب فى سيرهم والعاكفين الواصلين إلى مقام القلب ، بالتوكل الذى هو توحيد الأفعال المقيمين فيه بلا تلوينات النفس وإزعاجها منه ، والركع أى الخاضعين الذين بلغوا إلى مقام تجلى الصفات وكمال مرتبة الرضا والسجود الفانين فى الوحدة ) (1)

وقال أيضا فى قوله تعالى : { وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا } [النساء/42] ، بعداء عن الحق بالانجذاب إلى الجهة السفلية ، والإعراض عن الجهة العلوية ، والميل الكلى إلى النفس : { فَاطَّهَّرُوا } بكليتكم عن تلك الهيئة المظلمة ، والصفة الخبيثة الموجبة للبعد والاحتجاب (2) ، ويذكر الكاشانى أن الطهارة عند الصوفية على مراتب متعددة (3) :

1- طهارة البدن : وتسمى طهارة الظاهر ويعنى بها تطهير البدن من الأحداث والنجاسات العينية والحكمية ، وبذلك يتميز البشر عما سواه من البهائم والأنعام .

1. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 84/1 .

2. السابق 314/1 .

3. لطائف الإعلام 88:87/2 .

2- طهارة النفس : ويعنى بها طهارة الجوارح من الجرائم والآثار ، وبذلك تتميز نفوس المخبئين لله عن عبد سواه ، فقد صار المرء فى تحققة بإنسانيته وتمييزها بين صفاتها الملكية والشيطانية ، وفى تخلقه بالأخلاق الإلهية واستكمال استغراقه فيها متوقفا فى جميع ذلك على التخلى عما يضاد ذلك ، ليصح له التحلى بما هو المقصود منها ، وذلك التحلى هو المعبر عنه بالطهارة .

3- الطهارة الصورية : هى طهارة الجوارح المعبر عنها بطهارة النفس .

4- الطهارة المعنوية : هى طهارة القلب .

5- الطهارة الحقيقية : هى طهارة السر ، لأنها لا تجامعها نجاسة بوجه أصلا .

6- الطهارة المرآتية : يعنى بذلك كون العبد مرآة طاهرة من الأدناس الخلقية والانحرافات الإمكانية ، المقتضى حكم الطهارة بقاء ما يظهر فيه من الحقائق الإلهية على طهارتها بحيث لا تنصبغ تلك الصفات

الإلهية عند ظهورها في المطهر بأحكامه الكونية المشار إلى طهارة هذه  
المرتبة بقوله تعالى في الحديث : " كنت سمعه وبصره .. إلخ " (1) .

---

1. حديث قدسى أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) عن أبى هريرة رضى الله عنه

\*\*\*\*\*

## 86 - العارف

\*\*\*\*\*

- **العارف** : المعرفة إدراك الشئ بتفكر وتدبر لأثره (1) ، وهى أخص  
من العلم لأنها تدل عليه باللزوم ، فكل معرفة لازمها العلم وليس  
العكس ، والعلم هو استيعاب العقل للحقائق والأشياء النافذة عبر  
الحواس ، فيضاده الجهل ، قال تعالى : { هَلْ عَلَّمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ  
يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ } [يوسف/89] ، أما المعرفة فتلى العلم  
وهى استيعاب العقل مع استدعاء الإرادة للحقائق والأشياء الموجودة  
مسبقا فى ذاكرة الإنسان ، فالمعرفة تتطلب إدراك الشئ بتفكر وتدبر  
لأثره فى السابق واللاحق ، ولذا يضادها الإنكار ، ومعلوم أن الإنكار



فعل الإرادة ، قال الله تعالى : { وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } [يوسف/58] ، فقوله : عرفهم ، يدل على علم يوسف ٥ بوجودهم واستدعاء ما يخصهم مما هو محفوظ في ذاكرته ، ومما سبق من علامات أوصاف تميزهم ، أما إنكارهم له فلا ينفي علمهم بوجود العزيز أمامهم ، إنما ينفي أنهم عجزوا عن إدراكه ، وتمييز أوصافه المحفوظة لديهم كأخ لهم ، وقال سبحانه وتعالى : { يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا } [النحل/83] .

والمعرفة وصف الإنسان لأنه يحتاج إلى التذكر والتفكير ، واستدعاء

## العلم —

1. لسان العرب 236/9 ، المفردات ص331 ، مختار الصحاح 179/1 .

السابق المحفوظ لديه ، فالمعرفة لا تظهر إلا باعتبار تحصيل العلم بالشئ وتذكره أكثر من مرة ، ولذا يقال : الله يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ، ولم تنسب المعرفة إلى الله في القرآن والسنة ، وإنما نسب إليه العلم ، قال تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ } [الأنعام/59] .

والعارف هو المتصف بالمعرفة ، وقال تعالى عن نبيه ع : { وَإِذْ أَسْرَى النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ

بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ  
نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ { [التحریم/3] .

وجميع الأدلة في الكتاب والسنة في معنى المعرفة ، تدور حول وجود  
العلم السابق بالشيء محفوظا في ذاكرة الإنسان ، ومثاله من القرآن  
قوله : { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ  
فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة/146] .

ومما ورد في السنة ما روى عن أنس بن مالك ؓ أنه قال لامرأة من  
أهله : تعرفين فلانة ؟ قالت : نعم ، قال : فإن النبي ؐ مر بها ، وهي  
تبكي عند قبر فقال : اتقي الله واصبري ، فقالت : إليك عني فإنك  
خلو من مصيبي ، قال : فجاوزها ومضى ، فمر بها رجل فقال : ما  
قال لك رسول الله ؐ ؟ ، قالت : ما عرفته ، قال إنه لرسول الله ؐ ،  
قال : فجاءت إلى بابه ، فلم تجد عليه بوابا فقالت : يا رسول الله ،  
والله ما عرفتك ، فقال النبي ؐ : إن الصبر عند

أول صدمة " (1) ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : " أن  
رجلا سأل النبي ؐ أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ  
السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (2) ، وعن عروة بن الزبير أن  
عائشة رضي الله عنها ، قالت : " كان عمر بن الخطاب ؓ يقول  
لرسول الله ؐ : احجب نساءك ، قالت : فلم يفعل ، وكان أزواج  
النبي ؐ يخرجن ليلا إلى ليل قبل المناصب ، فخرجت سودة بنت زمعة

وكانت امرأة طويلة ، فرآها عمر بن الخطاب وهو في المجلس فقال :  
عرفتك يا سودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب ، قالت : فأنزل الله  
عز وجل آية الحجاب " (3) .

وعن أنس بن مالك  $\tau$  ، أنه قال عن مقتل عمه أنس بن النضر  
يوم أحد : " فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو  
بنانه ، وبه بضع وثمانون من طعنة وضربة ورمية بسهم " (4) .

وعن زيد بن خالد الجهني  $\tau$  ، أنه قال : سئل رسول الله  $\varepsilon$  عن  
اللقطة ؟ فقال : " تعرفها حولا ، فإن جاء صاحبها دفعها إليه ،  
وإلا عرفت وكاءها وعفاصها ، ثم أفضها في مالك ، فإن جاء  
صاحبها فادفعها إليه " (5) .

---

1. أخرجه البخارى في كتاب الأحكام برقم (7154) 142/13 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الإيمان برقم (12) 71 / 1 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الاستئذان برقم (6240) 24/11 .

4. أخرجه البخارى في كتاب المغازى برقم (4048) 411/7 .

5. أخرجه أبو داود في اللقطة برقم (1701) قال الشيخ الألبانى : صحيح 134/2 .

وعن رجاء بن حيوة أن أبا أمامة رضي الله عنه قال : " فمرني يا  
رسول الله بأمر ينفعني الله به ، قال : عليك بالصوم ، فإنه لا مثل له  
، وكان أبو أمامة لا يكاد يرى في بيته الدخان بالنهار ، فإذا رئي  
الدخان بالنهار عرفوا أن ضيفا اعتراهم مما كان يصوم هو وأهله " (1)

، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن الصعب بن جثامة ،  
الليثي رضي الله عنه ، أهدى لرسول الله ﷺ حمار وحش ، وهو بالأبواء ،  
وهو محرم ، فرده ، قال : صعب ، فلما عرف في وجهي رده هديتي ،  
قال : ليس بنا رد عليك ولكننا حرم (2) .

ومن الاصطلاحات المتعلقة بمادة المعرفة (3) ، العراف : وهو  
كالكاهن إلا أن العراف يختص بمن يخبر بالأحوال المستقبلية ،  
والكاهن بمن يخبر عن الأحوال الماضية ، وعن صفية ، عن النبي ﷺ  
قال : " من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة " (4)  
، والعرافة : القيام على أمور الناس ومصالحهم وقال مسلم بن  
شعبة : استعمل نافع بن علقمة أبي على عِرَافَةَ قَوْمِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ  
يُصَدِّقَهُمْ (5) ، ومعنى يصدقهم أى يعرفهم الصدقة ويأخذها منهم .  
والمعروف اسم لكل فعل يعرف حسنه بالشرع أو العقل ، والمنكر

ما ينكر —

1. أخرجه أحمد برقم (21717) واللفظ له والنسائي في الصيام (2220) 165/4 .
2. أخرجه البخارى في كتاب الهبة برقم (2596) 5/ ص 260 .
3. لسان العرب 179/1 ، كتاب العين للخليل بن أحمد 121/2 .
4. أخرجه مسلم في كتاب السلام برقم (2230) 1751/4 .
5. أخرجه أبو داود في الزكاة برقم (1581) قال الشيخ الألباني : ضعيف 103/2 .

بهما قال تعالى : { يَا مُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } [التوبة/71] ،  
ولهذا قيل للاقتصاد في الجود معروف ، لما كان ذلك مستحسنا في

الشرع والعقل ، نحو قوله تعالى : { وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ  
{ [النساء/6] .

## - العارف في الاصطلاح الصوفي :

المعرفة في الاصطلاح الصوفي ، صفة من عرف الحق سبحانه  
بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته ، ثم تنقى عن أخلاقه  
الرديئة وآفاته ، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه ، فحظى  
من الله تعالى بجميل إقباله ، وصدق الله في جميع أحواله وانقطع عنه  
هواجس نفسه ، ولم يصنع بقلبه إلى خاطر يدعو إلى غيره ، فإذا صار  
من الخلق أجنبيا ، ومن آفات نفسه برياً ، ومن المساكنات  
والملاحظات نقياً ، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته ، وحق في كل  
لحظة إليه رجوعه ، وصار محدثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسرارهِ  
فيما يجريه من تصاريف أقداره ، يسمى عند ذلك عارفاً وتسمى  
حالته معرفة (1) .

ونادراً ما نجد صوفياً لم يتكلم في المعرفة أو لم يسأل عنها ، روى عن  
أبي يزيد البسطامي (ت:234هـ) أنه سئل ما علامة العارف ؟ ،  
فقال : ألا يفتر من —

1. الرسالة القشيرية 601/2 ، انظر المزيد عن العارف والمعرفة للتوسع والمقارنة ، نظرية المعرفة بين  
الكندي وذى النون المصري دراسة مقارنة بين الفلسفة والتصوف إعداد السيد رزق الحجر رسالة  
دكتوراه ، مخطوط كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1981م ، وانظر أيضاً ، نظرية المعرفة بين ابن  
رشد وابن عربي إعداد أحمد عبد المهيمن عبد الله رسالة ماجستير بالموضع السابق سنة 1994م .

ذكره ولا يمل من حقه ، ولا يستأنس بغيره (1) ، وأجاب أيضا : ( العارف لا يرى في نومه غير الله ، ولا في يقظته غير الله ، ولا يوافق غير الله ، ولا يطالع غير الله تعالى ) (2) ، وسئل عن درجة العارف ؟ فقال : ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه (3) .

ويذكر لدى النون المصرى (ت:248هـ) أنه سئل عن نهاية العارف ؟ فأجاب قائلا : إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون (4) ، ويعنى بذلك موافقته للميثاق الغيبى الذى أقر فيه بالتوحيد ، وأجاب مرة بقوله : ( هو رجل معهم باين عنهم ) (5) ، وأيضا سئل الجنيد (ت:297هـ) ما العارف ؟ فقال : من لم يأسره لحظه ولا لفظه (6) .

وقال السراج الطوسى (ت:378هـ) : سئل بعضهم ما المعرفة ؟ فقال : تحقيق القلب بإثبات وحدانيته بكمال صفاته وأسمائه ، فإنه المتفرد بالعز والقدرة والسلطان والعظمة ، الحى الدائم الذى ليس كمثل شئ وهو السميع البصير بلا كيف ولا شبه ولا مثل ، بنفى الأضداد والأنداد والأسباب عن القلوب (7) .

---

1. طبقات الصوفية ص 72 .

2. الرسالة القشيرية 2/606 .

3. طبقات الصوفية ص 69 .

4. التعرف ص 136 .

5. السابق ص 136 .

6. طبقات الصوفية ص 159 . 7. اللمع ص 63 .

ومن كلامهم في وصف العارف والمعرفة ، ما قاله المحاسبي  
(ت:243هـ) : ( اعلم أن أهل المعرفة بالله بنوا أصول الأحوال على  
شاهد العلم ، وتفقهوا في الفروع ألا ترى لقول النبي صلى الله عليه  
وسلم : " من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم " (1) ، وعلامة  
ذلك ، هو تزايد العلم بالإشفاق ، ومزيد العلم بالاعتقاد فكلما ازداد  
علما ازداد خوفا وكلما ازداد عملا ازداد تواضعا ) (2) .

وقال سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) : ( العارف الذي  
طلب معرفة الله وقربه ، وعلامة العارف أنه بذل ماله صحيحا ،  
أخرجه ثم روحه فأباحه ، فلو لم تكن جنة ولا نار ، لما زال ولا فتر ،  
وللعارف ثلاث حيايات وهى الحياة التى لا موت فيها ، فحياة  
الخائف إذا أمن النار فقد حي بحياة ، ثم —

1. لم أجده فى كتب السنة ، وفى معناه أثر موقوف على بن أبى طالب ؑ ، أخرجه الدارمى برقم  
(382) ولفظه : (يا حملة العلم ، اعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله ،  
وسيكون أقوام يحملون العلم ، لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ،  
يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ،  
أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله ) ولكنه أثر ضعيف فى سنده أبى الحسن بشر بن  
سلم الهمداني وهو منكر الحديث ، انظر لسان الميزان ترجمة رقم (79) 23/2 ، والجرح والتعديل رقم  
(1365) 358/2 ، وفيه أيضا أبو الجهم ثوير بن أبى فاختة الهاشمى وهو ضعيف انظر ضعفاء  
العقيلي رقم (226) 180/1 ، والمجروحين (146) 205/1 ، والجرح والتعديل (1920)  
472/2 .

2. رسالة المسترشدين ص 100، 99 .

يتم بحياة ثانية ويدخل الجنة بغير حساب ، والراجح أمن من العذاب ومن الحساب فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب ، فصار له أمانان ، وأما العارف فصار له أمانان من النار ، والأمان الثالث صار إلى الرحمن (1) ، وقال عبد الله بن خفيف (ت:371هـ) : ( المعرفة مطالعة القلوب لإفراده عن مطالعة تعريفه ) (2) .

ويذكر أبو بكر الكلاباذي (ت:380هـ) في المعرفة ، أن ابن عطاء الأدمي قال : ( تعرف إلى العامة بخلقهم ، لقوله : { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ } [الغاشية/17] وإلى الخاصة بكلامه وصفاته ، بقوله : { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ } [النساء/82] ، وقال تعالى : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الإسراء/82] ، وقال : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } [الأعراف/180] وإلى الأنبياء بنفسه كما قال : { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا } [الشورى/52] الآية وقال : { أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ } [الفرقان/45] (3) .

وقال أبو طالب المكي (ت:386هـ) : ( لا بد للعالم بالله تعالى من خمس هي علامة علماء الآخرة :

---

1. كلام سهل ق102 وما بعدها ، مخطوط كبرولو 727 استانبول ، نشره الدكتور محمد كمال جعفر في كتابه التصوف طريقة وتجربة ومذهبا ص 312 .



2. سيرة الشيخ الكبير ابن خفيف الشيرازي ص 323 .

3. التعرف لمذهب أهل التصوف ص 80 .

1- الخشية ، لقوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } {

[فاطر/28] .

2- الخشوع ، لقوله تعالى : { خَاشِعِينَ لِلَّهِ } [آل عمران/199] .

3- التواضع ، لقوله تعالى : { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ

إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ } [الحجر/88] .

4- حسن الخلق ، لقول الله تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ

وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران/159] .

5- الزهد في الدنيا قال الله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ

ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ } [القصص/80] ، فمن وجد فيه هذه الخلال ، فهو

من العلماء بالله عز وجل (1) .

ويذكر الهجویری (ت:465هـ) أن المعرفة هي حياة القلوب عن

علام الغيوب ، وخلو السريرة عن كل ما سوى الله ، وقدر كل إنسان

على حسب معرفته ، ومن كان على غير معرفة فليس بشيء ، فالمعرفة

هي أساس كل خير في الدنيا والآخرة ، لأن أهم الأشياء للإنسان في

كل أوقاته وأحواله ، هي معرفة الله سبحانه وتعالى ، كما قال جل

وعلا : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات/56] أى

ليعرفون ، لكن أكثر الناس يهملون هذا الواجب إلا من اختصهم الله

ونجاهم من ظلمات الدنيا وأحيا قلوبهم لقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ { [الأنعام/122] ، يعني عمر بن الخطاب { كَمَنْ مَثَلُهُ  
فِي الظُّلُمَاتِ { [الأنعام/122] يعني أبا جهل (2) .

1. قوت القلوب 146/1 . 2. كشف المحجوب ص 318 .

\*\*\*\*\*

## 87 - العَامَة

\*\*\*\*\*

- العَامَة : العَامَة ضد الخاصة ، والعام ورد في القرآن على معنى  
اصطلاحى وهو الحول ، كقول الله تعالى : { فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ  
بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ  
عَامٍ { [البقرة/259] ، وورد ما يضاد معنى العَامَة في قوله تعالى : { وَاتَّقُوا  
فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً { [الأنفال/25] أى تعمكم (1) .  
وقد ورد لفظ العَامَة في السنة في عدة أحاديث ، منها حديث  
جابر بن عبد الله ؓ ، أن النبي ؐ قال : " وكان النبي يبعث إلى قومه  
خاصة وبعثت إلى الناس عامة " (2) ، وعن عبد الله بن عمرو بن  
العاص ؓ ، أن رسول الله ؐ قال : كيف بكم وبزمان يغربل الناس فيه  
غربلة ؟ ، تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم  
واختلفوا ، فقالوا : وكيف بنا يا رسول الله ؟ قال : تأخذون ما تعرفون

، وتذرون ما تنكرون ، وتقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم (3) وعن أبي هريرة  $\pi$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " بادروا —

1. لسان العرب 426/12 ، والمصباح المنير 430/2 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب التيمم برقم (335) 519/1 .

3. أخرجه أبو داود فى الفتن والملاحم برقم (4342) قال الألبانى : صحيح 123/4 .

بالأعمال ستا ، طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة " (1) ، وعنه أيضا  $\pi$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " سيأتي على الناس سنوات خداعات ، يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الروبيضة ، قيل : وما الروبيضة ؟ ، قال : الرجل التافه فى أمر العامة " (2) ، وعن عدى بن حاتم  $\pi$  قال : سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم ، وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة " (3) .

#### - العامة فى الاصطلاح الصوفى :

العامة فى الاصطلاح الصوفى ضد الخاصة (4) ، وهم الذين اقتصر نظرهم على علم الشريعة فقط ، ويراد بالعامة علماء الرسوم ، والعباد الذين لم يصلوا بعد إلى مقام المحبة (5) ، ومما ورد من ألفاظهم فيه ، ما روى عن أبى بكر الوراق (ت: بعد 250هـ) : ( عوام الخلق هم الذين

سلمت صدورهم ، وحسنت —

1. أخرجه مسلم في كتاب الفتن برقم (2947) 226/4 .
2. أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن برقم (4036) قال الألباني : صحيح 1339/2 والحاكم في المستدرک برقم (8439) 512/4 .
3. أخرجه أحمد في المسند برقم (17267) .
4. انظر مصطلح (الخاصة) ص 607 .
5. لطائف الإعلام 102/2 .

أعمالهم وطهرت ألسنتهم ، فإذا خلوا من هذا فهم الغوغاء لا العوام (1)

وينسب لأبي العباس بن عطاء الآدمي (ت:311هـ) أنه قال : ( خلق الله الأنبياء ، للمشاهدة لقوله تعالى : { أَوَّأَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] وخلق الصالحين للملازمة ، لقوله تعالى : { وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى } [الفتح/26] وخلق العوام للمجاهدة ، قال الله تعالى : { وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا } [العنكبوت/69] ) (2) .

ويروى أبو طالب المكي عن بعض أهل الحديث ، قال : جاءني رجل من إخواني من أهل المعرفة ، فقال : قد وجدت من قلبي غفلة ، فأريد أن تحملي إلى مجلس من مجالس الذكر ، فقلت : نعم فسمى له مذكرا يتكلم في علوم العامة قال : فحضرنا عنده واجتمع الخلق ، فأخذ في شئ من القصص وذكر الجنة والنار ، فنظر إلى صاحبي ، فقال : أليس زعمت أن هذا يذكر الله ويذكر ربه عز وجل ويذكر أيامه ؟ فقلت : نعم ، هكذا هو عندنا ، فقال : ما أسمع إلا ذكر الخلق ، فأين ذكر الله تعالى (3) .

ويذكر ابن عربي أن أهل الحديث ، هم أنزل الدرجات في مقامات الأولياء وهم عند العامة في الرتبة لعليا ، ثم يبين السبب فيقول : ( لأن علومهم ليست عن ذوق ، وإنما هي علوم نقل ، أو علوم فكر لا غير ، فأما حديث الله في الصوامت ، فهو عند العامة من علماء الرسوم حديث حال ، أى فهم من حاله كذا وكذا ) (4) .

- 
1. طبقات الصوفية ص 226 .
  2. السابق ص 268 .
  3. قوت القلوب 151/1 .
  4. الفتوحات 76/2 وانظر ختم الأولياء ص 218 .

\*\*\*\*\*

## 88 - العبرة

\*\*\*\*\*

- العبرة : العبرة حالة مؤثرة تؤدي إلى دمع العين ، فعن أوسط بن عمرو  $\tau$  قال : " قدمت المدينة بعد وفاة رسول الله  $\varepsilon$  بسنة ، فألفيت أبا بكر يخطب الناس ، فقال : قام فينا رسول الله  $\varepsilon$  عام الأول فخنقته العبرة ثلاث مرار " (1) أى عند ذكره لرسول الله  $\varepsilon$  ، وعن عبد الله بن أبي أوفى  $\tau$  ، وكان من أصحاب الشجرة ، فماتت ابنة له وكان يتبع جنازتها على بغلة خلفها ، فجعل النساء يبكين ، فقال : لا ترثن ، فإن رسول الله  $\varepsilon$   $\square$  نهى عن المراثي ، فتفيض إحدان من عبرتها ما شاءت (2) .

والعبرة حالة مؤثرة في القلب من معرفة المشاهد والاعتبار بمصيره (3) ،  
قال تعالى : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى } [النازعات/26] ، وقال : { قَدْ  
كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّوَّابِينَ إِذْ تُفَاتِلْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ  
مِثْلِهِمْ رَأًى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي  
الْأَبْصَارِ } [آل عمران/13] .

1. المفردات ص 320 .

2. أخرجه أحمد في المسند برقم (45) واللفظ له ، والترمذي في الدعوات برقم (3558) وابن ماجه في  
كتاب الدعاء برقم (3849) وصححه الألباني 1265/2 .  
3. أخرجه أحمد في المسند برقم (18659) واللفظ له ، وابن ماجه في كتاب ما جاء في الجنائز برقم  
(1592) وضعفه الألباني 507/1 .

وقال : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَلْبَابِ } [يوسف/111] ،  
ومما ورد في السنة ، ما روى عن أبي سعيد الخدري ، قال رسول الله  
ﷺ : " إني نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإن فيها عبرة " (1) ومن  
حديث أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ في رجل تصدق على سارق  
وعلى زانية وعلى غني : " أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف  
عن سرقة وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها ، وأما الغني فلعله  
يعتبر فينفق مما أعطاه الله " (2) .

- العبرة في الاصطلاح الصوفي :

العبرة في الاصطلاح الصوفى ، أن يعتبر مما يتعلق بالدنيا ليعبر إلى ما يتعلق بالآخرة ، فيما يراه ويسمعه ويقول ويفعله ، بحيث لا يكون نظر الإنسان ونطقه وسماعه وفعله ، مقصورا على ما يتعلق بأمر الدنيا ، غير متعد إلى أمر أخروى (3) ، روى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : ( الشهوة ثلاثة : شهوة فى الأكل ، وشهوة فى الكلام ، وشهوة فى النظر ، فاحفظ الأكل بالثقة واللسان بالصدق والنظر بالعبرة ) (4) ، وقال الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : ( الاعتبار الاستدلال بالشئ على الشئ ، وهو أن تنظر بقلبك إلى الشئ المتقن —

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (10936) ومسلم فى الجنائز برقم (977) 672/2 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1421) 340/3 .
3. انظر لطائف الإعلام 146/2 بتصرف .
4. طبقات الصوفية ص 96 .

فيلحق قلبك التعجب من نفاذ القدرة ، واتقان الصنع ، وحسن التدبير فيه ، ثم لم تقع عينك على شئ ، إلا ذلك الشئ على غيره ، والناس متفاوتون فى الاعتبار على قدر صحة العقول ، وقوة الإيمان ، وطهارة القلوب ، لأن مخرج الاعتبار من القلب (1) .

وعن يحيى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) قال : ( من لم يعتبر بالمعينة لم يتعظ بالموعظة ، ومن اعتبر بالمعينة استغنى عن الموعظة ، العبرة بالأوتار والمعتبر بالمثقال ) (2) ، ويذكر لأبى عبد الله السجزى

(ت: بعد 280هـ) : ( العبرة أن تجعل كل حاضر غائبا ، والفكرة أن تجعل كل غائب حاضرا ) (3) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت: 465هـ) : ( الاعتبار أحد قوانين الشرع ومن لم يعتبر بغيره ، اعتبر به غيره ) (4) ، وقال في قوله تعالى : { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } [يوسف/111] : ( عبرة للملوك في بسط العدل وتأمينهم أحوال الرعية ، كما فعل يوسف حين أحسن إليهم ، وأعتقهم حين ملكهم ، وعبرة في قصصهم لأرباب التقوى ، فإن يوسف لما ترك هواه رجاه الله إلى ما رجاه ، وعبرة لأهل الهوى فيما في اتباع الهوى من شدة البلاء ، كامرأة —

1. القصد والرجوع إلى الله ص 85 .

2. طبقات الصوفية ص 113 .

3. السابق ص 254 .

4. لطائف الإشارات 3/ 557 .

العزیز لما اتبعت هواها لقيت الضر والفقر ، وعبرة للماليك في حضرة السادة وعبرة في العفو عند المقدرة ، وعبرة في ثمرة الصبر ، فيعقوب لما صبر على مقاساة حزنه ظفر يوما بلقاء يوسف عليه السلام ) (1) ، ويذكر الكاشاني في العبرة عند الصوفية اصطلاحات أخرى منها (2) :

(1- عبرة أولى الأبصار أو بصائر الاعتبار : والمراد العبور من الظاهر إلى الباطن ومن الباطن إلى الظاهر ، بحيث يرى الذات الأقدس



تعالى فى كل شىء ظاهر كالمخلوقات الظاهرة فى المراتب الكونية ، وفى كل شىء باطن كالأسماء والحقائق الإلهية والكونية ، فعند العبور من ظاهر كل شىء إلى باطنه ، يرى الوحدة فى عين الكثرة ، والمجمل فى عين المفصل ، وعند العبور من الباطن إلى الظاهر بالعكس ، أى يرى الكثرة فى الوحدة ، والمفصل فى المجمل مع وحدة المجلى والمتجلى فيه بالعين ، وإن وقع الاختلاف بالتعين ، فهذا هو معنى بصائر العبرة أى رؤية مضافة إلى العبرة ، بحيث لا يرى شيئاً إلا ويعبر من ظاهره إلى باطنه وبالعكس .

(2- عبرة العقلاء : وتعنى تصفحهم أخبار الماضين ، وتذكرهم ما سلف من سير الأولين ، ويروى عن على كرم الله وجهه فى وصيته لابنه الحسن رضى الله عنهما قال : ( فسر فى ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا ، وعمما انتقلوا : انتقلوا —

1. السابق 215/2، 214 .

2. لطائف الإعلام 147:146/2 .

عن الأحبة ، وحلوا ديار الغربية ، فكأنك عن قليل قد صرت كأحدهم فأصلح مثواك ، ولا تبع آخرتك بدنياك ) (1) .

(3- عبرة أولى الألباب : عبورهم من رؤية الحكم المودعة فى ظهور الخليقة إلى رؤية الحكيم الخبير بها .

(4- عبدة أهل السر : العبور من ظاهر الوجود إلى باطنه ،  
فيشاهدون الحق في كل شئ .

\*\*\*\*\*

## 89 - العبادة

\*\*\*\*\*

- **العبادة** : العبودية إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ، ولهذا قال : { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء/23] ، والعبادة ضربان (2) :

1- عبادة بالتسخير ، كقوله تعالى : { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } [الأنبياء/19] .

2- عبادة بالاختيار وهي للإنس والجن ، وهي المذكورة في قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات/56] ، وقد أمر الله بها شرعا وإيجابا —

1. السابق 147/2 .

2. القاموس المحيط ص 378 ، وكتاب العين 48/2 ، والمفردات ص 319 .

في قوله تعالى : { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } [البينة/5] وقوله : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ

قَبْلَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة/21] ، ومما ورد في السنة ما روى عن معقل بن يسار  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  قال : " العباداة في الهرج ، كهجرة إلي " (1) ، وعن النعمان بن بشير  $\tau$  أن النبي  $\varepsilon$  قرأ : { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر/60] ، قال : الدعاء هو العباداة " (2) .

وعن عبد الله بن عمرو  $\tau$  ، قال : " زوجني أبي امرأة من قريش ، فلما دخلت علي جعلت لا أنحاش لها ، مما بي من القوة على العباداة من الصوم والصلاة ، فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها ، فقال لها : كيف وجدت بعلك ؟ قالت : خير الرجال أو كخير البعولة من رجل ، لم يفتش لنا كنفنا ، ولم يعرف لنا فراشا ، فأقبل علي فعذمني ، وعضني بلسانه ، فقال : أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب ، فعضلتها وفعلت وفعلت ، ثم انطلق إلى النبي  $\varepsilon$  فشكاه .. وقال له  $\varepsilon$  : إن لكل عابد شره ، ولكل شره فترة ، فإما إلى سنة ، وإما إلى بدعة ، فمن كانت فترته إلى سنة ، فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك ، فقد هلك " (3) .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الفتن برقم (2948) 2268/4 .

2. أخرجه الترمذی في تفسير القرآن (2969) وقال الألبانی : 211/5 .

3. أخرجه أحمد في المسند برقم (6477) 158/2 .

وعنه أيضا τ ، قال : " ذكر لرسول الله ε رجال يجتهدون في العبادة اجتهادا شديدا ، فقال : تلك ضراوة الإسلام وشرته ، ولكل ضراوة شرّة ، ولكل شرّة فترة ، فمن كانت فترته إلى اقتصادٍ وسنةٍ فلائمٍ ما هو ، ومن كانت فترته إلى المعاصي فذلك الهالك " (1) ، وعنه أيضا τ ، قال رسول الله ε : " إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ، ثم مرض قيل للملك الموكل به : اكتب له مثل عمله إذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته إلي " (2) .

#### - العبادة في الاصطلاح الصوفي :

العبودية في الاصطلاح الصوفي ، تعنى معانقة الأمر ومفارقة النهي ، والقيام بحق الطاعات مع التبرؤ من الحول والقوة (3) ، وتتوافق مع الأصول القرآنية والنبوية في أغلب عباراتهم ، يقول عبد الله بن خفيف (ت:371هـ) : ( الحرية من العبودية باطلة ، أى إذا تصور امرؤ أن العبد يجوز له في حياته أن يتحرر من قيد العبودية ، وأن تسقط عنه التكاليف الشرعية ، فهو على باطل ، ولكن التحرر جائز من رق النفوسية ، أى يجوز للعبد أن يتحرر من قيد نفسه وغلها والرق والعبودية لا يسقطان من العبد بحال ولا يسقط عنه اسم العبودية ) (4)

---

1. أخرجه أحمد في المسند (6441) واللفظ له ، والبخارى في الصوم (1975) .

2. أخرجه أحمد في المسند برقم (6503) وفي الإسناد محمد بن تدرس وهو صدوق .

3. الرسالة القشيرية 429/2 .

4. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص 361 .

ويذكر السراج الطوسي (ت:378هـ) أن قوما من المتقدمين تكلم في معنى الحرية والعبودية على معنى أن العبد لا ينبغي له أن يكون في الأحوال والمقامات التي بينه وبين الله تعالى كالأحرار ، لأن من عادة الأحرار طلب الأجرة وانتظار العوض على ما يعملون من الأعمال ، وليس عادة العبيد كذلك .. وظنت أن اسم الحرية أتم من اسم العبودية للمتعارف بين الخلق أن الأحرار أعلى مرتبة وأسنى درجة في أحوال الدنيا من العبيد ، فقااست على ذلك ، ثم يبين أن هذه الفرقة ضلت وتوهمت أن العبد ما دام بينه وبين الله تعالى تعبد ، فهو مسمى باسم العبودية ، فإذا وصل إلى الله صار حرا ، وإذا صار حرا سقطت عنه العبودية وإنما ضلت هذه الفرقة لقلة فهمها وعلمها ، وتضييعها لأصول الدين خفيت على هذه الفرقة الضالة ، أن العبد لا يكون في الحقيقة عبدا ، حتى يكون قلبه حرا من جميع ما سوى الله عز وجل ، فعند ذلك يكون في الحقيقة عبد الله (1) .

ثم يقول : ( وما سمي الله تعالى المؤمنين باسم أحسن من اسم العبد ، إذ يقول : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ } [الفرقان/63] { نَبِيُّ عِبَادِي } [الحجر/49] لأنه اسم سمي به ملائكته ، فقال : { بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } [الأنبياء/26] ، ثم سمي به أنبياءه ورسله عليهم السلام فقال تعالى : {

وَأَذْكُرُ عِبَادَنَا { [ص/45] } وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا { [ص/41] } وقال : { نِعْمَ الْعَبْدُ  
{ [ص/30] ، وقال لحبيبه وصفيه ع : { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ  
{ [الحجر/99] ، فكان ع يصلى حتى ورمت قدماه ، ف قيل له : يا رسول  
الله ، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ ، قال : "  
أفلا

---

1. اللمع ص 531:532 .

أكون عبدا شكورا " (1) ، وذكر أبو طالب المكي (ت:386هـ) أن  
النفس مبتلاة بأوصاف أربعة ، أولها معاني صفات الربوبية ، نحو  
الكبر والجبرية وحب المدح والعزم والغنى ، ومبتلاة بأخلاق الشياطين  
مثل الخداع والحيلة والحسد ومبتلاه بطبائع البهائم وهو حب الأكل  
والشرب والنكاح ، وهى مع ذلك كله مطالبة بأوصاف العبودية مثل  
الخوف والتواضع والذل ، والنفس خلقت متحركة وأمرت  
بالسكوت ، وأنى لها بذلك إن لم يتداركها المالك ، وكيف تسكن  
بالأمر ، إن لم يسكنها محرکہ بالخير ، فلا يكون العبد عبدا مخلصا  
حتى يكون للمعاني الثلاث مخلصا ، فإذا تحققت أوصاف العبودية ،  
كان خالصا من المعاني التى هى بلاؤه من صفات الربوبية ، فإخلاص  
العبودية للوحدانية عند العلماء الموحدين ، أشد من الإخلاص فى  
المعاملة عند العاملين ، وبذلك رفعوا إلى مقامات القرب ، وذلك أنه

لا يكون عندهم عبدا حتى يكون مما سوى الله عز وجل حرا ، فكيف يكون عبد رب وهو عبد عبد ؟ ، لأن ما قاده إليه فهو إلهه ، وما ترتب عليه فهو ربه ، وهذا شرك في الإلهية عند المتأهلين ، ومرج بالربوبية عن الربانيين ، فهو متعوس منكوس ، بدعاء الرسول ع ، إذ يقول : تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم تعس عبد الزوجة ، تعس عبد الحلة (2) .

ويروى عن أبي على الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : ( ليس شئ أشرف من العبودية ، ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ، ولذلك قال سبحانه في —

1. السابق ص532 .

2. قوت القلوب 1/86،85 .

وصف النبي ع ليلة المعراج ، وكان أشرف أوقاته في الدنيا : { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [الإسراء/1] ، وقال تعالى : { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ } [النجم/10] فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به (1) .

والعبودية عند الصوفية أتم من العبادة ، فأولا عبادة ، ثم عبودية ، ثم عبودة فالعبادة للعوام من المؤمنين ، والعبودية للخواص ، والعبودة لخاص الخاص والعبادة لمن له علم اليقين ، والعبودية لمن له عين اليقين ، والعبودة لمن له حق اليقين ، والعبادة لأصحاب المجاهدات ،

والعبودية لأرباب المكابدات ، والعبودية صفة أهل المشاهدات ، فمن لم يدخر عنه نفسه ، فهو صاحب عبادة ، ومن لم يضمن عليه بقلبه ، فهو صاحب عبودية ، ومن لم ييخل عليه بروحه ، فهو صاحب عبودة ) (2) ، وهذا التقسيم كما هو واضح يفتقر إلى الدليل .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : ( طائفة توهمت أن العبد بينه وبين الله بعد باسمه عبدا ، فإذا صار حرا وسقطت عنه العبودية قرب منه ، وهذا غلط كبير ، فإن اسم العبودية أتم ، لأن الله تعالى سمى أوليائه عباده ، وسمى ملائكته عباده ، وسمى أنبياءه عباده وقدّم النبي ﷺ ، وكان يصلى حتى تورمت قدماه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أولا أكون عبدا شكورا " (3) .

---

1. الرسالة القشيرية 431/2 .

2. السابق 429/2 .

3. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص185.

ويذكر الكاشانى فى مصطلح العبودية ، كلاما غريبا لا علاقة له بالأصول القرآنية والنبوية ، فيبين أن العبودية هى مشاهدة العبد لربه مقام العبودية ، فإن العبودية ذلة تظهر فى نفسه المححوة بأكمل وجوهها ، وتجهل نسبتها فلا تعلم لمن تنتسب ، إذ ليس حالتئذ دون هذه الذلة ما هو أكمل منها ذلة ، فتنسب هى إليه يكون المنسوب إليه أقوى فى نسبة مشتركة بينه وبين المنسوب إليه بنسبة القيام به ،



فإن عين العبد إذ ذاك ممحو عن وجوده والقائم بالممحو ممحو بلا محالة ، فلم يبق هنا لك إلا الحق المتجلى بسر القيومية ، وقد تأبى حقيقته أن تنتسب إليه بنسبة القيام به ، فيتبين عند ذلك مجهولية نسبتها ، فيشاهد ظهورها من مقام العبد الممحو لربه خاصة ، بمعنى أن يكون هو قبلته لا غير (1) .

ومما اصطلح عليه الصوفية تحت مدخل العبادة ، مصطلح ( العبادلة ) ويعنون بهم أرباب التجليات الأسمائية ، بمعنى أن كل من كان شهوده للحق تعالى ، من حيث اسم ما من أسمائه تعالى ، عندما يتم له كمال تحققه بتخلقه بمقتضى ذلك الإسم ، فإنه ينسب عند هذه الطائفة إلى عبودية ذلك الإسم ، فيقال : عبد القيوم مثلا ، إذا تخلق بالاسم القيوم على مقتضى ما يليق بعبودية تجلى له الحق في قيوميته ، ولذا يقال : عبد المنعم إذا تحقق بتخلقه بهذا الإسم ، لتجلى الحق له تعالى في أنعامه وهكذا (2) .

---

1. رشح الزلال ص153:154 وانظر لطائف الإعلام 104/2 .

2. لطائف الإعلام 104/2:105، وانظر العبادلة تأليف ابن عربى ، تحقيق عبد القادر =

\*\*\*\*\*

## 90 - العجب

\*\*\*\*\*

- العُجب : العُجب التعالى والعظمة بما يروق للنفس من حسن أوصافها والتعجب حالة تدهش الإنسان عند الجهل بسبب الشيء ، فإذا عرف السبب زال العجب (1) ، والعُجب ورد ذكره في قول الله تعالى : { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدْبِرِينَ } [التوبة/25] ، وكان أغلب المسلمين قد داخلهم العجب في نفوسهم ، والتعالى بقوتهم ، حتى اغتروا بقول النبي ﷺ : " لا يغلب اثنا عشر ألفا من قلة " (2) .

---

= أحمد عطا ، نشر مكتبة القاهرة بالصنادقية ، الأزهر سنة 1969م والكمالات الإلهية في الصفات المحمدية لعبد الكريم الجيلي ، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح ، نشر مكتبة عالم الفكر القاهرة سنة 1997م ، وانظر رسالة ماجستير بعنوان : كتاب شرح أسماء الله الحسنى لأبي الحكم بن بركان ، إعداد شوقي على عمر ، كلية دار العلوم 1986م وانظر للتعرف على العبادة من المنظور الإسلامي بصفة عامة رسالة دكتوراه بعنوان العبادة في الإسلام وصلتها بالفرد والجماعة إعداد على عبد اللطيف منصور ، مكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة 1975م .

1. المفردات ص322 .

2. أخرجه أحمد (2677) ، وأبو داود في الجهاد (2611) وقال الألباني : صحيح 36/3 .

وعن أنس بن مالك  $\tau$  ، قال : " ذكر لي أن رسول الله ﷺ ، قال ولم أسمع منه : إن فيكم قوما يعبدون ويدأبون حتى يعجب بهم الناس وتعجبهم نفوسهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية " (1) .

وعن مسروق قال : " كفى بالمرء علما أن يخشى الله ، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه " (2) ، والعجب لا يمنع أن يظهر المرء نعمة الله عليه أو يمتنع من أداء ما كلفه الله به ، طالما أنه يريد بعمله وجه الله ، كما قال أبو عيسى الترمذى في معنى الحديث الذى روى عن عقبه بن عامر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة " قال : إنما معنى هذا عند أهل العلم ، لكي يأمن الرجل من العجب لأن الذى يسر العمل لا يخاف عليه العجب ، ما يخاف عليه من علانيته (3) .

وقال الإمام مالك رحمه الله في معنى الحديث الذى روى عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : " إذا قال الرجل هلك الناس ، فهو أهلكتهم " قال مالك : إذا قال ذلك تخزنا لما يرى في الناس يعني في أمر دينهم ، فلا أرى به بأسا وإذا قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس فهو المكروه الذى نهي عنه (4) .

- 
1. صحيح إلى أنس بن مالك ، أخرجه أحمد في المسند برقم (12475) .
  2. صحيح الإسناد إلى مسروق بن الأجدع ، أخرجه الدارمى في المقدمة برقم (314) . 3. أخرجه الترمذى في فضائل القرآن برقم (2919) وقال الألبانى : صحيح 180/5 .
  4. سنن أبي داود ، كتاب الأدب برقم (4983) وقال الألبانى : صحيح 296/4 .

- العجب في الاصطلاح الصوفى :

العجب في الاصطلاح الصوفي هو النظر إلى النفس وعملها على وجه التعظيم وهو من قبائح الأوصاف عندهم ، ومما ورد فيه :

(1- قال الحارث بن أسد المحاسبي (ت:243هـ) : ( العجب آفة في كثير من العباد عظيمة ، معمية لذنوبهم ومزينة لهم خطأهم وزللهم ، لأن العجب يعمى القلب حتى يرى المعجب أنه محسن وهو مسيء ، وأنه ناج وهو هالك ، وأنه مصيب وهو مخطئ ، ولا يلبث صاحبه المعتقد له ، أن يركن إلى الغرة فيستصغر ما علم به من ذنوبه ، وينسى كثيرا منها ، ويعمى عليه أكثرها حتى لا يظنه ذنبا ، فيستكثر عمله فيغتر به فيقل خوفه ، ويشتد بالله عز وجل غرته ، بل قد يخرج صاحبه به إلى الكذب على الله عز وجل ، وهو يرى أنه عليه صادق ، وإلى الضلالة ، وهو يرى أنه مهتد ، فبالعجب هلك أئمة الضلالة ، وبالعجب تكبر المتكبرون ، وافتخر المفتخرون ، واختال المختالون ، وبه هلاك آخر هذه الأمة ) (1) .

ويقسم المحاسبي العجب بالدين إلى أربعة وجوه ، العلم والعمل والرأى الصواب والرأى الخطأ (2) :

1- فالعجب بالعلم : كالعجب بما حفظ وفهم من الكتاب والسنة وقول علماء الأمة .

2- والعجب بالعمل : فالاستكثار والاستعظام للعمل ، فإن استكثر العبد عمله واستعظمه تعظيما للنعمة والمنة عليه به ، أو رجاء ثوابه وأنه لا يستحق الثواب ، ولا كان أهلا أن يمن عليه به ، ولا هو أهل أن يقبل منه ولكن عظمت عليه النعمة به ، ورجاء التفضل بالقبول له لا غير ذلك فليس بعجب ، ولكن إذا استكثر عمله واستعظمه ، واستحسن علمه ورأيه ، فأضاف ذلك إلى نفسه وحمدها عليه ، ونسى نعمة ربه عز وجل عليه ومنته بذلك ، فقد أعجب بعمله وعلمه .

3- وأما العجب بالرأى الصواب : فما استنبطه قياسا على الكتاب والسنة والإجماع ، معجبا به مشبها له بما يماثل الحكمة .

4- وأما العجب بالرأى الخطأ : فما كان عن غير استنباط من كتاب ولا سنة ولا إجماع الأمة ، وإنما هو تأويل بغير الحق ، وانتحال له على سبيل الجهل من قبل هوى النفس مع اعتراض من الظن أنه حق .

(2- وقال أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) : ( اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، قال الله تعالى : { وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا } [التوبة/25] ، ذكر ذلك في معرض الإنكار ، وقال عز وجل : { وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ

حُصُوهُمْ مِنْ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا { [الحشر/2] فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم ، وقال تعالى : { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [الكهف/104] ، وهذا أيضا يرجع إلى العجب بالعمل ، وقد يعجب الإنسان بالعمل هو مخطئ فيه ، كما يعجب بعمل هو مصيب فيه (1) .

(3- وذكر عماد الدين محمد بن الحسن الأموى ، أن العجب يؤدي إلى الكبر فمن أعجب بعلمه ، تكبر على ما هو دونه في العلم وعلى العامة ، وينتهر من يرده إلى الصواب في العلم ، وإن وعظ أنف ممن يعظه ، وإن أمر بالحق لم يقبله وإن ناظر إزدري بمن يناظره ، ومن تكبر إعجابا بعمله احتقر بمن لا يعمل بمثل عمله .. والعجب من قبائح الأوصاف التي تلقى صاحبها في الهلاك ، لأن من أعجب بعمله لم ير لنفسه ذنبا فيتوب منه ، ولم ير لنفسه تقصيرا فيقطع عنه وقد جاءت الشريعة بدم الإعجاب لأدائه إلى استعظام الطاعات والإدلال بها على رب الأرض والسموات ، مفض إلى الكفر والتكبر والتعظيم على العباد ، حتى يصير المعجب كأن له منة على الله تعالى لاستعظام أعماله ، وقد تولد العجب في المعجب لاعتقاده استقلاله ، أى انفراده بفعله وعبادته وطاعته .. والناس في العجب على ثلاثة أصناف (2) :

1- صنف هم المعجبون بكل حال ، وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة في أفعالهم ، ويعتقدون أنهم مستقلون بأفعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص ، وذلك شبهة استولت عليهم .

2- وصنف هم الذاكرون للمنة بكل حال ، وهم المخلصون من أهل السنة لا —

1. إحياء علوم الدين 389/3 .

2. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 68:66/2 .

يعجبون بشئ من الأعمال وذلك لبصيرة خصوا بها .

3- والثالث عامة أهل السنة ، تارة يفقهون فيذكرون منة الله تعالى ، وتارة يغفلون فيعجبون .

\*\*\*\*\*

## 91 - العَدُو

\*\*\*\*\*

- العَدُو : العَدُو التجاوز ، ويقال أيضا للإسراع ، قال علي بن أبي طالب ؓ : " بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ، فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها ، قال : فانطلقنا تعادى بنا خيلنا ، حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة " (1)

والعدو من التجاوز والتباعد عن الغير ، والرغبة عنه والبغض له ،  
وضده الولي الراغب والصديق القريب والنصير الحبيب ، قال تعالى :  
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ  
بِالمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } [المتحنة/1] والعدو ضربان (2) :  
أحدهما : عدو بقصد من المعادى وعزم على التعدى نحو قوله تعالى :

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4274) 592/7 .

2. المفردات ص326 ، وكتاب العين 213/2 ولسان العرب 31/15 .

{ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ  
اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } [الأنفال/60] ، وقوله أيضا : { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ  
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا } [النساء/101] ، وعن عبد الله  
بن عباس رضي الله عنهما قال : " قدم النبي ﷺ المدينة ، فرأى اليهود  
تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، نجى الله  
بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم  
فصامه وأمر بصيامه " (1) .

والثانى : عدو لا بقصده ، بل تعرض له حالة يتأذى بها ، كما يتأذى  
مما يكون من العدو ، نحو قوله تعالى : { قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ  
أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } [الشعراء/75:77] ،



وقوله : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ } [التغابن/14] قال ابن عباس ؓ عن هذه الآية : " نزلت في رجال أسلموا من أهل مكة ، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم ، أن يأتوا رسول الله ﷺ ، فلما أتوا رسول الله ﷺ ورأوا الناس قد فقهوا في الدين ، هموا أن يعاقبوهم " (2) .

والعدو يراد به أيضا في المعنى الاصطلاحي أمران :

1- إبليس : على اعتبار مناصبته العداء لبني آدم ، منذ تكريمهم بسجود الملائكة لهم ، وامتناعه عن السجود ، والإقرار بمنزلة الإنسان التي فضله الله بها —

1. أخرجه البخارى في كتاب الصوم برقم (2004) 287/4 .

2. أخرجه الترمذى في تفسير القرآن (3317) وقال الألبانى : حسن 419/5 .

فقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر/6:5] وقال : { قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [يوسف/5] .

وعن أبي الدرداء ؓ ، قال : " قام رسول الله ﷺ ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال : ألعنك بلعنة الله ثلاثا ، وبسط يده كأنه يتناول شيئا ، فلما فرغ من الصلاة ، قلنا : يا رسول الله ، قد سمعناك

تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ، ثلاث مرات ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أخذه ، والله لولا دعوة أخينا سليمان ، لأصبح موثقا يلعب به ولدان أهل المدينة " (1)

2- النفس : على اعتبار أنها تتعلق بالدنيا ومشتهاياتها ، فتجاوز حدود الشرع إلى تحقيق رغبتها من الدنيا فتهلك صاحبها ، فالنفس عدو على اعتبار المعلولات من أوصافها ، كما قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ } [النازعات/40] ، وقال : { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] ، وقال : { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الحشر/9] .

وعن سعد بن أبي وقاص  $\pi$  ، قال : " استأذن عمر  $\pi$  ، على

رسول الله —

1. أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (542) 385/1 .

صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ، ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله  $\varepsilon$  ، ورسول الله  $\varepsilon$  يضحك ، فقال عمر  $\pi$  : أضحك الله سنك يا رسول الله ، قال : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ،

فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر  $\tau$  : فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهين ، ثم قال : أي عدوات أنفسهن أتخبني ولا تخبن رسول الله  $\epsilon$  ؟ قلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله  $\epsilon$  قال رسول الله  $\epsilon$  : والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط ، سالكا فجاء إلا سلك فجاء غير فجع " (1) .

## - العدو في الاصطلاح الصوفي :

العدو في الاصطلاح الصوفي يطلق على الشيطان ، وقلما يخلو تراث الصوفية بوجه عام من وصفه ، وكيفية الحذر من وسوسته والطريقة المثلى في مقاومته ومن أجود ما ودر من كلامهم فيه :

1- ما ذكره الحارث بن أسد المحاسبي (ت:243هـ) في مخالفته ، إذ يبين أن أولى الأسباب وأقواها على مخالفة العدو إبليس ، فرض الله اللازم الذي أمر بمحاربه لقوله تعالى : { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فاطر/6] وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ —

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3294) 390/6 .

الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } [النور/21] (1) .

يقول المحاسبي : ( فافهم وفرق بين الداعيين إلى ما دعا الله عز وجل ، وإلى ما دعا إبليس ، ثم انظر أيهما أحق أن تجيبه ، من دعاك إلى هلكتك ، وتلف نفسك فى طول مدتك ، وأتبعك فى ثبوت

أسباب حيلتك ، ووعدك الفقر في أمnitك ، أو تجيب من بدأك  
بنعمته ، ولم ينسك في قديم وحدانيته ، وخصك بالإيمان في علم  
الغيب في دوام أزليته ، ودعاك إلى جنته وحسن كرامته ولطيف بره  
وتمام نعمته ، وإنما العدو يريد أن يقطعك عن الله عز وجل ، مولاك  
وسيدك بسوء ظنونه وقنوطه وشكوكه وخدعه ، وحبائل مصائده وكثرة  
غروره ويزين لك العمل في نفسك ، قال الله عز وجل : { وَزَيَّنَ لَهُمُ  
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ } [النمل/24] (2) .

2- وقال أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) في كيفية الصدق في معرفة  
العدو إبليس : ( اعلم أن عدوك إبليس لا يغفل عنك في سكوت ولا  
كلام ولا صلاة ولا صيام ، ولا بذل ولا منع ولا سفر ولا حضر ،  
ولا تفرد ولا خلطة ولا في توقر ولا في عجلة ، ولا في نظر ولا في  
غض بصر ، ولا في كسل ولا في نشاط ولا في ضحك ولا في بكاء ،  
ولا في إخفاء ولا في إعلان ، ولا حزن ولا فرح ولا صحة ولا سقم ولا  
مسألة ولا جواب ، ولا علم ولا جهل ولا بعد ولا —

1. القصد والرجوع إلى الله 43 .

2. السابق 44 .

قرب ، ولا حركة ولا سكون ولا توبة ولا إسرار .. فاحترس من عدوك  
أشد الاحتراس ، وتحصن منه بالملجأ إلى الله عز وجل ، فإنه أمتع  
الحصون وأقوى الأركان ، فاجعل الله تعالى كهفك وملجأك ، واحذر

عدوك عند الغضب والحدة .. قال الله عز وجل : { إِنَّ الشَّيْطَانَ  
لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ  
{ [فاطر/6] وقال جل وعز : { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا  
أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ { [الأعراف/27] } (1) .

3- ويذكر عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) أنه قال في  
تفصيل الخواطر الناجمة عن العدو ودواعي النفس : ( إذا كانت  
الخواطر عن أواسط الغواية وهم العدو والنفس ، كانت فجورا وضلالا  
، وهى من خزائن الشر ومعالق الأعراض ، قدحت فى القلب ظلمة  
ونتنا ، أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال فكتبوها سيآت ) (2) ،  
ثم بين أن الله إذا أراد إظهار شىء من خزائن الغيب ، حرك النفس  
بلطيف القدرة فتحركت بإذنه ، فقدح من جوهرها بجرقتها ظلمة  
تنكت فى القلب همة سوء ، فينظر العدو إلى القلب ، وهو مراصد  
ينتظر ، والقلوب له مبسوطة ، والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها ،  
وما كان من عمله المتبلى به المصرف فيه ، فإذا رأى همة قدحت فى  
النفس ، فأحدثت ظلمة فى القلب ظهر مكانه ، فقوى بذلك  
سلطانه ) (3) .

---

1. كتاب الصدق ص 27:29 .

2. من التراث الصوفى ص 172 ، وقوت القلوب 1 / 123 .

3. قوت القلوب 1/123 .

4- وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( لما قبض الله عز وجل نبيه ع صير في أمته أربعين صديقا ، بهم تقوم الأرض وهم آل بيته ، فكلما مات واحد منهم خلفه من يقوم مقامه ، حتى إذا انقرض عددهم وأتى وقت زوال الدنيا ابتعث الله وليا اصطفاه واجتباه وقربه وأدناه ، واعطاه ما أعطى الأولياء وخصه بخاتم الولاية ، فيكون حجة الله يوم القيامة على سائر الأولياء ، فيوجد عنده بذلك الختم صدق الولاية على سبيل ما وجد عند محمد ع من صدق النبوة فلم ينله العدو ولا وجدت النفس سبيلا إلى الأخذ بحظها من الولاية ) (1) .

5- وقال أبو طالب المكي (ت:386هـ) في وصف النازعين والهاتفين الملازمين لكل إنسان : ( فمن السواء والتعديل والازدواج والتقويم ، أدوات الظاهر وأعراض الباطن وهى حواس الجسم والقلب ، فأدوات الجسم هى الصفات الظاهرة وأعراض القلب هى المعانى الباطنة ، قد عدلها الله بحكمته وسواها على مشيئته وقومها اتقاناً بصنعتة ، أولها النفس والروح ، وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى .. فما كان من لائح يلوح فى القلب من معصية ثم يتقلب فلا يثبت فهذا نزع من قبل العدو ) (2) .

ويستند المكي إلى الأصول النبوية فى إثبات وجود العدو ،

ووجوب الحذر —

1. ختم الأولياء ص 344 ، وكلام الترمذى فى الأربعين صديقا الذين بهم تقوم الأرض وهم من آل بيته  
ع ، أو دعوى ختم الأولياء ، كل هذا كلام باطل يفتقر إلى الدليل .

2. قوت القلوب 114/1 ، ص 127 .

وسوسته ، فيستدل بقوله ع : " ما منكم من أحد ، إلا وقد وكل به  
قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال :  
وإياى لكن الله أعانى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير " (1) وبقوله  
ع : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاذ  
بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق  
فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ، ومن وجد  
الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان " (2) .

6- وقال أبو القاسم القشيري (ت: 465هـ) فى تفسيره لقوله تعالى :  
{ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا  
مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [فاطر/6] : ( عداوة الشيطان بدوام مخالفته ،  
فإن من الناس من يعاونه بالقول ولكن يوافقه بالفعل ، ولن تقوى  
على عداوته إلا بدوام الاستغاثة بالرب وتلك الاستغاثة تكون بصدق  
الاستعانة والشيطان لا يفتقر فى عداوتك ، فلا تغفل أنت عن مولاك  
لحظة فيبرز لك عدوك فإنه أبدا متمكن لك .. وحزب الشيطان هم  
المعرضون عن الله المشتغلون بغير الله الغافلون عن الله ، ودليل هذا  
الخطاب إن الشيطان عدوكم فابغضوه واتخذوه عدوا ، وأنا وليكم  
وحبييكم فأحبوني وارضوا بى حبيبا ) (3) .

1. السابق 114/1 ، والحديث أخرجه مسلم في صفات المنافقين (2814) 2167/4 .
2. أخرجه الترمذى في التفسير (1072) وقال الألبانى : صحيح 104/3 .
3. لطائف الإشارات 195/3 .

\*\*\*\*\*

## 92- العزم

\*\*\*\*\*

- العزم : العزم قوة الإرادة ، والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر (1) يقال : عزمت الأمر عقدت تنفيذه ونويت فعله ، قال تعال : { وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } [طه/115] ، أى إرادة قوية وعزيمة يحافظ بها على ما أمر به ، وقال سبحانه : { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } [آل عمران/159] وقال ابن عمر ؓ ، في الإيلاء الذي سمى الله : " لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن يمسك بالمعروف أو يعزم بالطلاق ، كما أمر الله عز وجل : { لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة/226:227] " (2) .

ومما ورد في السنة أيضا في العزم وقوة الإرادة ، ما روى عن علي ؓ قال : " بعث النبي ؑ سرية ، وأمر عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب عليهم ، وقال : أليس قد أمر النبي ؑ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم



دخلتم فيها ، فجمعوا حطباً فأوقدوا نارا ، فلما هموا بالدخول فقام

ينظر بعضهم إلى بعض ، قال بعضهم : —

1. كتاب العين 363/1 ، المفردات ص 334 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق برقم (5291) 335/9 .

إنما تبعنا النبي ﷺ فرارا من النار أفندخلها ؟ فبينما هم كذلك ، إذ

خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي ﷺ فقال : لو دخلوها ما

خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة فى المعروف " (1) ، وعن أبى هريرة ر ،

عن النبي ﷺ قال : " لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني

إن شئت ارزقني إن شئت ، وليعزم مسألته إنه يفعل ما يشاء لا مكره

له " (2) ، وفى رواية أخرى : " ولكن ليعزم المسألة وليعظم الرغبة ،

فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه " (3) .

والعزيمة لها معنى اصطلاحى يرد على نوعين :

أ- العزيمة فى مقابل الرخصة : وتعنى الحتم والإلزام ويقابلها حرية

الفعل والتخيير لما روى عن أبى سعيد الخدرى ر ، أنه سئل عن

الصوم فى السفر ، فقال : سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن

صيام ، فنزلنا منزلا ، فقال رسول الله ﷺ : " إنكم قد دنوتم من عدوكم

، والفطر أقوى لكم ، فكانت رخصة فمننا من صام ، ومننا من أفطر

، ثم نزلنا منزلا آخر ، فقال : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم

فأفطروا ، فكانت عزيمة فأفطرتنا ، ثم قال : لقد رأيتنا نصوم مع رسول

الله ع بعد ذلك في السفر " (4) وعن أم عطية رضي الله عنها قالت :

1. أخرجه البخارى في كتاب الأحكام برقم (7145) 135/13 .

2. أخرجه البخارى في كتاب التوحيد برقم (7477) 456/13 .

3. أخرجه مسلم في كتاب الذكر برقم (2679) 206/4 .

4. أخرجه مسلم في الصيام (1120) 789/2 وأحمد في المسند (10914) واللفظ له .

" نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا " (1) .

ب- والعزيمة تعويذة بعقدة أو غيرها : على اعتبار أنه عقد على الشيطان أن يمضى إرادته فيمن عزمه وجمعها العزائم (2) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ع : " من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وكل إليه " (3) .

#### - العزم في الاصطلاح الصوفي :

العزم في الاصطلاح الصوفي هو تحقيق القصد ، فهو ثاني أركان أصول الدخول في هذا الشأن ، وإن القصد هو أولها وذلك لأن صاحب القصد الصحيح في التوجه على بصيرة وطمأنينة بحكم التجرد والانقطاع عن كل ما يعوق ، وقد يعتريه في أثناء سيره أثر شوق والتفات يشير إلى أثر من آثار ما انقطع عنه وتجرد منه ، فيجره ذلك الأثر والشوق إلى ما وراءه مع قوة باعثة للسير ، فيحتاج إلى تقوية الباعث بقطع ذلك الأثر ، فتسمى تلك التقوية بالعزم الذى هو تحقيق القصد ، ثم إن العزم إنما يقويه الأدب ، لأنه هو الذى يظهر

الخوف بصورة القبض ، والرجاء بصورة البسط ، وهو الذى يراعى  
التوسط بينهما (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1278) 173/3 .

2. المفردات ص 334 .

3. أخرجه النسائى فى تحريم الدم (4079) وقال الألبانى : ضعيف 117/2 .

4. لطائف الأعلام 152/2 .

قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : ( التوبة الندم على ما  
كان من الفعل القبيح ، والعزم على ألا تعود إلى ما كنت عليه من  
حال الإصرار على العقود ، والفرع من عارض داعى الذنب ، لأن الله  
عز وجل يقول : { وَلمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل  
عمران/135] (1) ، وقال أبو طالب المكى (ت:386هـ) عن الخواطر  
وأثرها فى القلب : ( فما كان منها من نية وعزم ، كان محسوبا للعبد  
فى باب النيات ، مكتوبا له فى ديوان الإرادة ، له بها حسنات ، وما  
كان منها من الشر ، نية وعقدا وعزما ، فعلى العبد فيه مؤاخذة من  
باب أعمال القلوب ، ونيات السوء وعقود المعاصى ) (2) .

ويذكر أبو القاسم القشيرى (ت:465هـ) فى تفسير قوله تعالى :  
{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلمْ نُحِذْ لَهُ عَزْمًا } [طه/115] ، لم  
نجد له قوة بالكمال وانكماشاً فى مراعاة الأمر ، حتى وقعت عليه  
سمة العصيان ، بقوله تعالى : { وَعصى آدَمَ رَبَّهُ } ، ويقال : { وَلمْ

نَجِدُ لَهُ عَزْمًا { على الإصرار على المخالفة ، ويقال : لم نجد له عزيمة  
في القصد على الخلاف ، وإن كان ، فذلك بمقتضى النسيان ، قال  
تعالى : { فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } ، على خلاف الأمر وإن كان منه  
اتباع لبعض مطالبات الأمر ( 3) .

1. القصد والرجوع إلى الله ص 34 .

2. قوت القلوب 1 / 127 .

3. لطائف الإشارات 2 / 481 .

\*\*\*\*\*

## 93- الغرق

\*\*\*\*\*

- الغرق : الغرق الموت بانقطاع النفس في الماء ، ويطلق أيضا على  
الوقوع في البلاء حتى الهلاك (1) :

فمن المعنى الأول : الغرق المحسوس ، كقوله تعالى : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي  
إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ  
الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ } [يونس/90] ، وقوله سبحانه : { قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلَهَا  
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } [الكهف/71] ، وقد تعود النبي ﷺ منه في حديث  
أبي اليسر ، قال : " كان رسول الله ﷺ يدعو اللهم إني أعوذ بك من  
الهدم ، وأعوذ بك من التردى ، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم "

(2) ، وذكر أيضا أن الغريق من جملة الشهداء ، فعن أبي هريرة  $\tau$  ،  
أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " الشهداء خمسة ، المطعون ، والمبطون ،  
والغريق وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله " (3) .  
ومن المعنى الثاني : ما روى عن عمر  $\tau$  ، أنه قال لأصحاب النبي  $\varepsilon$   
يوما : —

1. لسان العرب 283/10 ، والمفردات ص 360 ، وكتاب العين 354/4 .

2. أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة برقم (1552) وقال الألباني : صحيح 92/2 .

3. أخرجه البخاري في كتاب الأذان برقم (654) 163/2 .

" فيم ترون هذه الآية نزلت : { أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ }  
[البقرة/266] قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا نعلم أو لا  
نعلم ، فقال ابن عباس  $\tau$  : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ،  
قال عمر  $\tau$  : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس  $\tau$  :  
ضربت مثلا لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم بعث الله له  
الشیطان ، فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله " (1) .

## - الغرق في الاصطلاح الصوفي :

الغرق في الاصطلاح الصوفي يراد به إحساس الصوفي إذا بلغ في  
الحال منتهاه واستولى عليه شيء من الواردات التي تجعله كالغريق ،  
وهذا الغرق قد يصاحبه شطحات ، روى عن الجنيد بن محمد في  
وصفه شطحات أبي يزيد البسطامي : ( رأيت حكايات أبي يزيد  
رحمه الله على ما نعته ينبئ عنه ، أنه قد غرق فيما وجد منها ،

وذهب عن حقيقة الحق إذا لم يرد عليها ، وهى معان غرقته على تارات الغرق كل واحد منها غير صاحبته ( 2) .

وقال الهجویری : ( أما أهل التمكين ليست لهم صفات ، ولا يلحقهم محو ولا صحو ، ولا لحق ولا محق ، ولا فناء ولا بقاء ، ولا وجود ولا عدم ، لأن هذه الكلمات لا تنطبق على من فئت صفاتهم ، لأن الصفة تحتاج إلى موصوف وإذا كان الموصوف مستغرقا فقد القوة على الاحتفاظ بها ) ( 3) .

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4538) 49/8 .
  2. اللع ص 459 .
  3. كشف المحجوب ص 451 .

وقال الكاشانى : ( الغرق هو استغرق من تحقق بالحب ، فغرق فى لجة بحر القرب ، فغاب عن إحساسه بالروح والنفس واللب ) ( 1) .

\*\*\*\*\*

## 94 - الغشاوة

\*\*\*\*\*

- الغشاوة : حاجب رقيق فى الغالب يستر الشئ ، ويستعمل على نوعين ( 2) :

1- الغشاوة فى المحسوسات كقوله تعالى : { أَلَا إِنَّهُمْ يَشْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { [هود/5] ، قال ابن عباس : " يستغشون  
يغطون رءوسهم " (3) وقوله تعالى : { فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ  
مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى { [طه/78:79] ، وروى  
عن مسروق في قوله تعالى : { فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ  
يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ { [الدخان/10:11] أنه قال : جاء إلى عبد  
الله بن مسعود ؓ رجل فقال : تركت في المسجد رجلا يفسر القرآن  
برأيه يفسر هذه الآية ، قال : يأتي الناس يوم القيامة دخان ، فيأخذ  
بأنفاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكام ، فقال عبد الله : من علم  
علما فليقل —

1. لطائف الإعلام 179/2.

2. كتاب العين 429/4 ، والمفردات ص 361 ، والمغرب للمطرزي 104/2 .

3. أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن برقم (4683) 200/8 .

به ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، من فقه الرجل أن يقول لما لا علم  
له به : الله أعلم ، إنما كان هذا أن قريشا لما استعصت على النبي ؐ ،  
دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى جعل  
الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ،  
وحتى أكلوا العظام ، فأتى النبي ؐ رجل فقال : يا رسول الله استغفر  
الله لمضر ، فإنهم قد هلكوا ، فقال : لمضر إنك لجريء ، قال : فدعا  
الله لهم فأنزل الله عز وجل : { إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ  
{ [الدخان/15] قال : فمطروا ، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى ما كانوا

عليه ، فأنزل الله عز وجل : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ  
يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الدخان/10:11] { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ  
الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ } [الدخان/16] قال : يعني يوم بدر ) (1) .

2- الغشاوة في المعنويات وهو الأغلب ، كقوله تعالى : { إِذْ يُغَشِّيكُمُ  
النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ  
عَنكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ }  
[الأنفال/11] ، وقوله : { وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا  
فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ } [يس/9] قال مجاهد : سدا عن الحق  
يترددون في الضلالة (2) ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

1. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن برقم (4821) 434/8 ، ومسلم في كتاب صفة القيامة  
برقم (2798) 2155/4 واللفظ له .

2. أخرجه البخارى في القدر باب المعصوم من عصم الله ، فتح البارى 502/11 .

قال : " اشتكى سعد بن عبادة  $\pi$  شكوى له فأتاه النبي  $\varepsilon$  يعوده ،  
فلما دخل عليه وجدته في غاشية أهله ، فقال : قد قضى ؟ قالوا : لا  
يا رسول الله ، فبكى النبي  $\varepsilon$  " (1) .

## - الغشاوة في الاصطلاح الصوفي :

الغشاوة في الاصطلاح الصوفي غشاء حاجب يعلو مرآة عين  
البصيرة فيحدث ما يشبه الصدأ على وجه القلب كما يغشى الثياب  
عين البصر في الوجه (2) .



قال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) عن وسوسة الشيطان التي تؤدي إلى الإيمان كيف تزيل الغشاوة عن القلوب : ( لما حصلت الرمية في الصدر بين عيني الفؤاد طارت من جمرة الإيمان التي في قلبه شرارة ، فاحرقت الرمية وولى العدو هاربا ، فانخنس في مكانه ، وصار لتلك الشرارة في الصدر ضوء وشهاب ثاقب ، فذلك الضوء الإيمان ، فهو في تلك الساعة أحسن وأرفع منزلة ، لأن الإيمان كان منه في غشاء ، فبرز ضوءه وشهابه فأشرق ، فذلك فعل القلب وكسبه ، فلا يستوى كسب الأمير وكسب الخدم وهي الجوارح ، ولذلك قال رسول الله ﷺ حيث شكى إليه ذلك ، فقال : " ذلك محض الإيمان " (3) ، فإنما

---

1. أخرجه البخارى في كتاب الجنائز برقم (1304) 209/3 .

2. لطائف الإعلام 180/2 بتصرف .

3. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (132) 119/1 عن أبي هريرة ؓ ، قال : جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ؟ قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان .

سماه محضا ، لأن الغشاء الذى على الإيمان قد انقشع ، والغطاء قد انكشف وذلك أن الغطاء على الإيمان كان من الله رحمة ، والغشاء حديث في العبد في إيمانه ، وهو العلائق والشهوات ، فانقشع الغشاء وانكشف الغطاء واستنار الإيمان في الصدر ، فأضاء وأشرق ، فذلك محض الإيمان ، وإنما وقع قوله عليه السلام على تلك الشرارة التي

ظهرت من الجمرة ، لا على ما جاء به العدو من الخبث والخبائث " (1)

ويذكر القشيري أن غشاوة الأبصار تكون في القلب بالجهالة والضلالة ولا يدخلها شئ من البصيرة والهداية ، فتسد المسامع وتحجب الأبصار عن إدراك خطاب الحق من حيث الإيمان ، فوساوس الشيطان وهو اجس النفوس شغلتها عن استماع خواطر الحق ، فبصائر الأجانب عن الطريقة عليها غشاوة لا يشهدون ، لا يبصر العلوم ولا ببصيرة الحقائق ، قال تعالى : { حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة/7] وقال أيضا : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً } [الجاثية/23] (2) .

وقال الكاشاني : الغشاوة في اصطلاح الصوفية كقول القائل :  
أيا جسدى العواق لى عن مآربى : أبى لست لى من جملة  
النصحاء

صحبتك إذ كانت لعينى غشاوة : فلما أنجلت أفرغت منك  
وعاء (3) .

---

1. آداب المريدين وبيان الكسب ص71:72.

2. لطائف الإشارات 60/1 ، 393/3 بتصرف . 3. لطائف الإعلام 180/2.

## 95- الغرور

\*\*\*\*\*

- الغرور : الغرور كل ما يجعل الإنسان في مكانة غير مكانته ، مع انخداعه وفتنته من مال وجاه وقوة وسلطان ، وجميع مشتبهات الإنسان (1) ، والغرور من الغرة وهي بياض مميز في الجبهة ، والغر البارز المميز ، كما روى عن أبي هريرة ؑ أن النبي ﷺ قال : " إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل " (2) ، واستخدم الغرور في كل خادع ، كما روى عن سمرة بن جندب ؑ ، قال : " سمعت محمداً ﷺ يقول : لا يغرن أحدكم نداء بلال من السحور ولا هذا البياض حتى يستطير " (3) .

وإذا فتن الإنسان بشيء ، فخدعه أو استجاب له ، فقد اغتر به ، وقال عمر بن الخطاب ؓ : " إنه بلغني أن قائلًا منكم يقول : والله لو قد مات عمر ؓ بايعت فلانا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول : إنما كانت بيعة أبي بكر ؓ فلتة وتمت ألا وإنما قد كانت كذلك ، ولكن الله وقى شرها ، وليس منكم من تقطع —

1. المفردات ص 359 ، لسان العرب 11/5 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الوضوء برقم (136) 283/1 .

3. أخرجه مسلم في كتاب الصيام برقم (1094) 769/2 .

الأعناق إليه مثل أبي بكر  $\tau$  " (1) ، وقال لابنته حفصة رضى الله عنها : أي حفصة : أتغضب إحداكن رسول الله  $\varepsilon$  □ اليوم حتى الليل ؟ فقالت : نعم فقال  $\tau$  : خابت وخسرت ، أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله  $\varepsilon$  فتهلكين لا تستكثري على رسول الله  $\varepsilon$  ، ولا تراجعيه في شيء ، ولا تهجيه واسأليني ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب إلى رسول الله  $\varepsilon$  ، يريد عائشة " (2) ، وعن عثمان بن عفان  $\tau$  أن النبي  $\varepsilon$  قال : " من توضأ مثل هذا الوضوء ، ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس ، غفر له ما تقدم من ذنبه ، وقال النبي  $\varepsilon$  لا تغتروا " (3) أى لا تنخدعوا فتتواكلوا

والغرور يطلق كاصطلاح على الدنيا ، لأنها تفتن الإنسان وتخدعه ، وتعطيه مكانة غير ما يجب له من مكانة العبودية ، والافتقار إلى الله وصفها الله بالغرور فقال سبحانه : { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ { [الحديد/20] وقال أيضا : { إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [لقمان/33] ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحدود برقم (6830) 148/12 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم برقم (2468) 137/5 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6433) 254/11 .

رسول الله ﷺ : " إن موضع سوط فى الجنة لخير من الدنيا وما فيها ،  
اقرأوا إن شئتم : { فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران/185] " (1) ، ويطلق الغرور  
اصطلاحاً على وعد الشيطان لأنه لا يسأم من التحايل على الإنسان  
وخداعه وفتنته ، فهو أخبث الغارين ، كما قال تعالى : { وَاسْتَفْزِرْ  
مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكُمْ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ  
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِذَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا }  
[الإسراء/64] ، وقال مجاهد فى قول الله تعالى : { إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا  
تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } [لقمان/33] الغرور  
الشيطان (2) .

## - الغرور فى الاصطلاح الصوفى :

الغرور فى الاصطلاح الصوفى يراد به الدنيا ، وأنواع المشتبهات فيها  
، وعلل اشتهاؤها ، إن كانت فى معصية الله ، وآلت إلى إعجاب المرء  
بما لديه منها والاشتغال بها عن طاعته ، قال الحارث المحاسبى  
(ت:243هـ) : ( الغرة بالدنيا عن الآخرة إيثار الدنيا والاشتغال بها  
عن الآخرة ، وهو قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ { [فاطر/5] ، وقول الله

: { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران/185] —

1. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3013) وقال الشيخ الألبانى : حسن 232/5 ، وابن ماجه برقم (4330) 1448/2 .

2. انظر فتح البارى 250/11 .

فاغتر الكافرون بها ، لما رأوا من فعل الله عز وجل بهم ، من إكرامه لهم بالدنيا ورفعته وسعتها ، فظنوا أن ذلك لم يكن من الله عز وجل إلا لمنزلتهم عنده وأنهم أحق بالخير من غيرهم (1) ، ثم يذكر أن هؤلاء على وجهين (2) :

1- فرقة منهم شكاك فى الآخرة يقولون فى أنفسهم وبألستهم ، إن يكن لله عز وجل معاد ، فنحن أحق به من غيرنا ، ولنا فيه النصيب الأوفر ، اغترارا بما ظهر لهم من خير الدنيا وكرامتها ، وقد حكى الله ذلك عن الرجلين اللذين تحاورا ، فقال الكافر منهما للمؤمن المحاور له : { وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِّدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ حَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا } [الكهف/36] .

2- وفرقة منهم يغترون بنعم الله عز وجل فى الدنيا ، فلا يرون أن الله عز وجل أخذهم بعقوبة فى الدنيا ، وأنه إنما أعطاهم ما أعطاهم من الدنيا لما علم منهم من الخير وأنهم عنده بالمنزلة العظمى ، كقول الله عز وجل إخبارا عن مقال موسى لقارون يخوفه بأس الله عز وجل ، فقال : { قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي } [النصر/78] ، فقال الله عز وجل : {

أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً  
وَأَكْثَرُ جَمْعًا { [القصص/78] ، أى لم يمنع الله عز وجل ما أعطاهم من نعيم  
الدنيا لما كفروا أن يعذبهم ، فلم يعلم قارون أن الله عز وجل قد فعل  
ذلك بغيره ، وذلك من الله عز وجل استدراج لمن أراد أن يهلكه ويعذبه  
ليغتر بنعم الله عز وجل : { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ }  
[القلم/44] .

1. الرعاية لحقوق الله ص343 ، ص345 .

2. السابق ص346 .

وقال أبو سعيد الخراز (ت:279هـ) : ( لقد فضح الله الدنيا  
وسماها بأسماء لم يسمها أحدا ، فقال تبارك وتعالى : { اَعْلَمُوا أَنَّمَا  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ  
وَالْأَوْلَادِ { [الحديد/20] ، أفلا يستحي من يعقل عن الله تعالى ، أن يراه  
ساكنا إلى اللهو واللعب في دار الغرور ) (1) .

ثم يروى عن أبي الدرداء أنه قال : ( يا حبذا نوم الأكياس  
وإفطارهم ، كيف غنموا سهر الحمقى وصيامهم ، ولمثقال ذرة من  
صاحب تقوى ويقين ، أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمال  
المغترين ) (2) .

ويذكر أبو طالب المكي (ت:386هـ) أن أصناف المشتبهات التي يغتر بها الناس ، حصرها الله في سبعة أوصاف وردت في قوله تعالى :

{ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران/14] ، ثم يقول معقبا : ( فهذه سبعة أوصاف هي جملة متاع الدنيا ، وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمل ، فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا ، ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا ، وعلمنا بنص كلام الله أن الشهوة دنيا ، وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات ، فإذا لم تكن الحاجة دنيا دل

---

1. الصدق لأبي سعيد الخراز ص 40 .

2. السابق ص 46 .

أنها لا تسمى شهوة ، وإن كانت قد تشتهى (1) ، ثم يبين علل الاشتهااء في الدنيا ، وأنها محصورة في خمسة أنواع : { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } [الحديد/20] ثم يقول : فغرور المغترين بالدنيا محصور في تلك السبعة للعب والهوى والزينة والتفاخر والتكاثر (2) .



ويذكر أبو القاسم القسيري (ت:465هـ) في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } [الانفطار/6] أى ما خدعك وما سول لك حتى عملت بمعاصيه ؟ سأله وفي نفس السؤال لقنه الجواب يقول : غرني كرمك بي ولولا كرمك لما فعلت لأنك رأيت فسترت وقدرت فأمهلت ، إن المؤمن وثق بحسن إفضاله ، اغتر بطول إمهاله ، فلم يرتكب الزلة لاستحالة ، ولكن طول حلمه عنه حملة على سوء خصاله ( 3) .

\*\*\*\*\*

## 96- الغيبة

\*\*\*\*\*

- الغيبة : الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين ، قال تعالى : { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ } [النمل/20]

1. قوت القلوب 1 / 245 □ .

2. السابق 1 / 245 □ .

3. لطائف الإشارات 3/696:697 .

واستعمل في كل غائب عن الحاسة ، وعمما يغيب عن علم الإنسان ، قال الله تعالى : { وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ

مُبينٍ { [النمل/75] <sup>(1)</sup> وعن جابر بن عبد الله  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً " <sup>(2)</sup> .

والغيبة كاصطلاح ورد في الكتاب والسنة ، معناه أن يذكر الإنسان غيره في غيبته بما فيه من جرح وعيب دون ضرورة تستدعى ذلك ، كقول الإمام مسلم رحمه الله : ( باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرومة ) <sup>(3)</sup> .

وعن عباد بن عباد الخواص الشامي أبي عتبة  $\tau$  ، قال : " يلقاك صاحب الغيبة ، فيغتاب عندك من يرى أنك تحب غيبته ، ويخالفك إلى صاحبك فيأتيه عنك بمثله ، فإذا هو قد أصاب عند كل واحد منكما حاجته ، وخفي على كل واحد منكما ما أتى به عند صاحبه ، حضوره عند من حضره حضور الإخوان وغيبته على من غاب عنه ، غيبة الأعداء ، من حضر منهم كانت له الأثرة ، ومن غاب منهم لم تكن له حرمة ، يفتن من حضره بالتزكية ، ويغتاب من غاب عنه

---

1. المفردات ص 367 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5244) 251/9 .

3. انظر صحيح مسلم 14/1 .

بالغيبية ، فيا لعباد الله ، أما في القوم من رشيد ولا مصلح يجمع هذا عن مكيدته ويرده عن عرض أخيه المسلم ، بل عرف هواهم فيما مشى به إليهم ، فاستمكن منهم وأمكنوه من حاجته ، فأكل بدينه مع أديانهم ، فالله الله ذبوا عن حرم أغيا بكم ، وكفوا ألسنتكم عنهم إلا من خير " (1) .

ومما ورد في القرآن من النهي عنها ، قوله عز وجل : { وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [الحجرات/12] ، ومن السنة ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ ، قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته " (2) ، وعن جابر بن عبد الله  $\tau$  قال : " كنا مع النبي  $\varepsilon$  ، فارتفعت ريح جيفة منتنة ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : أتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين " (3) ، وعن أبي بكرة  $\tau$  قال : " مر النبي  $\varepsilon$  بقبرين فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فيعذب في البول ، وأما الآخر فيعذب في الغيبة " (4) .

---

1. أخرجه الدارمي في المقدمة برقم (649) 166/1 .

2. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (2589) 2001/4 .

3. أخرجه أحمد في المسند برقم (14370) والبخاري في الأدب المفرد برقم (732) .

4. حسن أخرجه ابن ماجة في كتاب الطهارة برقم (349) 125/1 .

## - الغيبة في الاصطلاح الصوفي :

الغيبة في الاصطلاح الصوفي تطلق على معنيين :

[1- المعنى المتبادر إلى الأذهان ، وهو المعنى الاصطلاحي الوارد في القرآن والسنة ، كما روى عن الجنيد بن محمد (ت:297هـ) قال : ( كنت جالسا في مسجد الشونزية ، أنتظر جنازة أصلى عليها ، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة ، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس ، فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به ، فلما انصرفت إلى منزلي ، وكان لي شئ من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك ، فثقل على جميع أورادي ، فسهرت وأنا قاعد ، فغلبتني عيناي ، فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان ممدود ، وقالوا لي : كل لحمه فقد اغتبه ، وكشف لي عن الحال ، فقلت : ما اغتبه ، إنما قلت في نفسي شيئا ، ف قيل لي : ما أنت ممن يرضى منك بمثله ، إذهب فاستحله فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيت في موضع ، يلتقط من الماء عند تزايد الماء أوراقا من البقل ، مما تتساقط من غسل البقل ، فسلمت عليه ، فقال : يا أبا القاسم ، تعود ؟ فقلت : لا فقال : غفر الله لنا ولك ) (1) ، ولا شك أن ما حدث من الجنيد لا يعد غيبة ، وما ذكره من أن هذا الفقير ، قال له تعود ، كأنه يعلم الغيب ويحيط بما في النفوس فكلام باطل يؤدي إلى

زعزعة العقيدة في نفوس الناس ، هذا إذا ثبتت الرواية عن الجنيد أصلا .

1. الرسالة 406/1 .

وقال الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( الغيبة تناول لعرض المؤمن ، وله ذمة وحرمة عظيمة بما فيه من التوحيد ، فصار حرام الدم حرام العرض ، لأن المال قوام الدين والعرض ، والموحد في ستر التوحيد ، كل شئ من شأنه ديناً وخلقة ، فإذا ذكرته بشئ من السوء ، فإنما يخرج شيئاً مستورا بستر الله تعالى فقد هتك ستر الله تعالى ، والمستمع له شريك ، فلولا المستمع لم يصر قوله غيبة لأنه نطق بها عنده ، وبين يديه يهتك ستره ، وإنما يصير هتكا بالقول لأنه أظهر عنده ، فاعتبر بملك من ملوك الدنيا أسدل ستراً على بابه ، فعمد رجل إلى ذلك الستر فهتكه ، ماذا يحل به للجرأة التي اجتراً ؟ والمستمع غير السامع ، لأنه قد يسمع وهو لا يرضى به ، فإذا استمع فقد شركه ، لأنه أعمل سمعه في ذلك ورضى به ) (1) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( باب الغيبة قال تعالى : { وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } [الحجرات/12] وأوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام : ( من مات تائباً من الغيبة ، فهو

آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها ، فهو أول من يدخل النار (2) .

[2- الغيبة بالمعنى المقابل للحضور ، فالغيبة عندهم غيبة القلب

عن علم ما —

1. المنهيات للحكيم الترمذى ص 95 .

2. الرسالة 404/1 .

يجرى من أحكام الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من جناب الحق ، حتى أنه قد يغيب من إحساسه بنفسه فضلا عن غيره ، فالغيبة بإزاء الحضور ، والغيب بإزاء الشهادة فالغيب عن عالم الشهادة ، حضور في عالم الغيب ، والحضور في عالم القدس عندهم غيبة عن عالم الحس ، والحضور مع الحس غيبة عن القدس وإذا أطلقوا الغيبة ، فإنما يعنى بها فى الأكثر غيبة النفس عن هذا العالم وحضورها هناك ، والغيبة عندهم قد تكون لوارد أوجبه تذكر ثواب أو تفكر عقاب وقد تكون الغيبة عن الإحساس ، لأجل معنى من المعانى التى كاشف الحق بها عبده وقد تكون الغيبة للأمرين معا (1) ، ومن كلامهم فى الغيبة على هذا المعنى :

(1- ما روى عن الجنيد بن محمد قال : ( القرب بالوجد جمع ،

والغيبة بالبشرية تفرقة ) (2) .

(2- وقال السراج الطوسي (ت:378هـ) : ( الغيبة غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ، ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر للعبد ) (3)

(3- وقال أبو بكر الكلاباذي (ت:380هـ) : ( معنى الغيبة أن يغيب عن حظوظ نفسه ، فلا يراها وهي أغنى الحظوظ ، قائمة معه موجودة فيه ، غير أنه غائب عنها بشهود ما للحق ) (4) .

---

1. لطائف الإعلام 183/2 .

2. طبقات الصوفية ص 157 .

3. اللمع ص 416 .

4. التعرف ص 118 .

(4- وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( فالغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق ، لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه ، وغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب ) (1) .

(5- وقال ضياء الدين السهروردي (ت:563هـ) : ( إذا فقد العبد حال المشاهدة والمراقبة ، خرج من دائرة الحضور فهو غائب ، وقد يعنون بالغيبة الغيبة عن الأشياء بالحق ، فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا إلى مقام الفناء ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 97- الغضب

\*\*\*\*\*

- **الغضب** : الغضب عمل مذموم من أعمال النفس يعرف بآثاره الظاهرة في وجه الإنسان (3) ، كما روى عن ابن مسعود  $\tau$  قال : " قسم النبي  $\varepsilon$  قسما فقال رجل : إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه الله ، فأتيت النبي  $\varepsilon$  فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ، ثم قال : يرحم الله  $\square$  موسى قد أوزي بأكثر من هذا فصبر " (4) ، فهو لم ير الغضب لأنه محله القلب ولكنه رأى بعض —

1. الرسالة 232/1 . 2. عوارف المعارف ص 528 .

3. المفردات ص 361 ، ولسان العرب 648/11 ، وكتاب العين 369/4 .

4. أخرجه البخارى في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3405) 502/6 .

العلامات الظاهرة التي تدل عليه ، كما في حديث سليمان بن صرد  $\tau$  ، قال : " استب رجلان عند النبي  $\varepsilon$  ، فغضب أحدهما ، فاشتد غضبه ، حتى انتفخ وجهه وتغير " (1) ، وفي رواية أخرى : " فجعل أحدهما تحمر عيناه ، وتنتفخ أوداجه " (2) ، وثالثة عن معاذ بن جبل  $\tau$  ، قال : " فغضب أحدهما غضبا شديدا ، حتى خيل إلي أن أنفه يتمزع من شدة غضبه " (3) .

والغضب ضد الرضى ، وهو صفة نقص ومذمة إلا أن يكون لحق ، كغضب الله ورسوله لانتهاك الحرمات ومعصية الله ، وغضب النبي



لأهله وأصحابه وغضب المؤمنين لغضب الله وسوله ﺀ ، ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ﺕ لابنته أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها : " أي حفصة أتغضب إحداكن رسول الله ﺀ اليوم حتى الليل ؟ فقالت : نعم ، فقال : خابت وخسرت ، أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله ﺀ فتهلكين " (4) وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " كان رسول الله ﺀ إذا أمرهم ، أمرهم من الأعمال بما يطيقون ، قالوا : إنا لسنا كهيئتك يا رسول الله ، إن الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيغضب حتى يعرف الغضب في وجهه ، ثم يقول : إن أتقاكم وأعلمكم بالله —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6048) 479/10 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب برقم (2610) 2015/4 .

3. أخرجه أبو داود فى الأدب برقم (4780) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 248/4 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب المظالم برقم (2468) 13/5 .

أنا " (1) ، وقال المسور بن مخرمة ﺕ : " إن عليا ﺕ ، خطب بنت أبي جهل فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله ﺀ ، فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل ، فقام رسول الله ﺀ فسمعتة حين تشهد يقول : أما بعد ، أنكحت أبا العاص بن الربيع ؟ فحدثني وصدقني وإن فاطمة بضعة مني ، وإني أكره أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﺀ وبنت عدو الله عند رجل واحد ، فترك علي الخطبة " (2) ، وعن أم الدرداء قالت : "

دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب ، فقلت : ما أغضبك ؟ فقال :  
والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئا إلا أنهم يصلون جميعا □ (3) .  
وعن أبي الدرداء ر قال : " كانت بين أبي بكر وعمر محاورة ،  
فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه □ عمر مغضبا ، فاتبعه أبو بكر  
يسأله أن يستغفر له ، فلم يفعل حتى أغلق بابيه في وجهه ، فأقبل أبو  
بكر إلى رسول الله ﷺ ، فقال أبو الدرداء : ونحن عنده ، فقال رسول  
الله ﷺ : أما صاحبكم هذا فقد غامر قال : وندم عمر على ما كان  
منه فأقبل حتى سلم ، وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ □  
الخبر ، قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله ﷺ ، وجعل أبو بكر يقول  
: والله يا رسول الله لأننا كنت أظلم ، فقال رسول الله ﷺ : هل أنتم  
تاركون لي صاحبي ؟ ، هل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ إني قلت : يا  
أيها الناس —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (20) 88/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3729) 106/7 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (650) 161/2 .

إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت  
(1) .

وقد حذر الله من الغضب ، فقال سبحانه وتعالى : { وَالَّذِينَ  
يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ } [الشورى/37]  
، وورد فى السنة فى كثير من المواطن الدعوة إلى السيطرة على النفس

عند الغضب ، فمن ذلك ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " (2) ، وعنه أيضا  $\tau$  ، أن رجلا قال للنبي  $\varepsilon$  : " أوصني ، قال : لا تغضب فردد مرارا ، قال : لا تغضب " (3) .

وعن سليمان بن صرد  $\tau$  ، قال : " كنت جالسا مع النبي  $\varepsilon$  ، ورجلان يستبان ، فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبي  $\varepsilon$  : إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان ذهب عنه ما يجد : فقالوا له : إن النبي  $\varepsilon$  قال : تعوذ بالله من الشيطان ، فقال : وهل بي جنون " (4) .

وعن عبدا لله بن الزبير رضي الله عنهما ، أن رجلا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي  $\varepsilon$  في شراج الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصاري : سرح —

1. أخرجه البخارى فى تفسير القرآن برقم (4640) 153/8 ومعنى غامر سبق بالخير .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6114) 535/10 .
3. أخرجه البخارى فى الموضوع السابق (6116) 535/10 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3282) 388/6 .

الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبي  $\varepsilon$  ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  للزبير : أسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك ، فغضب الأنصاري ، فقال : أن كان ابن عمك ، فتلون وجه رسول الله  $\varepsilon$  ثم قال : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، فقال الزبير : والله إني

لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ } [النساء/65] (1) .

وعن أنس  $\tau$  ، قال : " قال عبد الله بن أبي للنبي  $\varepsilon$  : إليك عني ، والله لقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصار منهم : والله لحمار رسول الله  $\varepsilon$  أطيب ريحا منك ، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه ، فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فبلغنا أنها أنزلت : { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات/9] (2) .

## - الغضب في الاصطلاح الصوفي :

الغضب في الاصطلاح الصوفي ، قوة محلها القلب تؤدي إلى غليان النفس وثورتها ، رغبة في دفع المؤذيات قبل وقوعها ، والتشفي والانتقام بعد وقوعها ومن أسبابه الكبر والعجب والهزل والتعيير والممارسة وشدة الحرص على فضول الدنيا والجاه ، وهي بجملتها أوصاف ردية وأخلاق مذمومة ولا خلاص عن —

1. أخرجه البخارى في كتاب المساقاة برقم (2360) 42/5 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الصلح برقم (2691) 351/5 .

الغضب مع بقاء هذه الأسباب (1) ، وينقسم الغضب إلى ثلاثة أنواع محمود ومكروه ومحرم (2) :

1- فالغضب لله محمود ، وهذا كالغضب عند المشاهدة للمنكرات والفواحش غيرة على الدين وطلب الانتقام ، ولهذا مدح الله تعالى الصحابة بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم ، وقال تعالى :  
{ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ } [النور/2] .

2- وأما المكروه فالغضب عند فوات حظوظه المباحة ، كغضب الإنسان على خادمه وعبده عند كسر آنية أوتوانيه في خدمته ، فهذا لا ينتهي إلى حد المذموم ، ولكن التغافل والتجاوز فيه أولى وأحب .

3- وأما المذموم فهو الاستشاشة الصادرة عن الفخر والتكبر والمباهاة والمنافسة والحسد والحقد وغير ذلك من الحظوظ الدنيوية دون الدينية وهذا هو الغالب على أكثر الخلق .

ومن عباراتهم في الغضب ، ما روى عن السرى السقطي (ت:251هـ) أنه قال : ( ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان ، من إذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق وإذا رضى لم يخرج رضاه إلى الباطل ، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له ) (3) .

---

1. إحياء علوم الدين 178/3 .

2. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 37:36/2 .

3. السابق 39/2 .

وقال الحارث بن أسد المحاسبي (ت:243هـ) : ( والزم الأدب وفارق الهوى والغضب ، واعمل في أسباب التيقظ واتخذ الرفق حزبا والتأني صاحبا والسلامة كهفا والفراغ غنيمة ، والدنيا مطية والآخرة منزلا ) (1) ، وقال أبو عبد الرحمن السلمي (ت:412هـ) : ( ومن عيوب النفس الغضب ومداواتها حمل النفس على الرضا بالقضاء ، فإن الغضب جمرة من الشيطان ، ولأن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أوصني ، قال : لا تغضب (2) ، ولأن الغضب يخرج العبد حد الهلاك إذا لم يصحبه من الله تعالى زجر ومنع ) (3) .

ويذكر أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) أن علاج الغضب يكون في معجون العلم والعمل ، أما العلم فهو ستة أمور (4) :

1- أن يتفكر في الأخبار التي وردت في فضل كظم الغيظ ، والعفو والحلم والاحتمال ، فيرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفئ عنه غيظه .

---

1. رسالة المسترشدين ص79، 80 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الأدب برقم (6116) 535/10 عن أبي هريرة ط .

3. عيوب النفس ص29 .

4. إحياء علوم الدين 184/3 .

2- أن يخوف نفسه بعقاب الله ، وهو أن يقول : قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان ، فلو أمضيت غضبي عليه ، لم آمن أن يمضى الله غضبه على يوم القيامة ، أحوج ما أكون إلى العفو .

3- أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام ، وتشمر العدو لمقابلته ، والسعى في هدم أغراضه ، والشماتة بمصائبه ، وهو لا يخلو عن المصائب ، فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ، إن كان لا يخاف من الآخرة .

4- أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب ، بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ، ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ، ومشابهة صاحبه للكلب الضارى والسبع العادى ، ومشابهة الحلیم الهادى التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء .

5- أن يتفكر في السبب الذى يدعو إلى الانتقام ، ويمنعه من كظم الغيظ ولا بد وأن يكون له سبب ، مثل قول الشيطان له : إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس ، والذلة والمهانة وتصير حقيرا فى أعين الناس ، فيقول لنفسه : ما أعجبك ! تأنفين من الاحتمال الآن ، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة ، والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك ؟ .

6- أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشئ على وفق مراد الله لا على وفق مراده ، فكيف يقول مرادى أولى من مراد الله ؟ ، ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه .

وأما العمل فهو كما ورد في مجمل الروايات :

- 1- أن يقول بلسانه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
- 2- أن يجلس إن كان قائماً ويضطجع إن كان جالساً .
- 3- إن لم يزل الغضب فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء (1) .

\*\*\*\*\*

## 98- الغيرة

\*\*\*\*\*

- الغيرة : حالة باعثة على تغيير صورة النفس وغليان القلب لسبب ما (2) وأصلها من التغيير واستبدال حالة بحالة أخرى ، نحو قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرعد/11] ، والغيرة لم ترد في القرآن وإنما وردت في السنة على نوعين :
- 1- الغيرة وصف للإنسان وهى تغير القلب لسبب ما مثل :



أ - غيرة الرجل على امرأته ، كما روى عن أبي هريرة  $\pi$  ، قال :  
بيننا نحن عند رسول الله  $\varepsilon$  إذ قال : " بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ،  
فإذا امرأة تتوضأ إلى —

1. السابق 185/3 .

2. لسان العرب 40/5 ، والمغرب للمطرزى 119/2 .

جانب قصر ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ ، فقالوا : لعمر بن الخطاب  
، فذكرت غيرته فوليت مدبرا ، فبكى عمر  $\pi$  ، وقال : أعليك أغار يا  
رسول الله " (1) .

وقال سعد بن عبادة  $\pi$  : " لو رأيت رجلا مع امرأتي ، لضربته  
بالسيف غير مصفح عنه ، فبلغ ذلك رسول الله  $\varepsilon$  ، فقال :  
أتعجبون من غيرة سعد ! فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، من  
أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لا شخص أغير  
من الله ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث  
الله المرسلين مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله  
، من أجل ذلك وعد الله الجنة " (2) .

ب - غيرة المرأة على زوجها ، كما روى عن عائشة رضی الله عنها ،  
أن رسول الله  $\varepsilon$  خرج من عندها ليلا ، قالت : فغرت عليه ، قالت :  
فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : ما لك يا عائشة أغرت ؟ قالت : وما  
لي أن لا يغار مثلي على مثلك ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : أفأخذك

شيطانك؟ قالت : يا رسول الله ة أو معي شيطان؟ قال : نعم ، قلت : ومع كل إنسان؟ قال : نعم ، قلت : ومعك يا رسول الله؟ قال نعم ولكن ربي عز وجل أعاني عليه حتى أسلم " (3)

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3242) 366/6 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب اللعان برقم (1499) 1136/2 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب صفة القيامة برقم (2815) 2168/4 ، وأحمد فى المسند برقم (24324) واللفظ له .

وعن أنس بن مالك  $\tau$  ، قال عمر بن الخطاب  $\tau$  : " وافقت ربي فى ثلاث .. وذكر منها .. واجتمع نساء النبي ة فى الغيرة عليه ، فقلت لهن : { عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ } [التحریم/5] فنزلت هذه الآية " (1) .

ح- غيرة المؤمن على دين الله ومحارمه ، كما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله ة قال : " المؤمن يغار المؤمن يغار المؤمن يغار والله أشد غيرا " (2) .

2- الغيرة وصف لله عز وجل ، ليس كئله شئ فيه ولا نعرف كيفيته ودليله ما روى عن هريرة  $\tau$  ، عن النبي ة أنه قال : " إن الله يغار ، وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله " (3) ، ومن حديث عن عائشة فى صلاة الكسوف قال رسول الله ة : " يا أمة محمد ، والله ما من أحد أغير من الله أن يزين عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمد ،

والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا " (4) ،  
وعن عبد الله بن مسعود  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  أنه قال : " لا أحد أغير من  
الله ، فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب  
إليه المدحة من الله ، فلذلك مدح نفسه " (5) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (402) 601/1 .
2. أخرجه أحمد برقم (7169) واللفظ له ، والبخارى فى النكاح برقم (5223) .
3. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5223) 230/9 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1044) 615/2 .
5. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4637) 152/8 .

### - الغيرة فى الاصطلاح الصوفى :

الغيرة فى الاصطلاح الصوفى كراهية مشاركة الغير ، وإذا وصف الله  
سبحانه وتعالى بالغيرة عندهم ، فمعناه أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه  
، فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له (1) .

حكى عن السرى السقطى (ت:251هـ) أنه قرئ بين يديه : {  
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا  
مَسْتُورًا } [الإسراء/45] فقال السرى لأصحابه : أتدرون ما هذا الحجاب  
؟ هذا حجاب الغيرة ولا أحد أغير من الله تعالى (2) .

وروى عن أبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه قال : ( والواجب أن

يقال : الغيرة غيرتان :

أ - غيرة الحق سبحانه على العبد وهو أن لا يجعله للخلق فيضن به عليهم .

ب- وغيرة العبد للحق وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى .

فلا يقال : أنا أغار على الله تعالى ، ولكن يقال : أنا أغار لله ، فالغيرة على الله تعالى جهل ، وربما تؤدي إلى ترك الدين ، والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له ( 3) .

---

1. الرسالة القشيرية 512/2 .

2. انظر السابق 513/2 ، معنى قوله : هذا حجاب الغيرة ، يعنى أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين .

3. السابق 515/2 .

وقال أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـ) فى وصف الصوفية : ( لطائف الحق بهم فى غيرته عليهم ، دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى ، فقالوا : ما حالك ؟ قالت : والله ما أعرف لعلتى سبياً غير أنى عرضت على الجنة ، فملت بقلبي إليها ، فأحسب أن مولاي غار على ، فعاتبني فله العتبي ) (1) وكلام رابعة العدوية باطل ومخالف للأصول القرآنية والنبوية ، فإن الله حض على طلب الجنة ولم يروى أنه يغار منها كما ذكرت رابعة .

ويستدل القشيري (ت:465هـ) للغيرة بقوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا

حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } [الأعراف/33] ، وبما روى

عن عبد الله بن مسعود  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " ما أحد أغير من الله تعالى ، ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن " ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " إن الله يغار وإن المؤمن يغار ، وغيره الله تعالى ، أن يأتي العبد المؤمن ما حرم الله عليه " ، ثم يقول : واعلموا أن من سنة الحق تعالى مع أوليائه أنهم إذا ساكنوا غيرا ، أو لاحظوا شيئا ، أو ضاجعوا بقلوبهم شيئا ، شوش عليهم ذلك ، فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه نازعة عما ساكنوه أو لاحظوه أو ضاجعوه ، كآدم  $\nu$  لما وطن نفسه على الخلود في الجنة أخرجه منها ، وإبراهيم  $\nu$  لما أعجبه إسماعيل  $\nu$  ، أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه ، فلما أسلما وتله للجبين ، وصفا سره منه أمره بالفداء عنه (2) .

---

1. التعرف لمذهب التصوف ص 184 .

2. الرسالة القشيرية 516:515/2 .

وقال أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) : (الغيرة : غيرة في الحق ، وغيرة على الحق ، وغيرة من الحق ، فالغيرة في الحق برؤية الفواحش والمناهى ، وغيرة على الحق هي كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه ) (1) .

ويقول ابن عربي (ت:638هـ) في غيرة الملائكة : ( قال عز وجل  
 { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة/30] ،  
 فلما سمعت الملائكة ما قاله الحق لها ، ورأت أنه مركب من أضداد  
 متنافرة ، وأن روحه يكون على طبيعة مزاجية ، قالوا : { قَالُوا أَتَجْعَلُ  
 فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } [البقرة/30] ، غيرة منهم على  
 جناب الحق ، ثم قالوا عن أنفسهم بما تقتضيه نشأتهم : { وَنَحْنُ  
 نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة/30] )  
 (2) .

ويذكر عبد الرزاق الكاشاني أن الغيرة مشتقة من الغير ، ولهذا لا  
 يوصف بها إلا من يرى الغير ، فهي لأجل ذلك من مراتب أحد  
 رجلين ، رجل فيه بقايا من رسوم الخلقه ، بحيث لم يتحقق بعد  
 بالوصول إلى حضرات الحقيقة ، ورجل وصل ثم رجع بربه إلى خلقه ،  
 ولم يستهلك هناك ، فهي وصف من لم يصل ووصف من وصل ثم  
 رجع للتكميل ، كما يجعل الغيرة على أنواع (3) : —

1. الإملاء ص 65 .

2. عقلة المستنوفر 73:74 .

3. لطائف الإعلام 187:185/2 .

1- غيرة العابد : وتكون على تضييع وقته في غير عبادته .

2- غيرة المرید : على تضييع وقته في غير المسامرة والحظوة بمطلوبه .

3- غيرة العارف : على نفس علقت برجاء أو التفتت إلى عطاء ،  
بل إلى المعطى الحق المرجو وحده دون الخلق .

4- الغيرة فى الخلق : هى الغيرة التى تكون لتعدى الحدود وهى  
المشار إليها فى حديث سعد .

5- غيرة السر : هى الغيرة التى تطلق بإزاء كتمان الأسرار والسرائر .

6- غيرة الحق : يعنى به ضنه على أوليائه .

\*\*\*\*\*

## 99 - الفتوة

\*\*\*\*\*

- الفتوة : الفتى يطلق على عدة معان (1) :

أ- الطرىُّ الصغير من الشباب ، والأثنى فتاه ، ومن ذلك ما روى  
عن أنس بن مالك  $\tau$  أنه رأى غلماناً أو فتياناً نصبوا دجاجة يرمونها  
فقال لهم : " نهى النبي أن تُصَبَّرَ البَهَائِمُ " (2) ، وقال عبد الرحمن بن  
عوف  $\tau$  : " إني لفي الصف يوم —

1. كتاب العين 137/8 ، المفردات ص 373 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الذبائح والصيد برقم (5513) 558/9 .

بدر إذ التفت ، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن ،  
فكأنى لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه ، يا عم

أرني أبا جهل ؟ فقلت : يا ابن أخي وما تصنع به ؟ قال : عاهدت الله إن رأيتَه ، أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله قال : فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه ، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء " (1) .

ب- الكبير من الشباب ، كقوله تعالى عن أهل الكهف في وصف قوة العقل والإيمان عندهم : { إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } [الكهف/13] ، وعن عثمان بن عفان  $\pi$  ، قال : " خرج رسول الله  $\varepsilon$  على فتية من المهاجرين فقال : من كان منكم ذا طول فليتزوج ، فإنه أغض للطرف وأحصن للفرج ومن لا ، فإن الصوم له وجاء " (2) ، وعن أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها قالت : " سألت الحارث بن هشام  $\pi$  ، رسول الله  $\varepsilon$  : كيف يأتيك الوحي ؟ قال : في مثل صلصلة الجرس ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ، وهو أشده علي وأحيانا يأتيني في مثل صورة الفتى فينبذه إلي " (3) .

ح- الفتى يكنى به عن العبد ، والفتاه عن الأمة ، كقوله تعالى : { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } [يوسف/30] عن —

1. أخرجه البخارى في كتاب المغازى برقم (3988) 358/7 .
2. صحيح الإسناد ، أحمد (413) ، والنسائي في كتاب الصيام برقم (2243) .
3. أخرجه النسائي في الافتتاح برقم (933) وقال الشيخ الألباني : صحيح 146/2 .



أبي هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  أنه قال : " لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ، وليقل سيدي مولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي ، وليقل فتاي وفتاتي وغلامي " (1) ، وفي رواية أخرى " لا يقولن أحدكم عبدي ، فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ، ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي " (2) ، وعن أبي ذر الغفاري  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إخوانكم جعلهم الله فتيه تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه من طعامه ، وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه " (3) .

د- الفتى الفتى القوي المتصف بالنضارة وقوة البنيان ، كما روى عن أبي بن كعب  $\tau$  ، قال : " بعثني النبي  $\varepsilon$  مُصَدِّقًا ، فمررت برجل ، فلما جَمَعَ لي مَالَهُ لَمْ أَحِجْ عَلَيْهِ فِيهِ إِلَّا ابْنَةَ مَخَاضٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَدِّ ابْنَةَ مَخَاضٍ فَإِنَّهَا صَدَقْتُكَ فَقَالَ : ذَاكَ مَا لَا لَبْنَ فِيهِ وَلَا ظَهَرَ ، وَلَكِنْ هَذِهِ نَاقَةٌ فَنِيَّةٌ ، عَظِيمَةٌ سَمِينَةٌ فَحُذَّهَا " (4) .

هـ- الفتى الذى يبادر عن غيره فى مشاق الأمور وسعيه إلى الأفضل ، ومن ذلك ما روى عن ابن عباس  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  يوم بدر : "

من فعل كذا —

1. أخرجه البخارى فى كتاب العتق برقم (2552) 210/5.

2. أخرجه مسلم فى كتاب الأدب (2249) وقال الألبانى : صحيح 1765/4.

3. أخرجه الترمذى فى البر والصلة (1945) وقال الألبانى : صحيح 334/4.

4. أخرجه أبو داود في الزكاة (1583) وقال الشيخ الألباني : حسن 104/2 .

وكذا ، فله من النفل كذا وكذا ، فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات ، فلم يبرحوها ، فلما فتح الله عليهم ، قال المشيخة : كنا رداء لكم ، لو انهمزتم لفئتم إلينا ، فلا تذهبوا بالمغنم ونبقى ، فأبى الفتيان ، وقالوا : جعله رسول الله ﷺ لنا فأنزل الله : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِنْفَالِ قُلِ الْإِنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } [الأنفال/1] " (1) .

ومن حديث أبي صخر العقيلي ، قال : " .. حتى أتوا يعنى رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر على رجل من اليهود ناشرا التوراة يقرؤها ، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله ، فقال رسول الله ﷺ : أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي ؟ ، فقال برأسه هكذا : أي لا ، فقال ابنه : الميت بعد أن أحياه الله ، والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ﷺ فقال ﷺ : أقيموا اليهود عن أخيكم ، ثم ولي كفنه وحنطه وصلى عليه " (2) .

وعن جندب بن عبد الله ، قال : " كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا " (3) .

- الفتوة في الاصطلاح الصوفي :

الفتوة في الاصطلاح الصوفي اسم أطلق على مجموعة من الفضائل

، أخصها —

1. أخرجه أبو داود في الجهاد (2737) وقال الشيخ الألباني : صحيح 77/3 .
2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (22981) .
3. أخرجه ابن ماجة في المقدمة برقم (61) وقال الشيخ الألباني : صحيح 23/1 والطبراني في المعجم الكبير برقم (1625) 158/2 .

الكرم والسخاء والمروءة والشجاعة تميز المتصف بها عن غيره من الناس وقوامها الإيثار ، مثل كف الأذى وبذل الندى وترك الشكوى ، وإسقاط الجاه ومحاربة النفس والعفو عن زلات الآخرين (1) .

ومما ورد عنهم في الفتوة ، ما روى أن مشايخ بغداد من الصوفية اجتمعوا عند أبي حفص النيسابوري ( ت: 270هـ ) وسألوه عن الفتوة ؟ ، فقال : تكلموا أنتم ، فإن لكم العبارة واللسان ، فقال الجنيد : الفتوة إسقاط الرؤية ، وترك النسبة ، فقال أبو حفص : ما أحسن ما قلت ، ولكن الفتوة عندي ، آداء الإنصاف ، وترك مطالبة الإنصاف ، ولما أراد أبو حفص الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والفتيان ، فلما أرادوا أن يرجعوا ، قال له بعضهم : دلنا على الفتوة ما هي ؟ فقال : الفتوة تؤخذ استعمالا ومعاملة لا نطقا فتعجبوا من كلامه ، وسئل أيضا : هل للفتى من علامة ؟ ، قال : نعم من يرى الفتيان ولا يستحي منهم في شمائله وأفعاله فهو فتى (2) .

وروى عن أبي عبد الله السجزي (ت: قبل 300هـ) أنه قيل له : ( لما لا تلبس المرقعة ؟ ، فقال : من النفاق أن تلبس لباس الفتيان ، ولا تدخل في حمل أثقال الفتوة ، إنما يلبس لباس الفتيان من يصبر على حمل أثقال الفتوة ، فقيل له : ما الفتوة ؟ ، فقال : رؤية أعذار الخلق وتقصيرك وتماهم ونقصانك والشفقة على —

1. أصول الملامتية ص 88 ، ص 89 .

2. طبقات الصوفية ص 118 .

الخلق كلهم برهم وفاجرهم ، وكمال الفتوة هو ألا يشغلك الخلق عن الله عز وجل ) (1) ، وحكى عن رويم بن أحمد البغدادي (ت: 303هـ) أنه سئل عن الفتوة ؟ فقال : ( أن تعذر إخوانك في زلاتهم ، ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه ) (2) .

وربما تعنى الفتوة عند بعض الصوفية من كانت له دعوى يدافع عنها ويضحى بنفسه في سبيلها ، حتى لو كانت دعوة كفرية ، كما قال الحسين بن منصور الحلاج (ت: 309هـ) : ( تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة ، فقال إبليس : إن سجدت سقط عني اسم الفتوة ، وقال فرعون : إن آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة ، وقلت أنا : إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة ، وقال إبليس : أنا خير منه حين لم يراء غيره غيرا ، وقال فرعون ما علمت لكم من إله غيري حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل

وقلت أنا : إن لم تعرفوه فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر ، وأنا الحق  
لأني ما زلت أبدا بالحق حقا (3) .

وروى عن أبي عبد الله محمد بن أحمد المقرئ (ت:366هـ) قال :  
( الفتوة حسن الخلق مع من تبغضه وبذل المال لمن تكرهه وحسن  
الصحبة مع من ينفر —

1. السابق ص 255 .

2. السابق ص 183 .

3. الطواسين ص 34 وانظر الملامتية والصوفية وأهل الفتوة لأبي العلا عفيفي ص 27 .

قلبك منه (1) ، وقد استدل أبو القاسم القشيري (ت:465هـ)  
للفتوة بقوله تعالى : { إِيَّاهُمْ فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى } [الكهف/13]  
، وأصل الفتوة عنده أن يكون العبد ساعيا أبدا في أمر غيره ، لقوله ع  
: " لا يزال الله تعالى في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه "  
(2) .

ويقول ابن عربي (ت:638هـ) : ( فالفتى من لا خصم له ، لأنه  
فيما عليه يؤديه وفيما له يتركه فليس له خصم ، والفتى من لا تصدر  
منه حركة عبثا جملة واحدة ) (3) .

\*\*\*\*\*

## 100 - الفـرار

\*\*\*\*\*

- الفرار : الفرار الروغان والهروب (4) ، ويقال في المحسوسات وغيرها :

1. طبقات الصوفية ص 511 .

2. انظر الرسالة القشيرية 472/2 ، والحديث أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم (2699) 2074/4 من حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ : " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه "

3. الفتوحات المكية 4/ فقرة 46 .

4. لسان العرب 50/5 .

أ- فمن الأول قول الله تعالى عن موسى ؑ : { فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ } [الشعراء/21] ، وقوله : { كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } [المدثر/51] .

ومما ورد في السنة ، ما روى عن عبد الله بن عمر ؓ ، قال : " كنت في سرية من سرايا رسول الله ؐ ، فحاص الناس حيصة ، وكنت فيمن حاص فقلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ ثم قلنا : لو دخلنا المدينة فبتنا ، ثم قلنا : لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ؐ ، فإن كانت له توبة وإلا ذهبنا ، فأتيناه قبل صلاة الغداة ، فخرج فقال : من القوم ؟ قال : فقلنا : نحن الفرارون ، قال : لا بل أنتم العكارون ، أنا فئتكم ، وأنا فئة المسلمين ، قال : فأتيناه حتى قبلنا يده " (1) .

وعن أسامة بن زيد  $\tau$  ، عن رسول الله  $\varepsilon$  ، أنه قال : " إن هذا الوجد أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقي بعد بالأرض ، فيذهب المرة ويأتي الأخرى ، فمن سمع به بأرض ، فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه " (2) .

---

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (5361) والترمذى في كتاب الجهاد (1716) 215/4 وأبو داود برقم (2647) 46/3 وقال الترمذى حديث حسن ، ومعنى قوله فحاص الناس حيصة يعني أنهم فروا من القتال ، ومعنى قوله بل أنتم العكارون ، العكار الذي يفر إلى إمامه لينصره ، ليس يريد الفرار من الزحف .

2. أخرجه مسلم في كتاب السلام برقم (2218) 1737/4 .

وعن جابر  $\tau$  : " أن رجلا من أسلم جاء النبي  $\varepsilon$  ، فاعترف بالزنا فأعرض عنه النبي  $\varepsilon$  حتى شهد على نفسه أربع مرات ، قال له النبي  $\varepsilon$  : أبك جنون ؟ قال : لا ، قال : آحصنت ؟ قال : نعم ، فأمر به فرجم بالمصلى ، فلما أذلقته الحجارة ، فر فأدرك فرجم حتى مات " (1) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  قال : " سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : فر من المجذوم فرارك من الأسد " (2) .

ب- ومن الثانى قوله تعالى : { فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا } [نوح/6] ، أى فرار من الإيمان ، وقوله : { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الذاريات/50] أى فروا من مخافته إلى رحمته .

ومما ورد في السنة ، عن ابن عمر  $\tau$  ، أن زيد بن عمرو بن نفيل  $\tau$  خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالما من اليهود ، فسأله عن دينهم فقال : إني لعلي أن أدين دينكم ، فأخبرني ، فقال : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبيك من غضب الله ، قال زيد : ما أفر إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا ، وأنى أستطيعه ، فهل تدلني على غيره ؟ ، قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا ، قال زيد : وما الحنيف ؟ ، قال : دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا الله " (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحدود برقم (6820) 132/12.

2. أخرجه أحمد فى المسند برقم (9429) وفيه النهاس بن قهم وهو ضعيف .

3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3828) 176/7.

وعن عبد الله بن عباس  $\tau$  : " أن عمر بن الخطاب  $\tau$  ، خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ ، لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح  $\tau$  وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام .. فنادى عمر فى الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، قال أبو عبيدة  $\tau$  : أفرارا من قدر الله ، فقال عمر  $\tau$  : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل ، هبطت واديا له عدوتان ، إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ " (1) .



ومن حديث أبي هريرة  $\tau$  ، عن رسول الله  $\varepsilon$  : " يقول الله عز وجل للملائكة الطوافين في الطرق ، يلتمسون أهل الذكر : " فمم يتعودون ؟ يقولون : من النار ، يقول : وهل رأوها ؟ يقولون : لا والله يا رب ما رأوها يقول : فكيف لو رأوها ؟ يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة " (2) .

وعن علي  $\tau$  ، قال : " بعث النبي  $\varepsilon$  سرية ، وأمر عليهم رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب عليهم وقال : أليس قد أمر النبي  $\varepsilon$  أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : قد عزمت عليكم لما جمعتم حطبا ، وأوقدتم نارا ، ثم دخلتم فيها ، فجمعوا حطبا فأوقدوا نارا ، فلما هموا بالدخول قام ينظر بعضهم إلى —

1. أخرجه البخارى في كتاب الطب برقم (5729) 189/10 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الدعوات برقم (6408) 212/11 .

بعض ، قال : بعضهم إنما تبعنا النبي  $\varepsilon$  فرارا من النار أفندخلها ؟ ، فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه ، فذكر للنبي  $\varepsilon$  فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها أبدا ، إنما الطاعة في المعروف " (1) .

## - الفرار في الاصطلاح الصوفى :

الفرار في الاصطلاح الصوفى ، يطلق على سرعة انتقال الصوفى من حال مذموم إلى حال محمود ، فيفر عما يشغله عن طاعة الله ، ويبعثه على معصيته وعن دواعى القوى ، واستيلاء الهوى ، والميل إلى

الدنيا ، ومقتضيات الطبيعة الجاذبة إلى الجهة السفلى ، وعن أغراض النفس المفسدة للأعمال ، كطلب الأعواض بها في الدارين ، وعن إهمال شرائط الرعاية والحرمة ، وكل ما يشغله عن الحق في البين ، وعن كل ما يزرى بالمروءة ، ويشين المرء في طريق الفتوة وعن كل ما يفتر العزم في السلوك (2) .

قال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( الإنسان بإحدى حالتين ، إما حالة رغبة في شئ أو حالة رهبة من شئ ، أو حال رجاء أو حال خوف ، أو حال جلب نفع أو رفع ضرر ، وفي الحالتين ينبغي أن يكون فراره إلى الله ، فإن —

1. أخرجه البخارى في كتاب الأحكام برقم (7145) 130/13.

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص200 ، ويجدر التنبيه إلى مسألة الفرار من أغراض النفس المفسدة للأعمال ، كطلب الأعواض بها في الدارين ، فإن هذا باطل لا تدل عليه الأصول القرآنية والنبوية .

النافع والضرار هو الله ، ومن صح فراره إلى الله صح فراره مع الله ، ويجب على العبد أن يفر من الجهل إلى العلم ، ومن الهوى إلى التقى ، ومن الشك إلى اليقين ومن الشيطان إلى الله ، ويجب على العبد أن يفر من فعله الذى هو بلاؤه إلى فعله الذى هو كفايته ، ومن وصفه الذى هو سخطه إلى وصفه الذى هو رحمته ومن نفسه حيث ، قال : { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران/28] ، إلى نفسه حيث قال : { فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } [الذاريات/50] (1) .

وقال عبد الله الأنصارى الهروى (ت:481هـ) : ( الفرار هو الهروب مما لم يكن إلى ما لم يزل ، وهو على ثلاث درجات ، فرار العامة من الجهل إلى العلم عقدا وسعيا ، ومن الكسل إلى التشمير جدا وعزما ، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء ، وفرار الخاصة من الخبر إلى الشهود ، ومن الرسوم إلى الأصول ، ومن الحظوظ إلى التجريد ، وفرار خاصة الخاصة ، مما دون الحق إلى الحق ، ثم من شهود الفرار إلى الحق ، ثم الفرار من الفرار إلى الحق قال الله عز وجل : { فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ } (2) .

وهذا الكلام بعضه تشهد له الأدلة وبعضه باطل ، كقوله ثم الفرار من الفرار إلى الحق ، فإن هذا يؤدي إلى هدم الدين باسم التحقق فيه ، والأسوأ من ذلك ما ذكره ابن عربى (ت:638هـ) فى فلسفته الخاصة عن مصطلح الفرار حيث —

1. لطائف الإشارات 469/3 .

2. شرح منازل السائرين إلى الحق المبين للإمام سيد الدين ص 256 .

يقول : ( اعلم أن الفرار بين طرفين ابتداء وانتهاء ، فابتدأه من وانتهاه إلى وما من اسم إلهى إلا ويريد أن يربطك به ويقيدك ، وتكون له لظهور سلطانه فيك ، وأنت قد علمت أن سعادتك فى المزيد ، والمزيد لا يكون لك إلا بالانتقال إلى حكم اسم آخر لتستفيد علما لم يكن عندك ، والاسم الذى أنت عنده لا يتركك فتعين الفرار

، ويكون معنى الإنذار حينئذ أنه لا يحكم عليك الإسم الإلهى الذى أنت عنده بالبقاء معه ، ففررت إلى موطن الزيادة ، فالفرار حكم يستصحب العبد فى الدنيا والآخرة (1) .

وقد ذكره عبد الرزاق الكاشانى (ت:736هـ) أن الفرار هو الهروب عما يبعد عن الحق إلى ما يقرب إليه ، كما قال تعالى : { فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ } ويفسر ذلك بقوله : ( أى انقطعوا إليه واستضيئوا بنوره ، واستمدوا من فيضه فى محاربة النفس والشيطان ، وتخلصوا إليه من عدوانهما وطغيانهما ولا تلتفتوا إلى غيره ، ولا تثبتوا لما سواه وجود أو تأثير ، فيستولى عليكم الشيطان ويسول عليكم طاعته وعبادته ) (2) ، وقوله : ولا تثبتوا لما سواه وجود أو تأثير ، يعبر بوضوح عن اعتقاده فى وحدة الوجود ، ونفى وجود مخلوق وخالق ، لأن المخوق عندهم عين الخالق ، ولكنه يقسم الفرار إلى ثلاثة أنواع (3) :

---

1. الفتوحات المكية 388/13 .

2. ير القرآن الكريم لابن عربى 545:544/2 .

3. لطائف الإعلام 210:209/2 .

(1- فرار العامة : من علمهم بأداب الخدمة إلى العمل بها ، ومن الكسل عن القيام بالحقوق إلى النشاط فيها .

(2- فرار الخاصة : عن حظوظ الأنفس ، بحيث لا يكون العبد ممن يتعلم العلم ويعمل به لأجل رجاء ، ما وعد عليه من ثواب الآخرة أو خوفا مما توعد به من عذابها .

(3- فرار خاصة الخاصة : عن الاشتغال بما سوى الحق ، ثم بالفرار عن رؤية فرارهم بأنفسهم لمشاهدتهم قيومية الحق .

\*\*\*\*\*

## 101 - الفقر

\*\*\*\*\*

- **الفقر** : أصل الفقر مأخوذ من الفقير ، وهو البئر الواسعة الفم ، القريبة القعر ، لما روى عن سهل بن أبي حثمة  $\pi$  : " أن عبد الله بن سهل ومُحَيِّصَةَ خَرَجَا إِلَى خَيْبَرَ مِنْ جَهْدِ أَصَابِهِمْ ، فَأُخْبِرَ مُحَيِّصَةُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قُتِلَ ، وَطُرِحَ فِي فَقِيرٍ أَوْ عَيْنٍ ، فَأَتَى يَهُودَ فَقَالَ : أَنْتُمْ وَاللَّهِ قَتَلْتُمُوهُ " (1) .

وقيل : مأخوذ من الفقير ، وهو المكسور الفقار ، يقال : فقرته

فاقرة ، أى —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7192) 196/13 ، ومسلم فى كتاب القسامة والمحاربين والقصاص برقم (1669) 1291/3 .

داهية تكسر الفقار ، واستعير منهما الفقر للدلالة على الحاجة وقلة اليد ، والفقر يستعمل على أربعة أوجه (1) :

الأول : الافتقار العام وهو وجود الحاجة الضرورية وذلك عام للإنسان ما دام في دار الدنيا بل عام للموجودات كلها ، وعلى هذا قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [فاطر/15] ، ومما ورد في السنة عن أبي ذر  $\tau$  ، قال رسول الله  $\epsilon$  : يقول الله تعالى : " يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فسلوني الهدى أهدكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم " (2) .

الثاني : الفقر الخاص الموجب للزكاة والصدقة وهو المذكور في قول الله تعالى : { إِنَّ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } [البقرة/271] ، وقوله سبحانه : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ } [التوبة/60] ، ومما ورد في السنة منه ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، قال : " جاء رجل إلى النبي  $\epsilon$  فقال : يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ولفلان كذا

---

1. المفردات ص 383 ، وانظر معجم مقاييس اللغة مادة فقر .

2. أخرجه الترمذى في كتاب صفة القيامة برقم (2495) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف بهذا السياق

656/4 ، وقال الترمذى : حديث حسن .

وقد كان لفلان " (1) ، وعن عمرو بن عوف الأنصاري τ ، أن رسول الله ε قال : " أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم " (2) .

وعن عبد الله بن مغفل τ ، قال رجل للنبي ε : " يا رسول الله والله إني لأحبك فقال : انظر ماذا تقول ؟ قال : والله إني لأحبك ، فقال انظر ماذا تقول ؟ ، قال : والله إني لأحبك ، ثلاث مرات ، فقال : إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه " (3) ، وعن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى : { وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } [النساء/6] أنها نزلت في والي اليتيم إذا كان فقيرا أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف " (4) .

الثالث : فقر النفس ، وهو الشره المقابل للقناعة وغنى النفس ، وعن أبي هريرة τ عن النبي ε قال : " ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس " (5) .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجزية برقم (3158) 297/6.
3. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد (2350) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 576/4 .
4. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4575) 89/8 .
5. البخارى فى الرقاق (6446) 276/11 ، ومسلم فى الزكاة (1051) 726/2.

الرابع : الفقر إلى الله المشار إليه بقوله تعالى عن موسى عليه السلام وابنتى شعيب عليه السلام : { قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ } [القصص/24] ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى .. وجاء فيه قوله ﷺ : " لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين " (1) .

والفقر عند اطلاقه فى الأغلب يراد به الوجه الثانى ، وحده على التقريب كما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعم ، قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم ، قال : فأنت من الأغنياء ، قال : فإن لي خادماً قال : فأنت من الملوك (2) .



وقد ورد أيضا الدعوة إلى التعفف ، إلا ما أخذ من غير استشراف  
ولا مسألة كما روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : "  $\tau$   
سمعت عمر  $\tau$  يقول كان رسول الله  $\varepsilon$  يعطيني العطاء فأقول أعطه من  
هو أفقر إليه مني ، فقال : —

1. أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة (1173) وقال الشيخ الألباني : حسن 304/1 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الزهد برقم (2979) 2285/4 .

خذه ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل  
فخذه ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك " (1) ، وعن أبي كبشة الأنماري  $\tau$   
، أنه سمع رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا  
فاحفظوه ، قال : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد  
مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا  
فتح الله عليه باب فقر " (2) .

والفقر فتنة وبلاء ، وتفضيله بترك الغنى مخالف للسنة ، ولذلك تعوذ  
النبي  $\varepsilon$  في دعائه منه ومن فتنته ، ولو كان خيرا ما دعا إلى تغييره ،  
وأجر الصبر عند الفقر حاصل إذا كان ابتلاء من الله وقلة حيله ،  
لأن الصبر حينئذ رضى بالمقدر لا يتمكن الفقير من دفعه بالأسباب  
المشروعة ، فعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  قال : " اللهم أنت الأول  
فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر ،

فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر " (3) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول : " اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهزم ، والمأثم والمغرم ، ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1473) 3/395 .

2. أخرجه الترمذى فى الزهد برقم (2325) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 4/562 وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر برقم (2713) 4/2084 .

النار وعذاب النار ، ومن شر فتنة الغنى ، وأعوذ بك من فتنة الفقر " (1) ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : " سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا " (2) .

وعن سهل بن سعد الساعدى ، قال : " مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حري إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يستمع ، قال : ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا قالوا : حري إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال : أن لا يستمع ، فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا " (3) .

## - الفقر في الاصطلاح الصوفي :

الفقر في الاصطلاح الصوفي أن لا تطلب المعدوم حتى تفقد الموجود ، فلا تطلب الرزق إلا عند خوف العجز عن القيام بالعرض ، وإذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله ، ونعت الفقير السكون عند العدم والبذل والإيثار عند الوجود (4) ، يروى عن حاتم الأصم (ت:237هـ) أنه قال : ( من ادعى ثلاثا —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات برقم (6368) 180/11 .
2. أخرجه مسلم فى كتاب الزهد برقم (2979) 2285/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5091) 35/9 .
4. التعرف ص95 ، وانظر أيضا كتاب المسائل للمحاسبي ص51 ، وروضة الطالبين للغزالي ص124 ، وانظر أيضا الرسالة الفقيرية لابن سبعين ص1:21 .

بغير ثلاث فهو كذاب : من ادعى حب الله من غير ورع عن محارمه ، فهو كذاب ، ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله ، فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبي ؑ من غير محبة الفقر فهو كذاب (1) وعن أبي حفص النيسابورى ( ت:270هـ) قال : ( ما أعز الفقر إلى الله وأذل الفقر إلى الأشكال وما أحسن الاستغناء بالله وأقبح الاستغناء باللئام ) (2) .

وسئل أيضا عن أحكام الفقر وآدابها عن الفقراء ، فقال : ( حفظ حرمت المشايخ ، وحسن العشرة مع الإخوان ، والنصيحة للأصاغر ، وترك الخصومات فى الأرزاق ، وملازمة الإيثار ، ومجانبة الادخار ،

وترك صحبة من ليس من طبقتهم ، والمعاونة في أمور الدين والدنيا (3)

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : ( الفقر سر الله عند عبده إذ العبد أمين عليه فإذا ظهر فقره أو أشياء منه فقد خرج من الأمناء ، والفقير فقير ما لم يعلم بفقره أحد إلا من يكون افتقاره إليه ، فإذا علم به غيره فقد خرج من حد الفقراء إلى حد الحاجة والمحتاجون كثير والفقر عزيز ) (4) .

ويذكر الهجویری (ت:465هـ) أن للفقر مرتبة عالية في طريق الحق ، وأن للفقراء خطرا كبيرا كما قال تعالى : { لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ لَا

1. طبقات الصوفية ص 97 .

2. السابق ص 7/11 .

3. السابق ص 121 . 4. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص 167 .

يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا { [البقرة/273] وقال أيضا : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ { [النحل/75] ، وقال : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا { [السجدة/16] ، وأن الرسول قد اختار الفقر حين قال : " اللهم احيني مسكينا ، وأمتني مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين " .. ثم يقول : " وللفقير رسم وحقيقة ، فرسمه العوز والافتقار ولكن حقيقته

الثراء والاختيار ، ومن ينظر إلى الرسم يبقى عند الإسم ، ويتعد عن الحقيقة دون أن يحقق أمله ، ولكن من يجد الحقيقة يتعد بناظره عن كل ما هو مخلوق ، ويسرع بفناء الكل في رؤية الكل ببقاء الكل ، إذن من لم يعرف سوى رسمه لم يسمع سوى اسمه ، فالفقر هو من ليس له شيء ، وليس في إمكانه أن يفقد شيئا ، وهو لا يصبح غنيا إذا حاز عرضا ، ولا فقيرا إذا لم يكن لديه شيء ، فالوجود والعدم سواء بالنسبة لفقره ، وقد اتفق على أنه يزداد سرورا حينما لا يكون لديه شيء " (1) .

---

1. انفرد به الترمذى في سننه عن أنس ولفظه : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أحيني مسكينا وأميتني مسكينا ، واحشرنى في زمرة المساكين يوم القيامة ، فقالت عائشة : لم يا رسول الله ؟ قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبي المساكين وقربهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة " ، أخرجه الترمذى في كتاب الزهد برقم (2352) 577/4 =

ويعرف الكاشاني الفقر عند الصوفية بأنه البراءة من الملك ، بمعنى الخلو التام عن جميع آثار الكثرة ، والانحرافات وأحكام العادات ، والمرادات الخلقية والحقية بحيث يصير القلب نقيا عن جميع الآثار الكونية ، نقيا عن أحكام القيود الظاهرية والباطنية ، بالانخلاع عن أحكام الغير والغيرية ، حتى عن رؤية ذلك الخلو ، وعن نفى تلك

الرؤية أيضا ، فإن الفقر اشتقاقه لغة من أرض فقر ، وهى التى لا نبات فيها ، ولا شئ أصلا ثم يجعل الفقر أنواعا منها (1) :

(1- الفقر التام : قال الشيوخ إذا تم الفقر فهو الله ، لأنه تمت له المعرفة بنفسه ، وبكل ما سوى الحق من جميع الخلق بأنه مفتقر إلى الله تعالى افتقارا بالتمام شاهد توحيد الخواص ، فيصير عند تمام رؤيته لما هو عليه الشاهد والمشهود من تمام الفقر إلى المعبود ، مكاشفا بأنه لا هوية لشئ منهما ، إنما الهوية لله وحده ، كما أن القلب إذا صار نقيا عن أن يتعلق بشئ من صور الأكوان والكائنات ، نقيا عن التأثير بشئ من أحكام الانحرافات ، فإن هذا القلب التقى النقى ، يصير كمال فقره وتمام خلوه عن جميع الماهيات ، مجلا لكمل التجليات ، فيكون قابلا لظهور التجلى الذاتى الأحدى الجمعى فيه وهذا —

= وفي سنده الحارث بن النعمان الليثي ، وهو ضعيف فى الجرح والتعديل ليس بالقوى 91/3 ، ترجمة رقم (425) تهذيب الكمال 291/5 برقم (1047) وتهذيب التهذيب 139/2 برقم (277) وانظر أيضا كشف المحجوب ص25، ص26 .

1. لطائف الإعلام 216:211/2 .

القلب هو الصورة والمظهر الذى هو الحقيقة المحمدية التى هى منصة التعيين الأول ومرآة الحق والحقيقة .

(2- فقر الغنى : وهو الإنسان المتحقق بالفقر التام ، وهو الذى

غنى بفقره عما سواه ، ومقامه غاية المقامات وآخرها ، كما أشار ابن الفرض عمر بقوله :

وباب تخطى اتصالي بحيث لا حجاب وصال عنه روى  
ترقت

وكم لجة قد خضت قبل ولوجه فقير الغنى ما بل منها  
بنغبة

(3- فقر الرضى والسخط : والمعنى بذلك قول على كرم الله وجهه  
: ( إن لله فى خلقه ، مثوبات فقر ، وعقوبات فقر ) ، فمن علامة  
الفقر إذا كان فقره مثوبة أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله  
، ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامة الفقر إذا كان فقره عقوبة ،  
أن يسوء خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء .

(4- فقر الفقر : وهو ترك الحظ من الفقر ، أو ترك اختيار الفقر  
على الغنى رعاية لاختيار الله وإرادته على اختيار العبد وإرادته ،  
ومثل هذا لا يرى فضيلة فى صورة فقر ولا فى صورة غنى ، وإنما يرى  
الفضيلة فيما يختاره الحق لعبده ولهذا كان المتحقق من عباد الله من لا  
يختار فعلا ولا ترك إلا فى محال الأمر والنهى العامين كما فى عموم  
الشريعة ، أو لمكان إذن خاص ، وما عدا ذلك فإنه لا اختيار للعبد  
فيه ، فإنه قد ترك الاختيار والاقتراح على الله ، فهو لا تتعلق له همة  
بترك شئ وأخذه إلا عن أمر عام أو خاص ، وهذا هو المقام الذى به  
يحصل التحقق بالفراغ التام عن كل ما سوى الله ، إذا كان ذلك مقام  
من لم يبق له إرادة إلا لما أمره الله بإرادته ، أو أراد له لأنه عبد ربه

لا لعقله ، إذ لم يبق تعلق إلا بحسب ما أمره الله بحبه ، ويكره ما أمره الله بكرهه ، فلا إرادة له إلا على وفق إرادة الله وأمره لتحقيقه بتمام فقره (1) .

\*\*\*\*\*

## 102 - الفناء

\*\*\*\*\*

- الفناء : فناء الشيء يرد على عدة معان :

[1]- موته وهلاكه ، كقوله تعالى : { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن/26:27] وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " أسرع قبائل العرب فناء قريش ويوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول إن هذا نعل قرشي " (2) وعن أبي موسى الأشعري ؓ قال رسول الله ﷺ : " فناء أمتي بالطعن والطاعون قال فقلنا يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون قال : طعن أعدائكم من الجن وفي كل شهادة " (3) ، وعن عبد الله بن مسعود —

1. انظر في الفجر عند محي الدين ابن عربي فصوص الحكم 105/1 ، والفتوحات المكية 170/2

460/3 ، 373/3 ، والرسالة الغوثية ورقة 79 أ .

2. أخرجه أحمد في المسند برقم (8232) رواه ثقات .

3. أخرجه أحمد في المسند برقم (19244) تابعه أسامه بن شريك ، وأبو بكر بن أبي موسى الأشعري .



رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : " يكون في هذه الأمة أربع فتن في آخرها الفناء " (1) .

[2] - وقد يراد بالفناء نفاذ المحصول وانتهائه سواء كان في المحسوسات أو غيرها :

أ- فمن الأول : ما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، أنه قال : " بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل ، فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاث مائة وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق في الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجمع ذلك كله فكان مزودي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى في ، فلم يكن يصيبنا إلا ثمرة تمر ، فقلت وما تغني ثمرة ؟ فقال ، لقد وجدنا فقدناها حين فنيت " (2) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " قالت أم إسماعيل : يا إبراهيم إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله قالت : رضيت بالله ؟ ، قال : فرجعت فجعلت تشرب من الشنة ، ويدر لبنها على صبيها حتى لما في الماء ، قالت : لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدا " (3) و عن عائشة رضي الله عنها قالت : " توفي رسول الله ﷺ وعندنا شطر من —

1. أخرجه أبو داود في كتاب الفتن برقم (4241) وفي سننه مجهول وقال الشيخ الألباني رحمه الله : ضعيف 94/4.

2. أخرجه البخاري في كتاب الشركة برقم (2483) 152/5.

3. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3365) 458/6.

شعير ، فأكلنا منه ما شاء الله ، ثم قلت للجارية : كيليه ، فكالته ، فلم يلبث أن فني ، قالت ، فلو كنا تركناه لأكلنا منه أكثر من ذلك " (1)

ب- ومن الثاني : ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ثم طرح في النار " (2) .

وعنه أيضا  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " من يدخل الجنة ينعم لا يبأس ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه " (3) ، وعن أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه ، قال قال رسول الله  $\varepsilon$  : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة ، حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعن —

1. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (2467) ، وقال الشيخ الألبانى رحمه الله

: صحيح 643/4 ، وقال الترمذى : حديث صحيح ، ومعنى قولها شطر : تعني شيئا .

2. أخرجه مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب برقم (2581) 1997/4 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة برقم (2836) 2181/4 .

جسمه فيم أبلاه ؟ " (1) .

[3] - وقد يراد بالفناء انشار الشئ وتشتته ، كما روى عن جبير بن حية قال : " بعث عمر الناس في أفناء الأمصار ، يقاتلون المشركين " (2) .

وعن أبي مالك الأشعري ، أن رسول الله ﷺ قال : " يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن لله عز وجل عبادا ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله .. هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا " (3) .

[4] - وقد يراد بالفناء بكسر الفاء المتسع من الدار ، نحو ما روى عن أبي هريرة ، قال : " خرج النبي ﷺ في طائفة النهار ، لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع ، فجلس بفناء بيت فاطمة ، فقال : أثم لكع ؟ أثم لكع ؟ فحبسته شيئا ، فظننت أنها تلبسه سخابا أو تغسله ، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله ، وقال : اللهم أحبيه وأحب من يحبه " (4) .

---

1. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (2417) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 612/4 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجزية والموادعة برقم (3160) 298/6 .

3. حسن الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (22399) واللفظ له وابن ماجه في كتاب الطهارة برقم (417) 1/144 .

4. أخرجه البخارى في كتاب البيوع برقم (2122) 4/397 .

## - الفناء فى الاصطلاح الصوفى :

الفناء فى الاصطلاح الصوفى على معنى زوال الأوصاف المذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة<sup>(1)</sup> ، وفناء رؤيا الأعمال بقاء رؤيا العبد ، لقيام الحق للعبد بذلك ، وكذلك فناء الجهل بالعلم ، وفناء الغفلة بالذكر<sup>(2)</sup> ، وهذه المعانى إلى هذا الحد لها أصول قرآنية ونبوية .

يروى عن إبراهيم بن شيبان (ت:330هـ) أنه قال : ( علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوجدانية وصحة العبودية ، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة<sup>(3)</sup> .

وقال أبو بكر الكلاباذى (ت:380هـ) : ( الفناء هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له فى شئ من ذلك حظ ، ويسقط عنه التمييز ، فناء عن الأشياء كلها ، وشغلا بما فى به ، والحق يتولى تصريفه ، فيصرفه فى وظائفه وموافقاته فيكون محفوظا فيما لله عليه ، مأخوذا عما له ، وعن جميع المخالفات ، فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة ، والبقاء الذى يعقبه ، هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله (4) .

---

1. انظر مصطلح البقاء ص 300 .

2. اللمع ص 543 .

3. طبقات الصوفية ص 404 .

4. التعرف ص 123 .

وقال على بن عثمان الهجویری (ت:465هـ) : ( اعلم أن الفناء والبقاء لهما معنى عامى وآخر صوفى ، وأن أهل الظاهر أشد حيرة فى هاتين الكلمتين من كل اصطلاحات الصوفية ، فالبقاء اشتقاقا وعلماء على ثلاثة معان :

أ- بقاء يتدئ من الفناء ، وينتهى فى الفناء ، وذلك هو بقاء هذه الدار التى لها أول وآخر ، وهى قائمة وقتنا هذا .

ب- البقاء الذى صار له وجود ، وليس له فناء ، وهو بقاء الجنة والنار والدار الآخرة وأهلها .

ح- بقاء كان كما كان ، وهو على ما هو عليه كان ، وذلك بقاؤه سبحانه وتعالى ، وبقاء صفاته القديمة ، والمراد من بقاءه دوام وجوده تعالى الله عما يقول الظالمون ، لا يشاركه أحد فى أوصافه ، لذلك فمعرفة الفناء مخصوصة بمعرفتك بفناء هذه الدنيا ، ومعرفة البقاء بمعرفة دوام الدار الآخرة ، وذلك لقوله تعالى : { وَلِآخِرَةٍ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الأعلى/17] وأبقى هنا مبالغة ذلك ، أن بقاء عمر الدنيا ليس فى فنائها ، أما بقاء الحال وفنائها يعنى مثلا ، أنه إذا فنى الجهل ، لزم بقاء المعرفة ، وإذا فنيت المعاصى لزم

بقاء الطاعة ، وإذا توصل الإنسان إلى معرفة تقواه ، ففيت غفلته  
(1) .

ويذكر أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) أن القوم أشاروا بالفناء

إلى —

1. كشف المحجوب ص 290 .

سقوط الوصاف المذمومة ، وقيام الأوصاف المحمودة ، فمن ترك  
مذموم أفعاله بلسان الشريعة ، يقال : إنه فنى عن شهواته ، فإذا فنى  
عن شهواته ، بقى بنيته وإخلاصه فى عبوديته ، ومن زهد فى دنياه  
بقلبه ، فنى فى رغبته ، فإذا فنى عن رغبته فيها ، بقى بصدق إنابته ،  
ومن عالج أخلاقه ، فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح  
والغضب والكبر ، وأمثال هذا من رعونات النفس يقال فى عرفهم  
: فنى عن سوء الخلق ، فإذا فنى عن سوء الخلق ، بقى بالصدق فى  
ضدها (1) .

وقال أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) : ( الفناء فناء المعاصى ،  
ويكون فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى عن ذلك ) (2) ، وقال  
الشيخ عبد القادر الجيلانى (ت:561هـ) : ( افن عن الخلق بإذن الله  
تعالى ، وعن هواك بأمر الله تعالى ، وعن إرادتك بفعل الله تعالى ،  
وحيث تصلىح أن تكون وعاء لعلم الله تعالى ، فعلامه فنائك عن  
خلق الله تعالى ، انقطاعك عنهم وعن التردد إليهم واليأس مما فى

أيديهم ، وعلامة فنائك عن هواك ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع ودفع الضرر ، تكل ذلك كله إلى الله تعالى ، وعلامة فنائك عن إرادتك بفعل الله أنك لا تريد مرادا قط ، ولا يكون لك غرض ، ولا يبقى لك حاجة ولا مرام ، فتفنى عن أخلاق البشرية (3)

---

1. الرسالة القشيرية 228/1، ص 229 .

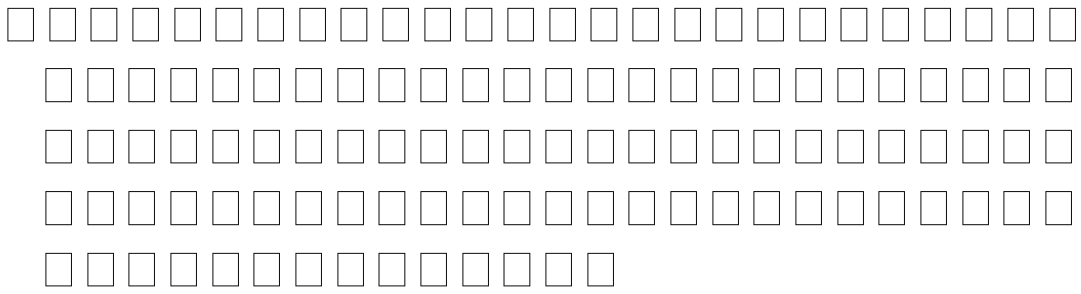
2. الإملاء ص 66 . 3. فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني ص 12 .

ويعرف السهروردي (ت:632هـ) الفناء بقوله : ( أن يفنى عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ ، بل يفنى عن الأشياء كلها شغلا بمن فنى فيه ، وقيل الفناء هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل ) (1) .

ويقول ابن عربي (ت:638هـ) : ( الفناء أن تفنى الخصال المذمومة عن الرجل ، والبقاء أن تبقى وتثبت الخصال المحمودة في الرجل ، فالسالكون يتفاوتون في الفناء والبقاء ، فبعضهم فنى عن شهوته يعنى ما يشتهي من الدنيا فإذا فنى شهوته بقيت فيه نيته ، وإخلاصه في عبوديته ، ومن فنى عن أخلاقه الذميمة كالحسد والكبر والبغض وغير ذلك ، بقى في الفتوة والصدق ) (2) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن عربي يتكلم هنا بلسان عوام الصوفية  
وخطاب أهل الظاهر ، لكن فلسفته في وحدة الوجود لها مع الفناء  
أمر مختلف .

1. عوارف المعارف ص520 ، وانظر في الفناء أيضا : معالم الفكر العربي ، كمال اليازجي طبعة  
دار العلم للملايين بيروت ص272 وما بعدها ، نشأة التصوف الإسلامي للدكتور إبراهيم  
بسيوني ، طبعة دار المعارف بمصر ص147، 157 التصوف الإسلامي الخالص ، محمود أبو الفيض  
المنوفى ، طبعة دار النهضة بمصر ص158Y161 وفي التصوف الإسلامي نيكلسون ترجمة  
عفيفى ص33 وانظر أيضا :



2. كتاب الإرشاد ، مخطوط الأحمديّة حلب رقم 797 ، ورقة 148 ب ، وانظر الفتوحات 515/2 .

ويذكر عبد الرزاق الكاشاني ، أن الفناء هو الزوال والاضمحلال  
كما أن البقاء ضده ، والطائفة يجعلون الفناء على مراتب (1) :

(1- الفناء عن الشهوة : يعنى بها سقوط الأوصاف المذمومة ، ما  
دامت النفس متصفة بها ، فهي النفس الأمانة أى بالسوء ، فإذا  
أخذ العبد في مجاهدة نفسه بنفى سفساف أخلاقها ، ومواظبته  
على تركية أعمالها فإنه ما دامت هذه الحالة فنفسه لوامه ، لأنه  
لو لم يكن في قلبه بقية لما أحتاج إلى المجاهدة ، وهذا هو الذى



يقال له الفانى عن شهوته ، وذلك لأنه ترك مذموم الأفعال بجوارحه امثالاً لأمر الشريعة ، إلا أن قلبه بعد ينازعه إليها ، لكونه لم يستقم بعد على الطريقة لتصفو أخلاقه الباطنة .

(2- فناء الراغب : وهو الذى يفنى عن شهوته بجوارحه ويزيد مع ذلك فيها بقلبه ، لتحقيقه بالاستقامة على أحكام الطريقة وهذا ذو النفس المطمئنة .

(3- الفانى برغبته : وهو الذى ترك لذة شهوته بجوارحه، ثم رغب عنها بقلبه أيضا .

(4- فناء المتحقق بالحق : وهو المشتغل بالحق عن الخلق ، ومثل هذا لا يعد راغبا عن شئ إلشئ ، لأن الحق لا يسع معه سواه ، فلهذا سمي هذا الشخص بالفانى بالحق عما سواه .

---

1. لطائف الإعلام 217/2:221 .

(5- فناء أهل الوجد : هو فناء من فنى بالحق ، لكنه سمي فناؤه بفناء الوجد لكون الوجد هو سبب فنائه ، وذلك هو الذى تكون نفسه موجودة والخلق موجودين ، إلا أنه لا علم له بهم ، ولا نفسه ولا إحساس ولا خبر ، ويكون ذلك لاستهلاكه فى حضرات القرب ، فهو لا يسعه إدراكه لنفسه ، فضلا عن غيره

من العالمين ، ومثاله من دخل على ذى سلطان عظيم ، فأذهله عن نفسه ، وعن أهل مجلسه ، بل وربما أذهله استعظام ذلك العظيم عن رؤيته له ، بحيث إذا خرج من عنده ، لم يمكنه استثبات شئ مما كان فى ذلك المجلس ، حتى لو سئل عن هيئة المجلس وملابس أهله وترتيبهم فيه ، لم يدر ما يقول ، وكثيرا ما يقع مثل هذا قال تعالى : { فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } [يوسف/31] ، فإذا كن لم يجدن عند مشاهدة جمال يوسف ، ألم قطع الأيدى ، وهو جمال صورة مقيدة بتعين جزئى من تعينات مطلق الجمال ، فما شأنك بمن شاهد كمال صورة الجمال المطلق عن الإطلاق والتقليد ، فبالأولى أن لا يجد مع شهوده غيره ، فإن من استولى عليه سلطان الحقيقة ، لم يتسع معها أن يشهد من الأغيار لا عينا ولا أثرا ولا رسما ولا طللا ، وهذا هو الذى فى عن الخلق ، ببقائه بالحق فىرى كل ما سوى الله بالله لا بغيره .

(6) - فناء صاحب الوجود : هو أيضا فناء من فى بالحق وهو ما عرفته إلا أنه خص ههنا بهذا الاسم ، لكونه ممن يجد نفسه وغيره من الخلق ، لكنه لا يرى لهم وجودا ، إنما يرى الوجود الحق لله وحده ، وأول مراتب هذا الفناء .

(7- فناء رؤية العبد لفعله : لقيامه بالله على ذلك ، ثم يرتقى منه إلى فناء رؤيته لذاته لقيام الله عليها ، فنهاية إنتهاء السائرين في منزلة الفناء هو الوصول إلى إزالة قيد التقييد بحكم شئ من التجليات الظاهرية والباطنية .

(8- فناء الفناء : هو الفناء عن شهود هذا الفناء ، وقد يراد بفناء الفناء البقاء الثانى ، لأنه هو المقام الذى بعد الفناء ، فهذا المعنى هو فناء الفناء لا محالة .

(9- فناء الوجود فى الوجود : ويقال فناء الشهود فى الشهود ، ويقال اتصال الوجود ومعناه ، فناء اسم الموجود فى الوجود الحق ، فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وهذا إنما يكون بعد الفناء عن الفناء ، كما قالوا :

فنيت عن الفناء وعن فنائى : فناء فى وجودك عن

وجودى

أو قال : فناء فى شهودك عن شهودى .

\*\*\*\*\*

## 103 - القرب

\*\*\*\*\*

- القرب : القرب والبعد يتقابلان ويستعملان فى عدة أمور (1) :

أ- قرب المكان نحو قوله تعالى : { فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ  
فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ —————

1. لسان العرب 662/1 ، المفردات ص 399 ، كتاب العين 152/5 .

قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ { [الذاريات/26:27] ، قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ  
فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } [التوبة/28] ، وقوله في  
الكناية عن الجماع : { وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ } [البقرة/222] ، وعن  
عبيد الله بن عبد الله τ : " أن رسول الله ع أمر بفأرة ماتت في سمن  
، فأمر بما قرب منها فطرح ثم أكل " (1) ، وعن أنس τ قال : " أراد  
بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد فكره رسول الله ع أن تعرى  
المدينة وقال : يا بني سلمة ألا تحتسبون آثاركم فأقاموا " (2) .

ب- قرب الزمان نحو قوله تعالى : { يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ  
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ {  
[إبراهيم/44] وقوله سبحانه : { وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ {  
[الأنبياء/109] ، وعن أبي هريرة τ قال رسول الله ع : " إذا قرب الزمان لم  
تكذب رؤيا المؤمن تكذب ، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا ، ورؤيا  
المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " (3) وعن أنس بن مالك  
τ ، قال : " نظرنا رسول الله ع ليلة ، حتى كان قريب من نصف الليل  
، ثم جاء فصلى ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فكأنما أنظر إلى وبيص  
خاتمه في يده من فضة " (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الذبائح برقم (5539) 515/9 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1887) 118/4 .
3. أخرجه ابن ماجة فى تعبير الرؤيا برقم (3917) وقال الألبانى : صحيح 1289/2 .
4. أخرجه مسلم فى كتاب المساجد برقم (640) 443/1 .

ح- قرب النسب ، نحو قوله تعالى : { لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا } [النساء/7] ، وعن ابن عمر  $\tau$  ، أن عمر  $\tau$  وجد مالا بخير ، فأتى النبي  $\varepsilon$  فأخبره ، قال : " إن شئت تصدقت بها ، فتصدق بها فى الفقراء والمساكين ، وذى القربى والضيف " (1) .

وقالت امرأة شابة لعمر بن الخطاب  $\tau$  : " يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صببية صغارا ، والله ما ينضجون كراعا ، ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع ، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري ، وقد شهد أبي الحديدية مع النبي  $\varepsilon$  ، فوقف معها عمر ولم يمض ، ثم قال : مرحبا بنسب قريب ، ثم انصرف إلى بعير ظهير ، كان مربوطا فى الدار ، فحمل عليه غرارتين مלאهما طعاما ، وحمل بينهما نفقة ، وثيابا ثمناولها بخطامه ، ثم قال : اقتاديه فلن يفنى حتى يأتىكم الله بخير " (2) .

د- قرب الحظوة والمنزلة ، نحو قوله تعالى : { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ } [الواقعة/88:89] { وَجَاءَ السَّحَرَةُ

فَرَعُونَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } [الأعراف/113:114] ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " "

من بدا جفا ، ومن اتبع الصيد غفل —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا برقم (2773) 469/5 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4161) 510/7 .

ومن أتى أبواب السلطان افتتن ، وما ازداد عبد من السلطان قربا ، إلا ازداد من الله بعدا " (1) وعنه أيضا  $\tau$  قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " (2) .

هـ- القرب والبعد فى تردد الخواطر ، ومثاله ما روى عن عبد الله بن مسعود  $\tau$  قال : " كنا نسلم على النبي  $\varepsilon$  ، فيرد علينا السلام ، حتى قدمنا من أرض الحبشة ، فسلمت عليه فلم يرد علي ، فأخذني ما قرب وما بعد ، فجلست حتى إذا قضى الصلاة قال : إن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء ، وإنه قد أحدث من أمره أن لا يتكلم فى الصلاة " (3) .

### - القرب فى الاصطلاح الصوفى :

القرب فى الاصطلاح الصوفى عبارة عن الإقامة على الموافقة لأوامر الله والطاعة والاتصاف فى دوام الأوقات بعبادته ، إلا أنه لا يعد من

أهل القرب من وقف مع رؤية قربه ، لأن رؤية الرب حجاب عن القرب ، فمن شاهد لنفسه —

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (8619) واللفظ له ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصيد برقم (2860) 111/3 .

2. أخرجه البخارى في كتاب الرقاق برقم (6502) 348/11 .

3. أخرجه النسائي في كتاب السهو برقم (1221) وقال الشيخ الألباني رحمه الله : حسن صحيح . 19/3 .

محلا فهو مذكور به (1) ، روى عن أحمد ابن خضويه (ت:240هـ) : ( أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خلقا ) (2) ، وروى عن أبي القاسم الجنيد (ت:297هـ) أنه قال : ( واعلم أنه يقرب من قلوب عباده ، عله حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه ، فانظر ماذا يقرب من قلبك ؟ ) (3) .

ويذكر أبو بكر الكلاباذي (ت:380هـ) أن القرب أن يتذلل لربه بالطاعة لقوله عز وجل : { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } [العلق/19] (4) ، وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : ( وطائفة غلظت في القرب والانبساط ، فتوهمت أن بينهم وبين الله حالة من القرب والذنو ، فاحتشمهم عند ذلك التوهم بالرجوع إلى الآداب التي كانوا يراعونها ، والحدود التي كانوا يحافظون عليها ، وانبسطوا إلى ما كانوا عليه محتشمين ، وتوهموا أن ذلك من قربهم وذنوهم وغلظوا ، فإن الآداب

والأحكام خلع من الله على عبیده ، فمن زاد عليها حفظا ولها حرصا

1. لطائف الإعلام 229/2 ، وانظر أيضا روضة الطالبين لأبي حامد الغزالي ص59 وله أيضا ميزان العمل ص169 ، وانظر كتاب المواقف للنفرى ص2 وما بعدها ، وانظر أيضا الفتوحات المكية 14/2 ، 173/2 ، 22/4 ، والرسالة الغوثية لابن عربي ورقة 80أ ، وترجمان الأشواق ص125 .

2. طبقات الصوفية ص106 .

3. اللمع ص84:85 .

4. التعرف ص107 .

فهو من الله سبحانه في عين الرعاية والقرب ، ومن زال عنه شئ من ذلك بما يظنه قرب إلى الحق ، فهو بعد منه والعياذ بالله (1) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( أول رتبة في القرب ، القرب من طاعته ، والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته ، قال ع : مخبرا عن الحق سبحانه : " ما تقرب إلى المقربون ، أداء ما فرضت عليهم ، ولا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى يحبني وأحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ، فبي يسمع وبى يبصر " (2) ، فقرب العبد أولا قرب بإيمانه وتصديقه ، ثم قرب بإحسانه وتحقيقه ، وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان ، وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان ، وفيما بين ذلك بوجوده اللطف والامتنان ، ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق ، وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون ، فقرب الحق سبحانه بالعلم



والقدرة علم للكافة ، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ، ثم  
بخصائص التأنيس مختص بالأولياء ) (3) .

1. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص192 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) عن أبى هريرة ؓ بلفظ : " وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " .  
3. الرسالة 257/1 .

\*\*\*\*\*

## 104 - القلب

\*\*\*\*\*

- **القلب** : يعبر بالقلب عن المضغة التي تنبض بالدم فى صدر الإنسان ، عن أبى موسى الأشعري ؓ ، قال رسول الله ﷺ : " إنما سمي القلب من قلبه ، إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة فى أصل شجرة ، يقلبها الريح ظهرها لبطن " (1) والقلب له جانبان :

الأول : جانب محسوس يتبع البدن ، ويتصف بالصحة والسلامة والمرض وبموته يموت الإنسان ، فعن أنس بن مالك ؓ : " أن رسول الله ﷺ ، أتاه جبريل ﷺ ، وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء

زمزم ، ثم لأمه ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ،  
يعني ظئره ، فقالوا : إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون  
قال أنس : وقد كنت أرتي أثر ذلك المخيط في صدره " (2) .

الثاني : جانب غيبي يتبع الروح ويلابس المحسوس ، ويتصف

### \_\_\_\_\_ بالصحة

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (27859) واللفظ له ، وابن ماجه في المقدمة برقم (88) وهو صحيح

من طريق سعيد بن اياس عن غنيم بن قيس عن عبد الله بن قيس .

2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (162) 147/1.

والسلامة والمرض ، وبموته لا يموت الإنسان ، وهو المقصود في  
الكتاب والسنة قال الله تعالى : { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا  
مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء/89] ، ومعلوم أن السلامة لا تعني  
سلامة الجانب المحسوس ، وقال تعالى عن المنافقين : { فِي قُلُوبِهِمْ  
مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } [البقرة/10] ، ومما ورد في السنة عن عائشة  
رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال لها : " يا عائشة إن عيني تنامان  
، ولا ينام قلبي " (1) وعن أبي هريرة ر ، قال رسول الله ﷺ : " لا  
تكثرُوا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب " (2) .

وعن أبي سعيد الخدري ر ، قال رسول الله ﷺ : " القلوب أربعة ،  
قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ،  
وقلب منكوس وقلب مصفح ، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن  
سراجُه فيه نوره ، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر ، وأما القلب

المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها القيح والدم ، فأى المديتين غلبت على الأخرى غلبت عليه " (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب صلاة التراويح برقم (2013) 295/4 .

2. أخرجه ابن ماجة فى الزهد برقم (4193) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 1403/2 .

3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (10745) ، والحديث فيه اللبث بن أبى سلم بن زين وهو صدوق .

وعن أبى هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " العين تزني ، والقلب يزني ، فزنا العين النظر ، وزنا القلب التمني ، والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه " (1) .

وعن أنس  $\tau$  قال : كان رسول الله  $\varepsilon$  يكثّر أن يقول : " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت : يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ ، قال : نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله ، يقلبها كيف يشاء " (2) ، وعن ابن عمر  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب ، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي " (3) .

والقلب يقوم بوظيفتين :

أ- العلم والتميز لأنه يحوى العقل ، لقوله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي  
الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا  
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } [الحج/46]  
وقوله سبحانه : { أَفَلَا —

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (8156) واللفظ له ، وأخرجه الإمام البخارى في كتاب الاستئذان برقم  
(6243) .

2. أخرجه الترمذى في كتاب القدر برقم (2140) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 448/4 .

3. أخرجه الترمذى في كتاب الزهد برقم (2411) وقال الألبانى : ضعيف 607/4 وقال الترمذى  
حسن غريب .

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } [محمد/24] .

ب - الإرادة وجميع أعمال القلوب ، كاليقين والإخلاص والصدق  
والحبة والخوف والرجاء والخشوع والخشية والإنابة والحزن ، وغير ذلك  
من معانى الإيمان أو ضدها ، كقوله تعالى : { لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ  
فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ }  
[البقرة/225] .

ومما ورد في السنة ، ما روى عن عبد الله بن عمرو  $\tau$  ، قال كان  
رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع " (1) ،  
وعن أنس بن مالك  $\tau$  قال  $\varepsilon$  : " إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا  
نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " (2) ، وعن  
النعمان بن بشير  $\tau$  ، قال سمعت رسول الله  $\varepsilon$  ، يقول : " ألا وإن في  
الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد

الجسد كله ألا وهي القلب " (3) ، وعن عبد الله بن عمرو ، قال :  
" قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب ،  
صدوق اللسان ، قالوا : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟  
، قال : هو التقي النقي ، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد " (4)

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (3482) وقال الألبانى : صحيح 519/5 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز رقم (1303) 206/3 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان رقم (52) 153/1 .
4. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4216) وقال الألبانى : صحيح 1409/2 .

### - القلب فى الاصطلاح الصوفى :

القلب فى الاصطلاح الصوفى محل الأوصاف الحميدة ، ومحل  
العرفان والمشاهدة ، وهو أداة التفكير ، وبصلاحه يكون صلاح  
البدن ، وهو لطيفة ربانية روحانية ، لها تعلق بالقلب الجسمانى ، وهى  
المراد من القلب حيث وقع فى القرآن أو السنة .

ومن كلامهم عن القلب ، ما ثبت عن الحارث المحاسبى  
(ت:243هـ) أنه قال : ( فرض القلب بعد الإيمان والتوبة ، إخلاص  
العمل لله ، واعتقاد حسن الظن عند الشبه والثقة بالله والخوف من  
عذابه والرجاء لفضله ) (1) .

ويذكر أيضا أن القلب مثل بيت له ستة أبواب ، والعبد يجب عليه الحذر ألا يدخل عليه من أحد هذه الأبواب شئ فيفسد عليه البيت ، والأبواب العينان واللسان والسمع والبصر واليدان والرجلان ، فمتى انفتح باب من هذه الأبواب بغير علم ضاع البيت ( 2) .

ويبين سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) ، كيف يريد الله تعالى سلامة عبد أشرف على الهلاك والبعد ، بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له فيقول : ( فيطهر القلب عند الابتلاء ، ويهدى النفس بنور إيمانه إلى الله تعالى ويسر الالتجاء إليه ، ويخفى التوكل عليه ، عائدا لاإذا مخلصا له ، فهناك توكل —

1. رسالة المسترشدين ص114 .

2. السابق ص115 .

عليه فكان حسبه ، وعندها فوض الأمر إليه ، فوقاه الله مكر عدوه ، وجعل له مخرجا ونجاة ، فينظر الله تعالى إلى القلب نظرة تحمد النفس ، وتمحق الهمة وتخنس العدو لسقوط مكانه ، وتذهب لخنوسه شدة سلطانه فيصفوا القلب بقوة القهار العزيز الجبار ، فيخاف العبد مقام الرب ، ويفزع من الخطيئة ويهرب منها ويستغفر الله ويتوب ( 1) .

ويروى عن عبد الله بن خبيق الأنطاكي (ت:بعد300هـ) قال : ( خلق الله القلوب مساكن للذكر ، فصارت مساكن للشهوات ، ولا يحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق ( 2) .

ويذكر الحكيم الترمذى (ت:320هـ) أن الحكماء عن تدبير الله يتذكرون كيف دبر شأن الآدميين ؟ ، وكيف ركبهم ؟ ، ومن أين استخرجهم ؟ ، وأين وضعهم ؟ ، وإلى أين دعاهم ؟ ، فينشرون ممن الله ، ويشيعون نعمه لديهم ويصفون تركيب أجسادهم ومكامن العدو منها ، وسلطان الشهوات فيها ويمرون بين أعمال القلوب ، وأعمال النفوس وجذع العدو ، فإن للنفس وسواسا يدق في جنبه وسواس العدو ، ويصفون شأن الدارين ، وانقسام هذه الدار على الدار الآخرة ، ويصفون الإرادة ، ويعرفون المرادين مكامن النفس لإفساد العطايا الواردة على السالكين بذلك الطريق إلى الله ، فإن التقوى في هذا

---

1. قوت القلوب 1 / 124 وانظر من التراث الصوفي ص 174 ملخصا .

2. طبقات الصوفية ص 144 .

الطريق أصعب وأدق ، وأغمض وأعظم مؤنة ، من التقوى في طريق الشريعة لأن طريق الشريعة على الجوارح ، وهذا الطريق بالقلوب في ممرها على النفوس فيحتاج إلى أن يسلك بعمل القلب على شهوات النفس بالحراسة العظيمة والاستعانة بالله ، حتى يسلم ذلك العمل الذى نهض في القلب ، من آفة النفس فيخرج إلى الجوارح سليما ،

يصعد إلى الله سليما من آفاتهما (1) ، ويذكر الترمذى بعض الحقائق المتعلقة بالقلب منها :

1- أن اسم القلب اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها ، وفي الباطن مواضع ، منها ما هي من خارج القلب ، ومنها ما هي من داخل القلب فأشبه اسم القلب اسم العين ، إذ العين اسم يجمع ما بين الشفيرتين ، من البياض والسواد ، والحدقة والنور الذى فى الحدقة ، وكل واحد من هذه الأشياء له حكم على حدة ، ومعنى غير معنى صاحبه ، إلا أن بعضها معاونة لبعض ومنافع بعضها متصلة ببعض ، وكل ما هو خارج فهو أساس الذى يليه من الداخل وقوام النور بقوامهن (2) .

---

1. أنواع العلوم ص27 ب للحكيم الترمذى مخطوط مكتبة ولى الدين رقم 770 .

2. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب للحكيم الترمذى ، تحقيق الدكتور نقولا هير ، نشر مكتبة اللكليات الأزهرية ص 3 .

2- أن القلب إنما سمي قلبا لسرعة تقلبه (1) ، وقال رسول الله ﷺ :  
( إنما مثل القلب كمثل ريشة فى الفلاة من الأرض ) (2) ،  
فأخبر عليه الصلاة والسلام طرفا من قدرة الله ، وشيئا من لطفه  
لعبدته ، بتثبيت قلبه على الإيمان ، وإرسائه على الحق بسرعة  
تقلبه ، كيلا يرتفع عن الهدى بحول الله وقوته ، فالعاقل من لا



يضيف فعل القلب إلى نفسه ، إلا على مقدار ما يليق بالعبودية ، ويسكت عما لا يعنيه ، فإن له من وراء ذلك اشتغالا عن الفضول بما لا يعنيه ، ومن انهدام بناء توحيده وأساس إيمانه وأرض معرفته فمن غيره بينه ؟ (3) .

(3) - أن العمى والبصر يضاف إلى القلب ، ولا يضاف إلى الصدر ، قال الله تعالى : { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }

1. طرف من حديث ، أخرجه أحمد في المسند برقم (27859) ولفظه : ( إنما سمي القلب من تقلبه إنما مثل القلب كمثل ريشة معلقة في أصل شجرة يقلبها الريح ظهرًا لبطن ) .
2. أخرجه ابن ماجة في المقدمة برقم (88) وقال الشيخ الألباني : صحيح 34/1 عن أبي موسى الأشعري ؓ قال : " قال رسول الله ﷺ : مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة " وهو ضعيف من هذا الطريق لوجود يزيد بن إبان الرقاشي ، وهو منكر الحديث كما نص على ذلك أحمد بن حنبل .
3. السابق ص 66 .

[الحج/46] ، فالقلب هو معدن نور الإيمان قال الله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات/7] ، وقال : { إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } [النحل/106] ، والقلب هو معدن التقوى والسكينة والوجل والإخبات واللين ، والطمأنينة والخشوع والتمحيص والطهارة ، قال الله تعالى : { وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا } [الفتح/26] ، وأشار

بالإلزام إلى قلوبهم وقال : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ  
 الْمُؤْمِنِينَ } [الفتح/4] ، وقال : { فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ  
 عَلَيْهِمْ } [الفتح/18] ، وقال في قصة الخليل ص : { وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ  
 قُلُوبِي } [البقرة/260] ، وقال : { وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا } [المائدة/113] وقال :  
 { أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى } [الحجرات/3] ، وأشار  
 رسول الله ﷺ بالتقوى إلى قلبه (1) ، وقال عز وجل : { قَالَ إِنَّمَا  
 يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } [المائدة/27] (2) .

(4- أصل التقوى في القلب ، وهى التقوى من الشك والشرك  
 ، والكفر ،

1. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (2564) 1986/4 ، عن أبي هريرة ر بلفظ : " قال  
 رسول الله ﷺ : لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا .. التقوى هاهنا ويشير إلى صدره  
 ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله  
 وعرضه " .
2. السابق ص 47 ، ص 53 .

والنفاق والرياء ، وقال سبحانه في الطهارة : { ذَلِكَمُ أَطْهَرُ  
 لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } [الأحزاب/53] ، وقال أيضا : { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ  
 يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ } [المائدة/41] ، وقال تعالى : { وَلِيُمَحِّصَ  
 مَا فِي قُلُوبِكُمْ } [آل عمران/154] ، وفي الوجع : { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا  
 آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ } [المؤمنون/60] ، وقال تعالى : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } [الأنفال/2] وقال في الإخبات :  
 { فَتُخِبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ } [الحج/54] وقال في اللين : { ثُمَّ تَلِينُ  
 جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } [الزمر/23] وقال في عدم الفقه : {  
 لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا } [الأعراف/179] وقال في الخشوع : { أَلَمْ  
 يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ }  
 [الحديد/16] وقال أهل التفسير : إن معنى الخشوع الخوف الدائم في  
 القلب (1) .

5- أن مدار تأكيد وجوب الثواب والعقاب بالقلب ، وفعله  
 بالنفس تبعه قال الله تعالى : { لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي  
 أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } [البقرة/225] ، وإنما  
 هذا في أحكام الآخرة وأما حكم الدنيا فالنفس تؤاخذ في أفعالها  
 ، وأما فيما بين العبد وبين ربه فإن الحكم بما في القلب ، قال الله  
 تعالى في شأن عمار بن ياسر : { إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ  
 مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } [النحل/106] فبين الله عذره أنه لم يضره

1. السابق ص 55 .

ذلك لطمأنينة قلبه على صدق الإيمان (1) .

6- أن صلاح القلب في الأحزان والهموم ، ودواؤه بمداومة الذكر  
 لله تعالى وفساده من أفراح الدنيا ، وسرور أحوال النفس ، ودواؤه

إعراضه عن ذكر الله عز وجل وإقباله على ما يلهيه عن ذكر الله تعالى (2) .

ويذكر الكاشاني أن القلب عند الطائفة ، عبارة عن صورة العدالة الحاصلة للروح الروحاني في أخلاقه ، بحيث يصير فيها على حافة الوسط ، بلا ميل إلى الإطراف ، ثم يذكر فيما يتعلق بالقلب :

1- قلب الجمع والوجود : ويقصدون به الإنسان الحقيقي ، صاحب الصورة البرزخية الكبرى .

2- قلب القلب : أو قلب قلب الجمع والوجود ، ويعنى به البرزخية الجامعة بين الوجود والإمكان ، أو الإنسان الكامل الذى من مرتبته يصل فيض الحق ، والمدد الذى هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله علوا وسفلا ، ولولاه من حيث برزخيته التى لا تغاير الطرفين ، لما قبل شئ من العالم المدد الإلهى الوجداني ، لعدم المناسبة والارتباط بين الحق والخلق بدون وسطيته (3) .

---

1. السابق ص 57 و 58 .

2. آداب المريدين وبيان الكسب للحكيم الترمذى ص 36 .

3. لطائف الإعلام 2/235:236 وانظر فى مصطلح القلب عند محى الدين بن عربى =

\*\*\*\*\*

- **الكبر** : الكبر والتكبر والاستكبار تتقارب ، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه ، وذلك بأن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظم الكبر ، التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة والاستكبار يقال على وجهين (1) :  
أحدهما : أن يسعى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا ، فإذا كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب ، وفي الوقت الذي يجب فمحمود ، كقوله تعالى عن يوسف : { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف/55] وعن أبي هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " بينما امرأة فيمن كان قبلكم ، ترضع ابنا لها إذ مر بها فارس متكبر عليه شارة حسنة ، فقالت المرأة : اللهم لا تمت ابني هذا حتى أراه مثل هذا الفارس على مثل هذا الفرس ، قال : فترك الصبي الثدي ثم قال : اللهم لا تجعلني مثل هذا الفارس ثم عاد إلى الثدي يرضع " (2) .

---

= الفتوحات المكية 155/2 ، 25/4 ، وترجمان الأشواق ص43 ، والديوان ص30 وفصوص الحكم 128/1 ، مواقع النجوم ص100 .

1. لسان العرب 125/5 ، كتاب العين 361/5 ، المفردات ص421:422 .
2. أخرجه أحمد في المسند برقم (8890) واللفظ له ، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3436) .

الثاني : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له ، ويتمنع من قبول الحق والإذعان له ، وهذا هو المذموم الذي أشار إليه الحق بقوله : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقرة/34] وقوله : { وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } [إبراهيم/21] ، وقوله : { إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ } [الأعراف/40] ، قابل المستكبرين بالضعفاء ، تنبيها أن استكبارهم كان بما لهم من القوة من البدن والمال وغير ذلك ، وعن حارثة بن وهب الخزاعي  $\pi$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " ألا أخبركم بأهل الجنة ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، أَلَا أَخْبِرْكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ، كُلُّ عُتْلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ " (1) .

وعن سلمة بن الأكوع  $\pi$  ، أن رجلا أكل عند رسول الله  $\varepsilon$  بشماله فقال  $\varepsilon$  : " كل بيمينك ، قال : لا أستطيع ، قال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر ، قال : فما رفعها إلى فيه " (2) .

والتكبر يقال على وجهين :

أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة ، وزائدة على محاسن غيره ، وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر ، كقوله تعالى : { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا —

1. أخرجه مسلم في كتاب الجنة برقم (2853) 219/4 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الأشربة برقم (2021) 1599/3 .

إِلَهُ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ { [الحشر/23] .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " قال الله عز وجل :  
الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في  
النار " (1) .

وعن عبد الله بن قيس  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " جنتان من  
فضة آنتيهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب آنتيهما وما فيهما ، وما  
بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم ، إلا رداء الكبر على وجهه في جنة  
عدن " (2) ، ومن وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود ، لقوله  
تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }  
[الأعراف/146] ، فمن ترفع على الكفار واستحقرهم بعزة الإيمان ،  
وتواضعه لله وحسن عبوديته ، فلا يدخل في المعنى الآية ، ومن السنة  
أيضا ، ما روى عن رافع بن خديج  $\tau$  : " أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَهْلٍ  
وَمُحْيِصَةَ بْنَ مَسْعُودٍ ، أَتِيَا خَيْبَرَ فَتَفَرَّقَا فِي النَّخْلِ ، فَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ  
بُنُ سَهْلٍ ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَحُوَيْصَةُ وَمُحْيِصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ  
إِلَى النَّبِيِّ  $\varepsilon$  فَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ صَاحِبِهِمْ ، فَبَدَأَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَكَانَ أَصْغَرَ

الْقَوْمَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : كَبِّرِ الْكُبْرَ ، لِيَلِيَ الْكَلَامَ الْأَكْبَرُ فَتَكَلَّمُوا فِي  
أَمْرِ صَاحِبِهِمْ " (3) .

1. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (2620) 2023/4 ، وأبو داود في كتاب اللباس برقم  
(4090) واللفظ له .

2. أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن برقم (4878) 491/8 .

3. أخرجه البخاري في كتاب الأدب برقم (6142) 552/10 .

الثاني : أن يكون متكلفا لذلك متشعبا ، وذلك في وصف  
عامّة الناس وهو مذموم ، نحو قوله تعالى : { فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ  
{ [الزمر/72] ، وقوله : { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ {  
[غافر/35] ، وعن ثوبان  $\tau$  قال رسول الله ﷺ : " من مات وهو بريء من  
ثلاث ، الكبر والغلول والدين دخل الجنة " (1) .

وعن عبد الله بن مسعود  $\tau$  ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا  
يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن  
الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل  
يجب الجمال ، الكبر بطن الحق وغمط الناس " (2) .

## - الكبر في الاصطلاح الصوفي :

الكبر في الاصطلاح الصوفي التعظم ، وهو من عيوب النفس ،  
ومساوئ الإخلاق ، فإذا جهل العبد قدر نفسه ، عظم قدرها عنده  
، فتعظم على الخلق وأنف ، فالكبر هو التعظم ، وعنه يكون أخلاق



الكبر ، وأخلاق الكبر كلها تسمى كبرا ، وقد يكون عن الحقد والحسد والرياء والعجب ، إلا أن أوله في القلب استعظام القدر ، فإذا استعظم العبد قدره تعظم ، فإذا تعظم أنف وحمى —

1. أخرجه الترمذى في كتاب السير برقم (1572) وقال الألبانى : صحيح 138/4 وأخرجه الحاكم في المستدرک برقم (2217) 31/2 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (91) 93/1 .

وتعزز وافتخر ، واستطال ومرح واختال (1) .

روى عن حاتم الأصم (ت:237) أنه قال : ( أصل الطاعة ، ثلاثة أشياء الخوف والرجاء والحب ، وأصل المعصية ، ثلاثة أشياء ، الكبر والحرص والحسد ) (2) ، وقال الحارث المحاسبي (ت:243هـ) : ( إن الكبر عظيم الآفات ، عنه تشعب أكثر البليات ، يستوجب به من الله عز وجل سرعة العقوبة والغضب ، لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل ، ولا يليق ولا يصلح لمن دونه ، فكل من سواه عبد مملوك ، وهو المليك الإله القادر ، فعظم عند الله عز وجل الكبر ذنبا ، إذ كان لا يليق بغيره ، فإذا فعل العبد مالا يليق إلا بالمولى عز وجل اشتد غضب المولى تعالى عليه ، ألا ترى ما يروى أبو هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  أنه قال : إن الله عز وجل يقول : " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، فمن نازعني فيهما ، أدخلته نارى " (3) ، فيستحق المتكبر أن يقصمه الله عز وجل ويحقره ويصغره ، إذ جاز قدره وتعاطى مالا يصلح لمخلوق (4) ، ويذكر المحاسبي ، أن

الكبر يتشعب من العجب ، والحقد والحسد والرياء ، وهو على وجهين (5) :

1. الرعاية لحقوق الله ص301 بتصرف .
2. طبقات الصوفية ص95 .
3. حديث صحيح تقدم تخرجه ص 950 .
4. الرعاية لحقوق الله ص305 .
5. السابق ص306 .

أ- أحدهما : بين العباد وبين ربهم عز وجل ، وهو أعظم الكبر ، كقوله عز وجل : { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر/60] وقال : { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } [النساء/172] ، وقال : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا } [الفرقان/60] ، وقال سبحانه أيضا : { اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ } [فاطر/43] ومن ذلك استكبر إبليس على آدم ، حتى خرج به إلى المعاندة ، وترك السجود لطاعة ربه عز وجل ، وكذلك يروى عن النبي ﷺ : ( إن إبليس إذا رأى ابن آدم ساجدا ، قال يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد ، وأمرت أنا بالسجود فلم أسجد ) (1) ، وقد يجامع هذا الباب من الكبر بينه وبين ربه ، الرد على الرسل فيرد أمره ، ويعانده

ويخالفه في أمره ، فأنفوا أن يتبعوا الرسل عليهم السلام فيكونوا لهم أتباعا ، فعاندوا الله عز وجل في أمره ، وردوا كتابه ، وجحدوا حجته ، ومن ذلك قولهم : { فَقَالُوا أَنْوْمُنْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ } [المؤمنون/47] ، وقال تعالى : { وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ } [المؤمنون/34] ، فأنفوا أن يكونوا تبعاً لمن هو مثلهم في الخلقة ، وقالوا : { وَقَالَ —

1. الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (81) 87/1 عن أبي هريرة ؓ قال رسول الله ﷺ : " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان بيكي يقول يا ويله " وفي رواية أبي كريب : " يا ويلى أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار " .

الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا } [الفرقان/21] فقال الله عز وجل : { لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا } [الفرقان/21] .

ب- أما الوجه الآخر من الكبر ، فيكون بين العباد ، وهو التعظم عليهم وحقيقة التعظم عليهم ، خصلتان :

1- إحداها الحقرية لهم والأنفة منهم فهو ينظر إليهم بالازدراء والحقرية لهم .

2- والخصلة الثانية رد الحق عليهم ، أن يقبله منهم وهو يعلم أنه حق ، إن أمره بعضهم بخير أو نهاه عن منكر ، أو ناظره في دين الله ، فيرد الحق وهو يعلم ، كما قال الله عز وجل : { وَجَحَدُوا

بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا { [النمل/14] وقال سبحانه  
وتعالى : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ { [البقرة/89] .

ويذكر الحكيم الترمذى (ت:320هـ) أن كل علم تحمله  
النفس ويعيه الصدر ، فإن النفس تزداد به تكبرا وترفعا ، وتأبى قبول  
الحق ، وكلما ازدادت علما ازدادت حقدا على الإخوان ، وتماديا على  
الباطل والطغيان (1) .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت:412هـ) : ( من عيوب  
النفس طلب الرئاسة بالعلم والتكبر والافتخار به ، والمباهاة على أبناء  
جنسه ، ومداواتها في رؤية منة الله عليه ، في أن جعله وعاء لأحكامه  
، ورؤية تقصير شكره من نعمة الله عليه ، بالعلم والحكمة والتزام  
التواضع والانكسار ، والشفقة على الخلق —

1. بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص49 .

والنصيحة لهم ، فإنه روى عن النبي ﷺ ، أنه قال : " من طلب العلم  
ليباهى به العلماء ، أو ليمارى به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه  
الناس إليه ، فليتبوأ مقعده في النار " (1) ، ولذلك قال بعض السلف :  
( من ازداد علما فليزدد خشية ، فإن الله تعالى يقول : { إِنَّمَا يَخْشَى  
اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28] (2) .

وقال أبو حامد الغزالي (ت:505هـ) : ( اعلم أن الكبر ينقسم إلى  
باطن وظاهر ، فالباطن هو خلق في النفس ، والظاهر هو أعمال

تصدر عن الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن أحق ، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق ، وخلق الكبر موجب للأعمال ، ولذلك إذا ظهر على الجوارح ، يقال : تكبر ، وإذا لم يظهر ، يقال : فى نفسه كبر ، فالأصل هو الخلق الذى فى النفس ، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه ، فإن الكبر يستدعى متكبرا عليه ومتكبرا به ، وبه ينفصل الكبر عن العجب ، فإن العجب لا يستدعى غير المعجب ، بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده ، تصور أن يكون معجبا ، ولا يتصور أن يكون متكبرا ، إلا أن يكون مع غيره ، وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا (3) .

---

1. الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب العلم برقم (2578) عن كعب بن مالك ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من طلب العلم ليحاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار " وحسنه الألبانى 32/5 .

2. عيوب النفس ص 15 .

3. إحياء علوم الدين 334/3 .

\*\*\*\*\*

## 106 - الكـنـود

\*\*\*\*\*

- **الكنود** : الجحود ، يقال : أرض كنود إذ لم تنبت شيئاً وقوله تعالى  
: { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } [العاديات/6] أى كفور لنعمته ،  
قال مجاهد : الكنود الكفور (1) ، وروى عن ابن عباس رضى الله عنه  
أنه قال : الكنود العاصى بلسان كندة وحضرموت ، والكفور بلسان  
ربيعة ومضر ، والبخيل السئ الملكة بلسان كنانة (2) وروى عنه أيضا  
أنه قال : " هل تدرّون ما الكنود ؟ هو الكفور الذي ينزل وحده ،  
ويمنع رفته ، ويشبع بطنه ، ويجيع عبده ، ولا يعطي النائبة قومة " (3)

## - **الكنود فى الاصطلاح الصوفى :**

الكنود فى الاصطلاح الصوفى باق على أصوله القرآنية ، فيروى

عن ذى —

1. المفردات ص442 وانظر فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب التفسير ، سورة العاديات  
599/8 .

2. لطائف الإشارات 758/3 .

3. انظر الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني ،  
تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت سنة 1986م ، رقم  
(6981) 339/4 .

النون المصرى (ت:248هـ) : ( هو الذى إذا مسه الشر جزوع ،  
وإذا مسه الخير منوع ، يجزع من البلوى ، ويمنع الشكر على النعمى )  
(1) ، يشير بذلك إلى المعنى الذى فى قوله تعالى : { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ

هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ {  
[المعارج/20:22] .

ويذكر القشيري في معنى الكنود عدة معان تتفق مع المعنى القرآني  
في قوله تعالى : { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } [العاديات/6] وهى معان  
مقاربة (2) :

- 1- الكنود الكفور بنعمة الله .
  - 2- الكنود هو الذى يرى ماإليه من البلوى ، ولا يرى ما هو به من  
النعمة .
  - 3- الكنود هو الذى رأسه على وسادة النعمة ، وقلبه فى ميدان  
الغفلة .
  - 4- الكنود هو الذى ينسى النعم ويعد المصائب .
- ويقسم الكاشاني معنى الكنود عند الصوفية على ثلاثة أنواع (3) :
- الأول : الكنود فى الشريعة تارك الفرائض ، المخالف للأمر  
الواجب ، فهو كنود لكونه يتعدى فى فعله ما نهى الله عنه .
- الثانى : الكنود فى الطريقة تارك الفضائل ، فهو كنود لأنه مخالف  
للأمر الذى ندب إليه .

---

1. السابق 758/3 ، 759 .

2. السابق 759/3 .

الثالث : الكنود في الحقيقة من أراد شيئاً لم يردده الله تعالى وقوعه  
لأنه ينازع الله في مشيئته ، فلم يعرف حق نعمته .

\*\*\*\*\*

## 107 - اللطف

\*\*\*\*\*

- **اللطف** : البر والتكرمة والرفق ، يقال : لطف فلان إذا رفق  
له وأبره وأكرمه ، واللطف يرد في الكتاب والسنة على عدة معان (1)  
:

أ- اللطف معنى جامع ، يعبر به عن البر والإكرام ، والحفاوة والرفق  
بالعباد في هدايتهم ، وتيسير السبل لهم ، وإنقاذ من أشرف على  
الهلاك إلى السلامة والنجاة ، واللطف وصف الله تعالى على هذا  
الوجه ، ليس كمثلته شيء فيه كما قال تعالى : { اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ }  
[الشورى/19] ، واللطف اسمه سبحانه الدال على ذاته ، أوعلى صفة  
اللطف بالتضمن ، قال تعالى : { وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ  
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }  
[الملك/14] ، وقال تعالى عن يوسف عليه السلام ، وتمكينه في الأرض  
بعد نجاته من الهلاك ، حيث ألقاه أخوته في الجب ، وسجنته امرأة



العزير : { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ  
الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي —

1. كتاب العين للخليل بن أحمد 429/7 ، والمفردات ص450 ، لسان العرب 316/9 والمصباح  
المنير 553/2 .

وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {  
[يوسف/100] .

ب- اللطف يعبر به عن الرفق ولين الجانب ومما ورد في السنة في  
ذلك ، ما روى عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : "   
إن من أكمل المؤمنين إيماناً ، أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله " (1) .  
وعن ابن عباس ؓ ، أن رجلاً أعمى كان على عهد رسول الله ﷺ ،  
قتل أم ولده ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فجمع الناس ، وقال : أنشد الله  
رجلاً لي عليه حق فعل ما فعل إلا قام ، فأقبل الأعمى يتدلّل ،  
فقال : " يا رسول الله أنا صاحبها ، كانت أم ولدي ، وكانت بي  
لطيفة رفيقة ، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، ولكنها كانت  
تكثر الوقيعة فيك وتشتمك ، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا  
تنزجر ، فلما كانت البارحة ، ذكرتك فوقع فيك ، فقممت  
إلى المغول ، فوضعت في بطنها ، فأتكت عليها حتى قتلتها ،  
فقال : رسول الله ﷺ ألا اشهدوا أن دمها هدر " (2) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت عن حادثة الإفك : " فقدمنا المدينة فاشتكت بها شهرا ، والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ، ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ة اللطف ، الذي كنت أرى منه حين أمرض ، إنما

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الإيمان برقم (2612) وضعفه الألبانى 9/5 .

2. أخرجه النسائى فى كتاب تحريم الدم برقم (4070) وقال الشيخ الألبانى : صحيح الإسناد 107/7

يدخل فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟ لا أشعر بشيء من ذلك " (1)

ج- اللطف حسن الخلق عند التفاعل مع الآخرين ومخالطتهم ، لما روى عن أنس بن مالك ، قال : " إن كان رسول الله ة لِيَلَاطِفُنَا كَثِيرًا ، حَتَّى إِنَّهُ قَالَ لِأَخِي لِصَغِيرٍ ، يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ " (2) ، وفسرت الملاطفة فى رواية البخارى بالتواضع للصغير ومخالطته (3) ، وفى رواية مسلم يقول أنس : " كان أحسن الناس خلقا " (4) .

د- اللطف خفة الحركة التى لا يشعر بها الآخرون ، ليصل المتحرك إلى مرادة بسلام ، كقول الله تعالى عن أهل الكهف بعد يقظتهم من رقدتهم : { فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرُوا أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا } [الكهف/19] ، ومما ورد فى السنة قول عمرو بن عبسة السلمى : " كنت وأنا فى

الجاهلية ، أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم  
يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارا فقعدت على  
راحلي فقدمت عليه ، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا جراء عليه قومه ،  
فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ قال : أنا نبي

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات برقم (2661) 319/5 .

2. أخرجه أحمد برقم (13542) واللفظ له ، والبخارى فى كتاب الأدب (6129) .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الأدب برقم (6129) 543/10 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الأدب برقم (2150) 1692/3 .

فقلت : وما نبي ؟ قال : أرسلني الله ، فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟  
قال : أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك  
به شيء " (1) .

وعن البراء بن عازب ، أن رسول الله ﷺ بعث إلى أبي رافع  
اليهودي رجالا من الأنصار لقتله ، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك ،  
وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه ، وكان في حصن له  
بأرض الحجاز ، فلما دنوا منه ، وقد غربت الشمس ، وراح الناس  
بسرحتهم ، فقال عبد الله لأصحابه : " اجلسوا مكانكم ، فإني  
منطلق ومتلطف للبواب ، لعلي أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب  
، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس فهتف به  
البواب : يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل ، فادخل فإني أريد أن

أغلق الباب ، فدخلت ، فكمنت فلما دخل الناس ، أغلق الباب ثم  
علق الأغاليق على وتد ، قال : فقامت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت  
الباب " (2) .

## - اللطف في الاصطلاح الصوفي :

اللطف في اصطلاح الصوفية ، الإسراع بكشف الغمة عند  
حلول النعمة وإسداء النعمة من حيث لا تتوقعها الهمة ، وسريان  
الرحمة بأنواع الإعانة والنعمة من غير انقطاع ولا امتناع (3) .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها (832) 569/1 .

2. أخرجه البخارى في كتاب المغازى برقم (4039) 395/7 .

3. الكمالات الإلهية للجليلي ص117 بتصرف .

ويروى عن السرى السقطى (ت:251هـ) أنه قال : ( اللهم  
الطف بنا واسترنا بلطف الحجاب ) (1) ، يعنى أنه لو ظل مشاهدا  
له وراء كل شىء يسبح الله حقيقة ، استحال عليه أن يفعل  
الضروريات أو يفكر فى غذائه ، وصلاح معيشتة فيسأل الله التخفيف  
.

ويقول الحكيم الترمذى (ت:320هـ) : ( إن الله لو ترك العبد مع  
الخشية لا نقبض وعجز عن كثير من أموره ، ولو تركه مع المحبة  
وحدها لا ستبدى وتعدى ، لأن النفس تهيج ببهجة المحبة ، ولكنه

تبارك اسمه لطف به ، فجعل الخشية بطانته ، والمحبة ظهارته ، حتى يستقيم به قلبه ، فيرى التبسم والانطلاق والسعة في وجه العبد وأموره ، وذلك لظهور المحبة على قلبه ، ومع ذلك في داخله أمثال الجبال خشية ( 2) .

وقال الهجویری (ت:465هـ) : ( المراد من اللطف ، تأييد الحق ببقاء السر ودوام المشاهدة ، وقرار الحال في درجة الاستقامة ، إلى حد أن قالت طائفة : إن الكرامة من الحق حصول المراد ، وهؤلاء أهل اللطف ) (3) .

وقال القشيري (ت:465هـ) : ( خاطب العابدين بقوله : { الله لطيفٌ بعباده } ، أى يعلم غوامض أحوالهم ، من دقيق الرياء والتصنع ، لئلا يعجبوا —

1. حلية الأولياء 120/10 وانظر ختم الأولياء ص 149.

2. ختم الأولياء ص 405 .

3. كشف المحجوب الهجویری ص 622 .

بأحوالهم وأعمالهم ، وخاطب العصاة ، بقوله : { لطيفٌ } ، لئلا ييأسوا من إحسانه ، وخاطب الأغنياء بقوله : { لطيفٌ } ليعلموا أنه يعلم دقائق معاملاتهم في جمع المال من غير وجهه بنوع تأويل ، وخاطب الفقراء بقوله : { لطيفٌ } أى أنه محسن يرزق من يشاء ، وسماع قوله : { الله } يوجب الهيبة والفرع وسماع { لطيفٌ } يوجب السكون والطمأنينة ، واللطيف من يعطى قدر الكفاية وفوق ما يحتاج

العبد إليه ، واللطيف من نور الأسرار ، وحفظ على عبده ما أودع قلبه من الأسرار ، وغفر له ما عمل من ذنوب في الإعلان والإسرار (1) .

ويذكر القشيري من أوجه اللطف لطفه أنه أعطاه فوق الكفاية ، وكلفه دون الطاقة ن ، ومن لطفه بالعبد إبهام عاقبته عليه ، لأنه لو علم سعادته لا تكل عليه وأقل عمله ، ولو علم شقاوته لأيس ولترك عمله ، فأراد أن يستكثر في الوقت من الطاعة ، من لطفه بالعبد إخفاء أجله عنه ، لئلا يستوحش إن كان قد دنا أجله ، ومن لطفه بالعبد أن ينسبه ما عمله في الدنيا من الزلة ، لئلا يتنغص عليه العيش في الجنة (2) .

وقال عبد الكريم الجيلي (ت:832هـ) : ( اللطف عبارة عن غموض العلم به سبحانه ، بحيث تمتنع معرفته على الحقيقة ، لللطافتها عن مدارك الفهوم وتنزهها عن مبالغ غايات العلوم ) (3)

---

1. لطائف الإشارات 348/3 .

2. السابق 349:348/3 . 3. الكمالات الإلهية للجيلي ص 117 .

وقال أيضا في تسمية النبي بأسماء الله ، على اعتبار معتقده الباطل في كون النبي ؑ أعظم ما يتجلى الله في صورته ، ويتعين في شخصه :

( ومن أسمائه ع اللطيف ، فإنه كان متصفاً بذلك ، ولولا لطفه لما عرج على السماء بجسده حتى بلغ العرش ، وهذا غاية اللطف ، فقد سرى بلطفه في الموجودات ، حتى أنه عينها ، والدليل على ذلك ، قوله تعالى لرسوله ع : { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } [آل عمران/159] يعني لست فظاً غليظ القلب بل أنت لطيف رحيم ) (1) وهذا لا يعد دليلاً بأي حال .

واللطيفة في الاصطلاح الصوفي إشارة إلى القلب عن دقائق الحال ، تلوح في الفهم وتلمع في الذهن ، ولا تسعها العبارة لدقة معناها ، يدرك بها العبد ما يريد الله له إدراكه (2) .

\*\*\*\*\*

## 108 - المأخوذ والمستلب

\*\*\*\*\*

- **المأخوذ والمستلب** : يقال فلان مأخوذ وبه أخذة من الجن ، أي مجنون والمسلوب منزوع العقل على وجه القهر (3) ، وقد ورد اللفظ في القرآن والسنة

---

1. السابق ص 282Y283 .

2. اللع في التصوف ص 448 ، وكشف المحجوب ص 629 ، والإملاء ص 65 واصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 8 ، ولطائف الإعلام 259/2 .

3. المفردات ص 12 ، ص 238 .

على معنى الإمساك والمحصرة ، كقوله تعالى : { ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا } [سبأ/51] ، وقوله : { وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ } [سبأ/51] ، وقال تعالى : { وَإِنْ يَسْأَلُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَ تُحَارِبُهُمْ قُلْ يُحَارِبُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَظَمُ الْقُوَّةِ } [سبأ/51] .

وفي السنة من حديث أبي قتادة  $\tau$  : " أن رسول الله  $\varepsilon$  ، قام فخطب فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر الجهاد ، فلم يدع شيئا أفضل منه ، إلا الفرائض فقام رجل ، فقال : يا رسول الله : أرأيت من قتل في سبيل الله ، فهل ذلك مكفر عنه خطاياها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ، إذا قتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، إلا الدين فإنه مأخوذ به كما زعم لي جبريل " (1) .

وقال عمرو بن ميمون  $\tau$  ، في الذي قتل عمر بن الخطاب  $\tau$  : " فلما ظن العليج أنه مأخوذ نحر نفسه " (2) .

وقد يراد بالمأخوذ الغارق في الفكر والخواطر ، كما روى عن ابن مسعود رضی الله عنه قال : " كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فيرد علينا السلام ، حتى قدمنا من أرض الحبشة ، فسلمت عليه فلم يرد علي ، فأخذني ما قرب وما بعد ، فجلست حتى إذا قضى الصلاة ، قال : إن الله عز وجل يحدث



1. أخرجه الدارمى فى كتاب جهاد برقم (2412) 273/2 واللفظ له ، ومسلم فى كتاب الإمارة برقم (1885) .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3700) 74/7 .

من أمره ما يشاء ، وإنه قد أحدث من أمره أن لا يتكلم فى الصلاة " (1)

### - المأخوذ والمستلب فى الاصطلاح الصوفى :

والمأخوذ والمستلب بمعنى واحد عند الصوفية ، إلا أن المأخوذ أتم فى المعنى يقول السراج الطوسى : وهم العبيد الذين وصفهم فى الحديث المروى عن النبى ؑ : " يظن الناس أنهم قد خولطوا وما خولطوا ، ولكن خالط قلوبهم من عظمة الله تعالى ما أذهب بعقولهم " (2) ، وروى أيضا عن النبى ؑ ، أنه قال : " لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان ، حتى يظن الناس أنه مجنون " (3) .

وقد روى عن الحسن فى الخبر : " كنت إذا رأيت مجاهدا كأنه خربندج قد ضل حماره ، لما كان فيه من الوله " وقال القائل :

---

1. أخرجه النسائى فى كتاب السهو برقم (1221) واللفظ له ، والبخارى فى كتاب الجمعة برقم (1199) .

2. لا أصل له فى كتب السنة ، ولكن نسبه ابن رجب الحنبلى إلى الحسن بن على بلفظ : ( وكان الحسن يقول فى وصف الخائفين : قد براهم الخوف ، فهم أمثال القداح ، ينظر إليه الناظر ، فيقول : مرضى ، وما بهم مرض ، ويقول : قد خولطوا وقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم ) انظر التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، لأبى الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى ، نشر مكتبة دار البيان دمشق سنة 1399 هـ ، ص 30 .

3. حسن الإسناد ، أحمد في المسند برقم (27310) ، عن أبي سعيد الخدرى ؓ عن رسول الله ﷺ بلفظ : " أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون " .

(1) فلا تلمنى على ما كان من قلقي : إني بحبك مأخوذ ومستلب .

وكثيرا ما يكون الصوفي مأخوذا ومستلبا عند السماع ، معللين ذلك بتأثره الشديد ، فيحدث منه أفعال وشطحات تظهر منها المخالفة ، يقول الهجویری :

( لا أساس للرقص في الدين ولا في طريق الصوفية .. واللعب بالأقدام حرام في الشرع والعقل ، ومحال أن يقوم به أفضل الناس ، ولكن متى اضطرب القلب بالغليان وراء القهر ، وثبت اضطراب الوجد ، وانمحت الرسوم ، فهذا الاضطراب ليس برقص ولا لعب بالأقدام ، وليس بانهماك جسماني ، بل هو فيضان النفس ، فمن سماه رقصا فقد ابتعد جدا عن طريق الصواب ) (2) .

ثم يبين أن الدرويش إذا أخذ في السماع ، فمزق خرخته أو خلعها ، فإما تخاط وتعطى لصاحبها ، أو تعطى لدرويش آخر ، أو تقطع إلى قطع رغبة في نيل البركة ، وتقسم على الحاضرين ، فإذا سقطت الجبة وكان صاحبها في حال غلبة مأخوذا ومستلبا ، فللشيوخ آراء مختلفة فيما يجب عمله فيها ، ولكن الإجماع يقول بأن تعطى للقوال ، عملا بقول رسول الله ﷺ : " من قتل قتيلا فله سلبه " (3) .

1. اللمع ص 420 .

2. كشف المحجوب ص 502 ، مما يجد التنبية إليه أن ما يحدث في حلقات الذكر من التراقص الجماعى عند الصوفية فى الموالد وغيرها ، ولإظهار الإسلام بهذه الصورة المشينة متأصل فى الأمة منذ عصر الهجويرة وعلى نفس المنوال .

3. جزء من حديث أخرجه البخارى فى كتاب فرض الخمس (2909) 112/6 عن =

فإذا لم تعط للقوال ، فذلك مخالف لسنة الصوفية (1) ، ويقول أبو القاسم القشيرة : ( المرید لا تسلّم له الحركة فى السماع بالاختيار البتة ، فإن ورد عليه وارد حركة ، ولم يكن فيه فضل قوة فبمقدار الغلبة يعذر .. وفى الجملة إن الحركة تأخذ من كل متحرك ، وتنقص من حاله مریدا كان أو شيخا ، إلا أن تكون بإشارة من الوقت أو غلبة تأخذه عن التمييز ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 109 - المجاهدة

\*\*\*\*\*

- المجاهدة : الجهد بذل الطاقة ونفاذها ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل " (3) \_\_\_\_\_

= أبي قتادة ؓ ، قال رسول الله ﷺ : " من قتل قتيلًا له عليه بينة ، فله سلبه " ، والمعنى من قتل قتيلًا فى الجهاد ومحاربة الأعداء فله غنائه ، أما تأويل الحديث فى هذه المعركة الباطنية التى صورها الهجويرة ، إنما هو تحريف للكلم عن مواضعه واستهزاء بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

1. السابق ص 504 .

2. الرسالة 746/2 ، ص 747 .

3. انظر لسان العرب 133/3 ، وكتاب العين 386/3 ، والمغرب للمطرزي 170/1 والحديث أخرجه البخاري في كتاب الغسل برقم (291) 70/1 .

وعن أنس بن مالك  $\tau$  : " أن رجلا شكأ إلى النبي  $\varepsilon$  ، هلاك المال وجهد العيال ، فدعا الله يستسقي " (1) ، وعن أبي مسعود الأنصاري رضى الله عنه قال : " لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا : مرأئي ، وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : إن الله لغني عن صاع هذا ، فنزلت : { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ { [التوبة/79] الآية " (2) .

والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو وهى ثلاثة أضرب (3) :

أ- مجاهدة العدو الظاهر : كقول الله تعالى : { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [التوبة/41] ومما ورد فى السنة ما روى عن البراء بن عازب  $\tau$  ، قال : ( لما نزلت : { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [النساء/95] ، قال النبي  $\varepsilon$  : " ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف ، فقال : اكتب ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله ) ، وخلف النبي  $\varepsilon$  ، ابن أم مكتوم ، فقال : يا رسول الله أنا

ضير ، فنزلت مكانها ، { لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ  
أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [النساء/95] " (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1018) 591/2 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1415) 332/3 .

3. المفردات ص 101 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4594) 108/8 .

وعن أبي سعيد الخدري τ ، أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال : " يا  
رسول الله ، أي الناس خير ؟ قال : رجل جاهد بنفسه وماله ، ورجل  
في شعب من الشعاب ، يعبد ربه ويدع الناس من شره " (1) ، وعن  
أبي هريرة τ ، عن النبي ﷺ ، قال : " قال سليمان بن داود : لأطوفن  
الليلة على سبعين امرأة ، تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله ،  
فقال له صاحبه : إن شاء الله فلم يقل ولم تحمل شيئا إلا واحدا ،  
ساقطا أحد شقيه ، فقال النبي ﷺ : لو قالها لجاهدوا في سبيل الله " (2) .

ب- مجاهدة النفس بتغيير المنكر على قدر الوسع والاستطاعة ،  
كما روى عن عبد الله بن مسعود τ ، أن رسول الله ﷺ قال : " ما من  
نبي بعثه الله في أمة قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ،  
يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ،  
يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو

مؤمن ، ومن جاهدتهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدتهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " (3) والشاهد مجاهدتهم بالقلب .

ج- مجاهدة الشيطان ، وتكون بالاستعاذة من وسوسته ، لقوله

تعالى : { إِنَّ —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6494) 338/11 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب أحاديث الأنبياء برقم (3424) 528/6 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (50) 69/1 .

الشَّيْطَانُ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ { [فاطر/6] ، وجميع الأنواع السابقة ، تدخل ثلاثتها فى قول الله تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } [الحج/78] .

وقد يطلق الجهاد اصطلاحا على حج النساء خاصة ، كما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " يا رسول الله ، ترى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال : لكن أفضل الجهاد حج مبرور " (1) ، وفى رواية أخرى عنها : " سأله نساؤه عن الجهاد ، فقال : نعم الجهاد الحج " (2) .

- المجاهدة فى الاصطلاح الصوفى :

المجاهدة فى الاصطلاح الصوفى ، بذل الوسع فى فعل ما يرضى الله تعالى وترك ما يسخط باستدامة الجد ، وترك الراحة وصدق الافتقار

إلى الله تعالى والانقطاع عن كل ما سواه ، وفضام النفس عن الشهوات ، ونزع القلب عن الأمانى والشبهات (3) .

ويروى عن أبي يزيد البسطامى (ت:234هـ) أنه قال : ( عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة ، فما وجدت شيئاً أشد على من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف العلماء رحمة ، إلا فى تجريد التوحيد ) (4) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير برقم (2784) 89/6 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير برقم (2876) 6/6 .

3. كشف اصطلاحات الفنون 280/1 بتصريف .

4. طبقات الصوفية ص 70 .

ويرى سهل بن عبد الله (ت:293هـ) أن المجاهدة هى أقرب سبب موصل إلى الله تعالى ، وأن المشاهدات موارد مواريث المجاهدات ، لقوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/69] كما يعلل ذلك بأن كل الكتب السماوية والشرائع الإلهية والأوامر الدينية ، توجب على الإنسان المجاهدة ، فإذا كانت المجاهدة لا توجب المشاهدة ، كانت كل هذه الكتب باطلة ، كما أن كل شئ فى هذه الدنيا والدار الآخرة ، متصل بأصول وأسباب ، فإذا قلنا الأصول ليست لها أسباب ، انتهينا إلى جحد الشرع الشريف والأوامر الإلهية إذ لو كان ذلك كذلك ، لم تكن هناك حاجة إلى الواجبات الدينية ،

ولم يكن الطعام سببا للشبع ، ولا الثياب سببا للدفع ، لذلك كان إثبات الأسباب من التوحيد ونفيها من التعطيل ، ومن أثبت ذلك فقد وافق على حقيقة المشاهدة ومن أنكرها ، فقد أنكر وجود المشاهدة ( 1) .

وعن أبي علي الدقاق (ت:410هـ) أنه قال : ( من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة ، قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } [العنكبوت/69] ) (2) .

وقال الهجویری (ت:465هـ) : ( مدار الشرع والرسم على المجاهدة والرسول ع مع قربه من الحق وبلوغه المراد وأمنه العاقبة ، وتحققه من العصمة —

1. كشف المحجوب ص 242 .

2. الرسالة القشيرية 289/2 .

قد جاهد كثيرا من القيام الطويل ، والصيام المتصل ، حتى نزل عليه قول الله تعالى : { طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } [طه/1:2] (1)

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( معنى قوله تعالى : { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ } [الحج/78] ، حق الجهاد ما وافق الأمر في القدر والوقت والنوع ، فإذا حصلت في شيء منه مخالفة ، فليست حق جهاده ، وحق الجهاد الأخذ بالأشق ، وتقديم الأشق على



الأسهل ، وإن كان في الأخف أيضا حق وحق الجهاد ألا يفتر العبد  
عن مجاهدة النفس لحظة (2) ، ثم يجعل المجاهدة على أقسام :

أ- مجاهدة بالنفس : فلا يدخر العبد ميسورا إلا بذله في الطاعة  
، بتجمل المشاق ولا يطلب الرخص والإرفاق .

ب - مجاهدة بالقلب : وتكون صونه عن الخواطر الرديئة ، مثل  
الغفلة والعزم على المخالفات ، وتذكر ما سلف أيام الفترة  
والبطالات

ج- مجاهدة بالمال : وتكون بالبذل والسخاء ثم بالجود والإيثار (3)

---

1. كشف المحجوب ص 243Y242 .

2. لطائف الإشارات 564/2 .

3. السابق 564/2 ، وانظر المزيد عن المجاهدة في الرياضة وأدب النفس ص 104 وما بعدها ، جامع  
الأصول الكمشخناوى ص 134Y133 ، نشأة التصوف الإسلامى للدكتور إبراهيم بسيونى  
ص 20 وما بعدها ، الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ =

\*\*\*\*\*

## 110 - المحاسبة

\*\*\*\*\*

- المحاسبة : الحساب عد الأشياء ، وهو ما يحاسب عليه فيجازى  
بحسبه والحساب يقال باعتبار الدنيا والآخرة (1) :

أ- فمن الأول يرد الحساب على نوعين :

[1- ما يحسبه الإنسان من أسباب معلومة للرزق ، كقوله تعالى :  
{ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى  
لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ }  
[آل عمران/37] ، وقوله : { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ  
لَا يَحْتَسِبُ } [الطلاق/2] ربما يعطيه أكثر مما يستحق ، أو يعطيه عطاء  
لا يمكن للبشر إحصاؤه ، أو يعطيه بلا مضايقة (2) .

---

= عبد القادر الجيلاني 182/2 ، وحقائق عن التصوف ، عبد القادر عيسى ص112 وما بعدها ، و  
المسائل في أعمال القلوب والجوارح للمحاسبي ص137 ، وانظر في المجاهدة عند ابن عربي الفتوحات  
المكية 2/فقرة 139 ، 3/فقرة 115 ، 4/فقرة 162 ، 5/فقرة 522 .  
1. المفردات ص 116 ، ولسان العرب 1/30 ، وكتاب العين 3/149 .  
2. السابق ص 117 .

[2- الحساب بمعنى حلول وقت المساءلة على الأمانة ، أو المجازاة  
عليها كقوله تعالى : { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ  
فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا } [الطلاق/8] ، وعن أبي  
حميد الساعدي ، قال : " استعمل رسول الله ﷺ رجلا على  
صدقات بني سليم يدعى ابن اللبية ، فلما جاء ، حاسبه قال : هذا  
ما لكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ : فهلا جلست في بيت أبيك  
وأملك ، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا " (1) .

ب- ومن الثاني يرد الحساب على نوعين :

[1- محاسبة الله للعبد في الآخرة ، كقوله تعالى : { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ } [الأنبياء/1] ، وقوله : { فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ اقْرءُوا كِتَابِي إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِي } [الحاقة/20] ، ومما ورد في السنة ، ما روى عن أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  قال : " فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق ، أم حوسب بصعقة الأولى ؟ " (2) وعن عبد الله بن عتبة  $\tau$  ، قال : سمعت عمر بن الخطاب  $\tau$  يقول : " إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله  $\varepsilon$  : وإن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحيل برقم (6979) 364/12 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الخصومات برقم (2412) 85/5 .

وليس إلينا من سريره شيء ، الله يحاسبه في سريره ، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدق ، وإن قال إن سريره حسنة " (1) .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي  $\varepsilon$  قال : " من حوسب عذب ، قالت : أوليس يقول الله تعالى : { فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا } ،

[الانشقاق/8] فقال : إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك (2)

وعن أبي مسعود  $\pi$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسرا ، فكان يأمر غلمانَه أن يتجاوزوا عن المعسر ، قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه " (3) .

وعن أبي الدرداء  $\pi$  ، قال : سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " قال الله عز وجل : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ { [فاطر/32] فأما الذين سبقوا بالخيرات فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته ، فهم الذين يقولون : { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات برقم (2641) 298/5 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (103) 237/1 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب المساقاة برقم (1561) 1195/3 .

أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ { [فاطر/34] " (1) .

[2- محاسبة العبد نفسه قبل محاسبة الله له فى الآخرة ، لما روى

عن شداد بن أوس  $\pi$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " الكيس من دان نفسه

وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله " (2) ، ومعنى قوله ε من دان نفسه ، أى حاسب نفسه في الدنيا ، قبل أن يحاسب يوم القيامة ، ويروى عن عمر بن الخطاب π ، أنه قال : " حاسبوا أنفسكم ، قبل أن تحاسبوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة ، على من حاسب نفسه في الدنيا " (3) ، ويروى عن ميمون بن مهران قال : ( لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه ، كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه ) (4) .

#### - المحاسبة في الاصطلاح الصوفي :

المحاسبة في الاصطلاح الصوفي تطلق على الموازنة بين مقدار ما يكتسبه العبد من الخير أو الشر ، أو تقدير أعلى الخيرين وأدنى الشرين ، روى عن أبي سليمان الدراني (ت:215هـ) أنه قال : (

أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين —

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (21220) وفيه على بن عبد الله الأزدي وهو صدوق .  
2. أخرجه الترمذى في كتاب صفة القيامة برقم (2459) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : ضعيف . 638/4

3. السابق 638/4 .

4. السابق 638/4 .

العبد المحاسبة (1) .

وروى عن الحارث المحاسبى (ت:243هـ) : ( المحاسبة والموازنة فى أربعة مواطن فيما بين الإيمان والكفر ، وفيما بين الصدق والكذب ، وبين التوحيد والشرك ، وبين الإخلاص والرياء ) (2) .

وقال أبو طالب المكى (ت:386هـ) : ( صورة المحاسبة أن يقف العبد وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ، ثم يميز الخاطر وهو حركة القلب والاضطراب وهو تصرف الجسم ، فإن كان ما خطر به الخاطر من الهمة التى تقتضى نية أو عقدا أو عزما أو فعلا أو سعيا ، إن كان لله عز وجل وبه وفيه ، معنى لله عز وجل ، أى خالصا لأجله ، ومعنى به أى بمشاهدة قربه ، لا بمقاربة نفسه وهواه ومعنى فيه أى فى سبيله وطلب رضاه عنه ، وما ندب عنده ، أمضاه وسارع فى تنفيذه ، وإن كان لعاجل دنيا ، أو عارض هوى ، أو لهو وغفلة ، سرى بطبع البشرية ووصف الجبلة ، نفاه وسارع فى نفيه ، ولم يمكن الخاطر من قلبه بالإصغاء إليه والمحادثة ) (3) ، ثم يذكر أنه ما من فعلة وإن صغرت ، إلا وينشر لها ثلاثة دواوين :

أ- الديوان الأول : لم ؟ ، أى لم فعلت ؟ ، وهذا موضع الابتلاء

عن وصف —

1. طبقات الصوفية ص80 .

2. السابق ص58 .

3. قوت القلوب 78/1 .

الربوبية بحكم العبودية ، أى كان عليك أن تعمل لمولائك ، أم كان ذلك منك بهواك ، فإن سلم من هذا الديوان ، بأن كان عليه أن يعمل ، كما أمر به سئل عن الديوان الثانى .

ب- الديوان الثانى : كيف ؟ أى قيل له : كيف فعلت هذا ؟ ، وهو مكان المطالبة بالعلم ، وهو البلاء الثانى ، أى قد عملته بأن كان عليك عمله فكيف عملته ؟ أبعلم أم بجهل ؟ فإن الله تعالى لا يقبل عملا ، إلا على طريقته وطريقة العلم ، فإن سلم من هذا نشر عليه الديوان الثالث .

ج- الديوان الثالث : لمن ؟ أى قيل لمن ؟ وهذا طريق التعبد بالإخلاص لوجه الربوبية ، وهو البلاء الثالث ، وهو بغية الله عز وجل من خلقه الذين قال فى حقهم : { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } [الحجر/40] (1) .

ويذكر الكاشانى أن المحاسبة عند الصوفية هى المقايسة بين الحسنات والسيئات ، ليعلم العبد أيهما أرجح ، وهذه المقايسة تحتاج إلى ثلاثة أمور :

أحدها : ألا تضع ميزان الشرع من يدك ، إذ لا يصح التمييز بين الحق والباطل لمن أهمله .

ثانيها : أن لا تضع الحزم الذى هو سوء الظن بالنفس ، بحيث لا تعتقد فيها أنها تفعل خيرا خالصا أصلا ، إلا أن يرحم الله لآية : { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] .

1. السابق 81:80/1 .

ثالثها : ألا تشتهه عليك الفتنة بالنعمة ، وذلك بأن تنظر إلى ما أنعم الله به عليك من خير ، صحة كان أو فراغا ، أو علما أو طاعة ، أو مالا أو سؤددا ، أو غير ذلك مما لا يعد كمالا فى الدنيا والآخرة ، فإن وجدت ذلك مما يجمعك على الله ، أى لا يميل بك إلى سواه من جميع الكائنات دنيا وآخرة فهو نعمة وإن وجدته مفرقا عنه فهو نقمة (1) .

\*\*\*\*\*

## 111 - المحبة

\*\*\*\*\*

- المحبة : المحبة عمل من أعمال القلوب ، يعرف بآثاره الظاهرة ، وهى ضد الكره ، لقوله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } [الحجرات/7] ، وعن أبي هريرة ؓ ، أن النبي ؐ قال : " قلب الشيخ شاب فى حب اثنين ، طول الحياة وكثرة المال " (2) .



والفرق بين المحبة والإرادة ، قيل : إن المحبة أبلغ من الإرادة ، فكل  
محبة إرادة

1. لطائف الإعلام 284:283/2 .

2. أخرجه أحمد في المسند برقم (8723) واللفظ له ، وأخرجه البخارى في كتاب الرقاق برقم  
(6420) .

وليس كل إرادة محبة (1) ، والذي دل عليه الدليل ، أن المحبة مستقلة  
بذاتها عن الإرادة ، ولكنها تابعة في الغالب لها ، وقد يجتمعا أو يفترقا  
في الفعل الظاهر فمثال اجتماعهما قوله تعالى : { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ  
أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } [التوبة/108] ، حيث اجتمعت إرادة  
التطهر ومحبته في الفعل ، ومثال افتراقهما ، ما روى عن عائشة رضی  
الله عنها ، أن فتاة دخلت عليها فقالت : " إن أبي زوجني ابن أخيه  
، ليرفع بي خسيسته ، وأنا كارهة ، قالت : اجلسي حتى يأتي النبي ﷺ  
، فجاء رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأرسل إلى أبيها ، فدعاه فجعل الأمر  
إليها ، فقالت : يا رسول الله ، قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن أردت  
أن أعلم ، أللنساء من الأمر شيء " (2) ، فالكره ينفي محبة للفعل  
والإجازة دليل الإرادة .

وعن أنس بن مالك ؓ ، أن رسول الله ﷺ ، قال لرجل : " أسلم ،  
قال : أجدني كارهها ، قال : ( أسلم وإن كنت كارهها " (3) ، وعن

عائشة رضي الله عنها قالت : " إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل ، وهو يجب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس ، فيفرض عليهم " (4)

1. المفردات ص 105 ، ولسان العرب 289/1 .

2. أخرجه النسائي في النكاح برقم (3269) وقال الألباني : ضعيف شاذ 86/6 .

3. أخرجه أحمد في المسند برقم (11650) الرواه ثقات .

4. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة برقم (1128) 13/3 .

والمحبة على نوعين حسب نوعية الحبوب :

أ- المحبوب لذاته ويدخل فيه جميع أصناف المشتبهات ، التي تحدث المتعة للإنسان أو يتلذذ بها ، كقوله تعالى : { زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران/14] وقال عمر بن الخطاب ، في الآية : " اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه " (1) ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء ويحب العسل " (2) .

وعن المسور بن مخرمة ، أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر ، وهو يقول : " إن بني هشام بن المغيرة ، استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب ، فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم ، إلا أن

يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتي بضعة مني ، يرييني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها " (3) .

ب- المحبوب لغيره ، كأسباب الوصول إلى الخير الأعلى ، ودفع الشر بأنواعه نحو ما روى عن أنس بن مالك  $\tau$  ، في شأن الشهيد أن النبي  $\varepsilon$  قال : " ما ———

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق باب قول النبي  $\varepsilon$  هذا المال خضرة حلوة ، انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى 259/11 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الحيل برقم (6972) 359/12 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة برقم (2449) 1902/4 .

أحد يدخل الجنة ، يحب أن يرجع إلى الدنيا ، وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرات ، لما يرى من الكرامة " (1) ، وكذلك حب أبي هريرة للحسن بن علي ، حبا فى رسول الله  $\varepsilon$  فعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال : ( كنت مع رسول الله  $\varepsilon$  فى سوق من أسواق المدينة ، فانصرف ، فانصرفت ، فقال : أين لكع ؟ ثلاثا ، ادع الحسن بن علي فقام الحسن بن علي يمشي ، وفى عنقه السخاب ، فقال النبي  $\varepsilon$  بيده هكذا فقال الحسن بيده هكذا ، فالتزمه ، فقال : اللهم إني أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه ، قال أبو هريرة  $\tau$  : فما كان أحد أحب إلي من الحسن بن علي  $\tau$  بعد ما قال رسول الله  $\varepsilon$  ما قال " (2) .

وعنه أيضا  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  ، أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ؟ قال : لا غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه " (3) .

والمحبة في القلب درجات متفاوتة ، ومنازل متنوعة ، من

### حيث القوة —

1. أخرجه البخارى في كتاب الجهاد برقم (2817) 39/6 .
  2. أخرجه البخارى في كتاب اللباس برقم (5884) 344/10 .
  3. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (2567) 1988/4 .
- والضعف أو الزيادة والنقصان كقوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } [البقرة/165] ، ومما ورد في السنة ، تفاضل بعض الصحابة على بعض في محبة النبي ، كما روى في منزلة أبي بكر الصديق ، وحب النبي له ، فعن جندب بن عبد الله بن سفيان  $\tau$  قال : " سمعت النبي  $\varepsilon$  قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا ، كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا " (1) ، وكذلك تفاضل الثياب في المحبة عنده  $\varepsilon$  ، قال قتادة : قلت لأنس  $\tau$  : " أي الثياب كان أحب إلى النبي  $\varepsilon$  أن يلبسها ؟ ، قال : الحَبْرَةُ " (2) ،

وتفاضل بعض الأفعال على بعض ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله ، في طهوره وترجله وتنعله " (3) .

والحجة وردت في القرآن والسنة ، كصفة حقيقية لله عز وجل ليس كمثله شئ فيها ، وليست هي الإرادة لأن الله فرق بينهما ، ولا الإنعام لأن الإنعام من آثارها ، قال تعالى : { مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوهُمْ } [المائدة/54] ، فالحجة صفة الله على الحقيقة ، يجب من شاء من خلقه —

1. أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (532) 377/1 .

2. أخرجه البخارى في كتاب اللباس برقم (5812) 287/10 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة برقم (426) 623/1 .

أو لا يحبه على مقتضى ما شرع ، فالله يحب التوابين المتطهرين المقسطين كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة/222] وقال سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [المتحنة/8] وقال : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ } [الصف/4] ، والله لا يحب أفعال السوء ولا الجهر بها ، فقال : { لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا } [النساء/148] ، وقال الله عز وجل : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } [النساء/36] وقال تعالى : { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ } [البقرة/276] .

والمخلوقات تتفاضل عند الله في المحبة ، فبعضها أحب إليه من بعض ، على ما يشرعه من نوعية العمل والعبادة ، ومما ورد في ذلك ما روى عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ سئل : " أي العمل أحب إلى الله ؟ ، قال : أدومه وإن قل " (1) .

وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : " سألت النبي ﷺ : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قال : ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين ، قال : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله " (2) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : " يا عائشة ،

إن الله —————

1. أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين برقم (782) 540/1 .

2. أخرجه البخارى في كتاب مواقيت الصلاة برقم (527) 12/2 .

رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه " (1) ، وعن أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : " أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها " (2) ، وقال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس : " إن فيك لخصلتين يجبهما الله الحلم والأناة " (3) .

والمحبة لها علامات وآثار كثيرة تدل عليها منها :

1- طاعة المحبوب وتنفيذ مراده ، كقوله تعالى : { إِنَّ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ

فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران/31] ، وعن أبي هريرة ؓ ، قال رسول

الله ﺀ : " والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم " (4) .

2- محبة ما يحبه المحبوب وبغض ما يبغضه ، كما روى عن أنس ﺀ ، عن النبي ﺀ قال : " آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار " (5) ومن حديث معاذ ﺀ ، قال ﺀ : " وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب

- 
1. أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (2593) 2003/4.
  2. أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (671) 464/1 .
  3. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (18) 48/1.
  4. أخرجه الترمذى في كتاب الاستئذان والآداب برقم (2688) وقال الشيخ الألبانى : صحيح . 52/5
  5. أخرجه البخارى في كتاب الإيمان برقم (17) 80/1 .

عمل يقربني إلى حبك " (1) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله ﺀ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان رسول الله ﺀ ، يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } [البقرة/144] ، فتوجه نحو الكعبة " (2) .

3- كثرة ذكر المحبوب وترديد كلماته ، كقوله تعالى : { فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ } [ص/32] ، وعن أنس بن مالك  $\tau$  قال : جاء رجل إلى رسول الله  $\varepsilon$  ، فقال : " إني أحب هذه السورة ، قل هو الله أحد ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : حبك إياها أدخلك الجنة " (3) .

4- التطلع إلى رؤية المحبوب ، فالعابد في مراقبته الدائمة لربه دليل صادق على محبته له ، وعن صهيب الرومي  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " فيكشف

- 
1. أخرجه أحمد في المسند برقم (21604) وأخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن برقم (3235) وقال الألبانى : صحيح 368/5 .
  2. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة برقم (399) 598/1 .
  3. حديث حسن صحيح ، أخرجه أحمد في المسند برقم (12024) واللفظ له والترمذى في كتاب فضائل القرآن برقم (2901) وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 169/5 والدارمى في فضائل القرآن برقم (3435) .

الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، ثم تلا هذه الآية : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ } [يونس/26] " (1) ومعلوم أن الإحسان ورد معناه في قوله  $\varepsilon$  ، عن أبي هريرة  $\tau$  : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " (2) .



## - المحبة فى الاصطلاح الصوفى :

المحبة فى الاصطلاح الصوفى تعنى الميل إلى المحبوب بالكلية ، وإيثاره على النفس والروح والمال ثم الموافقة له سرا وجهرا ثم العلم بالتقصير فى حبه (3) .

قال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ) : المحبة لها أول وآخر ، فأولها محبة الله بالأيدى والمنن ، وأعلاها المحبة لوجوب حق الله عز وجل ، والمحبة فى ثلاثة أشياء لا يسمى محبا لله عز وجل إلا بها :  
أولا : محبة المؤمنين فى الله عز وجل ، وعلامة ذلك كف الأذى عنهم وجلب المنفعة إليهم .

ثانيا : محبة الرسول ﷺ لله عز وجل ، وعلامة ذلك اتباع سنته قال  
الله جل

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (181) 163/1.

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (50) 140/1. وانظر للتوسع : الحب فى القرآن دراسة موضوعية إعداد سالم عبد الخالق عبد الحميد رسالة ماجستير ، مخطوط بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة سنة 1992م .

3. الرسالة القشيرية 618/2 بتصرف .

ذكره : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل

ثالثا : محبة الله عز وجل في إثارة الطاعة على المعصية ، ويقال : ذكر  
النعمة يورث المحبة (1) .

وروى أن يحيى بن معاذ (ت:258هـ) كتب إلى أبي يزيد  
البسطامي قائلا : ( سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ،  
فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرضوما روى بعد  
، ولسانه خارج ، ويقول : هل من مزيد ) (2) .

---

1. رسالة المسترشدين ص177:180 ، وانظر المزيد عن هذه المعاني في نشر المحاسن الغالية في فضل  
المشايخ الصوفية لأبي محمد اليافعي ص183 وما بعدها ، مدخل السلوك لأبي حامد الغزالي  
ص37 ، وله أيضا روضة الطالبين ص59 ، وحقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى ص397  
وما بعدها ، روضة التعريف بالحب الشريف لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا  
، نشر دار الفكر العربي سنة1968م ، وانظر أيضا ، التصوف الثورة الروحية في الإسلام لأبي  
العلاء عفيفي ص220 وما بعدها ، والحب الإلهي عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد  
صبرى متولى منصور الشرقاوى ، رسالة ماجستير مخطوط بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة  
سنة1986م ، وانظر أيضا ، فلسفة الأخلاق في الإسلام ، محمد يوسف موسى ص285 وما  
بعدها .

2. الرسالة القشيرية 620/2 : 614 و انظر في المقارنة مع كلام أبي يزيد الحياة الروحية في الإسلام ،  
الدكتور محمد مصطفى حلمي ، موضوع الزهد مع الحب رابعة =

ويذكر عن سمنون المحب (ت:298هـ) : ( أن المحبة هي أساس  
الطريق إلى الله تعالى وأصله ، وأن كل الأحوال والمقامات ، هي  
درجات للمحبة ، وأن كل الدرجات والمقامات يكون فيها الطالب  
قابلا للهلاك ، إلا مقام المحبة فلا يصله شيء من ذلك ) (1) .

وقال السراج الطوسي (ت:378هـ) : ( وحال المحبة حال عبد  
نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالى منه  
، وعنايته به وحفظه وكلاءته له ، فنظر بإيمانه وحقيقة يقينه إلى ما  
سبق له من الله تعالى ، من العناية والهداية وقديم حب الله له ،  
فأحب الله عز وجل ) (2) ، ثم يقسم أهل المحبة إلى ثلاث درجات :  
1- محبة العامة : ويتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم ، وعطفه  
عليهم وشرطها موافقة القلوب لله ، والتزام الموافقة باتباع رسول  
الله ﷺ وصفاء الود مع دوام الذكر .

---

= العدوية ص76 وما بعدها ، وانظر أيضا ، رابعة العدوية والحياة الروحية في الإسلام ، طه عبد الباقي  
سرور ص 160:132 ، ورابعة العدوية ، لمحمود الشرقاوى ص86:114 .  
1. كشف المحجوب ص366:370 .  
2. اللمع ص88:86 .

2- محبة الخاصة : وهو حب الصادقين والمتحقيقين ، ويتولد من  
نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته ، وعلمه وقدرته ،  
ويكون بمحو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات .

3- محبة خاصة الخاصة : وهو حب الصديقين والعارفين ، ويتولد  
من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى ، فكما أحبهم في  
الأزل بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة ، وصفة هذه المحبة  
سقوط المحبة عن القلب والجوارح ، حتى لا يكون فيها المحبة ،

وتكون الأشياء بالله والله ، بمعنى دخول صفات المحبوب على  
البدل من صفات المحب ، كقوله ع عن رب العزة : " حتى أحبه ،  
فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها ، وسمعه الذى يسمع به ويده  
التي يبطش بها " (1) .

1 . هذا هو الحلول الصوفي الذى نادى به الحسين بن منصور الحلاج ، والذى يؤدى إلى فكرة الاتحاد  
بين الخالق والمخلوق ، وليس فى الحديث ما أشار إليه من دخول صفات المحبوب على البدل من  
صفات المحب ، ولكن العبد إذا استقام على الإرادة الشرعية على وجه التمام ، اتفقت الارادات ،  
إرادة العبد مع إرادة الله الشرعية ، ومن ثم تتفق بالضرورة مع إرادة الله الكونية ، وعندها يوفق الله  
العبد ، فلا يسمع إلا ما يرضى الله ولا يرى إلا ما يرضى الله ، وجميع حركاته وسكناته تكون بالله  
وفى الله ، وما أحسن ما ذكره سهل بن عبد الله التستري عندما سئل عن من يقول : ( أنا كما الباب لا  
أتحرك إلا أن يحركوني ، قال : لا يقول هذا الكلام إلا صديق أو زنديق ) ، ويعنى بالصديق ما ذكره  
الله فى الحديث القدسي ، والزنديق هو الذى يخالف الشرع بإرادته ، ويحتج =

ويذكر الهجویری (ت:465هـ) أن المحبة تستعمل على وجوه :

أولا : تلك الرغبة القلقة نحو موضع الحب ، وهى مليئة بالميل  
والعاطفة وبذلك فهى تشير إلى المخلوقات ، وعواطفهم المتبادلة  
، ولكن لا يمكن أن تنطبق على الله ، الذى تعالى عن كل شئ  
علوا كبيرا .

ثانيا : إكرام الله وخصوصيته لمن اصطفاهم ، وقربهم لنيل درجة  
كمال الولاية ، وخصهم بأنواع شتى من كراماته الربانية

ثالثا : الثناء الجميل الذى يمنحه الله تعالى للإنسان ، على ما قام به من عمل طيب (1).

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( المحبة حالة شريفة ، شهد الحق سبحانه بها للعبد ، وأخبر عن محبته للعبد ، فالحق سبحانه يوصف بأنه —————

= بأنه مسير بالإرادة الكونية ، والحديث أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق (6021) 462/10 عن أبي هريرة ؓ ، قال رسول الله ﷺ : " إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " .  
1. كشف المحجوب ص 366:370 .

يحب العبد ، والعبد يوصف بأنه يحب الحق سبحانه ، قال الله عز وجل :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة/54] ، وعن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه " (1) .

وأغلب أقوال الصوفية فى المحبة يدور حول علامات المحبة الصادقة ومثالها ، طاعة المحبوب وموافته ، كما روى عن سهل بن عبد الله : ( المحبة معانقة الطاعة ومباينة المخالفة ) (2) ، وكقول يحيى بن معاذ :

ليس بصادق في محبته من لم يحفظ حدوده (3) ، وكثرة ذكر المحبوب ، كما يذكر لسمنون المحب عندما سئل عن المحبة قال : ( صفاء الود مع دوام الذكر ، لأن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ) (4) ، وكقول الشبلي : ( سميت المحبة محبة ، لأنها تمحو من القلب ما —

1. الرسالة القشيرية 611:610/2 ، والحديث رواه البخارى فى كتاب الرقاق (6026) 464/10 عن عبادة بن الصامت ؓ ، عن النبي ﷺ قال : " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه ، قالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت ، قال : ليس ذاك ، ولكن المؤمن إذا حضره الموت ، بشر برضوان الله وكرامته ، فليس شيء أحب إليه مما أمامه ، فأحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا حضر ، بشر بعذاب الله ، وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه ، كره لقاء الله وكره الله لقاءه .

2. السابق 615/2 .

3. السابق 616/2 . 4. اللمع فى التصوف ص86:88 .

سوى المحبوب (1) ، ورؤية التقصير فى حق المحبوب على الدوام ، كما ينسب لأبي يزيد البسطامى : ( المحبة استقلال الكثير من نفسك ، واستكثار القليل من حبيبك ) (2) ، والغيرة على المحبوب ، كما روى عن الشبلي : ( المحبة أن تغار على المحبوب ، أن يجبه مثلك ) (3) .

وكل ما سبق من آراء للصوفية عن المحبة قريبة المعنى من الأصول القرآنية والنبوية ، أما المحبة عند ابن عربى ، فتأخذ طابعا آخر ، حيث تأثرت نظرتة لها بفلسفته فى الوحدة ، فلما كان الوجود الحقيقى واحد عند ابن عربى ، أصبح كل ما يراه رموزا ومجالى يصرف لها الحب







- المحو : إزالة الأثر ، ويقال في المحسوسات وغيرها (1) :

أ- فمن المحو في المحسوسات ، كقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً } [الإسراء/12] ، ومن حديث الربيع بن سبرة الجهني  $\tau$  ، قال : " فجعلت تنظر إلى ابن عمي ، فقلتُ : لها إِنَّ بُرْدِي هَذَا جَدِيدٌ غَضٌّ ، وَبُرْدَ ابْنِ عَمِّي هَذَا ، خَلَقْتُ مَحًّا ، قَالَتْ : بُرْدُ ابْنِ عَمِّكَ هَذَا لَا بَأْسَ بِهِ ، فاستمتع منها ، فلم نخرج من مكة ، حتى حرمها رسول الله  $\varepsilon$  " (2) يعني نكاح المتعة .

وعن جابر  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  أمر عمر بن الخطاب  $\tau$  زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة ، فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها النبي  $\varepsilon$  حتى محيت كل صورة فيها (3) .

---

1. كتاب العين 314/3 ، المفردات ص 464 .

2. أخرجه مسلم في كتاب النكاح برقم (1406) 405/2 ، وأحمد في المسند برقم (15385) واللفظ له .

3. حسن أخرجه أبو داود في كتاب اللباس برقم (4156) وقال الشيخ الألباني : حسن صحيح 74/4

وعن عبد الله بن عباس  $\tau$  ، قال : لما خرجت الحرورية ، اعتزلوا ، فقلت لهم : إن رسول الله  $\varepsilon$  يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعلي : اكتب يا علي ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله  $\varepsilon$  ، قالوا : لو

نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله ﷺ : امح يا علي ،  
اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي ، واكتب هذا ما صالح عليه  
محمد بن عبد الله ، والله لرسول الله خير من علي ، وقد محا نفسه ،  
ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة ، أخرجت من هذه ؟ ، قالوا :  
نعم " (1) .

ب- ومن المحو في غير المحسوسات الدنيوية ما ورد في قوله تعالى :  
{ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ } [الشورى/24] ، وقوله سبحانه :  
{ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد/39] ، ومما ورد  
في السنة عن أبي قتادة ر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من  
نفس عن غريمه ، أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة " (2) ،  
وعن عتبة بن عبد السلمي ر ، قال رسول الله ﷺ : " القتل ثلاثة ،  
رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم  
حتى يقتل ، فذلك الشهيد المفتخر في خيمة الله تحت —

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (3177) وفي الإسناد عكرمة بن عمار العجلي ، وهو صدوق .
2. أخرجه أحمد في المسند برقم (22053) واللفظ له ، وأخرجه مسلم في كتاب المساقاة برقم  
(1563) 1196/3 .

عرشه ، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة ، ورجل مؤمن قرف على  
نفسه من الذنوب والخطايا ، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله ، حتى  
إذا لقي العدو ، قاتل حتى يقتل ، محيت ذنوبه وخطايا ، إن السيف  
محاء الخطايا ، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء .. ورجل منافق جاهد

بنفسه وماله ، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل ،  
فإن ذلك في النار السيف ، لا يمحو النفاق " (1) .

### - المحو في الاصطلاح الصوفي :

المحو في الاصطلاح الصوفي يقابل الإثبات ، ويعنى رفع أوصاف  
العادة ومحو العلة المؤثرة في القلب ، القادحة في طريق وصوله إلى الحق  
، وإزالة الخلال الذميمة من أوصاف النفوس ، روى عن أبي الحسين  
النورى (ت:295هـ) أنه قال : ( الخاص والعام في قميص العبودية ،  
إلا من يكون منهم أرفع ، جذبهم الحق ومحاهم عن نفوسهم في  
حركاتهم ، وأثبتهم عند نفسه ، قال الله تعالى : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا  
يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد/39] ) (2) ، ويبين السراج  
الطوسى ، أن معنى جذبهم الحق ، يعنى جمعهم بين يديه ، ومحاهم عن  
نفوسهم ، يعنى عن رؤية نفوسهم في حركاتهم ، وأثبتهم عند نفسه ،  
بنظرهم إلى قيام الله لهم في أفعالهم وحركاتهم (3) .

---

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (17204) واللفظ له ، والدارمى فى كتاب الجهاد  
برقم (2411) 272/2.

2. اللمع ص 431 .

3. السابق ص 431 .

وقال السراج الطوسى (ت:387هـ) : ( المحو ذهاب الشئ ، إذا لم  
يبق له أثر ، وإذا بقى له أثر فيكون طمسا ) (1) .

ويذكر أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) المحو في مقابل الإثبات ،  
كما ورد في قوله تعالى : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ } [الرعد/39] ،  
وهو رفع أوصاف العادة ، وينقسم بشرط العبودية إلى ثلاثة أنواع :  
أ- محو الزلة عن الظواهر ، وفي محو الزلة إثبات المعاملات .

ب- ومحو الغفلة عن الضمائر ، وفي محو الغفلة إثبات المنازلات

ج- ومحو العلة عن السرائر ، وفي محو العلة إثبات المواصلات (2)

ويذكر القشيري أنواعا أخرى من المحو والإثبات ، تحت  
مدلول الآية السابقة منها :

1- يمحو الله من قلوب الزهاد حب الدنيا ، ويثبت بدله الزهد  
فيها .

2- يمحو عن قلوب العارفين الحظوظ ، ويثبت بدلها حقوقه تعالى

3- يمحو عن قلوب الموحدين شهود غير الحق ، ويثبت بدله  
شهود الحق

4- يمحو آثار البشرية ، ويثبت أنوار شهود الأحدية .

5- يمحو العبد عن أوصافه ، ويثبته بالحق ، فيكون محوا عن الخلق

، مثبتا بالحق للحق .

---

1. السابق ص 431 .

2. الرسالة القشيرية 241/1 .

6- يمحو العبد فلا يجرى عليه حكم التدبير ، ويكون محوًا بحسب جريان أحكام التقدير ، ويثبت سلطان التصديق والتقليب ، بإدخال ما لا يكون فيه اختيار عليه على ما يشاء .

7- يمحو عن قلوب الأجانب ذكر الحق ، ويثبت بدله غلبات الغفلة وهواجم النسيان .

8- يمحو أضرار الزلة عن نفوس العاصين ، وآثار العصيان عن ديوان المذنبين ، ويثبت بدل ذلك لوعة الندم ، وانكسار الحسرة ، والخمود عن متابعة الشهوة .

9- يمحو الله نضارة الشباب ، ويثبت ضعف المشيب .

10- يمحو عن قلوب الراغبين في مودة أهل الدنيا ما كان يحملهم على إيثار صحبتهم ويثبت بدلًا منه الزهد في صحبتهم والاشتغال بعشرتهم<sup>(1)</sup> .

وقال السهروردي (ت: 632هـ) : ( المحو بإزالة أوصاف النفوس ، أو المحو محو رسوم الأعمال بنظر الفناء إلى نفسه ومأمته )<sup>(2)</sup> .

ويقول محي الدين بن عربي (ت: 638هـ) : ( المحو رفع أوصاف العادة وإزالة العلة والمحو كالنسخ ، فإن الحكم إذا انتهت مدته انتقض

بغيره ، والنسخ في الأحكام انتهاء مدة الحكم ، وفي الأشياء المدة ،

قال تعالى : { كُلُّ شَيْءٍ يَجْرِى —

1. لطائف الإشارات 235/2 .

2. عوارف المعارف ص 527 .

لأَجَلٍ مُّسَمًّى { [الرعد/2] .

فجريان العادة في كل مخصوص ، إنما يكون إلى وقت معين ثم

ينتقض بما هو ليس بعادة : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ { [الرعد/39] )

(1) ، ويذكر الكاشاني في المحو عدة اصطلاحات تعارف عليها الصوفية (2) :

1- محو أرباب الظواهر : هو أن تمحو عن نفسك ما قد اعتدته من الخلال الذميمة ، ثم تستعوض عنها بالخصال الحميدة ، فإن فعلت ذلك ، فأنت صاحب المحو والإثبات ، الذى يقتصر عليه نظر أهل الظواهر .

2- محو أرباب السرائر : هو إزالة العلة والآفات ، ويقابله الإثبات الذى هو إثبات المواصلات ، وإنما سمي هذا المحو بمحو أرباب السرائر ، لأن العلل متى زالت عن السرائر ، كان في محوها إثبات المواصلات ، كما كان في محو الذات عن الظواهر إثبات المعاملات ، وهذان المحوان ، وما يقابلهما من الإثبات ، محو وإثبات بشرط العبودية ، وفي ذلك محو رسوم الأعمال لفناء العبد

عن نفسه فضلا عما منه ، ولا إثبات الحق له بما أنشأه له من الوجود به ، فهو بالحق لا بنفسه لإثبات الحق له مستأنفا ، بعد أن محاه عن أوصافه .

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص6 ، ولطائف الإعلام 277/2 ، وانظر أيضا جامع الأصول للكمشخانوى ص180 .

2. لطائف الإعلام 277/2:282.

3- محو الجمع : عبارة عن فناء الكثرة في الوحدة .

4- المحو الحقيقي : يعنى به رؤية الأشياء بعين أحدية الجمع ، الماحية للأغيار والغيرية ، لانتفاء التفرقة والمعاندة بين الذات وبين جميع شئونها في المرتبة الأولى التي هي مرتبة أحدية الجمع .

5- محو العبودية : هو المحو بشرط العبودية وقد يعنى بمحو العبودية محو عين العبد من الوجود على الوجه الذى فهمه أهل الخصوص من العلماء .

6- محو التشتت : أى محو الغير في العين والغيرية في الهوية فإن الكثرة هي المشتتة لشملة الوحدة فمحو التشتت هو التحقق بquam أحدية الجمع الجامع لشملة الوحدة التي لا يرى معها غير ولا غيرية .

7- محو المحو : هو البقاء بعد الفناء .

\*\*\*\*\*

## 113 - المراقبة

\*\*\*\*\*

- **المراقبة** : رقت الشيء انتظرته ، والمراقب الحارس الناظر المتابع ، والمرقب المنتظر المتبع ، كقول الله تعالى : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الدخان/10:11] وقوله عن موسى ص : { فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ } [القصص/18] (1) .

1. كتاب العين 154/5 ، لسان العرب 424/1 ، المغرب للمطري 341/1 .

وعن معاذ بن جبل ط ، قال : ( رَقَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ع فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ فَأَخْتَبَسَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لَنْ يُخْرَجَ ) (1) ، ومعنى رقبنا النبي ع ، يعني انتظرناه وعن أنس بن مالك ط ، قال : سمعت رسول الله ع يقول : " تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس ، حتى إذا كانت بين قرني الشيطان ، قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً " (2) ، وعن ابن عباس ط ، قال : " بت عند خالتي ميمونة ، فقام رسول الله ع من الليل ، فأتى حاجته ، ثم غسل وجهه ويديه ثم قام ، فأتى القربة فأطلق شناقها ، ثم توضأ وضوءاً بين الوضوءين لم يكثر ، وقد أبلغ ثم قام فصلى ، فقامت فتمطأت ، كراهية أن يرى أني كنت أرتقبه " (3) .



والمراقبة النظر بحذر بغية توقع شئ ما ، كما روى من حديث أبي ذر الغفارى  $\pi$  لما حضره الموت وهو بالربذة ، بكت امرأته ، فقال : ما يبكيك ؟ قالت : أبكي ، لا يد لي بنفسك ، وليس عندي ثوب يسعك كفنا ، فقال : لا تبكي ، فإني سمعت رسول الله  $\varepsilon$  ذات يوم ، وأنا عنده في نفر يقول : ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض ، يشهده عصابة من المؤمنين ، قال : فكل من —

1. حديث صحيح ، أخرجه أحمد في المسند برقم (21561) واللفظ له ، وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة برقم (421) 114/1 .
2. أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (622) 434/1 .
3. أخرجه أحمد في المسند (3184) واللفظ له ، والبخارى في العلم برقم (117) .

كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وفرقة ، فلم يبق منهم غيري ، وقد أصبحت بالفلاة أموت ، فراقبي الطريق ، فإنك سوف ترين ما أقول ، فإني والله ما كذبت ولا كذبت " (1) ، ومن حديث عائشة قالت : " فاستطالت علي تقصد زينب بنت جحش ، وأنا أرقب رسول الله  $\varepsilon$  ، وأرقب طرفه ، هل يأذن لي فيها ؟ " (2) .

والمراقبة على نوعين ، مراقبة العبد لربه ، بالمحافظة على حدوده وشرعة واتباعه لسنة نبيه  $\varepsilon$  ، كما روى عن ابن عباس  $\pi$  ، قال : " كنت خلف رسول الله  $\varepsilon$  يوما ، فقال يا غلام ، إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله " (3) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  قال : قال رسول الله  $\varepsilon$  : " سلوني ، فها بوه أن يسأله فجاء رجل ، فجلس عند ركبتيه وسأله .. قال : يا رسول الله ما الإحسان قال أن تحشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك قال صدقت " (4) .

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (20956) .
2. أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (2442) 1891/4 .
3. أخرجه الترمذى في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع برقم (2516) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 667/4 ، وقال الترمذى حسن صحيح .
4. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (10) 40/1 .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " قال أبو بكر : ارقبوا محمدا  $\varepsilon$  في أهل بيته " (1) ، يعنى راقبوا الله في أهل بيته ، واحذروا أن تقع ألسنتكم فيهن .

والنوع الثانى من المراقبة ، مراقبة الله لعباده وحفظه لهم ، وإحصائه لكسبهم كقوله تعالى عن عيسى  $\nu$  : { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المائدة/117] وقوله سبحانه : { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء/1] ، وكقوله تعالى عن ملائكته : { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } [ق/18] ، وعن أبي هريرة  $\tau$  قال : رسول الله  $\varepsilon$  : " قالت الملائكة : رب ذاك عبدك

يريد أن يعمل سيئة ، وهو أبصر به ، فقال : ارقبوه فإن عملها  
فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من  
جراي " (2) .

والرقبي هبة العقار لشخص فيرتقب الواهب عودتها بعد موت  
صاحبها ، وقد نهي عنها رسول الله ﷺ ، فعن ابن عمر  $\pi$  قال : " نهي  
رسول الله ﷺ عَنِ الرَّقْبِيِّ ، وقال : مَنْ أَرْقَبَ رُقْبِي فَهُوَ لَهُ " (3) .

### - المراقبة في الاصطلاح الصوفي :

1. أخرجه البخارى في كتاب المناقب برقم (3751) 119/7.

2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (129) 117/1.

3. أخرجه النسائي في كتاب العمري برقم (3734) وقال الشيخ الألباني : صحيح .

المراقبة هي دوام الملاحظة لما هو المقصود بالتوجه إلى الحق ظاهرا  
وباطنا <sup>(1)</sup> قال الحارث المحاسبي (ت:243هـ) : ( أوائل المراقبة علم  
القلب بقرب الرب عز وجل ، والمراقبة في نفسها التي تورث صاحبها  
وتكمل له الإسم ، ويستحق أن يسمى مراقبا ويسمى بها ، دوام علم  
القلب بعلم الله عز وجل في سكونك وحركتك ، علما لازما للقلب  
بصفاء اليقين ، وكشف غطاء حجب الظلم غير قاطع عن النظر  
بمشاهدة الغيب ، فعندها تغيب أسباب الغفلة عن القلوب بدواهيها  
، فيعقل عن الله نصائح الحكمة بما فيها ، ويكشف له اليقين عما

فات منها ) (2) ، ويروى عن ذى النون المصرى (ت:248هـ) أنه قال : ( علامة المراقبة ، إيثار ما آثر الله تعالى ، وتعظيم ما عظم الله تعالى ، وتصغير ما صغر الله تعالى ) (3) ، وينسب إلى أبي العباس الطوسى (ت:299هـ) : ( من راقب الله تعالى فى خطوات قلبه ، عصمه الله فى حركات جوارحه ) (4) .

ويذكر السراج الطوسى (ت:387هـ) أن المراقبة لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطلع على ما فى قلبه وضميره وعالم بذلك ، فهو يراقب الخواطر المذمومة المشغلة للقلب عن ذكر سيده ، كما

قال أبو سليمان الدراني —

1. لطائف الإعلام 286/2 .

2. القصد الرجوع إلى الله ص 105 .

3. الرسالة القشيرة 466/1 .

4. طبقات الصوفية ص 240 .

رحمه الله : كيف يخفى عليه ما فى القلوب ، ولا يكون فى القلوب إلا ما يلقي فيها ، أفيخفى عليه ما هو منه ؟ ، ثم يجعل أهل المراقبة على ثلاثة أحوال فى مراقبتهم (1) :

أ- حال الابتداء : وهو حفظ السرائر لإن الله مطلع على الضمائر .

ب- الحال الثانى : هو حال من راقب الحق بالحق فى فناء ما دون

الحق وتابع المصطفى ؑ فى أفعاله وأخلاقه وآدابه .

- ج - الحال الثالث : حال الكبراء من أهل المراقبة فإنهم يراقبون الله تعالى ويسألونه أن يرعاهم فيها لأن الله عز وجل قد خص نجباءه وخاصته بالأكلهم في جميع أحوالهم إلى أحد وهو الذى يتولى أمرهم فقال عز وجل : { وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } [الأعراف/196] .
- ويذكر أن الكاشاني المراقبة في طريق الصوفية ثلاثة أنواع (2) :
- 1- مراقبة العامة : هى محافظتهم على القيام بما فرض الله عليهم والوقوف عند حده لهم .
  - 2- مراقبة المريدين : دوام ملاحظة القلب بالحضور مع الرب .
  - 3- مراقبة الواصلين : حفظ الحق لهم عما يفرق جمعيتهم عليهم فهم يراقبونه به لا بهم .

1. اللمع ص82:83 .

2. لطائف الإعلام 286/2 .

\*\*\*\*\*

## 114 - المقام

\*\*\*\*\*

- المقام : الإقامة الوقوف والاستقرار ، كقوله تعالى : { فَاَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا

جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ { [الكهف/77] وقوله : { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ  
هُوًّا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا } [الجمعة/11] (1) .

والمقام اسم لموضع القيام ، ويقال باعتبار المكان والزمان ، فمن  
الأول ما روى عن عقبة بن عامر  $\tau$  ، قال : " صلى رسول الله  $\varepsilon$  على  
قتلى أحد بعد ثماني سنين ، كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر  
فقال : إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض  
وإني لأنظر إليه من مقامي هذا " (2) .

وعن ثوبان  $\tau$  ، أن نبي الله  $\varepsilon$  قال : " إِنِّي لَبِعُتْرٍ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسِ  
لَأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ ؟ ،  
فَقَالَ : مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ " (3) .

---

1. لسان العرب 496/12 ، المفردات ص 417:418 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4042) 404/7 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل برقم (2301) 1799/4 .

ومن الثانى ما روى عن سهل بن سعد الساعدى  $\tau$  قال : "   
جاءت امرأة إلى النبي  $\varepsilon$  ، فقالت : جئت أهب نفسي ، فقامت  
طويلا ، فنظر وصوب ، فلما طال مقامها ، قال رجل : زوجنيها إن  
لم يكن لك بها حاجة " (1) .

والمقام يقال أيضا لكل ما يدعو للوقوف فيه من إثبات دعوة أو نفيها ، أو إظهار منزلة أو وضعها ، فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى نحو : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ } [يونس/71] ، وقوله : { فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَهْمًا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [المائدة/107] .

قال البخارى فى قوله تعالى : { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ } [الرحمن/46] يهيم بالمعصية فيذكر الله عز وجل فيتركها (2) ، وعن أبي هريرة ؓ ، عن النبي ؑ قال : " خَلَقَ اللَّهُ الْخُلُقَ فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ ، قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ : مَهْ ، قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَلِكَ " (3) .

وعن عمر ؓ قال : " قام فينا النبي ؑ مقاما ، فأخبرنا عن بدء

### الخلق حتى —

1. أخرجه البخارى فى كتاب اللباس برقم (5871) 335/10 .

2. البخارى كتاب التفسير تفسير سورة الرحمن 446/8.

3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4832) 443/8.

دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه " (1) ، ومن حديث أسماء رضي الله عنها ، قال ؑ :

" ما من شيء لم أكن أريته ، إلا رأيتَه في مقامي ، حتى الجنة والنار " (2) ، وعن جابر بن عبد الله  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  صلى بهم صلاة الخوف ، فقام صف بين يديه وصف خلفه ، صلى بالذين خلفه ركعة وسجدتين ، ثم تقدم هؤلاء ، حتى قاموا في مقام أصحابهم ، وجاء أولئك فقاموا مقام هؤلاء ، وصلى بهم رسول الله  $\varepsilon$  ركعة وسجدتين ، ثم سلم ، فكانت للنبي  $\varepsilon$  ركعتان ولهم ركعة (3) .

وعن أبي موسى الأشعري  $\tau$  ، قال : " مرض النبي  $\varepsilon$  ، فاشتد مرضه فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت عائشة : إنه رجل رقيق ، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس (4) .

والمقام ورد أيضا في الكتاب والسنة كاصطلاح يعنى أمرين :

[1] - المكان الذي وقف عليه إبراهيم  $\text{ﷺ}$  لبناء البيت ، وظهر فيه أثر الأقدام حتى الآن ، وهو المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ

### مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ —

1. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق برقم (3192) 331/6.
2. أخرجه البخارى في كتاب العلم برقم (86) 219/1.
3. أخرجه النسائى في كتاب صلاة الخوف برقم (1545) وقال الشيخ الألبانى : صحيح الإسناد . 174/3 .
4. أخرجه البخارى في كتاب الأذان برقم (678) 192/2.



مُصَلَّى } [البقرة/125] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعا ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وطاف بين الصفا والمروة وقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " (1) .

[2] - الدرجة المكانية التي يبلغها النبي ﷺ في أرض المحشر يوم القيامة ، وهي الشفاعة العظمى ، فعن جابر بن عبد الله ر ، أن رسول الله ﷺ قال : " من قال حين يسمع النداء ، اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة " (2) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود " (3) .

وعن أبي هريرة ر ، قال رسول الله ﷺ في قوله : { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } [الإسراء/79] ، سئل عنها ؟ قال : هي الشفاعة " (4) .

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (396) 595/1.
  2. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (614) 112/2.
  3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4718) 251/8.

4. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3137) ، وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح  
303/5.

## - المقام فى الاصطلاح الصوفى :

المقام فى الاصطلاح الصوفى معناه مقام العبد بين يدى الله عز وجل  
فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله  
عز وجل ، كما قال تعالى : { ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ  
{ [إبراهيم/14] وقال : { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ } [الصفات/164] (1) .

روى عن أبى حفص النيسابورى (ت:270هـ) : ( التصوف كله  
آداب لكل وقت أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لزم آداب الأوقات  
، بلغ مبلغ الرجال ، ومن ضيع الآداب ، فهو بعيد من حيث يظن  
القرب ، ومردود من حيث يرجو القبول ) (2) ، ويذكر أن أبا بكر  
الواسطى (ت:بعد320هـ) سئل عن قول النبى ؑ : " الأرواح جنود  
مجندة " ، قال : ( مجندة على قدر المقامات والمقامات ، مثل التوبة  
والورع والزهد ، والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك ) (3) .

وينسب لعبد الله بن محمد بن منازل (ت:329هـ) أنه قال : ( ذكر الله تعالى أنواع العبادات ، فقال : { الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ  
وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ } [آل عمران/17] ، فختم  
المقامات كلها بمقام الاستغفار ليرى العبد تقصيره فى جميع أفعاله

وأحواله ، فيستغفر منها ) (4) وقال : كيف —

2. طبقات الصوفية ص 119 .

3. اللع ص 65 .

4. طبقات الصوفية ص 368 .

ينظر الإنسان إلى أمامه وورائه ، وهو غائب عن مقامه ووقته ؟ ( 1)

ويذكر الهجویری (ت: 465هـ) أن المقام هو إقامة الطلب على أداء حقوق المطلوب ، بشدة اجتهاد وصحة نية ، فكل من طلب الحق سبحانه وتعالى له مقام ، وهو السبب لأهل البداية الذى به طلب ربه ، ومع أن الطالب يستفيد بعض الفائدة من كل مقام يمر عليه ، فإنه يسكن إلى مقام مخصوص فى النهاية لأن المقام والبحث عنه يشكل التركيب والرسم ، لا الأخلاق والمعاملة ، وقد قال تعالى : { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ } [الصفات/164] ، فمقام سيدنا آدم ؑ والتوبة ، ومقام سيدنا نوح ؑ الزهد ، ومقام سيدنا إبراهيم ؑ التسليم ومقام سيدنا موسى ؑ الإنابة ، ومقام سيدنا داود ؑ الحزن ، ومقام سيدنا عيسى ؑ الرجاء ، ومقام سيدنا يحيى ؑ الخوف ، ومقام رسولنا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الذكر ، وقد أخذ كل منهم بعض الشئ من المقامات الأخرى ، لكن كل واحد منهم رجع فى النهاية إلى أصل مقامه (2) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : (المقام ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة —

1. السابق ص368 .

2. كشف المحجوب ص449 ، وتجدد الإشارة إلى أنه لا دليل على مزاعم الهجویری من تخصيص مقامات الأنبياء بنوعية من أعمال القلوب ، فجميعهم صفوة الله في خلقه وهم في أقوالهم وأفعالهم القدوة لسائر الناس في كل زمان .

تكلف ، فمقام كل أحد ، موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له وشرطه : أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر ، مالم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا تصح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد (1) .

ويذكر الكاشاني أن المقام عند الصوفية له أنواع (2) :

(1- مقام الإسلام : هو إقامة النفس على الأخذ في السير ، والرجوع من مقام أحكام العادات وملازمة طلب الحظوظ والشهوات والإرادات للأمور الزائلة الفانية الطبيعية الحيوانية ، وذلك بالملازمة على ما ورد من الأوامر والنواهي الإلهية في جميع الحركات والسكنات قولاً وفعلاً .

(2- مقام الإيمان : هو دخول النفس من حيث باطنها في الغربة بالانفصال عن مقارها الحيوانية ، ومقام مألوفاتها الشهوانية ، ووطن ظهورها بصور كثرتها وانحرافات الجسمانية والشيطانية ،

والاتصال بحضرة باطنها وأحكام عدالته ووحدته ، وما دام العبد كذلك فهو في الإيمان .

(3- مقام الإحسان : حصول النفس من حيث سرها على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد ، بطريق الفناء وأحكام التقيد والحجب الطارئة ، بالنزول والتلبس بأحكام المراتب ، ونفض آثار غبار خلقيتها عن أزيال حقيقتها وذلك هو مقام الإحسان .

---

1. الرسالة 204/1 .

2. لطائف الإعلام 2 / 326 .

(4- مقام المتوسطين : يعنى به مقام المتوسطين بين مقام الإرادة والنهاية وهذا هو مقام التوسط بين شهود أهل البداية في الإرادة ، وأهل النهاية في البلوغ إلى أنهى نهايات الوصول ، ويسمى شهود المتوسطين .

(5- مقام الرضا : هو إنابة الخاصة ، وهو أن لا يجد العبد في قلبه ، إرادة لوقوع شئ قبل وقوعه ، ولا كراهة لما وقع ، لئلا يكون ممن أحب تقديم ما أراد الله تأخير ، أو تأخير ما أراد الله تقديمه .

(6) - مقام الجمع : هو اعتبار الذات بحسب واحديتها ، المحيطة بجميع الأسماء والحقائق ، وهذا المقام هو المسمى بمرتبة الجمع والوجود .

(7) - مقام التوحيد الأعلى : هو التجلى الذاتى ، وهو التعين الأول والوحدة الحقيقية .

\*\*\*\*\*

## 115 - المکر

\*\*\*\*\*

- المکر : المکر التدبير فى خفاء بحيلة ، لصرف الغير عما يقصده ، وذلك ضربان (1) :

أ- مذموم وهو المکر بالسوء ابتدا ، ليتحرى به الفعل القبيح ، كقوله تعالى : —

1. لسان العرب 5/183 ، والمفردات ص471 ، وكتاب العين 5/370 .

{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ } [فاطر/42:43] ، وقوله : { وَقَدْ مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } [إبراهيم/46] .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال فى قوله : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ { [الأففال/30] : ( تشاورت قريش ليلة بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ﷺ ، وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع الله عز وجل نبيه ﷺ على ذلك ، فبات علي علي فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا ، يحسبونه النبي ﷺ ، فلما أصبحوا ثاروا إليه ، فلما رأوا عليا ، رد الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم ، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابة نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل هاهنا ، لم يكن نسج العنكبوت على بابة ، فمكث فيه ثلاث ليال ) (1) ، وعن أبي بكر الصديق ؓ قال رسول الله ﷺ : " ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به " (2)

1. أخرجه أحمد في المسند (3241) وفيه عثمان بن زفر الجهني الدمشقي وهو مجهول .

2. أخرجه الترمذى في كتاب البر والصلة برقم (1941) ، وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 332/4

وقال الترمذى : حديث ضعيف .

ب- مكر محمود وذلك على وجهين ، أن يكون في مقابل المكر السيئ لتدميره كقول الله تعالى : { وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } [النمل/50] وقوله : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ

{ [الأَنْفَال/30] أو يكون المكر على وجه الابتلاء والاختبار ، وعلى ذلك قال سبحانه : { أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } [الأعراف/99] ، فمكر الله إمهال العبد ، وتمكينه من أعراض الدنيا على وجه الابتلاء ، وروى في ذلك أيضا عن ابن عباس ؓ قال : " كان النبي ﷺ يدعو يقول : رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي " (1) .

### - المكر في الاصطلاح الصوفي :

المكر في الاصطلاح الصوفي من جانب الحق تعالى ، إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الكرامات من غير جهد ، ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر (2) ، قال القشيري في تفسير قوله تعالى : { وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ

رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ —————

1. أخرجه الترمذى في كتاب الدعوات برقم (3551) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح 554/5 ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

2. التعريفات للجرجاني ص 245 ، واصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 11 ، ولطائف الإعلام 334/2 .

مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ { [يونس/21] يعنى إذا أصابهم ضرر ومحنة ، فرحمناهم وكشفنا عنهم ، أحالوا الأمر على غيرنا وتوهموه مما هو سوانا ، مثل قولهم مطرنا بنوء كذا ، ومثل قولهم إن هذه سعادة نجم ، أو مساعدة دولة ، أو تأثير فلک ،



أو خيرات دهر ، فهذا كان مكرهم أما مكر الله بهم ، فهو جزاؤهم على مكرهم ، وإشارة في هذا ، أنه ربما يكون للمريد أو للطالب حجة أو فترة ، فإذا جاء الحق بكشف أو تجل أو إقبال فمن حقهم ألا يلاحظوها ، فضلا عن أن يساكنوها ، لأنهم إذا لم يرتقوا عن ملاحظة أحوالهم إلى الغيبة بشهود الحق ، مكر الله بهم ، بأن شتتهم في تلك الأحوال من غير ترق عنها أو وجود زيادة عليها ، وهذا مكره بخواصهم (1) .

وقال أبو حامد الغزالي : ( والمكر ثلاثة : مكر عموم ، وهو الظاهر في بعض الأحوال ، ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ، ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات ) (2) ، ويرى ابن عربي أيضا ، أن المكر عند الصوفية إرداف النعم مع المخالفة ، وإبقاء الحال مع سوء الأدب ، وإظهار الآيات والكرامات من غير أمد ولا حد (3) .

---

1. لطائف الإشارات 87/2 .

2. الإملاء ص 69 .

3. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 11 .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

- النفس : النفس تطلق في الكتاب والسنة على عدة معان ،  
أغلبها في المعجم اللغوية (1) :

[1 - النفس : صفة لله عز وجل ليس كمثلها شيء فيها ، لقول  
الله تعالى : { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران/30] ، وقوله جل ذكره :  
{ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ }  
{ [المائدة/116] ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " لما خلق الله  
الخلق كتب في كتابه ، وهو يكتب على نفسه ، وهو وضع عنده على  
العرش ، إن رحمتي تغلب غضبي " (2) وعنه أيضا  $\tau$  ، قال النبي  $\varepsilon$  : "   
يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن  
ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ  
خير منهم " (3) .

[2- النفس : ذات الإنسان ظاهرا وباطنا ، كقوله تعالى : {  
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر/38] ، والكسب يكون بالظاهر  
والباطن ، وكذلك —

1. كتاب العين 270/7 ، ولسان العرب 233/6

2. أخرجه البخارى في كتاب التوحيد برقم (7404) 395/13.

3. أخرجه البخارى في الموضوع السابق برقم (7405) 395/13.

قوله : { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ  
أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [لقمان/34] وقوله تعالى : { مَا كَانَ  
لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ

أَوْلَيْكَ حَبِطَتْ أَعْمَاهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } [التوبة/17] ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " إذا صلى أحدكم للناس فليخفف ، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء " (1) .

[3- النفس : البدن الظاهر الذى أمر الله بإحيائه فى نحو قوله تعالى : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة/32] والمقصود البدن الظاهر لأن قتل الباطن معنوى ، لا يؤثر فى هلاك الظاهر ، وكذلك قوله تعالى : { قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا } [الكهف/74] وقوله : { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا } [النساء/29] ، وعن أنس  $\tau$  قال : " سئل النبي  $\varepsilon$  عن الكبائر ؟ قال : الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ " (2) ، وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : " قال لي النبي  $\varepsilon$  : ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ ، قلت : إني أفعل ذلك قال : فإنك إذا فعلت ذلك ، هجمت عينك

ونفخت نفسك ، وإن لنفسك حقا —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (703) 233/2.

2. أخرجه البخارى فى كتاب الشهادات برقم (2653) 309/5 .

ولأهلك حقا ، فصم وأفطر وقم ونم " (1) .

[4- النفس : باطن الإنسان وما يدور فيه من خواطر ، كقوله تعالى : { وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة/284] ، وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ، حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضى النداء أقبل ، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر ، حتى إذا قضى التثويب ، أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه ، يقول : اذكر كذا اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر ، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى " (2) .

وعن جابر بن عبد الله  $\tau$  ، قال : " بعثني رسول الله  $\varepsilon$  في حاجة له فانطلقت ثم رجعت ، وقد قضيتها ، فأتيت النبي  $\varepsilon$  فسلمت عليه ، فلم يرد علي ، فوقع في قلبي ما الله أعلم به ، فقلت في نفسي : لعل رسول الله  $\varepsilon$  وجد علي أني أبطأت عليه ، ثم سلمت عليه فلم يرد علي ، فوقع في قلبي أشد من المرة الأولى ، ثم سلمت عليه فرد علي ، فقال : إنما منعني أن أرد عليك أني كنت أصلي ، وكان علي راحلته متوجها إلى غير القبلة " (3) ، وعن عثمان بن عفان  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$

قال : " من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين —

1. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة برقم (1153) 46/3.

2. أخرجه البخارى في كتاب الإذان برقم (608) 101/2.

3. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة برقم (1217) 104/3.

لا يحدث فيهما نفسه ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه " (1) ، وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ، إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " (2) .

[5- النفس : يعبر بها عن الروح ، نحو قوله تعالى : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } [الأنعام/93] وقول : { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا } [الزمر/42] ، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، قال : " فرجع إلى رسول الله ﷺ الصبي ، ونفسه تتعقعق ، قال : حسبته أنه قال : كأنها شن ، ففاضت عيناه ، فقال سعد ؓ : يا رسول الله ، ما هذا ؟ فقال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " (3) .

[6- النفس : يعبر بها هوى الإنسان المتعلق بأصناف المشتهايات ، وقد يكون محمودا أو مذموما :

أ- فالحمود كقوله : { فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ

{ [النساء/4] —

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1142) 30/3 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1284) 182/3 .

ومما ورد فى السنة ، ما روى عن حكيم بن حزام τ ، قال : " سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال : يا حكيم ، إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس ، بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس ، لم يبارك له فيه ، كالذي يأكل ولا يشبع ، اليد العليا خير من اليد السفلى " (1)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : " سمعت عمر يقول : كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء ، فأقول أعطه من هو أفقر إليه مني ، فقال خذه إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ، وما لا فلا تتبعه نفسك " (2) ، وعن أبي هريرة τ ، عن النبي ﷺ قال : " ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس " (3) ، وعن عائشة قالت : " كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ ، وأقول : أتهب المرأة نفسها؟! فلما أنزل الله تعالى : { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ .. الآية } [الأحزاب/51] ، قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك " (4) ، وعن أبي موسى الأشعري

τ قال النبي ﷺ : الخازن —

1. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1472) 393/3 .

2. أخرجه البخارى فى الؤضع السابق برقم (1473) 395/3.

3. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6446) 276/11.

4. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4788) 385/8.

الأمين الذى يؤدى ما أمر به طيبة نفسه أحد المتصدقين " (1) ، وعن أنس ؤ عن النبي ء قال : " لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه " (2) .

ب - والمذموم من النفس ، ما ورد فى قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ } [التوبة/34:35] ، على اعتبار أن معنى لأنفسكم ، أى لأهوائكم لا لطاعة الله ، وقال عبد ابن عباس ؤ فى قوله تعالى : { وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ } [النساء/128] ، هواه فى الشيء يحرص عليه (3) ، وقال أيضا : " ما رأيت شيئا أشبه باللمم ، مما قال أبو هريرة ؤ ، عن النبي ء : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا ، أدرك ذلك لا محالة ، فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق ، والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه " (4) .

وقد ورد فى وصف النفس ثلاثة أنواع :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الإجارة برقم (2260) 514/4.

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (13) 73/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن باب { وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا } [النساء/128] ، انظر فتح البارى 265/8 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب الاستئذان برقم (6243) 28/11 .

1- النفس المطمئنة : قال الإمام البخارى : المطمئنة المصدقة

بالثواب ، وقال الحسن : { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى

رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر/

30:27] ، إذا أراد الله عز وجل قبضها ، اطمأنت إلى الله واطمأن

الله إليها ، ورضيت عن الله ورضي الله عنها ، فأمر بقبض روحها

، وأدخلها الله الجنة وجعله من عباده الصالحين (1) .

2- النفس اللوامة : ورد ذكرها فى قوله تعالى : { لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ

الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } [القيامة/2] ، قال مجاهد : هى

التي تلوم على ما فات وتندم ، فتلوم نفسها على الشر ، لم

تعمله ؟ وعلى الخير ، لم لم تستكثر منه (2) .

3- النفس الأمارة بالسوء : ورد ذكرها فى قوله تعالى : { وَمَا أُبْرِيءُ

نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] ، لأن

من طبعها الأمر بالسوء ، والميل إلى الشهوات ، وصعوبة قهرها

وكفها عن ذلك (3) .

- النفس فى الاصطلاح الصوفى :



النفس فى الاصطلاح الصوفى ، ما كان معلولا من أوصاف العبد

كذميم —

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن ، سورة والفجر 581/8 .

2. فتح القدير 335/5 .

3. السابق 35/3 .

الأفعال وسفساف الأخلاق وذلك مثل الكبر والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال (1) .

روى عن أبى تراب النخشبى (ت:245هـ) أنه قال : ( يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة وليست هى لكم ، تحبون النفس وهى لله ، وتحبون الروح والروح لله ، وتحبون المال والمال للورثة ، وتطلبون اثنين ولا تجدونهما ، الفرج والراحة وهما فى الجنة ) (2) .

وعن أبى سعيد الخراز (ت:279هـ) قال : ( مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف ، فإن حركته ظهر ما تحته من الحمأة ، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة ، ومن لم يعرف ما فى نفسه كيف يعرف ربه ) (3) .

ويذكر لعلى بن سهل الأصبهاني (ت:قبل300هـ) : ( العقل والهوى متنازعان ، فمعين العقل التوفيق ، وقرين الهوى الخذلان ، والنفس واقفة بينهما فأيهما ظفرت كانت فى حيرة ) (4) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( النفس : نفس الشئ  
في اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من إطلاق النفس الوجود ، ولا

### القلب الموضوع —

1. معجم اصطلاحات الصوفية ص116Y115 .

2. طبقات الصوفية ص148 .

3. السابق ص230:231 .

4. السابق ص235 .

إنما أرادوا بالنفس ، ما كان معلولا من أوصاف العبد ، ومذموما من  
أخلاقه وأفعاله ، ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين ،  
أحدهما : ما يكون كسبا له كمعاصيه ومخالفاته ، والثاني : أخلاقه  
الدينية فهي في أنفسها مذمومة فإذا عاجلها العبد ونازلها ، تنتفى عنه  
بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر المادة .

والقسم الأول من أحكام النفس ما نهى عنه نهى تحريم أو نهى  
تنزيه ، وأما القسم الثاني من قسمي النفس فسفساف الأخلاق  
والدنيء منها ، هذا حدها على الجملة ، ثم تفصيلها ، فالكبر  
والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من  
الأخلاق المذمومة ، وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن شيئا  
منها حسن ، أو أن لها استحقاق قدر ، ولهذا عد ذلك من الشرك  
الخفي ، ومعالجة الأخلاق في ترك النفس وكسرها ، أتم من مقاساة  
الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات ، التي تتضمن

سقوط القوة وإن كان ذلك أيضا من جملة ترك النفس ، ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق المعلومة (1) .

ويذكر الكاشاني أن النفس أنواع (2) :

1- النفس الأمارة : النفس الأمارة هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية ، وتأمر بالذات والشهوات الحسية ، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية ، فهي

---

1. الرسالة القشيرية ص270:271 .

2. لطائف الإعلام 2/359:361 ، معجم اصطلاحات الصوفية ص116:115 .

مأوى الشر ، ومنبع الأخلاق الذميمة ، والأفعال السيئة ، قال الله تعالى : { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] .

2- النفس اللوامة : هي التي تنورت بنور القلب ، تنورا قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة ، فتيقظت وبدأت بإصلاح حالها ، مترددة بين جهتي الربوبية والخلقية ، فكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها تداركها نور التنبه الإلهي ، فأخذ تلوم نفسها ، وتتوب عنها ، مستغفرة راجعة إلى باب

الغفار الرحيم ، ولهذا نوه الله بذكرها بالإقسام بها في قوله تعالى :

{ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } [القيامة/2]

3- النفس المطمئنة : هي التي تم تنورها بنور القلب ، حتى انخلعت

عن صفاتها الذميمة ، وتخلقت بالأخلاق الحميدة ، وتوجهت

إلى جهة القلب بالكلية مشايعة له في الترقى إلى جانب عالم

القدس ، متنزهة عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات ،

مساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات ، حتى خاطبها ربها بقوله

تعالى : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً

مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر/ 30:27] .

\*\*\*\*\*

## 117 - الهممة

\*\*\*\*\*

- الهممة : الهم الحزن وجمعه هموم ، وأهمه الأمر أحزنه وأقلقه ، والهم

يرد في

الكتاب والسنة على عدة أوجه (1) :

1- ما يسبق الإرادة من حديث النفس كقوله تعالى : { إِذْ هَمَّتْ

طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران/122]

دارت خواطر الهزيمة في نفوسهم دون رغبتهم في الانهزام ،

لقوله : والله وليهما فعن جابر بن عبد الله قال : فينا نزلت بنو سلمة وبنو حارثة ، وما نحب أنهما لم تنزل لقول الله عز وجل : { وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا } (2) ، وعن عبد الله بن مسعود ؓ قال : " صليت مع النبي ﷺ ليلة ، فلم يزل قائما حتى هممت بأمر سوء ، قلنا : وما هممت ؟ ، قال : هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ " (3) ، يعني حدثته نفسه دون عزم أو نية للفعل .

2- الهم بمعنى إرادة القلب قبل ظهور أثرها على البدن الظاهر ، لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل ، قال : " إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها ، كتبها الله له عنده عشر حسنات ، إلى سبع مائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها ، كتبها الله —

1. لسان العرب 619/12 ، والمفردات ص 545 .

2. أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (2505) 1948/4 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة برقم (1135) 24/3 .

له سيئة واحدة " (1) ، وقد بينت الرواية الأخرى عن أبي هريرة ؓ أن المقصود بالهم الإرادة ، فقال رسول الله ﷺ : " يقول الله : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة ، فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فآكتبوها بمثلها ، وإن تركها من أجلي فآكتبوها له حسنة ، وإذا أراد

أن يعمل حسنة ، فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف " (2) .

ومما ورد أيضا في الهم بمعنى الإرادة ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " مثل البخيل والمتصدق ، مثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما ، فكلما هم المتصدق بصدقته ، اتسعت عليه حتى تعفي أثره ، وكلما هم البخيل بالصدقة ، انقبضت كل حلقة إلى صاحبتهما وتقلصت عليه ، وانضمت يداه إلى تراقيه " (3) ، وعنه أيضا  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  أنه قال : " إن الشيطان عرض لي ، فشد علي ليقطع الصلاة علي ، فأمكنني الله منه فدعته ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية ، حتى تصبحوا فتنظروا إليه فذكرت قول سليمان عليه السلام : { قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي } [ص/35] فرده الله خاسيا " (4) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6491) 331/11.

2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7501) 473/13.

3. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد والسير برقم (2917) 117/6.

4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1210) 97/3.

وعنه أيضا  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم .. " (1) ،

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : " كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب .. " (2) .

3- الهم بمعنى الحزن الثقيل ، كما روى عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها " (3) ، وعن زيد بن أرقم قال : " كنت في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبي يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر ، فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته ، فأرسل رسول الله ﷺ لي عبد الله بن أبي وأصحابه ، فحلفوا —

1. أخرجه البخارى في كتاب الأذان برقم (644) 148/2.

2. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة برقم (1166) 58/3.

3. أخرجه البخارى في كتاب المرضى برقم (5642) 107/10.

ما قالوا ، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه ، فأصابني هم لم يصبني مثله قط فجلست في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله ﷺ ومقتك ، فأنزل الله تعالى { إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ }

[المنافقون/1] ، فبعث إلي النبي ﷺ فقراً فقال : إن الله قد صدقك يا زيد " (1)

4- الهم ما ينشغل به الإنسان ، كقوله تعالى : { ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ } [آل عمران/154] أى انشغلوا بأنفسهم خوفا ورعبا ، لما روى عن أنس  $\pi$  ، أن أبا طلحة قال : " غشيننا ونحن في مصافنا يوم أحد حدث ، أنه كان فيمن غشيه النعاس يومئذ ، قال فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذه ، ويسقط من يدي وأخذه ، والطائفة الأخرى المناقدون ليس لهم هم إلا أنفسهم ، أجبين قوم وأرعبه وأخذله للحق " (2) .

وعن زيد بن ثابت  $\pi$  ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من كان همه الآخرة جمع الله شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته الدنيا ، فرق الله عليه ضيعته ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب له " (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4900) 512/8.

2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3008) وقال الشيخ الألبانى : صحيح دون قوله : والطائفة الأخرى 229/5 .

3. أخرجه أحمد (21080) والترمذى فى العلم (2656) وقال الألبانى : صحيح 33/5 .



والهمة : تطلق على قوة الإرادة الدافعة إلى الفعل ، نحو قوله تعالى  
: { وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ } [يوسف/24] ،  
أرادت الفاحشة وأراد يوسف عليه السلام الامتناع حتى تمزق قميصه  
، وقوله تعالى : { وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ } [غافر/5] ، وعن  
أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : " يأتي المسيح من قبل المشرق ،  
همته المدينة حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام  
، وهنالك يهلك " (1) .

#### - الهمة في الاصطلاح الصوفي :

الهمة في الاصطلاح الصوفي تطلق بإزاء تجريد القلب للمنى ، وتطلق  
بإزاء أول صدق المرید ، وتطلق بإزاء جمع الهمم بصفاء الإلهام (2) .  
روى عن أحمد بن خضروية (ت:240هـ) قال : ( حقيقة المعرفة ،  
المحبة له بالقلب ، والذكر له باللسان ، وقطع الهمة عن كل شئ سواه  
(3) )

وعن ممشاد الدينورى : (ت:299هـ) قال : ( رأيت في بعض  
أسفارى شيخا توسمت فيها لخير ، فقلت : ياسيدى كلمة تزودنى بها  
، فقال : همتك فاحفظها ، فإن الهمة مقدمة الأشياء ، ومن صلحت  
له همته وصدق فيها ، صلح —

1. أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (1380) 1005/2.

2. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص11 ، وانظر أيضا مدخل السلوك لأبى حامد الغزالى  
ص42 ، وله أيضا سر العالمين ص42 ، 114 وجامع الأصول ص207 .

له ما وراءها من الأعمال والأحوال (1) ، وروى عن عبد الله بن محمد الخراز الرازي (ت: قبل 310هـ) : ( الهمم تختلف في الدارين ، وليس من همته في المشهد الأعلى ، الحور والقصور والاشتغال بنعيم الجنان وزخرفها ، كمن همته مجالسة مولاه والنظر إلى وجهه الكريم ) (2) .

ويرى إبراهيم القصار (ت: 326هـ) فيما ينسب إليه أن قيمة كل إنسان بقدر همته ، فإن كانت همته الدنيا ، فلا قيمة له ، وإن كانت همته رضا الله تعالى فلا يمكن استدراك غاية قيمته ، ولا الوقوف عليها (3) ، وروى عن أبي على بن الكاتب (ت: بعد 340هـ) : ( الهمة مقدمة الأشياء ، فمن صحح همته بالصدق ، أتت عليه ثوابه على الصحة والصدق فإن الفروع تتبع الأصول ومن أهمل همته أتت عليه ثوابه مهملة ، والمهمل من الأحوال والأفعال ، لا يصلح لبساط الحق ) (4) ، ولأبي سعيد بن الأعرابي (ت: 341هـ) : ( من أصلح الله همته لا يتعبه بعد ذلك ، ركوب الأهوال ولا مباشرة الصعاب ، وعلا بعلو همته إلى أسنى المراتب وتنزه عن الدناءة أجمع ) (5) .

---

1. السابق ص 318 .

2. السابق ص 289 .

3. السابق ص 319 .

4. السابق ص 388 .

5. السابق ص 429 .

ويجعل الغزالي الهمة ثلاثة : همة منية وهى تحرك القلب للمنى ، وهمة إرادة وهى أول صدق المرید ، وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر (1) .

ويذكر عبد الكريم الجيلى أن الهمة أعز شئ وضعه الله فى الإنسان ، وذلك أن الله تعالى لما خلق الأنوار ، أوقفها بين يديه فرأى كلاً منها ، مشتغلاً بنفسه ورأى الهمة مشتغلة بالله ، فقال لها : وعزتى وجلالى لأجعلتك أرفع الأنوار ولا يحظى بك من خلقى إلا أشرف الأبرار (2) .

ويعرف الكاشانى الهمة بأنها ما يثير شدة الانتهاض إلى معالى الأمور ، وهو عندهم طلب الحق بالإعراض عما سواه من غير فتور ولا توان ، ويعبر بالهمة عن نهاية شدة الطلب ثم يذكر بعض المداخل الفرعية كاصطلاحات للصوفية تحت مصطلح الهمة منها (3) :

1- همة الإفاقة : هى أول درجات الهمة وتطلق بإزاء أول صدق المرید وما يبعثه على السير فى منازل المحبة ، وهى همة يتصف بها العبد أول ما يفيق قلبه من غلبات اللهو وفتن الهوى فيشاهد الدنيا فيها مستقبحة لما فيها من توحش قلوب المشتغلين بها قال ع :

---

1. الإملاء ص 67 .
2. الإنسان الكامل 22/2 ، وانظر أيضا ديوان ابن الفارض ص 171 ، وفصوص الحكم 78 /2 ،  
وتعليق أبي العلا عفيفى على كلام ابن عربى فى الهمة .
3. لطائف الإعلام 371:369/2 .

" ألا إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه  
، وعالم أو متعلم " (1) .

2- همة الأنفة : وهى همة تورث صاحبها أنفة على قلبه ، أن  
يشغله بطلب الأجر من الله تعالى ، ليتوقع منه ما وعده على  
الطاعة من الثواب ، لارتقاء همته عن رؤية العمل ، إلى مشاهدة  
الحق ، الذى إنما يطلب العمل طمعا فى القرب منه ، حتى يكون  
نهاية العمل الصالح عند صاحب هذه الهمة ، لا يبلغ بداية توجهه  
إلى ربه .

3- همة أرباب الهمم العالية : هى همة من لا يريد بما يقصد إلى  
عمله شيئا سوى الحق ، فلما تعالت همته عما سوى الله ، أن يجعله  
مقصودا له كانت همته أعلى الهمم لتعلقها بالحق الذى لا يعلوه شئ  
، وسميت همته لذلك بالهمم العالية .

4- الهمم العالية : يعنى بها همم القوم الذين لا يطلبون بعبادتهم  
من الله سوى مجرد العبودية له سبحانه ، لصدق محبتهم فيه ، لا  
فيما سواه من رغبة فى نعيم أو رهبة عن جحيم ، فسموا أهل الهمم

العالية ، لسمو همتهم حيث تعلقت بأعلى المقاصد الذى هو الحق تعالى .

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الزهد برقم (2244) وقال الألبانى : حسن 561/4 ولفظه عن أبي هريرة  $\tau$  قال : " سمعت رسول الله  $\varepsilon$  يقول : " ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم " .

\*\*\*\*\*

## 118 - الهوى

\*\*\*\*\*

- الهوى : الهوى غريزة موضوعة فى الإنسان تتعلق الدنيا ، وما فيها من أصناف المشتبهات على سبيل الابتلاء ، لقوله تعالى : { فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات/41:37] ، فجعل الهوى فى مقابل التعلق بالدنيا ، والهوى فى نسبته والسبب فى تسميته على أوجه (1) :

1- الهوى نسبة إلى الهواء الذى هو الفراغ والخلاء ، كما فى حديث جابر بن عبد الله  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " نوديت فرفعت رأسي فإذا جبريل عليه السلام على العرش فى الهواء " (2) ، أى فى الفراغ ما بين السماء والأرض وقال تعالى : { مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ

لا يَرْتَبِدُ إِلَيْهِمْ طَيْرُهُمْ وَأَفْعَدَتْهُمْ هَيَواءُ { [إبراهيم/43] ، وكان الهوى  
ومحصلة الشهوات لا طائل منها ، كالهباء المنشر في الهواء .

2- الهوى من السقوط والنزول ، قال الشعبي قال : ( إنما سمي  
الهوى لأنه يهوي بصاحبه ) (3) أى ينزله ويسقطه ومنه قوله تعالى :  
{ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ —

1. لسان العرب 551/13 ، والمفردات ص 548 ، وكتاب العين 104/4 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (161) 143/1 .

3. أخرجه الدارمي في المقدمة (395) 120/1 وفيه محمد بن حميد وهو ضعيف .

فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ  
سَحِيقٍ { [الحج/31] ، وعن جابر بن عبد الله ، أنه سمع النبي ﷺ يقول  
: " ثم فتر عني الوحي فترة ، فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء  
، فَرَفَعْتُ بَصْرِي قِبَلَ السَّمَاءِ ، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِجِرَائِ قَاعِدٌ  
عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيْتُ إِلَى  
الْأَرْضِ ، فَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ : زملوني زملوني ، فأنزل الله تعالى : {  
يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ { [المدثر/1:2] " (1) .

3- الهوى من الإهواء الذى هو الإشارة إلى المراد والرغبة فى فعله  
كما روى عن سهل بن حنيف ، قال : " أهوى رسول الله ﷺ بيده  
إلى المدينة فقال إنها حرم آمن " (2) وعن عبد الله بن مسعود ، قال  
النبي ﷺ : " أنا فرطكم على الحوض ليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا

أهويت لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي يقول لا تدري ما أحدثوا بعدك (3) .

والهوى قد يراد به المحبة والإرادة ، أو ميل النفس إلى الشيء ، كما قال زر بن حبیش لصفوان بن عسال المرادي τ : " هل سمعت رسول الله ε يذكر في الهوى شيئاً ، قال : نعم ، كنا مع النبي ε في سفر ، فبينما نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري ، يا محمد ، فأجابه رسول الله ε نحواً من ———

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3238) 361/6.

2. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1375) 1003/2.

3. أخرجه البخارى فى كتاب الفتن برقم (7049) 5/13 .

صوته ، هاؤم ، فقلنا له : ويحك اغضض من صوتك ، فإنك عند النبي ε وقد نهيت عن هذا ، فقال : والله لا أغضض ، قال الأعرابي : المرء يحب القوم ولما يلحق بهم ، قال النبي ε : المرء مع من أحب يوم القيامة " (1) .

وعن سمرة بن جندب τ ، أن نبي الله ε قال : " البيعان بالخيار حتى يتفرقا ، أو يأخذ كل واحدٍ منهما من البيع ما هوى ، ويتخايران ثلاث مرّات " (2) .

وعن عبد الله بن عمر τ ، أنه خطب إلى نسيب له ابنته ، قال : " فكان هوى أم المرأة في ابن عمر ، وكان هوى أبيها في يتيم له ،

قال : فزوجها الأب يتيمه ذلك ، فجاءت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له ، فقال النبي ﷺ : أمروا النساء في بناتهن " (3) .

وقال عبد الرحمن بن عوف  $\tau$  : " لما قدمنا المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع ، فقال : سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالا —————

1. أخرجه الترمذى فى كتاب الدعوات برقم (3535) وقال الشيخ الألبانى : حسن 5/545 ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

2. أخرجه النسائى فى كتاب البيوع برقم (4481) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : ضعيف 7/251 .

3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (4887) واللفظ له ، وأبو داود فى كتاب النكاح برقم (2059) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 2/232 .

فأقسم لك نصف مالي ، وانظر أي زوجتي هويت ، نزلت لك عنها ، فإذا حلت تزوجتها " (1) .

والهوى باعتبار الذم والمدح نوعان :

[1 - الهوى المذموم وهو الأغلب فى الكتاب والسنة كقوله تعالى : { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } [الكهف/28] وقوله : { فَبَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْبُدُوا وَإِنْ تَلُؤُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } [النساء/135] وقوله : { وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } [الأنعام/119] ، وعن حذيفة بن اليمان  $\tau$  قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأى



قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه " (2) .

وعن شداد بن أوس ، عن النبي ﷺ قال : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله " (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2048) 337/4.

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (144) 128/1.

3. أخرجه الترمذى فى كتاب صفة القيامة برقم (2459) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 638/4 وقال : حديث حسن .

وعن أبي برزة ، عن النبي ﷺ قال : " إن مما أخشى عليكم شهوات الغي فى بطونكم وفروجكم ، ومضلات الهوى " (1) .

[2- الهوى المحمود ، وهو ما يهواه المرء من سائر الضروريات الدنيوية التى لا بد منها وتنتهى ، كما وردت فى قوله تعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ } [آل عمران/14] ، فدللت الآية

على أن الشهوة المذكورة دنيا والحاجات مع كونها ضروريات ، إلا أن الهوى يتعلق بها وتشتهى ، فمن حديث عائشة رضي الله عنها قالت : " كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ ، وأقول : أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى : { تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ } [الأحزاب/51] قلت : ما أرى ربك إلا يسارع في هواك " (2) .

## - الهوى في الاصطلاح الصوفي :

الهوى في الاصطلاح الصوفي هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع وإعراضها عن أحكام الشرع وعدم التوجه إلى الجهة العلوية بالنزول إلى الجهة السفلية —

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (19274) .

2. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن برقم (4788) 385/8 .

وعلاجه أن تجعل القلب في مجاهدة دائمة حتى تصيره ذلولاً (1) .

قال الحارث المحاسبي (ت:243هـ) : ( والنزم الأدب ، وفارق الهوى والغضب ، واعمل في أسباب التيقظ ، واتخذ الرفق حزبا ، والتأني صاحبا والسلامة كهفا ، والفراغ غنيمة ، والدنيا مطية ، والآخرة منزلا ) (2) .

وروى عن أبي بكر الوراق (ت: بعد 250هـ) أنه قال : ( أصل غلبة الهوى مقارفة الشهوات ، فإذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر ، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وإذا أبغضه الخلق أبغضهم ، وإذا أبغضهم جفاهم ، وإذا جفاهم صار شيطانا ) (3) .

وعن على بن سهل الأصبهاني (ت: قبل 300هـ) قال : ( العقل والهوى متنازعان ، فمعين العقل التوفيق ، وقرين الهوى الخذلان ، والنفس واقفة بينهما ، فأيهما ظفر كانت في حيزه ) (4) ، وله أيضا : ( العقل مع الروح يدعو إلى الآخرة ، ومخالفة الهوى والشهوات ، فلذلك سمى روحا ) (5) .

- 
1. لطائف الإعلام 372/2 ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 72 وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 5/2 وانظر مصطلح المحبة .
  2. رسالة المسترشدين ص 80:81 .
  3. طبقات الصوفية ص 226 .
  4. السابق ص 235 .
  5. السابق ص 235 .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى (ت: 412هـ) : ( من عيوب النفس اتباع هواها ، وموافقة رضاها ، وارتكاب مراداتها ، ومداواتها ما أمر الله به من قوله تعالى : { وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ } )

[النازعات/40] ، وقوله : { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } [يوسف/53] (1) .

ويذكر الهجویری (ت:465هـ) أن بعض أهل الرأي يقولون أن الهوى لفظ يطلق على صفات النفس ، ويرى الآخرون أنه اصطلاح يدل على إرادة الطبع الذى به تنقاد النفس الأمانة ، كما تنقاد الروح بالهم ، وكل روح خالية من الفهم غير كاملة كما أن كل نفس خالية من الهوى ناقصة ونقص الروح نقص القرب ونقص النفس عن القرب ، والإنسان مجذوب بعامل عقله وهو إلى طرق متباينة ، فإذا أطاع دعوة الفهم نال الإيمان ، أما إذا أطاع هواه ، فإنه يصل إلى الضلالة والكفران ، لذلك فالهوى حجاب ودليل باطل والإنسان مأمور بمقاومته ، ومنهى عن الركون إلى هواها ، لأن من ركن إلى هواها هلك ، ومن خالفها ملك ، كما قال تعالى : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } [النازعات/40] ، وقال النبي ﷺ : " أخوف ما أخاف على أمتي ، إتباع الهوى وطول الأمل " (2)

---

1. عيوب النفس ص24 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (1052) 728/2 ، عن أبي سعيد الخدري ؓ ، بلفظ : " قال ﷺ : أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قالوا : وما زهرة الدنيا يا رسول الله ؟ قال : بركات الأرض " .

وعن ابن عباس  $\tau$  ، فى تفسير قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ } [الجمانية/23] أى أن الهوى إله معبود فويل لكل من يكون الهوى معبوده ويكون همه فى الليل والنهار طلب رضى هواه (1)

\*\*\*\*\*

## 119 - الهيبة

\*\*\*\*\*

- الهيبة : لم ترد فى القرآن ، ولكنها وردت فى السنة على عدة معان :

أ- الهيبة : بمعنى الإجلال والتعظيم الدافع إلى التوقير والاستحياء ، ومما ورد فى السنة من ذلك ، ما روى عن طلحة بن عبد الله  $\tau$  : " أن أصحاب رسول الله  $\varepsilon$  ، قالوا لأعرابي جاهل : سله عن قضى نجه من هو ؟ وكانوا لا يجترئون على مسأله يوقرونه ويهابونه ، فسأله الأعرابي فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر ، فلما رأني رسول الله  $\varepsilon$  ، قال : أين السائل عن قضى نجه ؟ قال : أنا يا رسول الله ، قال : هذا ممن قضى نجه " (2) ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :

\_\_\_\_\_

1. كشف المحجوب ص 249:250 .

2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3203) وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح 350/5 وقال الترمذى : حسن غريب .

" مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب  $\tau$  عن آية ، فما أستطيع أن أسأله هيبة له " (1) .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : " كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نساءنا على عهد النبي  $\varepsilon$  هيبة ، أن ينزل فينا شيء ، فلما توفي النبي  $\varepsilon$  تكلمنا وانبسطنا " (2) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " سلوني ، فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال : يا رسول الله ما الإسلام ؟ " (3) ومن حديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قالت : " وكان رسول الله  $\varepsilon$  ، قد ألقى عليه المهابة ، قالت : فخرج علينا بلال فقلنا له : ائت رسول الله  $\varepsilon$  فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك ، أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ؟ ، ولا تخبره من نحن " (4) .

وعن ابن عمر  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  يوما لأصحابه : " أخبروني عن شجرة مثلها مثل المؤمن ؟ ، فجعل القوم يذكرون شجرا من شجر البوادي قال ابن عمر  $\tau$  : وألقي في نفسي أو روعي أنها النخلة ، فجعلت أريد أن —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4913) 525/8 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5187) 161/9 .

3. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (10) 40/1 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة برقم (1000) 694/2 .

أقولها فإذا أسنان القوم ، فأهاب أن أتكلم ، فلما سكتوا : قال رسول الله ﷺ : هي النخلة " (1) .

ب- الهيبة : ما يسبق الخوف من حذر ، ومما ورد فى السنة من ذلك ما روى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : " استأذن عمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه ، عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر ، قمن يتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر رضي الله عنه : أضحك الله سنك يا رسول الله ، قال : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر رضي الله عنه : فأنت يا رسول الله ، كنت أحق أن يهبن ثم قال : أي عدوات أنفسهن أتهبني ، ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك " (2)

وقال أبو مسعود البدرى رضي الله عنه : " كنت أضرب غلاما لي بالسوط فسمعت صوتا من خلفي : اعلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب قال : فلما دنا مني ، إذا هو رسول الله ﷺ ، فإذا هو يقول

: اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود ، قال : فسقط من يدي السوط  
من هيئته ، فقال : —

1. أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة برقم (2811) 4/2164 .

2. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق برقم (3294) 6/390 .

اعلم أبا مسعود ، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام ،  
فقلت : لا أضرب مملوكا بعده أبدا " (1) .

ج- الهيبة : بمعنى الخوف ، لما روى عن أبي سعيد الخدري ؓ قال :  
" صلى بنا رسول الله ﷺ يوما صلاة العصر بنهار ، ثم قام خطيبا ،  
فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة ، إلا أخبرنا به ، حفظه من  
حفظه ، ونسيه من نسيه وكان فيما قال : ألا لا يمنعن رجلا هيبة  
الناس ، أن يقول بحق إذا علمه قال أبو نضرة العبدى ، راوى  
الحديث عن أبي سعيد : فبكى أبو سعيد فقال : قد والله رأينا  
أشياء فهبنا " (2) .

#### - الهيبة فى الاصطلاح الصوفى :

الهيبة فى الاصطلاح الصوفى هى أثر مشاهدة جلال الله تعالى فى  
القلب (3) كما روى عن أبى بكر الوراق (ت: بعد 250هـ) أنه قال  
: ( من صحت معرفته بالله ، ظهرت عليه الهيبة والخشية ) (4) .

وروى عن الجنيد بن محمد (ت: 297هـ) قال : كنت أسمع

السرى —



1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (1659) 1280/3.
2. أخرجه الترمذى في كتاب الفتن برقم (2191) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف لكنه صحيح في بعض فقراته 483/4 ، وأحمد في المسند برقم (11159) 19/3 .
3. لطائف الإعلام 374/2 .
4. طبقات الصوفية ص 226 .

يقول : ( يبلغ العبد إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر ، وكان في قلبى منه شئ حتى بأن لى أن الأمر كذلك ) (1) .

وقال الهجویری (ت:465هـ) : ( حين يتجلى الحق تعالى على قلب العبد ويشاهد الجلال يكون نصيبه فى ذلك الهیبة ، لیكون أهل الهیبة من جلاله فى تعب ، وقد قال طائفة من المشایخ ، إن الهیبة درجة العارفين والأنس درجة المریدین ، وقالت طائفة أيضا ، بأن الهیبة قرينة العذاب والفراق والعقوبة ، والأنس نتيجة الوصل والرحمة ) (2) .

وقال القشیری (ت:465هـ) : ( الهیبة والأنس ، فوق القبض والبسط فكما أن القبض فوق رتبة الخوف ، والبسط فوق منزلة الرجاء ، فالهیبة أعلى من القبض ، والأنس أتم من البسط ، وحق الهیبة الغیبة ، فكل هائب غائب ثم الهائبون يتفاوتون فى الهیبة على حسب تباينهم فى الغیبة .. وحال الهیبة والأنس ، وإن جلتا فأهل الحقیقة يعدونهما نقصا لتضمنها تغير العبد ، فأهل التمكين سمت

أحوالهم عن التغير ، وهم في وجود العين ، فلا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس ( 3) .

أما موقف ابن عربي من الهيبة ، فيرى أنها نعت كياني لأنها عظيمة ،  
والعظمة —————

1. الرسالة القشيرية 214:213/1 .

2. كشف المحجوب ص 620 .

3. الرسالة القشيرية 214:213/1 .

راجعة لحال المعظم فهي حالة للقلب عند تجلى جمال الحضرة الإلهية  
عليه (1) .

ويذكر عبد الرزاق الكاشاني أن الهيبة والأنس ، حالتان شبيهتان  
بالقبض والبسط ، يعرضان للنفس باعتبار ما يعترها ، عند  
ملاحظتها للجنة العالية فإن لها نسبتين (2) :

إحداها : نسبتها بحسب قياس اشتغالها بعلو تلك الجنة ، فإنه لا  
ترى نفسها أهلا للحظوة بتلك الجنة ، لعلمها بأن العالی لا  
يتساهله ، إلا من يكون كذلك ، وتعرض لها حالة ، المسماة  
بالهيبة ، فإن من لا ترى نفسك أهلا للقرب منه ولا  
للانتساب إليه فإنك تهابه لا محالة .

وثانيها : حالة النفس بحسب ما يعرض لها عند ملاحظتها للإمداد  
الواصل إليها من حضرة الجواد بصنوف النعم والهبات ،

الموجبة للأنس بالمنعم ، كيف وهو المنعم بالوجود بعد العدم ، وبالصحة بعد السقم وبالعلم بعد الجهل ، وبالإيمان بعد الكفر ، وبالأمن بعد الخوف ولا شك أن ملاحظة الموهوب لصنوف ما أنعم عليه الواهب من هذه الهبات ، يوجب له الأنس بالواهب لا محالة ، وقد تاه بعضهم في مؤانسته لما عرض له من الفرق في نعمته ، فقال : يحق لمثلي أن يتيه ، وكيف لا أتيه وقد أصبحت عبدا لمولاي .

1. انظر الفتوحات المكية 105/2 ، 450 .

2. لطائف الإعلام 374/2 .

\*\*\*\*\*

## 120 - الـورع

\*\*\*\*\*

- الـورع : لم يرد لفظه في القرآن ، ولكنه ورد في السنة على عدة معان متقاربة :

1- الـورع الكف والامتناع ، فمن حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي ؓ قال : " كنا مع طلحة بن عبيد الله ، ونحن حرم فأهدي له طير ، وطلحة راقد ، فمنا من أكل ، ومنا من تورع ، فلما

استيقظ طلحة ، وفق من أكله وقال : أكلناه مع رسول الله ﷺ " (1)

وعن وائل بن حجر ، قال : " جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة إلى النبي ﷺ ، فقال الحضرمي : يا رسول الله ، إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي ، فقال الكندي : هي أرضي في يدي أزرعها ، ليس له فيها حق ، فقال رسول الله ﷺ للحضرمي : ألك بينة ؟ قال : لا ، قال : فلك يمينه ، قال : يا رسول الله إن الرجل فاجر ، لا يبالي على ما حلف عليه ، وليس يتورع من شيء ، فقال : ليس لك منه إلا ذلك ، فانطلق ليحلف ، فقال رسول الله ﷺ : لما أدبر أما لعن حلف على ماله ليأكله ظلما —

1. أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (1197) 855/2 .

ليلقين الله وهو عنه معرض " (1) .

2- التحرج بترك الريبة والشك خاصة ، كقول حسان بن أبي سنان ، " ما رأيت شيئا أهون من الورع ، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " (2) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله منه ، قالت : " وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال : يا زينب ما علمت ؟ ، ما رأيت ؟ ، فقالت : يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت عليها

إلا خيرا ، قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني ، فعصمها الله بالورع " (3) .

3- المبالغة في الاحتياط لأداء الأمر الملزم ، لما روى أن أبا هريرة  $\tau$  قال له رسول الله  $\varepsilon$  : " يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس " (4)

وتفسيره في حديث النعمان بن بشير  $\tau$  أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ، لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات ، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا إن حمى الله في أرضه —

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (139) 123/1 .

2. أخرجه البخارى في كتاب البيوع ، باب تفسير المشبهات 343/4 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الشهادات برقم (2661) 319/5 .

4. أخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (1197) 855/2 .

محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " (1) .

- الورع في الاصطلاح الصوفى :

الورع في الاصطلاح الصوفى ، هو الاحتراز عن كل ما فيه شوب انحراف شرعى ، أو شبهة مضرّة معنوية فى كل ما يقوم بصورة

الإنسان الحسية أو المعنوية ، والورع أول الزهد ويقتضى محاسبة النفس في كل طرفة ، ويتضمن القناعة التي هي صورة التقوى (2) .

ويذكر الحارث المحاسبي (ت:243هـ) أن الورع ، وقوف القلب عند هجومه للفعل ، حتى يفرق بين الحق والباطل ، وإسقاط ما حاق في القلب مع ترك ما اشتبه عليه ، وجميع الورع في ترك ما يريبك إلى مالا يريبك والورع مشتق من الخوف ، كما تقول العرب راعنى فلان وروعنى ، خوفنى فلان ، وخفت من فلان ، فالورع مشتق من الخوف ، وعلامة الورع ترك حزازات القلوب في باطنها ، والتفتيش عن مثاقيل الذر في ظاهرها ، وإن من دقيق الورع وأعلاه ، ترك ما ليس به بأس ، مخافة أن يلحقه ما به البأس والذي يقوى الورع ويثبته ، علم مشاهدة القلب لسطوات الله عز وجل ونقمته ، والذي يشين الورع ويوهنه ؟ الرغبة في الدنيا ، وكثرة الطمع فيها

---

1. أخرجه البخارى في كتاب البيوع ، باب تفسير المشبهات 343/4.

2. الرسالة القشيرية 317:315/1 وطبقات الصوفية ص 110 .

ودوام الحرص عليها ، بجمع ما لا يضر فقده ، وآخر درجة من الورع أول درجة من الزهد (1) .

وروى عن يحيى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أنه قال : الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل ، كيف يكون زاهدا من لا

ورع له ؟ ، تورع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك ، من لم ينظر في الدقيق من الورع ، لم يصل إلى الجليل من العطاء ، والورع على وجهين :

الوجه الأول : ورع في الظاهر ، وهو أن لا يتحرك إلا لله تعالى .  
الوجه الثاني : وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك سوى الله تعالى (2) .

ويذكر لأبي سعيد الخراز (ت:279هـ) أنه قال : ( الورع أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذر ، حتى لا يكون لأحدهم قبلك مظلمة ، ولا دعوى ولا طلبه ) (3) .

وروى عن رويم بن أحمد البغدادي (ت:303هـ) أنه قال : ( من حكم الحكيم ، أن يوسع على إخوانه في الأحكام ، ويضيق على نفسه فيها ، فإن التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع ) (4) —

1. الرسالة القشيرية 317:315/1 وطبقات الصوفية ص110 .

2. اللمع ص70 .

3. طبقات الصوفية ص181 .

4. السابق ص193 .

وينسب لشاه الكرمانى (ت:قبل300هـ) : ( علامة التقوى الورع وعلامة الورع ، الوقوف عند الشبهات ، وعلامة الخوف الحزن ، وعلامة الرجاء حسن الطاعة ، وعلامة الزهد قصر الأمل ) (1) .

- ويذكر السراج الطوسي أن أهل الورع على ثلاث طبقات :
- (1) - الطبقة الأولى : ورع العموم ، وهو التورع عن الشبهات ، التي اشتبهت عليه ، وهي ما بين الحرام البين والحلال البين ، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ، ولا اسم حرام مطلق ، فيكون بين ذلك فيتورع عنهما .
- (2) - الطبقة الثانية : ورع الخصوص ، وهو التورع عما يقف عنه قلبه ويحيك في صدره عند تناولها ، وهذا لا يعرفه إلا أرباب القلوب والمتحققون ، وهو كما روى عن النبي ﷺ أنه قال : " الإثم ما حاك في صدرك " (2) .
- (3) - الطبقة الثالثة : ورع خصوص الخصوص ، وهم العارفون والواجدون يتورعون ألا تتشتت قلوبهم عن الله عز وجل طرفة عين (3) .

---

1. السابق ص 280 .

2. الحديث أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة برقم (2553) 1980/4 عن النواس بن سمعان الأنصاري ، قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم ؟ فقال : البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطع عليه الناس .

3. اللمع ص 70:71 .

\*\*\*\*\*



- **الوفاء بالعهد** : الوافي الذي بلغ التمام ، ويقال : وفى بعهده إذا تم العهد ولم ينقص حفظه ، وقد أمر الله به ، فقال تعالى : { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ } [النحل/91] وقوله : { بَلَى مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [آل عمران/76] ، وتوفية الشيء بذله وافيًا ، واستيفاؤه تناوله وافيًا قال تعالى : { فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كَيْلُ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } [آل عمران/25] (1) .

وقال هرقل ملك الروم يسأل أبا سفيان ، عن رسول الله ﷺ : " فماذا يأمركم به ؟ ، قال : يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا ، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف ، والوفاء بالعهد وأداء الأمانة " (2) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما " أن امرأة من جهينة ، جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن أُمِّي نذرت أن تحج ، فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ قال : نعم ، حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين ، أكنت قاضية ؟ —

1. كتاب العين 409/8 ، والمغيب للمطرزى 304/1 ، والمفردات ص 528 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (2941) 128/6 .

اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء " (1) .

- **الوفاء بالعهد فى الاصطلاح الصوفى** : الوفاء بالعهد فى

اصطلاح الصوفية ىرد على معنيين :

1- وفاء العامة ، وهو الذى يتوافق مع الأصول القرآنية ، ومنه ما ينسب لمعروف الكرخى (ت:200هـ) أنه قال : ( حقيقة الوفاء ، إفافة السر عن رقدة الغفلات ، وفراغ الهم عن فضول الآفات ) (2) .

وينسب لأبى بكر الشبلى (ت:334هـ) أنه قال : ( الوفاء هو الأخلص بالنطق واستغراق السرائر بالصدق ) (3) ، ويعرفه الكاشانى بقوله : ( وفاء العامة هو إجراء ما قيل فى يوم الميثاق للمتعهد من عهد الإيمان والطاعة رغبة فى الجنة ورهبة من النار ) (4) .

2- وفاء الخاصة وهو الوقوف على الأمر الإلهى لأجل الأمر ،

وليس ———

1. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1852) 4/77.

2. طبقات الصوفية ص88 .

3. السابق ص339 .

4. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص31 ، وانظر المزيد عن الأصول القرآنية لمصطلح الوفاء بالعهد ، رسالة دكتوراه بعنوان الوفاء بالعهد فى القرآن الكريم إعداد حسنى أمين مصرى ، مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف سنة 1981م ص23 وما بعدها .

بسبب الرغبة أو الرهبة أو العوض والأجر في الدنيا والآخرة ،  
فيعبده على التبرؤ من الحول والقوة ، وصون القلب عن الاتساع  
لغير المحبوب ، وذلك هو وفاء الخاصة بعهدة ، ما قيل عند الإقرار  
بالربوبية ، بقول العبد بلى حيث قال تعالى : { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا  
بَلَى شَهِدْنَا } [الأعراف/172] (1) .

ومعلوم أن طلب الأجر لا ينافي الوفاء بالعهد ، ولا يؤثر في  
نقص الإيمان كما تقدم ذلك بوضوح ، فهذا المعنى الصوفي ، محدث  
لا دليل عليه ، وفيه انتقاص لمنهج النبوة .

\*\*\*\*\*

## 122 - الولي

\*\*\*\*\*

- الولي : الولاية تولى الأمر ومباشرته ، كقوله تعالى : { فَإِنْ كَانَ  
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِتَّلَ هُوَ  
فَلْيُمِتِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ } [البقرة/282] .

وعن أبي هريرة ؓ ، قال رسول الله ﷺ : " إِذَا صَنَعَ لِأَخِيذِكُمْ  
خَادِمُهُ طَعَامَهُ ، ثُمَّ جَاءَهُ بِهِ ، وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ ، فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ  
فَلْيَأْكُلْ فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلًا ، فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أُكْلَةً  
أَوْ أُكْلَتَيْنِ " (2) .

\_\_\_\_\_

1. لطائف الإعلام 2/ 292 : 394.

2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (1663) 3/1284.

والولاية على وجهين (1) :

الوجه الأول : ولاية الله للمؤمنين ، وهى ولاية حفظ وتدبير ،  
سوا كان تدبيراً كونياً أو شرعياً ، كقوله تعالى : { وَالْمُسْتَضْعَفِينَ  
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ  
الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
نَصِيرًا } [النساء/75] ، وقوله : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُوهُمْ مِنَ  
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } [البقرة/257] .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إن الله قال : من عادى  
لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي  
مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،  
فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده  
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ، ولئن  
استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن  
نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " (2) .

الوجه الثاني : ولاية المؤمنين لربهم ، وهى ولاية حفظ لحدوده وتوحيده كقوله تعالى : { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ } [الأنعام/14] .

1. المفردات ص533:534 ، ولسان العرب 406/15 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6502) 348/11.

وقوله تعالى أيضا فى التحذير من ولاية الأعداء : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعِدُوكُمْ أَوْلِيَاءَ } [المتحنة/1] وقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ اسْتِخْبَابَ الْكُفْرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [التوبة/23] .

وعن أبى مالك الأشعري ، قال : " يا أيها الناس اسمعوا ، واعقلوا واعلموا أن الله عز وجل عبادا ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس ، وألوى بيده إلى نبي الله ، فقال : يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله انعتهم لنا يعني صفهم لنا ، فسر وجه رسول الله لسؤال الأعرابي فقال : رسول الله هم ناس من أفناء الناس ، ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة ،

تحابوا في الله وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يفرح الناس يوم القيامة ولا يفرحون ، وهم أولياء الله ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (1) .

والولى يراد به عدة معان حسب الإضافة منها :

---

1. حسن الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (22399) وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة برقم (677) .

1- أولياء الوراثة ، كقول الله تعالى : { وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا } [النساء/33] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : " ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر " (1) .

2- الولي المعتق صاحب الولاء لما روى عن عائشة رضي الله عنها : " أنها أرادت أن تشتري بريدة للعتق ، وأراد مواليتها أن يشترطوا ولاءها ، فذكرت عائشة للنبي ﷺ ، فقال لها النبي ﷺ : اشترئها ، فإنما الولاء لمن أعتق " (2) .

3- الولي من ولاية العصبية ، فعن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ : " أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فَمِنْ مَيَاتٍ وَتَيْرِكَ مَيَالًا فَمَالِيهِ "

لِمَبْوَالِي الْعَصَبَةِ وَمِنْ تَبْرِكَ كَبَلَا أَوْ ضَبِيَاعًا فَبَأْنَا وَلِيُّهُ ، فَلأُدْعَى لِيهِ  
الْكَلُّ الْعِيَالُ " (3) ، وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ  
قال : " من مات وعليه صيام صام عنه وليه " (4) .

4- الولي ولي في الدين ، كقول الله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَهَيَّاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا  
وَنَصَرُوا أَوْلِيكَ —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض برقم (6732) 12/12 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1493) 416/3 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض برقم (6745) 28/12 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1952) 26/4 .

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ { [الأنفال/72] ، وعن جرير بن عبد الله π ، أن  
النبي ﷺ قال : " الطلقاء من قريش ، والعتقاء من ثقيف ، بعضهم  
أولياء بعض فى الدنيا والآخرة ، والمهاجرون والأنصار ، بعضهم  
أولياء بعض فى الدنيا والآخرة " (1) .

5- الولي من الولاء ، لأعداء الله كالشياطين والكهنة قال تعالى :  
{ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ }  
[الأعراف/30] وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " سألت رسول الله ﷺ  
ناس عن الكهان ؟ فقال : ليس بشيء ، فقالوا : يا رسول الله : إنهم  
يحدثونا أحيانا بشيء فيكون حقا ، فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة

من الحق ، يخطفها من الجني ، فيقرها في أذن وليه فيخلطون ، معها  
مائة كذبة " (2) .

## - الولي في الاصطلاح الصوفي :

الولي في الاصطلاح الصوفي ، هو من توالت طاعاته من غير  
تخلل معصية ومن تولى الحق حفظه وحواسه على الدوام ، بتوفيقه  
وتمكينه وإقداره على فنون الطاعات وكرائم الإحسان (3) .

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد (18733) من طريق عبد الرحمن بن هلال .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الطب برقم (5762) 227/10.

3. معجم اصطلاحات الصوفية ص33 ، وتجدد الإشارة إلى ما ذكرته الدكتورة سعاد حكيم فى  
أن صورة الولاية ، نشأت فى المجتمع الإسلامى الأول متمثلة فى =

روى عن أبى يزيد البسطامى (ت:261هـ) أنه سئل من هو  
الولى ؟ فقال : الولى هو الصابر تحت الأمر والنهى ، لأن الإنسان  
كلما أحب الله \_\_\_\_\_

= الأحاديث الشريفة التى وصلتنا ، والمتضمنة مظاهر القرب الإلهى لبعض الصحابة من نصره ورضى  
وخرق عادة ، ولم يهتم الأوائل فى صدر الإسلام بربط هذه المظاهر بمفهوم الولاية ، بل كانت  
تظهر تلقائيا دون طلب منهم ، وينحصر دورهم فى التنبه إليها وتناقيلها ، وبدائيات التنظير لمرتبة  
الولاية ظهرت مع الفكر الشيعى فى شخص الإمام ، فالإمامة أبرزت أنماط خاصة من الأشخاص  
، وجدت لها صدى مع تفتح الفكر الصوفى ، مما دعا الكثير من المفكرين إلى الاهتمام ، بأوجه  
الشبه والعلاقة بين التصوف والتشيع فى الولاية والإمامة ، وبدأت فكرة الولاية مع متصوفة  
القرنين الثانى والثالث لهجرين تتلمس طريقها إلى الظهور مع الفضيل بن عياض (ت:187هـ)  
ومعروف الكرخى (ت:200هـ) ، و الجنيد (ت:297هـ) و المحاسبي (ت:243هـ) ، وذى النون  
المصرى (ت:245هـ) ، والبسطامى (ت:261هـ) ولم تتأكد إلا فى جرأة حكيم ترمذ ، الذى



جعلها محور فلسفته الصوفية ، وقطب معظم إنتاجه ، وكان ذلك ظاهرا حتى في أسماء كتبه ، أمثال علم الأولياء ، وختم الأولياء ، وسيرة الأولياء ، وهذا الاهتمام من الترمذى بالولاية ، أدى به في النهاية إلى أن تصوفه بكامله ، ليس سوى نظرية متكاملة في الولاية ، ومع ظهور السلوك الصوفي ، والتسليك بعد القرن الثالث الهجري أخذت الولاية أهمية خاصة من حيث أنها أضحت الهدف المعلن وغير المعلن لسلوك السالكين ، وهكذا وصلت الولاية إلى ابن عربي ، مثقلة بتأثير القرآن والحديث والإمامة الشيعية ، والتصوف النظرى والسلوكى وطرق علم الكلام ، انظر المعجم الصوفى ص1233 بتصرف ، وانظر المزيد في الصلة بين التصوف والتشيع =

ازداد قلبه احتراما لأوامره ، وابتعد بجسمه عما حرمه (1) ، وروى عنه أيضا أنه قال : ( أخبرت أن وليا من أولياء الله تعالى موجود في بلدة كذا فهاجرت إليه ، فلما وصلت إلى مسجده ، رأيته وقد خرج من مجلسه ، فبصق على أرض المسجد ، فالتفت عنه بدون أن أسلم عليه ، وقلت في نفسى الولي يلزمه أن يحفظ حدود الله تعالى ، حتى يحفظه الله تعالى ، فلو كان هذا الرجل وليا لمنعه احترامه لأمر الله تعالى من البصق على أرض المسجد ، أو على الأقل أن يحفظه الله تعالى من أن تنسب إليه هذه المعصية ) (2) .

ويذكر لأبى سعيد الخراز (ت:279هـ) أنه قال : ( إذا أراد الله تعالى أن يوالى عبدا من عبيده ، فتح عليه باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به ، ثم أجلسه على كرسى التوحيد ، ثم رفع عنه الحجب ، وأدخله دار الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة ، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة ، بقى بلا هو ، فحينئذ صار

العبد زما فانيا ، فوق في حفظه سبحانه ، وبرئ من دعاوى نفسه  
( 3 ) .

---

= للدكتور كامل الشيبى وله أيضا الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ، وانظر أيضا بين التصوف  
والتشيع إعداد هاشم معروف الحسنى ، والحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية ص58 وما بعدها ،  
والصوفية فى الإسلام لنيكلسون ص120 .

1. كشف المحجوب ص262 .

2. السابق ص262 . 3. الرسالة القشيرية 524/2، 525 .

ويقسم الحكيم الترمذى (ت:320هـ) الولاية إلى نوعين (1) :

النوع الأول : ولاية العموم ويسمىها ولاية حق الله ، وهى لرجل  
أفاق من سكرته فتاب إلى الله تعالى ، وعزم على الوفاء لله تعالى  
بتلك التوبة ، فنظر إلى ما يراد له فى القيام بهذا الوفاء ، فإذا هى  
حراسة هذه الجوارح السبع لسانه وسمعه وبصره ويده ورجله وبطنه  
وفرجه ، فصرفها من باله ، وجمع فكرته وهمته فى هذه الحراسة ولها  
عن كل شئ سواها حتى استقام ، فهو رجل مؤدى الفرائض حافظ  
للحدود ، لا يشتغل بشئ غير ذلك ، يحرس هذه الجوارح حتى لا  
ينقطع الوفاء لله تعالى بما عزم عليه ، فسكنت نفسه وهدأت  
جوارحه .

النوع الثانى : ولاية الخصوص وهى لهؤلاء المجذوبين ، الذين  
جذبهم الله إليه عن طريقه ، فيتولى اصطفاءهم وتربيتهم حتى يصفى

نفوسهم الترابية بأنواره كما يصفى جوهر المعدن بالنار ، حتى نزول  
ترابيته ، وتبقى النفس صافية وتمتد تلك التصفية حتى إذا بلغوا  
الغاية من الصفاء ، أوصلهم إلى أعلى المنازل وكشف لهم الغطاء عن  
المحل ، وأهدى إليهم عجائب من كلماته وعلومه وإنما يمتد ذلك  
لأن القلوب ، والنفوس لا تحمل مرة واحدة كل ذلك ، فلا يزال  
يلطف بهم حتى يعودهم احتمال تلك الأهوال التي تستقبلهم من  
ملكه .

وقال الكلاباذى (ت:380هـ) : ( الولاية ولايتان ، ولاية تخرج

من —————

1. كتاب ختم الأولياء ص118 ، ص 409 .

العداوة ، وهى لعامة المؤمنين ، فهذه لا توجب معرفتها ، والتحقق  
بها للأعيان ، لكن من جهة العموم ، فيقال : المؤمن ولى الله ،  
وولاية اختصاص واصطفاء واصطناع وهذه توجب معرفتها  
والتحقق بها ، ويكون صاحبها محفوظا عن النظر إلى نفسه ، فلا  
يدخله عجب ، ويكون مسلوبا من الخلق بمعنى النظر إليهم بحظ ،  
فلا يفتنونه ويكون محفوظا عن آفات البشرية ، وإن كان طبع  
البشرية قائما معه باقيا فيه ، فلا يستحلى حظا من حظوظ النفس  
استحلاء يفتنه فى دينه ، واستحلاء الطبع قائم فيه ، وهذه هى  
خصوص الولاية من الله للعبد ( 1) .

ويذكر الهجویری (ت:465هـ) أن لفظ ولی شائع بين العامة ، وهو موجود في القرآن الشريف وأحاديث الرسول ﷺ ، قال الله تعالى : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] ، وقال في موضع آخر : { نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [فصلت/31] ، وقال رسول الله ﷺ : " إن من عباد الله لعبادا يغبطهم الأنبياء والشهداء ، قيل : من هم يارسول الله ؟ صفهم لنا لعلنا نحبهم ؟ قال : قوم تحابوا بروح الله من غير أموال ولا أنساب ، وجوههم نور على منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ، ثم تلا الآية : { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [يونس/62] " .

---

1. التعرف لمذهب أهل التصوف ص74 .

وقد قال رسول الله ﷺ : " إن الله تعالى قال : من آذى لي وليا فقد استحل محاربتى " ، هذه الآيات الشريفة والأحاديث النبوية ، تدلك على أن الله تعالى أولياء اختصاصهم بمحبته ، وانتخبهم لأن يكونوا خلفاء منه في ملكه وأظهرهم ليظهر لك عجائب قدرته ، وأكرمهم بمختلف الكرامات ، وخلصهم من طبائع نفوسهم ، ونجاهم من إطاعة هوى أنفسهم ، حتى صارت كل أفكارهم مشتغلة به سبحانه وتعالى وعلاقاتهم معه لا غير (1) .

ويقول أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( الولى له معنيان :  
أحدهما فعيل بمعنى مفعول ، وهو من يتولى الله سبحانه أمره ، قال  
الله تعالى : { وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } [الأعراف/196] فلا يكله إلى  
نفسه لحظة ، بل يتولى الحق سبحانه رعايته ، والثاني فعيل مبالغة  
من الفاعل ، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته ، فعبادته تجرى  
على التوالى من غير أن يتخللها عصيان ، وكلا الوصفين واجب  
حتى يكون الولى وليا ) (2) .

أما الولاية فى مفهوم ابن عربى فهى مغلفة بفلسفته فى وحدة  
الوجود حيث يعتبرها مرتبة من مراتب القرب الإلهى ، يتولى فيها  
الحق عبده ، والعبد ربه فالولاية مشتركة بين الله وبين المؤمنين ،  
يقول ابن عربى : ( فولاية العبد ربه —————

1. كشف المحجوب ص256 ورواية الحديث الأول والثانى يدل على سوء حفظ الهجویری للسنة ،  
قارن اللفظ الصحيح ص924 .
2. الرسالة القشيرية 520/2 .

وولاية الرب عبده فى قوله : { إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ } [محمد/7] ،  
وبين الولايتين فرق دقيق ، فجعل تعالى نصره جزاء ، وجعل مرتبة  
الإنشاء إليك كما قدمك فى العلم بك على العلم به ، وذلك لتعلم  
من أين علمك ؟ فتعلم علمه بك .. فالولاية مشتركة بين الله وبين  
المؤمنين ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ) (1) .



ما يهم به الرجل في يقظته ، فيراه في منامه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " (1) واليقظة نوعان :

[1]- يقظة البدن بأوصافه كالسمع والبصر وسائر الحواس ، فعن أبي قتادة  $\tau$  ، قال : " ذكروا للنبي  $\varepsilon$  نومهم عن الصلاة ، فقال : إنه ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط في اليقظة ، فإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها " (2) وعن يزيد الفارسي  $\tau$  قال : " رأيت رسول الله  $\varepsilon$  في النوم زمن ابن عباس ، فقلت لابن عباس  $\tau$  : إني رأيت رسول الله ———

1. أخرجه ابن ماجة في كتاب تعبير الرؤيا برقم (3907) وقال الشيخ الألباني : صحيح . 1285/2

2. أخرجه النسائي في كتاب المواقيت (615) 294/1 والترمذي في كتاب الصلاة برقم (177) وقال : حديث حسن صحيح ، ومسلم برقم (2261) 1771/4 .

$\varepsilon$  في النوم ، قال ابن عباس  $\tau$  : فإن رسول الله كان يقول : إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي ، فمن رأي في النوم فقد رأي ، فهل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذي رأيت ؟ ، قلت : نعم رأيت رجلا بين الرجلين جسمه ولحمه أسمر إلى البياض حسن المضحك أكحل العينين ، جميل دوائر الوجه ، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره ، فقال ابن عباس : لو رأيته في اليقظة ، ما استطعت أن تنعته فوق هذا (1) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال سمعت النبي  $\varepsilon$  يقول : " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، أو لكأنما رآني في اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بي " (2) .

[2] - يقظة البصيرة وحياة القلب ، لما روى عن جابر بن عبد الله  $\tau$  قال : " جاءت ملائكة إلى النبي  $\varepsilon$  وهو نائم ، فقال بعضهم : إنه نائم وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة ، والقلب يقظان ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى دارا ، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعي ، دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن —

1. صحيح بمعناه ، أخرجه أحمد في المسند (3400) واللفظ له ، وفيه يزيد بن الفارس وهو مقبول ، وأخرجه مسلم بمعناه في كتاب الرؤيا برقم (2266) 1775/4 .
2. أخرجه البخاري في كتاب التعبير برقم (6993) 399/12 ، ومسلم في كتاب الرؤيا برقم (2266) واللفظ له

لم يجب الداعي ، لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمد  $\varepsilon$  ، فمن أطاع محمدا  $\varepsilon$  فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا  $\varepsilon$  ، فقد عصى الله ، ومحمد  $\varepsilon$  فرق بين الناس " (1) .

- اليقظة في الاصطلاح الصوفي :



اليقظة في الاصطلاح الصوفي ، الانتباه من سنة الغفلة ،  
والنهوض عن ورطة الفترة ، اعتبارا بأهل البلاء ، قال الحارث  
المحاسبي (ت:243هـ) : ( الزم الأدب ، وفارق الهوى والغضب ،  
واعمل في أسباب التيقظ واتخذ الرفق حزبا ، والتأني صاحبا ،  
والسلامة كهفا ، والفراغ غنيمة ، والدنيا مطية والآخرة منزلا ) (2) .  
وقال أبو اسماعيل الأنصاري الهروي (ت:481هـ) : ( قال  
تعالى : { قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِزْفٍ ثُمَّ  
تَتَفَكَّرُوا } [سبأ/46] القومة لله تعالى هي اليقظة من سنة الغفلة ،  
والنهوض عن ورطة الفترة وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة  
، لرؤية نور التنبيه ، واليقظة على ثلاثة أقسام (3) :

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام برقم (7281) 263/13 .
  2. رسالة المسترشدين ص 79:80 . 3. منازل السائرين ص 253Y252 .
- 1- نظر القلب إلى نعم الله تعالى ، التى لا يستطيع القلب ،  
أن يحصيها ويعجز عن أن يقوم بحق شكرها .
  - 2- مطالعة الجناية بأن ينظر إلى الخطر فيها ، ويتوجه إلى التخلص  
من ربقتها ويحاول طلب النجاة وإصلاح الأعمال .
  - 3- الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان فى أحواله ، فإن رأى نقصا ،  
بادر إلى الإصلاح ، وإن رأى صلاحا وزيادة انتهضت نفسه لما

رأى من علامات الفلاح فى تدارك ما فات منها بأفعال محمودة  
عوضا عما فات .

ويذكر ابن عربى (ت:638هـ) أن اليقظة هى الفهم عن الله فى  
زجره (1) وقال عبد الكريم الكاشانى (ت:735هـ) : ( اليقظة هى  
التنبه عن سنة الغفلة ، والقومة لله تعالى ، والتيقظ فى التحرز عن  
دواهى الشيطان والتحفظ عن التخيلات الموجبة للخذلان ، وعن  
رعونات النفس كالإعجاب بأعمالها ومداخلة الرياء والنفاق فى  
أعمالها ، وتسويل النفس لصاحبها رؤية العمل وتزينها ، واستحقاق  
الأجر والثواب بسببه ، وأن يحيا بالحياة القلبية الذاتية المنافية للنوم  
والموت ، الموجبة لدوام المراقبة والحضور مع الله ، والسعى فى القوت  
، وتنور البصيرة بنور القدس ، والتيقظ بها عن التلف إلى جانب  
البدن وعالم الرجس ، وأن يكون يقظان بالحق فى المشاهدة ، متحرزا  
عن التلوين بالنظر إلى المغايرة ) (2) .

---

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 17 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية ص 190:192 .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

- اليقين : اليقين هو التثبت ، وامتلاء القلب بالتصديق الجازم ،  
وسكون الفهم مع ثبات الحكم (1) ، كما قال تعالى : { وَالَّذِينَ  
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ }  
[البقرة/4] ، وقال سبحانه في نفي اليقين : { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ  
أَمْ هُمُ الْخَيَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَیْلَ لَا يُوقِنُونَ }  
[الطور/35:36] .

ومما ورد في السنة ، قول أبو سفيان بن حرب  $\tau$  ، بعد أن سأله  
هرقل عن وصف النبي  $\varepsilon$  : " فقلت لأصحابي حين أخرجنا : لقد  
أمر أمر ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملك بني الأصفر ، فما زلت  
موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام " (2) ، وقال أبو  
بكر  $\tau$  : " قام فينا رسول الله  $\varepsilon$  فقال : يا أيها الناس سلوا الله  
المعافاة ، فإنه لم يؤت أحد مثل يقين بعد معافاة ولا أشد من ريبة  
بعد كفر " (3) .

- 
1. لسان العرب 457/13 ، والمفردات ص552 ، وكتاب العين 220/5 .
  2. أخرجه البخارى في كتاب بدء الوحي برقم (7) 42/1 .
  3. أخرجه أحمد في المسند برقم (45) واللفظ له ، وأخرجه الترمذى في كتاب الدعوات برقم (3558) 557/5 ، وقال الألبانى : حسن صحيح 9/1 .
- ومن حديث أبي هريرة  $\tau$  قال : " قال عمر بن الخطاب  $\tau$  : يا  
رسول الله بأبي أنت وأمي ، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد

أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة ؟ ، قال : نعم قال :  
فلا تفعل ، فإنني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال  
رسول الله ﷺ : فخلهم " (1) .

واليقين يضاده ثلاثة أشياء ، على اعتبار نسبة التثبت من الأمر :  
أ- اليقين يضاد الوهم ، قال يحيى بن عبد الله الجابر τ : "  
صليت خلف عيسى مولى لحذيفة بالمدائن على جنازة ، فكبر خمسا  
، ثم التفت إلينا فقال : ما وهمت ولا نسيت ، ولكن كبرت كما كبر  
مولاي وولي نعمتي حذيفة بن اليمان ، صلى على جنازة وكبر خمسا  
، ثم التفت إلينا فقال : ما نسيت ولا وهمت ، ولكن كبرت كما  
كبر رسول الله ﷺ ، صلى على جنازة فكبر خمسا " (2) ، والمعنى أنه  
على يقين من فعله ، وعن مالك بن بدينة τ : " أن رسول الله ﷺ قام  
في الركعتين من الظهر أو العصر ، فلم يرجع حتى فرغ من صلاته ،  
ثم سجد سجدي الوهم ثم سلم " (3) ، يقصد سجدي السهو عند  
عدم اليقين .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (31) .

2. أخرجه أحمد في المسند (22938) وفيه يحيى بن عبد الله الحارث هو ضعيف .

3. أخرجه الدارمي في سننه برقم (1500) واللفظ له ، والبخاري في كتاب الأذان برقم (829) .

وعن سليمان اليشكري عن أبي سعيد الخدري  $\tau$  أَنَّهُ قِيَالَ فِي  
الْوَهْمِ يُتَوَخَّى : قَالَ لَهُ رَجُلٌ : عَنِ النَّبِيِّ  $\epsilon$  قَالَ : فِيمَا أَعْلَمُ " (1) .  
ب- اليقين ضد الشك ، لما روى عن أبي سعيد الخدري  $\tau$  ،  
عن النبي  $\epsilon$  قال : " إِذَا شَكَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ ، فَلْيَلِغِ الشَّكَّ  
وَلْيَبْنِ عَلَى الْيَقِينِ فَإِذَا اسْتَيْقَنَ بِالتَّمَامِ ، فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ  
قَاعِدٌ ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَا لَهُ صَلَاتِهِ ، وَإِنْ صَلَّى أَرْبَعًا  
كَانَتْ تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ " (2) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\epsilon$  قال : " إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي  
المَسْجِدِ فَوَجَدَ رِيحًا بَيْنَ أَلْيَتَيْهِ فَلَا يَخْرُجُ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا أَوْ يَجِدَ رِيحًا  
" قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ : إِذَا شَكَ فِي الْحَدِيثِ  
فِيهِ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْوَضُوءُ حَتَّى يَسْتَيْقِنَ اسْتَيْقَانًا يَقْدِرُ أَنْ يَحْلِفَ  
عَلَيْهِ (3) .

ج- اليقين ضد الظن ، كقول الله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ  
اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْمُ  
إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ

1. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (10956) من طرق أبي محمد عمر بن دينار الأثرم .

2. أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (571) 401/1 والنسائي في كتاب السهو برقم (1238) 27/3 واللفظ له .

3. أخرجه الترمذی في كتاب الطهارة برقم (75) ، وقال الشيخ الألبانی : صحيح 109/1 ،  
ومسلم برقم (361) 276/1 ، وأبوداود برقم (177) 45/1 .

بِمُسْتَيْقِنِينَ } [الجاثية/32] ، وقوله عز وجل : { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا } [النساء/157] أى ما قتلوه قتلا يقينوه ، بل إنما حكموا تخميناً ووهماً .

وعن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا } [يوسف/110] قَالَ : قُلْتُ أَكُذِّبُوا أَمْ كُذِّبُوا ؟ قَالَتْ : عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كُذِّبُوا ، قُلْتُ : فَقَبِدِ اسْتَيْقِنُوا أَنَّ قِيَوْمَهُمْ كُذِّبُوهُمْ ، فَمَا هُبُو بِالظَّنِّ ، قَالَتْ : أَجِيلَ لَعَمْرِي لَقَبِدِ اسْتَيْقِنُوا بِذَلِكَ ، فَقُلْتُ لَهَا : وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ؟ قَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ ، لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا ، قُلْتُ : فَمَا هَذِهِ الْآيَةُ ؟ ، قَالَتْ : هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ ، فَطَيَّالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُمْ النَّصِيرُ ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ، مِمَّنْ كُذِّبَهُمْ مِنْ قِيَوْمِهِمْ ، وَظَنَّتِ الرُّسُلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كُذِّبُوهُمْ جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ " (1) .

وهناك بعض المعاني المتعلقة باليقين منها :

(1- قد يطلق على الظن اليقين ، على اعتبار أن التثبت يزداد شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى منتهاه ، كقول الله تعالى : { كَيْلًا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } [القيامة/26:28] وقوله سبحانه : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4696) 8 / 218 .

وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } [البقرة/45:46] ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة ، غسل يديه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم اغتسل ، ثم يخلل بيده شعره ، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرات ، ثم غسل سائر جسده " (1) .

(2) - اليقين يرد بمعنى الموت ، على اعتبار أن التثبت منه كائن فى جميع القلوب ، كقوله تعالى : { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } [الحجر/99] .

قال سالم بن عبد الله بن عمر  $\pi$  : " اليقين الموت " (2) ، وعن أم العلاء رضي الله عنها وهى امرأة من الأنصار أنها قالت فى عثمان بن مظعون  $\pi$  حين موته : " رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك : لقد أكرمك الله ، فقال النبي ﷺ : وما يدريك أن الله قد أكرمه ، فقلت بأبي أنت يا رسول الله ، فمن يكرمه الله ؟ فقال : أما هو فقد جاءه اليقين ، والله إني لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ، قالت : فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا " (3) .

(3) - اليقين من حيث قوته فى القلب ثلاث درجات متفاوتة :

1. أخرجه البخارى فى كتاب الغسل برقم (273) 455/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن 235/8.

3. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1243) 137/3.

1- علم اليقين : كقول الله تعالى : { كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ } [التكاثر/ 6:5] .

2- عين اليقين : كقوله تعالى : { ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ } [التكاثر/

. [7]

3- حق اليقين : كقوله تعالى : { وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ } [الحاقة/ 51] .

- اليقين فى الاصطلاح الصوفى :

اليقين فى الاصطلاح الصوفى هو السكون والاطمئنان لما غاب ،  
بناء على ما حصل الإيمان به ، وارتفع الريب عنه ، فإذا حصل  
السكون والاطمئنان بما غاب بناء على قوة الدليل ، بحيث يستغنى  
بالدليل عن الجلى ، فذلك عندهم علم اليقين (1) .

روى عن أبى بكر الوراق (ت: بعد 250هـ) : ( العبد لا يستحق

اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى ، حتى يكون

الله مراده لا غيره ، ويؤثر الله على كل ما سواه ) (2) ، وقال أيضا :

( اليقين نور يستضىء به العبد فى أحواله ، فيبلغه إلى درجات المتقين

( 3) .



وروى عن أبي الحسين الوراق النيسابورى (ت: قبل 320هـ) : ( يقين ثمره التوحيد فمن صفا فى التوحيد صفا له اليقين ) (4) .

1. لطائف الإعلام 406/2 .

2. طبقات الصوفية ص 227 .

3. السابق ص 227 .  
4. السابق ص 300 .

وينسب لأبى على الروذبارى (ت: 322هـ) : ( أنفع اليقين ما عظم الحق فى عينيك وصغر ما دونه عندك وأثبت الخوف والرجاء فى قلبك ) (1) .

ويذكر السراج الطوسى (ت: 387هـ) أن اليقين حال رفيع ، هو أصل جميع الأحوال ، وإليه تنتهى جميع الأحوال ، وهو آخر الأحوال ، وباطن جميع الأحوال ، وجميع الأحوال ظاهر اليقين ، ونهاية اليقين ، تحقيق التصديق بالغيب بإزالة كل شك وريب ، وبالإستبشار وحلاوة المناجاة ، وصفاء النظر إلى الله تعالى بمشاهدة القلوب ، بحقائق اليقين ، بإزالة العلل ومعارضة التهم ويجعل أهل اليقين ثلاثة أحوال :

فالأول : للأصاغر وهم المريدون والعموم ، واليقين عندهم يعنى ارتفاع الشك ، والثقة بما فى يد الله تعالى ، والإيأس بما فى أيدى الناس وإذا وجد العبد الرضا بما قسم الله له ، فقد تكامل فيه اليقين .

والثاني : الأوساط وهم الخصوص ، واليقين عندهم هو ما زالت فيه المعارضات على دوام الأوقات ، والعبد إذا تحقق بهذا اليقين ترحل من يقين إلى يقين ، حتى يصير اليقين له وطناً .

والثالث : الأكابر وهم خصوص الخصوص ، واليقين في جملته عندهم تحقيق الإثبات لله عز وجل بكل صفاته ، ودوام انتصاب القلوب لله عز وجل بما أورد عليها اليقين من حركات ما لاقى به الإلهام (2) .

---

1. السابق ص 359 . 2. اللمع ص 103:104 .

وقال على بن عثمان الهجویری (ت:465هـ) في علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين :

( كل هذه المصطلحات في عرف المتصوف تدل على العلم ، فالعلم بدون يقين بالمعلوم ليس بعلم ، لكن إذا تمت المعرفة كان الأخرى جلياً ، والمؤمنون الذين سيرون ربهم في يوم القيامة ، سيرونه بالحالة التي يعرفونه هنا بها ، إذ لو رأوه بغير ذلك ، لكانت رؤيتهم هناك ناقصة ، وأن معرفتهم هنا كانت خطأ وكلا هذين الضدين مغاير للتوحيد ، الذي يلزم فيه أن تكون معرفة الناس بربهم هنا على أساس صحيح ، وبذا تكون رؤيتهم هناك صحيحة ، ولذلك فعلم اليقين هو كعين اليقين وحق اليقين ) (1) .

ويذكر أيضا أن الصوفية يعنون بعلم اليقين معرفة الفرائض الدينية في هذه الدنيا طبقا لأوامر الله سبحانه وتعالى ، ويعنون بعين اليقين معرفة حال النزاع ووقت المفارقة لهذه الدنيا ، وبحق اليقين معرفة رؤية الله سبحانه وتعالى التي ستكشف لهم في الجنة وماهيتها ، ولذلك فعلم اليقين هو رتبة العلماء عند كمال اتباعهم للشرع الشريف ، وعين اليقين مقام العارفين وذلك لاستعدادهم للموت ، وحق اليقين هو نقطة فناء العاشق ، وذلك لإعراضهم عن المخلوقات ، ومن ذلك تعلم أن علم اليقين ينال بالمجاهدة ، وعين اليقين بالمؤانسة ، وحق اليقين بالمشاهدة ، فالأول للعامة ، والثاني للخاصة —

1. كشف المحجوب ص 463 .

والثالث لخاصة الخاصة (1) .

وقال أبو القاسم القشيري (ت: 465هـ) : ( اليقين هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف ، ولا يطلق في وصف الحق سبحانه لعدم التوقيف ، فعلم اليقين هو اليقين ، وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين ، نفس اليقين ، فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان ، فعلم اليقين لأرباب العقول ، وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف ) (2) .

وأما مفهوم محى الدين بن عربي لليقين فينبع من فلسفته في وحدة الوجود حيث يعبر عنه بقوله :

( علم اليقين معرفة الله بك ، إذ أنت عين الدليل عليه ، وهو إثبات ذات غير كيفية ولا معلومة الماهية ، محكوم عليها بالألوهية سلطانا وحجة ، لا ريب فيه ، عين اليقين : مشاهدة هذه الذات بعينها لا بعينك ، فناء كلياً لا يعقل معها نسبة ألوهية إثباتاً أو نفيًا ، حق اليقين : نسبة الألوهية لهذه الذات —

1. السابق ص 463 .

2. الرسالة القشيرية 266/1 وانظر للتوسع حول هذه المعاني : أدب النفس للحكيم الترمذى ص 93 وما بعدها ، وعوارف المعارف للسهروردي ص 528 ، ومكاشفة القلوب للغزالي ص 143 ، والمناظر الإلهية ص 34 .

بعد المشاهدة لا قبلها ، وهو الفرق بين العلم والحق ليس إلا ، وهنا سكت المحققون ، وبعد هذا حقيقة اليقين ، ظهور الانفعالات على العبد الكلي مع غيبته عنها فيه به ، غيباً كلياً وفناءً محققاً ، وهذه غاية المراتب ، فالثلاثة كتابية علم وعين وحق والرابعة : سنية قال عليه السلام :

" فما حقيقة إيمانك " (1) ، لكل حق حقيقة ، فهذه الحقيقة

بها يختبر العبد المحقق نفسه في دعواه في معرفة هذا اليقين (2) .

- 
1. يشير إلى حديث حارثة الذى رواه الطبرانى فى الكبير ، الحديث رقم (3367) 266/3 وهو ضعيف .
  2. المسائل ص35 ، وانظر أيضا الفتوحات المكية 570/2 ، وتحفة السفر ص92 وبلغة الغواص ق124 .

\*\*\*\*\*

## 1 - الإحرام

\*\*\*\*\*

الإحرام : ورد في القرآن على نية أحد النسكين الحج أو العمرة ، أو لهما معا ، وهو فيهما بمنزلة التكبير في الصلاة ، فالتكبير الأولى في الصلاة يقال لها تكبير الإحرام ، فإذا أحرم الحاج أو المعتمر منع من أشياء تحل له في غير الإحرام ، كحلق الشعر وتغطية الرأس وصيد البر والنكاح والجماع وغير ذلك مما بينه الشرع ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ } [المائدة/95] وقال سبحانه : { أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ } [المائدة/1] ، وقال : { وَحُرْمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا } [المائدة/96] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رجل فقال : يا رسول الله ، ماذا تأمرنا أن نلبس من الثياب في الإحرام ؟ ، فقال النبي ﷺ : لا تلبسوا القميص ولا السراويلات ، ولا العمائم ولا البرانس ، إلا أن يكون أحد ليست له نعلان ، فليلبس الخفين ، وليقطع أسفل من الكعبين ، ولا تلبسوا شيئا مسه زعفران ولا الورس ، ولا تنتقب المرأة المحرمة ، ولا تلبس القفازين (1) .

\_\_\_\_\_

1. أخرجه البخارى فى الحج (1838) 63/4 ، ومسلم فى الحج (1177) 834/2 .

وينتهى الإحرام بانتهاء النسك ، ولا دليل فى إيجاب الإحرام على غير من دخل لأحد النسكين الحج أو العمرة لقوله تعالى :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضِيلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا } [المائدة/2] (1) .

### الإحرام فى الاصطلاح الصوفى :

يختلف مفهوم الصوفية للإحرام عن المعنى السابق حيث وضعوا له معنى باطنياً يخالف المعنى الظاهر المتعارف عليه بين النبى وأصحابه ، فإذا قيل فى عرفهم : رجل محرم ، فإنهم يعنون أنه ترك شهوة المخلوقات ، كما أن الخروج عن الإحرام ليس بالتحلل منه ، كما هو المقصود فى القرآن والسنة ولكنه عبارة عن التوسع للخلق ، والنزول إليهم بعد العندية فى مقعد صدق (2) .

ويرى الجنيد بن محمد (ت : 298هـ) ضرورة التخلّى عن الصفات الآدمية ، كشرط لصحة الإحرام فى الشرع ، فقد روى عنه أنه قال لرجل محرم يريد الحج : هل تخلّيت عن صفاتك الآدمية كما تخلّيت عن ثيابك —

1. الروضة الندية شرح الدرر البهية ، لأبى الطيب صديق بن حسن البخارى ، مكتبة التراث القاهرة ، بدون تاريخ 250/1 ، وانظر المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص 115 ، ولسان العرب لابن منظور 119/12 .

2. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى 131/6 .

الاعتيادية ؟ ، فقال : اللهم لا ، قال له : إنك إذا لم تحرم (1) .  
ويحكى السراج الطوسى ( ت : 378هـ ) آداب الصوفية فى  
الإحرام فىقول : ( وإذا نزعوا ثيابهم للإحرام ، وتجردوا وحلوا العقد  
واتزروا وارتدوا كذلك نزعوا عن أسرارهم الغل والحسد ، وحلوا عن  
قلوبهم عقد الهوى ومحبة الدنيا ولم يعودوا إلى ما خرجوا منه من ذلك  
( 2) .

ويذكر على بن عثمان الهجویری ( ت : 465هـ ) أن الإحرام فى  
عرف الصوفية هو أن يحرم على نفسه ذكر الغير (3) .

والإحرام فعل ظاهر يرتبط بالنية وإرادة الله بالعمل ، كما هو  
الحال فى سائر العبادات ، فيتحتّم أن يتوفر فيها شرطان أساسيان ،  
حتى يقبل العمل وهما الإخلاص ومتابعة السنة .

أما ما ذكره الصوفية لمعنى الإحرام ، ففيه مبالغة لا أصل لها فى  
القرآن والسنة ، من جهة أن ترك شهوة المخلوقات هى المعنية فى  
الشرع ، إذ ليس كل ما يشتهى محرما ، والتخلى عن صفات الآدمية  
وذكر الغير ليس على إطلاقه أيضا ، وإنما التخلى عن الصفات  
الذميمة من الوجهة الشرعية هو المراد ، فليس كل الصفات الآدمية  
ذميما ، ولا ينبغى أن يسمى ذلك إحراما —

1. كشف المحجوب ص 393 .



2. اللمع ص 228 .

3. كشف المحجوب ص 391 .

لأن الإحرام له مفهومه الشرعى ، الذى لا يجوز المساس به أو تميع مدلوله .

كما أن نزع الغل والحسد ، وخلع عقد الهوى ومحبة الدنيا عن القلب كل ذلك من المعانى ، لا تقترن بالحج أو غيره من العبادات عند أدائها ، أو أداء بعضها فقط ، ولكنها معان مصاحبة للمسلم عند إذعانه لربه ، وإسلامه له بنطقه للشهادتين ، فالصحابه وهم خير القرون لم يذكر عنهم ، أنهم التفتوا فى إحرامهم إلى ذلك ، ولم يتناقلوه فيما بينهم ولم يثبت عنهم ذلك ، ولو كان خيرا ما تركوه .

\*\*\*\*\*

## 2 - الاعتكاف

\*\*\*\*\*

الاعتكاف : لزوم الشئ وحبس النفس عليه برا كان أو غيره (1)

، ومنه قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب قومه : {

مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ } [الأنبياء/52] ، وقال عن بنى

إسرائيل : { فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ {

[الأعراف/138] .

وهو في الشرع يعني الاحتباس في المسجد على سبيل القربة إلى الله ، قال البخارى : الاعتكاف في العشر الأواخر ، والاعتكاف في المساجد كلها لقوله تعالى : [ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ —

1. المفردات ص343 ، وانظر لسان العرب 225/9 ، وكتاب العين 205/1 .

فَلَا تَقْرُبُوهَا { [البقرة/187] ، وقال : { وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ { [البقرة/125] (1) .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف ، صلى الفجر ثم دخل معتكفه " (2) .

وقال الإمام مالك : إنما الاعتكاف عمل من الأعمال مثل الصلاة والصيام والحج وما أشبه ذلك من الأعمال ، ما كان من ذلك فريضة أو نافلة ، فمن دخل في شيء من ذلك ، فإنما يعمل بما مضى من السنة ، وليس له أن يحدث في ذلك غير ما مضى عليه المسلمون ، لا من شرط يشترطه ولا يبتدعه وقد اعتكف رسول الله ﷺ وعرف المسلمون سنة الاعتكاف (3) .

## الاعتكاف في الاصطلاح الصوفي :

الاعتكاف في الاصطلاح الصوفي ، لا يعني الإقامة في المسجد

على النحو —

1. انظر فتح الباري شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني دار الريان للتراث ط 1 سنة 1986م 314/4 .

2. صحيح ، أخرجه مسلم في كتاب الاعتكاف (1172) 831/2 .

3. انظر تعليق الإمام مالك على الحديث رقم (695) كتاب الاعتكاف في الموطأ وانظر أيضا التمهيد لابن عبد البر ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، سنة 1387هـ ، 332/8 .

السابق ، ولكنه اعتكاف معنوي دائم ، القصد منه عكوف القلب على باب الحق لطلب المغفرة ، وتفريغ القلب عن شغل الدنيا ، وتسليم النفس إلى المولى (1) .

ويذكر أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) أن معنى الاعتكاف ، أن تكون الحقائق عاكفة في قلوب الموحدين ، وأن تكون وفود همم العارفين عاكفة بحضرة العز (2) .

وقال أيضا في قوله تعالى : { وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا } [البقرة/187] ، أخبر أن محل القدرة مقدس عن اجتلاب الحظوظ ، وقال : إذا كنتم مشاغيل بنفوسكم ، كنتم محجوبين بكم فيكم ، وإذا كنتم قائمين بنا ، فلا تعودوا منا إليكم ، فغيرة الحق سبحانه على الأوقات ، أن يمزج الجد بالهزل .

قالت عائشة رضى الله عنها : " يارسول الله إني أحبك ،  
وأحب قربك ، فقال عليه السلام : ذريني يا ابنة أبي بكر أتعبد ربي  
، وقال ع : لى وقت لا يسعنى غير ربي " (3) .

1. التعريفات للجرجاني ص 31 .
2. لطائف الإشارات 124/1 .
3. السابق 158/1 .

\*\*\*\*\*

### 3 - الأعراف

\*\*\*\*\*

الأعراف : الأعراف جمع عرف وهو المكان المرتفع (1) .

وقد ورد اللفظ فى القرآن للدلالة على مكان حاجب بين أهل الجنة وأهل النار ، وهو مكان غيبى مجهول الكيفية يعلمه الله ، قال تعالى : { وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُيْلًا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } [الأعراف/46] أى على شرفات السور المضروب بينهم .

وقال فى نداء أصحاب الأعراف لبعض أهل النار : { وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ

جَمَعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسِيءُ تَكْبُرُونَ { [الأعراف/48] (2) ، وسميت سورة الأعراف باسم هذا المكان المذكور .

1. لسان العرب لابن منظور 236/9 ، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص332 .

2. انظر تفسير القرطبي 211/7 ، وفتح القدير 207/2 ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير 216/2 ، وشعب الإيمان للبيهقي ص 344 ، ومجمع الزوائد لعلی بن أبي بكر الهيثمي 23/7 .

### الأعراف في الاصطلاح الصوفي :

الأعراف في الاصطلاح الصوفي ، لا يعنى المعنى الوارد في سورة الأعراف ولكن يدل على معنى معرفة الأولياء العارفين بسيماهم في الدنيا ، وأن الله يتجلى فيهم فيعرفون به ، قال الكاشاني : الأعراف تعنى المطلع ، وهو مقام شهود الحق في كل شئ متجليا بصفاته التي ذلك الشئ مظهرها ، وهو مقام الاستشراق على الأطراف ، قال الله تعالى : { وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ } (1) . وقال في موضع آخر : الأعراف هو المقام الذي أخبر الله سبحانه أن رجاله يعرفون كلا بسيماهم ، وإليه أشار عمرو بن الفارض في قوله :

ومطلع أنوار بطلعتك التي : لبهجتها كل البدور  
استسرت

ووصف كمال فيك أحسن صورة : وأقومه في الخلق منه  
استمدت

ونعت جلال منك يعزب دونه : عذابى وتحلو عنده لى  
قتلتى

وسر جمال عنك كل ملاحه : به ظهرت فى العالمين  
ومت

وحسن به تسبى النهى دلى على : هوى حسنت فيه لعزك  
ذلتى

ومعنى وراء الحسن فيك شهدته : به دق عن إدراك عين  
بصيرتى

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق الكاشانى ص55 ، وانظر أيضا لطائف الإعلام  
218/1 ، 315/2 ، والفتوحات المكية لمحي الدين بن عربى ، 254/2 والتعريفات للجرجاني  
ص39 .

لأنت منى قلبى وغاية مطلبى : وأقصى مرادى واختيارى  
وخيرتى (1)

ويرى عبد الكريم الجيلى ، أن الأعراف محل القرب الإلهى المعبر  
عنه فى القرآن بقول الله تعالى : { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ  
مُقْتَدِرٍ } [القمر/55] وسمى هذا المظهر بهذا الاسم للمعرفة وهو تحقق

العلم ، وأهل الأعراف عنده هم العارفون بالله يعرفون بسيماهم (2)

ويذكر التهانوي أن الأعراف في عرف الصوفية ، عبارة عن الإطاعة التي هي مقام الحق الشهودي في كل شئ من أعيان الممكنات ، وأوصافها في حالة كون الله متجليا بالصفات ، حيث إن هذا الشئ مظهر لتلك الصفات وهذا المقام يكون للأشراف (3)

\*\*\*\*\*

## 4 - الأفق الأعلى

\*\*\*\*\*

الأفق الأعلى : الآفاق النواحي قال تعالى : { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ —

1. لطائف الإعلام 315/2 وانظر ديوان عمر بن الفارض ص 27 المكتبة الثقافية بيروت بدون تاريخ .

2. الإنسان الكامل 59/2 .

3. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ص 994 .

وَفِي أَنْفُسِهِمْ { [فصلت/53] (1) .

والأفق الأعلى النواحي العليا جهة المشرق من السماء ، والتي رأى فيها رسول الله ﷺ جبريل على صورته الحقيقية ، وهو في غار حراء ، له ستمائة جناح قد سد الأفق ثم اقترب منه وكلمه بالوحي (2) .

قال تعالى : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ  
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا  
فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَبَأْوَحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مِمَّا أَوْحَىٰ }  
[النجم/3:10] قال عبد الله بن مسعود : " إن محمدا لم ير جبريل في  
صورته إلا مرتين ، أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه  
صورته فسد الأفق ، وأما الأخرى فإنه صعد معه حين صعد به  
وقوله : { وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ  
أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مِمَّا أَوْحَىٰ } قال : فلما أحس جبريل ربه  
عاد في صورته وسجد فقوله : { وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ  
الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مِمَّا زَاغَ  
الْبَصِيرُ وَمِمَّا طَعَىٰ لَقِيدٌ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ } قال خلق  
جبريل عليه السلام " (3) .

1. لسان العرب 382/10 ، المفردات ص 19 .
2. انظر تفسير القرطبي 85/17 ، وتفسير ابن جرير الطبري 43/27 ، وفتح القدير للشوكاني 106/5 ، وصحيح ابن حبان 256/1 .
3. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلف برقم (3232) 360/6 (3233) 361/6 ومسلم في كتاب الإيمان برقم (174) 158/1 .

— الأفق الأعلى في الاصطلاح الصوفي :



الأفق : يكنى به عن الغاية التي ينتهى إليها سلوك المقربين ، فكل من حصل من أهل السلوك إلى الله تعالى على مرتبة من القرب إليه ، فتلك المرتبة هي أفقه ومعراجه (1) .

والأفق العلى : هو حضرة الألوهية المسماة بحضرة المعانى ، وبالتعيين الثانى وإنما كان هذا الأفق عليا ، لأنه هو الحضرة التي متى وصل إليها السائر ، فقد استعلى على جميع عالم الأغيار ، إذ كانت هذه الحضرة فوق جميع الخلائق لأنها حضرة العلم الأزلى الذاتى ، الذى لا مدخل للحديث فيها بوجه ، ولهذا صارت هذه الحضرة ، التي متى وصل المخلوق إليها ظهر بصفات الخالق من إحياء الميت وإبراء الأكمه وغير ذلك ، ولأجل هذا سموها حضرة ظهور الخلق بصورة الحق ، وأن مظهرها من الناس ، الإنسان الكامل المتحقق بالحقيقة الإنسانية الكمالية ، وقد يعنى بالأفق العلى ، حضرة الجمع والوجود التي هي اعتبار الوحدة ، لكون الأفق الأعلى ، هو اعتبار الأحدية ، وأن المتحقق به هو المتحقق بمقام الأكملية الذى فوق مقام الكمالية الإنسانية (2) .

والأفق الأعلى : هو حضرة أحدية الجمع ، لأنها هي أعلى التعينات إذ ليس وراء اعتبار الأحدية سوى الغيب المطلق ، والأفق العلى هو مقام تعانق —

2. السابق 229/1، 230 .

الأطراف ، ومجمع الأضداد ، ومجمع البحرين ، وقاب قوسين ،  
والأفق الأعلى أيضا ، هو مقام أو أدنى المختص بنينا ع (1) ، وهو  
نهاية مقام الروح والحضرة الواحدية والحضرة الألوهية (2) .

\*\*\*\*\*

## 5 - الأفق المبين

\*\*\*\*\*

— الأفق المبين : اصطلاح قرآنى ورد فى قوله تعالى : { وَلَقَدْ رَأَهُ  
بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ } [التكوير/23] على المعنى السابق فى الأفق الأعلى ،  
وقال الشوكانى فى معنى الآية : اللام جواب قسم محذوف ، أى  
وتالله لقد رأى محمد جبريل بالأفق المبين ، أى بمطلع الشمس من  
قبل المشرق ، لأن هذا الأفق ، إذا كانت الشمس تطلع منه فهو  
مبين ، ولأن من جهته ترى الأشياء ، وقيل الأفق المبين : أقطار  
السماء ونواحيها (3) .

1. السابق 230/1 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق لكاشانى ص56 ، والتعريفات ص33 وكشاف  
اصطلاحات الفنون 120/1 ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع والدكتور عبد المنعم محمد  
حسنين .

3. فتح القدير 391/5 ، وكذا قال ابن كثير والقرطبي وابن جرير الطبري كلهم قالوا في تفسير الآية : رأى جبريل له ست مئة جناح في صورته .

وقد ورد في السنة النص على ذلك ، فعن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت : يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن ، فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ما هن ؟ ، قالت : من زعم أن محمدا ع رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئا فجلست : فقلت : يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل : { وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ } [التكوير/23] ، { وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى } [النجم/13] ، فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ع ، فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض ، فقالت : أو لم تسمع أن الله يقول : { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } [الأنعام/103] أو لم تسمع أن الله يقول :

{ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } [الشورى/51]

(1) .

وعلى ذلك فإن الأفق الأعلى والأفق المبين ، قد جمعا بين وصفين لموقع جبريل من النبي ع ، وهما العلو والوضوح .

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3234) 361/6 وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (177) 159/1 ، وانظر أيضا فى معنى الأفق المبين ، الإيمان لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهى ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة 1406هـ 762/2 .

## الأفق المبين فى الاصطلاح الصوفى :

أما المعنى الصوفى للأفق المبين ، فيختلف عن السابق فى الأفق الأعلى حيث يعنى نهاية مقام القلب (1) .

\*\*\*\*\*

## 6 - أم الكتاب

\*\*\*\*\*

أم الكتاب : اصطلاح ورد فى الكتاب والسنة على ثلاثة معان :

1- اللوح المحفوظ : وذلك لكون العلوم كلها مكتوبة فيه ، فهو يحوى ما قدر من أمور المخلوقات ، وجميع ما يحدث ينتظم وفق ما فيه (2) ، قال تعالى : { يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ } [الرعد/39] ، وقال وقال النبي ﷺ ليلة المعراج : " يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم ، وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، وأبدانهم فخفف عنا ، فقال الجبار : يا محمد ، قال : لبيك وسعديك ، قال : إنه لا يبدل القول لدي ، كما فرضته عليك فى أم الكتاب ، قال :

: فكل حسنة بعشر أمثالها ، فهي خمسون في أم الكتاب وهي

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص56 ، والتعريفات ص33 .
2. لسان العرب لابن منظور 441/7 ، المفردات ص22 ، وتفسير النسفى ، دار الكتاب العربى بيروت 146/1 ، 252/2 ، 113/4 ، وتفسير ابن عباس المكتبة الشعبية ، بيروت ص43 ، 411 ، 210 .

خمس عليك " (1) .

2- فاتحة الكتاب : قال الإمام البخارى : " وسميت أم الكتاب لأنه يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة " (2) ، وقال رسول الله ﷺ : " الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني " (3) ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " كان النبي ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى إني لأقول : هل قرأ بأمر الكتاب ؟ " (4) .

3- أصل الكتاب : على الاعتبار اللغوى ، فقد يراد بأمر الكتاب فى اللغة أصله الذى يرد إليه ، فكل شئ ضم إليه سائر ما يليه ، أو كان أصلا لوجود شئ أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه ، يقال له : أم الكتاب (5) ، وعلى هذا الاعتبار جاء قوله تعالى :

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7517) 486/13 ومسلم فى كتاب الإيمان برقم (162) 145/1 .

2. فتح البارى شرح صحيح البخارى 6/8 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4704) 232/8.
4. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1165) 55/3 ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها برقم (724) 500/1 .
5. انظر المفردات ص22 ، ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى 1 / 173 : 175 طبعة المطبعة البهية المصرية ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى ط2 سنة 1955م مطبعة البابى الحلبي بمصر 2/1 .
- { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } [آل عمران/7] ، أى أصله الذى يرجع إليه عند الاشتباه (1) .

## أم الكتاب فى الاصطلاح الصوفى :

- أم الكتاب فى اصطلاح الصوفية يراد به عدة أمور :
- 1- أم الكتاب : العقل الأول الذى يسير إلى مرتبة الوحدة (2)
- 2- أم الكتاب : ذات الحق ، يقول ابن عربى : (فاعلم أن الحق هو على الحقيقة أم الكتاب) (3) ، وقال فى موضع آخر : ( فذات الحق سبحانه تعالى باعتبار اندماج الكل فيها ، هى أم الكتاب ، وعلمه هو الكتاب المبين فالذات هى أم الكتاب من الحقائق الإلهية) (4) .

---

1. تفسير القرآن العظيم لابن كثير 345/1 ، وانظر تفسير فى معنى أم الكتاب تفسير القرطبي 111/1 ، وتفسير ابن جرير الطبرى 175/3 ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من

الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ، تحقيق الدكتور ، أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة الرياض سنة 1402هـ ، 118/1 ، وعون المعبود ، شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي 225/12 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 57 ، وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 130/1 .

3. الفتوحات المكية نشر دار صادر 160/3 .

4. مرآة العارفين ، مخطوط مكتبة رفیق حمدان الخاصة ، دمشق ص 121 أ .

ويعرف عبد الكريم الجيلي أم الكتاب ، بأنها ماهية كنه الذات المعبر عنها من بعض وجوهها بماهيات الحقائق ، التي لا يطلق عليها اسم ولا نعت ولا وجود ولا عدم ، ولا حق ولا خلق ، والكتاب هو الوجود المطلق الذي لا عدم فيه ، وكانت ماهية الكنه أم الكتاب ، لأن الوجود مندرج فيها اندراج الحروف في الدواة (1) .

يقول عبد الكريم الجيلي : ( إذا علمت أن الكتاب هو الوجود المطلق تبين لك أن الأمر الذي لا يحكم عليه بالوجود ولا بالعدم ، هو أم الكتاب ، وهو المسمى بماهية الحقائق ، لأنه كالذي تولد الكتاب منه ، وليس الكتاب إلا وجه واحد من وجهي كنه الماهية ، لأن الوجود أحد طرفيها ، والعدم هو الثاني ) (2) .

3- أم الكتاب : القلم الأعلى ، يقول ابن عربي : ( وعلم بالقلم الملقب بأم الكتاب ، اللوح المحفوظ ، المسمى بالكتاب المبين (3) ) .

ويقول أيضا : ( كما أن القلم هو أم الكتاب من الحقائق الكونية  
(4) .

4- أم الكتاب : العرش ، فالعرش عندهم هو أم الكتاب في

عالم الملك —————

1. الإنسان الكامل 64/1 .

2. السابق 64/1 .

3. مرآة العارفين ص 120 أ .

4 . السابق ص 121 أ .

المفصل في الكرسي ، يقول ابن عربي : ( واعلم كذلك ، أن لعالم  
الملك كتابا مجملا وهو العرش ، وكتابا مفصلا وهو الكرسي في  
العرش ، يقال له : أم الكتاب ، وباعتبار تفصيل ما كان في العرش  
مجملا في الكرسي ، يقال له : الكتاب المبين ) (1) .

5- أم الكتاب : نقطة الباء حيث يرى ابن عربي أن نقطة الباء  
في البسملة ، هي أم الكتاب من حيث اندراج الفاتحة ، وجميع  
الكتب المنزلة فيها إذ بها بدأت البسملة ، فيقول : ( والفاتحة في  
البسملة ، والبسملة في الباء والباء في النقطة مندرجة مندمجة ،  
فهى أم الكتاب ، وجميع الكتب الكامنة فيها ) (2) .

\*\*\*\*\*



الأوتاد : وردت في القرآن على معنى الجبال ، قال تعالى : { أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } [النبا/6:7] ، والأوتاد جمع وتد ، والمعنى في الآية : جعلنا الجبال أوتادا للأرض ، لتسكن ولا تتحرك كما يرسى الخيام بالأوتاد (3) .

1. السابق ص 121 ب .

2. السابق ص 124 أ .

3. فتح القدير 364/5 .

وقال تعالى : { وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ } [الفجر/10] والأوتاد فيها ، قيل : هم الجنود الذين يشدون أمر فرعون ، أو يشدون الخيام الكثيرة إلى الأوتاد أو البناء المحكم (1) ، إلا أن الأقرب أنها الجبال الفرعونية المصنوعة التي تشبه الجبال في شماختها وارتفاعها ، والتي تشهد بقوتهم وتمكنهم وهي إشارة واضحة إلى الأهرامات التي هي إحدى عجائب الدهر .

ووردت الأوتاد في حديث ضعيف عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  قال : " إن للمساجد أوتادا ، الملائكة جلساؤهم ، إن غابوا يفتقدونهم ، وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم " (2) .

فسمى النبي ﷺ بعض المداومين على الصلاة في المسجد الثابتين على ذلك في حياتهم أوتادا ، ولم يذكر لهم عددا معينا .

## الأوتاد في الاصطلاح الصوفي :

أما الأوتاد عند الصوفية فهم الرجال الأربعة قائمون على منازل الجهات الأربع من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب ، بهم يحفظ الله تعالى تلك —

1. السابق 364/5 ، انظر تفسير الطبري 130/23 .

2. أخرجه الحاكم في مستدركه برقم (3507) 433/2 وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين موقوف ولم يخرجاه ، وأخرجه أحمد في المسند رقم (9143) والحديث في سننه دراج بن سمعان وهو منكر الحديث ، قاله الإمام أحمد في كتابه العلل ومعرفة الرجال طبعة المكتبة الإسلامية تركيا سنة 1987 ، وانظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 441/3 ، والكامل في ضعفاء الرجال 115/3 .

الجهات لكونهم محل نظره تعالى (1) .

يقول الكاشاني : ( وهؤلاء قد يعبر عنهم بالجبال أيضا ، من حيث أن الجبل ميد الأرض ، كقوله تعالى : { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا } [النبا/6:7] وكل رجل منهم يكون مورد الفيض من عندية الحق إلى عندية الغوث اللائق بتلك الجهات ، والوافي لما فيها من أصناف الخلائق وتوزيع هذه الأقسام من أركان الكعبة ) (2)

\*\*\*\*\*

## 8 - البدنة

\*\*\*\*\*

البدنة : البدن الجسد ، ويقال اعتبارا بعظم الجثة ، وسميت البدنة بذلك لسمنها ، يقال : بدن إذا سمن (3) ، وقد ثبت هذا المعنى في السنة ، فعن أبي هريرة  $\pi$  قال : قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إذا كان يوم الجمعة ، كان على كل —

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص58 ، لطائف الأعلام 256/1 .

2. رشح الزلال للكاشاني ص63 .

3. لسان العرب لابن منظور 47/13 ، وكتاب العين للخليل بن أحمد 58/8 وتهذيب الصحاح ، تأليف وإعداد محمود الزنجاني ، طبعة دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، مادة (بدن) والمفردات ص39 .

باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف ، وجاءوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكباش ، ثم كالذي يهدي الدجاجة ، ثم كالذي يهدي البيضة " (1) .

وورد ذكر البدنة مجموعا في قوله تعالى : { وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مَتْنًا شِعَائِرَ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ } [الحج/36] ، والمراد بها البعير والناقة من بهيمة الأنعام التي تقدم للهدى في الحج ، لما ثبت عن جابر بن عبد الله  $\pi$  ، قال : " اشتركتنا مع النبي  $\varepsilon$  في الحج والعمرة ،

كل سبعة في بدنة ، فقال رجل لجابر : أيشترك في البدنة ، ما يشترك في الجزور ؟ ، قال : ما هي إلا من البدن ، وحضر جابر الحديدية ، قال : نحرنا يومئذ سبعين بدنة ، اشتركنا كل سبعة في بدنة " (2) .

## البدنة في الاصطلاح الصوفي :

البدنة في الاصطلاح الصوفي تعنى النفس الآخذة في السير القاطعة لمنازل السائرين ومقامات السالكين ، ولا تكون بدنة إلا إذا كانت بقرة ، والبقرة —

1. أخرجه البخارى في كتاب الجمعة برقم (881) 425/2 ومسلم في كتاب الجمعة برقم (850) 472/2 .

2. أخرجه البخارى في كتاب المناقب برقم (3560) 654/6 وأخرجه مسلم في كتاب الحج برقم (1318) 955/2 .

هى النفس إذا استعدت للرياضة والمسير ، ولا تكون بقرة إلا إذا كانت كبشا ، فالكبش يطلق على النفس إذا لم يكن فيها استعداد (1)

\*\*\*\*\*

## 9 - البرق

\*\*\*\*\*

البرق : ورد في القرآن على معنى لمعان السحاب ، الذى ينقذ من اصطكاك أجرام السحاب المتراكمة ، فيظهر على إثرها الضوء

اللامع (2) قال تعالى : { أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ  
وَبَرْقٌ } [البقرة/19] وقال أيضا : { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا  
وَطَمَعًا وَيُنَشِّتُ السَّحَابَ الثِّقَالَ } [الرعد/12] وقال : [ يَكِيدُ سِنَا  
بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ] [النور/43] ، وعن حذيفة ؓ ، قال : " قال  
رسول الله ﷺ : فيمر أولكم كالبرق ، قلت : بأبي أنت وأمي ، أي  
شيء كمر البرق ؟ ، قال : ألم تتروا إلى البرق ، كيف يمر ويرجع في  
طرفة عين ؟ " (3) .

## البرق في الاصطلاح الصوفي :

والبرق عند الصوفية وضع للدلالة على شئ يظهر على العبد

من اللوامع —————

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص63 ، وانظر لطائف الإعلام 1/ 276.
  2. المفردات ص43 ، وانظر فتح القدير 1/48 بتصرف ، ولسان العرب 10/14 .
  3. أخرجه مسلم في الإيمان (195) 1/186 ، وأحمد في المسند برقم (10743) .
- النورانية فينجذب بها نحو الحق (1) ، يقول الكاشاني عن البرق : ( )  
البرق أول ما يبدوا لأهل البداية من اللوامع النورية ، فيدعوه إلى  
الدخول في حضرة القرب من الرب للسير في الله (2) .  
وتارة يطلق البرق ويراد به نور يقذفه الله في قلب العبد ، فيدعوه  
إلى الدخول إلى حضرته يقول ابن عربي : ( فتلك سكينه الأولياء

التي يسكنون إليها ، ولا تحصل لهم دائما لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق ، فهي تشبه المشاهد الذاتية في كونها لابقاء لها ، يقول :  
فيا راعى النجم كن لى نديما : وياساهر البرق كن لى سميرا  
( 3 ) .

وتارة يطلق ويراد به لائح إطلاقى مددى مترتب على قلق يغيب العبد عن أثر تعينه ، قاهر له سائر لظلمة ذلك الأثر بالكلية (4) .  
وتارة يصطلح بالبرق على أول ما يبدو من الأنوار الجاذبة إلى حضرة القرب من الرب ، ويعبر بالحرق عن أوسطها ، وبالطمس عن نهايتها (5) .

---

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 203/1 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 63 والتعريفات ص 47 .

3. الفتوحات المكية 2 / 98 ، ترجمان الأشواق ص 66 .

4. لطائف الأعلام 1 / 277 .

5. السابق 1 / 277 .

\*\*\*\*\*

## 10 - البقرة

\*\*\*\*\*

البقرة : حيوان معروف مفرد البقر ، ويقال للذكر ثور (1) ، قال تعالى عن بنى إسرائيل : { إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } [البقرة/70] ، وقال : { قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ } [البقرة/68] وكان الله قد أمر بعض بنى إسرائيل تحاكموا إلى موسى فى مقتل قريبهم ، أن يذبحوا بقرة ، ويضربوا الميت ببعضها ، ففعلوا وأخبرهم المقتول عن قاتله .

قال تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعْبُدُوا بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [البقرة/67] .

وقال النبي ء : " لأعرفن ما جاء الله رجل ببقرة لها خوار ، تجأرون ترفعون أصواتكم كما تجأر البقرة " (2) .

وجميع ما ورد فى القرآن من ذكر البقرة مفردة كما سبق أو مجموعة على بقر أو بقرات كقوله : { وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ } [يوسف/43] فالمعنى المراد هو الحيوان المعروف .

---

1. لسان العرب 73/4 ، والمفردات ص56 ، والمغرب للمطرزى 82/1 .  
2. أخرجه البخارى فى كتاب الأحكام برقم (7174) 175/13 ومسلم فى كتاب الإمارة برقم 1463/3 (1832) .

## البقرة فى الاصطلاح الصوفى :

أما البقرة فى عرف الصوفية واصطلاحهم ، فهى النفس إذا استعدت للرياضة وبدت فيها صلاحية قمع الهوى الذى هو حياتها ، كما يكمن عنها بالكبش قبل ذلك وبالبدنة بعده (1) .

يقول القشيرى عن أمر الله لبنى إسرائيل بذبح البقرة : ( إن من أراد حياة قلبه لا يصل إليه إلا بذبح نفسه ، فمن ذبح نفسه بالمجاهدات ، حتى قلبه بأنوار المشاهدات ، ففى ذبح النفس حياتها كما فى ذبح البقرة حياة قتيل بنى إسرائيل (2) .

ويذكر الكاشانى أن البقرة فى عرف الصوفية يكمن بها عن نفس الإنسان إذا كانت قد كملت ، واكتملت فى أوصافها الحيوانية ، حتى صارت تلك الصفات راسخة فيها ، بحيث لا ينجيها من دواعيها الجاذبة ، إلى الخيبة السافلة ، بتسلط الغضب والشهوة وتوابعهما عليها ، إلا التجرد التام الذى معناه الخروج عن قيود السفليات بالكلية ، وعن جميع الحظوظ النفسية المعبر عن ذلك بالذبح والقتل بلسان الصوفية ، فى قوله تعالى :

{ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَيَأْقُتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ } [البقرة/54] .

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 64 .



قال جعفر الصادق : ( فمن تاب فقد قتل نفسه ) ، وقد يشار إلى البقرة بالبدنة ، والكبش إلى شبح الإنسان في أطوار عمره ، فقد كان شبحه في عنفوان شبابه كبشا ، وفي زمان كهولته بقرة ، وفي وقت شيخوخته بدنة ولهذا فإن رؤية إبراهيم عليه السلام ذبح ولده ، في قوله تعالى حكاية عنه صلى الله عليه وسلم : { قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى } [الصفافات/102] ، لما كانت في أيام طفولة ولده جعل الله تعالى الكبش فداء عنه ، وقد يشار بهذه الحيوانات الثلاث في أحوال الإنسان إلى رتبته ، وذلك هو أن كل ما يتقوم به بقاء الإنسان ، إما أن يحصل منه مجرد البقاء مدة إمكان البقاء ، ويشار إليه بلفظ الكبش ، أو يصلح مع حفظ البقاء لرياضة واجتهاد ، وينال صاحبها ثمرة في ثاني الحال ، ويشار إليه بالبقرة ، أو يصلح مع ذلك لقطع المنازل والمراحل ، والوصول إلى المطالب العلية ، ويشار إليه بالبدنة ، ولهذا كان التقرب بالبدنة ، أعظم منزلة من التقرب بالبقرة ، والتقرب بالبقرة أعظم منزلة من التقرب بالكبش (1) .

\*\*\*\*\*

## 11 - البيت الحرام

\*\*\*\*\*

البيت الحرام : أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة ، قال

تعالى : { إِنَّ —

1. لطائف الإعلام / 1 : 289 : 291 .

أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا { [آل عمران/96: 97] فالبيت الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا (1) .

وقال تعالى : { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ { [المائدة/97] قال الشوكاني في معنى الآية : جعل هنا بمعنى خلق ، وسميت الكعبة كعبة لأنها مربعة والتكعيب التربع (2) .

وأكثر بيوت العرب مدورة لا مربعة وقيل سميت كعبة لنتوئها وبروزها وكل بارز كعب ، مستديرا كان أو غير مستدير ومنه كعب القدم والبيت الحرام عطف بيان وسمى بيتا لأن له سقوفا وجدران وهي حقيقة البيت وإن لم يكن به ساكن وسمى حراما لتحريم الله سبحانه إياه (3) .

وقد جعل البيت الحرام لغايات محددة ، بينها الله في عهده إلى إبراهيم وإسماعيل فقال سبحانه : { وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ { [البقرة/125] ، وقال تعالى : { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ —

1. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى 35/1 .

2. فتح القدير 79/2 ، التكعيب وحدة حجوم والتربيع وحدة مساحة ، وليس هذا المقصود هنا وإنما يعنى أن لها أضلاع إما متساوية وإما مختلفة ، وانظر تفسير القرطبي 60/17 ، وتفسير الطبرى 77/7 .

3. السابق 79/2 .

وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ { الحج/26 ، 27 } .

وخص الله البيت الحرام عن سائر مساجد الأرض ، بمضاعفة أجر الصلاة فيه إلى مائة ألف ، لما ثبت عن جابر بن عبد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة في مسجدي ، أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام ، أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه " (1) .

## البيت الحرام فى الاصطلاح الصوفى :

البيت الحرام فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى قلب الإنسان الكامل الذى حرم على غير الحق أن يتصرف فيه ، وقد استدل عبد الرزاق الكاشانى له بقوله تعالى :

{ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودِ { الحج/26} ،

يقول : فمن باب الإشارة هو القلب الذى وسع الحق ، واختص بكونه مستوى الحق بذاته ، وبجميع أسمائه وصفاته ، دون غيره من سائر المخلوقات (2) .

1. أخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (1406) وقال الشيخ الألباني : صحيح 451/1 وأحمد في المسند برقم (14284) .
2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 64 ، لطائف الإعلام 1 / 292 ، 293 وانظر أيضا مشاهدة الأسرار القدسية لابن عربي ص 52 .

\*\*\*\*\*

## 12 - البيت المعمور

\*\*\*\*\*

البيت المعمور : العمارة نقيض الخراب ، قال تعالى : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِمَّنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة/18] ، وقال في المقابل : { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا } [البقرة/114] (1) .

والبيت المعمور ورد مقسوما به في قوله الله تعالى : { وَالطُّورُ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ } [الطور/1: 4] وهو بيت في السماء السابعة لا نعلم هيئته ، عماره من الملائكة (2) .

وقد رآه رسول الله ﷺ عندما عرج به إلى السماء السابعة ليلة الإسراء والمعراج ، فقال في وصفه : " فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم " (3) .

1. المفردات ص 347 ، وانظر تفسير القرطبي 80/10 .

2. أنوار التنزيل وأسرار التأويل 232/2 والعظمة لأبي محمد الأصفهاني 623/2 .

3. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق برقم (3207) 348/6 .

وفي رواية أخرى " فإذا أنا بإبراهيم ع ، مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه " (1) ، وذكر ابن عمر أنه بجيال الكعبة (2) .

### البيت المعمور في الاصطلاح الصوفي :

والبيت المعمور عند الصوفية ، يعنى قلب الإنسان ، فهو محل الحق ولا يخلو عندهم أبدا ممن يعمره ، قال سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ) في تفسيره : ( البيت المعمور قلوب العارفين ، المعمورة بمعرفته ومحبته والأنس به وهو الذى توجه الملائكة ، لأنه بيت التوحيد ) (3) .

يقول القشيري (ت:465هـ) : ( البيت المعمور هو قلوب العابدين العارفين المعمورة بمحبته ومعرفته ) (4) وقال أيضا : ( البيت المعمور مواضع عباداتهم ومجالس خلواتهم ) (5) .

ويقول ابن عربي فى وصف معراجة الروحاني (ت:638هـ) : ( ثم رأيت البيت المعمور فإذا به قلبى ، وإذا بالملائكة تدخله كل يوم ،

وقد تجلى الحق —

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (162) 145/1 .

2. فتح القدير 96/5 .

3. تفسير سهل بن عبد الله التستري ص 94 ، 95 .

4. لطائف الإشارات 472/3 .

5. الفتوحات الكية 350 /3 .

له في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ، فهو يتجلى فيها لقلب عبده ، لو تجلى دونها ، لأحرقت سبحات وجهه عالم الخلق من ذلك العبد ( 1) .

وقال عبد الكريم الجيلي (ت:829هـ) : ( البيت المعمور قلب الإنسان فهو محل الحق ، ولا يخلو أبدا ممن يعمره ، إما روح إلهي قدسي ، أو ملكي أو شيطاني أو نفساني ، وهو الروح الحيواني ، فلا يزال معمورا بمن فيه من السكان ، قال الله تعالى : { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } [التوبة/18] (2)

\*\*\*\*\*

## 13 - البِيضَاء

\*\*\*\*\*

البِيضَاء : البياض في الألوان ضد السواد ، ويكون ذلك في الإنسان والحيوان وغير ذلك مما يقبله (3) .

قال تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُهُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُهُ فَأَمَّا الَّذِينَ  
اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [آل عمران/106] وقال تعالى :  
{ يُطَافُ —

1. السابق 472/3 .

2. الإنسان الكامل 79/1 .

3. لسان العرب 122/7 ، وكتاب العين 68/7 .

عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ } [الصفات/46] وقوله :  
{ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ } [الأعراف/108] ، أى فإذا يده  
التي أخرجها بيضاء تتلألاً نورا يظهر لكل مبصر (1) .

وعن أبي هريرة  $\pi$  ، أن سول الله  $\epsilon$  قال : " إن أمتي في الأمم  
كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " (2) .

كما ورد لفظ البيضاء على معنى الأرض الخالية من الزراعة والتي  
لا ينتفع منها فعن جابر  $\pi$  ، قال : " نهى رسول الله  $\epsilon$  ، عن بيع  
الأرض البيضاء سنتين أو ثلاثا " (3) .

وربما أطلق على القمح البيضاء ، لما روى عن عبد الله بن يزيد  
، أن زيدا أبا عياش سأل سعدا عن البيضاء بالسلت (4) ؟ ، فقال  
: أيهما أفضل ؟ قال : البيضاء ، فنهى عن ذلك " (5) .

البيضاء في الاصطلاح الصوفي :

## البيضاء فى الاصطلاح الصوفى لفظ موضوع على معنى مختلف

### عما ورد فى ———

1. المفردات ص 66 ، وانظر فتح القدير 231/2 .
  2. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6529) 385/11 .
  3. أخرجه مسلم فى كتاب البيوع برقم (1536) 1174/3 .
  4. البيضاء القمح ، والسلت الشعير الأبيض الذى لا قشر له .
  5. أخرجه الترمذى فى كتاب البيوع (1225) وقال الألبانى : صحيح 528/3 .
- الأصول القرآنية والنبوية ، فجعلوا البيضاء مركز العماء ، وجعلوا الدرّة البيضاء بمعنى العقل الأول ، أخذوا من بعض الأحاديث الموضوعّة .

قال عبد الرزاق الكاشانى : ( الدرّة البيضاء هى العقل الأول ، لقوله عليه السلام : ( أول ما خلق الله درّة البيضاء ) ، والحديث الآخر : ( أول ما خلق الله العقل ) (1) .

فالعقل الأول هو مركز العماء ، وأول منفصل من سواد الغيب ، وهو أعظم نيران فلكه ، فلذلك وصف بالبياض ليقابل بياضه سواد الغيب ، فيتبين بضده كمال التبين ، ولأنه أول موجود ، ويرجع

### وجوده على عدمه ———

1. الصوفية يحتجون بأحاديث العقل وأغلبها موضوع أو ضعيف كقوله : ( إن الله لما خلق العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر فقال : وعزى وجلالى ما خلقت أشرف منك فبك أخذ وبك أعطي ) وغيره ، قال فى المقاصد نقلا عن ابن تيمية وغيره أنه كذب موضوع باتفاق ، وفى زوائد عبد الله بن الإمام أحمد على الزهد لأبى بسند فيه ضعف عن الحسن البصرى مرفوعا مرسلًا : ( لما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر ، قال :



ما خلقت خلقا أحب إلي منك بك آخذ وبك أعطي ) وأخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل له ، وهو كذاب عن الحسن أيضا بزيادة ولا أكرم علي منك لأني بك أعرف وبك أعبد ، وفي الكتاب المذكور لداود من هذا النمط أشياء منها : أول ما خلق الله العقل وذكره ، لكن ذكره في الاحياء ، وقال العراقي في تخريج أحاديثه : أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط وأبو نعيم بإسنادين ضعيفين ، انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس ( 723 ) 275/1 .

والوجود بياض والعدم سواد ، ولذلك قال بعض العارفين في الفقر :  
( إنه بياض يتبين فيه كل معدوم ، وسواد ينعدم فيه كل موجود )  
فإنه أراد بالفقر فقر الإمكان (1) .

وعند ابن عربي : الدرة البيضاء هي العقل الأول ، وهو أول ما أوجد الله من عالم العقول المدبرة ، وهو جوهر بسيط ليس بمادة ولا في مادة ، عالم بذاته في ذاته ، علمه ذاته لا صفة له ، مقامه الفقر والذلة والاحتياج إلى باريه وموجده ومبدعه ، له نسب وإضافات ووجوه كثيرة لا يتكثر في ذاته ، سماه الحق سبحانه وتعالى في القرآن حقا وقلما وروحا ، وفي السنة عقلا وغير ذلك من الأسماء .

قال الله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } [الحجر/85] وهو أول عالم التدوين والتسطير ، وهو الخازن الحفيظ العليم الأمين على اللطائف الإنسانية التي من أجلها وجد ، ولا يزال هذا العقل مترددا بين الإقبال والإدبار ، يقبل على باريه مستفيدا فيتجلى له ، فيكشف في ذاته من بعض ما هو عليه ، فيعلم من باريه قدر ما علم من نفسه ، فعلمه بذاته لا يتناهى ،

وعلمه بربه لا يتناهى ، وطريقة علمه به التجليات وطريقة علمه بربه  
علمه به ، ويقبل على من دونه مفيدا ، هكذا أبد الآباد فى المزيد  
فهو الفقير الغنى ، العزيز الذليل ، العبد السيد ، ولا يزال الحق  
يلهمه طلب —————

1. انظر معجم اصطلاحات الصوفية لعبد الرزاق لكاشانى ص 27 ، وله أيضا شرح الزلال  
ص 130 .

التجليات لتحصيل المعارف (1) .

ويقول ابن عربى : فحال الرتق ، هى كون العالم بأسره عقلا  
محضا كما جاءت الأخبار الصحيحة حيث أخبر صلى الله عليه  
وسلم : " إن أول ما خلق الله عز وجل درة بيضاء " ، فتلك الدرة  
هى العقل الذى أخبر به ﷺ : " أول ما خلق الله العقل " وذلك  
العقل هو نور رسول الله ﷺ الذى أخبر عنه ، فيما رواه جابر  $\pi$  قال  
: " سألت رسول الله ﷺ عن أول شئ خلقه الله تعالى ؟ ، فقال :  
هو نور نبيك يا جابر ، خلقه الله ، ثم خلق فيه كل خير ، وخلق  
بعده كل شئ " ، فقد تبين لك بهذا الحديث أنه ﷺ كل العالم ،  
وأن كل جزء من العالم مظهر له ، من حيث اتحاده ، وجزء منه  
وبعضه وغيره ، من حيث امتيازه وانفراده ، إذ نوره ﷺ الذى هو  
العقل أصل العالم " (2) .

---

1. انظر عقلة المستوفذ ص 40، 41 وانظر اصطلاح الصوفية لابن عربي ص 12 والفتوحات المكية 421/2 .

2. بلغة الخواص الورقات 8: 10 والأحاديث المذكورة في كلام الكاشاني وابن عربي عن اول ما خلق الله ، ليس هما أصل في السنة ، والثابت في أول خلق الله هو القلم كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت **ت** قال سمعت رسول الله **ع** يقول : إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ) ، وقال الحافظ ابن حجر : والوارد في أول ما خلق الله ، حديث أول ما خلق الله القلم ، وهو أثبت من حديث =

\*\*\*\*\*

## 14 - التدانى والتدلى

\*\*\*\*\*

التدانى والتدلى : ورد اللفظان في قوله تعالى : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى } [النجم/8Y9] والتدانى القرب ، كما في قول الله تعالى : { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ } [الحاقة/23] والتدلى الدنو الاسترسال (1) ، والمعنى الوارد في سورة النجم على وجهين :

1- أحدهما يرتبط بالمعنى السابق من الآيات ، فبعد أن رأى رسول الله جبريل في الأفق الأعلى من جهة المشرق وهو في الغار ، دنا منه جبريل حتى كان على قدر زراع أو زراعين ، أو كما ورد في الآية كان قاب قوسين أو أدنى (2) ، ثم أوحى الله إلى نبيه ما أمر جبريل بتبليغه إياه : { فَيَأْوِحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مِمَّا أَوْحَىٰ } [النجم/10] ويؤكد هذا المعنى ما روى عن مسروق قال : —

= العقل ، أخرجه أبو داود في كتاب السنة برقم (4700) انظر تعليق الشيخ الألباني على شرح العقيدة الطحاوية ص 234 طبعة مكتبة الدعوة الإسلامية وانظر كشف الخفا ومزيل الإلباس ( 723 ) 275/1 .

1. انظر كتاب العين للخليل بن أحمد 75/8 ، ولسان العرب لابن منظور 271/14 والمفردات في غريب القرآن ص 171 .

2. تفسير ابن جرير الطبري 4/15 ، وفتح القدير 110/5 .

قلت لعائشة رضي الله عنها : فأين قوله : { ثُمَّ دَنَا فَتَبَدَّلَ فِكَمَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى } ؟ قالت : ذاك جبريل ، كان يأتيه في صورة الرجل ، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق " (1) .

2- والثاني يرتبط بالمعراج ليلة الإسراء ، والمقصود بالتداني هو دنو النبي ﷺ من رب العزة ، ويؤكد هذا المعنى ما روى من حديث أنس بن مالك  $\pi$  أنه  $\epsilon$  قال : " وإبراهيم في السادسة ، وموسى في السابعة ، بتفضيل كلام الله ، فقال موسى : رب لم أظن أن يرفع علي أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا للجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة " (2) .

التداني والتدلي في الاصطلاح الصوفي :

أما المعنى الصوفي لهذين الاصطلاحين ، فالقشيري يفسر الدنو والتدلى تفسيراً باطنياً ، فيقول : ( دنا محمد من ربه بما أودع من لطائف المعرفة وزوائدها فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه ) (3) .  
وعند ابن عربي : التداني معراج المقربين والتدلى نزولهم ، وقد يطلق بإزاء

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3235) 361/6 .
  2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7517) 485/13 .
  3. لطائف الإشارات 482/1 .

نزول الحق إليهم عند التداني (1) .

ويشرح الكاشاني ذلك بأن التداني معراج المقربين ، ومعراجهم العامر بالأصالة ، ينتهى إلى حضرة قاب قوسين ، وكحكم الوراثة المحمدية ، ينتهى إلى حضرة قاب قوسين أو أدنى ، وهذه الحضرة هى رقيقة التدنى ، والتدلى نزول المقربين بوجود الصحو المفيق ، بعد ارتقائهم إلى منتهى مناهجهم ويطلق بإزاء نزول الحق من قدس ذاته ، الذى لا يطاء قدم استعداد السوى إليهم ، حيثما تقتضى سعة استعدادهم وضيقها ، فإن أفلاك كمالات القوابل متفاوتة فى السعة والضيق عند التداني على خلاف معارجهم أيضا (2) .

\*\*\*\*\*

التلبيس : اللبس الخلط ، يقال : لبست عليه الأمر أى خلطته

قال تعالى : \_\_\_\_\_

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص13 .

2. رشح الزلال ص132 وانظر التعريفات ص56 ، ولعل القارئ يلاحظ المنهج المتكرر في عرض مثل هذه المعاني المعقدة الغريبة الهمجية التي لا يصل منها العاقل إلى شئ يذكر ، أو هدية تنير له الطريق ، وهم يتعمدون هذا في كلامهم حتى يقال : التصوف بعيد الأغوار ، ولا يفهمه إلاهم ، ولو عرضنا هذا الكلام على شيخ مشايخ الطرق الصوفية في عصرنا الحاضر ، ليقربه إلى أذهان الصوفية فضلا عن العامة ، لكان في وضع لا يحسد عليه .

{ التَّحِيزِ آمَنُوا وَمَ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمِينُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام/82] (1) ، وقال عبد الله بن مسعود : " من طلق كما أمره الله فقد بين الله الطلاق ، ومن لبس على نفسه وكلنا به لبسه ، والله لا تلبسون على أنفسكم وتحمله نحن " (2) .

وأصل اللبس الستر بالثوب ونحوه ، كقوله تعالى : { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } [الأعراف/26] .

وجعل اللباس لكل ما يستر الإنسان ، سواء حسيا كما سبق ، أو معنويا كقوله : { هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ } [البقرة/187] (3) .

ومصطلح التلبيس أخذ الصوفية لفظه من قوله تعالى : { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ } [الأنعام/9]

ومعنى الآية : لو جعلنا الرسول ملكا كما يرغبون ، فإنه سيشق عليهم التعامل معه مباشرة ، لكون كلفيته لا تتناسب مع خلقتهم ، مما يحتم أن يكون رجلا بالضرورة ، فتم المصلحة من الرسالة ، وإذا جعله الله رجلا أى على صورة رجل من بنى آدم —

1. لسان العرب 738/1 ، فتح القدير 101/2 .

2. صحيح الإسناد ، أخرجه الدارمى فى المقدمة برقم (110) 60/1 ، وعبد الله بن مسعود قال ذلك فى شأن رجل طلق زوجته مائة مرة فى كلمة واحدة .

3. كتاب العين 262/7 ، فتح القدير 101/1 .

ليسكنوا إليه ويأنسوا به ، سيقول الكافرون : إنه ليس بملك وإنما هو بشر ويعودون إلى تكذيبه كما هو الحال ، وهنا يكون الابتلاء بالتصديق أو التكذيب ، فقله تعالى : { وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ } [الأنعام/9] أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ، فإذا رأوه فى صورة إنسان ، قالوا : هذا إنسان وليس بملك ، فإن استدل لهم بأنه ملك كذبوه (1) .

## التلبيس فى الاصطلاح الصوفى :

يذكر السراج الطوسى أنهم يعنون بالتلبيس تحلى الشئ بنعت ضده ، كما قال الواسطى : ( التلبيس عين الربوبية ) ، يقول السراج معقبا : ( معناه أن المؤمن يظهره فى زى الكافر ، والكافر فى زى المؤمن ، كما قال الله تعالى : { وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ } ،

وقال الجنيد بن محمد فى ذلك : امتزج بالالتباس واختلط متلونا فى الإحساس ، وللقناد فى هذا المعنى :

بنا يكشف التلبس فى كل ماكر

إذا طاح فى الدعوى وطاح انتحاله (2)

ويقول على بن عثمان الهجویری : ( التلبس إظهار الشئ للخلق على خلاف حقیقته ، تلبساً لقوله تعالى : { وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَبَا يَلْبَسُونَ } ، وهذه الصفة محالة لغير الحق ، لأنه يظهر الكافر بالنعمة مؤمناً ، والمؤمن بالنعمة —————

1. تفسير القرطبي 340/1 ، وتفسير ابن جرير الطبري 153/7 زالسابق 101/1 .

2. اللع ص 449 .

كافراً ، إلى وقت إظهار حكمه فى كل شخص ، وحين يخفى واحد من هذه الطائفة خصاله المحمودة بصفاته المذمومة يقولون : إنه يلبس (1) .

وعند القشیری : التلبس أن من لم يقدر سره لبس عليه أمره (2)

ويذكر الكاشاني أن التلبس هو ظهور الذات بالتعينات ، لما يحصل من اللبس فى معرفتها ، كما قال عمرو بن الفارض :



وتظهر للعشاق في كل مظهر : من اللبس في أشكال حسن  
بديعة

ففي مرة لبني وأخرى بثينة : وآونة تدعى بعزة  
عزت

يقول الكاشاني معقبا : وقوله عزت أى عن هذا اللبس الحاصل  
لمن يشاهدها في المظهر حيث يظنها منحصرة فيه ، وهو عز وجل  
أن يتقيد بشئ من المظاهر (3) .

\*\*\*\*\*

## 16 - التلوين

\*\*\*\*\*

التلوين : تلون إذا اكتسى لونا غير اللون الذى كان له (1) ،

وعن عروة —

1. كشف المحجوب ص 474 .
2. لطائف الإشارات 462/1 .
3. لطائف الإعلام 257/2، 258 .
4. لسان العرب 393/13 ، والمفردات ص 457 .

بن الزبير τ : " أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ε ، في غزوة  
الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه ، قال : عروة فلما  
كلمه أسامة فيها ، تلون وجه رسول الله ε ، فقال : أتكلمني في

حد من حدود الله ؟ قال : أسامة استغفر لي يا رسول الله .. " (1)

ومن حديث أبي عمر الغداني عن أبي هريرة  $\pi$  ، أنه قال للعامري : " إياك وأخفاف الإبل ، وأظلاف الغنم ، يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتلون " (2) .

وقال تعالى : { وَمِنَ الْجَبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُا وَغَرَائِبٌ سُودٌ } [فاطر/27] وقال : { وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ } [الروم/22] إشارة إلى أنواع الألوان ، واختلاف الصور التي يختص كل واحد بهيئة غير هيئة صاحبه ، وسحنا غير سحنائه ، مع كثرة عددهم (3) .

وعن أبي هريرة  $\pi$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " التمر بالتمر ، والحنطة بالحنطة ، والشعير بالشعير ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدا بيد ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى ، إلا ما اختلفت ألوانه " (4)

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (3965) 346/7 .

2. جزء من حديث أخرجه أحمد فى المسند برقم (9977) واللفظ له ، وأخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1402) 314/3 .

3. المفردات ص 457 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب المساقاة برقم (1588) 1211/3 .

وعنه أيضا : " أن رجلا أتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، ولد لي غلام أسود ، فقال : هل لك من إبل ؟ ، قال : نعم قال : ما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورك ؟ ، قال : نعم قال : فأني ذلك ؟ قال : لعله نزعه عرق ، قال : فلعل ابنك هذا نزعه " (1) .

### التلوين في الاصطلاح الصوفي :

التلوين في الاصطلاح الصوفي مبني على معنى التقليب وعدم الاستقرار ولكن لمعان مختلفة :

فيذكر السراج الطوسي (ت : 378هـ) أن التلوين ، هو تلون العبد في أحواله ، فعلامة الحقيقة التلوين ، لأن التلوين ظهور قدرة القادر ، ويكتسب منه الغيرة ، ومعنى التلوين معنى التغير ، فمن أشار إلى تلوين القلوب وتغير الأحوال قال : ( علاممة الحقيقة رفع التلوين ) ، ومن أشار إلى تلوين القلوب والأسرار الخالصة لله تعالى في مشاهدتها ، وما يرد عليها من التعظيم والهيبة وغير ذلك من تلوين الواردات ، فقال : ( علاممة الحقيقة التلوين ) ، لأنهم في كل سير مع الله تعالى في زيادة من تلوين الواردات على أسرارهم ، وأما تلوين الصفات ، فهو كما قال القائل :

كل يوم تتلون : غير هذا بك أجمل (2)

1. أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق برقم (4893) 506/8 .

2. اللع ص443 .

وقال أبو القاسم القشيري (ت:465هـ) : ( التلوين صفة أرباب الأحوال ، فما دام العبد فى الطريق ، فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقى من حال إلى حال ، وينتقل من وصف إلى وصف ، ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع ، فإذا وصل تمكن ، وصاحب التلوين أبدا فى الزيادة ، وصاحب التمكين وصل تم اتصل ، فالعبد ما دام فى الترقى ، فصاحب تلوين يصح فى نعمة الزيادة فى الأحوال والنقصان منها ) (1) .

أما السهروردي (ت:632هـ) فالتلوين عنده ، يكون لأرباب القلوب لأنهم تحت حجب القلوب ، وللقلوب تخلص إلى الصفات ، وللصفات تعدد بتعدد جهاتها ، فظهر لأرباب القلوب بحسب تعدد الصفات تلوينات ، ولا تجاوز للقلوب وأربابها عن عالم الصفات ، وصاحب التلوين قد يتناقض الشئ فى حقه عند ظهور صفات نفسه ، وتغيب عنه الحقيقة فى بعض الأحوال ويكون ثبوته غير مستقر الإيمان ، وتلوينه فى زوائد الأحوال (2) .

ويقول ابن عربى (ت:638هـ) فى معنى التلوين : ( التلوين تنقل العبد فى أحواله ، وهو عند الأكثرين مقام ناقص ، وعندنا هو

أكمل المقامات وحال العبد فيه حال قوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ  
فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] (3) .

1. الرسالة 252/1 ، 255 ، وانظر كشف المحجوب ص 617 ، والإيماء عن إشكالات الإحياء ص65.

2. عوراف المعارف ص529 .

3. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص10 وانظر لطائف الإعلام 346/1 .

ويوضح الكاشاني رأى ابن عربي ، فيذكر أن التلوين هو الاحتجاب عن حكم أو حال ، أو مقام سني بآثار حال ، أو مقام ديني ، وعدمه على التعاقب ، وآخره التلوين في مقام تجلي الجمع بالتجليات الأسمائية في حال البقاء بعد الفناء ، وإنما قال ابن عربي : إنه عندنا أكمال المقامات ، وعند الأكثرين مقام ناقص ، لأنه أراد بالتلوين الفرق بعد الجمع ، إذ لم يكن كثرة الفرق حاجته عن وحدة الجمع ، وهو مقام أحدية الفرق في الجمع وانكشاف حقيقة معنى قوله : { كُيْلَ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] ، ولا شك أنه أعلى المقامات ، وعند هذه الطائفة ذلك نهاية التمكين ، وأما التلوين الذي هو آخر التلوينات ، فهو عند مبادئ الفرق بعد الجمع يحتاج الوجد بظهور آثار الكثرة عن حكم الوحدة (1) .

ويرى الجيلي (ت:829هـ) أن التلوين مشهد ذاتي ، يتلون فيه الصوفي بمعاني الأسماء والصفات ، فيغلب عليه في كل زمان حكم

صفة ، فيكون في لون غير ما كان عليه من قبل ، وفي هذا المشهد يجد من اللذة الإلهية ، ما يسرى في جميع أجزائه ، إلى أن تكاد تخرج روحه من عالم التركيب إلى عالم الأرواح ، لشدة اللذة المنطبعة فيه ، يجدها حكم الضرورة محسوسة ، كما يجد لذة المحسوسات (2)

يقول الجيلي : ( وقد أخذت هذه اللذة فقيرا عن محسوساته

حتى غاب —

1. معجم الكاشاني ص 174، 175 .

2. المناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلي ص 117 .

عن الكون وما فيه ، فلما رجع إلى نفسه ، وجده قد أمنى لما سرت فيه اللذة الروحانية ، فعمت الروح والقلب ، ثم أفاضت على بشرة جسده فأعطاه الجسد حكم بشريته فكان ما كان ، وقد أنكر هذا الحال بعض المشايخ المتقدمين من علماء الصوفية ، فقال : إن ذلك للبقايا التي فيه من البشرية وأين البشرية منه في هذا المقام ؟ ، بل إنما هو بحكم البشرية في هيكله الجسماني ، لا لبقاياها في نفسه المطهرة فاعلم (1) .

\*\*\*\*\*

## 17 - التمكين

\*\*\*\*\*

- التمكين : يقال مكنته ومكنت له فتمكن ، أى تثبته فاستقر له الأمر والنهى فيه (2) وقال تعالى : { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا —————

1. السابق ص 117 ، وانظر أيضا جامع الأصول للكمشخانوى ص 157 ، والصوفية من أصحاب الوحدة يعتقدون أن المرأة أفضل ما يتعين فيه الخالق تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، ويعشقون المرأة ويعاشرونها على أنهم يعبدون رب العزة ، ولد فلا يستغرب القارئ هذه الزندقة في قول الجبلى : وقد أخذت هذه اللذة فقيرا عن محسوساته حتى غاب عن الكون وما فيه ، فلما رجع إلى نفسه ، وجده قد أمنى لما سرت فيه اللذة الروحانية ، فعمت الروح والقلب ، ثم أفاضت على بشرة جسده فأعطاه الجسد حكم بشريته فكان ما كان .

2. لسان العرب 412/13 ، والمفردات ص 471 .

مَعَايِشَ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ } [الأعراف/10] وقال { وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ } [يوسف/21] ، أى مكنا ليوسف عليه السلام في مصر حتى صار متمكنا من الأمر والنهى فيها (1) .

وعن أبي بن كعب ، قال رسول الله ﷺ : " بشر هذه الأمة بالسنة والتمكين في البلاد والنصر والرفعة في الدين ، ومن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة نصيب " (2) .

وقالت أم سلمة زوج النبي ﷺ : " ودعونا لله للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده " (3) .

- التمكين في الاصطلاح الصوفى :

التمكين في الاصطلاح الصوفى ضد التلوين على وجه الإجمال ، أما على وجه التفصيل فكل صوفى يعبر عنه بما يراه مناسبا من

وجهة نظره ورؤيته للأدلة ، فيستدل أبو علي الدقاق للتمكين بحال امرأة العزيز ، حيث أن النسوة اللاتي قطعن أيديهن لما رأين يوسف عليه السلام ، كن صاحبات —

1. فتح القدير 14/3 وانظر المفردات ص471 .
2. صحيح الإسناد ، أخرجه أحمد في المسند برقم (20718) .
3. حسن ، جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند برقم (1742) وفيه محمد بن اسحاق بن يسار وهو صدوق .

تلوين لما ورد عليهن من شهود جمال يوسف على وجه الفجأة : { فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } [يوسف/31] .

أما امرأة العزيز فكانت صاحبة تمكين ، لأنها أتم في بلاء يوسف منهن فلم تتغير لرؤيته ، فقالت : { قَالَتْ فَبِذَلِكَ النَّبِيِّ لَمُنَّي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ } [يوسف/32] (1) .

والقشيري يرى أن التمكين هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين ، لأنه يرتقى من حال إلى حال وينتقل من وصف إلى وصف ، فإذا وصل إلى الحق بانحناس أحكام البشرية مكنه الحق سبحانه ، بأن لا يرده إلى معلولات النفس ، فهو متمكن في حاله على حسب محله واستحقاقه ، فالتمكين صفة أهل الحقائق ، وأمارة أنه وصل إلى التمكين ، أنه بالكلية عن كليته بطل ، والتمكين يرفع التلوين (2) .



وقد استدل الهجویری لمعنی التمکین بشأن موسى عليه السلام ، لما بلغ درجة التمکین ، وسقطت عنه ألوان التلوین حيث أمره الله تعالى بأن یخلع نعلیه وأن یلقى عصاه قائلاً : { إِيَّيَّ أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوَّى } [طه/12] ، وهذا لكونهما عدة السفر وهو في حضرة ربه فأول المحبة طلب وآخرها سكون ، والماء إنما یجرى في مجرى النهر حتى إذا —

1. الرسالة القشيرية 252/1 .

2. السابق 252/1 .

وصل إلى المحيط وقف تياره وتغير طعمه ، فمن طلب الماء لشربه ابتعد عنه أما في طلب اللؤلؤ ، فإنه یجاهد نفسه ، ويضع حبل الطلب في رأسه ویغوص تحت الماء برأسه مجداً في نيل اللؤلؤ ، فإما یجده وإما یفقد نفسه العزیزة ، ولكن موسى كان عرضة للتلوین ، حيث صعق لما تجلی ربه لجبل سیناء كما قال :

{ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا } [الأعراف/

[143] .

أما سيدنا محمد ﷺ ، فتمكن حيث أنه لم تتغير حاله مع مكاشفة الحق له بجماله وجلاله من مكة ، إلى قاب قوسين أو أدنى ، فقال : { مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } [النجم/17] وهذه درجة أعلى في التمکین (1) .

وللهجويرى أيضا فى هذا المعنى تفصيل ، فىقول : التمكن عبارة عن إقامة المحققين فى محل الكمال والدرجة العليا ، فىمكن لأهل المقامات العبور من المقامات ، أما العبور من درجة التمكن ، فمحال لأن الأول درجة المبتدئين والثانى مستقر المنتهين ، والتمكين على نوعين : الأول ما تكون نسبته إلى شاهد النفس ، والآخر : ما تكون إضافته إلى شاهد الحق ، فما تكون نسبته إلى شاهد النفس يكون باقى الصفة ، وما تكون حوالبه إلى شاهد الحق يكون فانى الصفة ) (2) .

---

1. كشف المحجوب ص 450 .

2. السابق ص 450 .

وىذكر السهروردى أن أرباب التمكن ، هم الذين خرجوا عن مشائم الأحوال ، وخرقوا حجب القلوب ، وباشرت أرواحهم سطوع نور الذات فارتفع التلوين ، لعدم التغير فى الذات ، إذا حلت ذاته عن حلول الحوادث والتغيرات ، فلما خلصوا إلى مواطن القرب من أنصبة تجلى الذات ، ارتفع عنهم التلوين ، فالتلوين حينئذ يكون فى نفوسهم ، لأنها فى محل القلوب لموضع طهارتها وقدسها ، والتلوين الواقع فى النفوس ، لا يخرج صاحبه عن حالة التمكن ، لأن جريان التلوين فى النفس ، لبقاء رسم الإنسانية ،

وثبوت القدم في التمكين كشف حق الحقيقة ، وليس المعنى بالتمكين ، أن لا يكون للعبد تغير فإنه بشر ، وإنما المعنى به أن ما كوشف به من الحقيقة ، لا يتوارى عنه أبدا ، ولا يتناقص بل يزيد (1) .

وعند محي الدين بن عربي : التمكين هو التمكين في التلوين وقبل حال أهل الوصول (2) .

ويشرح الكاشاني المعنى بأن القلب الفاضل ، يتحقق بحضرة قاب قوسين لوسيطه تتمتع فيها الأحكام التفصيلية الإلهية والإمكانية ، ترتفع بذلك الأحكام ، ويعود القلب حالتئذ مطلقا محيطا بها إحاطة الشيء بوجوه تقلباته فإذا انتقل من وسيطته المقتضية استواء الأطراف ، ينتقل بتغليب اسم إلهي وترجيح حكم كوني في حقه إختيارا ، فإن هنالك أبو الوقت الحاكم عليه — 1. عوارف المعارف ص 529 .

2. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 10 .

يجعله قاضيا بظهور شيء أو بخفائه ، وهذا هو التمكين في التلوين ، فإنه باختياره يغلب حكم التقييد على إطلاق نفسه ، فينتقل من اسم إلى اسم ومن وجه إلى وجه ، وحكم مع حكم ، مع الحق الذي { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] (1) .

والتمكن عند عبد الكريم الجيلي ، هو تجلى الحق تعالى للعبد بذاته من حضرته ، فيتصف حينئذ بأسمائه وصفاته ، فيمكنه بنصب الحضرة الإلهية بين يدي العبد ، فيأخذ فيها ما شاء ، ويترك ما شاء ، ويظهر أثر ما شاء متى شاء (2) ، يقول الجيلي : ( وعند الدخول في هذا التجلي ، يسمع العبد صلصلة الجرس ، وعند التوسط فيه يرى الرفرف ، والنعلين والتاج والسرير والمتجلي في ذلك على الصورة المذكورة في الحديث النبوي ) (3) .

1. رشح الزلال ص 160 .

2. المناظر الإلهية ص 119 .

3. السابق ص 119 ، وهو إما يشير بذلك إلى حديث عائشة عن الحارث بن هشام ، أنه سأل رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول " وهو حديث صحيح ، أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي برقم (2) 25/1 ، وإما يقصد ما هو أبعد من ذلك ، وهو سماع الصوفي كسماع الملائكة للوحي في الملاء الأعلى ، كما ورد عن بن مسعود ، قال

\*\*\*\*\*

## 18 - الجلاء

\*\*\*\*\*

الجللاء : أصل الجلو الكشف الظاهر يقال : أجليت القوم عن منازلهم فجلوا عنها أى أبرزتهم عنها (1) ، قال الإمام البخارى : " الجلاء الإخراج من أرض إلى أرض " (2) .

والجللاء يطلق أيضا على نوع من الكحل يجلو البصر ويريجه ، فمن لم حديث أم حكيم بنت أسيد عن أمها أن زوجها توفي ، وكانت تشتكي عينها —

= رسول الله ﷺ : " إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة ، كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق ، فيقولون : الحق الحق " وهو صحيح ، أخرجه أبو داود فى كتاب السنة برقم (4738) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 235/4 ، وفى رواية أبى هريرة ؓ ، قال النبي ﷺ : " إذا قضى الله الأمر فى السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ، كالسلسلة على صفوان " صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4701) 231/8 ، ولكن لا علاقة للحديثين بما ذهب إليه غير التواطئ فى سماع صلصلة الجرس وضرب الملائكة بأجنحتها .

1. المفردات ص 96 .

2. البخارى فى كتاب تفسير القرآن ، انظر فتح البارى 497/8 .

فتكتحل الجلاء ، فأرسلت مولاة لها إلى أم سلمة ، فسألتها عن كحل الجلاء فقالت : لا تكتحل إلا من أمر لا بد منه (1) .

وقال الشوكانى : الجلاء مفارقة الوطن ، ولا يكون إلا للجماعة ومع الأهل والولد (2) ، ومنه قوله تعالى : { وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعِيدَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ } [الحشر/3] ويعنى إخراج يهود بنى النضير من المدينة ، كما ثبت ذلك

من حديث كعب بن مالك  $\pi$  ، وفيه : " وغدا رسول الله  $\epsilon$  على بني  
النضير بالكثائب ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء ، فجلت بنو  
النضير ، واحتملوا ما أقلت الإبل " (3) .

## الجلء في الاصطلاح الصوفي :

أما الجلاء الصوفي ، فيذكر الكاشاني أنهم وضعوه على معنى  
ظهور الذات القدسية لذاته في ذاته ، والاستجلاء ظهورها لذاته في  
تعيناته (4) ، والفرق بين الجلاء والاستجلاء عندهم ، أن الأول  
عبارة عن ظهور الذات المقدسة في مرآة الإنسان الكامل ، وأما  
الثاني عبارة عن جمع الحق بين شهوده نفسه —

1. أخرجه النسائي في كتاب الطلاق (3537) وقال الألباني : ضعيف 204/6 .

2. فتح القدير 5/ 196 .

3. أخرجه أبو داود في كتاب الخراج برقم (3004) وقال الشيخ الألباني : صحيح الإسناد  
156/3

4. معجم الكاشاني ص 65 وانظر لطائف الإعلام 389/1 .

بنفسه في نفسه وحضرة وحدانيته ، وبين شهوده نفسه فيما امتاز  
عنه فيسمى بسبب الامتياز غيرا ، ولم يكن قبل الامتياز كذلك ،  
وعبارة عن مشاهدة ذلك الغير أيضا ، نفسه بنفسه منذ كونه غيرا  
ممتازا ، ومشاهدة من امتاز عنه أيضا بعينه ، وعمن امتاز  
عنه ، فتميز الواحد عمّن ثناه بالفرقان النبي الذي حصل  
بينهما ، فظهر بينهما ضدا ، فانفرد كل بأحدثه وجمعيته (1) .

\*\*\*\*\*

## 19 - الجلال

\*\*\*\*\*

الجلال : الجلالة عظم القدر ، والجلال بغير الهاء التناهى فى ذلك فى وصف الجلالة (2) ، وخص الجلال بوصف الله تعالى فقال : { وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن/27] وقال : { تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن/78] ولم يستعمل فى غيره (3) .

والجليل العظيم القدر ووصفه تعالى بالجلال إما لخلقه الأشياء العظيمة المستدل بها عليه أو لأنه يجلب عن الإحاطة به أو لأنه يجلب أن يدرك بالحواس فى

---

1. السابق ص 65 .

2. المفردات ص 94٢95 ، لسان العرب 116/11 ، والمغرب للمطرزى 155/1 .

3. السابق ص 95 .

الدنيا (1) ، وعن أنس بن مالك  $\tau$  ، " أنه كان مع رسول الله  $\varepsilon$  جالسا ورجل يصلي ثم دعا : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ،

يا حي يا قيوم ، فقال النبي ﷺ : لقد دعا الله باسمه العظيم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى " (2) .

## الجلال في الاصطلاح الصوفي :

الجلال في الاصطلاح الصوفي يعرفه ابن عربي بأنه نعوت القهر من الحضرة الإلهية كما أن الجمال نعت من نعوت الرحمة (3) .

ويعرفه عبد الرزاق الكاشاني ، بأنه مشاهدة جلال الله تعالى في القلب (4) ويقول مفسرا ذلك : ( المراد جلال الجمال ، فإن الجلال الذاتى معنى يرجع إليه ، وهذا لأنه عظمة يجدها القلب عند التجلى ، فإذا أفرد غشاياها عليه ذهب بحاله ونعته ، ولكن لا يذهب بعينه ، إذا كان المتجلى له ذا روح ، إذ لها حكم فى مسلك صورتها على ما هى عليه ، ألا ترى أنه لما تجلى لعين الجبل الخالية عن الروح ، خر موسى صعقا ولم تزل صورته وعينه ، ولذلك —

1. السابق ص 95 .

2. أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة برقم (1495) وقال الألبانى : صحيح 79/2 .

3. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 5 ، وانظر لطائف الأعلام 390/1 .

4. رشح الزلال ص 72 ، ص 75 .

أفاق موسى عليه السلام ، وعاد إلى حاله ، ولم يرجع الجبل كما كان جبلا والحق لا يتجلى بالجلال المطلق لأحد أبدا إذ لا يثبت معه وجود الغير (1) .



أما الجيلى فقد عرفه بقوله : ( الجلال عبارة عن ذاته ، بظهوره فى أسمائه وصفاته كما هى عليه على الإجمال ، وأما على التفصيل ، فإن الجلال عبارة عن صفات العظمة والكبرياء ، والمجد والثناء ، وكل جمال له يشتد ظهوره فإنه يسمى جلالاً ) (2) .

ويذكر الجيلى فى أثر الجلال على العبد ، أن الله يتجلى له بصفات القهر والكبرياء والعظمة والقدرة والجبروت ، فيندك جبهه وتصعق نفسه ، فيقع فى بحار من الهيبة تتلاطم أمواجها بالنار ، وفى هذا المشهد يسمع العبد صلصلة الجرس ، وأول بدوّه فى الكشف فى هذا المنظر ، يسمع تصادم الحقائق بعضها مع بعض ، فيجد لها أطيّطاً يملأ ما بين السماء والأرض ، ثم إذا تقوى وثبت لسمع ذلك ، يترقى ويسمع صلصلة الجرس ، عند رفع الستر عن الصفة القاهرة ، وفى هذا المنظر يتصف الأولياء بالصفة القادرية ، فيخترع الرجل منهم ما شاء من عجائب القدرة والتكوينات ، التى لا يسع شرحها ، وما دام العبد فى تجليات الجلال ، فإنه لا يمكنه أن يبرز شيئاً من عالم غيبته إلى عالم شهادته ، لأن عالم الشهادة ، يضيق عن حمل ذلك ، فلا تكون —

1. السابق ص 72Y73 .

3. الإنسان الكامل 60/1 .

اختراعاته وانفعالاته وخرقه للعوائد إلا فى عالم غيبه (1) .

ويذكر التهانوى أن الجلال فى العرف الصوفى ، هو إظهار  
استغناء المعشوق عن عشق العاشق ، وهو دليل على فناء الوجود ،  
وغرور العاشق وإظهار فقره ، وبقاء ظهور المعشوق ، كما يكون  
للعاشق اليقين به (2) .

\*\*\*\*\*

## 20 - الجلووة

\*\*\*\*\*

الجلووة : أصل الجلو الكشف الظاهر ، يقال : أجليت القوم  
عن منازلهم فجلوا عنها ، ويقال : فلان ابن جلا أى مشهور ،  
والسماء جلواء ، أى صحو (3) .

قال تعالى : { وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى } [الليل/ 2] ، وقال أيضا : {  
فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } [الأعراف/ 143] ، وفى حديث جابر  
بن عبد الله ؓ : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " لما كذبتني قريش  
قمت فى الحجر ، فجلا الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم  
عن آياته ، وأنا أنظر إليه " (4) .

---

1. المناظر الإلهية ص 194 ، 195 .

2. كشاف التهانوى 347/1 .

3. المفردات ص 96 ، والقاموس المحيط ص 1641 .

4. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3886) 236/7 .

## الجلوة فى الاصطلاح الصوفى :

والجلوة كما ذكر محى الدين بن عربى ، تعنى خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية (1) ، ويضيف الجرجانى للمعنى الصوفى السابق ، فيقول : الجلوة خروج العبد من الخلوة بالنعوت الإلهية ، إذ عين العبد وأعضاؤه ممحوة عن الأنانية ، والأعضاء مضافة إلى الحق بلا عبد ، لقوله تعالى : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال/17] ، وقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ } [الفتح/10] (2) .

\*\*\*\*\*

## 21 - الجمال

\*\*\*\*\*

الجمال : ما يتجمل به ويتزين به ، وهو يعنى الحسن الكثير ، قال تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ خَيْرٌ تُرِيحُونَ وَخَيْرٌ تَسْرَحُونَ } [النحل/6] ، أى لكم فيها تحمل وتزين عند الناظرين إليها (3) .  
والجميل من أسماء الله الحسنى يدل على صفة الجمال بدلالة التضمن لما ورد فى حديث عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : " لا يدخل —————

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص 13 .

2. التعريفات للجرجانى ص 80 .

3. لسان العرب 123/11 ، والمفردات ص 97 ، وكتاب العين 142/6 .

الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " (1) .

والصبر الجميل والصفح الجميل ، أحسن ما يكون من الصبر والصفح كما قال تعالى : { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ } [يوسف/18] ، وقوله : { فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } [الحجر/85] (2) .

## الجمال في الاصطلاح الصوفي :

الجمال عند ابن عربي نعوت الرحمة والإلطف من الحضرة الإلهية ، وهو معنى يرجع من الله إلينا في التنزلات والمشاهدات والأحوال ، وله فينا أمران الهيبة والانس ، وذلك لأن لهذا الجمال دنوا وعلوا ، فالعلو نسميه : جلال الجمال ، وفيه يتكلم العارفون ، وهو الذى يتجلى لهم ، ويتخيلون أنهم يتكلمون فى الجلال الأول ، وهذا جلال الجمال ، قد اقترن معه منا الأانس والجمال الذى هو الدنو ، اقترن معه منا الهيبة ، فإذا تجلى لنا جلال الجمال أنسنا ، ولولا ذلك لهلكنا ، فإن الجلال والهيبة ، لا يبقى لسلطانهما شئ فيقابل ذلك الجلال منه بالانس منا ، لنكون فى المجاهدة على الاعتدال

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (91) 93/1 .

2. لسان العرب 439/4 ، وفتح القدير 141/3 ، وتفسير البيضاوي 279/3 وانظر تفسير القرطبي 150/9 .

حتى نعقل ما نرى ولا نذهل ، وإذا تجلى لنا الجمال هبنا ، فإن الجمال مباسطة الحق لنا ، والجلال عزته عنا ، فتقابل بسطه معنا في جماله بهيبته فإن البسط يؤدي إلى سوء الأدب ، وسوء الأدب في الحضرة سبب الطرد والبعد ، ولهذا قال بعض المحققين ممن عرف هذا المعنى ، أقعد على البساط وإياك والانبساط فإن جلاله في أنسنا يمنعنا في الحضرة من سوء الأدب (1) .

والجمال عند الكاشاني ، هو تجلي الله بوجهه لذاته ، فلجماله المطلق جلال ، هو قهاريته لكل عند تجليه بوجهه ، فلم يبق أحد حتى يراه ، وهو علو الجمال ، وله دنو يدنو به منا ، وهو ظهوره من الكل (2) .

ويذكر التهانوي أن الجمال عند الصوفية ، عبارة عن إلهام الغيب الذي يرد على قلب السالك ، ويرد أيضا بمعنى إظهار كمال المعشوق في طلبه للعشق ، والجمال الحقيقي صفة أزلية لله تعالى ، حيث يشاهد الجمال في ذاته أولا مشاهدة علمية ، وهي علمه تعالى بأنه جميل ، فأراد الله أن يرى جماله في صنعه مشاهدة عينية ، فخلق العالم كمرآة شاهد فيه عين جماله عيانا (3) .

وعند الجيلى الجمال ، منظر تتنوع تجليات الحق فيه ، فتارة  
يتجلى باللطف وتارة بالرحمة ، وتارة بالعلم ، وتارة بالفضل ، وتارة  
بالجود ، وأمثال ذلك —

1. اصطلاحات الصوفية ص5 . 1، لطائف الأعلام 1/ 390 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص66 .

3. كشاف التهانوى 1/ 348 .

إلى ما لا نهاية له من تجلياته ، ثم إن تجليات الله تعالى على قلوب  
عباده كلها إما جمال الجلال ، وإما جلال الجمال ، والله إذا تجلى  
لعبدته فى منظر الجمال رأى ذلك العبد جميع الأشياء ملحقة بالله ،  
فلا يمر بحجر ولا مدر ولا حيوان ولا شئ من الأشياء ، إلا وتلوح  
له تجليات الجمال من تلك الأشياء ، بلا حلول ولا اتحاد ، بل على  
التنزيه اللائق به ، وذلك لأن الله تعالى يكشف له عن محتد  
الموجودات ، فلا يمر بموجود إلا ويكشف له عن محتده ، من جمال  
الله تعالى ، ويسمع العبد من الله تعالى فى منظر الجمال ، قوله : {  
فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } [البقرة/115] (1) ، فىكون عند العبد علم  
بتوحيد الحق فى سائر المخلوقات ، وترد عليه ملائكة الحقائق بأنواع  
علوم التوحيد ، فلا تزال تهديه إلى الحق حتى يرتقى عنها وعن نفسه  
وعن علومها ، فىفنى عن جميع ذلك ، ثم يفنى عن الفناء ، ثم يبقى  
ببقاء الله تعالى ، فإذا صار باقيا بالله شم رائحة من الجلال (2) .

\*\*\*\*\*

## 22 - جلال الجمال

\*\*\*\*\*

جلال الجمال : انظر مصطلح الجلال والجمال .

1. المناظر الإلهية ص 193 .

2. السباق ص 193 .

### جلال الجمال فى الاصطلاح الصوفى :

يذكر الكاشانى أن جلال الجمال فى عرف الصوفية ، عبارة عن علو الجمال وعزته عنا ، فإذا تجلى لنا تعالى فى جماله ، فإن عزة جماله تمنعنا عن إدراكه تعالى ، ومعرفته على ما هو عليه ، فسميت تلك العزة والمنعة التى يقتضيها الجمال جلاله ، والفرق بين هذا الجلال ، وبين الذى فى مقابلة الجمال ، هو أن الجلال المطلق معنى يرجع منه إليه تعالى ، وهو الذى يمنعنا عن أن نرى ذاته تعالى ، فلانفراد الحق به تعالى لم يصح لغيره أن يراه فيه .

وأما جلال الجمال : فهو جلال الجمال الذى تجلى لنا فيه ، بحيث أنه لما تجلى لنا فى جماله ، وكان جلاله مقترنا بجماله ، فكان تعالى لأجل الجلال والجمال عند تجليه لنا ، مما لا يستحيل علينا أن

ندركه فى تجليه لنا ، ومن لم يعرف هذا لم يعرف ما اختص به أهل السنة من بين سائر الطوائف ، حيث أثبتوا كونه تعالى مرئيا بالإبصار فى دار القرار ، مع تنزهه عن الجهة والتحييز وتوابعهما بخلاف من نفى رؤيته من الفلاسفة والمعتزلة ، لأجل تنزهه عن الجهة أو من أثبت الجهة لأجل رؤيته ، فقد اتضح معنى الجلال والجمال المطلقين ، ومعنى جلال الجمال (1) .

أما جمال الجلال ، فهو حضرة الدنو الذى منها تجلى لعباده ، وباعتبارها صحت المعرفة له ، وأهل العبيد لعبادته ، كما كما قال الشيبانى :

---

1. لطائف الإعلام 391/1 .

جمالك فى كل الحقائق سافر : وليس له إلا جلالك

ساتر

وبجماله ظهر لخلقه بخلقته ، وبجلاله حجبهم عن معرفته ، فالجمال سافر والجلال ساتر ، ولما كان الجلال معنى يرجع منه إليه ، بحيث لا يصح لغيره أن يراه فيه ، لانفراده تعالى بحضرة جلاله ، لم يكن الجلال هو جلال الجمال بعينه (1) .

\*\*\*\*\*



الجمع : الجمع ضم الشئ بتقريب بعضه من بعض ،  
 يقال جمعته فاجتمع ، وقال عز وجل : { وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ  
 { [القيامة/9] ، وقال سبحانه : { الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ } [الهمزة/2] .  
 ومن حديث ابن عمر  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  : " فيومئذ يبعثه الله  
 مقاما محمودا ، يحمده أهل الجمع كلهم " (2) ، وقوله عز وجل : {  
 إِنَّ النَّاسَ قَيْدٌ جَمْعُوا لَكُمْ } [آل عمران/173] قيل : جمعوا آراءهم في  
 التدبير عليكم ، وقيل أيضا : جمعوا جنودهم ، وعن ابن عباس  $\tau$  ،  
 أن النبي  $\varepsilon$  ، قال يوم بدر : " اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ،  
 اللهم إن شئت لم تعبد ، فأخذ أبو بكر —————

1. السابق 392/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الزكاة برقم (1475) 396/3 .

بيده فقال : حسبك ، فخرج وهو يقول : { سِيَهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ  
 الدُّبُرَ } [القمر/45] " (1) وقوله تعالى : { وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ  
 جَامِعٍ } [النور/62] أى أمر له خطر يجتمع لأجله الناس فكأن الأمر  
 نفسه جمعهم (2) ، ومن المعانى الاصطلاحية القرآنية والنبوية المتعلقة  
 بالجمع :

1- يوم الجمع : سمي يوم القيامة يوم الجمع ، لاجتماع  
الخلائق في أرض المحشر ، كما قال تعالى : { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ  
لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ } [التغابن/9] .

2- الإجماع : ويقال على ما اجتمعت آراء المسلمين عليه ، وعن  
أنس بن مالك  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " إن أمتي لا تجتمع  
على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم " (3) .

3- يوم الجمعة : سمي يوم الجمعة ، لاجتماع الناس للصلاة ، قال  
تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ  
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الجمعة/9] .

4- الجماعة : تطلق على الصلاة خلف الإمام ، فعن أبي هريرة  
 $\tau$  ، أن

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (3953) 335/7 .

2. المفردات ص 96 .

3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (3950) وقال الألبانى : ضعيف جدا دون الجملة الأولى  
1303/2 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " تفضل صلاة الجمع  
على صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءا ، ويجتمع  
ملائكة الليل والنهار فى صلاة الفجر " (1) .

5- الجماعة : تطلق على السواد الأعظم من المسلمين ، لحديث أنس بن مالك  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم " (2) ، ومن حديث ابن عمر  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ إلى النار " ، قال أبو عيسى الترمذى : الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث (3) .

6- الجمع : يقال على التمر المتنوع المختلط ، لما روى عن أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، قال : " كنا نرزق تمر الجمع ، وهو الخلط من التمر وكنا نبيع صاعين بصاع ، فقال النبي  $\varepsilon$  : لا صاعين بصاع ولا درهمين بدرهم " (4) وفي رواية " لا تفعل بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيهاً " (5) .

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (649) 161/2 .
  2. جزء من الحديث السابق الذى أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (3950) .
  3. أخرجه الترمذى فى كتاب الفتن برقم (2167) وقال الشيخ الألبانى : صحيح دون قوله : ومن شذ 466/4 .
  4. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2080) 364/4 .
  5. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2202) 467/4 .

الجمع فى الاصطلاح الصوفى :

الجمع فى الاصطلاح الصوفى ما يكون من قبل الحق ، من إبداء معان وإسداء لطف وإحسان ، فمن أشهده الحق سبحانه ما يوليه من أفعال نفسه سبحانه ، فهو عبد بشاهد الجمع ، وإذا أصغى بصره إلى ما يناجيه به مولاه واستمع بقلبه ما يخاطبه به فيما ناداه أو نجاه ، أو عرفه أو لوح لقلبه وأراده فهو بشاهد الجمع (1) .

وقال أبو على الدقاق : أنشد صوفى بين يدى أبو سهل الصعلوكى : جعلت تنزهى نظرى إليك ، وكان أبو القاسم النصراباذى حاضرا ، فقال أبو سهل : جعلت ب نصب التاء ، وقال النصراباذى : بل جعلت بضم التاء فقال أبو سهل : أليس عين الجمع أتم ؟! .

ومعنى هذا أن من قال : جعلت بضم التاء يكون إخبارا عن حال نفسه فكأن العبد يقول : هذا من عنده ، وإذا قال : جعلت بفتح التاء ، فكأنه يتبرأ من أن يكون ذلك بتكلفه ، بل يخاطب مولاه ، فيقول : أنت الذى خصصتنى بهذا لا أنا بتكلفى (2) .

وقال الكاشانى : الجمع يطلق فى اصطلاح القوم على عدة معان :

1- يشيرون بالجمع إلى حق بلا خلق ، وبالتفرقة إلى العكس

ويقولون : —

الفرق رؤية خلق بلا حق .

2- الجمع هو الاشتغال بالحق بحيث يجتمع لهم ، ويتفرغ الخاطر للتوجه إلى حضرة قدسه تعالى ، وأن الفرق هو تفرقة الخاطر عن ذلك ويقرب من هذا قولهم في التفرقة ، بأنها عبارة عن اشتغال النفس بقوى البدن والتصرف فيها ، والانهماك في لذاتها ، وأن الجمع إقبال النفس على العالم القدسي مشغلة به عن العالم الحسى .

3- الجمع اجتماع همتها على عبادة الحق ، بحيث يذبها ذلك عن الالتفات إلى الخلق .

4- ويراد بالجمع أيضا : الاشتغال بشهود الله عما سواه تعالى والتفرقة : هى الاشتغال عن الله بما سواه .

5- وقد يطلقون الجمع ويريدون به شهود ما سوى الله قائما بالله .

6- وتارة يعبرون بالجمع عن حال من أثبت نفسه ، وأثبت الحق ولكن شاهد الكل قائما به سبحانه .

7- وتارة يعنون بجمع الجمع ، الاستهلاك بالكلية في الله .

8- الجمع شهود الوحدة في الكثرة ، ويسمى عالم الجمع ،  
وحضرة الجمع ، ومقام الجمع ، وهو أن تشهد الذات بحسب  
واحديتها المحيطة بجميع الأسماء ، والحقائق (1) .

1. لطائف الإعلام 392Y393/2 .

\*\*\*\*\*

## 24 - الحرق

\*\*\*\*\*

الحرق : الإحراق إيقاع نار ذات لهيب في الشيء ، ومنه استعير  
أحرقني بلومه ، إذا بالغ في أذيته بلومه ، والحريق النار قال تعالى :  
{ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [الأنفال/50] وقال : { فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ  
فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ } [البقرة/266] (1) .

واللفظ ورد في القرآن والسنة على معنى إشعال النار ، واللهب  
في الدنيا أو الآخرة ، كقوله تعالى عن الحرق في الدنيا : { وَأَنْظُرْ  
إِلَى إِلَهَتِكَ الَّتِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ  
نَسْفًا } [طه/97] .

وقال رسول الله ﷺ : " ما تعدون الشهادة ؟ ، قالوا : القتل في  
سبيل الله عز وجل ، قال رسول الله ﷺ : الشهادة سبع سوى القتل  
في سبيل الله عز وجل ، المطعون شهيد ، والمبطنون شهيد ، والغريق

شهيد ، وصاحب الهدم شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ،  
وصاحب الحرق شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة " (2) ، أما عن  
الحرق في الآخرة فهو كقوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ }  
[البروج/10] .

1. انظر المفردات ص 114 ، ولسان العرب 41/10 .
2. أخرجه النسائي في كتاب الجنائز برقم (1846) قال الألباني : صحيح 13/4 .

### الحرق في الاصطلاح الصوفي :

والحرق في المفهوم الصوفي ، هو واسطة التجليات الجاذبة إلى  
الفناء التي أوائلها البرق ، وأواخرها الطمس في الذات (1) .  
قال الكاشاني : ( الحرق هو أوسط ما يبدو من أنوار التجليات  
الجاذبة إلى الفناء في عين التوحيد ، فإن أنوار التجليات ما دامت  
في الابتداء ، فإنها تسمى برقاً ، فإذا اشتد جذبها حتى أسقطت  
الصبر وغلبت العقل ، سميت حرقاً ، فإذا بلغت من العبد الغاية التي  
لم يبق متسع لغيرها ، بحيث أفنته عن نفسه فضلاً عن غيره سميت  
طمساً ) (2) .

\*\*\*\*\*

الحضرة : الحضر خلاف البدو ، والحضرة السكون بالحضر ، ثم جعل ذلك اسما لشهادة مكان أو إنسان أو غيره ، فمثال حضور المكان ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\epsilon$  قال : " فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر " (3) .

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص82 ، وانظر كشاف التهانوى 91/2 .
2. لطائف الإعلام 409/1 ، 410 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (881) 425/2 .

وعنه أيضا  $\tau$  ، أن النبي  $\epsilon$  قال : " لياخذ كل رجل برأس راحلته ، فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان " (1) ، ومثال حضور الإنسان ، قوله تعالى : { وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ } [النساء/128] ، وقوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ } [البقرة/180] .

ومثال الأنواع الأخرى : قوله تعالى : { وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ } [المؤمنون/97:98] ، وقوله : { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضِرًا } [آل عمران/30] ، أى مشاهدا معاينا فى حكم الحضر عنده .



وعن عائشة رضى الله عنها ، عن النبي ة قال : " لا صلاة بحضرة الطعام ، ولا هو يدافعه الأخبثان " (2) .

وعن فاطمة رضى الله عنها قالت : أسر إلي النبي ة : " إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي ، وإنك أول أهل بيتي لحاقا " (3) .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (680) ، وأخرجه النسائي في كتاب المواقيت برقم (623) اللفظ له .

2. أخرجه مسلم في كتاب المساجد برقم (560) 393/1 .

3. أخرجه البخارى في كتاب المناقب (3624) 726/6 وانظر المفردات ص 122 .

## الحضرة فى الاصطلاح الصوفى :

والحضرة فى عرف الصوفية ، إشارة إلى قوله تعالى : { كُنْ } ، كقوله : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [النحل/40] ، فهى صورة الإرادة الكلية (1) .

ويذكر ابن عربى للحضرة معان متنوعة ، فالعشق الإلهى حضرة واجتماع أصحاب المعرفة حضرة ، والمنام يسميه حضرة الخيال ، وأم الكتاب يسميه حضرة أم الجمع ، وكل اسم إلهى هو حضرة ، والحضرات الإلهية لا تكاد تنحصر عند الصوفية (2) .

ويقول ابن عربي عن حضرة أم الكتاب : ( أدخلى الحق إياها ،  
فرأيتها ورأيت ظاهرها وباطنها ، وفرع سبحانه من هذه الحضرة  
الجامعة التي اختصها لنفسه ، حضرات لا يعلم عددها إلا الله في  
السماء والأرض ، وما بينهما وما تحت الثرى ) (3) .

ويقول أيضا : ( فمن أحب العالم لجماله ، فإنما أحب الله ، وليس

### للحق —

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 17 ، ومعجم عبد الرزاق الكاشاني ص 88 والتعريفات  
ص 195 .

2. الفتوحات المكية 4/198 وما بعدها ، وانظر لطائف الإعلام 1/411:419 في بيان تنوع  
معاني مصطلح الحضرة عند الصوفية .

3. السابق 2/582 .

مجلى إلا العالم ، وهنا سر نبوى إلهى ، خصصت به من حضرة  
النبوة ، مع كونى لست بنبى ، وإبنى لوارث ) (1) .

وقد أصبح مصطلح الحضرة فى العرف الصوفى حاليا ، مقترنا  
بالاجتماع أسبوعيا أو يوميا فى الخلوة المرفقة بالمسجد أو بمنزل شيخ  
الطريقة ، حيث يلتقى الشيخ بمريديه ، والحضرات ليست على  
مستوى واحد ، فهناك حضرة للمريدين وأخرى للذكر والسماع ،  
وتستمر الحضرة غالبا من بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل ،  
وعند انتهاء الحضرة يقوم الجميع لصلاة العشاء وتعد الحضرة

الصوفية من المراسم التي يتسم بها مجالس الصوفية (2) ، وقد استجد فيها مزيد من المخالفات كشرب الشيشة والدخان وغيرهما .

\*\*\*\*\*

## 26 - الخلق الجديد

\*\*\*\*\*

الخلق الجديد : الجديد ما أحدث إنشاؤه ، كقول الله تعالى : {  
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ } [إبراهيم/19] .

وعن أبي هريرة ؓ ، أن النبي ؑ قال : " ولو لم تذنبوا ، لجاء الله

بخلق —

1. السابق 269/4 .

2. ألفاظ الصوفية ومعانيها للدكتور حسن محمد الشرقاوى الطبعة الثانية ، دار المعرفة الجامعية ص143 ، 144 .

جديد كي يذنبوا فيغفر لهم " (1) .

وقوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } [ق/15] يعنى  
النشأة الثانية فى الآخرة (2) ، وجميع ما ورد فى القرآن والسنة ، من  
الخلق الجديد فهو على هذا المعنى السابق .

الخلق الجديد فى الاصطلاح الصوفى :

أما المعنى الصوفى للخلق الجديد ، فهو اتصال أمداد الوجود من  
نفس الرحمن إلى كل ممكن ، لانعدامه بذاته ، وفيضان الوجود عليه

منه ، على التوالى حتى يكون فى كل آن خلقا جديدا ، لاختلاف نسب الوجود إليه مع الآنات ، واستمرار عدمه فى ذاته (3) .

يقول ابن عربى : ( إن فى العالم الحسى والكون الثابت ، استحالآت مع الأنفاس ، لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواس ، إلا فى الكلام خاصة وفى الحركات ، وأصل ذلك كله ، أعنى أصل التغير من صورة إلى مثلها أو خلافها ، لتغير الأصل الذى يمدده ، وهو التحول الإلهى فى الصور ، وهو قوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ } [الرحمن/29] ، فلما كان الله كل يوم هو فى —

1 . أخرجه مسلم فى كتاب التوبة برقم (2749) والترمذى فى كتاب صفة الجنة برقم (2525) واللفظ له .

2. لسان العرب 108/3 ، المفردات ص 88 .

3. معجم الكاشانى ص 180 .

شأن ، كان تقليب هذا العالم الذى هو صورة هذا القالب من حال إلى حال مع الأنفاس ، فلا يثبت العالم قط على حال واحدة زمانا فردا ، لأن الله خلاق على الدوام ، ولو بقى العالم على حال واحدة زمانين ، لا تصف بالغنى عن الله ، ولكن الناس فى لبس من خلق جديد (1) .

ويقول أيضا : ( إن الله يتجلى فى كل نفس ، ولا يكرر التجلى ، وكل تجلى عند الصوفية يعطى خلقا جديدا ، ويذهب بخلق ، فذهابه هو عين الفناء عن التجلى ، والبقاء لما يعطيه التجلى الآخر

، فيحدث نشأة الإنسان مع الأنفاس ولا يشعر ، وهو قوله تعالى :  
{ وَنُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ } [الواقعة/61] ، يعنى مع الأنفاس ،  
وفى كل نفس له فينا إنشاء جديد ، بنشأة جديدة ، ومن لا علم له  
بهذا ، فهو فى لبس خلق جديد ) (2) .

ويذكر عبد الرزاق الكاشانى أن الخلق الجديد ، يعنى به ما يفهم  
من باب الإشارة من قوله تعالى : { بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ  
جَدِيدٍ } [آ/15] وذلك أن هذه الآية الكريمة ، كما يفهم منها  
بحسب ظاهر عبارتها ، ما نزلت لإثباته من حشر الأجساد ،  
وتجديد الخلق فى يوم الميعاد ، فكذا يفهم منها ما تشير إليه فى  
مقتضى ذوق الكمال ، بلسان الخصوص المفهوم لأهل الله تعالى  
من تجديد الخلق مع الأنفاس :

---

1. الفتوحات المكية 198/3 .

2. فصوص الحكم 126/1، وانظر الفتوحات المكية 46/2.

( إن الكفار فى لبس وشك من تجديد الخلق مع الأنفاس ) (1) .

فإن كل ما سوى الحق تعالى من جميع مخلوقاته الروحانية  
والجسمانية والعلوية والسفلية ، لا بقاء لشيء منها ، بل هى  
متجددة الوجود لحظة بلحظة فهى لا تزال فى فناء يعقبه بقاء ،  
هكذا دائما مع الأنفاس دنيا وآخرة ، لا استحالة استغناء ما سوى

الحق تعالى عن إمداده بالتبعية ، فلولا تجدد الفناء والبقاء لكان الإمداد تحصيلًا للحاصل ، لأنه يكون إبقاءً للباقي وإيجاداً للموجود وذلك محال ( 2) .

\*\*\*\*\*

## 27 - الدبور

\*\*\*\*\*

الدبور : الريح التي أهلكت قوم عاد قال تعالى : { وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صِرَعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ { [الحاقة/6:7] دل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور " (3) .

1. لطائف الإعلام 450/1 .

2. السابق 450/1 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3205) 346/6 ، ومسلم فى كتاب صلاة الاستسقاء برقم (900) 617/2 .

## الدبور فى الاصطلاح الصوفى :

والدبور فى الاصطلاح الصوفى يقول فيه الكاشانى : ( هى صولة داعية هوى النفس واستيلاؤها ، شبهت بريح الدبور التى تأتى من جهة المغرب لانتشائها من جهة الطبيعة الجسمانية التى هى مغرب

النور ، ويقابلها القبول وهى ريح الصبا التى تأتى من جهة المشرق ، وهى صولة داعية الروح واستيلاؤها ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : " نصرت بالصبا وأهلكت عد بالدبور " (1) .

وقال فى قوله تعالى : { وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَيَتْرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَادَرَعَى كِبَأْتَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [الحاقة/2:7] : ( فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة ، وعدم حرارة الشوق والعشق ، العاتية أى الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم فى أودية الهلاك ، سخرها الله عليهم فى مراتب الغيوب السبعة التى هى لياليهم ، لا حتجأهم عنها ، والصفات الثمانية الظاهرة لهم كالأيام وهى : الوجود والحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلم أى على ما ظهر منهم وما بطن ، تقطعهم وتستأصلهم ، فترى القوم فيها صرعى أى موتى لا حياة حقيقية لهم ، لأنهم قائمون بالنفس لا بالله كما قال تعالى : { كِبَأْتَهُمْ خُشْبٌ مُسَبَّنَةٌ } [المنافقون/4] } كَأْتَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } [الحاقة/7] ، أى أقوياء بحسب الصورة ، لا معنى فيهم ولا حياة —

1. معجم الكاشانى ص70 ، وانظر لطائف الإعلام 461/1 .

ساقطون عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقى ، إذ لا يقومون بالله (1)

ويذكر التهانوى أن الدبور فى الاصطلاح الصوفى ، الصولة  
الدماعية بهوى النفس ، واستيلاؤها بصورة تجعل الشخص يصدر  
عنه عمل مخالف للشرع ويقابله الصبا وهو عبارة عن القبول (2) .

\*\*\*\*\*

## 28 - الرتق والفتق

\*\*\*\*\*

الرتق والفتق : الرتق الضم والالتحام خلقة كان أم صنعة ،  
والرتقاء الجارية المنضمة الشفرتين ، والفتق الفصل بين المتصلين ،  
وهو ضد الرتق يقال : أفتق القمر صادف فتقا فطلع منه ، وقد  
ورد الرتق والفتق بمعنى فصل الملتحمين فى قوله تعالى : { أَوْلَمْ يَرَى  
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا }  
[الأنبياء/30] ، أى منضمتين ففصلناهما (3)

وقد ورد الرتق فى السنة من حديث عائشة رضى الله عنها قالت  
: " كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك ، أمر بالحساء فصنع ،

ثم أمرهم فحسوا —————

1. تفسير القرآن منسوب إلى ابن عربى وهو للكاشانى 690/2 .

2. كشاف التهانوى 254/2 .

3. لسان العرب 14/10 ، المفردات ص 187 ، 371 .



منه ، وكان يقول : إنه ليرتق فؤاد الحزين ، ويسرو عن فؤاد السقيم ، كما تسرو إحدانك الوسخ بالماء عن وجهها " (1) .

وورد الفتق في حديث معاوية بن حيدة القشيري  $\tau$  ، قال : "قلت يا رسول الله : إنا قوم نتساءل أموالنا ؟ ، قال : يتساءل الرجل في الجائحة أو الفتق ليصلح به بين قومه ، فإذا بلغ أو كرب استعف " (2) .

وفي حديث عبد الله بن الزبير  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  : " قال لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء " (3) .

### الرتق والفتق في الاصطلاح الصوفي :

والرتق يطلق عند الصوفية على إجماد مادة الوجدانية ، الذي يسمونه العنصر الأعظم المطلق ، وقد كان مرتوقا قبل خلق السماوات والأرض ومفتوقا بعد تعيينهما بالخلق ، وقد يطلق على نسب الحضرة الواحدية باعتبار اللاظهورها ، وعلى كل بطون وغيبة ، كالحقائق المكنونة في الذات الأحادية قبل تفاصيلها في الحضرة الواحدة مثل الشجرة في النواة (4) .

---

1. أخرجه الترمذى في كتاب الطب برقم (2039) وقال : هذا حديث حسن صحيح وضعفه الألبانى 383/4 .

2. أخرجه أحمد في المسند برقم (19529) (19547) والجائحة كل مصيبة عظيمة والفتق الجراح التي تنتج من آثار الحروب .

3. أخرجه ابن ماجة في كتاب النكاح (1946) وقال الألباني : صحيح 226/1.

4. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي 69/3 ومعجم الكاشاني ص 166 .

والفتق ما يقابل الرتق من تفصيل المادة المطلقة بصورها النوعية ،  
أو ظهور كل ما بطن في الحضرة الواحدية من النسب الأسمائية ،  
وبروز كل ما كمن في الذات الأحدية من الشئون الذاتية ،  
كالحقائق الكونية بعد تعيينها في الخارج (1) .

قال ابن عربي : ( والله يقبض ويبسط ، فيقبض من الأجسام ما  
يبسطها بها فلا يعطيها شيئاً من ذاته ، فإنها لا تقبله ، فلا وجود  
لها إلا بها فالممكنات إنما أقامها الحق من إمكانها ، فقيامها منها بها  
، والحق واسطة في ذلك مؤلف راتق فاتق ، { كَانَتْ يَا رَتْقًا  
فَفَتَقْنَا هُمَا } لأنه كذا أوجدها بإمكانهما لأنه لو لم يكن الفتق  
ممكناً لما قام بهما ، فما أثر في الممكنات إلا الممكنات على أكثر  
الخلق الذين : { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ  
هُمْ غَافِلُونَ } [الروم/7] (2) .

وقال الكاشاني في قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } [الأنبياء/30] أو لم ير  
المحجوبون عن الحق أن سماوات الأرواح وأرض الجسد كانتا مرتوقيتين  
في صورة نطفة واحدة ففتقناهما بتباين الأعضاء والأرواح (3) .

1. معجم الكاشاني ص 152 ، وانظر لطائف الإعلام 482/1 ، 198/2 .

2. الفتوحات المكية 13/فقرة 16 .

3. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي ص 72 .

\*\*\*\*\*

## 29 - الرداء

\*\*\*\*\*

الرداء : ثوب يلف به النصف الأعلى من الجسم (1) ، ورد ذكره في السنة في كثير من المواضع منها ما روى عن سيرة الجهني ، أنه قال : أذن لنا رسول الله ﷺ بالمتعة ، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر كأنها بكرة عيطاء (2) فعرضنا عليها أنفسنا ، فقالت : ما تعطي ؟ فقلت : ردائي وقال صاحبي : ردائي ، وكان رداء صاحبي أجود من ردائي ، وكنت أشب منه ، فإذا نظرت إلى رداء صاحبي أعجبها ، وإذا نظرت إلي أعجبته ، ثم قالت : أنت وردائك يكفيني ، فمكثت معها ثلاثا ، ثم إن رسول الله ﷺ قال : من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع فليخل سبيلها (3) . وعن صفوان بن أمية ، أنه طاف بالبیت وصلى ، ثم لف رداء

له من —

1. لسان العرب 316/14 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (ردى) .

2. مُتَعَّة النساء نكاحهن لمدة محددة بأجر معلوم ، وقد كان أجازة رسول الله ﷺ ثم حرمه ، وقوله :

كَأَنَّهَا بَكْرَةٌ عَيْطَاءٌ يُشَبِّهُ الْمَرْأَةَ بِالْفَتَىِّ مِنَ الْإِبِلِ وَالْعَيْطَاءُ الطَّوِيلَةُ الْعَنْقِ فِي اعْتِدَالِ الْقَوَامِ وَحَسَنُهُ .

برد ، فوضعه تحت رأسه فنام ، فأتاه لص فاستله من تحت رأسه ، فأخذه فأتى به النبي ﷺ فقال : إن هذا سرق ردائي ، فقال له النبي ﷺ : أسرقت رداء هذا ؟ ، قال : نعم ، قال : اذهب به فاقطع يده ، قال صفوان : ما كنت أريد أن تقطع يده في ردائي ، فقال له : فلو ما قبل هذا (1) .

وعن أبي هريرة ر ، قال رسول الله ﷺ : " يقول الله سبحانه : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري من نازعني واحدا منهما ، ألقيته في جهنم " (2) .

### الرداء في الاصطلاح الصوفي :

يفسر ابن عربي الرداء بظهور الخلق ليستتر الحق بهم ، كما يستتر الإنسان بردائه فقال : ( فإن قلت : وما الرداء قلنا : الظهور بصفات الحق في الكون فإن قلت : وما الكون ؟ قلنا : كل أمر وجودي وهو خلاف الباطل ) (3) ، وإنما سماه رداء لأنه مشتق من الردى المقصور ، وهو الهلاك لأنه مستهلك في الحق استهلاكاً كلياً (4) .

وقال أيضاً : ( الكبرياء رداء الحق وليس سواك ، فإن الحق تردى

1. أخرجه النسائي في كتاب قطع السارق برقم (4881) وصححه الألباني 69/8 .
2. أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2620) 2023/4 وابن ماجة في كتاب الزهد برقم (4174) 1397/2 واللفظ له.
3. الفصوص 129/2 .
4. السابق 2 / 104 .

كنت صورته ، فإن الرداء بصورة المرتدى ، ولهذا ما يتجلى لك إلا بك كما قال : من عرف نفسه عرف ربه ، فمن عرف الرداء عرف المرتدى ما يتوقف معرفة الرداء على معرفة المرتدى ، فما وصلت الأعين ، إلا إلى الرداء وهو الكبرياء ، وما تجلى لك إلا بنا ، فما وصلت الرؤية إلا إلينا ، ولا تعلقنا إلا بنا ، فنحن عين الكبرياء على ذاته ، فإذا رأيت الإنسان الكامل رأيت الحق ، والإنسان لا ينقلب ، فلا يرجع الرداء مرتدياً لمن هو له رداء فهذا معنى الكبير ، فإنه كبير لذاته ، والكبرياء نحن ، فمن نازعه منا فينا قصمه الحق (1)

وابن عربي يجعل الرداء سترًا لله في الظاهر ، وكشفًا له في الباطن فقال : ( ولما كنا عين كبرياء الحق على وجهه ، والحجاب يشهد المحجوب ، فثبت أننا نراه ، فصدق الأشعري وصدق قوله : ترون ربكم ، كما صدق المعتزلة لن تراني ، وللرداء ظاهر وباطن ، فيرى الحق رداءً بباطنه ، فيصدق : ترون ربكم ، ويصدق مثبت الرؤية ولا يراه ظاهر الرداء ، فيصدق : المعتزلي ويصدق لن تراني ، والرداء

عين واحدة ، فلا يشهد العالم سوى الإنسان الذى هو الرداء ( 2 )

والكاشانى يجعل الرداء ظهور الإنسان سترًا للحق ، بشرط موافقة الطاعة والمقصود بموافقة الطاعة ، ألا يرى نفسه أثناء الطاعة ، فإن لم يكن موافقا —

1. السابق 245/4 .

2. السابق 246/4 .

لطاقته لم يكن رداءا ولكن يسمى عندهم الردى ، فيقول :

( الرداء يعنى به الظهور بصفات الحق بالحق ، وقولنا : بالحق أى من أمر الحق ، وعلى وفق طاعته ، فإن الظهور بصفات الحق ، إنما يكون ظهورا بها إذا كان كذلك ، وإلا فهو مجرد دعوى باطلة ، والإشارة إلى الأول ، أعنى الظهور بصفات الحق حقيقة ، هو ما ورد في منازلات أبى يزيد ، قدس الله سره ، إنه تعالى قال له : اخرج إلى الخلق بصفتي ، فمن رآك فقد رآنى ، وأما الإشارة إلى الظهور بالدعوى والمنازعة ، والوثب لحب الرياسة ، فهو ما جاء فى الكلمات القدسية ، التى أخبر بها رسول الله ﷺ عن ربه تعالى أنه يقول :

" الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى واحدا منهما ، قذفته فى النار " فكان الرداء هو ظهور العبد بالموافقة لا بالمنازعة (

(1)

\*\*\*\*\*

## 30 - الردى

\*\*\*\*\*

الردى : الردى الهلاك ، والتردى التعرض للهلاك ، قال تعالى :  
{ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } [البلد/ 11] ، وقال قتادة : ( إذا  
تردى : إذا سقط في جهنم ، يقال : ردى في البئر وتردى إذا سقط  
فيها ) (2) .

1. لطائف الإعلام 487/1 .

2. لسان العرب 316/14 ، المفردات ص 194 .

والمرتدية في قوله تعالى : { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحَيْمُ  
الْحَنْزِيرِ وَمِمَّا أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنِقَةَ وَالْمَوْقُوذَةَ وَالْمُتَرَدِّيَةَ  
وَالنَّطِيحَةَ } [المائدة/ 3] ، هى التى تتردى من علو إلى أسفل فتموت ،  
من غير فرق بين أن تتردى من جبل أو بئر أو مدفن أو غيرها ،  
وسواء تردت بنفسها أو ردها غيرها (1) .

وعن عبد الله بن عمر  $\tau$  ، عن النبي  $\epsilon$  قال : " من نصر قومه  
على غير الحق ، فهو كالبعير الذى ردى ، فهو ينزع بذنبه " (2) .

## الردى فى الاصطلاح الصوفى :

والردى فى اصطلاح الصوفية كما ذكر الكاشانى عكس الرداء ،  
وهو إظهار الحق بالباطل أو إظهار العبد صفات الحق بالباطل فيرى

نفسه أثناء الطاعة فيقول : ( الردى الظهور بصفات الحق بلا حق ، كمن يتكبر على أمر الله بالتذلل له ، فقد اتصف بصفة الكبر بعد الزجر عن الاتصاف بها من غير إذن ، فاستحق ما وعد به من التهديد المذكور ، قال الله تعالى في الكلمات القدسية : ( الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري من نازعني في شيء منهما فصمته ) (3) .  
ويعنى بالرداء غاية الظهور كناية عن الشيء بغايته ، وذلك أنه لما

كان —————

1. فتح القدير 452/5، 453 .

2. أخرجه أبو داود في كتاب الأدب (5117) وقال الألباني : صحيح 331/4 .

3. أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد (4174) وقال الألباني : صحيح 1397/2 .

الردى هو الهلاك ، وكانت غاية الهلاك هو الظهور بالنسبة إلى عالم  
الحس كنى عن الغاية بالردى اعتبارا بغايته (1) .

وهو يعنى بالظهور ، الظهور فى الطاعة ورؤية النفس ، ويستدل  
لها بقوله تعالى : { سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ  
بِغَيْرِ الْحَقِّ } [الأعراف/146] (2) .

\*\*\*\*\*

## 31 - الرق المنشور

\*\*\*\*\*



الرق المنشور : الرق ما رق من الجلد ليكتب فيه ، والمنشور المبسوط قال الله تعالى : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ } [الطور/1:3] والرق المنشور هو ما كتبت فيه سطور القرآن ، أو اللوح المحفوظ ، أو جميع الكتب المنزلة أو ما تكتبه الحفظة ، وهى أقوال للمفسرين فى المراد بالكتاب المسطور (3) ، وقال البخارى الرق المشور الصحيفة (4) .

1. معجم الكاشانى ص 167 .

2. لطائف الإعلام 1 / 488 .

3. انظر التبيان فى تفسير غريب القرآن 1/392 ، وفتح القدير 5 / 94 .

4. صحيح البخارى 4/1838 ، وأنوار التنزيل 1/302 .

### الرق المنشور فى الاصطلاح الصوفى :

الرق المنشور فى الاصطلاح الصوفى ، يعنى روح الإنسان باعتبار قبولها وانطباع الموجودات فيها (1) ، يقول الجيلى :

نفس حوت بالذات علم العالم : هى لوحنا المحفوظ يا ابن

الآدمي

صور الوجود جميعها منقوشة : فى قابليتها بغير

تكاتم (2)

ويذكر الكاشاني أن الرق المنشور هو الكتاب المسطور ، وهو صورة الكل على ما هو عليه من النظام المعلوم ، المنتقش في لوح القضاء ، فهو الروح الأعظم المشار إليه بالرق المنشور في قوله تعالى : { وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ } [الطور/1:3] وتنكيرهما للتعظيم (3)

\*\*\*\*\*

## 32 - الركوع

\*\*\*\*\*

الركوع : الانحناء ، فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة ، كما روى عن أنس بن مالك  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  قال : " أقيموا الركوع والسجود فوالله إن ي لأراكم من بعدي ، وربما قال : من بعد ظهري ، إذا ركعتم —

1. الإنسان الكامل 88/1 .

2. السابق 6/2 .

3. تفسير القرآن الكريم لابن عربي ( منسوب إليه وهو للكاشاني ) 547/2 .

وسجدتم " (1) ، وتارة في التواضع والتذلل ، إما في العبادة ، وإما في غيرها كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَابُدُوا رَبَّكُمْ } [الحج/77] ، وقوله سبحانه : { يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ

وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ { [آل عمران/43] ، وقوله : { وَظِنَّ  
دَاوُودَ أُمَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } [ص/24] (2) .

## الركوع في الاصطلاح الصوفي :

قال الكاشاني : الركوع فناء الصفات ، والسجود فناء الذات (3)  
، وذكر التهانوي أن الركوع عند الصوفية ، إشارة إلى شهود انعدام  
الموجودات الكونية تحت وجود التجليات الإلهية (4) .

\*\*\*\*\*

## 33 - الزبور

\*\*\*\*\*

الزبور : زبرت الكتاب كتبه كتابة عظيمة ، وكل كتاب غليظ  
الكتابة

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (742) 263/2 .

2. المفردات ص 202 .

3. تفسير القرآن الكريم لابن عربى ( منسوب إليه وهو للكاشانى ) 115/2 .

4. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى 61/3 .

يقال له : زبور ، وخص الزبور بالكتاب المنزل على داود عليه  
السلام لقوله تعالى : { وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } [النساء/163] وقوله {  
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ  
الصَّالِحُونَ } [الأنبياء/105] (1) .

وقال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب ر: " أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟ قال: نعم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: كيف تقرأ في الصلاة؟ قال أبو هريرة ر: فقرأ أم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وإنما سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته " (2).

### الزبور في الاصطلاح الصوفي:

يذكر التهانوي أن الزبور يعني عند الصوفية تجليات الأفعال (3). وقال الكاشاني في قوله تعالى: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } [الأنبياء/105]، ولقد كتبنا في زبور القلب من بعد الذكر في اللوح، أن أرض البدن يرثها القوى الصالحة المنورة بنور السكينة بعد إهلاك الفواسق بالرياضة،

أو ولقد كتبنا في زبور اللوح المحفوظ —

1. لسان العرب 4/315، والمفردات ص 211، والمغرب للمطري 1/360.
2. أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (2875) وقال الألباني: صحيح 5/155.
3. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي 3/114.

من بعد الذكر في أم الكتاب أن الأرض يرثها عبادى الصالحون من  
الروح والسر والقلب والعقل والنفس ، وسائر القوى بالاستقامة بعد  
إهلاك الصالحين بالفناء في الوحدة (1) .

\*\*\*\*\*

## 34 - الزجاجية

\*\*\*\*\*

الزجاجية : الزجاج حجر شفاف ، الواحدة زجاجة ، وردت في  
قوله تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا  
مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ  
مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ } [النور/35] (2) ، ووردت في السنة من حديث  
أنس بن مالك  $\tau$  قال : " أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول  
الله  $\varepsilon$  ، فبينا هو يخطب يوم الجمعة ، إذ قام رجل فقال : يا رسول  
الله هلكت الكراع ، هلكت الشاء فادع الله يسقينا ، فمد يديه  
ودعا ، قال أنس  $\tau$  : وإن السماء لمثل الزجاجية " (2) .  
وعن أبي بن كعب  $\tau$  ، عن النبي  $\varepsilon$  : " أنه ذكر الدجال عنده ،  
فقال : ———

1. تفسير القرآن الكريم لابن عربى ( منسوب إليه وهو للكاشانى ) 93/2 .

2. المفردات ص 211 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3582) 680/6 .

عينه خضراء كالزجاجة فتعودوا بالله من عذاب القبر " (1) .

## الزجاجة في الاصطلاح الصوفي :

الزجاجة في الاصطلاح الصوفي تعنى القلب ، فالمثل الذى ورد فى سورة النور لنور الله عز وجل ، فيه المشكاة بمثابة الجسد ، والزجاجة القلب المتنور بالروح المنور لما عداه بالإشراق عليه ، والشجرة التى توقد منها هذه الزجاجة هى النفس القدسية ، المزكاة الصافية النابتة من أرض الجسد المتعالية ، فى فضاء القلب إلى سماء الروح (2) .

يقول الكاشانى : ( الله نور السماوات والأرض ، النور هو الذى يظهر بذاته ، فهو مظهر سماوات الأرواح ، وأرض الأجساد ، وهو الوجود المطلق الذى وجد به ما وجد من الموجودات والإضاءة ) (3) .

ويقول الكاشانى : ( الزجاجة المشار بها فى آية النور إلى اللطيفة الإنسانية المختصة بمن تنور بمشكاته ، أى جسمه بنور العقل والإيمان ، فسميت زجاجة لاستضاءتها بذلك النور المذكور ، الذى حرم الاستضاءة به من لم يكن من أهل العقل والإيمان ، لكثافته المانعة من ذلك ، ويكنى بالزجاجة عن حيوانية قلب المؤمن ، قال

تعالى : { الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ } [النور/35] —————

1. أخرجه أحمد فى المسند برقم (20643) بإسناد الثقات عن أبي بن كعب .

2. تفسير القرآن الكريم لابن عربى ( منسوب إليه وهو للكاشانى ) 140/2 .

3. السابق 140/2 .

والمصباح هو الروح الروحاني ، المسمى بالروح الإلهي ، الظاهر آثاره وأفعاله بتوسط الروح الجسماني ، المسمى بالنفس الحيواني ، فلشفافيته في نفسه واستنارته بنور من غيره ، سمي زجاجة ، ولضعفه في نفسه أيضا ، فإن حياة الروح الحيوانية ضعيفة ، وليست فيها من ذاتها (1) .

الزجاجة المشار إليها في آية النور هي القلب والمصباح هو الروح والشجرة التي توقد فيها الزجاجة المشبهة بالكوكب الدرّي هي النفس والمشكاة البدن والزيتونة هي النفس المستعدة للإشتغال بنور القدس بقوة الفكر والزيت نورا ستعدادها الأصلي (2) .

\*\*\*\*\*

## 35 - الزكاة

\*\*\*\*\*

الزكاة : أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ، وذلك يعتبر بالأموال الدنيوية والآخروية ، يقال : زكا الزرع يزكوا ، إذا حصل منه نمو وبركة (3) ، وقال الله تعالى : { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } [التوبة/103] .

1. لطائف الإعلام 507/1 .

2. معجم الكاشاني ص 80 .

3. كتاب العين 394/5 ، والمفردات ص 213 .

قال الإمام البخارى : الزكاة الطاعة والإخلاص (1) ، ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء قال تعالى : { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } [البقرة/43] ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : " بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان " (2) .

### ١ - الزكاة فى الاصطلاح الصوفى :

الزكاة فى الاصطلاح الصوفى ، التضحية بكل ما يملكه الإنسان ، قال إبراهيم بن شيبان لأبى بكر الشبلى :

( كم فى خمس من الإبل ؟ ، أى مقدار الزكاة فيها ، فقال الشبلى : فى واجب الأمر شاة ، أى حكم الشرع عند أهل الظاهر شاة ، وفيما يلزمنا كلها ، أى فى عرف الصوفية يخرجونها كلها ) (3)

وقال الهجویری : ( قال رجل من أهل الظاهر لأبى بكر الشبلى : ما هو نصاب الزكاة ؟ خمس دراهم عن كل مائتى درهم ونصف دينار عن كل عشرين دينارا ، هذا بالظاهر لمذهبكم ، أما مذهبي فإنه لا يلزم الإنسان أن —————



1. انظر صحيح البخارى ، كتاب تفسير القرآن باب قوله : { بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [التوبة/167] ، فتح البارى 316/8 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (8) 64/1 .

3. اللمع فى التصوف ، لأبى نصر السراج الطوسى ص 210 .

يملك أى شىء ، وبذلك يخلص من شغل أداء الزكاة ، فسأله : ما هى حجتك فى هذه المسألة ؟ ، فقال : له حجتى فيها أبو بكر الصديق ، الذى دفع كل ماله ، ولما سأله رسول الله ﷺ : ما خلفت لعيالك ؟ فقال : الله ورسوله " (1) .

ويقول الجيلى : ( الزكاة عبارة عن التزكى بإيثار الحق على الخلق ، أعنى يؤثر شهود الحق فى الوجود على شهود الخلق ) (2) .  
ويذكر التهانوى أن الزكاة عند الصوفية تعنى ترك الدنيا وتطهير النفس من التعلق بالغير (3) .

\*\*\*\*\*

## 36 - سدرۃ المنتهى

\*\*\*\*\*

سدرۃ المنتهى : سدرۃ المنتهى اسم مكان فى السماء السادسة ، ورد فيه قوله تعالى : { وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ } [النجم/13:16] ،

وانتهى إليه رسول الله ﷺ في ليلة الإسراء ، لما ورد عن ابن مسعود  $\tau$   
أنه قال : " لما أسرى برسول الله ———

1. كشف المحجوب ص 377 ، وانظر ص 366 في تنفيذ احتجاجهم بفعل أبي بكر .

2. الإنسان الكامل 86/2 .

3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي 124/3 .

صلى الله عليه وسلم انتهى إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة  
ينتهى ما يعرج من الأرواح فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به  
من فوقها فيقبض فيها (1) .

ومن حديث أبي ذر  $\tau$  ، أن رسول الله ﷺ قال : " ثم انطلق بي  
جبريل حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما  
هى ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك  
" (2) .

وعن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : "   
ورفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه  
آذان الفيول فى أصلها أربعة أنهار " (3) .

### سدرة المنتهى فى الاصطلاح الصوفى :

وسدرة المنتهى فى الاصطلاح الصوفى ، هى المقام الذى تنتهى  
إليه أعمال الخلائق وعلومهم ، وهى البرزخية الكبرى ، لكونها هى

غاية الغايات ونهاية المنتهى ، وقد يصطلح بالسدره على نهاية  
المراتب الأسمائية ، التي لا تعلوها رتبة (4) .

- 
1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (173) 157/1 .
  2. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة برقم (349) 547/1 .
  3. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق برقم (3207) 348/6 .
  4. لطائف الإعلام 13/2 .

ويحدد الجيلى مفهومه لسدره المنتهى ، بأنها نهاية المكانة التي  
يبلغها المخلوق في سيره إلى الله تعالى وما بعدها ، إلا المكانة  
المختصة بالحق تعالى وحده ، ليس لمخلوق هناك قدم ، ولا يمكن  
البلوغ إلى ما بعد سدره المنتهى لأن المخلوق هناك مسحوق ، محو  
ومدموس مظموس ، ملحق بالعدم المحض لا وجود له فيما بعد  
السدره ، يقول الجيلى : ( وإلى ذلك أشار جبريل عليه السلام للنبي  
ع : لو تقدمت شبرا لا احترقت ، واعلم بأنا وجدنا السدره مقاما فيه  
ثماني حضرات ، في كل حضرة من المناظر العلاما لا يمكن حصرها  
، تتفاوت تلك المناظر على حسب أذواق أهل تلك الحضرات ، أما  
المقام ، فهو ظهور الحق في مظاهره ، وهو عبارة عن تجليه فيما هو  
له من الحقائق الحقية والمعاني الخلقية ) (1) .

ويقول أيضا : ( سدره منتهى العارفين ، فناء الأوصاف الكونية  
من ذواتهم ، ببقاء الأوصاف الإلهية ، واتصافهم بها ، فهذا ما  
ينتهى إليه السالك في الله تعالى ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 37 - السر

\*\*\*\*\*

السر : الإسرار خلاف الإعلان ، قال الله تعالى : { وَأَسْرُوا  
قَوْلَكُمْ أَوْ —

1. الإنسان الكامل 8/2 . 2. المناظر الإلهية ص 253 .

اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { [الملك/13] .

والسر هو الحديث المكتم بالنفس ، وأسرت إلى فلان  
حديثا ، أى أفضيت إليه فى خفية ، كقوله تعالى : { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ  
إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا { [التحریم/3] (1) .

وقال تعالى : { يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قِيَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ {  
[الطارق/10:9] ومعنى تبلى السرائر أى تختبر وتمتحن ، والسرائر ما يسر  
فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها ، والمراد عرض الأعمال  
ونشر الصحف ، فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح ، والغث  
من السمين ، فما للإنسان من قوة فى نفسه يمتنع بها عن عذاب  
الله ، ولا ناصر ينصره مما نزل به (2) .

وقالت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : " فانطلقت خديجة به إلى ورقة بن نوفل ، وكان رجلاً تنصر يقرأ الإنجيل بالعربية ، فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، الناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره " (3) .

وعن أنس ﷺ : " أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ ، سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لا أتزوج النساء ، وقال بعضهم : لا ———

1. لسان العرب 356/4 ، المفردات ص 228
  2. فتح القدير 420/5 .
  3. أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء برقم (3392) 486/6 .
- آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش " (1) .

## السر في الاصطلاح الصوفي :

تنوع معنى السر عند الصوفية بحسب المضاف ، فأسرارهم التي يذكرونها كثيرة ومتنوعة منها :

(1- السر : المقصود به نصيب كل موجود من وجود الحق ، قال عبد الرزاق الكاشاني : ( السر يعني به حصة كل موجود من الحق بالتوجه الإيجادي المنبه عليه بقوله تعالى : { إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ } [النحل/40] وقولهم : لا يجب الحق إلا الحق ، ولا يطلب

الحق إلا الحق ، ولا يعلم الحق إلا الحق ، إنما أشاروا بذلك إلى السر المصاحب من الحق للخلق على الوجه الذى عرفت ، فإنه هو الطالب للحق والمحب له ، والعالم به قال ع : عرفت ربي برى (2)

(2) - سر العلم : يطلق بإزاء حقيقة الحال ، وهو ما يقع به الإشارة من الأشياء ، التى تكون مصونة مكنونة بين العبد وبين الحق ، وعليه يحمل معنى قولهم : أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم ، ويقولون : صدور الأحرار قبور الأسرار (3) .

---

1. أخرجه مسلم فى النكاح برقم (1401) 1020/2 .

2. لطائف الإعلام 14/2

3. السابق 14/2 .

(3) - سر السر : ويعنون به ما انفرد به الحق عن العبد ، بحيث لا يكون لغير الله اطلاع عليه (1) .

(4) - السر المصون : يعبرون به عن غيب هوية الذات الأقدس وإطلاقه فإن كنها الذات ، وهو يجمل أن يدخل تحت علم ، أو أن يحاط به أو أن يدرك من حيث ذاته أصلا ، فهو السر المصون عن الإدراك والإحاطة (2) .

(5- سر التجليات : يشيرون به إلى كل شئ في كل شئ ،  
وكيفية حصول هذا الشهود ، أن يتجلى للقلب عين التجلى الأول  
، الذى له أحدية الجمع بين جميع الأسماء الكلية والجزئية ، والأصلية  
والفرعية ، والذاتية والصفاتيه ، حتى يدرك الذات الواحدة التى لا  
كثرة فيها بوجه ، ويشاهد كل شئ فى كل شئ (3) .

(6- سر العبادات : والمقصود به ، إدراك أسرار العبادات التى  
افترضها الله تعالى على عباده ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج ،  
فلما لم يكن فى وسع الناس الوصول إلى مرتبة الكمال ، فى الحضور  
الدائم مع الله ، وتطهير النفس عما يليق ، افترض الله عليهم هذه  
الفرائض ، ليكون وسيلة إلى نيل هذه المقامات (4) .

---

1. السابق 15/2 .

2. السابق 15/2 .

4. السابق 15/2 ، 16 .

3. السابق 15/2 .

(7- سر القدر : وهو عندهم إظهار الأشياء على ما هى عليه  
، فقد كانت معلومات فى الأزل ، أو ما يسميها ابن عربى بالأعيان  
الثابتة فظهرت بتلك الصورة فى حال وجودها بسر القدر ، قال  
الكاشانى :

( سر القدر يشيرون به ، أن حكم الله تعالى في الأشياء وعليها ، إنما هو بها ، فلما كان القضاء عبارة عن حكم الله في الأشياء ، على ما أعطته من المعلومات ، مما هو عليه في نفسها ، والقدر توقيت ما هي عليه الأشياء في عينها من غير مزيد ، فما حكم القضاء على الأشياء إلا بها ، وهذا هو عين سر القدر : { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } [ق/37] ، { فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } [الأنعام/149] ، فالحكم في التحقيق تابع لعين المسألة التي يحكم فيها بما يقتضيه ذاتها ، فالمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم ، أن يحكم عليه بذلك ، وكل حاكم محكوم عليه بما حكم به أن يحكم به ، كان الحاكم من كان ، فتحقق هذه المسألة ، فإن القدر ما جهل إلا لشدة ظهوره ، فلم يعرف (1) .

(8- سر الربوبية : هو ما أشار إليه سهل بن عبد الله ، بقوله : إن للربوبية سرا ، لو ظهر لبطلت الربوبية ، ومعناه أن المربوب لما كان هو الذى يبقى على الرب ربوبيته ، لكون الربوبية نسبة بين الرب والممكن ، فلو ظهر هذا السر للخلق لبطل عندهم ما يترتب عليه الربوبية (2) .

---

1. الفتوحات 573/2 ، وفصوص الحكم ص39 ، و السابق 17٢18/2 .



(9- سر سر الربوبية : يشيرون به إلى سر هو أعلى من هذا السر الذى ذكر للربوبية ، فهو سر السر المفهوم منها ، وتقريره هو أن الربوبية ، وإن كان تحققها متوقفا على المربوب ، الذى هو عين معدومة فى نفسها ، لكنه لما كان مظهرا لربه ، الظاهر بأحكام تعيناته ، التى هى الأعيان الثابتة ، لم يصح لأجل هذا أن تبطل الربوبية ، فظهور سر الربوبية ، يوجب بطلانها عن من لم يظهر له هذا السر الثانى المستتر فى الأول ، ولهذا كان الثانى هو المسمى بسر السر المفهوم من الربوبية ، فكان سر سرها موجبا لإثباتها ، قال ابن عربى فى هذين السرين :

الرب حق والعبد حق      يا ليت شعرى من المكلف  
إن قلت عبد فذاك ميت      أو قلت رب أنى يكلف

(1)

ويقول الكاشانى : فيفهم مما ذكر الشيخ هنا ، أنك إذا نظرت إلى الرب وحده أو العبد وحده ، بطلت الربوبية لبطلان المربوب ، المعبر عن بطلانها بقوله : إن قلت عبد فذاك ميت ، أما إذا نظرت إلى قيامه بربه ، وإلى كونه مظهرا له صح تكليفه ، لأن المكلف عبد ، هو مظهر الرب ، فثبتت الربوبية بظهور سر سرها ، كما قال الشيخ :

العبد عين الحق ليس سواه      والحق عين العبد لست

تراه

فانظر إليه به على مجموعه      لا تفردنه فتستبيح

حماء (2) .

1. السابق 21:20/2 . 2. السابق 21/2 .

(10- السرائر : هي انمحاق السيار ، بالاتصال بنور الأنوار عند الوصول التام ، وقد لا يطلع عليه وعلى حاله غيره البتة ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : ( لى مع الله وقت لا يسعنى فيه غير ربي ) ، وقوله تعالى فى الحديث القدسى : " أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى " (1) .

\*\*\*\*\*

## 38 - السفر

\*\*\*\*\*

السفر : السفر كشف الغطاء ، وسافر خص بالمفاعلة اعتبارا بأن الإنسان قد سفر عن المكان والمكان سفر عنه (2) ، قال تعالى : { لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ } [التوبة/42] وقال :

{ فَمِنْ كَيْبَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَيَّ سَبْفِرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخْبِرَ }  
[البقرة/184] .

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ، ركعتين ركعتين في الحضر والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر (3) .

1. معجم الكاشاني ص122 والحديتان لا أصل لهما في كتب السنة ، وانظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس 174/2 .

2. لسان العرب 367/4 ، والمفردات ص233 ، وكتاب العين 246/7 .

3. أخرجه البخارى في كتاب الصلاة برقم (350) 467/8 .

وكل ما ورد في القرآن والسنة من ذكر السفر ، فإنه يعنى قطع مسافة الطرق للوصول إلى المكان المراد على اختلاف بين الفقهاء ، فى تحديد تلك المسافة التى يطلق على سالكها أنه مسافر .

### السفر فى الاصطلاح الصوفى :

أما السفر عند الصوفية ، فىعنى توجه القلب إلى الحق ، حتى يقطع الأسفار الأربعة وهى كالتالى :

1- السفر الأول : هو رفع حجاب الكثرة عن وجه الوحدة ، وهو السير إلى الله من منازل النفس بإزالة التعشق من المظاهر والأغيار ، إلى أن يصل العبد إلى الأفق المبين ، وهو نهاية مقام القلب .

2- السفر الثاني : هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنة وهو السير في الله بالاتصاف بصفاته ، والتحقق بأسمائه و، هو السير في الحق بالحق إلى الأفق الأعلى ، وهو نهاية حضرة الوجدانية .

3- السفر الثالث : وهو زوال التقييد بالضدين الظاهر والباطن ، بالحصول في أحدية عين الجمع ، وهو الترقى إلى عين الجمع والحضرة الأحدية ، وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الأثنينية ، فإذا ارتفعت ، فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية .

4- السفر الرابع : عند الرجوع عن الحق إلى الخلق ، وهو أحدية الجمع والفرق ، بشهود اندراج الحق في الخلق ، واضمحلال الخلق في الحق وصورة الكثرة في عين الوحدة ، وهو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام

البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع (1) .

وعند الغزالي تعريف للسفر في مفهوم الصوفية ، بأنه سفر القلب بآلة الفكر في طريق المعقولات ، وعلى ذلك ابتنى لفظ السالك والمسافر في لغتهم وأول مسالك السفر إلى الله تعالى ، معرفة قواعد الشرع ، وخرق حجب الأمر والنهي ، وتعلق الغرض فيها ، والمراد بها ومنها ، فإذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطفها ، أشرفوا على مفاوز أوسع ، وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة

أركان المعارف النبوية النفس والعدو والدنيا ، فإذا تخلصوا من أوعارها ، أشرفوا على غيرها أعظم منها في الانتساب ، وأعرض بغير حساب ، من ذلك سر القدر ، وكيف خفى بحكم في الخلائق ، وقادهم في عنف وشدة في لين ، وبقوة في ضعف ، وباختيار في جبر ، إلى ما هو في مجاريه ، لا يخرج المخلفون عنه طرفة عين ، ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه والإشراف على الملكوت الأعظم ، ورؤية عجائب ، ومشاهدة غرائب مثل العلم الإلهي ، واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة ، وملائكة الله يطوفون حول العرش ، وبالبيت المعمور ، وهم يسبحونه ويقدمونه ، وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات ، ثم التخطي منها إلى معرفة الخالق للكل ، والقادر على كل شيء ، فتغشاهم الأنوار المحرقة ، ويتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة ، فيعلمون الصفات ، ويشاهدون الموصوف ويجيبون —

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 2 ، ومعجم عبد الرزاق الكاشاني ص 64 والتعريفات للجرجاني ص 124 .

حيث غاب أهل الدعوى ، ويبصرون ما عمى عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى (1) .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

السقف المرفوع : قال الإمام البخارى رحمه الله : السقف المرفوع السماء (2) ، وقد ورد على هذا المعنى مقسوما به ، فى قوله تعالى : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ } [الطور/1:5] ، ويعنى السماء ، سماها سقفا لكونها كالسقف للأرض ، ومنه قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا } [الأنبياء/32] (3) ، وقيل : السقف المرفوع هو العرش (4) .

### السقف المرفوع فى الاصطلاح الصوفى :

يقول القشيرى : ( السقف المرفوع سماء الهمم فى الملكوت ) (5) ، ويذكر الجيلى أن السقف المرفوع ، هو المكانة العليا الإلهية التى فى هذا القلب (6) .

1. الإملاء للغزالي ص 60 .

2. انظر صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق 467/8 .

3. لسان العرب 155/9 ، المفردات ص 235 .

4. زاد المسير 45/8 ، وتفسير الواحدى 1033/2 ، فتح القدير 94/5 ، 97 .

5. الإنسان الكامل 88/1 . 6. لطائف الإشارات 472/3 .

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

- السكر : السكر ما يكون في العقل من ذهاب التمييز ، بسبب الخمر أو غيره ، كقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } [النساء/43] ، وكقوله سبحانه : { وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ } [ق/19] ، وقوله أيضا : { وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى } [الحج/2] .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال : " حرمت الخمر قليلا وكثيرها والسكر من كل شراب " (1) .

والسكر من الخمر عند أبي حنيفة أن لا يعلم السكران الأرض من السماء وعند أبي يوسف والشافعي ، هو أن يختلط كلامه ، وعند بعضهم أن يختلط في مشيه وتحركه ، وقد يذهب العقل بسبب فرط الحب والهوى ، فيطلقون

عليه السكر ، ولكنه لم يرد في القرآن أو السنة (2) .

## - السكر في الاصطلاح الصوفي :

السكر عند الصوفية غيبة بوارد قوى ، والمراد بالغيبة عندهم عدم

الإحساس —————

1. أخرجه النسائي في الأشربة (5683) وقال الألباني : صحيح موقوف 320/8 .

2. المفردات ص 236 ، وانظر التعريفات ص 125 .

فمن غاب بوارد قوى سمي سكرانا ، ويبين الكاشاني أن العبد إذا كوشف بنعت الجمال حصل له السكر وطرب الروح وهام القلب ،

فإذا عاد من سكره سمى صاحيا ، والصحو مختص بأهل السماع ، فإن السكران لا يسمع ولا يفهم ، كما أن السكر حال صاحب الرؤية عندما ينقهر تحت سلطنة الجمال ، وما يخفى أن الصحو والسكر بعد الذوق والشرب ، وقد يعنى بالسكر رؤية الغير والغيرية ، ويقابله صحو الجمع ، وقد يفسر السكر بأنه حالة للنفس ترد عليها من عالم القدس ، تؤدي بها إلى ما هي بصدده من النظام المتعلق بعالم الأجسام بحيث يوجب الاختلال في الحركات والسكنات ويقال : الصحو ، ويراد به الرجوع عن تلك الحالة ، بحيث لم يزل ذلك الاختلال الواقع في النظام ، والعود إلى ما كان عليه بالتمام (1) .

وقال عبد الرزاق الكاشاني في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ } [النساء/43] ، وأنتم سكارى من نوم الغفلة وخمر الهوى ومحبة الدنيا (2) .

وروى عن أبي بكر الواسطي أنه قال : ( مقامات الوجد أربعة : الدهول ثم الحيرة ثم السكر ثم الصحو ، كمن سمع بالبحر ثم دنا منه ثم دخل فيه ثم —————

1. لطائف الإعلام 25Y26/2 والرسالة القشيرية 236/1 والتعرف في مذهب أهل التصوف ص116 ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص6 ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي . 162/3 .

2. تفسير القرآن الكريم لابن عربي ( منسوب إليه وهو للكاشاني ) 260/1 .



أخذته الأمواج ) (1) .

ويذكر محى الدين بن عربى أن من أسكره الشهود فلا صحو له البتة ، وكل حال لا يورث طربا وبسطا وإدلالا وإفشاء إسرار الهية فليس بسكر ، وإنما هو غيبة أو فناء أو محق ، ولا يقاس سكر القوم فى طريق الله على سكر شارب الخمر ، فإن سكر شارب الخمر ربما أورث بعض من يشربه غما وبكاء وفكرة ، وذلك لما يقتضيه مزاج ذلك الشارب ، فغيبة السكران ليست عن إحساسه ، وإنما غيبته عن مقابل الطرب لا غير ، ويفارق السكر سائر الغيبات ، لأن الصحو لا يكون إلا عن سكر ، والسكر يتقدم صحوه وليس الحضور مع الغيبة كذلك ، ولا الفناء مع البقاء كذلك ، لكنه مثل الصعق مع الإفاقة ، والنوم مع اليقظة والسكران فى هذا الطريق لا يغيب عن إحساسه ، فإن غاب فقد انتقل عندنا من حال السكر إلى حال فناء أو غيبة أو محق ، ولم يعقب سكره صحوه (2)

\*\*\*\*\*

## 41 - سواد الوجه فى الدارين

\*\*\*\*\*

سواد الوجه فى الدارين : السواد اللون المضاد للبياض ، وهو يرد

فى

1. عوارف المعارف للسهروردي ص 527 .

2. الفتوحات 545/2 .

الكتاب والسنة على وجهين :

الأول : أن يكنى ببياض الوجوه عن المسرة ، واسودادها عبارة عن المساءة كقوله تعالى : { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ } [النحل/58] ، وقوله : { كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا } [يونس/27] (1) .

الثاني : الابيضاض والاسوداد على المعنى المحسوس كقوله تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } [آل عمران/106] لأن ذلك حاصل لهم سودا كانوا في الدنيا أو بيضا ، ومن هذا الوجه أيضا ما روى من حديث البراء ابن عازب رضى الله عنه ، قال رسول الله ع : " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس .. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح .. " (2) .

---

1. كتاب العين 281/7 ، والمفردات ص 244 ، ولسان العرب 224/3 .

2. أخرجه أبو داود في كتاب السنة برقم (4753) 239/4 ، وأحمد في المسند برقم (18557) واللفظ له .

## سواد الوجه في الدارين في الاصطلاح الصوفي :

الصوفية يعبرون عن التصوف أو الفقر ، بإسقاط الجاه وسواد الوجه في الدنيا والآخرة ، بل قال بعضهم العارف مسود الوجه في الدنيا والآخرة (1) .

وسواد الوجه في الدارين يعنى عند الصوفية أسمى الحالات ، فهو الفناء في الله بالكلية ، بحيث لا وجود لصاحبه ظاهرا وباطنا دنيا وآخرة ، وهو الفقر الحقيقي ، والرجوع إلى العدم الأصلي (2) .

قال الكاشاني : ( ومعنى السواد المذكور في الدارين ، هو رؤية المرء سقوط قدره ، وتفاهة قيمته وحقارة منزلته في الدنيا والآخرة ، فهو لا يرى له عملا منجيا في الآخرة ، ولا على أحد في الدنيا ، وذلك لتحققه بفقر الصوفية ، وهو الانحباس في بيد التجريد الذى عرفته ، وهو المقام الذى يبيد فيه كل ما سوى الحق تعالى ، أى يعدم ، وقد يتحقق صاحب هذه الحالة بالفقر الحقيقي الذى هو فقد الأنانية في وجود حقيقة الحقائق ، وقد يرى سواد وجهه ، وهو ظلمة عدمية في الدارين ، أى في الدنيا والآخرة ) (3) .

وقال صدر الدين الرومى وقد سئل عن معنى سواد الوجه فى الدارين فقال : وجه الكامل لكونه مواجهها لحضرة الغيب ، وهى تشبه الظلمة (4) .

1. لطائف الإعلام 30/2 . 2. السابق 29/2.

3. السابق 30/2 ، وانظر معجم الكاشانى ص 123 .

4. السابق 30/2 ، وانظر كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى 151/3 .

\*\*\*\*\*

## 42 - الشجرة

\*\*\*\*\*

**الشجرة** : الشجر من النبات ماله ساق ، يقال : شجرة وشجر ، نحو ثمرة وثمر ، وكل ما ورد فى القرآن من ذكر الشجر فى الدنيا ، فإنه يعنى الشجر من النبات ، كقوله تعالى : { وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخِيلِ أَنْ أَنْخِذِي مِمَّنَ الْجِبَالِ مِنَّا بِمُوتًا وَمِمَّنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ } [النحل/68] ، وكقوله : { الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ } [يس/80] وأمثال ذلك (1) .

وقال الشوكانى عن الشجرة فى قوله تعالى : { أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُم شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ } [الواقعة/71:72] : ( معنى تورون أى تستخرجونها بالقدح من الشجر الرطب ، يقال :

أوريت النار ، إذا قدحتها ) (2) ، وكانت العرب تستخدم شجرتين إحداهما تسمى المرخ والأخرى تسمى العفار ، إذا أخذ منهما غصنان أخضران ، فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار (3) .

1. لسان العرب 394/4 ، والمفردات ص 255 ، 256 .

2. فتح القدير 158/5 .

3. تفسير القرآن العظيم لابن كثير 296/4 .

أما الشجرة التي ذكرت في قوله تعالى : { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة/35] فهي الشجرة التي نهي آدم عليه السلام وزوجته عن الأكل منها ، فعن أبي هريرة  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  قال : " فيقول آدم : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح " (1) .

واختلفوا في تعيينها ، فقليل : العنب ، وقيل : التين ، وقيل : البر ، وقيل : النخلة ، قال ابن جرير : ( والصواب في ذلك أن يقال : إن الله عز وجل ثناؤه ، نهي آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها ، فأكلا منها ولا علم عندنا بأى

شجرة كانت على التعين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا من السنة الصحيحة (2) .

وأما الشجرة الملعونة في القرآن والتي وردت في قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ { [الإسراء/60] فهي شجرة الزقوم التي وردت في قوله تعالى :  
{ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ  
إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ  
لَا كَلُونَ مِنْهَا —————

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (194) 184/1 .

2. تفسير ابن جرير الطبري 233/1 .

فَمَالُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ { [الصفات/62:66] ، كما قال عبد الله بن عباس  
τ : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ، ليلة أسري به ، والشجرة  
الملعونة شجرة الزقوم (1) ، هذا جملة ما ورد في القرآن والسنة من  
ذكر الشجرة ومعانيها .

## الشجرة في الاصطلاح الصوفي :

الشجرة في الاصطلاح الصوفي تنوع مدلولها بمعان مختلفة :

1- الشجرة تعنى عند الصوفية الإنسان الكامل ، قال عبد  
الرزاق الكاشاني : ( الشجرة يعنون بها في اصطلاحهم ، الإنسان  
الكامل المشار إليه في آية النور ، وهي الشجرة المباركة الزيتون ، التي



3- الشجرة تعنى أيضا الحقيقة المحمدية ، قال ابن عربى : ( فظهرت هذه الصورة المحمدية ، والشجرة الإنسانية الجامعة الكلية ، وقال لسان حالها : غرستنى يد الأحد فى بستان الأبد ، أنا شجرة النور والكلام ، وقررة عين موسى عليه السلام ، لى من الجهات اليمين الأنفس ، ومن الأمكنة الواد المقدس ، ولى من الزمان الآن ، ومن المسالك خط الاستواء ، واعتدال الأركان ، فأنا الظل الممدود وكلمة الوجود ، وجوامع الكلم ، ومعدن الأسرار والحكم ) (2) .

4- والشجرة تعنى عندهم أيضا الكون وتفريعاته ، كما يقول

ابن عربى : ———

1. السابق 2/ 36 .

2. تذكرة الخواص فقرة 57 .

( فىبنى نظرت إلى الكون وتكوينه وإلى المكنون وتدوينه ، فرأيت الكون كله شجرة ، وأصل نورها فى حبة { كُنْ } [آل عمران/47] ، قد لقحت كاف الكونية بلبقاح حبة { نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ } [الواقعة/57] ، فانعقد من ذلك البزر ثمرة { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } [القمر/49] ، وظهر من هذا غصنان مختلفان ، أصلهما واحد ، وهو الإرادة وفرعها القدرة ، فظهر عن جوهر الكاف معنيان مختلفان : كاف الكمالية { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي } [المائدة/3] ، وكاف الكفرية { فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ



مَنْ كَفَرَ { [البقرة/253] ، وظهر جوهر النون ، نون النكرة ونون المعرفة ، فلما أبرزهم من العدم على حكم مراد التقدم ، ورش عليهم من نوره ، فأما من أصابه ذلك النور ، فحذق إلى تمثال شجرة الكون المستخرجة من حبة { كُنْ } [آل عمران/47] ، فلاح له في سر كافها ، تمثال { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } [آل عمران/110] ، واتضح له في شرح نونها { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ } [الزمر/22] وكان حظ كل مخلوق من كلمة كن ، ما علم من هجاء حروفها ) (1) .

\*\*\*\*\*

## 43 - الشرب

\*\*\*\*\*

الشرب : الشرب تناول كل مائع ، ماء كان أو غيره ، قال الله تعالى :

1. شجرة الكون ص 2 .

{ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا } [الإنسان/21] ، وقال سبحانه في صفة أهل النار : { لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ } [الأنعام/70] ، وجمع الشراب أشربة ، يقال شربته شربا وشربا ، وقال تعالى عن قصة طالوت : {

فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي { [البقرة/249] ، وقال : { فَشَارِبُونَ شُرْبَ  
الْهِيمِ { [الواقعة/55] (1) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال : " نهى رسول الله  $\varepsilon$  عن الشرب من فم  
القربة أو السقاء " (2) .

## الشرب في الاصطلاح الصوفي :

الصوفية تسمى حلاوة التقوى وجمال الكرامة ولذة الأنس شربا ،  
ولا يمكن لشخص أن يقوم عندهم بأمر بدون الشرب ، وكما أن  
شرب الأجسام هو الماء فشرب القلوب هو الأنس الروحاني (3) ،  
والشرب عندهم على ثلاث مراحل ابتداء ووسط وانتهاء ولكل  
اصطلاح :

1- ابتداء الشرب : ويسمى في عرفهم الذوق ، ويتمثل  
في صفاء معاملاتهم ، قال ذو النون المصري : ( لما أراد أن  
يسقيهم من كأس محبته ذوقهم من لذائذه وألغقتهم من حلاوته )  
(4) .

---

1. لسان العرب 487/1 ، والمغرب للمطرزى 436/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الأشربة برقم (5627) 92/10 .

3. كشف المحجوب ص 475 .

4. اللع ص 449 .

2- وسط الشرب : ويتمثل في وفاء منازلهم ، فمن قوى حبه عندهم تسرمد شربه ، فإذا دامت به تلك الصفة ، لم يورثه الشرب سكرًا ، فكان صاحبيا بالحق ، فانيا عن كل حظ ، لم يتأثر بما يرد عليه ، ولا يتغير عما هو به ، ومن صفا سره لم يتكدر عليه الشرب ، ومن صار الشراب له غذاء ، لم يصبر عنه ، ولم يبق دونه ، قال قائلهم :

عجبت لمن يقول ذكرت ربي      فهل أنسى فأذكر ما نسيت  
شربت الحب كأسا بعد كأس      فما نفذ الشراب ولا رويت

(1)

قال القشيري : ( كتب يحيى بن معاذ إلى أبي يزيد البسطامي : ها هنا من شرب من كأس المحبة لم يظماً بعده ، فكتب له أبو يزيد ، عجبت من ضعف حالك ؟ ههنا من يحتسى بحار الكون وهو فاغر فاه يستزيد ) (2) .

3- نهاية الشرب : ويطلقون عليه الرى ، ويتمثل في دوام مواصلاتهم وصاحب الذوق عندهم متساكر ، وصاحب الشرب سكران ، وصاحب الرى صاح (3) .

قال الكاشاني : { وَيُسْتَقْوَنَ فِيهَا كَأْسًا كَيَانَ مِرْأَجُهَا زَنْجَبِيلًا }  
[الإنسان/17] زنجبيل لذة الاشتياق ، فإنهم لا شوق لهم ، ليكون شرابهم

الزنجبيل الصرف —————

1. الرسالة القشيرية 1/ 240 .

2. السابق 1/ 240 .

3. السابق 1/ 239 .

الذى هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ، ولكن لهم الاشتياق للسير في الصفات ، وامتناع وصولهم على جميعها ، فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب ، كما صفت لذة محبة المستغرقين في عين جميع الذات ، فكان شراهم العين الكافورية الصرفة (1) .

\*\*\*\*\*

## 44 - الشفع

\*\*\*\*\*

الشفع : الشفع ضم الشئ إلى مثله ، والوتر انفراده (2) ، وقد ورد في قوله تعالى : { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ } [الفجر/ 3:1] والآية لها تفسيران أحدهما لغوى والأخر اصطلاحى :

1- فالمعنى اللغوى ما قاله مجاهد في تفسيرها : كل شيء خلقه فهو شفع السماء شفع ، والوتر الله تبارك وتعالى (3) ، على ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  ، قال : لله تسعة وتسعون اسما ، من حفظها دخل الجنة ، وإن الله وتر يحب الوتر (4) ، وفي المعنى

اللغوى أيضا ، ورد الشفع في الأذان —

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 2/ 744 .

2. المفردات ص 263 ، وفتح القدير 5/ 436 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب التفسير، سورة الفجر 571/8 .

4. أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء برقم (2677) 2062/4 .

والوتر فى الإقامة ، فعن أنس بن مالك ؓ : " أن رسول الله ﷺ أمر بلالا أن يشفع الأذان ، وأن يوتر الإقامة " (1) .

2- أما المعنى الاصطلاحى فهو على وجهين :

أ- الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر ، هكذا ورد عن النبي ﷺ من حديث جابر بن عبد الله ؓ ، قال رسول الله ﷺ : " إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر " (2) .

ب- الشفع ركعتان أو عدد من الركعات الزوجية ، تصلى فى آخر الليل والوتر ركعة واحدة بعد الشفع ، لما ورد من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : " كان رسول الله ﷺ يصلى فى الحجرة ، وأنا فى البيت ، فيفصل بين الشفع والوتر بتسليم يسمعه " (3) .

الشفع فى الاصطلاح الصوفى :

قال الكاشانى فى قوله تعالى : { وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشِيرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ } [الفجر/3:1] أقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن ، عند أول أثر تعلقه به { وَلَيَالٍ عَشِيرٍ } ومحال الحواس العشرة

الظاهرة والباطنة التى تتعين —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (603) 92/2 .

2. حسن الإسناد ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (14102) .

3. ضعيف ، أخرجه أحمد في المسند برقم (24018) عمر بن عبد العزيز لم يسمع من عائشة رضى الله عنها .

عند تعلقه به ، لكونها أسباب تحصيل الكمال وآلاتها { وَالشَّفْعِ } ، أى الروح والبدن عند اجتماعهما ، وتمام وجود الإنسان الذى يمكن به الوصول { وَالْوَتْرِ } ، أى الروح الجرد إذا فارق (1) .

وقال أيضا : الشفع هو الخلق ، وإنما أقسم بالشفع والوتر ، لأن الأسماء الإلهية ، إنما تتحقق بالخلق ، فما لم ينضم شفعية الحضرة الواحدية إلى وترية الحضرة الأحدية ، لم تظهر الأسماء الإلهية (2) .

\*\*\*\*\*

## 45 - الشمس

\*\*\*\*\*

الشمس : الشمس يقال للقرصة ، وللضوء المنتشر عنها ، وتجمع على شمس قال الله تعالى : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [يس/38] وفي معنى الآية من حديث أبي ذر ، قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس : أتدري أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها : ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ —

1. تفسير القرآن الكريم لابن عربى ص 803 .

2. معجم الكاشاني ص 170 / 171 .

لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ { " (1) .

وقال البخارى : " باب صفة الشمس والقمر ، قال تعالى : { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ { [الرحمن/5] ، قال مجاهد : كحسبان الرحي ، وقال غيره : بحساب ومنازل ، لا يعدوانها ، وحسبان جماعة حساب ، مثل شهاب وشهبان : { وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا { [الشمس/1] ضوءها ، { لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ { [يس/40] لا يستر ضوء أحدهما ضوء الآخر ، ولا ينبغي لهما ذلك ، { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ { [التكوير/1] ، قال الحسن : تكور حتى يذهب ضوءها " (2) .

## الشمس في الاصطلاح الصوفي :

والشمس عند الصوفية تعنى عدة معان :

1- الشمس هى مجلى الحق سبحانه وتعالى كما قال محى الدين

بن عربى :

ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنعكس البصائر

والقلوب

وترك الذكر أفضل كل شئ فشمس الذات ليس لها

غروب (3) .

## 2- والشمس كناية عن الروح في البدن بمنزلة الشمس ، والنفس

بمنزلة

1. أخرج البخارى في كتاب بدء الخلق برقم (3199) 342/6 ، وانظر المفردات في غريب القرآن ص 267 .

2. انظر صحيح البخارى في كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر 1169/3 .

3. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى 116/4 ، وسائل السائل ص 25 ، وديوان ترجمان الأشواق ص 4:5 .

القهر ، لذلك قالوا : إذا رأى السالك نورا قبل شعاع القمر ، فإنه يعلم أن هذا النور هو الروح (1) .

وقال الكاشانى في قوله تعالى : { وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا } [الشمس/1] أقسم بشمس الروح وضوئها المنتشر في البدن الساطع على النفس ، والقمر أى قمر القلب إذا تلى الروح في التنور بها وإقباله نحوها ، واستضاءته بنورها ، ولم يتبع النفس فينخسف بظلمتها والنهار ونهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها ، واستواء نورها إذا جلاها وأبرزها في غاية الظهور ، كالنهار عند الاستواء في تجلية الشمس (2) .

3- وقال القشيري : الشمس في قوله تعالى عن إبراهيم ص : {

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغِيَّةً قِيَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ } [الأنعام/78] : أحاطت به سجوف ظلمة الطلب ، ولم يتجلى له بعد صباح الوجود ، فطلع نجم العقول فشاهد الحق بسرته بنور البرهان ، فقال :



هذا ربي ، ثم أسفر الصبح وفتح النهار ، فطلعت شمس العرفان من  
برج شرفها ، فلم يبق للطلب مكان ولا للتجويز حكم ، ولا للتهمة  
قرار ، فقال : يا قوم إني برئ مما تشركون إذ ليس بعد العيان ريب ،  
ولا عقب الظهور ستر ، ويقال : إنه كان يلاحظ الأغبار والآثار  
بالله ، ثم كان يرى الأشياء لله ومن الله ، ثم طالع الأغيار محوا في  
الله (3) .

- 
1. السابق 116/4 . 2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 811/2 .
  3. لطائف الإشارات 485/1 .

\*\*\*\*\*

## 46 - الشيخ

\*\*\*\*\*

---

الشيخ : يقال لمن طعن في السن الشيخ ، كقوله تعالى : { قَالَتَا  
لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ } [القصص/23] ، وقوله  
: { ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا } [غافر/67] ، وعن أبي هريرة  
τ ، عن النبي ε قال : " قلب الشيخ شاب على حب اثنتين حب  
العيش والمال " (1) ، وكل ما ورد في القرآن ، والسنة فإنه يعني ذلك  
.

وقد يقال لمن يكثر علمه شيخ ، لما كان من شأن الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه (2) ، ويمكن أن يحمل عليه حديث عثمان بن موهب ، قال : جاء رجل حج البيت ، فرأى قوما جلوسا ، فقال من هؤلاء القعود ؟ ، قالوا : هؤلاء قريش ، قال : من الشيخ ؟ ، قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدثني ؟ .. (3)

### الشيخ في الاصطلاح الصوفي :

والشيخ في عرف الصوفية ، هو الإنسان البالغ في العلوم الثلاثة

التي هي —

1. أخرجه مسلم في كتاب الزكاة برقم (1046) 724/2 .
2. لسان العرب 31/3 ، وكتاب العين 284/4 ، المفردات ص 270 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4066) 421/7 .

علم الشريعة والطريقة والحقيقة ، إلى الحد الذى من بلغه ، كان عالما ربانيا مربيا ، هاديا مهديا مرشدا إلى طريق الرشاد ، معيننا لمن أراد الاستعانة به على البلوغ إلى رتب أهل السداد ، وذلك بما وهبه الله من العلم اللدنى الربانى ، والطب المعنوى الروحانى ، فهو طبيب الأرواح الشافى لها بما علمه الله تعالى من أدوية أدوائها المردية ، الذى بلغ فى نفوذ بصيرته إلى مقام المشاهدة لما يعرض لقلوب السالكين ، من الأدوية المانعة لهم عن الحظوة بالقرب ، من حضرة

الحق تعالى ، ويشاهد أيضا ما ينبغي أن يعالج به تلك الأدوية والعلل ، من الرياضات والمجاهدات ، فمن كان مقامه في العلم اللدني فهو طبيب الأرواح ، والشيخ الذي من اقتفى أثره صار من أهل الفلاح (1) .

قال الكاشاني : ( الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، البالغ إلى حد التكميل فيها ، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها ، والقيام بهاها إن استعدت ووفقت لاهدائها ) (2) .

---

1. لطائف الإعلام 45Y46/2 .

2. معجم الكاشاني ص 172 .

\*\*\*\*\*

## 47 - الصنم

\*\*\*\*\*

الصنم : الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب أو حجر ، كانوا يعبدونها متقربين بها إلى الله ، وجمعه أصنام ، وعلى

هذا المعنى ورد قول الله تعالى : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } [الأعراف/132] وقوله :

{ وَإِذْ قِيلَ لِبِإِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ أَرِئكَ أَن تَتَّخِذَ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [الأنعام/74] ، وقوله : { وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ } [الأنبياء/57] (1) .

ومن حديث أبي هريرة  $\tau$  ، في فتح مكة قال : "فأتى  $\epsilon$  على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه ، وفي يد رسول الله  $\epsilon$  قوس ، وهو أخذ بسية القوس ، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه ، ويقول : { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } [الإسراء/81] (2) .

## الصنم في الاصطلاح الصوفي :

والصنم في الاصطلاح الصوفي يرد على معنيين :

1. لسان العرب 349/12 ، والمفردات ص 287 .

2. أخرجه مسلم في الجهاد والسير برقم (1780) 1405/3 .

الأول : كل ما يشغل عن الله فهو صنم ، فصنم كل أحد ما يشغله عن الله تعالى ، من مال وولد وجاه ، وطاعة وعبادة " (1) .

وقال القشيري في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : {  
وَاجْتُنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [إبراهيم/35] :

( لما بنى البيت استعان بالله أن يجرده من ملاحظة نفسه ،  
وفعله وقيل : كان مترددا بين شهود فضل الله ، وشهود رفق نفسه ،  
فلما لقي من فضله وجوده ، قال من كمال بسطه : { واغفر لأبي  
إنه كان من الضالين } [إبراهيم/35] ولما نظر من حيث فقر نفسه ،  
قال : { وَاجْتُنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } [الشعراء/86] ) (2) .

الثاني : الصنم هو الله ، من حيث هو مظهر الوجود المطلق  
، قال التهانوي : ( الصنم في اصطلاح السالكين ، عبارة عن  
مظهر الوجود المطلق الذي هو الحق ، فالصنم من حيث الحقيقة ،  
هو الحق وليس باطلا أو عبثا وعابد الصنم يطلق عندهم على  
عابد الحق ، لأن الحق في صورة صنم :

{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء/23]  
، فإذا ظهر صحيحا فالكل عابد بالضرورة (3) ، وهذا يفسر على

المعنى الذى —————

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 269/4 .

2. لطائف الإشارات 255/2 .

3. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى 269/4 .

ذكره ابن عربى أن للحق فى كل معبود وجهها ، يعرفه من عرفه  
ويجهله من جهله ، فى المحمديين ، { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا

إِيَّاهُ } ، أى حكم ربك فالعالم يعلم من عبد ، وفى أى صورة ظهر حتى عبد ، وإن التفرقة والكثرة كالأعضاء فى الصورة المحسوسة وكالقوة المعنوية فى الصورة الروحانية ، فما عبد غير الله فى كل معبود ، فالأدنى يقصد أهل الظاهر من تخيل فيه الألوهية ، فلولا هذا التخيل ما عبد الحجر ولا غيره ، قال : { قُلْ سَمُّوهُمْ } [الرعد/33] ، فلو سموهم لسموهم حجارة وشجرا وكوكبا ، ولو قيل لهم : من عبدتم ؟ ، لقالوا : إلهنا ، ما كانوا يقولون : الله ، ولا الإله ، والأعلى يقصد أهل الكشف ما تخيل ، بل قال : هذا مجلى إلهى ينبغى تعظيمه ، فلا يقتصر ، فالأدنى صاحب التخيل يقول : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [الزمر/3] والأعلى العالم يقول : { إلهكم إلهٌ واحدٌ } [الكهف/110] أى حقا كان أو باطلا (1) .

\*\*\*\*\*

## 48 - الضنَّان

\*\*\*\*\*

الضنَّان : الضنين هو البخيل بالشئ النفيس الممسك به ، ويقال : فلان ضنى بين أصحابى ، أى هو النفيس الذى أضن به ، وقوله تعالى : { وَمَا هُوَ —————

1. فصوص الحكم ص 66، 67 .

عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ { [التكوير/24] أى ما هو ببخيل ، فلا يكتم شيئاً مما جاء به الوحي (1) .

وقال لقيط بن صبرة  $\tau$  : " يا رسول الله ما عندك من علم الغيب ؟ فقال : ضن ربك عز وجل بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله " (2) .

وقال أبو هريرة لعبد الله بن سلام رضى الله عنهما فى ساعة الإجابة يوم الجمعة : " أخبرني بها ولا تضنن بها علي قال : هي بعد العصر إلى أن تغرب الشمس ، قال أبو عيسى الترمذى ومعنى قوله : أخبرني بها ولا تضنن بها علي لا تبخل بها علي ، والضن البخل ، والضنين المتهم (3) .

ومن حديث أبي هريرة  $\tau$  فى فتح مكة قال رسول الله  $\varepsilon$  : " يا معشر الأنصار قلتما أما الرجل فأدركته رغبة فى قرىته ، كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم ، والمحيا محياكم والممات مماتكم ، فأقبلوا إليه ويكون ويقولون : والله ما قلنا الذى قلنا إلا الضن بالله وبرسوله ، فقال رسول الله  $\varepsilon$  : إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم " (4) .

---

1. القاموس المحيط ص 1564 ، والمفردات ص 29.

2. حديث حسن ، أخرجه أبو داود فى كتاب الأيمان والندور برقم (3266) وأحمد فى المسند برقم (15773) واللفظ له .

3. أخرجه الترمذى فى كتاب الجمعة برقم (491) وقال الألبانى : صحيح 362/2 .  
4. أخرجه مسلم فى الجهاد والسير برقم (1780) 3 / 1405 .

## الضنائن فى الاصطلاح الصوفى :

استخدم الصوفية مصطلح الضنائن ليعنوا به الخصائص من أهل الله الذين يضمن بهم لنفاساتهم عنده ، وعلو شأنهم لديه ويستدل الكاشانى لهم بحديثين :

الأول : قوله ع : " سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظل عرشه " (1) ، وقال معقبا : وذكر منهم الشاب الذى نشأ فى عبادة الله الهمة التوبة فى صباه ، ليعصمه ويجعله من ضنائه (2) .

والثانى : حديث ينسبه إلى النبى ع : " إن لله ضنائن من خلقه ألبسهم النور الساطع ، يحييهم فى عافية ، ويميتهم فى عافية " (3) .  
ويقول معقبا : فقوله ع : يحييهم فى عافية ، أى يعصمهم من المعاصى من أول صباهم من بدء العمر ، ومعنى ويميتهم فى عافية ، أى يميتهم على ما كانوا عليه من الحفظ والعصمة ، وذلك لمحبتهم لهم (4) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الأذان برقم (660) 2 / 168 ومسلم فى كتاب الزكاة برقم (1031) 2 / 715 .

2. لطائف الإعلام 2 / 75Y76 .



3. الحديث ضعيف ، وراه الطبراني في معجمه الكبير 385/12 وابن الجعد في مسنده 494/1 ،  
والحكيم الترمذى في نوادر الأصول 233/4 ، وابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 371 ،  
وانظر ضعفاء العقيلي 152/4 .

4. معجم الكاشاني ص 183 لطائف الإعلام 75/2 .

\*\*\*\*\*

## 49 - الضياء

\*\*\*\*\*

الضياء : الضياء على نوعين :

الأول : ما يدرك بالبصر ، وهو النور المحسوس للعين المبصرة ،  
ومنه قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا }  
[يونس/5] وقوله سبحانه : { يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ  
لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا } [البقرة/20] (1) ، وعن أنس بن  
مالك ، أن النبي ﷺ قال : " ولو أن امرأة من أهل الجنة ، اطلعت  
إلى أهل الأرض ، لأضاءت ما بينهما ، ولملأته ريحا " (2) .

وعنه أيضا أن أسيد بن حضير ورجلا آخر من الأنصار ، تحدثا  
عند رسول الله ﷺ ليلة في حاجة لهما ، حتى ذهب من الليل ساعة  
، وليلة شديدة الظلمة ، ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان ،  
وبيد كل واحد منهما عصية ، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى  
مشيا في ضوئها ، حتى إذا افترق بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه  
، فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ إلى أهله " (3) .

- 
1. المفردات ص 300 . 2. أخرجه البخارى فى الجهاد (2796) 19/6 .  
3. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (465) 662/1 ، وأحمد فى المسند برقم (11996)  
واللفظ له .

ومن حديث حفصة رضى الله عنها : " أن النبي ﷺ كان إذا  
أضاء له الفجر صلى ركعتين " (1) .

الثانى : ما يدرك بالبصيرة ، وهو ما يهتدى به العقل والإرادة  
والقلب وما تعلق بالروح ، ومنه قوله تعالى : { ولقد آتينا موسى  
وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين } [الأنبياء/48] ، ومن حديث  
أبي مالك الأشعري ، قال رسول الله ﷺ : " الطهور شرط الإيمان ..  
والصلاة نور ، والصدقة برهان والصبر ضياء .. " (2) .

### الضياء فى الاصطلاح الصوفى :

والضياء عند الصوفية يعرفه الكاشانى بأنه رؤية الأشياء بعين الحق  
عين الحق ، فإن الحق بذاته نور لا يدرك ولا يدرك به ، ومن حيث  
أسمائه نور يدرك ويدرك به ، فإذا تجلى القلب من حيث كونه يدرك  
به شاهدت البصيرة المنورة الأغيار بنوره ، فإن الأنوار الأسمائية من  
حيث تعلقها بالكون مخالطة بسواده ، وبذلك استتر انبهاره فأدركت  
به الأغيار كما أن قرص الشمس إذا حازاه غيم رقيق يدرك (3) .

- 
1. أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين برقم (723) 500/1 .

2. المفردات ص300 والحديث أخرجه مسلم في كتاب الطهارة (223) 203/1.
3. انظر لطائف الإعلام 76/2 ، رشح الزلال ص142 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص183 ، التعريفات ص181 .

\*\*\*\*\*

## 50 - الطور

\*\*\*\*\*

الطور : الطور في القرآن ، اسم جبل مخصوص في جزيرة سيناء ، له شأن عظيم مع بني إسرائيل (1) ، وأقسم الله به في موضعين من كتابه ، فقال سبحانه : { وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْبُورٍ } [الطور/1:2] ، وقال أيضا : { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ } [التين/1:2] ، كما أن الله هياً لموسى عليه السلام بجانبه نارا ، عندما توجه من مدين إلى مصر مارا به ، قال تعالى : { فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } [الفصل/29] وقد تجلى الله له عندما طلب موسى الرؤية ، فاندك في الأرض ، كما قال تعالى : { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف/143] .

وقد رفعه الله على بنى إسرائيل حتى كاد أن يسقط عليهم فقال :  
{ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ } [النساء/154] وقال تعالى : { وَإِذْ نَتَقْنَا  
الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ —————

1. لسان العرب 508/4 ، المفردات 308 .

وَوَظَّنُوا أَنَّهُ وَقَعُ بِهِمْ } [الأعراف/171] .

وعن أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " لا تخيروا بين  
الأنبياء وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، فأفئق فأجد  
موسى متعلقا بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أجزى بصعقة  
الطور أو أفاق قبلي " (1) .

### الطور في الاصطلاح الصوفي :

والطور في الاصطلاح الصوفي يعنى باطن النفس ، وذلك هو المعبر  
عنه بالحقيقة الإلهية فى الإنسان (2) .

أما الطور الأيمن فهو النفس ، يقول الجبلى : ( الطور الأيمن هو  
النفس لأن الطور الذى هو الجيل الذى كان موسى يتجلى فيه )  
(3) .

وقال عبد الزاق الكاشانى : ( الطور هو الدماغ الإنسانى ، الذى  
هو مظهر العقل والنطق ، أقسم به لشرفه وكرامته ، ولكون الفلك  
الأعظم الذى هو محدد الجهات بالنسبة إلى العالم ، بمثابة الدماغ

بالنسبة إلى الإنسان ، يمكن أن يكون إشارة إليه ، وأقسم به لشرفه  
وكونه مظهر الأمر الإلهي ، ومحل القضاء الأزلي (4) .

1. أخرجه أحمد في المسند برقم (10894) واللفظ له ، وأخرجه البخاري في كتاب الخصومات برقم (2412) .
2. الإنسان الكامل 88/1 .
3. السابق 88/1 .
4. تفسير القرآن الكريم لابن عربي 547/2 .

\*\*\*\*\*

## 51 - الظل

\*\*\*\*\*

**الظل** : الظل ضد الضحّ ، وهو أعم من الفئ ، فإنه يقال : ظل الليل وظل الجنة ، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل ، ولا يقال الفئ إلا لما زالت عنه الشمس ، ويعبر عن الظل بالعزة ، والمتعة والرفاهية ، يقال : أظلني فلان وحرسني ، وجعلني في ظله وعزته ومناعته (1) .

وقد ورد الظل في القرآن والسنة على ما يجب الضوء ، كقول الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَيْوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا } [الفرقان/45] ، وقوله : { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحُرُورُ

{ [فاطر/19: 22] وقوله سبحانه : { هَيْمٌ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى  
الْأَرَائِكِ مُتَّكِنُونَ } [يس/56] .

وعن أبي هريرة  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  قال : " إن في الجنة لشجرة يسير  
الراكب في ظلها مائة سنة واقروءوا إن شئتم { وَظِلِّ مَمْدُودٍ } " [الواقعة/30] (2) .

## الظل في الاصطلاح الصوفي :

أما الظل في الاصطلاح الصوفي فيعني أمرين :

1. لسان العرب 415/11 ، المفردات ص 314 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3253) 368/6 .

1- الظل : كل ما سوى الله من أعيان الكائنات ، وذلك من  
وجهين :

الوجه الأول : هو أنه لما لم يكن لشيء من الكائنات استقلال  
بنفسه لاستحالة وجود ما سوى الحق تعالى بذاته ، صارت  
الكائنات ظلا لله من حيث أن الظل لا تحرك له إلا بحركة  
صاحبه ، ولا حقيقة له ولا صورة ولا ذات ، إلا بحسب ما  
ينبعث عن الشيء الذى هو ظل له ، فهكذا من شهد  
الحقيقة ، فإنه يرى الكائنات ظلا لا تستطيع لنفسها نفعا  
ولا ضرا ولا موتا ، ولا حياتا ولا نشورا (1) .

الوجه الثاني : هو أنه لما كانت حقيقة الظل ، إنما هو عدم النور الشمسى أو غيره فى بقعة ما لساتر ما صارت الكائنات ظلا بهذا المعنى ، لأن حقيقة الظل لا ترجع إلى شئ فى نفسه ، بل إنما تتعين بالنور فكذلك كل ما سوى الله تعالى ، ليس هو شيئاً فى نفسه ، إنما هو شئ بربه ، فهو أعنى الظل المشار به إلى ما سوى الله تعالى ، ما يحصل من انبساط النور الإلهى على أعيان من الأعيان الممكنات التى ليست نورا فى نفسها ، وقد يظهر الظل الذى هو ظلمة محضة ، لأنه ليس يظهر إلا بانبساط النور ، ولا هو نور محض (2) .

وقال الكاشانى : ( الظل هو الوجود الإضافى

الظاهر بتعينات

---

1. لطائف الإعلام 92/2 .

2. السابق 92/2 ، 93 .

الأعيان الممكنة وأحكامها ، التى هى معدومات ظهرت باسمه النور الذى هو الوجود الخارجى المنسوب إليها ، فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلا لظهور الظل بالنور وعدميته فى نفسه ، قال الله تعالى : { أَمْ تَرَى إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ } [الفرقان/45] ، أى بسط الوجود الإضافى على



الممكنات ، فالظلمة بإزاء هذا النور هو العدم ، وكل ظلمة  
فهى عبارة عن عدم النور ، ولهذا سمي الكفر ظلمة لعدم نور  
الإيمان من قلب الإنسان ، الذى من شأنه أن يتنور به ،  
قال تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ } [البقرة/257] (1) .

2- الظل : يعنى وجود الراحة خلف الحجاب (2) ، وهذا من  
باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم ، فإنه قد أطلق الظل ، وأراد  
الراحة التى يجدها المستظل به ، فإذا كانت السبحات الذاتية  
محتركة ، فالحجاب الذى يمنع سوايتها كظل يعطى الراحة (3) ،  
وهو تفسير صوفى لحديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه ،  
قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات  
وذكر منها ...حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت

---

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص184 .

2. اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص14 .

3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص184 .

سبحات وجهه ، ما انتهى إليه بصره من خلقه (1) ، فسبحات  
وجه الله كالشمس المحرقة ، والحجاب هو الظل المريح .

وربما أطلق الصوفية اصطلاح ظل الإله ، وأرادوا الإنسان الكامل ، يقول ابن عربي : ( السلطان ظل الله في الأرض ، فالظل لا محالة تابع لمن هو ظله (2) .. فإن الله حجب الجميع عنه ، وما ظهر إلا للإنسان الكامل الذى هو ظله الممدود ، وعرشه المحدود ، وبيته المقصود ، الموصوف بكمال الوجود (3) .. فجعل الإنسان الكامل خليفة عن الإنسان الكل الكبير يقصد الله عز وجل ، الذى هو ظل الله في خلقه من خلقه ، فعن ذلك هو خليفة ، ولذلك هم خلفاء عن مستخلف واحد فهم ظلاله (4) .. فأول مفتاح فتح الله به ، مفتاح غيب الإنسان الكامل ، الذى هو ظل الله في كل ما سوى الله (5) .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (179) 1/161 .

2. بلغة الخواص ق 62 .

3. الفتوحات 3/282 .

4. السابق 3/297 .

5. السابق 3/279 وانظر رشح الزلال ص 142 و لطائف الإعلام 2/94 .

\*\*\*\*\*

الظلمة : عدم النور ، وجمعها ظلمات وهى على نوعين :

1- ما يدرك بالبصر ، وهو انعدام النور المحسوس للعين المبصرة ، كقول الله تعالى : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِتَرْبِهِمْ يَعْدِلُونَ } [الأنعام/1] وقوله تعالى : { أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَجْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُنْ يَرَاهَا } [النور/40] .

وفى حديث عتبان بن مالك ، كان يؤم قومه وهو أعمى ، وقال لرسول الله ع : " يا رسول الله إنها تكون الظلمة والسييل ، وأنا رجل ضيرير البصر ، فصل يا رسول الله في بيتي ، مكانا أتخذه مصلى " (1) .

2- انعدام البصيرة ، وضلال العقل ، وذهاب الإرادة والقلب ، ويعبر بالظلمة هنا عن الجهل والشرك والفسق ، كما يعبر بالنور عن أضدادها كقوله تعالى : { يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } [البقرة/257] ، وقوله سبحانه : { أَنْ أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ } —

1. انظر المفردات فى غريب القرآن ص 315 ، والحديث صحيح أخرجه البخارى فى الأذان برقم (667) 184/2 .

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ { [إبراهيم/5] ، ومن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : " الظلم ظلمات يوم القيامة " (1) .

## الظلمة في الاصطلاح الصوفي :

والظلمة في عرف الصوفية ، تعنى العلم بالذات الإلهية ، فإنه لا يكشف معها غيرها ، إذ العلم بالذات يعطى ظلمة لا يدرك بها شئ ، كالبصر حين يغشاه نور الشمس عند تعلقه بوسط قرصها الذى هو ينبوعه ، فإنه حالتئذ لا يدرك شيئاً من المبصرات ، قال الله تعالى : { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } [البقرة/257] (2) .

ويذكر عبد الرزاق الكاشاني ، في قوله تعالى : { أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ .. } [النور/40] أن الظلمات ، ظلمات بحر الهيولى ، اللجى العميق الغامر لجثة كل نفس جاهلة ، محجوبة بهيئات بدنية ، الغامس لكل ما يتعلق به من القوى النفسانية ، يغشاه موج الطبيعة الجسمانية ، من فوقه موج النفس النباتية من فوقه سحب النفس الحيوانية ، وهيئاتها الظلمانية ، ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، إذا أخرج المحجوب بها المنغمس المحبوس فيها يد القوة العاقلة النظرية بالفكر ، لم يكدرها ، لظلمتها وعمى بصيرة صاحبها وعدم اهتدائه إلى شئ ، وكيف يرى الأعمى الشئ الأسود فى الليل البهيم (3) .

1. السابق ص 315 ، أخرجه البخارى فى كتاب المظالم برقم (2447) 120/5.
2. لطائف الإعلام 95/2 ورشح الزلال ص 142 .
3. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 143Y144/2 .

\*\*\*\*\*

## 53 - العرش

\*\*\*\*\*

العرش : العرش يرد فى اللغة على معنيين (1) :

الأول : سرير الملك كقوله تعالى : { وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ  
وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا } [يوسف/100] وكقوله : { يَا أَيُّهَا الْمَلَأَ أَيْكُمُ يَا تَبِي  
بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } [النمل/38] ، وقد أثبت الله لنفسه  
عرشا ، استوى عليه بكيفية تليق بجلاله وعظمته ، يعلمها سبحانه  
ولا نعلمها نحن ، وليس كمثلها شئ فيها ، فقال : { الرَّحْمَنُ عَلَى  
الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه/5] ، ووصفه بأنه عظيم فقال : { وَهُوَ رَبُّ  
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } [التوبة/129] وأنه كريم فقال : { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ  
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } [المؤمنون/116] ، ومجيد فى قوله : { ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ  
} [البروج/15] على قراءة الخفض ، وأوصاف أخرى كثيرة ، وردت فى  
الكتاب والسنة .

الثانى : سقف البناء كقوله تعالى : { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ  
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } [البقرة/259] ، وقوله عز وجل : { وَهُوَ

الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ { الأنعام/141 } ،  
وعرش الرحمن ورد أنه فوق أعلى الجنان في قوله ع ، عن أبي هريرة ط  
: " إن في الجنة مائة درجة ———

1. لسان العرب 313/6 ، والمفردات ص 329 ، وكتاب العين 250/1 .

أعدّها الله للمجاهدين في سبيله ، كل درجتين ما بينهما كما بين  
السماء والأرض ، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط  
الجنة ، وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن " (1) .

### العرش في الاصطلاح الصوفي :

والعرش عند الصوفية يقسمه ابن عربي إلى خمسة أنواع (2) :

(1- عرش الحياة : وهو عرش الهوية ، وعرش المشيئة ، ومستوى  
الذات ويستدل له بقوله تعالى : { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } [هود/7]  
، فأضافه إلى الهوية وجعله على الماء ، ومن ثم سمي بعرش الحياة ،  
لقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [الأنبياء/30] ،  
ولقوله فيه : { وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ } [هود/7] أى أظهر الحياة  
فيكم ليلوكم ، وكذلك قال تعالى في موضع آخر : { الَّذِي خَلَقَ  
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } [الملك/2] فجعل ليلوكم  
إلى جانب الحياة ، فإن الميت لا يختبر ، وهو قوله : { على الماء }  
، { لِيَبْلُوَكُمْ } وهو قوله : { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } ،

فهو العنصر الأعظم ، فلك الحياة ، وهو اسم الأسماء ومقدمها ،  
وبه كانت —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7423) 415/13.
2. ملخصة من كتاب عقلة المستوفز لابن عربى طبعة عالم الفكر 40 : 47 ، وانظر الفتوحات المكية 420/2 ، ومواقع النجوم 172 ، ورشح الزلال ص150 وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص16 .

وقوله : { وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } [الأنبياء/30] من حيث هو  
حى لا من حيث هو جوهر .

(2- العرش المجيد : وهو العقل الأول ، والقلم الأعلى ، فهو أول ما أوجد الله من العقول المدبرة ، وهو أول عالم التدوين والتسطير ، وهو الخازن الحفيظ ، العليم الأمين على اللطائف الإنسانية ، التى من أجلها وجد وهو القلم من حيث التدوين والتسطير وهو الروح من حيث التصرف وهو العرش المجيد من حيث الاستواء ، وهو الإمام المبين من حيث الإحصاء .

(3- العرش العظيم : وهو اللوح المحفوظ ، وهو النفس الناطقة الكلية السابقة ، فلما أوجد الله سبحانه القلم الأعلى ، أوجد له فى المرتبة الثانية هذه النفس التى هى اللوح المحفوظ ، وهى من الملائكة الكرام ، وهو المشار إليه بكل شئ فى قوله تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [الأعراف/145] ، وهو اللوح المحفوظ وقال الله تعالى : { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ

مَحْفُوظٍ { [البروج/21Y22] ، فهو موضع تنزيل الكتب ، وهو أول كتاب سطر فيه الكون ، فأمر القلم أن يجرى على هذا اللوح بما قدره وقضاه مما كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أول موجود .

(4- العرش الرحمانى : الجامع للموجودات الأربعة ، وهى الطبيعة والهباء والجسم والفلك ، أوجد الله سبحانه الهباء ، فأول صورة قبل صورة الجسم هو الطول والعرض والعمق ، فظهرت فيه الطبيعة ، فكان طوله من العقل وعرضه من النفس ، وعمقه الخلاء إلى المركز ، فلهذا كانت فيه هذه الحقائق الثلاث ، فكان مثلثا ، وهو الجسم الكلى ، وأول شكل قبل هذا الجسم الشكل الكرى ، فكان الفلك فسماه العرش ، واستوى عليه سبحانه بالاسم الرحمن بالاستواء الذى يليق به ، الذى لا يعلمه إلا هو من غير تشبيه ولا تكييف .

(5- العرش الكريم : وهو الكرسى موضع القدمين ، وهو فى جوف العرش ، كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض ، وخلق بين هذين الفلكين عالم الهباء ، وعمر هذا الكرسى بالملائكة المدبرات ، وأسكنه ميكائيل ، وتدلت إليه القدمان ، فالكلمة واحدة فى العرش ، لأنه أول عالم التركيب ، وظهر لها فى الكرسى نسبتان ، لأنه الفلك الثانى ، فانقسمت به الكلمة ، فعبر عنها بالقدمين ، كما



ينقسم الكلام ، وإن كان واحدا إلى أمر ونهى ، وخبر واستخبار ،  
ويقول الجيلي :

( عرش الرحمن هو الربوبية النافذة في حق الوجود المطلق ،  
بأحدية الوجود السارى فيه ، فيتجلى فيها جمالا وجلالا ، بالبسط  
والقبض والعطاء والمنع ، والإيجاد والإعدام ، يتجلى الله تعالى على  
العبد في هذا المنظر بتجلى يتمكن فيه العبد من العالم الكوني ،  
فيفعل ما يشاء كما يريد ، فحينئذ يستوى العبد أعنى روحه المقدسة  
على عرش الأسماء والصفات ، فيتصف بما شاء من الصفات ،  
ويترك ما شاء مدخرا في الذات ، أعنى يظهر أثر ما شاء ويخفى أثر  
ما شاء ) (1) .

---

1. المناظر الإلهية ص248 ، والإنسان الكامل 6/2 .

والعرش الأكبر عند الصوفية أيضا ، هو قلب الإنسان الكامل  
(1) .

وقال القشيري في الاستواء الوارد في قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى  
الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه/5] : ( استواء عرشه في السماء معلوم ،  
وعرشه في الأرض قلوب أهل التوحيد ، قال الله تعالى : { وَيَحْتَمِلُ  
عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } [الحاقة/17] ، وعرش القلوب ، قال  
تعالى : { وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } [الإسراء/70] ، أما عرش

السماء فالرحمن عليه استوى ، وعرش القلوب الرحمن عليه استولى ،  
وعرش السماء قبلة دعاء الخلق ، وعرش القلب محل نظر الحق ،  
فشتان بين عرش وعرش ( 2) .

\*\*\*\*\*

## 54 - العمد المعنوية

\*\*\*\*\*

العمد المعنوية : العمد جمع عمود ، والعمود خشب أو غير  
تعتمد عليه الخيمة ، يقال : عمدت الشيء ، إذا أسندته ، وعمدت  
الحائط مثله ، وكذلك ما يأخذه الإنسان بيده معتمداً عليه من  
حديد أو خشب ، يقال له :

عمود (3) ، وقد ورد لفظ العماد ، والعمد في القرآن على المعنى

الظاهر —

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص 981 .

2. لطائف الإشارات 446/2 ، وانظر تفسير القرآن لابن عربى 32/2 وقارن .

3. المفردات ص 346 ، ولسان العرب 302/3 .

المحسوس ، فقال تعالى : { إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ } [الفجر/7] أى العماد  
الذى كانوا يعتمدونه فى مساكنهم ، وقال : { اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ  
السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } [الرعد/2] وفى  
السنة من حديث عبد الله بن عمر ؓ ، قال : " كان المسجد على

عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبني جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج " (1) .

كما ورد في السنة على معنى العمدة المعنوية ، في قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : " ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده ، وذروة سنامه ، قال رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد " (2) .

### العمد في الاصطلاح الصوفي :

والعمد المعنوية في اصطلاح الصوفية ، تعنى روح العالم وقلبه ونفسه وهى حقيقة الإنسان الكامل الذى لا يعرفه إلا الله ، واستدل الكاشاني لهذا الاصطلاح بحديث ينسبه إلى رسول الله ﷺ عن رب العزة : " أوليائى تحت ———

1. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (446) 643/1.

2. أخرجه الترمذى فى كتاب الإيمان برقم (2616) وقال الشيخ الألبانى : حديث صحيح 11/5

قبابى لا يعرفهم غيرى " (1) ، ثم قال : ( وهى المشار إليها فى قول الله تعالى : { رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا } [الرعد/2] ، فالإشارة

إلى أنه رفعها بعمد لكن لا يرونها ، وهو روح العالم وروح العالم لا يرى ( 2 ) .

وقال محي الدين بن عربي : ( واختار الحق الرسل من الأنبياء واصطفى واحدا منهم ، هو المهيمن على جميع الخلائق جعله عمدا أقام عليه قبة الوجود ، وهو محمد رسول الله ﷺ ) ( 3 ) .

\*\*\*\*\*

## 55 - الغراب

\*\*\*\*\*

**الغراب** : الغرب أقصى ما تنتهي إليه الشمس ، والغراب طائر معروف سمي بذلك لسواده ، وكونه مبعدا في الذهب ( 4 ) ورد ذكره في قول الله تعالى : { فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ } [المائدة/31] وقوله تعالى : { قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } [المائدة/31] ، وقوله —

1. التعريفات ص 295 ، الحديث لا أصل له في كتب السنة .

2. لطائف الإعلام 162/2 واصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 150 .

3. الفتوحات 74/2 ، الفصوص 38/1 .

4. المفردات ص 359 ، لسان العرب 637/1 .

سبحانه : { وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ } [فاطر/27] ، جمع غرابيب ، وهو المشبه للغراب في السواد ،

كقولك أسود كحلك الغراب (1) ، ومن حديث حفصة رضي الله عنها ، قال رسول الله ﷺ : " خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور " (2) ، وقال ابن عمر ر : " من يأكل الغراب وقد سماه رسول الله ﷺ فاسقا ، والله ما هو من الطيبات " (3) .

### الغراب في الاصطلاح الصوفي :

والغراب في عرف الصوفية ، وضعوه على معنى الجسم الكلى لأنه يجمع بين البعد والسواد كالغراب ، قال ابن عربي : ( فقام الغراب ، وقال : أنا هيكل الأنوار ، ومحل الكيف والكم ، وأنا الرئيس المرؤس ، ولى الحس والمحسوس ، بي ظهرت الرسوم ، أنا أصل الأشكال وبمراتب صوري تضرب الامثال ، أنا صورة الفلك ومحل الملك ، على صح الاستواء ، وعنى كنى بالمستوى ، وأنا اللاحق الذى لا ألحق كما العقاب ، والسابق الذى لا يسبق هو الأول وأنا الآخر ، وله الباطن ولى الظاهر ، قسم الوجود بينى وبينه

---

1. تفسير القرطبي 342/14 ، السابق ص 359 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1828) 42/4.

3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الصيد برقم (3248) وقال الشيخ الألبانى رحمه الله : صحيح . 1082/2

وأنا أظهرت عزه وكونه (1) .

ويذكر الكاشاني أن الغراب في عرف الصوفية ، كناية عن الجسم الكلى لكونه في غاية البعد عن عالم القدس والحضرة الأحدية ، ولخلوه عن الإدراك والنورية ، والغراب مثل في البعد والسواد (2) .

يقول : ( الغراب الجسم الكلى ، وهو أول صورة الجوهر الهبائي ، وبه عم الخلاء ، وهو امتداد متوهم من غير جسم ، وحيث قبل الجسم الكلى من الأشكال الاستدارة ، علم أن الخلاء مستدير ، ولما كان هذا الجسم ، أصل الصور الجسمية الغالب عليها غسق الإمكان وسواده ، فكان في غاية البعد من عالم القدس وحضرة الأحدية ، سمي بالغراب الذي هو مثل في البعد والسواد ) (3) .

\*\*\*\*\*

## 56 - الفتح

\*\*\*\*\*

الفتح : إزالة الإغلاق والإشكال ، وذلك ضربان :  
أحدهما : يدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه ، وكفتح القفل ،

والغلق —

1. رسالة الاتحاد الكوني ق146 ب ، وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص12 .
2. اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص185 .
3. رشح الزلال ص129Y128 .

والمناج نحو قوله تعالى : { وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ } [يوسف/65] ، وقوله :  
{ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ } [الحجر/14] .

وعن أبي ذر ، أن رسول الله ﷺ قال : " فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح ، قال من هذا ؟ ، قال : هذا جبريل قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم ، معي محمد ﷺ " (1)

والثاني : يدرك بالبصيرة ، كفتح الهم وهو إزالة الغم والفقر بإعطاء المال ونحوه ، كقوله تعالى : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } [الأنعام/44] أى وسعنا ، وقال : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [الأعراف/96] ، أى أقبلت عليهم الخيرات ، وقيل لوهب بن منبه : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح ، إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان ، فتح لك وإلا لم يفتح لك (2) .

ومن حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : " استيقظ النبي ﷺ ذات ليلة فقال : سبحان الله ، ماذا أنزل الليلة من الفتن ؟ وماذا فتح من الخزائن ؟ —————

1. معجم مقاييس اللغة مادة (فتح) ، والمفردات ص370 والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (349) 547/1 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز ، باب ما جاء فى الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ، فتح البارى 109/3 .

أيقظوا صواحبات الحجر ، فرب كاسية فى الدنيا ، عارية فى الآخرة  
" (1) .

وفاتحة كل شئ مبدؤه الذى يفتح به ما بعده ، وبه سمى فاتحة الكتاب وقيل : افتتح فلان كذا إذا ابتدأ به وفتح عليه كذا ، إذا أعلمه ووقفه عليه قال تعالى : { قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } [البقرة/76] وفتح القضية فتاحا فصل الأمر فيها وأزال الإغلاق عنها ، قال تعالى : { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } [الأعراف/89]  
(2) .

والفتح ورد فى القرآن على معنى اصطلاحى ، يدل على واحد من أمرين :

1- صلح الحديبية : لما روى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه فى قوله تعالى : { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا } [الفتح/1] قال الحديبية (3) .

2- فتح مكة : وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فى قول الله تعالى : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [النصر/1] أنه قال



: الفتح ، فتح مكة فذاك علامة أجلك { وَرَأَيْتَ النَّاسَ  
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

1. المفردات في غريب القرآن ص370 والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم  
293/1 (115).
2. السابق ص370 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4172) 516/6 وانظر أيضا فتح القدير 223/5 .  
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا { [النصر/2:3] ، قال عمر  
بن الخطاب ؓ : ما أعلم منها إلا ما تعلم (1) .

### الفتح فى الاصطلاح الصوفى :

والفتح فى عرف الصوفية ، هو ما يفتح على العبد من ربه تعالى ،  
بعد ما كان مغلقا ، قال الله تعالى : { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا  
{ [الفتح/1] ، والفتح عندهم على ثلاثة أنواع (2) :

- 1- الفتح القريب : وهو المشار إليه بقوله تعالى : { فَجَعَلْ مِنْ  
دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } [الفتح/27] ، وهو فتح باب القلب بالترقى  
عن مقام النفس وذلك بالمكاشفات الغيبية ، والأنوار اليقينية ،  
وعندهم أن النبى ؐ قد شارك فى ذلك أكثر المؤمنين ، كما أشار  
إليه بقوله تعالى : { وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ  
{ [الصف/13] ، وقوله : { فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا  
قَرِيبًا } [الفتح/18] ويلزمه البشارة بالأنوار الملكوتية ، والتجليات

الصفاتية ، كما قال : { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } وحصول المعارف اليقينية ، وكشوف الحقائق القدسية ، المشار إليها بقوله : { وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا } [الفتح/19] .

1. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4294) 613/6.
2. ملخصة من تفسير القرآن الكريم لابن عربى 505/2، 506، وانظر اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص152 ، لطائف الإعلام 2/ 200 ، 202 .

2 - الفتح المبين : بظهور أنوار الروح ، وترقى القلب إلى مقامه ، وحينئذ تترقى النفس إلى مقام القلب ، فتستتر صفاتها اللازمة إياها ، السابقة على فتح القلب من الهيئات المظلمة بالأنوار القلبية ، وتنتفى بالكلية وذلك معنى قوله تعالى : { لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } [الفتح/2] ، وكذا الحادثة المتأخرة عنه من الهيئات النورانية المكتسبة بالتنور بالأنوار القلبية التى تظهر بها فى التلوينات ، وتخفى حالها ، وهى الذنوب المشار إليها بقوله : { وَمِمَّا تَأَخَّرَ } ولا تنتفى هذه بالفتح القريب وإن انتفت الأولى به ، لأن مقام القلب لا يتم ولا يكمل ، إلا بعد الترقى إلى مقام الروح ، واستيلاء أنواره على القلب ، فيظهر تلوين القلب حينئذ ، وينتفى تلوين النفس ، الذى كان فى مقام القلب بالكلية وتنقطع مادته ، ويحصل فى هذا الفتح ، مغانم المشاهدات الروحية والمسامرات السرية .

3- الفتح المطلق : المشار إليه بقوله : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } [النصر/1] وهو فتح باب الوحدة بالفناء المطلق والاستغراق في عين الجمع بالشهود الذاتى ، وظهور النور الأحدى ، فهذا الفتح المذكور ههنا هو المتوسط ويترتب عليه أمور أربعة : المغفرة المذكورة ، وإتمام النعمة الصفاتية والمشاهدات الجمالية ، والجلالية بكمال مقام القلب ، والهداية إلى طريق الوحدة الذاتية بالسلوك فى الصفات ، وانخراق حجبها النورية وانكشاف غيومها الرقيقة حتى الوصول إلى فناء الآنية ، والنصرة العزيزة بالوجود الموهوب ، والتأييد الحقانى الموروث بعد الفناء .

\*\*\*\*\*

## 57 - الفراق

\*\*\*\*\*

الفراق : ورد لفظ الفراق فى آيتين من الكتاب ، الأولى فى قوله : { قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ } [الكهف/78] ، والثانى فى قوله تعالى : { كَيْلًا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ لِمَنْ رَاقٍ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } [القيامة/26:28] ، ويعنى فى الأولى ، إنهاء صحبة التعليم بين موسى والخضر عليهما السلام ، ويعنى فى الثانية يقين المحتضر بالموت (1) .

وفي السنة من حديث أنس بن مالك  $\tau$  ، قال صلى الله عليه وسلم في موت ولده إبراهيم : " إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون " (2) .

## الفراق فى الاصطلاح الصوفى :

والفراق فى الاصطلاح الصوفى يعنى عدة معان :

1- الفراق : مقام الغيبة حيث يكون محبوبا عن الوحدة (3) .

1. فتح القدير 341/3 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1303) 206/3 .

3. كشاف التهانوى ص1130 .

2- الفراق : هو أن يفترق العاشق عن المعشوق لمحبة ، وفراق لمحبة تساوى عندهم فراق مائة سنة (1) .

3- الفراق : يطلق على مقام الوحدة ، أى خروج السالك من الوطن الأصلى الذى هو عالم البطون إلى عالم الظهور ، فهذا هو فراقه ، والعودة من عالم الظهور إلى عالم البطون هو وصاله ، وهذا الوصال لا يحصل إلا من الموت الصورى (2) .

\*\*\*\*\*

## 58 - الفرق

\*\*\*\*\*

الفرق : الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق ،  
والفرق يقال اعتبارا بالانفصال ، قال تعالى : { وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ  
الْبَحْرَ } [البقرة/50] والفرق القطعة المنفصلة ، ومنه الفرقة للجماعة  
المتفردة من الناس ، وقيل : فرق الصبح وفلق الصبح ، قال تعالى :  
{ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } [الشعراء/63] ، والفريق :  
الجماعة المتفرقة عن آخرين ، كقول الله تعالى : { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا  
يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ } [آل عمران/78] ، وقوله سبحانه : { فَفَرِيقًا  
كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [البقرة/87] (3) .

- 
1. السابق ص 1130 .
  2. السابق ص 1130 .
  3. كتاب العين 147/5 ، والمفردات ص 377 ، 378 .

ويقال : فرقت بين الشيئين فصلت بينهما ، سواء كان ذلك  
بفصل يدركه البصر ، أو بفصل تدركه البصيرة ، قال تعالى : {  
فَإِفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [المائدة/25] ، وقوله : {  
فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًّا } [المرسلات/4] يعنى الملائكة الذين يفصلون بين  
الأشياء حسبما أمرهم الله وعلى هذا قوله تعالى : { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ  
أَمْرٍ حَكِيمٍ } [الدخان/4] ، وقيل لعمر بن الخطاب ؓ الفاروق ، لكونه  
فارقا بين الحق والباطل ، وقوله :

{ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ } [الإسراء/106] أى بينا فيه الأحكام وفصلناه ،  
وقيل : فرقناه أى أنزلناه مفرقا ، والتفريق أصله التكثير ، ويقال  
ذلك أيضا فى تشيت الشمل وتفريق الكلمة ، نحو قوله تعالى :  
{ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ } [البقرة/102]  
وقوله سبحانه : { لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ } [البقرة/285] (1) .

### الفرق فى الاصطلاح الصوفى :

والفرق فى الاصطلاح الصوفى يقابل الجمع (2) ، قال القشيرى :  
( الفرق ما يكون كسبا للعبد من إقامة العبودية ، وما يليق بأحوال  
البشرية .. فمن أشهده الحق أفعاله عن طاعاته ومخالفاته ، فهو عبد  
بوصف التفرقة .. وإثبات الخلق من باب التفرقة لقوله : { إِيَّاكَ  
نَعْبُدُ } ، وإذا ما خاطب العبد الحق —————

1. السابق ص 378 .

2. انظر مصطلح الجمع .

سبحانه بلسان نجواه ، إما سائلا أو داعيا أو مثنيا أو شاكرا أو  
متنصلا أو مبتهلا ، فهو فى محل التفرقة (1) ، وفى تعريف الفرق  
فى الاصطلاح الصوفى يبين الكاشانى عدة معان (2) :

1- الفرق : إشارة إلى رؤية خلق بلا حق ، وتارة يطلق ويراد به  
مشاهدة العبودية .

2- الفرق الأول : و يعنى به بقاء العبد بأحكام خلقته ، وهو البقاء الذى يكون قبيل الفناء ، كما يعنى بالفرق بقاء العبد بربه ، عندما يفنى عن نفسه .

3- الفرق الثانى : وهو جمع الجمع ، بمعنى رؤية الكثرة فى الوحدة والوحدة فى الكثرة ، ويسمى بالفرق الثانى ، لكون الفرق الأول عبارة عن رؤية خلق بلا حق ، وهو حال من انحجب برؤية الكثرة عن رؤية الواحد المقيم لجمعها .

4- فرق الجمع : وهو تكثر الواحد بظهوره فى المراتب التى هى سبب تنوعات ظهور الواحد .

---

1. الرسالة القشيرية 222/1، 223 .

2. لطائف الإعلام 205/2، 206 .

\*\*\*\*\*

## 59 - الفرقان

\*\*\*\*\*

الفرقان : اسم من أسماء القرآن ، ورد ذكره فى قوله تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا }

[الفرقان/1] ، وقوله سبحانه : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة/185] .

والفرقان كلام الله تعالى ، لفرقه بين الحق والباطل في الاعتقاد والصدق والكذب في المقال ، والصالح والطالح في الأعمال (1) ، قال الإمام البخارى : " سمي الفرقان ، لأنه يفرق بين الحق والباطل " (2) ، وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه : " ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان " (3) .

### الفرقان في الاصطلاح الصوفى :

والفرقان عند الصوفية ، هو العلم التفصيلى الفارق بين الحق والباطل ويقابله عندهم القرآن ، فالقرآن هو العلم اللدنى الإجمالى ،

### الجامع للحقائق —

1. المفردات ص378 ، وانظر مادة (فرق) في الاصطلاح السابق .
2. صحيح البخارى ، كتاب التفسير 1770/4 .
3. أخرجه مسلم في كتاب الذكر برقم (2713) 2084/4 .

كلها (1) ، قال محى الدين بن عربى : قال فى التنزيل بلسان نوح : { قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا } [نوح/6] ، وعلم العلماء أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان ، والأمر قرآن ، لا فرقان ومن أقيم فى القرآن لا يصغى إلى الفرقان ، وإن كان فيه ، فإن القرآن يتضمن الفرقان ، والفرقان لا يتضمن



القرآن ، ولهذا ما اختص بالقرآن إلا محمد ة ، لأنه أوتى جوامع  
الكلم ، فما دعا محمد قومه ليلا ونهارا ، بل دعاهم ليلا في نهار  
ونهارا في ليل ( 2) .

ويقول أيضا : " فإن الله يقول : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }  
[المائدة/3] هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين ، فإنهم قد يرونه ة  
في كشفهم فيصح لهم من الإخبار ، ما ضعف عندهم بالنقل ،  
وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل " (3) .

ويذكر الجيلي أن الفرقان ، عبارة عن حقيقة الأسماء والصفات  
على اختلاف تنوعاتها ، فباعتباراتها تتميز كل صفة واسم عن غيرها  
، فحصل الفرق في نفس الحق من حيث أسماؤه الحسنی وصفاته ،  
فإن اسمه الرحيم غير اسمه الشديد ، واسمه المنعم غير اسمه المنتقم ،  
وصفة الرضا غير صفة الغضب —

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 153 .

2. فصوص الحكم 71:70/1 .

3. الفتوحات المكية 28/4 .

فكما أن الفرق حاصل في الأفعال ، فكذلك في الصفات ، وكذلك  
في نفس واحدية الذات ، التي لا فرق فيها ، لكن من غرائب  
شئوون ، جمع الذات النقيضين من المحال والواجب (1) .

\*\*\*\*\*

قَاب قَوْسَيْنِ : القاب ما بين المقبض والسية من القوس (2) ،  
 وقاب قوسين مقدار المسافة بين جبريل والنبي ؑ ، عندما رآه  
 على صورته الحقيقية ، له ستمائة جناح ، قد سد الأفق ، ثم اقترب  
 منه وكلمه بالوحي ، قال عبد الله بن مسعود  $\pi$  : " إن محمدا لم ير  
 جبريل في صورته إلا مرتين ، أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في  
 صورته ، فأراه صورته فسد الأفق ، وأما الأخرى فإنه صعد معه ،  
 حين صعد به قال تعالى : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ  
 أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } [النجم/8:10] " (3) .

وقال مجاهد : { قَابَ قَوْسَيْنِ } حيث الوتر من القوس (4) ،

#### وقال مسروق —————

1. الإنسان الكامل 75/1 .
2. لسان العرب 693/1 ، المفردات ص 414 .
3. رواه البخارى فى كتاب بدء الخلف برقم (3232) (3233) 360/6 ، ومسلم فى كتاب  
 الإيمان برقم (174) 158/1 .
4. البخارى فى كتاب التفسير 469/8 .

قلت لعائشة : فأين قوله : { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ  
 أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } ؟ ، قالت : إنما ذاك جبريل ؑ ،  
 كان يأتيه في صورة الرجال ، وإنه أتاه في هذه المرة في صورته التي  
 هي صورته ، فسد أفق السماء " (1) .

## قاب قوسين فى الاصطلاح الصوفى :

والصوفية يشيرون بقاب قوسين إلى مقام قرب قوسى الوحدة والكثرة ، أو قوس الوجوب والإمكان ، أو قوس الفاعلية والقابلية ، بحيث يجمع بين الوجوب والإمكان ، والوحدة والكثرة ، والفاعلية والقابلية ، فيجعل الجميع دائرة متصلة ، لكن مع أثر خفى من التميز والتكثر بينهما ، ثم أن باطن هذا المقام هو مقام { أو أدنى } ، أى أقرب من القوسين المذكورين ، وذلك الباطن ، هو التعيين الأول ، لأنه لا يبقى عنده أثر التميز والتكثر فى دائرة الجمعية ، بين حكم الأحدية والواحدية (2) .

ويذكر الكاشانى فى قوله تعالى : { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَبَأْوَحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مِمَّا أَوْحَىٰ } : فكان قاب قوسين ، أى كان مقدار دائرة الوجود الشاملة لكل ، المنقسمة بخط موهوم إلى قوسين ، باعتبار الحق الخلق والاعتبار هو الخط الموهوم القاسم للدائرة إلى نصفين ، فاعتبار البداية —

1. أخرجه مسلم فى كتاب الأيمان برقم (177) 159/1.

2. لطائف الإعلام 225/2 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 159 .

والتدانى ، يكون الخلق هو القوس الأول ، الحاجب للهوية فى أعيان المخلوقات وصورها ، والحق هو النصف الأخير ، الذى يقرب منه شيئاً فشيئاً وينمحي ويفنى فيه ، وباعتبار النهاية والتدلى

، فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلا وأبدا ، والخلق هو القوس الأخير ، الذى يحدث بعد الفناء بالوجود الجديد ، الذى وهب له ، أو أدنى من مقدار القوسين بارتفاع الإثنيانية الفاصلة ، الموهمة باتصال أحد القوسين بالآخر ، وتحقق الوحدة الحقيقية فى عين الكثرة ، بحيث تضحل الكثرة فيها ، وتبقى الدائرة غير منقسمة بالحقيقة ، أحادية الذات والصفات (1) .

\*\*\*\*\*

## 61 - القـدم

\*\*\*\*\*

القدم : القدم قدم الرجل وجمعه أقدام ، قال الله تعالى : { وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ } [الأنفال/11] ، وعن أنس  $\tau$  قال : " كان النبي  $\varepsilon$  ، ضخم اليدين والقدمين ، حسن الوجه ، لم أر بعده ولا قبله مثله (2) .

والقدم اعتبر به التقدم والتأخر ، قال تعالى : { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ \_\_\_\_\_

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 2/ 455 ، 456 .

2. المفردات ص 397 ومعجم مقاييس اللغة مادة (قدم) والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب اللباس برقم (5907) 10/369.

قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ { [يونس/2] ، وعن عمرو بن ميمون رضى الله عنه قال فى شأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ( وولج عليه شاب من الأنصار

فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله ، كان لك من القدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم استخلفت فعدلت ) (1) .

والقدم وصف من أوصاف ذات الله عز وجل ، معلوم المعنى من حيث إثبات وجودها ، ومجهول الكيف ، لأننا ما رأيناها ، وما رأينا لها مثيلا لقوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى/11] ، ولما ثبت عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ قال : " لا يزال يلقى فى النار وتقول : هل من مزيد ؟ ، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض " (2) .

## القدم فى الاصطلاح الصوفى :

والقدم فى العرف الصوفى ، يعنى السابقة التى حكم الحق بها للعبد أزلا ويخص بما يكمل ويتم به الاستعداد من الموهبة الأخيرة بالنسبة إلى العبد لقوله عليه السلام : " لا يزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ ، حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول : قط قط " وإنما يكنى عنها بالقدم ، لأن القدم —

1. لسان العرب 465/12 ، السابق ص 397 والحديث صحيح ، أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز برقم (1392) 301/3 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7384) 345/13 .

آخر شئ من الصورة ، وهى آخر ما يقرب به الحق إلى العبد من اسمه الذى اتصل به وتحقق وكمل (1) .

\*\*\*\*\*

## 62 - القرآن

\*\*\*\*\*

القرآن : القرآن فى الأصل ، مصدر نحو كفران ورجحان ، قال الله تعالى : { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } [القيامة/17:18] .

قال ابن عباس ؓ : " إذا جمعناه وأثبتناه فى صدرك فاعمل به ، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد ؐ ، فصار له كالعلم ، كما أن التوراة أنزل على موسى والإنجيل على عيسى ؑ (2) .

وقد عرف القرآن بأنه كلام الله المنزل على الرسول المكتوب فى المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة ، قال تعالى : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [الحشر/21] (3) .

وعن أبي هريرة ؓ ، قال : " كان جبريل يعرض على النبي ؐ القرآن

كل

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 160 ، 161 .

2. المفردات ص 402 ، ولسان العرب 1/128 .

3. الإنتقان فى علوم القرآن للسيوطى 50/1 ، وأبجد العلوم للقنوجى 429/2 .  
عام مرة فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه " (1) .

## القرآن فى الاصطلاح الصوفى :

والقرآن عند صوفية الوحدة يقابل الفرقان (2) ، وهو عبارة عن  
الذات التى يضمحل فيها جميع الصفات ، فهى المجلى المسماه  
بالأحدية ، أنزلها الحق تعالى على نبيه محمد ؑ ، ليكون مشهد  
الأحدية من الأكوان (3) .

وأما القرآن الحكيم ، فهو تنزل الحقائق الإلهية بعروج العبد إلى  
التحقق بها فى الذات شيئا فشيئا ، على مقتضى الحكمة الإلهية التى  
يترتب عليها الذات فلا سبيل إلى غير ذلك ، لأنه لا يجوز من  
حيث الإمكان أن يتحقق أحد بجميع الحقائق الإلهية بجهد من أول  
إيجاده ، لكن من كانت فطرته مجبولة على الألوهة ، فإنه يترقى فيها  
ويتحقق منها ، بما ينكشف له من ذلك شيئا بعد شئ مرتبا ترتيبا  
إلهيا ، وقد أشار الحق إلى ذلك بقوله تعالى : { وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً }  
[الفرقان/32] ، وهذا الحكم لا ينقطع ولا ينقضى بل لا يزال العبد فى  
ترف ، وهكذا لا يزال العبد فى تجل ، إذ لا سبيل إلى استيفاء ما لا  
يتناهى لأن الحق فى نفسه لا يتناهى (4) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن (4998) 660/8 .

2. انظر مصطلح الفرقان .

3. الإنسان الكامل 114/3 وانظر لطائف الإعلام 229/2 .

4. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص 1163 .

وأما القرآن العظيم الذى ورد فى قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } [الحجر/87] ، فإنه لا يعنى ما يتبادر إلى الذهن من وصف القرآن بالعظمة ، ولكن الصوفية يعنون به الجملة الذاتية ، لا باعتبار النزول ولا باعتبار المكانة ، بل مطلق الأحدية الذاتية التى هى مطلق الهوية الجامعة لجميع المراتب والصفات ، والشئون والاعتبارات (1) .

يقول الكاشانى : ( ولقد آتيناك سبعا ، أى الصفات السبع التى ثبتت لله تعالى ، وهى الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلم ، من المثاني التى كرر وثنى ثبوتها لك ، أولا فى مقام وجود القلب عند تخلقك بأخلاقه ، واتصافك بأوصافه فكانت لك ، وثانيا فى مقام البقاء بالوجود الحقانى بعد الفناء فى التوحيد ، والقرآن العظيم ، أى الذات الجامعة لجميع الصفات ، وإنما كانت لمحمد ع سبعا ، ولموسى تسعا لأنه ما أوتى القرآن العظيم ، بل كان مقامه التكليم ، أى مقام كشف الصفات ، دون كشف الذات ، فله هذه السبع ، مع القلب والروح ) (2) .

قال ابن عربى : ( فمن أراد أن يرى رسول الله ع ، ممن لم يدركه من أمته ، فلينظر إلى القرآن ، فإذا نظر فيه فلا فرق بين النظر إليه



، وبين النظر إلى رسول الله ﷺ ، فكأن القرآن انتشأ صورة جسدية ،  
يقال لها محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ، والقرآن كلام الله وهو  
صفته ، فكان محمد صفة الحق ( 3) .

1. السابق ص 1164 . 2. تفسير القرآن الكريم للكاشاني 1/670.

3. الفتوحات المكية 4/61 .

\*\*\*\*\*

## 63 - القلم

\*\*\*\*\*

القلم : يطلق على معنيين :

1- القلم خص بما يكتب به ، كقوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا  
يَسْطُرُونَ } [القلم/1] وقوله : { وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ  
{ [لقمان/27] (1) وعن عبادة بن الصامت ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال :  
" إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى بما هو  
كائن إلى الأبد " (2) .

2- القلم يطلق على القدح الذي يضرب به وجمعه أقلام ، وقد ورد  
في القرآن على هذا قوله تعالى : { وَمَا كُنْتُمْ لِيَدِيهِمْ إِذْ يُلْقُونَ  
أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ } [آل عمران/44] ، وقال ابن عباس : "

اقترعوا فجرت الأقلام مع الجرية ، وعال قلم زكريا الجرية ، فكفلها  
زكرياء " (3) .

## القلم في الاصطلاح الصوفي :

والقلم في الاصطلاح الصوفي يعنى علم التفصيل ، يقول  
الكاشانى : ( القلم —

1. المفردات ص412 ، وانظر معجم مقاييس اللغة مادة (قلم) .
2. أخرجه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن برقم (3319) وقال الشيخ الألبانى : صحيح  
424/5.
3. البخارى فى كتاب الشهادات 954/2.

علم التفصيل ، فإن الحروف التى هى مظاهر تفصيله فى مداد الدواة ، ولا تقبل التفصيل  
مادمت فيها ، فإذا انتقل المداد منها إلى القلم ، تفصلت الحروف به فى اللوح ، وتفصيل  
القلم إلى لا غاية (1) .

ويذكر الجيلى أن القلم الأعلى ، هو أول تعيينات الحق فى  
المظاهر الخلقية على التمييز ، وهو نور مخلوق من حضرة اقتضاءات  
الأسماء والصفات بظهور مؤثراتها لظهور الأثرة ، وهو مشهد  
يتجلى الله تعالى على العبد بتجلى علمى ، فيه يحكم الولى على  
الموجودات بما تقتضيه صفات الحق تعالى فيهما من الاقتضاءات  
المختلفة ، وفى هذا المشهد يتعرف العبد بالعقل الأول على حقيقة  
ما ينبغى (2) .

\*\*\*\*\*

القيامة : والقيامة أصلها ما يكون من الإنسان ، من القيام دفعة واحدة وأدخل فيها الهاء ، تنبيها على وقوعها دفعة ، والقيامة في عرف الشرع انبعثت بعد الموت إلى الحياة الأبدية ، حيث يقوم الخلق بين يدي الحى القيوم —

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص14 وانظر رشح الزلال ص137 .

2. الإنسان الكامل 5/2 ، وانظر المناظر الإلهية ص250 .

للعرض والحساب والجزاء (1) .

والقيامة وردت في القرآن والسنة ، في جميع المواضع على هذا المعنى كقوله تعالى : { لَا أُقْسِمُ بِبَيْتِ الْقِيَامَةِ } [القيامة/1] وكقوله سبحانه : { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ } [الزمر/60] ، وعن عائشة أم المؤمنين ، أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة ، رأيتها بالحبشة فيها تصاوير ، فذكرتا للنبي ﷺ ، فقال : " إن أولئك ، إذا كان فيهم الرجل الصالح ، فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة " (2) .

القيامة في الاصطلاح الصوفي :

القيامة في الاصطلاح الصوفي ، وضعها الصوفية على معنيين باطنيين ذكرهما الكاشاني فقال :

1- الانبعاث بعد الموت الإرادى ، إلى الحياة القلبية الأبدية ،  
فى عالم القدس ، كما قيل : من مات بالإرادة يحيا بالطبيعة ، وهى  
القيامة الوسطى المشار إليها فى قوله تعالى : { أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا  
فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ  
لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام/122] ويعنى أومن كان ميتا بالجهل ، وهو  
النفس باحتجابه بصفاتها ، فأحييناه بالعلم —

1. المفردات ص 417 لسان العرب 496/12 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة برقم (409) 607/1 .

ومحبة الحق ، أو بكشف حجب صفاته ، بتجليات صفاتنا ،  
وجعلنا له نورا من هدايتنا وعلمنا ، أو نورا من صفاتنا ، أو نورا منا  
بقيوميتنا له بذاتنا على حسب مراتبه ، كمن صفته فى ظلمات  
من نفسه وصفاتها وأفعالها ليس بخارج منها (1) .

2- الانبعاث بعد الفناء فى الله فى الحياة الحقيقية ، عند البقاء  
بالحق وهى القيامة الكبرى المشار إليها ، بقوله تعالى : { فَإِذَا  
جَاءَتْ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى }  
[النازعات/34:35] ، أى تجلى نور الوحدة الذاتية الذى يطم على كل  
شئ ، فيطمسه ويمحوه ، يومئذ يتذكر الإنسان ما سعى فى الأطوار  
، من مبدأ فطرته إلى فنائه وسلوكه فى المقامات والدرجات ، حتى  
وصل إلى ما وصل فيشكره (2) .

أما القيامة على المعنى القرآني ، فيطلقون عليها القيامة الصغرى ،  
وتعني الانبعاث بعد الموت الطبيعي إلى حياة في إحدى البرازخ  
العلوية أو السفلية بحسب حال الميت في الحياة الدنيوية (3) .

- 
1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص163 ، وانظر تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 400/1 .
  2. السابق ص163 ، وانظر تفسير القرآن الكريم 765/2 .
  3. السابق ص163 .

\*\*\*\*\*

## 65 - الكأس

\*\*\*\*\*

الكأس : الكأس هو الإناء بما فيه من الشراب ، وسمى كل واحد  
منهما بانفراده كأسا ، يقال : شربت كأسا طيبة ، يعني بها الشراب  
ومنه ، قوله تعالى : { وَكَيَّاسٍ مِّمَّنْ مَّعِينٍ } [الواقعة/18] وقوله : {  
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا } [الإنسان/17] وقوله : { إِنَّ  
الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا } [الإنسان/5] (1) ، وقال  
عكرمة : { وَكَأْسًا دِهَاقًا } [النبا/34] ملأى متتابعة ، وقال ابن عباس  
: " سمعت أبي يقول في الجاهلية : اسقنا كأسا دهاقا " (2) .

وقال عثمان بن عفان π : " اجتنبوا الخمر ، فإنها أم الخبائث ، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد ، فعلقته امرأة غوية ، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له : إنا ندعوك للشهادة ، فانطلق مع جاريتها ، فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه ، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت : إني والله ما دعوتك للشهادة ، ولكن دعوتك لتقع علي ، أو تشرب من هذه الخمرة كأسا ، أو تقتل هذا الغلام ، قال : فاسقيني من هذا الخمر — 1. المفردات ص 443، 444 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3840) 183/7 .

كأسا ، فسقته كأسا ، قال : زيدوني ، فلم يرم ، حتى وقع عليها ، وقتل النفس ، فاجتنبوا الخمر ، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر ، إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه " (1) .

## الكاس فى الاصطلاح الصوفى :

الصوفية تسمى حلاوة التقوى ، وجمال الكرامة ، ولذة الأناجى شربا والشراب لا بد له من كأس ، أو وعاء يحويه ، والكأس الحاوى للشراب عند الصوفية هو المفيض الذى يدلى بالفيض من الكأس على الشارب (2) .

يقول التهانوى : الكأس فى اصطلاح الصوفية ، يريدون به وجه المحبوب وفى بعض المواضع يأتى بمعنى الفيض (3) .

ويقول الكاشاني : { وَكَأْسًا دِهَاقًا } كأسا من لذة محبة الآثار  
ممزوجة بالزنجبيل والكافور ، لأن أهل جنة الآثار والأفعال ، لا  
مطمح لهم إلى ما وراءها ، فهم محبوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء  
عن المعطى (4) .

1. أخرجه النسائي في كتاب الأشربة برقم (5666) وقال الشيخ الألباني : صحيح موقوف  
315/8 .
2. كشف المحجوب ص475 وانظر مصطلح الشرب .
3. كشاف التهانوى ص1252 .
4. تفسير القرآن الكريم لابن عربى 759/2 .

\*\*\*\*\*

## 66 - الكتاب

\*\*\*\*\*

الكتاب : الكتاب فى الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه (1)  
، قال تعالى : { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ } [الأنعام/7] وقال  
تعالى : { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ  
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ } [آل عمران/78] والكتاب يطلق فى القرآن  
والسنة ويراد به ما يلى :

1- الكتاب يعنى القرآن ، وقال معمر فى قوله تعالى : { ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } [البقرة/2] هذا القرآن بيان ودلالة (2) ، وقال سبحانه وتعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا } [النساء/105] .

2- الكتاب يعنى التوراة الإنجيل جمعا أو أفرادا ، ففى الجمع بينهما قال تعالى : [ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ } [البينة/4] وفى أفراد التوراة قال تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ } [هود/110] وفى أفراد الإنجيل : { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا } [مريم/30] .

---

1. لسان العرب 698/1 ، والمفردات ص 423 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك .. } 512/13 .

3- الكتاب يعنى اللوح المحفوظ ، قال تعالى : { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام/38] وقال رسول الله ﷺ فى شأنه : " لما قضى الله الخلق ، كتب فى كتابه ، فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي غلبت غضبي " (1) .



4- الكتاب يطلق على ما يكتب بين العبد وسيده بحيث يدفع العبد ثمنًا معينًا لعتقه وحرّيته قال تعالى : { وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا } [النور/33] وصيغة الكتابة كما ذكرها النسائي :

( هذا كتاب كتبه فلان بن فلان في صحة منه ، وجواز أمر لفتاه الذي يسمى فلانا ، وهو يومئذ في ملكه ويده ، إني كاتبك على كذا من المال فإن وفيت ، فأنت حر لك ما للأحرار ، وعليك ما عليهم ، فإن أخللت شيئًا منه عن محله بطلت الكتابة ، و كنت رقيقًا لا كتابة لك ) (2) .

5- الكتاب يطلق على ما يكتبه الرقيب والعتيد من أعمال العبد قال تعالى : { وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَيَتْرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ } [الكهف/49] قال ابن كثير : أى كتاب الأعمال الذى فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (3194) 331/6 ومسلم فى كتاب التوبة برقم (2751) 2107/4.

2. أوردتها النسائي فى الأيمان والندور 119/3 . 3. تفسير ابن كثير 87/3 .

### الكتاب فى الاصطلاح الصوفى :

والكتاب فى عرف الصوفية ، يطلق على الوجود المطلق ، الذى لا عدم فيه (1) ، وهو على عدة أنواع بحسب الإضافة :

1- الكتاب المبين : وهو عبارة عن لوح القدر المحفوظ ، الذى هو النفس الكلية أو العقل الكلى ، وهو عبارة عن العلم الإلهى ، قال تعالى : { وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ } [الأنعام/59] يفسر حضرة العلم هذه ، إذ إن الرطب عبارة عن الوجود ، واليابسة كناية عن العدم ، ولا يتصور الإحاطة بهاتين المرتبتين ، إلا فى هذه الحضرة (2) .

2- الكتاب المسطور : هو الوجود المطلق على تفاريعه وأقسامه واعتباراته الحقية والخلقية ، وهو مسطور أى موجود مشهود فى الملكوت (3) ، وقال ابن عربى : ( اعلم أيدك الله ، إن العالم كتاب مسطور فى رق منشور ، هو الوجود ، فهو ظاهر مبسوط غير مطوى ، ليعلم ببسطه إنه مخلوق للرحمة وبظهوره يعقل ويعلم ما فيه وما يدل عليه ، وجعله تعالى كتابا لضم حروفه بعضها إلى بعض ) (4) .

---

1. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ص1242 .

2. السابق ص1242 .

3. الإنسان الكامل 88/1 .

4. الفتوحات المكية 455/3 .

3- الكتاب الإلهى : هو العلم الإلهى ، يقول ابن عربى : ( فلا حكم لخالق ولا مخلوق إلا بما سبق به الكتاب الإلهى ولذا قال : {

وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ { [ق/29] فما نجري عليهم إلا ما سبق به العلم ، ولا أحكم فيهم إلا بما سبق به ، فهذا موقف السواء الذى يوقف فيه ، وليس إلا العالم دليل على علمه بمن أنزله ، وليس إلا الرحمن الرحيم (1) .

4- الكتاب الجامع : الكتاب الجامع ، هو آدم عليه السلام الذى جمع بذاته الحقائق المتفرقة فى العالم ، يقول ابن عربى : ( فالعالم كله تفصيل آدم وآدم هو الكتاب الجامع ، فهو للعالم كالروح من الجسد ، فالإنسان روح العالم ، والعالم الجسد ) (2) .

5- كتاب الوجود : هو الوجود نفسه ، فهو أشبه بالكتاب المنظور والكتاب عند ابن عربى عبارة من باب الإشارة عن المبدع الأول ، ولما كان الكتاب يتضمن الفاتحة وغيرها لأنها منه ، وضح لها اسم الفاتحة من حيث أنها أول ما افتتح بها الكتاب ، كذلك العالم أول ما افتتح به كتاب الوجود (3) .

6- الكتاب الكبير : الكتاب الكبير عند ابن عربى هو العالم ، بل الوجود بأسره { وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ } [الطور/2:3] يقول : ( تلاه عليك —

1. السابق 455/3 .

2. السابق 67/2 .

3. السابق 11/1 .

سبحانه وتعالى لتعقل عنه إن كنت عالماً ، ولا يحجب عن ملاحظة المختصر الشريف من هذا المسطور الذى هو عبارة عنك ، فإن الحق تعالى تارة يتلو عليك من الكتاب الكبير الخارج ، وتارة يتلو عليك من نفسك (1) .

7- الكتاب المرقوم : يقول ابن عربى : ( الوجود كتاب مرقوم ، يشهده المقربون ويجهله من ليس بمقرب وتتويج هذا الكتاب ، إنما يكون بمن جمع الحقائق كلها وهى علامة موحدة ، فالإنسان الكامل الذى يدل بذاته من أول البديهة على ربه هو تاج الملك ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 67 - الكرسي

\*\*\*\*\*

الكرسى : الكرسي يقال على أمرين :

1- اسم لما يقعد عليه ، ورد فى قوله تعالى : { وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ } [ص/34] ، وعن علي  $\tau$  : " أنه أتى بكرسي فقعد عليه ثم دعا بتور فيه ماء " (3) .

وفى حديث أبي رفاعة  $\tau$  ، قال : " انتهيت إلى النبي  $\varepsilon$  ، وهو

يخطب

1. مواقع النجوم ص72

2. الفتوحات المكية 104/2 .

3. صحيح ، أخرجه النسائي في الطهارة (93) 68/1 ، وانظر المفردات ص 428 .

فقلت : يا رسول الله رجل غريب ، جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه ؟ قال : فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته ، حتى انتهى إلي فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدا ، فقعده عليه رسول الله ﷺ ، وجعل يعلمني مما علمه الله ، ثم أتى خطبته فأتى آخرها " (1) .

2- الكرسي اسم لموضع القدمين ، يكون بين يدي العرش ، ذكر في قوله تعالى : { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } [البقرة/255] وفسره النبي ﷺ فقال فيما رواه عبد الله بن عباس ر : " كرسية موضع قدميه ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل " (2) .

وقوله ﷺ عن أبي ذر ر : " ما الكرسي في العرش ، إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض " (3) ، والكرسي مخلوق من مخلوقات الله ، غيبي لا نعلم كيفيته ، لم نره ولم نر له نظيرا ، كما قال الله عز وجل : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى/11] .

---

1. أخرجه مسلم في كتاب الجمعة برقم (876) 597/2 .

2. رواه الحاكم في المستدرک 282/2 وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الشيخ الألباني : صحيح موقوفا أما المرفوع فهو ضعيف ، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 352 .

3. حديث صحيح رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم (58) الكويت ، والذهبي في العلو (150) مختصر الألباني والبيهقي في الأسماء والصفات ص 510 من حديث أبي ذر ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (109) ومختصر العلو ص 130 .

## - الكرسي في الاصطلاح الصوفي :

والكرسي في عرف الصوفية ، هو موضع الأمر والنهي ، لأنه عمر بالملائكة المدبرات وأسكنه ميكائيل ، وتدلت إليه القدمان فالكلمة واحدة في العرش ، لأنه أول عالم التركيب ، وظهر لها في الكرسي نسبتان ، لأنه الفلك الثاني ، فانقسمت به الكلمة فعبّر عنها بالقدمين ، كما ينقسم الكلام ، وإن كان واحداً إلى أمر ونهي ، وخبر واستخبار (1) .

ويشرح الكاشاني ، كيف أن الكرسي موضع الأمر والنهي ؟ ، فيبين أن الكرسي هو الثاني من الأجرام الطبيعية ، فهو موضع كل زوجين اثنين ، ومن ذلك الأمر والنهي ، فهو من حيث كونه محل انطباع لوح القدر محل تفصيل الصور ، وأول مراتب التفصيل اثنان ، فالكرسي منشأ الرسالة التي هي لتكميل صور الكثرة في طور تنزل الوجود ، وأول مراتب الصور القابلة للكمال اثنان ، ولذلك بعث الرسول من المرسل إلى المرسل إليه بالأمر (2) .

ويذكر الجيلي أن الكرسي تجلى جملة الصفات الفعلية ، فهو مظهر لاقتدار الإلهي ، ومحل نفوذ الأمر والنهي (3) ، يقول الجيلي : ( من تجلى الله عليه في الكرسي ، اتصف من الله تعالى بسائر الصفات المتقابلة الفعلية ، وبها يكشف له عن تجلى القدمين والنعلين قبضا وبسطا ونعمة ونعمة وهيبة وأنس ) (4) .

1. عقلة المستوفز ص 47 .

2. رشح الزلال ص 150 .

3. الإنسان الكامل 5/2 . 4. المناظر الإلهية ص 249

\*\*\*\*\*

## 68 - الكفر

\*\*\*\*\*

الكفر : الكفر في اللغة ستر الشيء ، ووصف الزارع به لستره  
البذرة في الأرض قال تعالى : { يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ }  
[الفتح/29] .

والكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوجدانية ، كقوله  
تعالى : { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ } [المائدة/73] ، أو  
النبوة كقوله في كفر اليهود بالرسالة المحمدية : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَبَا  
عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة/89] ، أو الشريعة {  
هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ  
الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا  
خَسَارًا } [فاطر/39] أو ثلاثتها (1) .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : " لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " (2) .

## الكفر في الاصطلاح الصوفي :

والكفر عند الصوفية يرد على المعاني الآتية :

1. لسان العرب 144/5 ، المفردات ص 432 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3268) 385/6 .

(1- الكفر هو الإيمان الحقيقى ، قال ابن عربى : ( وأما الإيمان ، فهو أمر عام ، وكذلك الكفر الذى هو ضده ، فإن الله قد سمى مؤمنا من آمن بالحق وسمى مؤمنا من يؤمن بالباطل ، وسمى كافرا من يكفر بالله ، وسمى كافرا من يكفر بالطاغوت ، والكافر من الأولياء من كان ختم الحق على قلبه لأنه اتخذ بيته وختم على سمعه ، فلا يصغى إلى كلام أحد إلا كلام ربه ) (1) .

(2- الكفر عالم التفرقة ، أو كفر الظلمة ، قال الكاشانى : ( لقد كفر ، أى حجب الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، واحد من جملة ثلاثة أشياء :

1- الفعل الذى هو ظاهر عالم الملك .

3- الصفة التى هى باطن عالم الملكوت .



4- الذات التي تقوم بها الصفة ويصدر عنها الفعل .

إذ ليس هو ذلك الواحد الذي توهموه ، بل الفعل والصفة في الحقيقة عين الذات ولا فرق إلا بالاعتبار ، وما الله إلا الواحد المطلق ، وإلا لكان بحسب كل اسم من أسمائه إله آخر ، فتعدد الآلهة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ( 2) .

(3- الكفر هو ستر الكثرة في الوحدة الذي يفنى تعينات الموجودات وكثرتها في بحر الأحدية ، بل يمحو وجود الذات الإلهية ، ويبقى بقاء الحق تعالى —

1. الفتوحات 136/2 ، 388/3 .

2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 339/1 .

فيصير عين الوحدة ، قال ابن عربي : ( ومنهم الكافرون ، يقصد الأولياء وهم الساترون مقامهم ، مثل الملامتية ، والكفار الزارعون ، لأنهم يسترون البذرة في الأرض ) (1) .

(4- الكافر من لم يكن قد عبر من مرتبة الصفات والأسماء والأفعال ، وألبس الحق تعالى الوجود والتعينات والتكثرات (2) .

ويذكر الجيلي أن الكفر ضرورة للموحد ، فلا بد أن يمر على قنطرة الكفر في ترقيه إلى حقيقة التوحيد ، وإلا لن يصل إليه ، ودليله على ذلك كلمة التوحيد نفسها فيقول :

( ألا ترى إلكلمة التوحيد إن وقفت على النصف الأول منها ،  
كان كفرا فلا يجوز أن تقول لا إله وتقف عنده ، ولا بد من قوله  
مردوفا بإلا لله فما وصلت إلى كلمة التوحيد إلا بعد كلمة الكفر )  
(3) .

ويبين أنه إذا كان هذا الظاهر في كلمة التوحيد ، فما هو القول  
الباطن والظاهر عنوان الباطن ، ومن ثم يؤكد على المعنى الذى ورد  
في قول الحسين بن منصور الحلاج :

( كشف الله عنك سر الكفر ، فإن فيه حقيقة الإيمان ، وحجب

عنك سر —————

1. الفتوحات 136/2.

2. كشاف التهانوى ص 1252 .

3. المناظر الإلهية ص 178 .

الإيمان فإن منه حقيقة الكفر ) (1) .

يقول الجبلى : ( وفي منظر الكفر ، يتجلى الحق تعالى على العبد  
بتجلى يستتر عنه حقائق ما يجب الإيمان به ، لظهور سيمات  
الجمال ، فيقال : كافر بمعنى سائر ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 69 - الكوكب

\*\*\*\*\*

الكوكب : الكوكب هو النجم اللامع ، وقد ورد اللفظ في قول  
الله عز وجل : { الزُّجَاجِۢةُ كَأَنَّهَا كَوَكِبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنۢ شَجَرَةٍ  
مُبَارَكَةٍ } [النور/35] وقوله تعالى : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا  
قَبَالَ هَذَا رَبِّي } [الأنعام/76] وقد ورد مجموعا في مواضع أخرى قوله  
تعالى : { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ } [الصفات/6] (3) .  
وفي السنة عن أبي هريرة ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : " أول زمرة  
تدخل الجنة ، على صورة القمر ليلة البدر ، والذين على إثرهم  
كأشد كوكب إضاءة " (4) .

1. السابق ص 178 .

2. السابق ص 178 .

3. تفسير ابن جرير الطبري 139/18 ، المفردات ص 420 ، والتعاريف ص 612 .

4. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق برقم (3246) 367/6 .

ومن حديث أبي سعيد الخدري ؓ ، أن رسول الله ﷺ قال : " إن  
أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم ، كما تتراءون الكوكب  
الدري الغابر من الأفق ، من المشرق أو المغرب " (1) .

## الكوكب في الاصطلاح الصوفي :

والكوكب في عرف الصوفية يطلق على ما يأتي :

1- الكوكب الحجة والبرهان لكونها ، تحفظ من كل شيطان  
من شياطين الأوهام ، والقوى التخيلية عند الترقى إلى أفق العقل ،

لتركيب الموهومات والمخيلات في المغالطات والتشكيكات ، ولقوله تعالى : { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ } [الصفات/6] (2) .

2- الكواكب تعنى الحواس ، وقوله تعالى : { وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ } [الانفطار/2] ، قال الكاشاني : أى الحواس إذا ماتت (3) .

3- الكوكب الدرى يعنى النفس الكلية ، شبهت به زجاجة قلب المؤمن التى هى روحه الحيوانية ، فقال تعالى : { الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ } [النور/35] ومعنى الدرى أى المنسوب إلى الدرة البيضاء المكنى بها عن العقل الأول فكانت النفس كوكبا دريا لمشابقتها الدر المعروف ، فإن الكوكب —

1. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة برقم (2831) 2177/4.

2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 337/2

3. السابق 776/2 .

بزيد ضياءا عليه زيادة كثيرة لا محالة ، إنما شبهت النفس بالعقل ، لأنه متخلل بينهما (1) .

4- كوكب الصبح ، وهو أول ما يبدو من التجليات ، وقد يطلق على المتحقق بمظهرية النفس الكلية ، من قوله تعالى : { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا } [الأنعام/76] (2) .

\*\*\*\*\*

اللوحة المحفوظ : هو أم الكتاب ، كتب الله فيه مقادير الخلائق ، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة (3) ، وقد ورد ذكره في قوله تعالى : { بَلِّغْ هَؤُلَاءِ نَبَأَ الَّذِي كُنَّا نَبِّئُكَ فِيهِ } [البروج/22:21] ، وعن عمران بن حصين ، قال رسول الله ﷺ : " كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في اللوح ذكر كل شيء " (4) .

1. لطائف الإعلام 250/2 .
2. معجم الكاشاني ص 89 .
3. انظر مصطلح ( أم الكتاب ) .
4. أخرجه أحمد في المسند برقم (19375) واللفظ له ، وأخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (7418) .

### اللوحة المحفوظ في الاصطلاح الصوفي :

يعنى عند الصوفية ، نور إلهي حقي متجلي في مشهد خلقى ، انطبعت الموجودات فيه انطبعا أصليا ، فهو أم الهيولى لأن الهيولى ، لا تقتضى صورة إلا وهى منطبعة فى اللوح المحفوظ ، فإذا اقتضت الهيولى صورته ما وجد فى العالم على حسب ما اقتضته الهيولى من الفور والمهلة (1) .

ويذكر ابن عربي أن اللوح المحفوظ ، هو النفس الناطقة الكلية ،  
وأن الله لما أوجد القلم الأعلى ، أوجد له في المرتبة الثانية ، هذه  
النفس التي هي اللوح المحفوظ ، وهي من الملائكة الكرام ، المشار  
إليه بكل شيء في قوله تعالى : { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ  
شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [الأعراف/145] ، وهو اللوح  
المحفوظ ، وقال تعالى : { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ }  
[البروج/21:22] ، فهو موضع تنزيل الكتب ، وهو أول كتاب سطر فيه  
الكون ، فأمر القلم أن يجرى على هذا اللوح ، بما قدره وقضاه مما  
كان من إيجاده ما فوق اللوح إلى أول موجود (2) .

يقول ابن عربي : ( فكان بين القلم واللوحة نكاح معنوي معقول  
وأثر حسي مشهود وكان ما أودع في اللوح من الأثر مثل الماء  
الدافق الحاصل في رحم الأنثى ، وما حصل من تلك الكتابة من  
المعاني المودعة في تلك الحروف —

1. معجم الكاشاني ص 90Y91 .

2. عقلة المستوفز ص 42 .

الجرمية بمنزلة أرواح الأولاد ) (1) ، ويقول الجيلي : ( اعلم أن اللوح  
مجملاً مجلتعين نبذة من علم الله في المحدثات ومن تجلى الله عليه في  
هذا المنظر تحقق بعلم ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة (2) .

\*\*\*\*\*

## 71 - ليلة القدر

\*\*\*\*\*

ليلة القدر : هي الليلة المباركة التي قال الله فيها : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ } [الدخان/3] ، وهي ليلة خير من ألف شهر ، كما قال تعالى : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمِيرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ } [القدر/ 5:1] ، وعن أبي هريرة  $\pi$  أن النبي  $\epsilon$  قال : " من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً ، غفر له ما تقدم من ذنبه " (3) .

### ليلة القدر في الاصطلاح الصوفي :

وليلة القدر عند الصوفية ، ليلة يختص فيها السالك بتجل خاص

يعرف به —————

1. الفتوحات 129/1 .
2. الإنسان الكامل 9/2 ، والمناظر الإلهية ص252.
3. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1901) 138/4 ، ومسلم فى كتاب صلاة المسافرين برقم (760) 523/1 .

قدره ورتبته بالنسبة إلى محبوبه ، قال الكاشانى : ( ليلة القدر هي ليلة مختصة من بين سائر الليالى بتجل لا يكون فى غيرها ، وأهل الظاهر يخصوصونها ببعض ليالى رمضان ، وأكثرها فى العشر الأواخر منه ، وعند أهل الطريق إنها لا تتقيد بل تقع فى جميع ليالى السنة ،

وذكر الشيخ ابن عربي أنه رآها في ليلة النصف من شعبان وفي غيرها من الليالي (1) .

ليلة قدر المريد : يعنى بها ابتداء وصول السالك إلى مقام البالغين في المعرفة وإلى التحقق بمظهرية حقيقة الحقائق ، ومرتبة الجمع والوجود ، وتارة يعنى بليلة القدر أوقات التجلى كيفما كان ، وإشاراتهم إلى المعنى الأول ، هو بقولهم : وليلة قدر المرء وقت لقائه ، وإلى المعنى الثانى أشار عمرو بن الفارض بقوله : وكل الليالى ليلة القدر .. الخ (2) .

\*\*\*\*\*

## 72 - المثل

\*\*\*\*\*

المثل : المثل عبارة عن قول فى شئ ، يشبه قولاً فى شئ آخر بينهما مشابهة ، ليبين أحدهما الآخر ويصوره ، وعلى هذا الوجه ضرب الله الأمثال فقال : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ } —

1. لطائف الإعلام 260/2 .

2. السابق 260/2 .



اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ { [الحشر/21] ، وقد يعبر بالمثل عن وصف الشيء ، كقوله تعالى : { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ { [محمد/15] (1) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ؑ قال : " إن من الشجر شجرة ، لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ ، قال ابن عمر : فوق الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة " (2) .

### المثل فى الاصطلاح الصوفى :

والمثل عند الصوفية ، هو الإنسان الكامل المشار إليه بقوله تعالى : { مَثَلٌ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ { [النور/35] ، لكون الإنسان هو مشكاة نور الحقائق الربانية ، ومعدن ظهور الأسماء الإلهية التى فطر عليها (3) .

ويقول الكاشانى : ( المثل هو الإنسان الكامل ، الظاهر بسر الخلافة فى الخليفة ، وهى صورة أحدية الجمع التى فطر عليها ، ومع ذلك مشهده فى الحق ، حجاب العزة لئلا يغلط فى نفسه ، ولا يذهل عن عبوديته ) (4) .

1. لسان العرب 610/11 ، والمفردات ص462 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب العلم برقم (131) 277/1.

3. لطائف الإعلام 260/2 ، وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص16 .  
4. رشح الزلال ص149 وانظر مصطلح ( الزجاجة ) .

\*\*\*\*\*

## 73 – مجمع البحرين

\*\*\*\*\*

– **مجمع البحرين** : اسم مكان محدد لموسى عليه السلام ، لما ورد من حديث أبي بن كعب  $\pi$  ، أن رسول الله  $\epsilon$  قال : " قام موسى عليه السلام خطيبا في بني إسرائيل ، فسئل أي الناس أعلم ؟ ، فقال : أنا أعلم ، قال : فعتب الله عليه ، إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه ، أن عبدا من عبادي بمجمع البحرين ، هو أعلم منك " (1) .

وذكر في قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا } [الكهف/60] والمراد بالبحرين مختلف فيه ، ولا دليل على تعيينه (2) ، ومجمع البحرين ملتقاهما ، ومنه قوله تعالى : { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ } [الرحمن/20:19] .

---

1. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن برقم (4726) 263/8 ومسلم في كتاب الفضائل برقم (2380) 1847/4 .

2. انظر في المراد بمجمع البحرين ، فتح القدير للشوكاني 298/3 ، وتفسير البيضاوى 509/3 ، وتفسير القرطبي 9/11 ، وتفسير ابن جرير الطبرى 271/15 ، وفتح البارى شرح صحيح

البخارى 408/8 ، و تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى لأبى العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، 468/8 .

## مجمع البحرين فى الاصطلاح الصوفى :

مجمع البحرين فى عرف الصوفية ، ملتقى العالمين عالم الروح وعالم الجسد وهما العذب والأجاج فى صورة الإنسانية ومقام القلب (1) .  
ويقول الكاشانى : مجمع البحرين هو حضرة قاب قوسين ، لاجتماع بحرى الوجوب والإمكان فيها ، وقيل هو حضرة جمع الوجود باعتبار اشتماهما على أعيان الأسماء الإلهية وحقائق الأعيان الكونية (2) .

ويذكر القشيرى أن الله خلق فى القلوب بحرين ، بحر الخوف وبحر الرجاء ويقال : القبض والبسط ، وقيل : الهيبة والأنس ، وهو قوله تعالى : { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ } [الرحمن/20:19] ، وقوله : { يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } [الرحمن/22] ، أى يخرج منهما اللؤلؤ والجواهر وهى الأحوال الصافية والطائف المتوالية (3) .

ويقول أيضا : البهران إشارة إلى النفس والقلب ، فالقلب هو البحر العذب ، والنفس هى البحر الملح ، فمن بحر القلب كل جوهر ثمين وكل حالة لطيفة ، ومن النفس كل خلق ذميم ، والدر

من أحد البحرين يخرج ومن الثاني لا يكون إلا التمساح ، مما لا  
قدر له من سواكن القلب يصون —

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 766/1 .

2. لطائف الإعلام 273/2 ، وانظر معجم الكاشاني ص 98 .

3. لطائف الإشارات 507/3 .

الحق هذا عن هذا ، فلا يبغى هذا على هذا (1) .

ويفسر الكاشاني البحرين في الآية السابقة ، ببحر الهيولى  
الجسمانية الذى هو الملح الأجاج وبحر الروح المجرد ، الذى هو  
العذب الفرات ، يلتقيان فى الوجود الإنسانى ، بينهما برزخ النفس  
الحيوانية ، التى ليست فى صفاء الأرواح المجردة ولطافتها ، ولا فى  
كدورة الأجساد الهيولانية وكثافتها ، لا يبغيان ولا يتجاوز أحدهما  
حده ، فيغلب على الآخر بخاصيته ، فلا الروح يجعل البدن من  
جنسه ، ولا البدن يجعل الروح ماديا ، وبالتقاءهما وتركيبهما يخرج  
منها لؤلؤ العلوم الكلية ، ومرجان العلوم الجزئية ، أى لؤلؤ الحقائق  
والمعارف ، ومرجان العلوم النافعة ، كالأخلاق والشرائع (2) .

\*\*\*\*\*

## 74 - المسافر

\*\*\*\*\*

المسافر : السفر كشف الغطاء ، ومنه سمي المسافر على اعتبار أن الإنسان سفر عن المكان والمكان سفر عنه (3) ، ورد اللفظ في القرآن والسنة على عكس المقيم كقوله تعالى : { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ —————

1. السابق 507/3 .

2. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 573/2 .

3. المفردات ص 233 ، ومعجم مقاييس اللغة مادة (سفر) .

أَيَّامٍ أُخَرَ } [البقرة/184] ، ومن حديث عمران بن حصين  $\tau$  ، قال : " كنا في سفر مع النبي  $\varepsilon$  ، وإنا أسرينا حتى كنا في آخر الليل ، وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس " (1) .

## المسافر في الاصطلاح الصوفي :

المسافر في عرف الصوفية ، هو الذى سافر بفكره في المعقولات ناظرا فيها من حيث كونها دلالات على مبدعها ، لا من حيث معرفة حقائقها وماهيتها ولوازمها وأحكامها الذاتية ، فإنها من هذه الحثية ، من سوانح الكشف والشهود المغنى عن أعمال القريجة والأفطار (2) .

ويذكر محي الدين بن عربي أن السفر هو الاعتبار ، حيث يعبر المسافر باعتباره ونظره في المعقولات ، من العدو الدنيا الخلقية التي فيها تتصف النفس بالعمى والجهالة إلى العدو القصى ، فينتهى

به الفكر إلى معرفة المبدع وتوحيده وحقائقه المقتضية وجود الخلق لظهورها به ، بل إلى معرفة كل شئ من حيث أنه يدخل تحت مثال العقل (3) .

وقد يراد بالمسافر أيضا ، من هجر أوطانه الطبيعية ، وملاذه الحيوانية بتصحيح معاملاته وتعديل أحواله (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب التيمم برقم (344) 533/1.

2. لطائف الإعلام 302/2 .

3. رشح الزلال ص 43 ، 44 .

4. لطائف الإعلام 302/2 ، وانظر السابق ص 43 ، 44.

\*\*\*\*\*

## 75 - المسامرة

\*\*\*\*\*

المسامرة : السمر ، سواد الليل ، ومنه قيل : لا آتيك السمر والقمر وقيل للحديث بالليل : السمر ، وسمر فلان إذا تحدث ليلا ، ومنه قول الله تعالى : { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ } [المؤمنون/67] (1) .

قال الإمام البخارى : " سامرا من السمر ، والجميع السمار ، والسامر ها هنا في موضع الجمع " (2) ، وقال عبد الله بن مسعود ؓ : " جذب لنا رسول الله ﷺ السمر بعد العشاء ، يعني زجرنا " (3) .

## المسامرة في الاصطلاح الصوفي :

المسامرة في عرف الصوفية ، تعنى وقتا للعبد مع الحق ليلا ، حيث تتفرد الأرواح بخفى مناجاتها ولطيف مناداتها في السر ، بلطيف وعتاب الأسرار عند خفى التذكار ، واستدامة طول العتاب مع صحة الكتمان ، ورؤية القلوب إلى ما توارت في الغيوب بأنوار اليقين (4) .

1. لسان العرب 376/4 ، والمفردات ص 242.
2. صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة المؤمنون 1769/4 .
3. أخرجه ابن ماجة فى الصلاة برقم (703) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 230/1.
4. انظر اللمع ص 426 ، وكشف المحجوب ص 624 ، وعوارف المعارف ص 527 والتعريفات ص 225 .

يقول محى الدين بن عربى : ( المسامرة خطاب الحق للعارفين ، من عالم الأسرار والغيوب : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } [الشعراء/193] ، وهو خصوص فى المحادثة ، فإن قلت : وما المحادثة ؟ ، قلنا : خطاب الحق للعارفين من عباده ، من عالم الملك ، كالنداء من الشجرة لموسى ، وهو فرع عن المشاهدة ) (1) .

يقول الكاشانى : وإنما كنوا عن ذلك بالمسامرة ، لأنها فى العرف عبارة عن المحادثة ليلا وأنشدوا :

يا قمرى ليلة الوصل إذا غاب القمر

ويا سميرى كلما استحلى لمحجوبى السمر (2)

\*\*\*\*\*

## 76 - المستريح

\*\*\*\*\*

المستريح : الروح التنفيس ، وقد أراح الإنسان إذا تنفس ،  
والراحة من الروح (3) ، قال تعالى : { وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ  
وَحِينَ تَسْرَحُونَ } [النحل/6] ، وقد ورد لفظ المستريح فى السنة على  
معنى الميت إذا وضع فى قبره —

1. الفتوحات 132/2 .

2. لطائف الإعلام 303/2 .

3. المفردات ص 205 ، والقاموس المحيط 282 ، وكتاب العين 292/3 .

وكان مؤمنا ، فعن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري ، أنه كان يحدث  
أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنابة ، فقال : مستريح ومستراح منه ،  
قالوا : يا رسول الله ، ما المستريح والمستراح منه ؟ ، قال : العبد  
المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله ، والعبد الفاجر  
يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب (1) .

المستريح فى الاصطلاح الصوفى :



وعند الصوفية المستريح من العباد ، من أطلعه الله تعالى على سر القدر لأنه يرى أن كل مقدور يجب وقوعه في وقته المعلوم ، وكل ما ليس بمقدور يمتنع وقوعه ، فاستراح من الطلب والانتظار لما لا يقع ، والحزن والتحسر على ما فات ، كما قال الله تعالى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا } [الحديد/22] (2) .

قال عبد الرزاق الكاشاني : ( المستريح من العباد : من أطلعه الله على سر القدر ، فإن المطلع عليه ، قد عرف تحققه بكون العالم تابعا للمعلوم ، وأنه واجب الوقوع ، فيستريح من وجهين : أحدهما : بوقوع الملائم وثانيهما : استراحته من انتظار ما يعلم أنه لو قدر —————

1. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق برقم (6512) 369/11 ، ومسلم في كتاب الجنائز برقم (950) 656/2 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشاني ص 104 .

لكان ، فمثل هذا لا يحزن لفائت ولا يعترض على واقع قال تعالى : { لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مِمَّا فَيَاتِكُمْ } [الحديد/23] ، وقال أنس : " ما قال لي رسول الله ﷺ منذ زمان خدمته في شيء فعلته لم فعلته ، ولا لشيء لم أفعله لم تفعله وإنما كان ﷺ يقول : لو قدر لكان " (1) .

\*\*\*\*\*

المسخ : تشويه الخلق والخلق ، وتحويلهما من صورة إلى صورة ،  
والمسخ ضربان (2) :

1- مسخ يحصل في الذات وهو مسخ الهيئة ، وكل ما ورد في  
القرآن والسنة على ذلك ، كقوله تعالى : { وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ  
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ } [يس/67] —

1. لطائف الإعلام 305/2 . والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (7179) 145/16 ،  
والهيثمي في موارد الظمآن برقم (1816) 450/1 ، واللفظ عندهما : ( خدمت النبي ﷺ  
عشر سنين ، فما بعثني في حاجة لم أتمها ، إلا قال : لو قضى لكان أو لو قدر لكان ) وأخرجه  
أحمد في المسند برقم (13005) ونصه عن أنس بن مالك ؓ قال : ( خدمت النبي ﷺ عشر  
سنين فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني فإن لامني أحد من أهل بيته ، إلا قال :  
دعوه ، فلو قدر أو قال : لو قضى أن يكون كان ) .
2. لسان العرب 55/3 ، والمفردات ص 468 .

وكما روى عن جابر بن عبد الله ؓ أن رسول الله ﷺ أتى بضب فأبى  
أن يأكل منه وقال : " لا أدري لعله من القرون التي مسخت " (1)

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري ؓ ، قال : " إن الله لعن أو  
غضب على سبط من بني إسرائيل ، فمسخهم دواب يدبون في  
الأرض ، فلا أدري لعل هذا منها فلست آكلها ولا أنهي عنها " (2)

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، قال  $\epsilon$  : " الفأرة مسخ ، وآية ذلك أنه يوضع بين يديها لبن الغنم فتشربه ويوضع بين يديها لبن الإبل فلا تذوقه " (3)

وعن ابن عمر  $\tau$  ، عن النبي  $\epsilon$  قال : " يكون في أمتي خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر " (4) .

2- مسخ قد يحصل في كل زمان وهو مسخ الخلق ، وذلك أن يصير الإنسان متخلقا بخلق ذميم من أخلاق بعض الحيوانات ، نحو أن يصير في شدة الحرص كالكلب وفي الشره كالخنزير ، وفي الغمارة كالثور ، وهذا لم يرد ذكره في القرآن أو السنة ، والمسيخ من الطعام ما لا طعم له (5) .

- 
1. أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح برقم (1949) 1545/3 .
  2. مسلم في كتاب الصيد والذبائح برقم (1951) 1546/3 .
  3. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق (3305) 403/6 ومسلم في كتاب الزهد برقم (2997) 2294/4 واللفظ لمسلم .
  4. أخرجه الترمذى في القدر (2153) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 456/4 .
  5. المفردات ص 468 .

### المسخ في الاصطلاح الصوفى :

والمسخ عند الصوفية ، هو عقاب من الله بتشويه باطن القلوب ، وتغيير أوصافها ، كما أن المسخ في الظاهر تشويه الخلقة في الذات

، قال أبو نصر السراج الطوسي : ( المسخ معناه مسخ القلوب ،  
وذلك للمطرودين من الباب ، كانت لهم قلوب متوجهة ،  
فمسخت بالإعراض عنها ، وجعلت توجهها إلى الحظوظ دون  
الحقوق ، فإذا قال القائل : فلان قد مسخ به معناه أى أعرض  
بقلبه ) (1) .

\*\*\*\*\*

## 78 – المسـيرون

\*\*\*\*\*

المسيرون : السيرة الطريقة والمذهب ، أو صحيفة الأعمال ،  
وجمعها سير والسيارة القافلة (2) ، والتسيير يرد في القرآن على  
ضربين (3) :

1- التسيير بالأمر والاختيار والإرادة من السائر ، نحو قوله

تعالى : { هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } [يونس/22] .

2- التسيير بالقهر والتسخير ، كتسخير الجبال ، كقوله تعالى :

---

1. اللمع للسراج الطوسي ص 448 .

2. المغرب للمطرزى 427/1

3. المفردات ص 247 .

{ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ } [التكوير/3] وقوله : { وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ  
فَكَانَتْ سَرَابًا } [النبا/20] .

## المسيرون في الاصطلاح الصوفي :

واصطلاح الصوفية على قولهم : نحن مسيرون ، لا يشعر بالمعنى  
الذى يحتويه اللفظ في اللغة ، بل يقصدون تسيير القلوب وسيرها  
عند انتقالها من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام ، كما أشار  
إلى ذلك يحيى بن معاذ الرازى فى قوله : ( الزاهد سيار والعارف  
طيار ) (1) ، يعنى فى سرعة الانتقال فى المقامات والأحوال عند  
الزوائد وطُرف الفوائد .

وقال الشبلى يريد سير القلوب :

لست من جملة المحبين إن لم : أجعل القلب بيته والمقاما  
وطوافى إخاله السير فيه : وهو ركنى إذا أردت استلاما  
(2) .

ويذكر الكاشانى معنى التسيير فى العرف الصوفى من خلال  
تفسيره لقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا  
قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَتِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ }  
[سبا/18] ، فالحضرة القلبية والسرية والروحية والإلهية ، بالتجليات  
الأفعالية والصفاتية والأسمائية الذاتية وأنوار المكاشفات والمشاهدات  
، قرى المقامات والمنازل الظاهرة مترائية —

1. اللمع للسراج الطوسي ص 442 .

2. السابق ص 443 .

ومتواصلة ، كالصبر والتوكل والرضا وأمثالها ، والسير فيها مقدر إلى الله وفي الله ، مرتبا يرتحل السالك في الترقى من مقام ، وينزل في مقام ، سيروا في منازل لنفوس ليالى ، وفي مقامات القلوب ومواردها ، أياما آمنين بين القواطع الشيطانية ، وغلبات الصفات النفسانية بقوة اليقين ، والنظر الصحيح على منهاج الشرع المبين (1) .

\*\*\*\*\*

## 79 - المشرق

\*\*\*\*\*

المشرق : الناحية التي تخرج منها الشمس في أول النهار ، والمشرق والمغرب إذا قيل بالإفراد فإشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب (2) ، وعن خالد العدواني  $\pi$  ، أنه أبصر رسول الله  $\varepsilon$  في مشرق ثقيف ، وهو قائم على قوس أو عصا ، حين أتاهم بيتغي عندهم النصر (3) ، أى الناحية التي تقابل الشمس عند شروقها في ثقيف . والمشرق في القرآن والسنة يعنى ناحية طلوع الشمس كقوله تعالى

: { رَبُّ —————

1. تفسير القرآن لابن عربى 308/2 .

2. لسان العرب 173/10 ، والمفردات ص 259 .

3. حديث حسن ، أخرجه أحمد في المسند برقم (18479) ، وفي سنده عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى وهو صدوق .

{ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكَيْلًا } [المزمل/9] وكقوله : { لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } [البقرة/177] وقوله : { لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنِ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة/142] .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة ، حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك " (1) ، وقال مجاهد { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ } [الرحمن/17] للشمس في الشتاء مشرق ، ومشرق في الصيف (2) .

## المشرق في الاصطلاح الصوفي :

والمشرق في عرف الصوفية يرد بمعنى التجلى ، ويعنون بذلك تجليات الذات قبل الفناء التام في عين أحدية الجمع (3) .

والكاشاني يفسر المشرق في قوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } [البقرة/115] على وجهين :

1- المشرق هو عالم النور والظهور ، الذى هو جنة النصارى ، وقبلتهم بالحقيقة هو باطنه ، والمغرب أى عالم الظلمة والاختفاء ،

الذى هو جنة اليهود ، وقبلتهم بالحقيقة هو ظاهره ، فأينما تولوا ،  
أى أىّ جهة تتوجهوا —————

1. أخرجه مسلم فى كتاب الحج برقم (1380) 1005/2.

2. البخارى تفسير سورة الرحمن 486/8.

3. معجم الكاشانى ص 104 .

من الظاهر والباطن ، فثم وجه الله أى ذات الله المتجلية بجميع  
صفاته (1) .

2- والله المشرق أى الإشراق على القلوب بالظهور فيها ، والتجلى  
لها بصفة جماله ، حالة شهوده وفنائه ، والغروب فيها بتستره  
واحتجابه بصورها وذواتها ، واختفائه بصفة جلاله ، حالة بقاءه بعد  
الفناء ، فأى جهة تتوجهوا حينئذ فثم وجهه ، لم يكن شئ إلا إياه  
وحده ، { يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [البقرة/142] ، أى  
طريق الوحدة التى تتساوى الجهات بالنسبة إليها ، لكون الحق  
المتوجه إليه ، لا فى جهة ، وكون الجهات كلها فيه وبه وله كما قال  
: { فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } (2) .

والمشرق عند الإضافة يتنوع مدلوله عند الصوفية فمن ذلك :

(1- مشارق الفتح : ويعنون بها الأسماء الكلية والصفات الأصلية  
التي هى مفاتيح الغيب وهى : الفتح والسميع والبصير والقادر من  
جهة أنه أول ما يفتح على السائر أنوار التجليات ، ويشرق عليه



من أشعة الذات إنما يكون مورد ذلك الفتح والإشراق في مبادئ سيره إلى حضرة أحدية الجمع ، فإذا قيل : مشارق الفتح فإنهم يعنون التجليات الأسمائية لأنها مفاتيح أسرار الغيب وتجلي الذات عندهم (3) .

---

1. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 80/1 .

2. السابق 91/1 .

3. لطائف الإعلام 307/2 .

(2) - مشارق شمس الحقيقة : ويعنون بها أعيان مفاتيح الغيب أيضا لأن نور الذات الأقدس إنما أشرق وطلع شمس حقيقة الهوية وطلع منها (1) .

(3) - مشرق القمر : ويعنى عندهم ظهور الخلق بنور الحق ، ويقال : ظهور الحق في عالم الصور ، ويقال : مشرق القمر : الإنسان المتحقق بمظهرية العقل المصور (2) .

(4) - مشرق الضمائر : هو أحد النقباء العلماء به ، وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وكشف الله لهم عن بواطن الأشياء ، وهم عبيد الإسم الباطن أطلعهم الله على ضمائر الناس وتجلي لهم باسمه ، قال الكاشاني : ( وسمى الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير ، (ت:440هـ) مشرق الضمائر لكون الله تعالى قد كشفه على

بواطن السرائر ، وقد رأى الجنيد قدس الله سره في المنام إبليس وهو  
عريان في السوق فقال : أما تستحي من الناس فقال : هؤلاء ليسوا  
بناس ، إنما الناس قوم في مسجد الشونيزي ، قال الجنيد رحمه الله :  
وأيت لأصلي الصبح في الشونيزي ، فلما وقع بصرى على الفقراء  
في المسجد ، سلمت عليهم ، فردوا السلام ، وقالوا : كذوب هو لا  
تغتر به ونحن أيضا لسنا من الناس ، فهذا من باب الإشراق على  
الضمائر ( 3 ) .

1. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشاني ص 104 .

2. لطائف الإعلام 307/2 .

3. السابق 307/2 ، 308 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية الكاشاني ص 104 .

\*\*\*\*\*

## 80 – مغرب الشمس

\*\*\*\*\*

مغرب الشمس : محل غروب الشمس قال تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا  
بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } [الكهف/86] وقال  
أيضا : { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ }  
[ك/39] .

وقال مجاهد : { وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ } [الرحمن/17] مغرب الشمس في الشتاء والصيف (1) وعن صفوان بن عسال ، قال رسول الله ﷺ : " إن من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا عرضه سبعون سنة ، فلا يزال ذلك الباب مفتوحا للتوبة ، حتى تطلع الشمس من نحوه ، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفسا إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا " (2) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : " إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى ، كمثل رجل استعمل عمالا ، فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط ، فعملت اليهود ، فقال : من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط ، فعملت النصارى ، ثم أنتم تعملون من ——— 1. انظر مصطلح المشرق .

2. صحيح ، أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن برقم (4060) .

العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين ، قالوا : نحن أكثر عملا وأقل عطاء ، قال : هل ظلمتكم من حقكم ؟ قالوا : لا ، قال فذاك فضلي أوتيه من شئت " (1) .

— مغرب الشمس في الاصطلاح الصوفي :

والصوفية تعنى بمغرب الشمس ، استثار الحق بتعيناته ، واستتار الروح بالجسد (2) ، قال الكاشاني : ( مغرب الشمس استتار العين بتعيناتها ويقال : استتار الحقيقة بملابسها ، ويقال : بطون الذات فى مظاهرها ويقال : بطون الحق فى الخلق ، ويقال : اشتباه الحق بالباطل ) (3) .

ويذكر الكاشاني فى قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ } [الكهف/86] ، أن القلب الذى ملك قرنيه لما بلغ مكان غروب شمس الروح ، وجدها مختلطة بالحماة وهى المادة البدنية الممتزجة من الأجسام الفاسقة ، كقوله : { مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } [الإنسان/2] ووجد عندها القوى النفسانية البدنية والروحانية (4) .

وقال أيضا فى قوله تعالى : { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } [الرحمن/17] أى مشرقى الظاهر والباطن ومغربيهما ، بإشراق نور الوجود المطلق على —

1. أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن برقم (4633) 145/8 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية الكاشاني ص 107 .

3. لطائف الإعلام 322/2 .

4. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربى 774/1 .

ماهيات الأجساد الظاهرة وغروبه فيها باحتجابه بما هياتها وتعينها  
به فله في ربوبيته لكل موجود شروق بإيجاده بنور الوجود وظهوره به  
، وغروب باختفائه فيه وتستره به بیره بهما (1) .

\*\*\*\*\*

## 81 – الملامتية

\*\*\*\*\*

اللامتية : لم يرد لفظ الملامتية في الكتاب والسنة ، ولكنه مشتق  
من مادة اللوم ، وهو عزل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم ، يقال :  
لمته فهو ملوم وقال تعالى : { فَيَلَا تَلُومِيُونِي وَلُومِيُوا أَنْفُسَكُمْ }  
[إبراهيم/22] ، وقال : { قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ } [يوسف/32]  
وقال سبحانه : { يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ }  
[المائدة/54] ، ويعنى لا يخافون في قول الحق ملامة الناس (2) .

وعن زيد بن أرقم ، قال لما قال عبد الله بن أبي : { لَا تُنْفِقُوا  
عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا } [المنافقون/7] ، وقال أيضا :  
{ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ } [المنافقون/8] ،  
أخبرت به النبي ﷺ فلامني الأنصار ، وحلف عبد الله بن أبي ما قال

ذلك ، فرجعت إلى المنزل فنمت —

1. السابق 572/2 .

2. المفردات ص 456 ، 457 .

فدعاني رسول الله ﷺ ، فأتيته فقال : إن الله قد صدقك ونزل : [ هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا { [المنافقون/8] (1) .

وعن أبي هريرة ر ، قال رسول الله ﷺ : " احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ ، فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق ، فقال : رسول الله ﷺ فحج آدم موسى مرتين " (2) .

### الملامتية في الاصطلاح الصوفي :

والملامتية هم أعلى الطائفة عند الصوفية وأفضلها ، وهم الذين يفعلون ما يوجب ملامة الناس في الظاهر حفظا منهم على الباطن ، فيقوم بعمل شئ عجيب لا يقره الناس ، كأن يفطر في نهار رمضان لينفض عنه الناس بينما يكون في الباطن على سفر (3) .

يقول على بن عثمان الهجویری في وصف الملامتية : ( إن أهل هذه الجماعة من الصوفية يتميزون عن الخلق أجمعين ، بأنهم يختارون أن تلام أجسامهم لتسلم قلوبهم وهذه مرتبة عالية لا يصل إليها الزهاد والعباد وأعيان الخلق في العصور الغابرة ولكنها خاصة بأفراد هذه الأمة الذين يسبحون في —

1. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن برقم (4902) 515/8

2. أخرجه البخارى فى كتاب احاديث الأنبياء برقم (3157) 297/6.

3. أصول الملامتية وغلطات الصوفية ص 141 .

طريق الابتعاد الكامل عن شئون هذه الدنيا (1) .

وعند ابن عربى الملامتية ، هم الذين لم يظهر على ظواهرهم مما فى بواطنهم أثر البتة ، وهم أعلى الطائفة وتلامذتهم يتقبلون فى أطوار الرجولية ، فهم الأخفياء الأبرياء ، الأمناء فى العالم ، الغامدون فى الناس ، ولا يدوم التجلى إلا لهذه الطائفة على الخصوص (2) .

ويذكر الكاشانى أن الملامتية من الصوفية ، هم أعلى الطائفة لاقتدارهم على سر الأسرار الجليلة الإلهية ، وإخفائها كما ينبغى ، كمن ألقى إليه سر الكمال الجمعى فى أنهى مراتب العروج إلى ربه ، الذى إليه المنتهى فلم يظهر أثره على ظاهره قطعا ، ومن ألقى إليه روح التكلم من وراء حجاب فى عروجه إلى أفق من آفاق الكون المحسوس ، ظهر أثر الإخفاء على وجهه حتى صان الأبصار من ابتهار نوره ، وترك ما يرفع مقداره على أنجب أفراد الكون وتلامذتهم يتقبلون فى أطوار الرجولية ، لأنهم يؤثرون حظ الغي رعى حظوظ أنفسهم ، ولا يمتنون عليه فى ذلك ، فعليهم تدور أفلاك الفتوة (3) .

ويشرح الجيلى وصف الملامتية ، فيقول : التلامت منظر يتجلى

الحق —————

1. كشف المحجوب ص 80 ، 81 .

2. الفتوحات المكية 1/181 ، وانظر مواقع النجوم ص48 ، اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص4 .

3. رشح الزلال ص67 ، 68 .

تعالى على العبد فيه بتجل تتغرب فيه أحوال العبد على الخلق ، فلا يظهر منه فعل ولا قول ، ولا يكون على حال إلا وهو موجب لملامتهم عليه ، لأنه قد بعد عليهم فهم ما هو عليه ، فلاموه فيما لم يوافق مرادهم من أمره جهلا بحاله ، وليس في أمره موافقا لهم ، فهم يلومونه تارة بحكم النقل ، وتارة بحكم العقل ، وتارة بحكم العادة (1)

\*\*\*\*\*

## 82 – المنهج الأول

\*\*\*\*\*

المنهج الأول : النهج الطريق الواضح ونهج الأمر وضح ، ومنهج الطريق ومنهاجه كقوله تعالى :

{ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة/48] (2) ، وقال عبد الله بن سلام : " بينما أنا نائم ، إذ أتاني رجل ، فقال لي : قم فأخذ بيدي فانطلقت معه ، فإذا أنا بجوادُّ عن شمالي ، قال : فأخذت لآخذ فيها ، فقال لي : لا تأخذ فيها ، فإنها طرق أصحاب الشمال ، قال : فإذا جوادُّ منهنج على يميني ، فقال لي



: خذ ها هنا ... قال : فأتيت النبي ع ، فقصصتها عليه فقال : أما

الطرق التي رأيت عن يسارك ، فهي طرق أصحاب الشمال —

1. المناظر الإلهية ص 168 .

2. لسان العرب 383/2 ، والمفردات ص 506 .

وأما الطرق التي رأيت عن يمينك ، فهي طرق أصحاب اليمين ،

ولن تزال متمسكا بها حتى تموت " (1) ، ومعنى جَوَادٌ مَنْهَجٌ الطريق

الواضح السالك .

## المنهج الأول في الاصطلاح الصوفي :

والصوفية يقصدون بالمنهج الأول ، انتشاء الأسماء والصفات عن

الوحدة الذاتية ، وكيفية انتشاء جميع الصفات والأسماء في رتب

الذات ، فمن أشهده الله صورة الانتشاءات الحاصلة عن الوحدة ،

التي هي منشأ جميع التعينات وعرفه ظهورها في المراتب الوجودية ،

ترتيبا وبدءا وإيجادا وعودا ، فقد دله الحق على أقرب السبل من

المنهج الأول (2) .

والمنهج في عرف الصوفية ، يطلق على طريق الباطن ، فكما أن

لأهل الظاهر منهجا هو الشرع ، فكذلك الصوفية لهم منهج باطنى

، لقوله تعالى : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } [المائدة/48] ،

قال الكاشانى في تفسيره الصوفى : ( لكل جعلنا منكم موردا كمورد

النفس ، ومورد القلب ومورد الروح ، وطريقا كعلم الأحكام

والمعاملات ، التي تتعلق بالقلب ، وسلوك طريق الباطن الموصل إلى  
جنة الصفات ، وعلم التوحيد والمشاهدة ، الذي يتعلق بالروح ،  
وسلوك طريق الفناء الذي يوصل إلى جنة الذات ( 3 ) .

1. أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (2484) 1931/4.
2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 109 ولطائف الإعلام 322/2 .
3. تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 329/1 .

\*\*\*\*\*

## 83 – الموت

\*\*\*\*\*

الموت : أنواع بحسب أنواع الحياة (1) :

الأول : ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات  
والنبات نحو قوله تعالى : { كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا }  
[الروم/50] ، وقوله سبحانه : { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا } [ق/11] ،  
وقال عروة : " قضى عمر بن الخطاب  $\tau$  في خلافته ، أن من أحيأ  
أرضا ميتة ، فهي له " (2) .

الثاني : زوال القوة الحاسة ، نحو قوله تعالى : { قَالَتْ يَا لَيْتَنِي  
مِتُّ قَبْلَ هَذَا } [مريم/23] ، وقوله سبحانه : { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا  
مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا } [مريم/66] ، ومن حديث أنس  $\tau$  ، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنيا للموت ، فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي " (3) .

الثالث : زوال القوة العاقلة وهى الجهالة ، نحو قوله تعالى : {

أَوْ مَنْ كَانَ ———

1. المفردات فى غريب القرآن ص 476 ، 477 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب المزارعة برقم (2335) 23/5 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات برقم (6351) 119/11 .

مَيْتًا فَأَخْيَيْنَاهُ { [الأنعام/122] ، وإياه قصد بقوله : { إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى } [النمل/80] ، وفى حديث عقبه بن عامر  $\pi$  ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، أفأريت الحمو ؟ ، قال : الحمو الموت " (1) .

الرابع : الحزن المكدر للحياة ، من مرض أو عذاب أو ألم ، أو غير ذلك كقوله تعالى : { يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ } [إبراهيم/17] ، وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " سقطت قلادة لي بالبيداء ، ونحن داخلون المدينة ، فأناخ النبي  $\varepsilon$  ونزل ، فثنى رأسه فى حجري راقدا ، وأقبل أبو بكر

فلكزني لكزة شديدة ، وقال : حبست الناس في قلادة ، في الموت  
لمكان رسول الله ﷺ ، وقد أوجعني " (2) .

الخامس : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ، وعلى هذا  
النحو سماها الله تعالى توفيا ، فقال : { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ  
{ [الأنعام/60] وقوله : { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ  
فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى } [الزمر/42] .

السادس : بقاء أهل الخلدین وانعدام الموت ، فمن حديث عبد  
الله بن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " إذا صار أهل  
الجنة إلى الجنة —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب النكاح برقم (5232) 242/9 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن برقم (4608) 121/8 .

وأهل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم  
يذبح ثم ينادي مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا  
موت ، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا  
إلى حزنهم " (1) .

## الموت فى الاصطلاح الصوفى :

يذكر الكاشانى أن الموت فى اصطلاح الصوفية ، هو قمع  
هوى النفس فإن حياتها به ، ولا تميل إلا لذاتها وشهواتها ،

ومقتضيات الطبيعة البدنية إلا به ، وإذا مالت إلى الجهة السفلية جذبت القلب ، الذى هو النفس الناطقة إلى مركزها ، فيموت عن الحياة الحقيقية بالجهل ، فإذا ماتت النفس عن هواها بقمعه ، انصرف القلب بالطبع والمحبة الأصلية إلى عالمه ، عالم القدس والنور والحياة الذاتية ، التى لا تقبل الموت أصلا ، وإلى هذا الموت أشار أفلوطن بقوله : مت بالإرادة تحيا بالطبيعة (2) .

ويتنوع مفهوم الموت عند الصوفية حسب التأويلات الباطنية للفظ سواء كان منفردا أو مضافا فمن ذلك :

(1- الموت : هو التوبة أخذا من قوله تعالى : { فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ } [البقرة/54] فمن تاب عند الصوفية ، فقد قتل نفسه (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق برقم (6548) 423/11.

2. لطائف الإعلام 342/2 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 110.

3. السابق 34/2 .

(2- الموت الأحمر : وهو مخالفة النفس ، ويستدلون له ، بحديث منسوب إلى رسول الله ﷺ قال : " رجعنا من الجهاد الأصغر ، إلى الجهاد الأكبر قالوا : يارسول الله ، وما الجهاد الأكبر ؟ ،

قال : مخالفة النفس " (1) ، وقال تعالى : { أَوْ مَرِيضًا مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ } [الأنعام/122] يعنى : ميتا بالجهل فأخييناه بالعلم (2) .

(3- الموت الأبيض : الجوع لأنه ينور الباطن ، ويبيض وجه القلب ، فإذا لم يشبع السالك لا يزال جائعا ، مات الموت الأبيض ، فحينئذ تحيا فطنته لأن البطنة تमित الفطنة ، فمن ماتت بطنته ، حيت فطنته (3) .

(4- الموت الأخضر : ليس المرقع من الخرق الملقاة التى لا قيمة لها ، فإذا قنع من اللباس الجميل بذلك ، واقتصر على ما يستر العورة ، ويصح فيه الصلاة ، فقد مات الموت الأخضر لا خضرار عيشه بالقناعة ، ونضارة وجهه بنضرة الجمال الذاتى الذى حى به واستغنى عن التجميل العارضى (4) .

(5- الموت الأسود : هو احتمال أذى الخلق ، فإذا تحقق السالك بالمقام الذى يصير فيه ، بحيث لا يجد فى نفسه حرجا مما يناله من أذى الناس وسبهم —

1. انظر كشف الخفا للعجلونى حديث رقم (1362) .

2. لطائف الإعلام 343/2 .

3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 111 .

4. لطائف الإعلام 344/2 .

وشتمهم وغير ذلك ، فقد مات الموت الأسود ، ويجيا بالإمداد من حضرة الجواد ، لأنه يصير ممن قد شاهد النعم الباطنة عن غيره ،

حين صارت في حقه ظاهره ، فلم يتألم في نفسه ، بل يتلذذ به  
لكونه يراه من محبوه (1) .

يقول الكاشاني : ( الموت الأسود وهو الفناء في الله لشهوده  
الأذى منه برؤيته فناء الأفعال في فعل محبوه ، بل برؤية نفسه  
وأنفسهم فانين في المحبوب وحينئذ يحى بوجوده الحق من إمداد  
حضرة الوجود المطلق ) (2) .

\*\*\*\*\*

## 84 – الميزان

\*\*\*\*\*

الميزان : الوزن معرفة قدر الشيء ، والميزان يطلق على معنيين :  
1- الميزان بالمعنى الحسى المدرك ، وهو المتعارف عليه في الوزن  
سواء في الدنيا والآخرة :

أ- فميزان الدنيا معلوم المعنى والكيف ، وعليه ورد قوله تعالى :  
{ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } [المطففين/3] ، وقوله سبحانه :  
{ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ } [الإسراء/35] ، وقوله عز وجل :  
{ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ } [الرحمن/9] ، ومن حديث  
جابر بن عبد الله —————

1. السابق 345/2 .

2. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 113 .

رضى الله عنه قال : " فأمر ε بلالا أن يزن له أوقية ، فوزن لي بلال فأرجح لي في الميزان " (1) .

ب- والميزان في الآخرة شئ مخلوق حقيقى ، موضوع لوزن الأعمال له كفتان ، معلوم المعنى مجهول الكيف ، قال تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } [الأنبياء/47] ، وقال تعالى : { فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ } [القارعة/ 9:6] روى عن أبي مالك الأشعري τ ، قال رسول الله ε : " الطهور شرط الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان " (2) ، ومن حديث عبد الله بن عمرو τ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة " (3) .

2- الميزان المعنوى ، كقوله تعالى : { وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ } [الحجر/19] إشارة إلى كل ما أوجده الله —————

1. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2097) 375/4 ، وانظر المفردات فى غريب القرآن ص522 .

2. مسلم فى كتاب الطهارة برقم (223) 203/1 .

3. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد برقم (4300) ، وقال الشيخ الألبانى : صحيح 1437/2 .



تعالى وأنه خلقه باعتدال (1) .

وعن أبي بكر  $\tau$  ، أن النبي  $\epsilon$  قال ذات يوم : من رأى منكم رؤيا ؟ فقال رجل : أنا ، رأيت كأن ميزانا نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن أبو بكر وعمر ، فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان ، فرجح عمر ، ثم رفع الميزان ، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم (2) .

### الميزان في الاصطلاح الصوفي :

الميزان عند الصوفية يعنى ما به يتوصل الإنسان إلى معرفة الأراء الصائبة والأقوال السديدة ، والأفعال الجميلة وتميزها من أضرارها ، وهو العدالة التى هى ظل الوحدة الحقيقية المشتملة على علم الشريعة والطريقة والحقيقة ، لأنها لم يتحقق بها صاحبها ، إلا عند تحققه بمقام أحدية الجمع والفرق (3) .

والميزان عند الصوفية يتنوع مدلوله بحسب الإضافة على ما يأتى (4) :

1- ميزان العموم : وهو ما به يتميز نفس الإنسان عن نفوس الأنعام بظاهر العقل المعيشى المقيد بأمور دنيوية ، وهذا ميزان شارك المسلمين

---

1. لسان العرب 446/12 ، وكتاب العين 386/7 ، والمفردات ص 522 .

2. أخرجه الترمذى فى كتاب الرؤيا برقم (2287) وقال : حديث حسن صحيح وقال الشيخ الألبانى : صحيح 540/4.

3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص 113 .

4. لطائف الإعلام 348/2 .

فيه من ليس من أهل الحق ، من اليهود والنصارى وغيرهم ، لأنه ميزان مقتصر فى زمانه على ما يتعلق بالأمور الدنيوية ، غير متعدد عنها إلى شئ من الأمور الأخروية ، قال تعالى : { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [الروم/7] .

2- ميزان الخصوص : وهو العقل المنور بنور الشرع المطهر الهادى إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

3- ميزان الخصوص الظاهرى : وهو علم الشريعة المبين غايات الهيئات البدنية من الأفعال والأقوال النافعة منها والضار ، فيما يتعلق بخير العافية وشرها اللذين هما السعادة والشقاوة الأخرى .

4- ميزان الخصوص الباطنى : وهو علم الطريقة ، المبين غايات الهيئات النفسانية والروحانية .

5- ميزان الخصوص السرى : وهو علم الحقيقة المبين لعلم أسرار المحكم تبيان كل شئ وهو القرآن المجيد ، الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه لقوله تعالى : { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت/42] ، فهذا

الكتاب هو الميزان المتضمن بيان شريعة من أرسل به ع ، وهى  
الشريعة العامة الحكم الشاملة النفع الجامعة خلاصة الشرائع ،  
المتصدية لبيان ما يحتاج إليه من تكميل الهيئات البدنية من  
الأفعال والأقوال ، والمتضمن لبيان دقيق علم الطريقة المتعلقة  
، بتكميل الهيئات النفسانية ، والصفات الروحانية والأحوال  
القلبية ، من تعديل الأخلاق ، ومعرفة آفات النفس ونحو ذلك  
، والمتضمن لبيان ما يحتاج إلى تحقيقه من علوم الحقيقة  
المشتملة على أسرار الربوبية ، والمعرفة الحقيقية للحق تعالى .

6- ميزان المراتب : هو العبد الذى أعزه الله بطاعته ، ولم يذله  
بمعصيته فصار ميزانا للخلائق فى إعزازهم وإذلالهم ، إذ كان  
عز كل عزيز وذل كل ذليل ، إنما يؤذن بمرتبته .

7- ميزان خاصة الخاصة : وهو العدل الإلهى ، الذى لا يتحقق  
به إلا الإنسان الكامل (1) .

\*\*\*\*\*

## 85 - النار

\*\*\*\*\*

النار : النار ترد على معنيين :

1- النار تقال للهب الذى يبدو للحاسة ، سواء فى الدنيا أو الآخرة :

أ- فنار الدنيا كقوله تعالى : { أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ } [الواقعة/71] وقوله : { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ } [البقرة/17] .

1. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشانى ص113 .

وعن أبي هريرة  $\pi$  أنه قال : " بعثنا رسول الله  $\epsilon$  فى بعث ، فقال : إن وجدتم فلانا وفلانا فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول الله  $\epsilon$  حين أردنا الخروج : إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما " (1) .

ب- ونار الآخرة أعادنا الله منها وهى المذكورة ، فى قول الله تعالى : { النَّارُ وَعِيدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا } [الحج/72] وقوله : { فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة/24] ، وعن ابن عباس  $\pi$  أن النبي  $\epsilon$  قال : " أريت النار ، فإذا أكثر أهلها النساء " (2) .

2- النار على الوجه المعنوى ، كمنار الحرب المذكورة فى قوله : { كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ } [المائدة/64] (3) .

## النار في الاصطلاح الصوفي :

النار تطلق في عبارة القوم على عدة معان فمنها :

(1- النار : تطلق على الله ويريدون بها ظهور الحق تعالى محتجبا بالصورة النارية ، فلما كان هو الظاهر في كل مفهوم ، الباطن على كل فهم ، صار يلتبس على الناظر عندما يراه في كل شئ ، بحيث ينحجب بمجاليه عن تجليه —

1. أخرجه البخارى فكتاب الجهاد والسير برقم (3016) 173/6.

2. أخرجه البخارى فكتاب الإيمان برقم (29) 104/1.

3. المفردات ص 508 .

فينحجب عن رؤية وجوده عند ظهوره في الموجودات ، التي كلها أشعة نوره الوجودى ، فكان الانحجاب بالنار هو المجوسية ورؤية الثنوية و، هى تشبيه النورية الحقية بالنار الخلقية ، قال ابن الفرض :  
رأوا ضوء نورى مرة فتوهموا : نارا فضلوا فى الهدى بالأشعة  
(1)

(2- النار : حال الإنسان البالغ فى أول أوان بلوغه ، عند كمال عقله فى قوته النظرية والعملية ، فيعبر عن هذه المعانى كلها ، بالإيناس المذكور فى قوله تعالى : { إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى } [طه/10] ، فإن الإنسان إذا صار من أهل الإيناس المكنى عنه

بكمال عقله ، صح له الدخول إلى حضرة ربه ، إذ لا ضار له ولا مانع ، إلا كونه من أهل النقص ، الذين لا يليق بهم الولوج في حضرات القدس ، فإذا زال نقصه عندما صار من أهل الإيناس المكنى به عن كمال عقله ، حتى زال المانع الموجب للعبد ، تحقق بحقيقة القرب : { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى } [طه/11] (2) .

قال الكاشاني عن موسى عليه السلام في الآية السابقة : ( إذ رأى نارا رأى روح القدس ، التي ينقذ منها النور في النفوس الإنسانية رآها باكتحال

---

1. لطائف الإعلام 354/2 وانظر تفسير القرآن الكريم منسوب لابن عربي 35/2.

2. السابق 353/2

عين بصيرته بنور الهداية ، فقال للقوى النفسانية اسكنوا ، ولا تتحركوا إذ السير إنما يصير إلى العالم القدسي ، ويتصل به عند هذه القوى البشرية من الحواس الظاهرة والباطنة الشاغلة لها إني آنست نارا (1) .

(3- مشاهدة الملك النازل بالوحي ، واتصاله برقيقه الإمداد من حضرة الجواد ، وعلى هذا المعنى يكون المفهوم من قوله تعالى : { يَكْبَادُ زَيْتُهَا يُضْتِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَيَّ نُورٌ يَهْدِي اللَّهُ

لنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ } [النور/35] فحال الإنسان البالغ في كمال قابلية قلبه التقى النقى ، بحيث يكاد أن يكون في قبوله لما يرد عليه من حرات القدس غير محتاج إلى واسطة ملك ولا سبب فهذا هو معنى النار الوارد في آية النور (2) .

(4- النار نعيم أهلها ، ويذكر ابن عربي أن من يدخل النار ، ورودا عارضا ، فذلك لكونها طريقا إلى دار الجنان ، فإن تألموا في أول دخولها فذلك إلى حد معلوم ، حتى إذا انتهى الحد فيهم ، أقاموا فيها بالأهلية لا بالجزاء ، فعادت النار عليهم نعيما ، فلو عرضوا عند ذلك على الجنة لتألموا لذلك العرض ، لو أخرجوا منها في المآل لتضرروا ، فلهم فيها نعيم مقيم لا يشعر به إلا العلماء بالله (3) .

---

1. تفسير ابن عربي 34/2 .

2. لطائف الإعلام 354/2 .

3. الفتوحات المكية 120/4 ، ص137.

(5- قال ابن عربي : ( النار وهى دار الغضب ، قال : فيضع الجبار فيها قدمه ، فتقول : قط قط أى قد امتلأت ، وليست تلك القدم إلا غضب الله فإذا وضعه فيها امتلأت ، فإنها دار الغضب ، واتصف الحق بالرحمة الواسعة فوسعت رحمته جهنم بما ملأها به

من غضبه ، فهي ملتذة بما اختزنته ، ورحم الله من فيها أعنى في النار فيجعل لهم نعيما فيها ) (1) .

وقال أيضا : ( لا تكون هذه الرحمة في الدار الآخرة ، إلا لأهل الجنان ثم أثبت النعيم المبين لأهل الشقاء ، فالنعيم هو عين الرحمة عند سائر أهل الله والنعيم منه نعيم خالص مختص بأهل الجنان ، ومنه نعيم ممتزج بالعذاب مختص بأهل جهنم : يسمى عذابا من عذوبة طعمه : وذاك كالقشر والقشر صائن (2) .

\*\*\*\*\*

## 86 – النعلان

\*\*\*\*\*

**النعلان** : النعل ما وقيت به القدم من الأرض ، ونعل الدابة ما وقى به حافرها وخفها ، ويقال لحمار الوحش ناعل لصلابة حافره ، ويقال أيضا : نعل السيف للحديدة التي في أسفل جفنه (3) .

1. السابق 386/2 .

2. فصوص الحكم ص122 ، ص123 .

3. لسان العرب 667/11 ، وكتاب العين 143/2 ، المفردات ص499 .

وقد ورد ذكر النعلين في القرآن ، في موضع واحد ، في قوله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام : { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ



بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } [طه/12] ، ووردت في السنة في عدة مواضع منها ما روى عن عيسى بن طهمان قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالاتان ، قال أنس بن مالك  $\tau$  : إنهما نعلا النبي  $\varepsilon$  " (1) .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن النبي  $\varepsilon$  قال لبلال عند صلاة الفجر : " يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دفَّ نعليك بين يدي في الجنة ؟ " (2) .

ومن حديثه أيضا  $\tau$  قال : " أعطاني رسول الله  $\varepsilon$  نعليه ، وقال : اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه ، فبشره بالجنة ، فكان أول من لقيت عمر ، فقال : ما هاتان النعلان يا أبا هريرة ؟ فقلت : هاتان نعلا رسول الله  $\varepsilon$  " (3) .

## النعلان في الاصطلاح الصوفي :

والنعلان في العرف الصوفي لهما من الاصطلاحات الباطنة المعاني

المتنوعة : ———

1. أخرجه البخارى في كتاب فرض الخمس برقم (3107) 244/6 ومعنى جرداوين أى لا شعر عليها ، والقبال رباط النعل الذى يكون بين الإصبعين .
2. أخرجه البخارى في الجمعة (1149) 41/3 ، ومعنى دف نعليك يعنى تحريك .
3. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (31) 59/1 .

1- المراد بخلع النعلين ، تفرغ القلب من حديث الدارين ، والتجرد للحق بنعت الأفراد (1) .

2- المراد بقوله : { فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ } تبرأ عن نوعي أفعالك وامح عن الشهود جنسي أحوالك ، من قرب وبعد ، ووصل وفصل ، وارتياح واجتياح وفناء وبقاء ، وكن بوصفنا ، فإنما أنت بحقنا ، تجرد عن جماتك واصطلم عن شواهدك (2) .

3- النعلان هما الوصفان المتضادان ، كالرحمة والنعمة ، والغضب والرضا وأمثال ذلك وهما يرتبطان بالقدمين ، فيذكر الجلي أن القدمين عبارة عن حكيم ذاتيين متضادين ، وهما من جملة الذات ، بل هما عين الذات وأما النعلان فالوصفان المتضادان ، كالرحمة والنعمة ، والغضب والرضا وأمثال ذلك ، والفرق بين القدمين والنعلين ، أن القدمين عبارة عن المتضادات المخصوصة بالذات ، والنعلان عبارة عن المتضادات المتعدية إلى المخلوقات ، يعني أنها تطلب الأثر في المخلوقات ، فهي نعلان تحت القدمين ، لأن الصفات العقلية تحت الصفات الذاتية (3) .

4- والنعلان يذكر الكاشاني في تفسيرهما : أن الله لما خاطب

موسى إني أنا —

1. لطائف الإشارات 448/2 .

2. السابق 448/2 .

3. الإنسان الكامل 4/2 .

ربك محتجبا بالصورة النارية ، التي هي أحد أستار جلالى متجليا فيها أمره بقوله : { فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ } أى نفسك وبدنك أو الكونين ، لأنه إذا تجرد عنهما ، فقد تجرد عن الكونين ، أى كما تجردت بروحك وسرك عن صفاتهما ، وهياتهما حتى اتصلت بروح القدس ، تجرد بقلبك وصدرك عنهما بقطع العلاقة الكلية ، ومحو الآثار والفناء عن الصفات والأفعال ، وإنما سماها نعلين ، ولم يسمهما ثوبين ، لأنه لو لم يتجرد عن الملابس ، لم يتصل بعالم القدس ، والحال حال الاتصال ، وإنما أمره بالانقطاع إليه بالكلية ، كما قال : { وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً } [المزمل/8] (1)

\*\*\*\*\*

## 87 - النفس

\*\*\*\*\*

— النفس : النفس يطلق على عدة معان (2) :

الريح الداخلى والخارج فى البدن من الفم والمنبخر ، وهو كالغذاء للنفس وبانقطاعه بطلانها ، ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها : " وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي " (3) .

2. لسان العرب 233/6 ، والمفردات ص 501 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب برقم (3894) 264/7.

عن جابر  $\tau$  ، قال : سمعت النبي  $\varepsilon$  يقول : " إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ، ولا يتفلون ولا يبولون ، ولا يتغوطون ولا يمتخطون ، يلهمون التسبيح والتحميد ، كما تلهمون النفس ) (1) .

والنفس يقال للفرج : ومنه ما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن النبي  $\varepsilon$  قال : " ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن " (2) ، وعنه أيضا  $\tau$  قال  $\varepsilon$  : " من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة " (3) .

والنفس يقال للإشراق والظهور ، ومنه قول الله تعالى : { وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } [التكوير/18] ، والنفس أيضا يقال : لحر الصيف وبرد الشتاء ، ومنه ما روى عن أبي هريرة  $\tau$  ، عن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " قالت النار : رب أكل بعضي بعضا ، فأذن لي أتنفس ، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فما وجدتم من برد أو زمهرير ، فمن نفس جهنم ، وما وجدتم من حر أو حرور فمن نفس جهنم " (4) .

---

1. أخرجه مسلم فى كتاب الجنة برقم (2835) 2180/4.

2. أخرجه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (52) ، وأخرجه أحمد في المسند برقم (10595) واللفظ له .
3. أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة برقم (2699) 2074/4 ، وابن ماجة في المقدمة برقم (221) واللفظ له .
4. أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق برقم (3260) 380/6 ، ومسلم في كتاب المساجد برقم (617) 431/1 .

## النفس في الاصطلاح الصوفى :

النفس عند الصوفية يقال على عدة معان باطنية :

- 1- النفس روح يبعثه الله على نار القلب ليطفىئ شررها (1) .
- 2- النفس ترويح القلوب بلطائف الغيوب ، وصاحب الأنفاس أرق وأصفى من صاحب الأحوال ، فكان صاحب الوقت مبتدئا ، وصاحب الأنفاس منتهيا وصاحب الأحوال بينهما ، فالأحوال وسائط ، والأنفاس نهاية الترقى فالأوقات لأصحاب القلوب ، والأحوال لأرباب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر ، وأفضل العبادات عد الأنفاس مع الله سبحانه (2) .
- 3- النفس الرحمانى : هو حضرة المعانى ، وهو التعين الثانى لظهور المخلوقات عن نفس الله ، تشبيها لظهور الحروف والأصوات عن نفس العبد قال عبد الرزاق الكاشانى : ( النفس الرحمانى ، هو حضرة المعانى وهو التعين الثانى ، سمي بذلك من جهة أن النفس نفس العبد ، أمر وجدانى كامن فى باطن المتنفس منبعث منه إلى ظاهره ، حاملا لصور المعانى الحاصلة عن اختلاف مخارج الحروف ،

وهى المنافذ والمقاربات ، من الصدر والحلق والحنجرة واللسان  
والشفة والأسنان وغير ذلك ، بحيث يصير النفس الواحد لأجل  
ذلك متعينا بحروف وكلمات ، متميزة ومختلفة في صورتها ،  
فكذا —————

1. لطائف الإعلام 358/2 .

2. الرسالة القشيرية 262/1 ، وعوارف المعارف للسهروردي ص530

التعين الثاني ، هو أول ما يتميز وينبعث من الباطن ، الذي هو  
التعين الأول فسمى بالنفس الرحمانى لأجل ذلك ، فإن تعدد  
الوجود الواحد واختلاف صورته ، إنما يحصل عن اختلاف القوابل  
التي هي الأعيان الثابتة وأحكامها وأحوالها المختلفة (1) .

\*\*\*\*\*

## 88 - النقباء

\*\*\*\*\*

النقباء : التنقيب البحث عن الشيء ، ومنه قوله صلى الله عليه  
وسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه : " إني لم أومر  
أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم " (2) .

والنقيب المعنى بالأمر أو الباحث عن القوم وعن أحوالهم ،  
وجمعه نقباء كقوله تعالى : { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا } [المائدة/12] ، وقال عبادة بن الصامت

رضي الله عنه : " إني من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ ، وقال :  
بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل  
النفس التي حرم الله ، ولا ننتهب ولا نعصي بالجنة إن فعلنا ذلك "  
(3)

- 
1. السابق 358/2 ، 359 ومعجم الكاشاني ص 114 وفصوص الحكم 219/1 .
  2. أخرجه البخارى فى كتاب المغازى برقم (4351) 665/7.
  3. أخرجه البخارى فى كتاب المناقب (3893) 260/7 ، وانظر المفردات ص 305 .

وقد ورد لفظ النقباء فى بعض كتب السنة على المعنى  
الاصطلاحى بمعنى النجباء الخلفاء ، ولكن بروايات ضعيفة لا يعول  
عليها ، كما روى علي بن أبي طالب  $\tau$  ، قال النبي ﷺ : " إن كل  
نبي أعطي سبعة نجباء أو نقباء وأعطيت أنا أربعة عشر ، قلنا من  
هم ؟ ، قال : أنا وابناي وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر ومصعب بن  
عمير وبلال وسلمان والمقداد وحذيفة وعمار وعبد الله بن مسعود "  
(1)

وفى رواية أخرى عن علي  $\tau$  ، قال : " سمعت رسول الله ﷺ يقول :  
ليس من نبي كان قبلي إلا قد أعطي سبعة نقباء وزراء نجباء ، وإني  
أعطيت أربعة عشر وزيرا نقيبا نجيبا ، سبعة من قريش وسبعة من  
المهاجرين " (2) .

وقال مسروق  $\tau$  : " كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود  $\tau$  ، وهو يقرئنا القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله  $\varepsilon$  كم تملك هذه الأمة من خليفة ؟ ، فقال عبد الله  $\tau$  : ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألتنا رسول الله  $\varepsilon$  فقال : اثنا عشر كعدة نقيب بني إسرائيل " (3) .

1. أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب برقم (3785) 662/5 ، وقال : الترمذى حسن غريب ، وقد روي هذا الحديث عن علي موقوفا .
2. حسن غريب ، أخرجه أحمد فى المسند برقم (667) واللفظ له ، والترمذى فى كتاب المناقب برقم (3785) 662/5 .
3. أخرجه أحمد فى المسند برقم (3772) فيه مجالد بن سعيد بن عمير وهو ضعيف .

## النقباء فى الاصطلاح الصوفى :

والصوفية فى اصطلاح النقباء يختلفون من حيث المعنى والعدد على أقوال :

1- النقباء الإثنا عشر : هم الحواس الخمس الظاهرة ، والخمس الباطنه والقوة العاقلة النظرية والعاقلة العلمية (1) .

2- النقباء إثنا عشر فى كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم من رجال العدد على عدد بروج الفلك ، والنقيب هو الذى استخراج كنز المعرفة بالله من نفسه لما سمع قول الله عز وجل : {



سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ {  
[فصلت/53] (2) .

3- النقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس ، وهم ثلثمائة  
أشرقوا على بواطن الضمائر ، فاستخرجوا خباياها لانكشاف  
الستائر لهم عن وجوه السرائر (3) .

4- النقباء الذين تحققوا بالاسم الباطن ، فأشرفوا على بواطن  
الناس فاستخرجوا خبايا الضمائر وهم ثلاثة أقسام :  
أ- نفوس علوية وهى الحقائق الأمرية .

---

1. تفسير ابن عربى 315/1 .

2. الفتوحات المكية 416/4 .

3. انظر لطائف الإعلام 361/2 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية الكاشاني ص77 واصطلاحات  
الصوفية لابن عربى ص4 .

ب- ونفوس سفلية وهى الخلقية .

ح- نفوس وسطية وهى الحقائق الإنسانية .

وللحق تعالى فى كل نفس منها أمانة منطوية ، على أسرار إلهية  
وكونية وهم ثلثمائة (1) .

\*\*\*\*\*

## 89 - النكاح

\*\*\*\*\*

النكاح : قال الراغب : أصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ،  
ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثم استعير للعقد لأن أسماء  
الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ، ومحال  
أن يستعير من لا يقصد فحشا اسم ما يستفظعونه لما يستحسنونه  
قال الله تعالى : { وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ  
مِنْهُمْ رُشِيدًا فَإِذَا دَفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ { [النساء/6] وقوله تعالى : {  
فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ } [النساء/25] إلى غير ذلك من الآيات (2) .  
وفي السنة ما روى أن زينب بنت جحش رضي الله عنها : "   
كانت تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول : إن الله أنكحني في السماء  
" (3) وعن المسور بن —

1. التعريفات للجرجاني ص 266 .

2. المفردات ص 505 .

3. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (7421) 415/13 .

مخرمة قال : " إن عليا ؑ خطب بنت أبي جهل ، فسمعت بذلك  
فاطمة فأتت رسول الله ﷺ فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب  
لبناتك ، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل " (1) .

ولما دخل عبد الله بن عباس ؑ ، على عائشة قبل موتها ، وهي  
مغلوبة قال : " فأنت بخير إن شاء الله ، زوجة رسول الله ﷺ ، ولم  
ينكح بكرا غيرك ، ونزل عذرك من السماء " (2) .

النكاح في الاصطلاح الصوفي :

والنكاح عند الصوفية يقصدون به التزاوج بين الذات الإلهية في خفائها بالمخلوقات العينية في ظهورها ، عن طريق التوجه الحبي ، فالذات في الأزل كانت كنزا مخيفا بالغيبة وانعدام الظهور ، فأرادت أن تعرف بالميل الأصلي والحب ذاتي للظهور ، هذا الحب هو الوصلة بين الخفاء والظهور ، يسرى ذلك إلى كل متعين ظاهر في جميع مراتب التعينات ، فتلك الوصلة هي أصل النكاح السارى في جميع الزرارى عند الصوفية (3) .

ويذكر ابن عربي أن المخلوقات زوج ، لأنها شفعت وجود الحق بعد أحديته في الأزلية ، كما أن هناك المرأة ، شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته —

1. أخرجه البخارى في كتاب المناقب برقم (3729) 106/7.

2. أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن برقم (4754) 341/7.

3. معجم الكاشانى ص 116، 117 .

زوجا فظهرت الثلاثة ، حق ورجل وامرأة ، فحن الرجل إلى ربه الذى هو أصل حنين المرأة إليه ، فحب إليه ربه النساء ، كما أحب الله من هو على صورته ، فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة ، كان شهودا في منفعل ، وإذا شاهده في نفسه من حيث ظهور المرأة عنه ، شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما كان شهودا في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة ، أتم واكمل لأنه يشاهد الحق ، من حيث

هو فاعل منفعل ، فلهذا أحب ة النساء ، لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا ، ولما لم تكن الشهادة إلا في مادة ، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة الجماع الحلال وهو نظير التوجه الإلهي على من خلقه على صورته ليخلفه فيرى فيه نفسه (1) .

قال ابن عربي في معنى النكاح : { يُبْجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤْجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ } [فاطر/13] فجعله الله نكاحا معنويا ، لما كانت الأشياء تتولد فيهما معا ، وأكد هذا المعنى بقولة :

{ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا } [الأعراف/54] من قوله : { فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيْفًا } [الأعراف/189] فأراد النكاح فكان (2) .

---

1. انظر فصوص الحكم ص 332، 333، و الفتوحات المكية 656/2 ، وكتاب أيام الشأن ص 7 .

2. السابق 116/1 .

\*\*\*\*\*

## 90 - النور

\*\*\*\*\*

– **النور** : الضوء المنتشر الذى يعين على الإبصار ، وذلك ضربان دنيوى وأخروى (1) :

1- فالدنيوى ضربان :

أ- ضرب معقول بعين البصيرة وهو ما انتشر فى الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن وحجاب الحق ، فمن نور العقل قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام/122] ومن نور القرآن : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } [المائدة/15] .

ومن النور الذى هو حجاب الحق ، ما روى عن أبي موسى الأشعري ؓ قال : " قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ، وذكر منها .. حجاب النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " (2) .

ب- ومحسوس بعين البصر ، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمر بين النجوم والنيران فى الظلمة نحو قوله : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا } [يونس/5] ، وتخصيص الشمس بالضوء ، والقمر بالنور من حيث إن —

1. المفردات ص508 ، ولسان العرب 240/5 .

2. أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (179) 161/1 .

الضوء أخص من النور قال : { وَقَمَرًا مُنِيرًا } [الفرقان/61] أى ذا نور .

2- ومن النور الأخرى قوله تعالى : { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ  
وَالْمُنافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا  
وَرَاءَكُمْ فَأَلْتَمِسُوا نُورًا } [الحديد/13] ، وسمى الله تعالى نفسه نورا من  
حيث إنه هو المنور ، قال تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } [النور/35] وتسميته تعالى بذلك  
لمبالغة فعله .

## النور في الاصطلاح الصوفي :

والنور في اصطلاح الصوفية يطلق على عدة معاني :

1- النور كل وارد إلهي يطرد الكون عن القلب (1) .

2- النور نور الوجود ، يقول ابن عربي : ولله نور منبسط على  
جميع الموجودات يسمى نور الوجود والله تعالى أخرجنا من ظلمة  
العدم إلى نور الوجود ، فكنا نورا بإذن ربنا إلى صراط العزيز الحميد  
، فنقلنا من النور إلى ظلمة الحيرة (2) .

3- النور نور الشهود يقول محي الدين بن عربي : من عرف  
نفسه عرف ربه ، فيعلم أنه الحق ، فيخرج العارف المؤمن الحق  
بولايته ، التي أعطاه الله —

1. انظر اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص14 معجم الكاشاني ص176 ، ورشح الزلال  
ص141 .

2. الفتوحات 412/3 .

من ظلمة الغيب إلى نور الشهود فيشهد ما كان غيباً له ،  
فيعطيه كونه مشهوداً (1) .

4- النور روح والجسد ظلمة ، قال تعالى : { مَثَلُ نُورِهِ } أى صفة  
وجوده وظهوره فى العالمين بظهورها به كمثل : { كَمِشْكَاةٍ فِيهَا  
مِصْبَاحٌ } وهى إشارة إلى الجسد ، لظلمته فى نفسه ، وتنوره بنور  
الروح (2) .

5- النور هو الوجود المطلق ، قال تعالى : { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } [النور/35] لما وجد الوجود  
بوجوده وظهر بظهوره ، كان نور السماوات والأرض ، أى مظهر  
سماوات الأرواح وأرض الأجساد ، وهو الوجود المطلق الذى وجد به  
ما وجد من الموجودات والإضاءة (3) .

6- النور الإلهى : هو المعبر عنه باللوح المحفوظ ، وهو نور ذات الله  
تعالى ونور ذاته عين ذاته ، لاستحالة التبويض والانقسام عليه ،  
فهو حق مطلق وهو المعبر عنه بالنفس الكلية (4) .

7- النور الأحدى : نور محمد ؑ وهو التجلى الأول ، وهو عبارة

عن —————

1. السابق 147/4 .

2. تفسير ابن عربى 140/2 وانظر السابق 53/2 .

3. تفسير ابن عربى 140/2 .

4. الإنسان الكامل للجيلى 7/2 .

ظهور الذات لذاتها في عين وحدتها فلكونه أول التعينات قال ع : " أول ما خلق الله نوري " (1) ، وهو أصل جميع الأسماء الإلهية (2) .

8- النور الأخضر : يطلق على الصديقية ، فالصادق يتحول إلى صديق والصديق يبقى في مقام الصديقية ، والصديقية نور أخضر بين نورين يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر ، من خلف حجاب الغيب بنور الكرم (3) .

\*\*\*\*\*

## 91 - النون

\*\*\*\*\*

النون : يراد به أمران :

1- النون : حرف من حروف العربية ، ورد في قوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } [القلم/1] وقد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور ، فمنهم من قال : هي مما استأثر في علمه ، ومنهم من قال : فواتح السور من أسماء الله تعالى ، وقال آخرون : بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها ، بيانا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون —

1. حديث ضعيف تقدم تخريجه ص 1119 .

2. لطائف الإعلام 366/2 .

3. الفتوحات المكية 92/2 .



عن معارضته بمثله ، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها وهو ما رجحه ابن كثير (1) .

2- النون : الحوت لما روى عن ثوبان  $\tau$  ، مولى رسول الله  $\varepsilon$  : " أن حبار من أحبار اليهود ، سأل النبي  $\varepsilon$  في مسائل ذكر منها : قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ ، قال  $\varepsilon$  : زيادة كبد النون " (2) ، وفي رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري  $\tau$  قال الحبر : " ألا أخبرك بإدامهم؟ إدامهم بالأمّ ونون ، قالوا : وما هذا ؟ ، قال : ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا " (3) .

وعن مكحول  $\tau$  ، قال رسول الله  $\varepsilon$  : " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ، ثم تلا هذه الآية : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } [فاطر/28] إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضيه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير (4) .

## النون في الاصطلاح الصوفي :

والنون في عرف الصوفية ، اصطلاح يعنى علم الإجمال في مقابل

القلم

1. تفسير ابن كثير 1 / 37 ، 38 .

2. أخرجه مسلم في كتاب الحيض برقم (315) 1/252.

3. أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة برقم (2792) 4/2151 .

4. أخرجه الدارمى فى المقدمة برقم (289) ، والترمذى بلفظ الحوت بدلا من النون فى كتاب العلم برقم (1685) .

الذى هو علم التفصيل (1) .

يقول الكاشانى : ( ن فى قوله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ } هو العلم الإجمالى فى الحضرة الأحدية ، والقلم حضرة التفصيل ، فالنون هى الدواة التى فيها مداد العلم ، فإن الحروف التى هى صورة العلم موجودة فى مدادها إجمالا ) (2) .

وفى تفسير قول الله تعالى : { ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } [القلم/1] ، قال الكاشانى : ( ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلى ، والأول من باب الكناية بالاكْتفاء من الكلمة بأول حروفها ، والثانى من باب التشبيه إذ تنتقش فى النفس صور الموجودات بتأثير العقل ، كما تنتقش الصور فى اللوح بالقلم ، وما يسطرون من صور الأشياء وماهيتها وأحوالها المقدرة على ما يقع عليها ) (3) .

ويقول عبد الكريم الجيلى : ( النون عبارة عن انتعاش صور المخلوقات بأحوالها وأوصافها ، كما هى عليه جملة واحدة ، وذلك الانتعاش هو عبارة عن كلمة الله تعالى لها كن ) (4) .

---

1. اصطلاحات ابن عربى ص 14 .

2. لطائف الإعلام 365/2 ، ومعجم الكاشانى ص 118 ، والتعريفات ص 267 .

3. تفسير القرآن لابن عربي 683/2 .

4. الإنسان الكامل 24/1 .

\*\*\*\*\*

## 92 - الواقعة

\*\*\*\*\*

الواقعة : الواقعة لا تقال إلا في الشدة والمكروه وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد والواقعة اسم من أسماء القيامة (1) .

قال تعالى : { إِذَا وَقَعَتُ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ } [الواقعة/1:2] ، وقال سبحانه : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } [الحاقة/13:15] .

وربما عبر عن الوقوع بالجماع لما روى عن أبي هريرة ؓ ، قال : " بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله هلكت وقعت على امرأتي وأنا صائم " (2) .

ويعبر عن الوقوع أيضا بتقسيم المكان ، كما روى عن جابر بن عبد الله ؓ أن رسول الله ﷺ قال في الشفعة : " إذا وقعت الحدود ، وصرفت الطرق فلا شفعة " (3) .

\_\_\_\_\_

1. لسان العرب 402/8 ، والمفردات ص 531 .
2. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1936) 193/4 .
3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2213) 476/4 .

## الواقعة فى الاصطلاح الصوفى :

والواقعة فى العرف الصوفى : تعنى ما يرد على القلب من ذلك العلم بأى طريق كان من خطاب أو مثال ، قال الكاشانى : ( الواقعة ما يرد على القلب من عالم الغيب بأى طريق كان ) (1) ، ويذكر التهانوى أن الواقعة فى العرف الصوفى ، تطلق على ما يراه السالك من الوقع أثناء الذكر واستغراق حاله مع الله بحيث يغيب عنه المحسوسات ، وهو بين النوم واليقظة (2) .

\*\*\*\*\*

## 93 - الوطر

\*\*\*\*\*

الوطر : الوطر النهمة والحاجة والمهمة ، قال الخليل بن أحمد : ( الوطر كل حاجة يكون لك فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل قضى وطره وأربه ولا يبنى منه فعل ) (3) ، قال الله عز وجل : { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا زَوَّجْنَاكَهَا لَكِي لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا —

1. اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 12 ، ومعجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 73 لطائف الإعلام 380/2 .

2. كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي 1488 .

3. كتاب العين 446/7 .

مِنْهُمْ وَطَرًا } [الأحزاب/37] ، يقصد بذلك الطلاق (1) وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : " الطلاق عن وطر والعتاق ما أريد به وجه الله " (2) .

### الوطر في الاصطلاح الصوفى :

والوطر في الاصطلاح الصوفى ، منية محمودة خارجة عن نعت البشرية وحفظ النفسانية ، ويقال : فلان هو المتمكن فى وطنه ، والمعلى فى وطره كما أنشدوا : ترحلت يا ليلى ولم أقضى أوطارى وما زلت محزوننا أحن إلى دارى (3) .

وقال ذو النون المصرى :

أموت وما ماتت إليك صباقتى : ولا قُضيت عن ورد حبك أوطارى

مناى المنى كل المنى أنت لى منى : وأنت الغناكل الغنا عند افتقارى (4)

وقيل لحكيم : أى المواطن أحب للسكون والتوطن فيه ؟ ، فقال  
: أحب المواطن إلى صاحبه موطن ، إذا دعا فيه أوطاره أجابته (5)

1. المفردات ص 526

2. البخارى فى كتاب الطلاق ، باب الطلاق فى الإغلاق 300/9 .

3. اللمع ص 445 .

4. السابق ص 445 .

5. السابق ص 445 .

\*\*\*\*\*

## 94 - الوطن

\*\*\*\*\*

الوطن : الوطن يتنوع مدلوله اللغوى على ما يأتى :

1- الوطن بلد المرء ومحل إقامته ، وقال الزهرى : " إنما صلى  
عثمان بمنى أربعاً لأنه اتخذها وطناً ، وأجمع على الإقامة بعد الحج " (1)

ومن حديث قبيلة بنت مخزومة قالت : " فلما رأيته قد أمر لحريث  
بن حسان بالدهناء شخص بي وهي وطني وداري ، فقلت : يا  
رسول الله إنه لم يسألك السوية من الأرض .. " (2) .

وعن ابن مسعود  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  قال : " حتى إن الحجر والشجر  
ليقول يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع  
الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج " (3)

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة برقم (1084) أبو داود فى كتاب المناسك برقم (1960) واللفظ له .
  2. أخرجه أبو داود فى كتاب الخراج برقم (3070) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف الإسناد . 177/3
  3. صحيح الإسناد ، أخرجه ابن ماجة فى الفتن برقم (4081) 1365/2 ، وأحمد فى المسند برقم (3546) واللفظ له .

2- توطين النفس على الشئ تعودها عليه ، لما روى عن حذيفة أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " لا تكونوا إمعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا " (1) .

يقال : وطن نفسه على كذا أى عزم عليه ونوى فعله ، لحديث أبي سعيد الخدري  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال فى شأن يأجوج ومأجوج : " فينزل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه ، فيجدهم موتى فيناديهم : ألا أبشروا فقد هلك عدوكم " (2) .

وقال جابر بن عبد الله  $\tau$  فى شأن والده الذى توفى وترك عليه عشرين وسقا تمرا دينا : " وقد وطنت نفسي ، أن أشتري لهم من

العجوة ، أوفيهم العجوة الذي على أبي ، فأوفيتهم والذي نفسي  
بيده عشرين وسقا " (3) .

والموطن المشهد من مشاهد الحرب ، كقوله تعالى : { لَقَدْ  
نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلِمَ  
تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ } [التوبة/25] (4)

1. أخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة برقم (2007) وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه  
إلا من هذا الوجه وقال الألبانى : ضعيف 364/4.
2. أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن برقم (4079) وقال الشيخ الألبانى : حسن صحيح  
1363/2.
3. أخرجه البخارى فى كتاب البيوع برقم (2127) ، وأخرجه أحمد فى المسند برقم (14587)  
واللفظ له .
4. فتح القدير 347/2 .

## الوطن فى الاصطلاح الصوفى :

والوطن فى عرف الصوفية هو وطن العبد ، حيث انتهى به  
الحال واستقر به القرار ، ويقال : توطن فى حال كذا ومقام كذا ،  
وقال الجنيد بن محمد : ( إن لله عبادا على وطنات مطى حملانه  
يركبون ، والسرعة والبدار إليه يستبقون <sup>(1)</sup> ) ، وقال أبو الحسين  
النورى :

أما ترى هيمنى شردنى عن وطنى  
إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبنى



يقول لا تشهد ما تشهد أو تشهدينى (2) .

وقال أبو سليمان الداراني : الإيمان أفضل من اليقين ، لأن الإيمان وطناً واليقين خطرات (3) ، ويقول الهجویری : ( الوطنيات ما يتوطن فى السر من المعانى الإلهية ) (4) .

---

1. اللمع ص 446 .

2. السابق ص 446 .

3. السابق ص 446 .

4. كشف المحجوب ص 628 .

\*\*\*\*\*

## 95 - الوقفة

\*\*\*\*\*

الوقفة : يقال وقفت الدار إذا سبلتها ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " أن عمر اشترط فى وقفه ، أن يأكل من وليه ، ويؤكل صديقه غير متمول مالا " (1) .

والوقيفة الوحشية التي يلجئها الصياد إلى أن تقف حتى تصاد (2)  
، وقال تعالى : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ  
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ } [سبأ/31] وقال سبحانه : { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ  
مَسْئُولُونَ } [الصافات/24] .

والوقفة تطلق على وقوف الحجيج يوم عرفات ، فعن ابن عباس  
رضي الله عنهما قال : " بينا رجل واقف مع النبي ﷺ بعرفة ، إذ وقع  
عن راحلته فوقسته أو قال : فأقعصته ، فقال النبي ﷺ : اغسلوه بماء  
وسدر وكفونوه في ثوبيه ، ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه ، فإن الله يبعثه  
يوم القيامة يلي " (3) .

---

1. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا برقم (2778) 477/5 .

2. المفردات ص 530 ، ولسان العرب 359/9 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الحج برقم (1849) 76/4 ومسلم فى كتاب الحج برقم (1206)  
865/2

## الوقفة فى الاصطلاح الصوفى :

والوقفة عند الصوفية هى الحبس بين المقامين ، وذلك لعدم  
استيفاء حقوق المقام الذى خرج عنه ، وعدم استحقاق دخوله فى  
المقام الأعلى فكأنه فى التجارب بينهما (1) .

يقول محي الدين بن عربي : ( فإن الإنسان السالك ، إذا انتقل من مقام قد أحكمه وحصله تخلقا وذوقا وخلقا إلى مقام آخر يريد تحصيله أيضا ، يوقف بين المقامين وقفة ، يخرج حكم تلك الوقفة عن حكم المقامين ، يعرف في تلك الوقفة بين المقامين آداب المقام الذي ينتقل إليه ، وما ينبغي أن يعامل به الحق ) (2) .

ويقول الكاشاني : ( الوقفة هي التوقف بين المقامين ، لقضاء ما بقى عليه من الأول ، والتهئ لما يرتقى إليه بآداب الثاني ) (3) .

---

1. رشح الزلال ص 96 .

2. الفتوحات المكية ح 6 فقرة 65 .

3. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص 79 ، وانظر اصطلاحات الصوفية لابن عربي ص 40 ، والتعريفات ص 274 .

\*\*\*\*\*

## 96 - الياقوتة

\*\*\*\*\*

الياقوتة : الياقوت أحد الأحجار الكريمة ، رد ذكرها في القرآن والسنة على المعنى الظاهر ، قال تعالى : { كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } [الرحمن/58] وعن عبد الله بن مسعود  $\tau$  عن النبي  $\varepsilon$  قال :

" إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك بأن الله يقول : { كِبَأْتَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ } ، فأما الياقوت ، فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ، ثم استصفيته لأرئته من ورائه " (1) .

وعن المقدم بن معدي كرب  $\tau$  قال : " قال رسول الله  $\varepsilon$  للشهيد عند الله ست خصال ، وذكر منها : ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها " (2) .

### الياقوتة في الاصطلاح الصوفي :

الياقوتة لها معنى باطن يختلف معنى حسب اللون المضاف إليها :

---

1. الحديث ضعيف أخرجه الترمذى فى كتاب صفة الجنة برقم (2533) وقال الشيخ الألبانى : ضعيف 676/4 .

2. أخرجه الترمذى فى كتاب فضائل الجهاد برقم (1663) وقال الشيخ الألبانى : صحيح 187/4 .

1- الياقوتة البيضاء : حقيقة الحقائق ، وتفسيرها عندهم أن الله تعالى قبل أن يخلق الخلق ، كانت الموجودات مستهلكة فيه ، ولم يكن له ظهور فى شئ من الوجود ، وتلك هى الكنزية المخفية ، وحقيقة الحقائق التى فى وجودها ليس لها اختصاص بنسبة من النسب ، لا إلى ما هو أعلى ولا إلى ما هو أدنى ، وهى الياقوتة البيضاء ، فلما أراد الحق سبحانه وتعالى إيجاد هذا

العالم ، نظر إلى حقيقة الحقائق ، وإن شئت قل إلى الياقوتة البيضاء ، التي هي أصل الوجود ، فذابت وصارت ماء ، ثم نظر إليها بنظر العظمة ، فتموجت لذلك ، كما تموج الأرياح بالبحر فانفجعت كثائفها بعضها في بعض ، كما ينفجق الزبد من البحر فخلق الله من ذلك المنفجق سبع طباق الأرض ، ثم خلق سكان كل طبقة من جنس أرضها ، ثم صعدت لطائف ذلك الماء ، كما يصعد البخار من البحار ، ففتقها الله تعالى سبع سموات ، وخلق ملائكة كل سماء من جنسها ، ثم صير الله ذلك الماء سبعة أبحر محيطة بالعالم ، فهذا أصل الوجود جميعه ، ثم إن الحق تعالى ، كما كان في القدم موجودا في العماء التي عبر عنها بحقيقة الحقائق ، والكنز المخفى ، والياقوتة البيضاء كذلك هو الآن موجود فيما خلق من تلك الياقوتة ، بغير حلول ولا مزج ، فهو متجل في جميعها ، لأنه سبحانه وتعالى على ما عليه كان وقد كان في العماء ، وقد كان في الياقوتة البيضاء (1) .

---

1. الإنسان الكامل 58/2 .

2- الياقوتة الحمراء :هي النفس الكلية ، لامتزاز نوريتها بظلمة التعلق بالجسم ، فهي أجل الجواهر الترايبية الأرضية (1) ، وقال

محي الدين بن عربي : ( ومن خواص الأحجار ، حجر  
الياقوت الأحمر ، وآيته من كتاب الله : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى/11] وخاصيته إذا كان  
الإنسان مشاهدا له من جهة روح قدسى ، فإنه يعلم من  
العلوم المتعلقة بذات الحق ما لا يطلع عليه غيره ، فإن كان  
مشاهدا له من جهة نفسه الغضبية ، وصادف جبارا من  
الجبابرة ، فإنه يذل له ويخضع لما يجد له فى نفسه من التعظيم  
وإن كان توعده عفا عنه ) (2) .

3- الياقوت الأزرق : يقول ابن عربي : ( ومن خواص الأحجار  
حجر الياقوت الأزرق ، وآيته من كتاب الله تعالى : { وَاللَّهُ  
يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ } [الرعد/41] ، وهو الذى يعطى الربانية  
للإنسان ، مخصوص بأصحاب الأحوال والخلق ) (3) .

4- الياقوت الأصفر : وهو مخصوص بأصحاب المقامات ، يقول  
ابن عربي : ( وحجر الياقوت الأصفر آيته من كتاب الله تعالى  
: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } [الصفات/96] ، وخاصيته  
العبودية والذلة والافتقار وهو مقام مشترك من حصل له جهل  
حالة ) (4) .

2. التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية ص 188 .  
3. السابق ص 189 .  
4. السابق ص 189 .

\*\*\*\*\*

## 97 - اليتيم

\*\*\*\*\*

اليتيم : اليتيم الانفراد ، و اليتيم الفرد ، و اليتيم فقدان الأب ، قال ابن السكيت : اليتيم في الناس من قبل الأب ، وفي البهائم من قبل الأم ، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ، ولكن منقطع ، وقال ابن بري : اليتيم الذي يموت أبوه ، والعجبي الذي تموت أمه ، واللطيم الذي يموت أبواه ويقال : هو يتيم حتى يبلغ الحلم ، اليتيم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه وفي سائر الحيوانات من قبل أمه (1) ، قال الله تعالى : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } [الضحى/ 6] ، وقال سبحانه : { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } [الإنسان/ 8] وجمعه يتامى ، قال تعالى : { وَأَتُوا اليتَامَى أَمْوَالَهُمْ } [النساء/ 2] وكل منفرد يتيم (2) .

وعن أبي هريرة ؓ ، أن النبي ﷺ قال : " اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ ، قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي

يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " (3) ، وقال عبد

الله بن عباس رضى الله عنهما —————

1. لسان العرب 645/12 .

2. المفردات ص 550 .

3. أخرجه البخارى فى كتاب الوصايا برقم (2767) 462/5 .

عندما سأل عن اليتيم ، متى ينقطع عنه اسم اليتيم ؟ : " لا ينقطع

عنه اسم اليتيم حتى يبلغ ويؤنس منه رشد " (1) .

### اليتيم فى الاصطلاح الصوفى :

واليتيم عند الصوفية ، هو وصف العبد الذى يجعل نفسه عبدا

للمحبة ويوصف بمن له التجريد الظاهرى والتفريد الباطنى ، واليتيم

عندهم من مراتب المحبة (2) .

وفى تفسير قوله تعالى : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى } [الضحى/ 6] قال

عبد الرزاق الكاشانى : ألم يجدك محجوبا بصفات النفس ، عن نور

أبيك الحقيقى الذى هو روح القدس منقطعا عنه ضائعا ، فأواك إلى

جنابه ورباك فى حجر تربيته وتأديبه ، وكفلك أباك ليعلمك ويزكك

(3) .

أما قوله تعالى : { وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ

بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا } [النساء/2]

فمعناها : آتوا يتامى قواكم الروحانية ، المنقطعين عن تربية

الروح القدسى ، معلوماهم وكماالاتهم وربوهم بها ، ولا تبدلوا



الخبيث من المحسوسات ، والخياليات والوساوس ودواعى الوهم

وسائر قوى النفس التى هى أموالها ، بالطيب منها —

1. أخرجه مسلم فى الجهاد والسير برقم (1812) 1444/3 .

2. التهانوى ص 1544 .

3. تفسير القرآن لابن عربى 820/2 .

ولا تخلصوها بها ، فيشتبه الحق بالباطل ، وتستعملوها فى تحصيل

لذاتكم الحسية ، وكمالاتكم النفسية ، فتنفَعوا بها فى مطالبكم

الحسية الدنيوية إنه كان حوبا وحجة وحرمانا كبيرا (1) .

\*\*\*\*\*

## 98 - اليـدان

\*\*\*\*\*

اليـدان : صفة من أوصاف الذات ، إذا أضيفت إلى الإنسان ،

فإنها تعنى الجارحة المعلومة فى المعنى والكيفية ، كقول الله تعالى : {

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ } [النمل/12] .

وكما روى عن أبى موسى الأشعري  $\pi$  ، أن النبي  $\varepsilon$  دعا بقدر فيه

ماء فغسل يديه ووجهه فيه (2) .

وإذا أضيفت اليد إلى الله فهى معلومة المعنى مجهولة الكيف ،

كقوله تعالى : { قِيلَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ

بِيَدَيَّ أَسَدِّتْكَ بَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } [ص/75] ، وكقوله : {

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ  
مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ { [المائدة/64] .

1. السابق /1 ،253 ،254 .

2. أخرجه البخارى فى كتاب الوضوء برقم (196) 361/1 .

وعن أبي هريرة  $\tau$  ، أن رسول الله  $\varepsilon$  قال : " يد الله ملأى ، لا  
يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق منذ  
خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغيض ما فى يده ، وقال : عرشه  
على الماء ، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع " (1) ، وقد ترد اليد  
على وصف من أوصافها كالنعمة أو القوة أو القدرة (2) .

### اليدان فى الاصطلاح الصوفى :

واليدان فى الاصطلاح الصوفى : هما أسماء الله المتقابلة فى  
الحضرة الأسمائية فالحق تعالى خلق الإنسان بيديه أى ظهر فيه  
كمالات أسمائه وصفاته المتقابلة جلال وجمال ولما كانت الحضرة  
الأسمائية تجمع حضرتى الوجوب والإمكان قال بعضهم : إن اليدين  
هما حضرتتا الوجوب والإمكان (3) .

قال عبد الرزاق الكاشانى فى قوله تعالى : { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا  
مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ } [ص/75] ، أى خلقته بصفتى  
الجمال والجلال والقهر واللطف ، وجميع أسمائى المتقابلة ، المندرجة

تحت صفتي القهر والمحبة لتحصل عند الجمعية الإلهية في الحضرة  
الواحدية ، بخلاف حال الملائ الأعلى فإن من خلق منهم بصفة  
القهر لا يقدر على اللطف وبالعكس (4) .

1. أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد برقم (7411) 404/3 .

2. المفردات ص 550 .

3. لطائف الإعلام 403/2 ، ومعجم الكاشانى ص 87 .

4. تفسير القرآن لابن عربى 366/2 .

ويقول ابن عربى : ( وصف نفسه تعالى بأنه جميل وذو جلال ،  
فأوجدنا على هيئة وأنس ، وهكذا جميع ما ينسب إليه تعالى  
ويسمى به ، فعبر عن هاتين الصفتين باليدين اللتين توجهتا منه  
على خلق الإنسان الكامل لكونه الجامع لحقائق العالم ومفرداته ،  
فما جمع الله لآدم بين يديه إلا تشريفا ، ولهذا قال لإبليس : { مَا  
مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي } [ص/75] وما هو إلا عين جمعه  
بين الصورتين صورة العالم وصورة الحق وهما يد الحق (1) .

\*\*\*\*\*

## 99 - يوم الجمعة

\*\*\*\*\*

يوم الجمعة : أحد أيام الأسبوع ، واليوم يعبر به عن وقت  
طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يعبر به عن أى مدة كانت (2) .

فمن الأول : قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ  
لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ  
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [الجمعة/9] وعن أبي سعيد الخدري  
ع عن النبي ﷺ قال : " الغسل يوم الجمعة ، واجب على كل محتلم " (3)

1. فصوص الحكم 54Y55/1 .
2. المفردات في غريب القرآن ص 553 .
3. أخرجه البخارى في كتاب الأذان برقم (858) 401/2 .

وقال عمر بن الخطاب ع يوم العيد : " هذان يومان نهي رسول الله  
ع عن صيامهما ، يوم فطركم من صيامكم واليوم الآخر تأكلون فيه  
من نسككم " (1) ومن الثانى : قوله تعالى : { نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ  
إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا } [طه/104] وقال ورقة بن نوفل  
لرسول الله ع : " هذا الناموس الذي نزل الله على موسى .. وإن  
يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا " (2) .

### يوم الجمعة فى الاصطلاح الصوفى :

والصوفية يطلقون يوم الجمعة على عدة معان :

1- يوم الجمعة : وقت اللقاء والوصول إلى عين الجمع ، إذ هو اليوم  
الذى ظهرت فيه جميع الصفات ، وسمى هذا الظهور عين الجمع  
لاجتماع الكل فيه ولهذا المعنى سميت الجمعة ج معة ، واتفق أهل

الملل كلها من اليهود وغيرهم أن الله فرغ من خلق السماوات والأرض  
في يوم السابع (3) .

2- يوم الجمعة : وصول السالك إلى مقام المشاهدة المعبر عنها  
بلقاء الحق (4) .

3- يوم الجمعة : يعنى به وقت مطلق اللقاء ، أى وقت كان من  
أوقات الابتداء ، أو فيما بعد ذلك ، كما قال عمرو بن الفارض :  
وكل الليالى ليلة القدر إن دنت : كما كل أيام اللقا يوم الجمعة  
(5) .

- 
1. أخرجه البخارى فى كتاب الصوم برقم (1990) 280/4 .
  2. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحي برقم (4) 47/1 .
  3. معجم الكاشانى ص 87 وتفسير ابن عربى 643/2 .
  4. لطائف الإعلام 407/2 .
  5. السابق 40/2 .

إن البحث في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي يجذب الدارسين إلى بذل الجهد في إنصاف أهل الحق ، ودفع شبه المغرضين الذين حاولوا تشويه الصورة الحقيقية للحياة الروحية في الإسلام ، وإصاقها بمصدر أجنبي ، أو تعكير صفوها بدس أفكار فلسفية غريبة ، أو بث معان وافدة سقيمة تحت ألفاظ القرآن والسنة ، التي تناولها الصوفية في مقاماتهم وأحوالهم ومدارج السالكين إلى ربهم ، فلمعتدلون من أوائل الصوفية حجة على الآخرين بحسن اعتقادهم والتزامهم بالقواعد الأساسية التي تمثل اتفاقا وثيقا وأصولا راسخة في اعتقاد المسلمين ، فعظموا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولم يجوزوا لأحد أن يخالفهما ، تحت أى دعوى أو فكر ، وإن حسنت النوايا .

لقد تناولت هذه الرسالة البحث عن الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي من جانبين أساسيين : أحدهما نظري ، والآخر تطبيقي معجمي ففي الجانب النظري ، جاء الحديث عن معرفة الضوابط اللازمة للاستدلال بالقرآن وكيفية فهمه على النحو الذى أراده الله عز وجل ، وتناول أيضا منزلة القرآن والسنة عند الصوفية ، وأن الأوائل منهم أجمعوا أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة ، وأنه ليس بمخلوق ولا محدث وأنه متلو بألسنتنا مكتوب فى مصاحفنا محفوظ فى صدورنا غير حال فيها ، كما أن الله تعالى ، معلوم بقلوبنا مذكور بألسنتنا ، معبود فى مساجدنا غير حال فيها ، وأنهم أجمعوا أن جميع ما فرض الله تعالى على العباد فى كتابه وأوجبه

رسول الله ﷺ فرض واجب ، وحتم لازم على العقلاء البالغين ، لا يجوز التخلف عنه ، ولا يسع التفريط فيه بوجه من الوجوه لأحد من الناس من صديق وولى وعارف ، وإن بلغ أعلى المراتب ، وأعلى الدرجات ، وأشرف المقامات وأرفع المنازل ، وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة من إباحة ما حظر الله ، أو تحليل ما حرم الله ، أو تحريم ما أحل الله ، أو سقوط فرض من غير عذر ولا علة والعذر والعلة ما أجمع عليه المسلمون ، وجاءت به أحكام الشريعة ، ومن كان أصفى سرا وأعلى رتبة وأشرف مقاما فإنه أشد اجتهادا ، وأخلص عملا وأكثر توفيقا .

كما تناول البحث النظرى أيضا ، ضوابط تفسير القرآن الكريم ، ومفهوم التأويل فى القرآن والسنة واصطلاح المتأخرين ، وبيان أنواع التأويلات الباطلة التى يحتز منها ، ثم طريقة الصوفية فى تفسيرهم للقرآن ، والأدلة من القرآن والسنة على جواز التفسير الإشارى ، مع آراء العلماء والمستشرقين فى التفسير الصوفى ، ثم الشروط التى يمكن بها قبول التفسير الصوفى ، وأمثلة على ذلك .

وقد كان من أهم الموضوعات التى تناولها البحث التعرف على ينباع المصطلح الصوفى ، ودراسة مقتضبة للمعاجم الصوفية ، فقد تم انتقاء المؤلفات الينبوعية للمصطلحات الصوفية بنوعيتها ، أعنى المصطلحات الصوفية ذات الأصول القرآنية والنبوية ، وهى

مصطلحات مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية ، وموضوعة على معانيها أو معان أخرى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ، أو المصطلحات الصوفية ، ذات الألفاظ القرآنية والنبوية وهي مصطلحات صوفية مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية ، منفصلة الدلالة عن معانيها الواردة في الكتاب والسنة ، وموضوعة على معان أخرى استحدثها الصوفية ، وتداولوا الألفاظ عليها ، هذه المؤلفات الينبوعية التي شكلت أمهات الكتب الصوفية تم انتقاؤها من التراث الصوفي حتى القرن العاشر الهجري ، لأن التأليفات التي حُقت بعد هذا التاريخ هي في مجملها إعادة ، وتبسيط للدلالات القديمة لهذه المصطلحات ، أو شروح لها وملخصات .

وبعد الاطلاع على ما هو مشهور ومؤكد الأهمية في مضمير التصوف في تلك الحقبة التي تمثل فترة العزو والصفاء للتأليف في التصوف الإسلامي أمكن حصر الاختيار بعد تكلف وعناية في عشرة مؤلفات أمدتنا بجل ما للصوفية من ألفاظ ومعان خاصة ، هذا علاوة على تتبع أقوال الصوفية وإشارات أعلامهم في متفرقات ما أثر عنهم في التراث الصوفي ، والاستعانة أيضا بالمعاجم الصوفية الحديثة ، والمعاجم العلمية العامة التي تتناول ألفاظ الصوفية .

كما تعرفنا على دراسة وجيزة للمعاجم الصوفية ، مثل اصطلاحات الصوفية لابن عربي ، ومعجم الكاشاني ، ومعجم الدكتور الحفني ، والمعجم الصوفي للدكتورة سعاد حكيم ، ومعجم الدكتور الشرقاوي من حيث ترتيب المداخل وكثافتها ، وكيفية الاستعانة بالأصول



القرآنية والنبوية ، ثم تناول البحث في فصل مستقل على المنهج الذى نميز به بين ما يمكن أن يكون مصطلحا تعارف عليه الصوفية ، أو لفظا صوفيا يشابه سائر الألفاظ ، وقد التزمت في حصر هذه النوعية من المصطلحات شرطا صارما ، تمثل في اتفاق جمع من الصوفية لا يقل عن ثلاثة على ذكر مدخل المصطلح ، أو أحد تصاريفه اللغوية وذلك من باب الأخذ بالأحوط ، والتزام الدقة على قدر الإمكان والاطمئنان في حصر المصطلح الصوفى ، فبلغ عدد المداخل العامة على هذا الشرط مائة وأربعة وعشرين مصطلحا لهم أصول قرآنية ، وبلغ مجموع المداخل الفرعية والعامة في هذه الفصول ثلاثمائة وتسعة وثلاثين مصطلحا ، كما تطلب الأمر أيضا استقصاءا شاملا للقرآن والسنة ، وفق منهج محدد في بحث الأصول القرآنية لكل مصطلح صوفى على حده .

وقد تناول البحث أيضا ، مراحل التصوف ، وأثرها على التغيير الدلالى للمصطلح الصوفى ، وعلاقة ذلك بالأصول القرآنية ، فالتصوف عبر مراحل الفكرية المختلفة مر بعدة مراحل متميزة ومتدرجة ومؤثرة في علاقة الأصول القرآنية ، بما أفرزته كل مرحلة من رموز وألفاظ ، واصطلاحات تتنوع في معناها الدلالى .

فالتصوف الأوّلى البسيط الذى نجم عن حركة الزهد ، ومسلك التوكل على الله والذى يعنى نماء الحياة الروحية فى الإسلام ، اتخذ أصحابه من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما كانوا يأخذون به أنفسهم من زهد فى الدنيا وإعراض عن زخرفها وجاهها ، وإقبال على الله عز وجل بقلوبهم المصدر الأصيل لبدايته ، فكانت طبيعة الألفاظ الدائرة بين الصوفية فى هذه المرحلة أنها ألفاظ واصطلاحات قرآنية أو نبوية متماسكة مع معانيها الدلالية الواردة فى الكتاب والسنة لا تنفك عنها ، ودور الصوفية يكمن فى توضيح المعنى أو استنباط حقيقة روحانية دلت عليها الآيات القرآنية ، أو تقويم ما اعوج من السلوك لأدعياء التصوف حول فهمهم لمعنى قرآنى أو نبوى .

أما التصوف المبني على إضافات الصوفية الاجتهادية فى رسم خطوات الطريق للمريدين وتدرجهم فى منازل السائرين ، وترتيب المقامات والأحوال عند المتحققين ، فلم تعد قضية الاكتفاء بالممارسة العملية ، كافية لإبراز الوجهة الحقيقية للعلاقة القائمة بين الصوفية وربهم .

ولكن تطور الأمر عندهم إلى ما هو أعلى من مجرد الزهد في الدنيا ، وترك المؤلفات والمستحسنات ، فأصبح التصوف قريبا من الفكر المنظم إلى حد بعيد ، وإن اتسم بكثير من المخالفات الشرعية ، وأبرز الطريق الذى التزمه أوائل الصوفية وباشروه في تجاربهم الشخصية ، نتاجا فكريا أطلقوا عليه مقامات السائرين وأحوال المتحققين ، وقد أفرزت هذه المرحلة معان واسعة الدلالة للمصطلح الصوفى ، ومضى بعض الصوفية إلى الاستقصاء والبحث عما ورد في الأصول القرآنية والنبوية ، من شواهد تؤيد ذلك بحيث بدت غالبية القضايا الفكرية اللاحقة في التأمل الذوقى النظرى ، نتائج ضرورية من إفراز هذا الميدان ، واتسعت دلالة المصطلح الصوفى وزادت مساحتها لتنتقل من دلالة قرآنية تتناول سائر الناس إلى دلالة تفرق بين العامة والخاصة وخاصة الخاصة وأنواع أخرى متزايدة .

كما أن التصوف مر بمرحلة نجمت عن الغلو في الحب والفناء ودعوى الاتحاد ، وهى حركة صوفية اهتزت فيها معايير الأصول القرآنية للمصطلح الصوفى ، وفارق فيها اللفظ فى أغلب الأحيان معناه ، حيث غدت الرياضة الصوفية فى المرحلة اللاحقة ترمى إلى الوصول لله والاتحاد به على نحو يعطى الصوفى تميزا أعلى مما كان يرمى إليه كل سالك فى أهدافه المتواضعة ، وغدا الاقتصار على التوقف فى المستوى السابق قصورا سلوكيا ينبغى للصوفى ألا يطيل اللبث فيه طويلا .

وانتقل التصوف نقلة حاسمة ومرحلة جديدة ، تمثلت فى تحول الصوفى من مجرد سالك أو متوكل يجعل كده وجهده فى مزيد من التأسى والمجاهدة فى العمل إلى صوفى ينقل إلينا تجربته الدينية الشخصية ، ويدفعنا إلى الاقتداء بطريقة تفكيره وتدبره إلى جانب اقتدائنا بطريقة السلوكية العملية ، وقد ظهر أيضا تصوف أصحاب وحدة الوجود ، الذى يشارك التصوف الحلولى فى مفارقة الألفاظ الاصطلاحية لمعانيها الدلالية والعبث بطريقة الاستدلال فى الأصول القرآنية والأحاديث النبوية للمصطلح الصوفى ، فبدلا من أن يكون اللفظ موضوعا على المعنى المراد فى الكتاب والسنة ، أصبح اللفظ نفسه موضوعا على نقيضه تماما تحت هذه الفلسفة .

ثم تناول البحث دراسة الأصول القرآنية لمصطلح التصوف ، على وجه خاص وتقرير الأصول التي يرد إليها الصوفية مصطلح التصوف ، ثم مناقشة ذلك مناقشة علمية ، لتقرير ما إذا كان الصوفية قد اهتموا بالبحث عن الأصول القرآنية والنبويه للتصوف ؟ وهل مصطلح التصوف له أصل في الكتاب والسنة يعتمد عليه ؟ وكيف ظهرت نسبة التصوف إلى الصوف ؟ ومن أول من صرح بها ؟ وهل رد التصوف إلى الصوف أو الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، يعتبر أصلا مقبولا ومقنعا له ما يؤيده في الكتاب والسنة ؟

## نتائج البحث وأهم التوصيات :

أولاً : نتائج البحث .

من خلال ما ورد في هذه الرسالة بجانبها النظرى والمعجمى يمكن أن نصل إلى بعض النتائج الآتية :

[1] - تبين لنا من خلال الدراسة الإحصائية التطبيقية للمصطلحات الصوفية أن الجانب الأصيل من حيث النسبة إلى القرآن والسنة أكبر بكثير من الجوانب الأخرى التي لحقت بالتصوف ولا أصل لها ، فقد بلغ مجموع الاصطلاحات الصوفية ذات الأصول القرآنية والنبوية في هذه الرسالة مائة وأربعة وعشرين مصطلحاً من مصطلح الأبد إلى مصطلح اليقين لها جميعها أصول قرآنية أو نبوية تؤيد المعنى الصوفى فى مرحلته الأولى وجانباً من الثانية ، كما بلغ عدد هذه المصطلحات مع مداخلها الفرعية والعامية ثلاثمائة وتسعة وثلاثين مصطلحاً ، فى حين بلغ مجموع الاصطلاحات الصوفية ذات الألفاظ القرآنية والنبوية فى هذه الرسالة من مصطلح الإحرام إلى مصطلح يوم الجمعة تسعة وتسعين مصطلحاً لهم أصول قرآنية أو نبوية من جهة اللفظ دون المعنى ، كما بلغ عدد هذه المصطلحات ، مع مداخلها الفرعية والعامية مائة وثلاثة وستين مصطلحاً ، وهذا يعنى أن جملة الاصطلاحات الصوفية التى وردت فى هذه الرسالة وعلى منهج الإحصاء المتبع فى المعاجم الأخرى بالإضافة إلى مصطلح التصوف ذاته أربع مصطلحات وخمسمائة .

[2] - بلغ عدد الشواهد القرآنية فى القسم المعجمى ما يقارب

ثلاثة آلاف شاهد قرآنى كما بلغ عدد الشواهد الحديثية أكثر

من ألفي حديث نبوي محكوم على درجتهم ، من حيث الصحة أو الضعف على منهج أهل الحديث ، وهذا العدد يعتبر الأكبر عند المقارنة بالمعاجم القديمة والحديثة التي ظهرت حتى الآن .

[3] - من النتائج الهامة أن السراج الطوسي يعتبر أول من نسب التصوف إلى الصوف ، وعلل ذلك بأنه دأب الأنبياء والصدّيقين وشعار المساكين المتنسكين ، وقد تبين من البحث في الأصول النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يرغب في لبس الصوف ولا يفضلهُ وأنه كان يلبسه عند الضرورة وكان أحب الثياب إليه صلى الله عليه وسلم القطن ، ولما أصل السراج الطوسي هذه النسبة وأظهر رأيه فيها بجرأة تتابع المؤلفون من معاصريه ولا حقية يوافقون رأيه أو يخالفون يدققون ويبحثون عن اللوازم المترتبة على رد التصوف إلى الصوف إما بإظهار نسبة أخرى تتآزر مع السابقة أو تنفرد دونها فالقول بأن التصوف إلى الصوف فقط تركيز على المظهر دون الجوهر والظاهر دون الباطن ودعوتهم في حقيقتها تنصب على الباطن ، وتدعوا إلى النظر في أعماق الأمور وبلوغ الحقيقة ، ومن ثم حاول الكلاباذي أن يستقصى كل الوجوه الممكنة ثم تابعه الهجویری والقشیری ثم الغزالي والسهروردي وغيرهم من مؤرخي

التصوف ، فكانت أبرز الوجوه التي يرد إليها التصوف غير الصوف ، القول بأنه من الصفاء أو الصفة أو الصف الأول ، وهى مبررات لا تشهد لها سلامة الاشتقاقات اللغوية ، وفضلا عن هذا فإن فيها نظر ، فالصفاء ليس وصفا للصوفية وحدهم والصفة كانت منزلا مؤقتا وضروريا للفقراء من المهاجرين حتى يتأهلوا لحياتهم الخاصة .

أما نسبة التصوف إلى الصف الأول ، فيكفى فى ردها قول السراج الطوسى فى وصف أداب الصوفية : ( ومن آدابهم أيضا أنهم يكرهون الإمامة والصلاة فى الصف الأول بمكة وغيرها ) (1) .

وعلى ذلك فالرأى المعترى هو ما ذكره القشيرى (ت:465هـ) حيث يقول : ( ثم هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال : رجل صوفى وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف وللجماعة متصوفة ) (2) .

ثم علل ذلك بأنه لا يشهد للتسمية من حيث العربية ، قياس ولا اشتقاق ، فالأظهر أنه كاللقب ، فالذين قالوا : إنه من الصوف ولبسه فذلك وجه ، ولكنهم لا يختصون بلبس الصوف ، والذين قالوا : يرد

---

1. اللع ص 208 .

2. الرسالة القشيرية 550/2 .

إلى الصفة التي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ، ومن قال : إنه  
من الصف الأول بعيد أيضا في مقتضى اللغة (1) .

[4] - دلت دراسة الأصول القرآنية للمصطلحات الصوفية على  
أن التصوف من حيث مبدأ الزهد أصيل المنشأ في البيئة  
الإسلامية ، فلا مؤثرات أجنبية ملحوظة حتى منتصف القرن  
الثالث الهجري على الأقل ، ومن الطبيعي أن الأمر طالما أنه  
اجتهاد لخدمة الدين وتطبيقه من الجانب العملي وتجسيد  
لمذاقات العبودية في صورة نظرية ، فمن المعقول أن يختلف الأمر  
من شخص إلى آخر ومن مذاق إلى آخر ، ومن ثم فسوف  
يأخذ منه ويرد ، وسوف يخضع لعوامل التطور واحتمال الخطأ  
والصواب والنقد والمخالفة .

[5] - أن التوحيد الصوفي عند أغلب أوائل الصوفية لا يجافى  
التوحيد السني بل يتآزران في التعبير عن عقيدة الكتاب والسنة ،  
فالتوحيد الصوفي لأوائل الصوفية شدد على ضرورة التخلص من  
خفايا الشرك والرياء والكبر وعبودية الدرهم والدينار والنفس  
والشيطان ، وجميع المصطلحات ذات الأصول القرآنية تشهد

لذلك ، ولم يثبت من خلالها جواز الأفعال التي تنسب إلى التصوف في هذا العصر ، من عكوف على قبور الصالحين

1. السابق 2 / 550 ، ص 551 .

ودعاء الأموات ، وإقامة الموالد لهم ، والاستعانة بهم ، والتوكل عليهم والنذر لهم أو شد الرحال إليهم ، بل مصطلحاتهم في توحيد العبادة تدل على السمو في تحقيق الإيمان وتجسيده .

[6] - أن بعض السلبيات الصوفية التي وجدت عند الأوائل ، وأثرت على الزيادة في زاوية الانحراف عبر القرون ، تتمثل في الغلو في الطاعة والالتزام بما ليس بلازم من الأحكام ، فكثير منهم نزل المندوب منزلة الوجوب ، وشق على نفسه في كثير من النواحي التي جعل الشرع فيها مندوحة وسعة ، فأصبحت هذه الالتزامات سنة عند المتأخرين لا يسعهم الخروج عنها ، وكل طريقة شددت على المريدين في الالتزام بمنهجها الخاص ، وإن لم ينسجم مع السنة في كثير من النواحي ، مما فتح الباب للاجتهاد في التصور الخاطئ لعلاقة الحب بين العبد وربّه ، فظهرت آراء شاذة ألصقتها الناس في أذهانهم بعامة الصوفية دون بعضهم ، فأراء الحلاج وشطحات أبي يزيد البسطامي والشبلي والنورى وغيرهم جعلت الناس يرفعونها على حساب التصوف من ناحية



، وإهمال الموقف الإيجابي للمشايخ في التبرؤ منها وتقبيحها من ناحية أخرى ، ومما زاد في الصاق هذه الأفكار بهم أنها وجدت فلسفة أخرى عند ابن عربي وابن الفارض وغيرهما ، ساعدت على إظهار المزيد من التجاوزات فأثمرت هذه الآراء علقما وحنظلا تتجرع الأمة الإسلامية مرارته .

[7] - الاستغلال السيئ لبعض المصطلحات الصوفية من قبل المرتسمين بالتصوف أو المعادين له أو للإسلام بصفة عامة ، فمن خلال عرض أوائل الصوفية لأقوال المخطئين في فهم هذه المصطلحات ، أو النظرة العامة للتطور الدلالي لكل مصطلح صوفي عبر مراحل التصوف المختلفة يستطيع الباحث أن يرى مدى الجهد المبذول لكشف المقصود في استعمال المصطلح المعين من ناحية ، وفهم الأثر السيئ لهذه المصطلحات والجهد المطلوب لرده من ناحية أخرى .

ثانيا : أهم التوصيات .

1- ما زال البحث في الأصول القرآنية والنبوية يحتاج إلى استقصاء أوسع لكل مصطلح صوفي على حده ، فالرسالة مع ضخامتها لم تستوعب العمل بشكل تام ، لأنه يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل ، وربما وجدت مصطلحات تخلفت عن جهدى فى حصرها وجمعها ، فالأمر يتطلب عملا موسوعيا شاملا ، يتكاتف المخلصون من المسلمين ، لفرز التراث الصوفى وفصل ما له علاقة مثمرة بالأصول القرآنية والنبوية ، وما هو لصيق بها ولا أصل له ، وهذا العمل بالغ الأهمية فى تقصى الحقائق ، ووزن الأمور بميزان الحق والاعتدال .

2- إذا كانت هذه الرسالة بداية لمن أراد المزيد في البحث عن الأصول القرآنية والنبوية للمصطلح الصوفي ، فإن البحث يتطلب أيضا دراسة الأصول الأجنبية للمصطلحات الصوفية والتي لم تتعرض لها الرسالة ، فلا بد من معرفة الاصطلاحات التي أدخلت على التصوف والبحث عن معانيها ومصادرها بصورة جديدة تكشف حقائق الأمور وتميز الخبيث من الطيب .

3- أوصى الباحثين بضرو التحرى وبذل الجهد في عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الأصلية ، ليس هذا فقط ، ولكن تحرى الحكم على الحديث أيضا حفاظا على السنة من ناحية ، وتثبيت الثقة في نفوس القراء والباحثين من ناحية أخرى ، وربما تطلب الأمر من الدارسين الرجوع إلى المحدثين وسؤالهم عن ثبوت الحديث ، إذا لم يهتد الباحث بمفرده إلى الحكم ، وهذا مما أراه واجبا لجدية الدراسة .

4- تفتقر المكتبة الصوفية إلى تفسير علمي جاد مبني على قواعد التفسير وأصوله المعتمدة عند علماء التفسير ، يجمع نتاج الصوفية في شرحهم لأعمال القلوب والجوارح وسائر المقامات والأحوال ، وما قدموه للجانب الروحي والأخلاقي في الإسلام ، وعلى النحو الاجتهادي الذي نراه في تراث المحاسبي وأبي طالب المكي وأبي

حامد الغزالي وغيرهم من تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة وأقوال الصحابة والتابعين .

5- اتباع الشرع بميزان الاعتدال ، لأن الغلو ابتداع في دين الله وقدح في سنة رسول الله ﷺ ووصف لأصحابه بالتقصير في الالتزام ، ولذلك قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : " كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ ، فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا ، فاتقوا الله يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم " (1) .  
كما أن الغلو في جانب سوف يؤدي إلى التقصير في جانب آخر على وجه الضرورة ، فاستطاعة الإنسان محدودة ، وقدرته مهما بلغت تتأثر بضعفه في ———

1. انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي 90/1 وحلية الأولياء 280/1 ، وأخرج البخارى نحوه عن حذيفة رضى الله عنه انظر كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (7282) .

النواحي الأخرى ، والله سبحانه كلفنا بمنهج يتناسب مع فطرتنا ، فقال سبحانه : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة/286] ، فالمنهج الإسلامى فيه الخير ولا خير أفضل منه .

6- وجوب الاعتدال في النظر إلى التصوف ورجاله ، فكل يأخذ من كلامه ويرد ، ولا يصح التحامل عليهم مطلقا ولا الموافقة لهم مطلقا ، صحيح أن الواقع الصوفى في العصر الحاضر يكون صورة بغیضة عن الصوفية وأبناء جنسهم ، لكن الله عز وجل أمرنا بالعدل

، فقال سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قِيَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المائدة/8] ، فمشايخ الصوفية الأوائل لهم كلام بديع يعبر عن حقيقة الدين ولبعضهم شطحات في بعض الأوقات تخرج عن حد الدين ، وقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال :

( تنازع الناس في طريقتهم ، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف ، وقالوا : إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ، وطائفة غالت فيهم وادعو أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء ، والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ) (1) .

---

1 . الصوفية والفقراء ص6، 7 .

أولاً : المطبوعات

- 1- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار صديق بن حسن القنوجي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، سنة 1978م .
- 2- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، للإمام ابن أبي حاتم محمد بن حبان البستي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة 1988م .
- 3- إحكام الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم الأندلسي ، طبعة مطبعة السعادة بمصر ، بدون تاريخ .
- 4- إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي ، طبعة دار إحياء الكتب العربية القاهرة سنة 1377 هـ ، 1957م ، وطبعة أخرى لدار الريان للتراث القاهرة سنة 1407 هـ ، 1987م .
- 5- أخبار الحلاج ، جمع الأستاذين : لويس ماسينيون ، وبول كراوس طبع في باريس سنة 1936م .

6- آداب المريدين ، تأليف أبي النحيب ضياء الدين السهروردي ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، طبعة دار الوطن العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

7- آداب المريدين وبيان الكسب ، للإمام الحكيم الترمذي ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة ، طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة بدون تاريخ .

8- الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، سنة 1989م 1409 هـ .

9- أدب النفس ، للإمام الحكيم الترمذي ، تحقيق الأستاذ ج أربري والدكتور علي حسن عبد القادر ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة سنة 1974م .

10- إرشاد الفحول ، للإمام محمد بن علي الشوكاني ، طبعة مصطفى البابي الحلبي مصر سنة 1356 هـ .

11- أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمرو الزمخشري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، سنة 1985م .

12- أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبي ، تأليف الدكتور عبد الحلیم محمود طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة سنة 1973م .

- 13- الإسلام في مواجهة الاستشراق العلمى ، للدكتور عبد العزيز المطعنى طبعة دار  
الوفاء ، بالمنصورة ، مصر ، سنة 1987م .
- 14- الإسلام والمستشرقون ، للدكتور عبد الجليل شلبي ، طبعة دار الشعب ، القاهرة  
بدون تاريخ .
- 15- أصول الدين ، تأليف عبد القادر بن طاهر البغدادي ، طبعة  
استانبول بتركيا سنة 1346 هـ ، 1928م .
- 16- أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، تأليف الإمام أبي عبد  
الرحمن السلمى تحقيق الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى محمد ،  
طبعة مطبعة الإرشاد ، القاهرة سنة 1405 هـ ، 1985م .
- 17- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى  
، طبعة عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .
- 18- أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية للشيخ  
محمود خطاب السبكي ، تحقيق سعيد عبد الفتاح سنة 1996م .
- 19- الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والنساء من  
العرب والمستعربين فى الجاهلية والإسلام ، تأليف خيرى الدين  
الزركلى طبعة المطبعة العربية ، القاهرة ، سنة 1927م .
- 20- أعمال القلوب والجوارح ، لأبي عبد الله الحارث بن أسد  
المحاسبي ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، طبعة دار التراث العربى  
القاهرة ، سنة 1400 هـ ، 1980م .



- 21- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى ، لأبي الحسن على بن عيسى الرماني تحقيق ودراسة الدكتور فتح الله المصري ، دار الوفاء ، مصر سنة 1987م .
- 22- الأم ، للإمام محمد بن إدريس الشافعي ، طبع بعناية محمد زهري النجار طبعة دار المعرفة ، الطبعة الثانية ، بيروت لبنان سنة 1393هـ .
- 23- الإمام القشيري سيرته آثاره مذهبه في التصوف ، للدكتور إبراهيم بسيوني طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، سنة 1972م .
- 24- الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق مشهور حسن سليمان ، طبعة دار الأرقم ، الدمام ، السعودية سنة 1410 هـ ، 1990م .
- 25- الإيماء عن إشكالات الإحياء للغزالي ، نسخة مطبوعة على هامش إحياء علوم الدين ، طبعة فيصل الحلبي ، دار إحياء الكتب العربية ، بدون تاريخ ، وطبعة أخرى لدار الريان للتراث ، القاهرة سنة 1407 هـ .
- 26- الأنساب ، لأبي سعيد عبد الكريم بن أبي بكر بن أبي المظفر بن عبد الجبار التميمي السمعاني المتوفى سنة 542 هـ .

- 27- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ، لعبد الكريم بن إبراهيم الجيلي طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة سنة 1956م ، 1375 هـ .
- 28- إنشاء الدوائر لمحى الدين بن عربي ، نشر ليدن ، طبعة مكتبة المثني بغداد سنة 1363 هـ ، وطبعة أخرى لعالم الفكر سنة 1997م .
- 29- أيام الشأن ، رسالة ضمن مجموعة رسائل ابن عربي طبعة ، دار إحياء التراث العربي ، حيدر آباد ، الهند ، سنة 1948م .
- 30- الإيمان للدكتور محمد عبد الله الشرفاوى ، مكتبة الزهراء الطبعة الأولى ، القاهرة سنة 1409 هـ ، 1989م .
- 31- ابن الفارض والحب الإلهي للدكتور محمد مصطفى حلمي الطبعة الثانية طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1971م .
- 32- ابن تيمية وفلسفة التصوف ، للدكتور محمد سليمان داود ، الطبعة الثانية القاهرة ، سنة 1983م .
- 33- ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ، للدكتور محمد السيد الجليند طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر القاهرة سنة 1393 هـ 1973م .
- 34- ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، للدكتور أبي الوفا التفتازاني ، طبعة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سنة 1973م .
- 35- اتباع السنن واجتناب البدع ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسى ، تحقيق على حسن على طبعة دار ابن القيم ، الرياض السعودية سنة 1988م .
- 36- الاتجاه الأخلاقي في الإسلام للدكتور مقداد بالجن ، طبعة مطبعة الخانجي ، الطبعة أولى سنة 1973م .

37- الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامى ، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، طبعة دار الفكر العربى ، القاهرة سنة 1993م .

38- الاتجاهات الحديثة في صناعة المعجمات ، للدكتور محمود فهمى حجازى ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة الجزء الأربعون سنة 1977م .

39- الاتقان فى علوم القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطى ، طبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة سنة 1354هـ .

40- الاستشراق دراسات تحليلية تقويمية ، للدكتور محمد عبد الله الشرقاوى ، طبعة دار الفكر العربى القاهرة سنة 1992م .

41- الاستقامة ، لإبى العباس تقى الدين ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة مؤسسة قرطبة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

42- اصطلاحات الصوفية لمحى الدين ابن عربى ، طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن سنة 1948م ، وطبعة أخرى ملحقه فى نهاية كتاب التعريفات للجرجانى ، مكتبة لبنان ، بيروت سنة 1996م .

43- الاعتصام ، لأبى اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- 44- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، للإمام  
أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق أحمد عصام الطالب ،  
طبعة دار الأوقاف الجديدة ، بيروت بدون تاريخ .
- 45- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، لأحمد محمد شاكر طبعة دار  
الكتب العلمية بيروت 1403هـ
- 46- البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير  
القرشي الدمشقي طبعة المطبعة السلفية ، القاهرة سنة 1351 هـ  
1932م .
- 47- البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة ، تأليف الشيخ  
سلامة العزامي تقديم الشيخ الكوثري ونجم الدين الكردي ، طبعة  
مطبعة السعادة القاهرة سنة 1366 هـ ، 1948م .
- 48- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل  
إبراهيم ، طبعة دار المعرفة ، بيروت سنة 1972م .
- 49- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، الحارث بن أبي أسامة  
البغدادي مراجعة حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة  
والسيرة النبوية ، المدينة المنورة ، سنة 1992م ، 1413 هـ .
- 50- بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، للحكيم  
الترمذي تحقيق الدكتور نقولا هير ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ،  
بدون تاريخ .

- 51- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، المطبعة الخيرية  
القاهرة سنة 1306 هـ .
- 52- تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد  
الغفور عطار ، القاهرة سنة 1337 هـ .
- 53- تاريخ أدبيات در إيران ، للدكتور ذبيح الله صفا ، الطبعة الثالثة سنة 1339 هـ .
- 54- تاريخ الأخلاق في الإسلام للدكتور ، محمد يوسف موسى ،  
القاهرة سنة 1952 م .
- 55- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، لأبي عبد الله  
محمد بن أحمد الذهبي ، طبعة مكتبة القدس ، القاهرة سنة  
1367 هـ .
- 56- تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ، للمستشرق لويس ماسينيون تحقيق  
الدكتور زينب الخضيرى ، طبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية سنة 1991 م .
- 57- تاريخ التراث العربى ، لفؤاد سيزكن ، طبعة الهيئة المصرية  
العامة  
للكتاب ، سنة 1978 م .
- 58- تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى ،  
للدكتور عبد الرحمن بدوى ، طبعة وكالة المطبوعات ، الكويت ،  
سنة 1975 م .
- 59- تاريخ التصوف فى الإسلام ، تأليف قاسم غنى ، ترجمه عن  
الفارسية صادق نشأت ، طبعة النهضة المصرية القاهرة 1390 هـ  
، 1970 م .

60- تاريخ الرسل والملوك ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعارف القاهرة سنة 1383 هـ 1964 م .

61- تاريخ الفلسفة الإسلامية ، القسم الأول ، تأليف المستشرق هنرى كوربان ترجمة حسن قيسى وزميله ، مراجعة وتقديم موسى الصدر وعارف تامر الطبعة الأولى 1966 م .

62- التاريخ الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ، طبعة مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد ، الهند ، سنة 1360 هـ .

63- تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية للإمام محمد أبو زهرة ، طبعة دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

64- تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، وطبعة مطبعة السعادة ، القاهرة سنة 1349 هـ ، 1931 م .

65- التبيان فى علوم القرآن ، محمد بن على الصابونى ، طبعة مكة ، الطبعة الثانية ، سنة 1400 هـ ، 1980 م .

66- التدبيرات الإلهية فى إصلاح المملكة الإنسانية لابن عرب ، نشر ليدن طبعة بريل ، مكتبة المثنى ببغداد سنة 1336 هـ .

67- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للحافظ جلال الدين السيوطى دار الفكر

- 68- تذكرة الأولياء ، لفريد الدين العطار ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- 69- تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الدمشقي  
مراجعة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، دار الكتب العلمية بيروت  
1374 هـ .
- 70- تذكرة الخواص ، لمحي الدين بن عربي ، نشر روجر دولادير  
سنة 1975م .
- 71- تراث الإسلام المستشرق شاخ وبوزورث الجزء الثاني طبعة عالم المعرفة ترجمة  
الدكتور حسين مؤنس وإحسان صدقي العمدة ، الكويت سنة 1988م .
- 72- التربية الأخلاقية في الإسلام للدكتور مقداد بالجن ، مطبعة  
الخانجي طبعة الأولى ، سنة 1977م .
- 73- ترجمان الأشواق ، لمحي الدين بن عربي ، طبعة دار صادر ،  
بيروت سنة 1966م .
- 74- التسهيل في علوم التنزيل لابن جزى الكلبي ، تحقيق مصطفى محمد سنة 1355  
هـ .
- 75- التصوف الإسلامي ، لزكى مبارك ، طبعة الاعتماد ،  
القاهرة سنة 1937م .
- 76- التصوف طريقا وتجربة ومذهبا ، تأليف الدكتور محمد كمال  
إبراهيم جعفر طبعة دار الكتب الجامعية ، القاهرة سنة 1390 هـ  
، 1970م .
- 77- التصوف عند المستشرقين ، للدكتور أحمد الشرباصي ، القاهرة سنة 1966م .

78- التصوف فى الإسلام وأهم الاعتراضات الواردة عليه ، تأليف  
الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، طبعة دار الثقافة العربية ،  
القاهرة سنة 1407 هـ ، 1986م .

79- التصوف فى تراث ابن تيمية ، تأليف الدكتور الطبلاوى محمود  
سعد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة 1405  
هـ 1984م .

80- التعبير الاصطلاحي دراسة فى تأصيل المصطلح ومفهومه  
ومجالاته الدلالية ، وأنماطه التركيبية للدكتور زكى حسام الدين كريم  
، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، سنة 1985م .

81- التعرف لمذهب أهل التصوف ، لأبى بكر محمد الكلاباذى ،  
تحقيق محمود أمين النواوى ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ،  
القاهرة سنة 1400 هـ ، 1980م وطبعة أخرى ، تحقيق  
الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور القاهرة طبعة  
عيسى الحلبي سنة 1960م .

82- التعريفات ، للشريف الجرجاني مكتبة لبنان ، بيروت  
سنة 1978م .

83- تفسير ابن جرير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، لأبى جعفر محمد  
ابن جرير الطبرى ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ، مراجعة الشيخ أحمد محمد  
شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .



- 84- تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشى  
الدمشقى طبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة بدون تاريخ .
- 85- تفسير القرآن العظيم ، لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري ،  
طبعة دار الكتب العربية الكبرى ، القاهرة سنة 1329 هـ .
- 86- تفسير القرآن الكريم ، لعبد الرزاق الكاشاني ، منسوب إلى محي الدين بن عربي  
طبعة دار الأندلس ، بيروت سنة 1978 م .
- 87- تقريب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر  
العسقلاني مراجعة محمد عوامه ، دار الرشيد سوريا سنة 1986 م  
، 1406 هـ .
- 88- تلبيس إبليس ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، طبعة  
مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة ، القاهرة ، سنة 1391 هـ ،  
1971 م .
- 89- التنوير في إسقاط التدبير ، تأليف ابن عطاء السكندري ،  
تحقيق موسى محمد علي الموشى ، وعبد العال أحمد العرابي القاهرة  
بدون تاريخ .
- 90- تهافت الفلاسفة ، لأبي حامد الغزالي ، تحقيق سليمان دنيا  
طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة ، القاهرة ، سنة 1972 م .
- 91- تهذيب الأخلاق لأبي علي أحمد مسكويه ، تحقيق قسطنطين  
زريق طبعة دار الحياة بيروت .

- 92- تهذيب التهذيب لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الفكر بيروت 1984م 1404 هـ
- 93- تهذيب الصحاح ، تأليف محمود الزنجاني ، طبعة دار المعارف بمصر بدون تاريخ .
- 94- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الدمشقي ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة بدون تاريخ .
- 95- توجيه النظر إلى علوم الأثر ، إعداد طاهر الجزائري ، طبعة مصر سنة 1328 هـ .
- 96- توحيد الربوبية ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد طبعة دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، سنة 1381 هـ .
- 97- التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية طبعة دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت الطبعة الأولى ، سنة 1410 هـ .
- 98- تيسير مصطلح الحديث ، للشيخ محمود الطحان ، طبعة دار التراث الكويت ، سنة 1984م .

- 99- الجامع الصحيح ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، مع فتح البارى ، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة سنة 1407 هـ ، 1986 م .
- 100- الجامع الصحيح ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة المكتبة السلفية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- 101- الجامع الصحيح المختصر لمحمد بن إسماعيل البخارى مراجعة مصطفى ديب البغا ، طبعة دار ابن كثير بيروت سنة 1987م ، 1407 هـ .
- 102- جامع العلوم والحكم ، للإمام ابن رجب الحنبلى ، طبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة ، سنة 1369 هـ ، 1948 م .
- 103- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، كتاب الشعب ، مصر .
- 104- جزء أشيب لأبي على الحسن بن موسى الأشيب البغدادي مراجعة خالد بن قاسم ، دار علوم الحديث ، الفجيرة 1410 هـ ، 1990م .
- 105- الحرية فى الإسلام ، تأليف الشيخ محمد الخضر حسين طبعة دار الاعتصام للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، سنة 1403 هـ ، 1982م .

106- الحكيم الترمذى ونظريته في الولاية ، للدكتور عبد الفتاح عبد الله بركه طبعة مجمع البحوث الإسلامية القاهرة سنة 1391 هـ ، 1971م .

107- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة سنة 1351 هـ .

108- الحياة الروحية في الإسلام ، تأليف الدكتور محمد مصطفى حلمى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة سنة 1984م .

109- ختم الأولياء ، تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن الحكيم الترمذى تحقيق عثمان إسماعيل يحيى ، طبعة المطبعة الكاثوليكية ، بيروت سنة 1965م .

110- خلق أفعال العباد ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخارى تحقيق على سامى النشار وعمار الطالبي ، طبعة منشأة المعارف الإسكندرية سنة 1971م ، وطبعة أخرى مراجعة عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف السعودية الرياض سنة 1978م ، 1398 هـ .

111- دائرة المعارف الإسلامية ، تحقيق إبراهيم زكى خورشيد وأحمد الشناوى وعبد الحميد يونس ، القاهرة دار الشعب سنة 1933م .

- 112- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي طبعة دار الفكر ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- 113- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية سنة 1403 هـ ، 1983 م .
- 114- دراسات أصولية في السنة النبوية ، للدكتور محمد إبراهيم الحفناوى طبعة دار الوفا الطبعة الأولى ، المنصورة مصر سنة 1412 هـ 1991 م .
- 115- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية تأليف رودى بارت ترجمة الدكتور مصطفى ماهر دار الكتاب العربى بمصر سنة 1967م .
- 116- دراسات في الفلسفة الإسلامية ، تأليف الدكتور محمود قاسم طبعة مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة سنة 1972 م .
- 117- دستور الأخلاق في القرآن الكريم للدكتور محمد عبد الله دراز ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين سنة 1973م .
- 118- دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة 1972م .
- 119- ديوان الشيخ الأكبر ابن عربى ، تصوير مكتبة المثنى ، بغداد عن طبعة بولاق القاهرة سنة 1271 هـ .
- 120- الديوان لعمر ابن الفارض ، تحقيق فوزى عطوى ، طبعة الشركة اللبنانية للكتاب بيروت ، 1969 م .

- 121- ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق لابن عربي ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الكردي ، بيروت سنة 1312 هـ .
- 122- الرد على الجهمية ، تأليف عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق على سامي النشار وعمار الطالبي ، ضمن عقائد السلف القاهرة بدون تاريخ .
- 123- الرد على الزنادقة والجهمية ، للإمام أحمد بن حنبل ، نشرة قصي محب الدين الخطيب ، طبعة المطبعة السلفية ، القاهرة ، سنة 1399 هـ .
- 124- الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ، للحارث بن أسد المحاسبي تحقيق محمد عثمان الخشت ، طبعة مطبعة القرآن ، القاهرة ، سنة 1405 .
- 125- رسائل ابن عربي طبعة دار إحياء التراث العربي ، حيدر آباد ، الهند سنة 1948م .
- 126- الرسائل الصغرى لابن عباد النفري المطبعة الكاثوليكية ، بيروت 1957م .
- 127- رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى طبعة دار التقوى ، بليس ، مصر .
- 128- الرسالة العرشية ، وهي رسالة ضمن مجموعة تسع رسائل لابن سينا طبعة مطبعة كردستان العلمية ، سنة 1328 هـ .

129- الرسالة القشيرية ، للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري  
تحقيق

الدكتور عبد الحلیم محمود ، ومحمود بن الشریف ، طبعة دار  
الكتب الحديثة القاهرة سنة 1974م .

130- رسالة المسترشدين تحقيق عبد الفتاح أبو غدة طبعة مكتبة دار  
السلام الطبعة الرابعة ، القاهرة سنة 1982م .

131- شرح الزلال تحقيق سعيد عبد الفتاح ، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة سنة  
1995م .

132- الرعاية لحقوق الله للحارث بن أسد المحاسبي تحقيق الدكتور  
عبد الحلیم محمود طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1990م .

133- الروضة الندية شرح الدرر البهية ، لأبي الطيب صديق بن  
حسن البخارى ، مكتبة التراث القاهرة ، بدون تاريخ .

134- الرياضة وأدب النفس ، للحكيم الترمذى ، تحقيق الأستاذ ،  
ج أربرى والدكتور على حسن عبد القادر ، طبعة مصطفى البابى  
الحلبى ، القاهرة سنة 1947م .

135- زاد المسير فى علم التفسير ، لأبي الفرج جمال الدين بن الجوزى  
تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله ، طبعة دار الفكر الإسلامى ،  
القاهرة سنة 1987م .

136- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى  
طبعة أنصار السنة المحمدية ، القاهرة 1370 هـ ، 1951م .

- 137- السلوك ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد  
الحليم بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، وابنه محمد  
، طبعة دار الإفتاء المملكة العربية السعودية ، سنة 1381 هـ .
- 138- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ، للدكتور مصطفى السباعى طبعة المكتب  
الإسلامى بيروت سنة 1978م .
- 139- سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ،  
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
- 140- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزوينى بن  
ماجه تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسى  
الحلبى ، القاهرة سنة 1372 هـ ، 1952م .
- 141- سنن الترمذى ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذى ، تحقيق  
عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبعة مطبعة المدنى ، القاهرة سنة  
1384 هـ .
- 142- سنن الدارقطنى لأبي الحسن على بن عمر الدارقطنى ، مراجعة  
السيد عبد الله هاشم يماني المدنى دار المعرفة بيروت سنة 1966م ،  
1386 هـ .
- 143- سنن الدارمى ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل  
الدارمى تحقيق محمد أحمد دهمان ، طبعة دار إحياء السنة النبوية ،  
القاهرة ، بدون تاريخ .



144- السنن الكبرى ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي  
مراجعة محمد عبد القادر عطا مكتبة دار الباز مكة 1994م ،  
1414 هـ .

145- سنن النسائي ، شرح السيوطي ، لأبي عبد الرحمن بن شعيب  
بن علي النسائي طبعة المطبعة المصرية ، مصطفى الحلبي ، القاهرة  
سنة 1383 هـ .

146- السياسة الشرعية ونظام الدولة الإسلامية في الشؤون الدستورية  
والخارجية والمالية للشيخ عبد الوهاب خلاف ، طبعة دار الأنصار  
، القاهرة سنة 1977م .

147- سير أعلام النبلاء ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان  
الذهبي طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

148- سيرة الشيخ الكبير أبعبد الله محمد بن خفيف الشيرازي ،  
تأليف أبي الحسن علي بن محمد الديلمي ، تحقيق الدكتور  
إبراهيم الدسوقي شتا طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر  
الشريف ، القاهرة سنة 1397 هـ ، 1977م .

149- السيرة النبوية ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام ، تحقيق محمد  
محي الدين عبد الحميد ، طبعة مطبعة المدني ، القاهرة سنة  
1383 هـ .

- 150- شجرة الكون لمحي الدين ابن عربي ، طبعة مكتبة الشمرلى  
الأسكندرية ، بدون تاريخ .
- 151- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى  
بن أحمد الصالحى المشهور بابن العماد الحنبلى ، طبعة مكتبة  
القدسى ، القاهرة ، سنة 1350 هـ .
- 152- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة  
وإجماع الصحابة تأليف أبى القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور  
الطبرى اللالكائى تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان طبعة دار  
طبية ، الرياض سنة 1409 هـ 1988م .
- 153- شرح السنة ، للإمام الحسين بن مسعود الفراء البغوى ، تحقيق  
زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط طبعة المكتب الإسلامى القاهرة  
1396 هـ .
- 154- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبى العز على بن على الحنفى  
، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، طبعة المكتب  
الإسلامى القاهرة سنة 1392 هـ .
- 155- شرح معانى الآثار لأبى جعفر أحمد بن محمد بن سلامة  
الطحاوى مراجعة محمد زهرى النجار دار الكتب العلمية بيروت  
سنة 1979م .

- 156- الشريعة ، لأبي محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي  
الأجري تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى طبعة أنصار السنة  
المحمدية القاهرة 1369 هـ .
- 157- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،  
تأليف الإمام شمس الدين محمد ابن القيم الجوزية ، طبعة دار  
الفكر ، القاهرة سنة 1398 هـ ، 1978 م .
- 158- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ ، تأليف إحسان إلهى ظهير الطبعة الثالثة إدارة  
ترجمان السنة لاهور باكستان سنة 1984م ، 1404 هـ
- 159- الشيعة والسنة تأليف إحسان إلهى ظهير ، إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان  
الطبعة الثالثة سنة 1396 هـ ، 1976م .
- 160- صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن  
حبان التميمى تحقيق الشيخ أحمد شاکر ، طبعة دارالمعارف ،  
القاهرة ، سنة 1372 هـ ، وطبعة أخرى مراجعة شعيب  
الأرنؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1993م ، 1414  
هـ .
- 161- صحيح ابن خزيمة لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة  
النيسابورى مراجعة الدكتور محمد مصطفى الأعظمى ، المكتب  
الإسلامى ، بيروت سنة 1970م ، 1390 هـ .

162- صحيح الجامع ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، طبعة

المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ، دمشق ، سوريا ، سنة 1399

هـ .

163- صفة الصفوة ، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن

علي بن الجوزي طبعة دار الصفا ، القاهرة سنة 1411 هـ .

164- الصفدية ، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن

تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة دار الإفتاء

بالمملكة العربية السعودية ، الرياض ، سنة 1406 هـ .

165- الصلاة ومقاصدها ، لأبي عبد الله محمد بن الحسن الحكيم

الترمذي تحقيق الأستاذ حسني نصر زيدان ، طبعة القاهرة ، سنة

1965م .

166- الصوفية في الإسلام رينولد نيكلسون ، ترجمة نور الدين شريعة القاهرة

سنة 1947م .

167- الصوفية والفقراء ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تقديم الدكتور

محمد جميل غازي طبعة مكتبة المدني ، جدة ، السعودية ، بدون

تاريخ .

168- صيد الخاطر ، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن

علي بن الجوزي طبعة دار الفكر العربي ، دمشق ، سوريا سنة

1380 هـ .

- 169- طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين عبد الوهاب بن على السبكي تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي ، طبعة المطبعة الحسينية القاهرة 1324 هـ .
- 170- طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ، تحقيق نور الدين شريبه طبعة مكتبة الخانجي ، القاهرة سنة 1372 هـ .
- 171- الطبقات الكبرى ، لعبد الوهاب بن أحمد بن الشعراني ، طبعة بولاق القاهرة سنة 1914م .
- 172- طبقات المعتزلة ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق سوسنه ديفشلد فيلزر طبعة المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، بدون تاريخ .
- 173- الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها ، للدكتور عامر النجار طبعة مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، سنة 1987م .
- 174- طريق الله تعالى لعبد الكريم القشيري ، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني والدكتور محمد غانم ، القاهرة سنة 1985م .
- 175- طريق المهجرتين وباب السعادتين ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزية تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، سنة 1407 هـ .
- 176- طريق المهجرتين وباب السعادتين ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزية تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، سنة 1407 هـ .

- 177- الطواسين ، لأبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج طبعة باريس سنة 1913م  
ونصوص أخرى عن أخبار الحلاج شاركه في جمعها المستشرق بول كراوس وطبعت في  
باريس سنة 1936م .
- 178- ظهر الإسلام لأحمد أمين ، دار النهضة العربية القاهرة  
1961هـ .
- 179- العبادلة تأليف محي الدين بن عربي ، تحقيق عبد القادر أحمد  
عطا الطبعة الأولى نشر مكتبة القاهرة بالصناديقية الأزهر سنة  
1969م .
- 180- عقلة المستوفز لابن عربي تصوير مكتبة المثني ببغداد عن طبعة  
بريل سنة 1336هـ .
- 181- العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الإسلام لجولد  
تسهير ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وآخرين طبعة دار الكتب العربي الطبعة الثانية  
سنة 1959م .
- 182- علم الدلالة ، للدكتور أحمد مختار عمر ، طبعة مكتبة دار  
العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت سنة 1982م .
- 183- علم اللغة وصناعة المعجم ، للدكتور على القاسمي ،  
مطبوعات جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ،  
سنة 1975م .
- 184- علوم الحديث لابن الصلاح ، طبعة دار الفكر دمشق سنة 1986م .
- 185- عنقاء معرب لابن عربي طبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، بدون  
تاريخ .

- 186- عوارف المعارف ، لشهاب الدين أبي حفص بن عمر السهروردي تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود والدكتور محمود بن الشریف ، طبعة مطبعة السعادة القاهرة سنة 1971 م .
- 187- العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، تأليف القاضي أبي بكر بن العربي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية ، الطبعة الخامسة القاهرة سنة 1399 هـ .
- 188- العواصم والقواسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، لابن الوزير، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ .
- 189- عيوب النفس ، لأبي عبد الرحمن السلمی ، تحقيق مجدى فتحى السيد ، طبعة مكتبي الصحابة ، طنطا ، مصر ، سنة 1408 هـ ، 1987م .
- 190- فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقہ ، تحقيق الدكتور عبد المعطى أمين قلعبجى ، الطبعة الأولى ، طبعة دار الوعى حلب سوريا سنة 1403 هـ ، 1983م .
- 191- فتح البارى شرح صحيح البخارى ، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الريان للتراث القاهرة سنة 1407 هـ ، 1986م .

- 192- الفتح الرباني والفيض الرحماني لعبد القادر الجيلاني ، طبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة سنة 1979م .
- 193- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني طبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة سنة 1383 هـ .
- 194- فتوح الغيب للشيخ عبد القادر الجيلاني ، طبعة مكتبة الحلبي القاهرة سنة 1973م .
- 195- الفتوحات المكية ، لأبي بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد الشهير بابن عربي ، تصوير دار صادر بيروت عن طبعة بولاق ، القاهرة ، سنة 1293 هـ ، وطبعة أخرى نشرة عثمان يحيى طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 196- الفتوى الحموية الكبرى ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة روضة الفسطاط القاهرة سنة 1398 هـ .
- 197- الفتوى الحموية الكبرى ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة روضة الفسطاط القاهرة سنة 1398 هـ .
- 198- الفرق بين الفرق ، تأليف عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان سنة 1405 هـ ، 1985م .



199- الفرق بين الفرق ، تأليف عبد القادر بن طاهر بن محمد  
البغدادي طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان سنة  
1405 هـ ، 1985 م .

200- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تأليف الإمام أبي محمد  
على بن أحمد بن حزم الظاهري ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم  
نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة ، طبعة دار الجبل بيروت لبنان  
سنة 1405 هـ ، 1985 م .

201- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تأليف الإمام أبي محمد  
على بن أحمد بن حزم الظاهري ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم  
نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة ، طبعة دار الجبل بيروت لبنان  
سنة 1405 هـ ، 1985 م .

202- فصوص الحكم لابن عربي نشر أبو العلا عفيفي ، طبعة دار  
الكتاب

العربي بدون تاريخ ، وأخرى شرح عبد الرزاق الكاشاني ، طبعة  
مكتبة البابي الحلبي سنة 1966 م .

203- فصوص الحكم لابن عربي نشر أبو العلا عفيفي ، طبعة دار  
الكتاب العربي بدون تاريخ ، وأخرى شرح عبد الرزاق الكاشاني ،  
طبعة مكتبة البابي الحلبي سنة 1966 م .

- 204- فصول فى التصوف ، تأليف الدكتور حسن محمود عبد اللطيف الشافعى ، طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة سنة 1991 هـ .
- 205- فضائح الباطنية ، للإمام أبى حامد الغزالى ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة القاهرة ، سنة 1964م .
- 206- فضائل الصحابة لأبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى ، مراجعة وصى الله محمد عباس طبعة مؤسسة الرسالة بيروت سنة 1983م ، 1403 هـ .
- 207- الفكر الإسلامى والفلسفات المعارضة فى القديم والحديث ، للدكتور عبد القادر محمود ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986م .
- 208- الفهرست ، تأليف أبى الفرج محمد بن اسحاق بن النديم ، طبعة المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، سنة 1348 هـ ، ونسخة أخرى طبعة دار المعرفة بيروت سنة 1978م ، 1398 هـ .
- 209- فوات الوفيات ، لابن شاعر الكتبى ، تحقيق محمد بن محى الدين عبد الحميد طبعة بولاق ، القاهرة ، سنة 1951م .

- 210- فى التصوف الإسلامى وتاريخه لرينولد نكلسون ، ترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر .
- 211- قاموس الرجال فى تحقيق رواة الشيعة ومحدثهم ، تأليف محمد تقى بن حسن التستري ، مركز نشر الكتاب طهران سنة 1382 هـ .
- 212- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز أبادى ، طبعة المطبعة المصرية الطبعة الثالثة ، القاهرة سنة 1353 هـ ، 1935م .
- 213- القصد والرجوع إلى الله ، لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، طبعة دار التراث العربى ، القاهرة ، سنة 1400 هـ ، 1980م .
- 214- القضاء والقدر فى الإسلام ، تأليف الدكتور فارق أحمد الدسوقى طبعة دار الدعوة ، الإسكندرية ، سنة 1984 هـ .
- 215- قضية التصوف المنقذ من الضلال ، للدكتور عبد الحلیم محمود ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة 1985 م .
- 216- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للقاسمى ، طبعة البابى الحلبي سنة 1380 هـ .
- 217- قوت القلوب فى معاملة المحبوب ، للشيخ أبى طالب محمد بن أبى الحسن على بن عباس المكى ، طبعة مكتبة المتنبى القاهرة سنة 1310 هـ .

- 218- الكامل فى التاريخ ، لعلى بن محمد بن الأثير ، طبعة مصطفى البابى الحلبي القاهرة سنة 1303 هـ .
- 219- كتاب التوهم ، لأبى عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى طبعة دار التراث العربى القاهرة سنة 1400 هـ ، 1980 م .
- 220- كتاب الصدق لأبى سعيد أحمد بن عيسى الخراز ، تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة سنة 1975 م .
- 221- كتاب الضعفاء ، لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، مراجعة فاروق حماده دار الثقافة ، الدار البيضاء سنة 1984م ، 1405 هـ .
- 222- كتاب العلم لأبى خيثمة زهير بن حرب النسائى ، مراجعة محمد ناصر الدين الألبانى ، كتب الإسلامى بيروت سنة 1403 هـ ، 1983 م .
- 223- كتاب العين ، لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائى ، طبعة دار ومكتبة الهلال ، بدون تاريخ .
- 224- كتاب الفناء لأبى القاسم الجنيد بن محمد ، نشره الدكتور محمد كمال جعفر فى كتابه التصوف طريقا وتجربة ومذهبا .

225- كتاب المصاحف ، لعبد الله بن أبي داود ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة سنة 1936م .

226- كشف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، طبعة طهران سنة 1947 وأربعة أجزاء تصل إلى فصل الباء من باب الصاد ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تحقيق لطفى عبد البديع وعبد المنعم حسنين .

227- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني ، طبعة دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان سنة 1351 هـ .

228- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة ، نشرة المستشرق جوستاف فلويجل ، طبعة مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

229- كشف المحجوب ، لأبي الحسن علي بن عثمان الهجویری ، تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا ، دار التراث العربي القاهرة 1394 هـ .

230- الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية لعبد الكريم الجيلي تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح ، نشر مكتبة عالم الفكر القاهرة سنة 1997م .

- 231- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تأليف عبد الرؤوف المناوى ، نشر منه جزء واحد ، القاهرة ، سنة 1357 هـ .
- 232- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الحديث ، القاهرة سنة 1993 م .
- 233- اللباب في تهذيب الأنساب ، لعلى بن محمد بن الأثير طبعة مكتبة القدسى ، القاهرة سنة 1375 هـ .
- 234- لسان العرب ، لمحمد بن المكرم بن منظور الإفريقي طبعة دار المعارف القاهرة سنة 1307 هـ ، وطبعة أخرى لدار بيروت سنة 1374 هـ .
- 235- لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلاني مراجعة دائرة المعارف النظامية الهند بيروت سنة 1986م 1406 هـ .
- 236- لطائف الإشارات ، للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري ، طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- 237- لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام لعبد الرزاق الكاشانى ، تحقيق سعيد عبد الفتاح مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة 1996 هـ .

- 238- اللمع في التصوف ، لأبي نصر السراج الطوسي ، تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود ، وطه عبد الباقي سرور ، طبعة دار الكتب الحديثة القاهرة سنة 1960 م .
- 239- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري تقديم الدكتور محمود غرابة ، طبعة مطبعة مصر ، القاهرة سنة 1955 م .
- 240- ماهية العقل ، للحارث بن أسد المحاسبي ، تحقيق الدكتور حسين القوتلي ، طبعة بيروت ، لبنان ، سنة 1972 هـ .
- 241- مباحث في علوم القرآن ، لصبحي صالح ، طبعة دار العلم ، القاهرة بدون تاريخ .
- 242- المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين لسيف الدين الأمدى تحقيق الدكتور حسن محمود الشافعي ، طبعة مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية سنة 1413 هـ ، 1993 م .
- 243- المجتبى من السنن لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، مراجعة عبد الفتاح أبو غدة مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب 1986م ، 1406 هـ .
- 244- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي طبعة مطبعة القدس القاهرة ، بدون تاريخ .
- 245- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار لابن عربي دار اليقظة العربية بيروت 1968 م .

- 246- المحيط بالتكاليف ، لقاضى القضاءه أبى الحسن عبد الجبار  
الأسد ابادى تحقيق عمر عزمى ، طبعة دار الكتب المصرية ،  
القاهرة سنة 1965م .
- 247- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة تأليف شمس  
الدين بن القيم الجوزية ، طبعة مكتبة المتنبي القاهرة سنة 1981  
م .
- 248- مختصر العلو للعلى الغفار ، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبى  
، تحقيق محمد ناصر الألبانى ، طبعة المكتب الإسلامى دمشق  
سوريا سنة 1401 هـ 1981م .
- 249- مختصر منهاج القاصدين ، تأليف أحمد بن عبد الرحمن بن  
قدامى المقدسى طبعة مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، سنة  
1994م .
- 250- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تأليف  
شمس الدين بن القيم الجوزى ، طبعة دار الفكر العربى القاهرة سنة  
1375 هـ .
- 251- مدخل إلى التصوف الإسلامى ، تأليف الدكتور أبو الوفا  
التفتازانى طبعة دار الثقافة ، القاهرة سنة 1983م .



252- مذهب التفسير الإسلامى للمستشرق إجناز جولد تسهير ،  
ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، طبعة دار الكتاب العربى سنة  
1959م .

253- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، للإمام أبى عبد الله محمد بن عبد  
الله بن أسعد اليافعى ، طبعة حيدآباد ، الهند سنة 1338 هـ .

254- المستدرك على الصحيحين ، لأبى عبد الله محمد بن عبد الله  
الحاكم النيسابورى ، طبعة حيدر آباد ، الهند سنة 1342 هـ ،  
وطبعة أخرى مراجعة مصطفى عبد القادر عطا ، طبعة دار  
الكتب العلمية ، بيروت سنة 1990م ، 1411 هـ .

255- المستشرقون الناطقون بالإنجليزية لعبد اللطيف الطياوى ، ترجمة الدكتور قاسم  
السمرائى ، مطبعة جامعة الإمام محمد ابن مسعود الإسلامية سنة 1991م .

256- المستشرقون والسيرة للدكتور عماد الدين خليل ، طبعة دار الثقافة الدوحة ،  
قطر سنة 1989م .

257- المسند ، للإمام أبى يعلى الموصلى ، تحقيق حسين سليم أحمد  
، طبعة المكتب الإسلامى ، القاهرة سنة 1410 هـ ، 1989م .

258- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ،  
طبعة دار المعارف ، القاهرة ، سنة 1374 هـ 1955م .

259- مسند ابن الجعد ، لأبى الحسن على بن الجعد بن عبيد  
البغدادى مراجعة عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر بيروت  
1990م ، 1410 هـ .

260- مسند الحميدى ، لأبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدى ،  
مراجعة حبيب الرحمن الأعظمى ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت  
سنة 1381 هـ .

261- مسند الشافعى ، لأبى عبد الله محمد بن إدريس الشافعى ،  
طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، بدون تاريخ .

262- مسند الشاميين ، لأبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى ،  
مراجعة حمدى بن عبد المجيد السلفى ، طبعة مؤسسة الرسالة ،  
بيروت لبنان سنة 1984م ، 1405 هـ .

263- مسند الشهاب ، لأبى عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر  
القضاعى مراجعة حمدى بن عبد المجيد السلفى ، طبعة مؤسسة  
الرسالة ، بيروت لبنان سنة 1986م ، 1407 هـ .

264- مسند الطيالسى : لأبى داود سليمان بن داود الطيالسى ،  
دار المعرفة بيروت .

265- مصرع التصوف ، للعلامة برهان الدين البقاعى ، تحقيق عبد  
الرحمن الوكيل مطبعة السنة المحمدية القاهرة سنة 1373 هـ ،  
1953م .

266- المصطلح الفلسفى عند العرب للدكتور عبد الأمير الأعمش  
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة 1989م .

267- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الأولى ، القاهرة سنة 1392 هـ .

268- المعاجم العربية دراسة تحليلية ، للدكتور عبد السميع محمد أحمد دار الفكر العربي ، الطبعة الرابعة القاهرة سنة 1984م .

269- المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوى في الأحوال ، تأليف

سهل بن عبد الله التستري ، تحقيق الدكتور محمد كمال جعفر ، طبعة دار الإنسان ، سنة 1980م .

270- معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ، طبعة مؤسسة المختار ، الطبعة الأولى سنة 1987م .

271- معجم اصطلاحات الصوفية ، لعبد الرزاق الكاشاني تحقيق الدكتور عبد العال شاهين طبعة دار المنار القاهرة سنة 1992م

272- معجم البلدان في معرفة المدن والقرى والعمار والسهل والوعر من كل مكان لياقوت بن عبد الله الرومى الحموى ، طبعة مطبعة السعادة القاهرة سنة 1323 هـ .

273- المعجم الصوفى ، الحكمة في حدود الكلمة ، للدكتورة سعاد حكيم طبعة دندرة ، بيروت سنة 1401 هـ ، 1981م .

274- المعجم العربى نشأته وتطوره ، للدكتور حسين نصار ، طبعة دار نهضة مصر القاهرة سنة 1956م .

275- معجم مصطلحات الصوفية للدكتور عبد المنعم حفى ، طبعة دار المسيرة بيروت سنة 1400هـ ، 1980م .

276- معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة سنة 1970م .

277- معرفة الثقات ، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي مراجعة عبد العليم عبد العظيم البستوى ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، سنة 1985م 1405 هـ .

278- معرفة السنن والآثار عن الإمام الشافعي ، تصنيف أحمد بن الحسين البيهقي طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

279- معرفة علوم الحديث للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ، المكتبة العلمية المدينة المنورة سنة 1403 هـ .

280- المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز ، تحقيق محمود فاخوري و عبد الحميد مختار ، طبعة مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، سنة 1979م .

281- المغنى للإمام موفق الدين بن قدامة ، ومعه الشرح الكبير ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، سنة 1393 هـ ، 1973م .

282- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، تأليف جلال الدين السيوطي طبعة البابي الحلبي ، مصر ، بدون تاريخ .

- 283- مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، لأحمد بن مصطفى طاش  
كبرى زاده ، طبعة دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- 284- مفتاح دار السعادة ، للإمام شمس الدين بن القيم الجوزية ،  
طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
- 285- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد  
الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني ، طبعة مصطفى  
البابى الحلبي ، القاهرة سنة 1324 هـ .
- 286- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبى الحسن  
الأشعري تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة مكتبة النهضة  
المصرية ، القاهرة سنة 1389 هـ ، 1969 م .
- 287- المقدمة ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق الدكتور  
على عبد الواحد وافي ، طبعة لجنة البيان العربى سنة 1960 م .
- 288- مكارم الأخلاق ، لأبى بكر عبد الله بن محمد ابن أبى الدنيا  
القرشى مراجعة مجدى السيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة  
1990 م .
- 289- الملل والنحل ، على هامش الفصل لابن حزم ، لأبى الفتح  
محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد السيد الكيلاني ،  
القاهرة 1961 م .

- 290- من التراث الصوفي ، لسهل بن عبد الله التستري ، للدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر ، طبعة دار المعارف القاهرة سنة 1974م .
- 291- من قضايا التصوف في ضوء الكتاب ، للدكتور محمد السيد الجليلند طبعة مطبعة التقدم ، القاهرة سنة 1406 هـ ، 1985م .
- 292- منازل السائرين ، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري الهروي طبعة مطبعة الحلبي ، القاهرة سنة 1228 هـ .
- 293- المناظر الإلهية لعبد الكريم الجيلي ، تحقيق الدكتور نجاح محمود الغنيمي طبعة دار المنار القاهرة ، سنة 1407 هـ ، 1987م .
- 294- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد الزرقاني ، طبعة عيسى البابي مصر سنة 1953م .
- 295- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان سنة 1412 هـ ، 1992م .
- 296- المنتقى من السنن المسندة ، لأبي محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري ، مراجعة عبد الله عمر البارودي ، بيروت ، 1408 هـ .
- 297- المنحنى الشخصي لحياة الحلاج ، ترجمة عبد الرحمن بدوي دار النهضة المصرية لسنة 1964م .

- 298- المنطق ومناهج البحث ، مدخل نقدي لأستاذنا الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى دار النصر سنة 1998م .
- 299- منع جواز المجاز فى المنزل للتعبد والإعجاز ، إعداد محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ، تحقيق أبى حفص سامى بن العربى طبعة مكتبة السنة ، القاهرة سنة 1414 هـ ، 1993م .
- 300- المنقذ من الضلال ، للإمام أبى حامد الغزالى ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود طبعة دار الكتب الحديثة الطبعة الخامسة القاهرة 1385 هـ .
- 301- المنية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل ، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ، تحقيق توماسى آرتولد ، طبعة حيدر آباد الهند سنة 1316 هـ .
- 302- الموافقات فى أصول الشريعة للإمام الشاطبى ، طبعة المطبعة التجارية مصر ، بدون تاريخ .
- 303- مواقع النجوم ، لمحيى الدين بن عربى ، طبعة مطبعة السعادة ، مصر سنة 1325 هـ .
- 304- الموالد ، دراسة للعادات والتقاليد الشعبية فى مصر ، للدكتور فاروق أحمد مصطفى ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1980م .
- 305- موطأ الإمام مالك ، لأبى عبد الله مالك بن أنس الأصبحى ، مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربى ، مصر .

- 306- ميزان الاعتدال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق  
على محمد البجاوى ، طبعة دار إحياء الكتب العربية ، بيروت سنة  
1282 هـ 1963م .
- 307- نزهة النظر لابن حجر العسقلاني ، طبعة مكتبة التوعية الإسلامية القاهرة  
سنة 1989م .
- 308- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، للدكتور على سامي  
النشار طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1969 هـ .
- 309- نفحات الأنس من حضرات القدس لأبي البركات عبد الرحمن  
الجامي طبعة الأزهر الشريف ، دار التراث العربي سنة 1409 هـ ،  
1989م .
- 310- نهاية الإقدام في علم الكلام ، لأبي الفتح محمد بن عبد  
الكريم الشهرستاني ، تحقيق ألفرد جيوم ، طبعة اكسفورد سنة  
1934م .
- 311- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن  
محمد الجزري ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي طبعة  
المكتبة العلمية بيروت ، سنة 1399هـ ، 1979م
- 312- نواذر الأصول في معرفة أخبار الرسول ، لأبي عبد الله محمد  
بن الحسن الحكيم الترمذي ، طبعة استانبول تركيا سنة 1293 هـ



- 313- الهدى والبيان فى أسماء القرآن ، صالح إبراهيم البليهى ، طبعة جامعة الإمام سنة 1397هـ .
- 314- هياكل النور للسهروردى المقتول تحقيق الدكتور محمد على أبو ريان القاهرة سنة 1957م .
- 315- الوحى فى المنظور الاستشراقى ونقده للدكتور محمود ماضى ، طبعة دار الدعوة الإسكندرية ، بدون تاريخ .
- 316- الورع لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا البغدادى ، مراجعة أبى عبد الله محمد بن حمد الحمود ، الدار السلفية ، الكويت سنة 1988م .
- 317- وسائل السائل لمحى الدين بن عربى نشر Man Fred Profitlich ، ألمانيا سنة 1973م .
- 318- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1367هـ .
- 319- اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ، لعبد الوهاب الشعرانى طبعة دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ .

ثانيا : الرسائل العلمية والمخطوطات

أ- رسائل الدكتوراه :

- 1- ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير ، لمحمود محمد السيد شببكة مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين ، جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1976م .
- 2- ابن سبعين ومنهجه فى التصوف مخطوط بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة إعداد أحمد محمد محمود سليمان سنة 1977م .

- 3- أثر التصوف الإسلامى فى الآداب والأخلاق إعداد محمد زكى عبد السلام مبارك كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1937م .
- 4- أثر القرآن على منهج التفكير الفلسفى ، إعداد محمود السعيد طه الكردى ، كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1979م .
- 5- أسس الاتفاق بين السلفية ومشايخ الصوفية فى تراث ابن تيمية ، إعداد الطبلاوى محمود حسين سعد ، مكتبة كلية دار العلوم سنة 1982م .
- 6- الإمام القشبرى سيرته وآثاره ومذهبه فى التصوف ، إعداد إبراهيم بسيونى ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة ، سنة 1971م .
- 7- توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته ، إعداد رفعت فوزى عبد المطلب مكتبة كلية دار العلوم رقم سنة 1976م .
- 8- الحب الإلهى فى التصوف بين الإسلام والنصرانية ، إعداد دين محمد مىرا صاحب ، مكتبة كلية أصول الدين بجامعة الأزهر القاهرة ، سنة 1991م .

- 9- السلوك عند الحكيم الترمذى ومصادره من السنة ، إعداد أحمد عبد الرحيم السايح ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة سنة 1986م .
- 10- السنة فى القرن الثانى الهجرى أسسه واتجاهاته ، إعداد رفعت فوزى عبد المطلب ، كلية دار العلوم سنة 1976م .
- 11- الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة فى ضوء الإثبات والتنزيه ، إعداد محمد آمان بن على الجامى ، مكتبة كلية دار العلوم سنة 1975م .
- 12- العبادة فى الإسلام وصلتها بالفرد والجماعة ، إعداد على عبد اللطيف منصور ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1975م .
- 13- الغموض فى الدلالة أنماطه وعوامله ووسائل التخلص منه ، إعداد محمد أحمد محمود حماد كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1986م .
- 14- الفضائل الخلقية فى الإسلام ، إعداد أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، مكتبة كلية دار العلوم سنة 1977م .

15- المجاز في القرآن بين مثبتيه ونافيه ، إعداد عبد السلام محمد وفا مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1986م .

16- المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ، إعداد إبراهيم عبد الرحمن خليفة مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة سنة 1973م .

17- محي الدين ابن عربي مفسرا ، إعداد حامد محمود الزفري ، كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، سنة 1972م .

18- مدارك السالكين عند الصوفية وأثرها في السلوك إعداد محمد هاشم شكرى ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1977م .

19- مدى انطباق أفكار الصوفية على الكتاب والسنة ، إعداد عبد الله يوسف الشاذلى مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1978م .

20- مذهب التأويل عند الشيعة الباطنية دراسة تحليلية نقدية ، إعداد محمد محمود عبد الحميد ، كلية دار العلوم سنة 1983م .

21- مشكلة الحرية عند الفلاسفة والصوفية في الإسلام ، إعداد فاروق أحمد حسن دسوقي مكتبة دارالعلوم سنة 1978م .

22- مشكلة الخير والشر بين المعتزلة والأشاعرة ، إعداد الدكتور

- السيد مرسى الجليند كلية دار العلوم سنة 1975 م .
- 23- مشكلة الذات والصفات عند محى الدين ابن عربى ، إعداد إسماعيل منصور جودة  
كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1990 م .
- 24- المصطلحات النقدية فى التراث العربى حتى القرن السابع  
الهجرى لعبد المطلب عبد المطلب زيد بمكتبة كلية دار العلوم  
سنة 1989 م .
- 25- مقاييس نقد متون السنة ، إعداد مسفر عزم الله أحمد الدمينى مكتبة جامعة  
القاهرة سنة 1982 م .
- 26- مناهج الاستدلال وصوره لدى المتكلمين والفلاسفة المسلمين ، مختار محمود أحمد  
عطا الله كلية دار العلوم سنة 1995 م .
- 27- المنهج الصوفى فى الأخلاق إعداد محمد يوسف بن الحاج  
محمد نور مكتبة كلية دار العلوم ، سنة 1974 م .
- 28- النص القرآنى بين التفسير والتأويل ، لأستاذنا الدكتور عبد الفتاح سلامة ، مكتبة  
كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1979 م .
- 29- نظرية المعرفة بين الكندى وذى النون المصرى دراسة مقارنة  
بين الفلسفة والتصوف إعداد السيد رزق الحجر ، مخطوط  
كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1981 م .
- 30- الوفاء بالعهد فى القرآن الكريم ، إعداد حسنى أمين مصرى ،  
مخطوط

بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف سنة  
1981م .

31- الولاية عند محي الدين ابن عربي ، إعداد أستاذنا الدكتور عبد المنعم عبد الحميد  
مدكور ، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1980م .

ب - رسائل الماجستير :

1- الأبعاد الدلالية للتركيب في تراث ابن تيمية إعداد أحمد طاهر  
عبد الرحمن مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،  
سنة 1994م .

2- ابن العربي ومنهجه في التفسير ، لمحمد عبد السلام زغوان ،  
مكتبة جامعة القاهرة لسنة 1978م .

3- أبو طالب المكي ومنهجه الصوفي لأستاذنا الدكتور عبد  
الحميد مدكور ، مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم جامعة  
القاهرة 1972م .

4- الإنسان الكامل عند محي الدين بن عربي ، إعداد هالة أحمد  
فؤاد مصطفى ، مخطوط بمكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة  
1990م .

5- البرهان في متشابه القرآن للكرمانى تحقيق ودراسة ، إعداد  
منصور محمد منصور الحفناوى مجلدان بمكتبة كلية دار العلوم  
جامعة القاهرة لسنة 1975م .

6- البيهقي ومشكلة الصفات الإلهية لأستاذنا الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاوى محمود كلية دار العلوم ، سنة 1975م .

7- تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية ، دراسة وتحقيق حقائق

التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي السلمى ، إعداد سلمان نصيف جاسم التكريتي ، مكتبة كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة سنة 1975م .

8- التفسير بين الرأى والأثر إعداد محمد حلمى محمود أبو غزالة مخطوط بمكتبة جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة 1397 هـ

9- الحافظ ابن كثير ومنهجه فى التفسير إسماعيل سالم عبد العال ، بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، سنة 1977م .

10- حال الفناء فى التصوف الإسلامى إعداد إبراهيم إبراهيم محمد ياسين مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1980م .

11- الحب الإلهى عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ، إعداد صبرى متولى منصور الشرقاوى ، مكتبة كلية الآداب ، جامعة القاهرة سنة 1986م .

12- الحب الإلهى عند محى الدين بن عربى ، إعداد منشاوى عبد الرحمن إسماعيل مكتبة كلية دار العلوم سنة 1983م .

- 13- الحب الصوفي عند الإمام البرعى إعداد سبع متولى أيوب ،  
كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة 1984م .
- 14- الحب فى القرآن دراسة موضوعية إعداد سالم عبد الخالق عبد  
الحميد ، مخطوط بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف  
1992م .
- 15- الخوف والخشية والوجل فى القرآن الكريم إعداد حسن عبد  
اللطف مصطفى ، كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف  
سنة 1989م .
- 16- دراسة فى توليد الألفاظ للدلالة على المعانى ، إعداد محمد  
إبراهيم حسن العفيفى مكتبة كلية اللغة العربية ، جامعة  
الأزهر القاهرة سنة 1979م .
- 17- دراسة دلالية للمصطلحات الإسلامية فى القرآن الكريم إعداد  
عودة خليل أبو عودة كلية دار العلوم ، سنة 1981م .
- 18- الصلة بين الفلسفة والتصوف عند محى الدين ابن عربى ، إعداد محمد عبد التواب  
السيد يوسف ، مكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة  
1983م .
- 19- الطعام والعادات الغذائية عند متصوفة الإسلام ، إعداد محمد  
عبد المنعم صالح ، كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1967م .



- 20- العقل ومكانته في القرآن الكريم إعداد سيد محمد يوسف منصور اللبان ، مخطوط كلية أصول الدين جامعة الأزهر القاهرة سنة 1985م .
- 21- فلسفة ابن سبعين ، إعداد محمد ياسر شرف ، مكتبة جامعة دمشق سوريا سنة 1977م .
- 22- قضية التأويل عند الإمام ابن تيمية ، لأستاذنا الدكتور محمد السيد الجليند مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1970م .
- 23- كتاب شرح أسماء الله الحسنى لأبي الحكم بن برجان ، إعداد شوقى على عمر ، كلية دار العلوم سنة 1986م .
- 24- مشكلة الذات الإلهية والصفات عند القاضى عبد الجبار المعتزلى رابحة نعمان توفيق عبد اللطيف ، مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1988م .
- 25- المصطلحات عند الفرابي دراسة لغوية ، إعداد خالد بوشطارة مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة 1992م .
- 26- المصطلحات النحوية نشأتها وتطورها إعداد سعيد أبو العزم إبراهيم رسالة ماجستير بمكتبة كلية دار العلوم سنة 1977م .
- 27- المصطلح العلمى وأساليب صوغه فى مصر فى العصر الحديث إعداد إبراهيم عبد المجيد عبد العزيز ضوه ، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة 1985م .

- 28- مفهوم الحرية عند الصوفية في القرنين الهجريين الثالث والرابع ،  
إعداد محمود عبده عبد الرازق ، مكتبة كلية دار العلوم  
جامعة القاهرة ، سنة 1995م .
- 29- مقام التوكل عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ،  
إعداد طباح مندى السيد مكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة  
سنة 1988 .
- 30- مقام الرضا عند صوفية القرنين الثالث والرابع الهجريين ،  
إعداد محمد مختار محمد مصلح ، مخطوط كلية الآداب جامعة  
القاهرة 1988م .
- 31- المنهج الصوفي عند عبد الرزاق الكاشاني ، إعداد عصام على  
معوض مخطوط بكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة سنة  
1997م .
- 32- موقف الصوفية من التكليف الشرعية ، إعداد أحمد على  
عجيب رسالة ماجستير بمكتبة كلية أصول الدين جامعة  
الأزهر الشريف بالقاهرة سنة 1987م .
- 33- موقف الصوفية من العقل حتى نهاية القرن الرابع الهجرى  
رسالة ماجستير ، الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى كلية دار  
العلوم جامعة القاهرة برقم 268 ، سنة 1978م .

34- الموقف النقدي من التصوف لدى الصوفية ، إعداد عدل أمين حافظ مكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة برقم 615 سنة 1995م .

35- نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي إعداد أحمد عبد المهيمن عبد الله ، مخطوط كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة سنة 1994م .

36- الوجود والعدم في فلسفة ابن عربي الصوفية ، إعداد جمال أحمد سعيد المرزوقى ، ماجستير بمكتبة كلية الآداب جامعة القاهرة 1979م .

37- وحدة الوجود بين الصوفية والفلاسفة وعلاقتها بصفة الوحدانية إعداد ديدار سيدى محمد مختار رسالة ماجستير بالمكان السابق 1983م .

#### ج - المخطوطات الأخرى :

1- الأكياس والمغترون للحكيم الترمذى مخطوط ضمن المخطوطة رقم 104 ، مودعة بدار الكتب الوطنية الظاهرية ، نسخة مصورة من معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية .

2- أنواع العلوم ، للحكيم محمد بن على الترمذى ، مخطوط مكتبة ولى الدين رقم 770 نسخة مصورة على الميكرو فيلم .

3- باب في بيان الشكر والحمد ، للحكيم الترمذى مخطوط مجاميع رقم 694 تصوف دار الكتب الوطنية الظاهرية ،









28- □  
 □  
 □  
 □

29- □  
 □  
 □ □ □ □ □ □ □ □

30- ♠♦♦♦ ♠♣♦♠ ♠♣♣ ♠♦♣♦♣♣ ♣♣♦♦♣♣♣♣ ♣♣♦♣♦♣♣♣♣ ♣♣  
 ♠♣♣ ♣♦♣♣♣♣♣♣ ♣♣♦♣♣♣♣ ♣♣♦♣♣♣♣♣♣ ♣♣♦♣♣♣♣♣♣ ♣♣♦♣♣♣♣♣♣ ♣♣♦♣♣♣♣♣♣



## **Report about The thesis**

**In the name of Allah,  
Most Gracious, Most Merciful.**

\*\*\*\*\*

*This dissertation is about the relationship between Mysticism and The Noble Qur'an, or scrutiny in the roots of Mysticism which are taken from The Noble Qur'an and Sunna. And for which extent they are close to Qur'an.*

*Also, their positive or negative role to keep the Islamic religion intact.*

*The researcher tries to present perfect Islamic point of view for the spiritual life in Islam through showing the mystics terminology based on the Qur'an and prophetic origins by using a theoretical search and lexical application.*

*Regarding to the reality of this topic and its influence in correcting the contemporary mystic life, the researcher tries to suggest a more upright scientific study for the patrons and opponents of the mysticism for making truth realizable.*

*The researcher also tries to emphasize the bases of dependence of Qur'anic and prophetic origins in the lexical work.*

*Schema comprises an introduction, two parts and a conclusion*

*The introduction implies the incentive to choose this theme 'the previous study, the research methodology and the research steering plan.*

*The first Part comprises the Qur'an word stem of the mystical terminology in its original theoretical aspect in six chapters the*

first chapter comprises the fundamental qur'an induction constrains . The second deals with the holy qur'an as expounded by the interstation and mystic illucidations .

The third chapter explain the mystical terminological developments and lexical study of mysticism . the fourth chapter speaks of the mysticism developmental stages that play anactiue role in allocating the mysticism alluding terminology in respect of its relevants qur'ans wordstems .

In the fifth chapter the research comprises a methodological and cognitive study in the mysticism qur'ans development of mystical terminologies and idioms , the sixth chapter deals with the recent research about the qur'ans wordstem of mystical terminology ' has mysticism a wordstem developmental references to The Noble qur'an .

The second part indicates to a lexical use study of The qur'an steamed mysticism terminologies in the six chapters the research from the first chapter to the fourth deals with qur'anic and prophet traditional admission of mystical terminologies consisting of qur'anic or prophetic expressions as its being in correspondence with their meanings and with them .

This paper in the both five and six chapters of the second part explains the pxclusively qur'anic or prophetic expressions of mystical terminology with indication to their stated meaning with the holy scripture qur'an and Sunna in so much as it must correspond to external mysticism innovatory meanings with their circulating expressions .

The number of qur'an and prophet steamed mysticism terminologies with this dissertation make up one hundred twenty four idioms ranging from the eternity to conviction of mysticism meanings confirmation with the qur'anic and prophetic

*fundamentals .*

*The terminology number with partial and general introduction make about three hundred thirty nine idioms.*

*The number ranging from pilgrimage ceremony to Friday make up ninety nine idioms of non meaning expressed terminologies of qur'anic and prophetic wordstems .*

*Thus ' the totally adduced mystical terminologies as enumerated with lexical appreciation make five hundred as well as idion tetradic mysticism terminology in itself .*

*The qur'anic reference number with the lexical aspect make about three thousand and the prophetic thousand traditions to the anciently and recently published mysticism dictionaries .*

*The conclusion comprises a summary , suggested results of the research proposal and recommendations .*